

# السيرة العصرية

سيرة

سماحة الشيخ العلامة الامام

د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

(رحمة الله)

يرونها ابنه

د. عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين



مؤسسة ابن بطون الكويت  
For the Study of Islamic History and Civilization



عبدالرحمن عبدالله عبدالرحمن الجبرين، ١٤٣٣هـ (ح)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجبرين، عبدالرحمن عبدالله عبدالرحمن

أعجوبة العصر سيرة سماحة الشيخ العلامة الإمام عبدالله بن

عبدالرحمن الجبرين رحمه الله تعالى./ عبدالرحمن عبدالله

عبدالرحمن الجبرين.- الرياض، ١٤٣٣هـ

٨٩٦ ص، ١٦،٥ × ٢٤ سم

ردمك: ١-٠٣٧٥-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- ابن جبرين، عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله، ١٣٤٩-١٤٣٠هـ.

أ. العنوان

ديوي ٩٢٢،١١٣ رقم الإيداع: ١٤٣٣/٥٨٤٢

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة

مؤسسة ابن جبرين الخيرية - المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب. ٣٣٥ - الرمز البريدي ١١٤١١

هاتف ٠٠٩٦٦١٤٣٦١٠٠٠ - فاكس ٠٠٩٦٦١٤٣٦٣٧٠٠

www.ibn-jebreen.com E-mail: info@ibn-jebreen.com

البريد الإلكتروني الخاص بالكتاب

serah@ibn-jebreen.com

لارسال الملاحظات والاستدراكات والخواطر





# المحتويات

الصفحة	الموضوع
٩	المقدمة
٢٣	تقديم
٢٩	إضاءات
٢٥	• القسم الأول: البيئة الخصبة
٣٧	الأسرة العاملة
٤٩	الوليد المبارك
٥٤	من قصص الطفولة
٦٥	بيت العطاء
٧٧	• القسم الثاني: التكوين المسدد
٧٩	مبادئ العلوم
٨٥	القرآن أولاً
٩٠	حياة الطلب
٩٩	التعليم النظامي
١٠٨	صداقة الكتاب
١١٦	مشايخ الشيخ
١٤٣	أقران الزمان
١٤٧	• القسم الثالث: العطاء المتجدد
١٤٩	نبوغ مبكر
١٥٣	موسوعية وإبداع
١٦٦	المدرس المتفزن
٢١٩	داعية لا يكلّ





٢٤٦	..... المفتي القدير
٢٩٦	..... وماذا عن التأليف
٣٢٢	..... الإمامة والخطابة
٣٣٥	..... تقاعد أم انطلاق
٣٣٩	..... <b>القسم الرابع: الشخصية الفذة</b>
٣٤٣	..... الملامح والسمات
٣٤٤	..... معالم الإخلاص
٣٤٧	..... علو الهمة
٣٥٢	..... تواضع وعزة
٣٧٠	..... زهد وورع
٣٨٧	..... جبل الصبر
٤٠٨	..... الوقت في حياة الشيخ
٤١٧	..... حلم وأدب
٤٣٨	..... الشجاعة المتزنة
٤٥٦	..... أحوال النفس
٤٦٠	..... صفات الريادة
٤٦٨	..... ومن الذي ترضى سجاياه كلها
٤٧٥	..... <b>القسم الخامس: العقيدة والعبادة</b>
٤٧٧	..... عقيدة الشيخ
٤٨١	..... مذهبه الفقهي
٤٨٣	..... العالم العابد
٤٨٦	..... الصلاة الصلاة
٤٩٩	..... حضور الجنائز
٥٠٨	..... الزكاة والصدقات

٥١٤	.....	الصيام وشهر الصيام
٥٢٦	.....	الحج والعمرة
٥٤٨	.....	الذكر والدعاء
٥٥٧	.....	• القسم السادس: شيخ الأمة
٥٦٠	.....	مكانة الشيخ
٥٦٦	.....	مؤسسة متكاملة
٥٧٣	.....	الباب المفتوح
٦١٧	.....	العمل الخيري
٦٢١	.....	الشيخ المحتسب
٦٤٥	.....	في قلب الحدث
٦٧٤	.....	مع المجتمع
٦٨٧	.....	وللعيد طعم آخر
٦٩٥	.....	• القسم السابع: مناهج متقنة
٧٠٠	.....	طلب العلم
٧٣٣	.....	السياسة والحكم
٧٤٠	.....	الخلاف والاختلاف
٧٥٠	.....	الدعوة والتربية
٧٥٥	.....	منهجه في النظرة للجماعات الإسلامية
٧٩٣	.....	• القسم الثامن: الرحيل
٧٩٦	.....	مرض طويل وصبر جميل
٨٠٣	.....	المرض الأخير
٨٦٦	.....	ومات الشيخ





## المُقَدِّمَةُ

الحمد لله ولي الحمد والثناء، وأهل الكرم والنعماء، حمد مستمتع بدوام نعمه، ومستوزع للشكر على جليل قسمه، ومؤد فرض محامده وآلائه، ومستمد من فوائد كرمه ونعمائه، أحلنا محلة الفهم، وحلانا حلية العلم، وملكنا عقال العقل، وزيننا بنطق المنطق، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المكين ورسوله الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الكرام المنتجبين، وسلم وعظم ومجد وكرم، أما بعد<sup>(١)</sup> ..

فقد كتب الله الموت على الصغير والكبير، والشريف والطيِّف، والعالم والجاهل، ولكن لا شك أن المصيبة بالعلماء مصيبةٌ كبيرة؛ وذلك أن بفقدهم يُفقد العلم، الذي هو ميراث الأنبياء، وقد ثبت أن الرسول ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»<sup>(٢)</sup>.

بهذه الكلمات نعى الشيخ الوالد عبد الله بن عبد الرحمن ابن جبرين أخاه الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى<sup>(٤)</sup> ونحن نسجلها اليوم في مقدمة الحديث عن سيرة الوالد رحمه الله، لأنها تحكي مصيبتنا بفقدته.

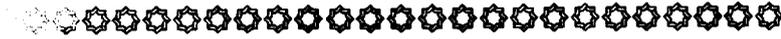
(١) انظر: اتفاق المباني واقتراق المعاني لسليمان بن بنين الدقيقي النحوي ١ / ٨٢ والأذكياء لابن الجوزي ١/١.

(٢) أخرجه البخاري في باب كيف يقبض العلم من كتاب العلم برقم ١٠٠ وأخرجه مسلم في باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان من كتاب العلم برقم ٢٦٧٢ كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٣) هكذا يكتبه أفراد القبيلة على الحكاية.

(٤) مقال بعنوان رحل الذين أحبهم، فعليك يا دنيا السلام للشيخ أحمد بن مشرف الشهري

الألوكة <http://www.alukah.net/ar/ticles/1/7163.aspx>



وقد فسر ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَلَّهْ يَخْتَكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].  
بأنه موت علمائها وفقهائها وخيار أهلها. وقد تلقى العلماء هذا التفسير بالقبول، كما ذكر ذلك الحافظ أبو عمر بن عبد البر (١) رحمته الله (٢).

وعن علي رضي الله عنه قال: «إذا مات العالم انظم بموته في الإسلام ثلثة، لا تسد إلى يوم القيامة» (٣).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه ذهاب أهله» (٤).

وقيل لسعيد بن جبيرة رحمته الله: ما علامة الساعة وهلاك الناس؟ قال: «إذا ذهب علماؤهم» (٥).

ولما مات زيد بن ثابت رضي الله عنه قال ابن عباس رضي الله عنه: «من سره أن ينظر كيف ذهاب العلم، فهكذا ذهابه» (٦).

وقد كان السلف رحمهم الله يأسون أشد الأسى لفقد واحد منهم، يقول أيوب السختياني رحمته الله: «إني أخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنني أفقد بعض أعضائي» (٧) (٨).

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢٠٤/١

(٢) انظر مقالة د. خالد بن عبد الرحمن الشايع [http://www.aleq1.com/2009/07/16/article\\_252832.html](http://www.aleq1.com/2009/07/16/article_252832.html)

(٣) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي - (ج ٢ / ص ٤٥٧) برقم ٨٥١.

(٤) رواه الطبراني في الكبير برقم ٨٨٤٥.

(٥) شعب الإيمان للبيهقي برقم ١٦٦٢.

(٦) رواه الطبراني في الكبير برقم ٤٧٥١.

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإلكائي - (ج ١ / ص ٤٦) سياق ما روي عن النبي ﷺ في ثواب من حفظ السنة ومن أحيها ودعا إليها برقم ٢٥.

(٨) من خطبة جمعة للشيخ عبد العزيز بن محمد القنাম وادي الدواسر - جامع النويمة القديم ١٤٣٠/٧/٢٤.

ونحن في هذه السيرة نتحدث عن أحد علماء الأمة الذين ودعوا الدنيا، وقد عرفت -أخي القارئ- موضوع هذه السيرة من عنوانها، وستعرف تفاصيلها من مباحثها، ولئن كنت سبقت غيري إلى جمع سيرة الشيخ الوالد رحمة الله، وترك الناس ذلك لي إحساناً منهم للظن بي، ورجاء أن أكون أكثر استقصاءً وأدق تفصيلاً، فقد سبقني الكثير من تلاميذه ومحبيه إلى تسطير خواطرهم، وذكر مواقفهم معه رحمة الله، وفاء لشيخهم، ورداً لجميله، وتقديراً لمكانته، ومن أبلغ ما طالعتَه وأكملَه، نص أدبي لطيف كتب قبل وفاة الوالد رحمة الله بأربعين يوماً، سطره يراع أحد تلاميذه، كلمات خرجت من القلب، فتداولها الناس وتغنوا بها قبل وفاة الشيخ رحمة الله، ثم قرؤوها بتأمل وتدبر بعد وفاته، كانت تسجيلاً لحياة حافلة بالعلم والتعليم والدعوة والنصيحة والعطاء المتنوع، سأقتطف منها هنا وفي أماكن أخرى ما يناسب كل موضع، كتبها الأستاذ خضر بن صالح بن سند<sup>(1)</sup> في بحث سماه: عبد الله بن جبرين الأسطورة المشاهدة، ونشره في الموقع الإلكتروني الشهير «ملتقى أهل الحديث» يقول في هذا البحث: «شيخ في الثمانين من العمر، تداعب همته ونشاطه مخيلة أبناء العشرين، ليس ابن جبرين من دهماء الناس وعامتهم، بل هو رأس الطبقة وزينة الوقت، وهو اليوم مفخرة من مفاخر علماء السنة، وعالم من أكابر علماء الزمن الحاضر.

كل من جالسه عرف أنه عالم وداعية، زاهد وداهية، عربي غير مستعجم، حضري غير خاضع لذل الحضارة، شيخ في طاقة شاب، ورجل يحمل همّ أمة.

(1) ملتقى أهل الحديث <http://www.ahlalhddeeth.com/vb/showthread.php?t=175729>

خضر بن صالح بن سند: عبد الله بن جبرين الأسطورة المشاهدة، جدة ١٤٣٠/٦/١١



بلغ من العلوم أعلاها، برع في العلوم حتى أعجب به من رآه وسمعه،  
وبرع في التعليم حتى أتعب من بعده».

ولعل الشيخ خضراً اختصر عليّ كثيراً من الجهد، فإن الابن يشق عليه  
ويستثقل منه أن يصف أباه بصفات المدح، ولو كانت موجودة في الواقع،  
ويشهد بها القريب والبعيد، وقد أراحني -كذلك- تلاميذ الشيخ الوالد  
رَحِمَهُمُ اللهُ ومحبوه ممن كتبوا أو تحدثوا عنه من هذه المهمة، فورد فيما ذكروه  
الكثير من عبارات الثناء، التي أبقيتها كما سطرها أصحابها.

فهذا تلميذه الدكتور سعد البريك يقول في مداخلة له مع قناة دليل:  
" المتكلم عن سيرة العلامة سماحة الشيخ عبد الله ابن جبرين بأي جانب  
يبدأ: هل أجمع الدهر في لحظة أو البحر في قربة؟"

عرفت الشيخ منذ أن كنت صغيراً، أتردد عليه في بيته القديم في قلب  
مدينة الرياض، كان الشيخ يجلس لنا، وهو الذي يصب القهوة بيده.

عرفت الشيخ وأنا أستوضحه في بعض الأمور والمواقف في بعض النوازل،  
فأجد منه قولاً ينشرح له الصدر، وتطمئن له النفس.

عرفت الشيخ وهو يزورنا كل عام في مسجدنا في إحدى ليالي العشر  
الوسطى من كل سنة، أقرأ عليه الأسئلة بعد أن يلقي كلمته المعتادة، ثم يختم  
كلمته بالشفاعة والدعوة للتبرع للفقراء والمساكين في المناطق النائية، وإذا  
زارنا الشيخ تلك الليلة انهالت التبرعات من مال وحلي، بل بعضهم يتحين  
متى يأتي الشيخ حتى يتقدم بركاته، ليدفعها للشيخ.

عرفت الشيخ كالبحر يرد عليه الناس من كل جانب، ما بين سائل ومتعلم، وصاحب حاجة وطالب شفاة، فأرى كيف يبذل نفسه لنا ومتواضعاً، يخفض جناحه للضعيف والفقير والمسكين، فإذا رأيت الشيخ مقبلاً تذكرت قول الله ﷻ: ﴿تِلْكَ أَدَارُ الْأَخِرَةِ لِمَنْ يَعْمَلْهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الفصص: ٨٣]..

الشيخ له منهج يجب أن يستخلص من سيرته، ويجب أن يدرس وأن يقرأ وأن يعرف، كمنهج وليست مجرد مواقف في حياته، فللشيخ منهج مع الحكام في النصيحة والصدق والزيارة، وللشيخ منهج مع العلماء في البيان والتعامل مع المخالف، وللشيخ منهج مع العامة في الدنو منهم وقضاء حوائجهم، وللشيخ منهج مع الجماعات الإسلامية في نبذ التعصب والنصيحة للجميع، وللشيخ منهج مع المخالفين في العقائد مخالفة واضحة، فلا يقف في منطقة رمادية أبداً، وقوله مشهود ومعلوم فيمن سب الصحابة وقذف أم المؤمنين عائشة بالفاحشة "أ.هـ.

ويقول الدكتور سلمان العودة: "الشيخ عبد الله ابن جبرين رجل جاوز الثمانين من عمره، هذا الرجل أعجوبة.. أعجوبة أنه في طول عمره تجد دروسه تفترس وقته كله، فكل وقته دروس وبرامج، دوره في لينة، وبعدها في المنطقة الشرقية، ثم في أمّالج، ثم في خميس مشيط، وهكذا ينتقل بين البلاد والمدن في دورات وبرامج.

لا يكاد الشيخ يعتذر من أحد يدعوه، حتى لو دعاه إلى هجرة صغيرة أو قرية أو ثلة قليلة من الطلاب، والشيء الغريب أنه لم يكن مقصوداً على الفقه تجد الشيخ في الأنساب، إذا ذاكرته عنده بصر بالأنساب. إذا ذاكرته



في الأدب والشعر، حتى إنه يحفظ كثيراً من مقامات الحريري وغيرها، ويستشهد بالشعر، عند الشيخ أيضاً أخلاق نبيلة، تواضع جم، لا يرى لنفسه قدراً، وأظن أن الشيخ لو لم يكن قرأ عن الغضب، لم يكن يعرف ما الغضب، إلا أن تنتهك حرمة الله سبحانه وتعالى، فيغضب لله لا لنفسه، فكان **رَحْمَةُ اللهِ** نموذجاً حياً في العلم والتعليم وبذل النفس، وفي الأخلاق الفاضلة".

ويقول الشيخ رياض المسيميري: "يهتز القلم بين أناملي، ويعتصر القلب، وتذرف العين، وأنا أخط مقالة أنعي فيها علامة الدنيا، وأعجوبة الزمان، وجبل الحفظ، ومعدن التواضع.

يهتز القلم بل يرتجف، وأنا أكتب عن شيخنا الراحل ابن جبرين **رَحْمَةُ اللهِ**، الذي كان بعد الشيخين: ابن باز وابن عثيمين عزاءنا ويلسم قلوبنا، فنبكي على الشيخين حتى تخضل لحانا، ثم نتذكر ابن جبرين فيهون مصابنا؛ لأننا كنا على يقين بأن الشيخ الفقيه لديه من العلم والبصيرة وحسن الرأي ما لا يقل عما لدى الفقيدين ابن باز وابن عثيمين.

أما اليوم فقد انفرط عقد الثلاثة الكبار، وغاب العمالقة الأقمار، فإلى الله المشتكى، وعليه التكلان، وهو المولى والمستعان" (١).

ويقول الدكتور عبدالعزيز العويد (٢): ابن جبرين باختصار شديد: أعجوبة العصر، فكم هم العلماء، ولكن الراسخون الباذلون قليل، وأحسب أن ابن جبرين شامتهم.

(١) مقالة للشيخ رياض المسيميري بعنوان علامة الدنيا يودع الدنيا

<http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task=view&id=14422&Itemid=25>

(٢) <http://www.saaaid.net/Minute/288.htm>

هذه بعض النصوص التي كتبت عنه رحمة الله، وسيرد في فصول السيرة ومباحثها الكثير غيرها، مما يترجم محبة الشيخ التي زرعت في قلوب كثير من الناس عبر العالم الإسلامي، وهذه السيرة تحكي كل ما استطعت جمعه من حياة الوالد رحمة الله، سواء الأحداث والوقائع، أو المواقف والمناهج، أو الرؤى والتوجهات. وبحكم قربي منه رحمة الله، وكوني قد توليت إدارة مكتبه وخدمته لأكثر من عشر سنوات، فقد كان لديّ كم من المعلومات في ذاكرتي وفي الأرشيف الموجود في المكتب، أسعفتني كثيرا في تدوين هذه السيرة.

ومع ذلك فلم أقصر عليها، بل تتبعت كل ما رواه الشيخ الوالد رحمة الله من سيرته مكتوبا كان أو مرثيا أو صوتيا، وهو أيضا كثير إذا قيس بغيره من العلماء، الذين ترجموا لأنفسهم، فقد تصل إذا استبعدنا التكرار لأكثر من مائة صفحة، وهي متنوعة مليئة بالأحداث والمشاهدات الخاصة، كان يتكلم فيها الوالد على سجيته رحمة الله، ويذكر تفاصيل دقيقة لا تعرف إلا من جهته. كما تتبعت ما كتبه أو قاله تلاميذه ومحبه كما ذكرت قريبا، فبعد وفاته بث كثير من القنوات الفضائية وبعض الإذاعات برامج تتحدث عنه رحمة الله، ونشرت الكثير من المقالات والخواطر وكانت مليئة بمعلومات مهمة تساعد في استيفاء سيرته، كان من فرسانها العم سعد وابن العم الشيخ سعد الجبرين، وجارنا الأستاذ عمرو الضبعان، والشيخ أحمد المهنا، والدكتور محمد العريفي، والدكتور عبد الوهاب الطيرى، والدكتور فهد السندي، والشيخ عصام العويد، والشيخ محمد حسان، وغيرهم كثير..

ولقد كونا بعد وفاة الوالد رحمة الله مباشرة فريقا قام برصد كل ما استطعنا الحصول عليه من هذه البرامج والكتابات، وأنشئ لها موقع خاص على الإنترنت، كضلع لموقع الوالد رحمة الله.



ثم كونا لجنة للعمل في الترجمة، شارك فيها بعض تلاميذ الوالد رحمة الله، كان منهم الشيخ محمد العوشن، والشيخ عبد الله الفايز، والشيخ علي أبولوز، والشيخ عبد الرحمن ابن العم ناصر، وكنت معهم أنا وأخي سليمان، ولكن لم يكتب لهذه اللجنة الاستمرار لانشغال أعضائها. مع أنها قامت بجهد في جمع كثير من المعلومات والصيغة لبعض الموضوعات، ولهذا استخرت الله أن أستقل بالعمل للعوامل التي ذكرتها من قبل، فأعدت تصنيف الموضوعات وتبويبها، وأعدت صياغة بعض ما تمت صياغته من قبل، وصفت ما لم تتم صياغته وهو الأكثر، حتى أنهيت العمل بحمد الله، وأسأل الله التسديد والإخلاص والقبول.

ولعلي أسجل ما علق في ذاكرتي من خواطر، وأنا أكتب هذه السيرة..

كنت أتصور إحاطتي بكل أمور الوالد رحمة الله وحياته، ولكني تعرفت خلال كتابتي لسيرته وإطلاعي على ما كتبه غيري على جوانب مهمة لم أكن أعرفها.

بعض موافقه رحمة الله لم تكن نلقي لها بالا، وقد اكتشفت أنها مهمة ومؤثرة في نفوس بعض الطلاب ونحوهم، فقد كان رحمة الله يحرص على أن نعد قهوة وشايا ونعناعا للطلاب في المسجد في درسي الجمعة والأحد، وكان يحضرها مئات الطلاب، فرأيت في كتابات بعض من كتب عنها أن لها أثرا فعلا في تشييط الطلاب، ونحن لم نكن نشعر بذلك.

كان الشيخ محمد المنجد حريصا على تسجيل حلقات تلفزيونية مع الوالد كلما ذهبنا للمنطقة الشرقية، ويطلب منه الحديث عن سيرته، ونحن لم نكن نهتم لذلك كثيرا، ففاتنا كثير من القضايا كنا نود لو وثقناها من

الوالد رحمة الله، ولهذا خرج الشيخ محمد على الناس بعد وفاة الوالد رحمة الله بمعلومات قيمة عن حياته وسيرته.

لقد كانت دموع العين تسابق أصابعي إلى لوحة المفاتيح في جهاز المحمول الذي كتبت فيه هذه السيرة، بل كنت أجهد بالبكاء إذا مر بي بعض المواقف التي تجعلني أشعر بأنني فقدت شيئاً مهماً، بل فرطت خلال سني عمري في كنز كان في بيتي.

لقد حاولت أن أكتب هذه السيرة بتجرد تام من عواطفِي ومن آرائِي، ولكن -أخي القارئ- أصدقك القول: أني تحكمت في الثانية، ولم أستطع السيطرة على الأولى في بعض الأحيان، لأن العاطفة تضفي روحاً وجمالاً على بعض القضايا، وربما أنك تحاول أن تتجنبها، ولكنك ترى بعد الانتهاء أنها تسلت إلى ما كتبتَه، لأنها قوة خفية يصعب التخلص منها.

نوعت في هذه السيرة بين الكتابة السردية، والتدوين التاريخي، والأسلوب القصصي، بحسب ما يقتضيه المقام، وإن كان الأخير هو الطابع العام لمعظم فصول هذه السيرة.

لم أعتن بالهوامش من حيث التدقيق في تخريج الأحاديث، فقد كنت أشير لأبرز من روى الحديث، معتمداً على صحيحي البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد وسنن أبي داود، لعناية الوالد رحمة الله بهذه الكتب.

لقد حرصت في هذه السيرة على الترحم على الوالد رحمة الله كلما ذكر. ولعل هذا من أقل ما يجب، ولورأى بعض القراء أن فيه إطالة وتكراراً، ولكن ليحمل القارئ هذه مني، فإني أرى أنها من حقوقه رحمة الله عليّ.

من عجائب الموافقات في وفاة سماحة الشيخ الوالد رحمة الله، أن وفاته كانت موافقة لتاريخ وفاة الوالدة رحمها الله في اليوم نفسه من الأسبوع ومن الشهر وفي المكان أيضا، حيث توفيت في مستشفى الملك فيصل التخصصي.

ومن اللطائف أيضا أنه توفي في الأسبوع الأخير من الدروس العلمية، التي كان يعقدها في أول الصيف، وكان مقررا أن يكون أبرز فرسانها، وقد قام بها بعض تلاميذه، جزاهم الله خيرا، وقد صُلِّيَ عليه في الجامع الكبير الذي كان يؤمه بالنيابة عن الشيخ عبدالعزيز بن باز في حال غيابه رحمها الله، وكان يقيم فيه حلقات علمية<sup>(١)</sup>.

ومن اللطائف البديعة: أنه خرج من البيت للمستشفى الذي لم يرجع منه في صباح يوم حافل بالعلم والنفع، حيث ألقى درسه بعد صلاة الفجر إلى الشروق، ثم رجع للمكتب فقرأ على قوارير ماء، كان يجلبها الناس للمكتب ليقرأ لهم فيها، ونقلها رحمة الله من جنوب الشرفة إلى شمالها، وكان حمله لإحدى القوارير الكبيرة. هو الذي أثار الأزمة القلبية عنده رحمة الله<sup>(٢)</sup>.

قد يتساءل البعض عن عنوان هذه السيرة، وأن فيه شيئا من التزكية، ولقد ترددت بين عدد من الأسماء، حيث أردت أن يجمع الاسم بين الجدة والجدب والصدق، فرأيت بعض من تحدث عن الوالد رحمة الله أشار لمعنى هذا الاسم. كما ذكرت عن الدكتور العودة والمسيميري والعويد، ولكني رجحت عبارة الدكتور عبدالعزيز العويد لسلاستها، ثم رأيت هذا التعبير في نصوص عدد من المصنفين في التراجم، فأنست لذلك واعتمدته.

(١) خالد بن علي بن محمد الحيان مقال في جريدة الجزيرة

<http://www.al-jazirah.com/104890/fe7.htm>

(٢) خواطر ومواقف في وفاة سماحة الشيخ ابن جبرين للشيخ محمد زياد بن عمر التكلة

[http://alukah.net/articles/1\\_7038.aspx](http://alukah.net/articles/1_7038.aspx)

فهذا مصطفى السيوطي في مطالب أولي النهى<sup>(١)</sup> يقول عن الإمام المرداوي:  
 "الإمام الفقيه الأصولي المحدث الفرضي، القاضي علاء الدين بن سليمان  
 السعدي المرداوي ثم الصالحي، أعجوبة الدهر، والفريد في ذلك العصر".

ونقل الشوكاني في البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع<sup>(٢)</sup>: "قال  
 ابن حجر: إن العراقي والبلقيني وصاحب الترجمة كانوا أعجوبة ذلك العصر".

وقال السخاوي في الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة<sup>(٣)</sup>: "قرأت بخط  
 الحافظ صلاح الدين العلائي: شيخ الإسلام، حجة الأعلام، قدوة الأنام،  
 برهان المتعلمين، قانع المبتدعين، سيف المناظرين، بحر العلوم، كنز المستفيدين،  
 ترجمان القرآن، أعجوبة الزمان، فريد العصر: أبو العباس ابن تيمية".

وجاء في الوايف بالوفيات<sup>(٤)</sup> في ذكر سيف الدين الأمدي: "قال قاضي  
 القضاة شمس الدين ابن خلكان في بعض تعاليقه: ما عسى أن يقال في أعجوبة  
 الدهر وإمام العصر".

وقال الزبيدي في تاج العروس<sup>(٥)</sup>: "شيخنا أعجوبة العصر والأوان  
 عبدالرحمن بن الشريف العلامة مصطفى العيدروس".

<sup>(٦)</sup>لقد رحل الشيخ الوالد رحمه الله مخلفاً تركة علمية ودعوية واحتسابية،  
 كان يقوم بها وحده، تعليماً للطلاب، ودعوةً للمسلمين، وأمرًا بالمعروف،  
 ونهيًا عن المنكر، فضلاً عن بذل الجاه والجهد والمال في نفع المحتاجين، ولقد

(١) مطالب أولي النهى - (ج ١ / ص ١٩).

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - (ج ١ / ص ٤٨٧).

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - (ج ١ / ص ٥٢).

(٤) الوايف بالوفيات - (ج ٦ / ص ٤٦٦).

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس - (ج ١٦ / ص ٢٤٠).

(٦) من هنا مقتطف من خواطر كتبها الدكتور عبدالعزيز العجلان صهر الوالد رحمه الله.

أتعب رحمة الله من بعده، ونال بسبب هذا البذل الإمامة في الدين ومحبة المسلمين، وهو لم ينل تلك المنزلة إلا بعد صبر طويل وجهد جهيد، وهذا درس للشباب الذين مازالوا في بداية الطلب، ليشحذوا الهمم، ويستنهضوا العزائم، فإن الأمة تحتاج إلى رجال يبذلون أنفسهم لله، لنشر دينه في أرجاء الدنيا، فبقدر ما تعطي من وقتك وجهدك في التعلم والعمل، تعطي من البركة والقبول والخير والرفعة في الدنيا والآخرة.

والعالم لا يعرف قدره في الغالب، ولا تستشعر منزلته إلا بعد فقده، وقد رأينا ذلك في وفاة الشيخ الوالد رحمة الله، فكثرة المصلين والمعزين من مختلف الطبقات يوضح جلياً قدر العلماء عند العامة والخاصة، بل إن بعض من كان يخالفه رحمة الله جاءوا للتعزية والمواساة، ولقد أبدى كثير من طلاب العلم ندمهم وأسفهم، حيث لم ينهلوا من علم الشيخ رحمة الله في حياته، وهذا يدفعنا للاستفادة ممن بقي من علمائنا، فنأخذ عنهم، ونلازمهم قبل رحيلهم.

لقد مات الشيخ الوالد رحمة الله وانتقل بروحه وجسده عن هذا العالم، ولكن علمه حي لم يمت، فيجب أن نستفيد من علمه الموجود في كتبه وأشرطته، وأبشرك أيها القارئ أننا ساعون في خدمة علم الشيخ، حتى يتم إخراجه ونشره والاستفادة منه، وندعوا طلاب العلم ومحبيه للمساهمة والتعاون في إحياء علم الشيخ وارثه والاستفادة منه، فهذا أقل واجب تقدمه له رحمة الله.

لقد مات الشيخ الوالد رحمة الله وعلى الأمة إذا مات أحد علمائها أن تحسن الظن بربها، فإن فضل الله لا ينقطع، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم كالغيث، لا يدرى أوله خير أم آخره، وسيخرج منها بإذن الله من ينشر الدين وينفع المسلمين، وإن في المشايخ الموجودين في العالم اليوم الخير الكثير بحمد الله تعالى.

وأخيراً، فهذه السيرة جهد بشري، فما كان فيها من كمال ووفاء فهو من فضل الله وحده، وما كان فيها من خطأ وخطل فأستغفر الله منه، وإني لأرجو من القارئ الكريم أن يحسن الظن فيما وجدته من ملحوظات، سواء تتعلق بالأشخاص أو المواقف أو الآراء، وليكن على يقين أني بذلت جهدي في أن تكون هذه السيرة صادقة في رسم صورة مطابقة، لما كان عليه الوالد رحمة الله، ولا أزعم أني أصبت في كل موضع، ومن وجد شيئاً يرى أن لو كان غيره أولى منه، أو يود لو أضيف إلى ما هو موجود، فليفضل عليّ به لألحقه في الطبعة القادمة لهذه السيرة إن شاء الله تعالى، شاكرًا لكل من ساعدني بجهد أو رأي أو دعاء أو حض أو تشجيع أو غيرها، وبخاصة أخوأي الكريمان محمد وسليمان وأخواتي المباركات وأعمامي وأبنائي وبناتي وكثير من الأقارب وطلاب الوالد ومحبيه، وبعد أن أنهيت فصول هذه السيرة العطرة رأيت أن أعرضها على الأريب الأديب الدكتور عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر وهو من تلاميذ الوالد رحمة الله ومن أخصائه فزاناها بتصحيحاته وفوائده، فله مني خالص الشكر وعظيم الامتنان، والوفاء من معدنه لا ينكر.

أسأل الله لي وللجميع التوفيق والسداد، وللوالد الرحمة والغفران وفسيح الجنان ووالدي وجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتبه

**عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين**

الرياض ١٤٣٣/٤/٧ هـ





## تَقَالِيءُ

لمعالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد

إمام المسجد الحرام وخطيبه والمستشار في الديوان الملكي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين  
نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فإنه حين يتحدث المتحدث عن عالم كبير من علماء المسلمين وإمام  
من أئمتهم، فإنه يجد صعوبة بالغة في إيصال ما يختلج في النفس تجاه هذا  
العالم، ويجد أن العبارات أقل بكثير مما يعزم على كتابته.

وإن من العلماء الراسخين الذين رزئت الأمة بفقدهم فضيلة الشيخ  
العلامة عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين رحمته الله، الذي وافاه الأجل ظهر  
يوم الاثنين الموافق ٢٠/٧/١٤٣٠هـ، وشيعته جموع المسلمين ببالغ الحزن  
والأسى في منظر مهيب.

لو يوزن العلم لم تُحْمَلْ جنازته في علمه جبل.. هل يُحْمَلُ الجبل؟

حين يذكر الشيخ ابن جبرين، فيذكر قول النبي ﷺ الذي رواه أحمد  
وغيره «العلماء ورثة الأنبياء»<sup>(١)</sup>، حيث يذكر تذكر الخشية وغزارة العلم،  
ويذكر التواضع والحلم، يذكر رجل شغل همُّ الدعوة إلى الله ونصرة الأمة  
قلبه.

(١) مسند الإمام أحمد الحديث رقم ٢١٧١٥.



صفحات حياته مليئة بأجمل الصور في العلم والتعليم والدعوة إلى الله والصبر، فمنذ بدايات نشأته في بلدة (الرين) عام ١٣٥٩ هـ وهو يطلب العلم، فقد حفظ القرآن الكريم، ودرس على يد والده الشيخ عبدالرحمن ابن جبرين رحمته الله، والشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري المعروف بأبي حبيب، وكان من مشايخه الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد الله بن حميد، والشيخ عبدالعزيز بن باز، وغيرهم رحمهم الله وكان يقرأ في كتب الحديث وشروحها، وفي كتب التوحيد والتفسير والفقه وغيرها، ومنذ نشأته إلى وفاته رحمته الله وهو بين متعلم ومعلم، في حياة لا تكون لغير العلماء.

تجد العجب وأنت تسمع بدروسه اليومية في المساجد، وكيف يقضي جل الوقت في شرح المتون العملية والمختصرات، وقراءة الكتب والمطولات، وإلقاء الدروس والمحاضرات في سائر العلوم من فقه وحديث وتفسير وسيرة وغيرها، فلا يكاد يخلو يوم إلا وللشيخ فيه درس أو محاضرة، ولا تكاد تخلو قرية أو مدينة في هذه البلاد، إلا وللشيخ فيها بصمة وأثر، وإنه ليسافر الأيام الطوال لإلقاء المحاضرات في الدعوة إلى الله والدروس العلمية، حتى في القرى النائية التي يشق الوصول إليها، ونحسب أن ذلك لا يكون إلا لمن بارك الله له في وقته وجهده.

وكان قدوة في التواضع والرفق بالناس، فلا يعنف، ولا يقسو، كما كان مثالاً في اللطف والبشاشة عند اللقاء، وكأنه ممن عناهم القائل:

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

تميز بملكته الفقهية، وحسن استنباطه، وقوة استحضاره للمسائل، فهو يولي دروسه عناية خاصة، لذا كان لها أعظم القدر في نفوس طلابه، كما



تميز بأفقه الواسع، وحرصه على نصره الإسلام وقضايا المسلمين بكل ما يستطيع، وقد عرف الجميع مكانته وعظم شأنه، فهو إمام من الأئمة، ورجل في أمة.

كان ممن درس على والدي رحمة الله وقرأ عليه، وقد كتب عن حياة الوالد وعلمه صفحات، أبرز فيها الحب والوفاء لمشايخه، الذين تلقى العلم على أيديهم، وما أجمل الوفاء حيث يكون من العلماء.

كان رحمة الله نموذجاً للعالم الرباني، الذي جمع بين غزارة العلم، ودماثة الخلق، وحسن المنطق، وطيب المعشر، وإن من رافقه أو لازمه أو درس عنده، ليتحدث بالعجب عن سيرة معطرة بأريج الحياة الطيبة: علماً ودعوةً ومجاهدة وصبراً.

وحين تبحث عن صفات رجل الأمة، فإنك تجدها في الشيخ ابن جبرين رحمة الله، فقد توافرت فيه صفات الرجل الذي نذر نفسه لخدمة دينه وأمته، فهو عالم جهيد، ملاً بدروسه وتعليمه أنحاء البلاد، وهو ذورأي حيث يطلب الرأي، مسدد فيما يقول، له تقديره عند ولاة الأمر وله مكانته. وقد كان في أثناء مرضه رحمة الله محل اهتمام ومتابعة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز رحمة الله الذي زاره في المستشفى التخصصي بالرياض، وأمر بعلاجه داخل البلاد وخارجها، وكان يجد العناية الفائقة والزيارة المستمرة من الجميع: ولاة أمر، ومواطنين.

ومما يبين مكانته عند ولاة الأمر: أن الملك سعود رحمة الله بعثه مع مجموعة من العلماء للدعوة إلى الله في شمال المملكة، وتبصير الناس بأمور دينهم، وقد ألف الشيخ رحمة الله في ذلك كتاباً أسماه (رحلة الشمال).



وكان حريصاً أشد الحرص على وحدة الأمة وتماسكها وترابطها مع قاداتها، وكان يعلم **رحمة الله** أن كلمته مؤثرة وصوته مسموع، فيحث الناس على جمع الكلمة، وتوحيد الصفوف، والالتفاف على ولاة الأمور، ووجوب السمع والطاعة لهم.

ولقد كان يولي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عناية عظيمة واهتماماً كبيراً، فيناصح بلطف، ولا ينكر بعنف، يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادل بالتّي هي أحسن، ولقد أدرك القرييون منه **رحمة الله** مدى حرصه على المناصحة والدفاع عن الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر، ونصرتهم ودعمهم وإعانتهم، وذلك إيماناً منه بأهمية هذه الشعيرة العظيمة وأهميتها في تماسك الأمة ووحدتها واستقرارها.

كان **رحمة الله** صاحب عبادة وتقرب إلى الله سبحانه، فقد كان حريصاً على أن يختم القرآن الكريم كل ثلاث ليال، وكان يحج البيت الحرام كل عام، مشاركاً في مناشط دعوية ودروس علمية في الحج، وكان يعتمر في شهر رمضان، ويبقى في مكة حتى أيام عيد الفطر، وكان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وكانت دروسه العلمية في المسجد كل يوم بعد صلاة الفجر حتى تشرق الشمس، كما كان جواداً في ميدان الصدقات، فلا يكاد يخلو جيبه من مال يتصدق به، ولا يكاد يسأله سائل فيرده، ويكفل العديد من الأسر المحتاجة، ويتعاهدهم بما يسد حاجتهم، ويقوم بتوزيع صدقات الموسرين على المحتاجين، وكان له في صلة الرحم شأن عجيب، فبالرغم من مشاغله وكثرة أعماله وأعبائه إلا أنه كان حريصاً على صلة رحمه، كما كان شديد الوفاء مع معارفه وأقاربه وأصدقائه، كبروا أم صغروا، ويتعاهد الجميع بالزيارة والسؤال.



عاش كفافاً رحمة الله، وكان أثر الزهد واضحاً على ملبسه وهيئته، وما كان من أهل الدنيا، ولا من أربابها وطلابها، وكان غاية في الورع والزهد.

لم يعرف الكبر، وما غيرت مكانته، وحب الناس له من تواضعه وتودده، كان يبادر من يراه فيقابله بحفاوة وطيب نفس، ولا يرضى بتقبيل رأس أويده تواضعاً، بل كان يأبى ذلك ولا يقبل به، وكان رحمة الله معروفاً بنكران الذات والتجرد من حظوظ النفس وأهوائها.

ولم يكن الشيخ رحمة الله بمنأى عن توظيف التقنيات الحديثة في التعليم والدعوة إلى الله، فقد افتتح موقعه الإلكتروني واعتنى به، وشارك في القنوات الفضائية في برامج الإفتاء وغيرها، إيماناً منه بأهمية تلك الوسائل في الوصول إلى أكبر شريحة من الناس، وإدراكاً منه للآثار المباركة والأصدقاء الواسعة المترتبة على توظيف هذه التقنيات بما يخدم الإسلام.

كان مجاهداً بكلمه، وقلمه، داعياً لنصرة الإسلام والمسلمين، والدعاء للمنكوبين والمستضعفين، كان عطوفاً على الفقراء، رحيماً بالضعفاء، كريماً جواداً سخياً، له مائدة إفطار سنوية في بيته وفي الحرم المكي إذا ذهب لمكة، وتستمر مائدة الإفطار حتى لو كان مسافراً، وكان لا يرد أحداً، ويفخر بعطائه كل أحد، ويفتح بيته، ويقضي حوائج الناس في همة لا تتوافر في غير العلماء الراسخين المحترمين.

كان رحمة الله يسعدني بزيارته لي في الحرم المكي في مكثي في باب العمرة، وأشرف بزيارته إذا كنت في الرياض، فأجد فيه غاية التواضع واللطف، والحفاوة وحسن الاستقبال، مع ما يجري من مباحث علمية وسؤالات شرعية، يكون فضيلته رحمة الله هو محورها، والمرجع فيها.





عزأؤنا بعد فقده أن ما خلف من تراث ومآثر لن يغيب بإذن الله، بل سيبقى بعلمه، وستبقى سيرة فضله، وإن كان مسجىً في قبره.

**تغيب في القبر أجساد لها سير في الناس حاضرة يحكى بها المثل**

رحم الله الشيخ ابن جبرين، الذي أفتى جل عمره في العلم، وسعى لنشره وتبليغه، وكان جبلاً في همّه، وبحراً في علمه، رحم الله من شحذ الهمم للدعوة إلى الله سبحانه، والصبر على تبليغ دينه والأذى فيه، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، اللهم أحقه بالصالحين، وأخلفه في عقبه في الغابرين، واجمعنا وإياه في جنات النعيم على سرر متقابلين ووالدينا وجميع المسلمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**د . صالح بن عبد الله بن حميد**



## إضاءات

لقد رسم الشيخ رحمه الله في أذهان محبيه صوراً بديعة  
للعطاء والإخلاص والسماحة والزهد، وغيرها من الصفات  
الحميدة والأخلاق العالية، فأحببنا أن نسطر هنا بعضاً من  
تلك الصور، من خلال ما عبر به بعض محبي الشيخ من  
قادة البلاد ووجهائها، فكانت هذه المشاعر غيضاً من فيض  
قلوبهم المَحَبَّة له.

- عرفت الشيخ عبد الله ابن جبرين رحمه الله منذ مدة طويلة، وعرفت عنه  
وخلال زيارته المتكررة لي، سواء في مكثي أو في منزلي - سلامة صدره،  
وسعة علمه الشرعي، ومحبته للآخرين، وسعيه الدائم لإيصال الخير  
والنفع لقاصده. وبذل جاهه وعلمه لعموم الناس، فرحمه الله ووالدينا  
والمسلمين رحمة واسعة.

سلمان بن عبدالعزيز

ولي المعهد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع

- الشيخ عبد الله بن جبرين معروف في كل الميادين بالخير والصلاح،  
والحرص التام على نفع الناس، نسأل الله له المغفرة والتجاوز، عرفته  
منذ زمن طويل، وعرفت منه التواضع الجَمِّ، والخلق الفاضل، وبذل العلم  
والتقوى والصلاح، والحرص على منفعة الأمة وجمع كلمتها، والسعي فيما  
فيه الخير والصلاح.

عبدالعزیز بن عبد الله آل الشيخ

مفتي عام المملكة

• الأخ الشيخ العالم الفاضل عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين، عرفته منذ قدمت إلى الرياض عام ١٣٧٨ هـ للدراسة، وكان إلى جانب عمله في التدريس والإفتاء يدرس الطلاب في المساجد، ويشتغل بالدعوة إلى الله، يتجول في بلدان المملكة لإلقاء المحاضرات وإقامة الدورات العلمية وزيارة المدارس للإرشاد والتوجيه. وقد ملأ الأشرطة بالمحاضرات والدروس واللقاءات العلمية، وما زال على عمله الخيري النافع الذي تخرج عليه الأفواج من طلبة العلم، كان ملازماً لمنهج السلف الصالح في العلم والعمل والافتداء. إلى أن وافاه الأجل، وفقده المسلمون وبكوا عليه، ولكن بقيت آثاره يجري عليه أجرها إن شاء الله، كما قال النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(١)</sup>. وإنا لندرجوا له حصول هذه الثلاث، وأن يجزيه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

أ.د/ صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

• عرفت الشيخ منذ خمسين سنة تقريبا، وكان يجري بيننا لقاءات علمية ودعوية في بيت شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، وفي مكتبة ابن تيمية الخيرية، وقد شاركته في بعض الرحلات التي كان يخرج فيها للدعوة إلى الله، ولا بد أن أنوم في هذا المقام إلى أبرز خصلة عرفته بها منذ التقيت به، ألا وهي التواضع الجم وحسن الخلق، فضلاً عما عرف به من العلم والفقهِ وبذله نفسه ووقته في التعليم وفي قضاء حوائج الناس، وفي

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة في ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته من كتاب الوصية (رقم ١٦٣١).

الحسبة أمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، واتصالًا بولاية الأمر. أسأل الله أن يرفع درجاته في عليين، وأن يصلح عقبه، وأن يجعلهم وطلابهم امتدادًا لعمله في هذه الحياة.

عبدالرحمن بن ناصر البراك

• علاقتي بفضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين قديمة، وبخاصة حينما كنت مديرًا لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهو أستاذ فيها، عرفت فيه التفرغ للعلم الشرعي، والحرص على تزويد الطلاب بما ينفع. متواضعًا في تعامله، بعيدًا عن مظاهر الدنيا، محبًا للخير وأهله، *رحمة الله*، وأجزل مثوبته، وجمعنا به في دار كرامته.

أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

• لقد نشأت علاقتي بفضيلة الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين حينما تزامننا بالتدريس في معهد إمام الدعوة ولمدة ست سنوات، وقد كان فضيلته دمث الأخلاق، طيب المعشر، حريصًا على تقوية علاقته بزملائه وطلابه، وقد قويت علاقتي به أكثر حينما عهد إلي بالإشراف على رسالته للدكتوراه، فكان مثلاً فريدًا لطالب العلم الجاد الصبور المتواضع المنكر لذاته، وأما جهوده في مجال التعليم والدعوة ونفع الآخرين فأشهر من أن يتحدث عنها، أسأل الله له المغفرة والرضوان، وأن يعوض الأمة في فقدته خيرًا.

أ. د. /عبدالله بن علي الركبان



• إن فضيلة شيخنا الجليل الوالد عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين من خيرة علماء العصر بلا تنازع، عرفناه بصدق النصح وكثرة التواضع، حريصاً على بذل العلم الشرعي وتعليم المسلمين، متفرغاً للدعوة منافحاً عن الدين، عليه آثار التعب، وفي وجهه علامة التهجد، جاد في حياته، متثبت من علمه وأقواله، دؤوب في طلبه وتحصيله، ثلم الإسلام بوفاته، غفر الله له وعوض المسلمين خيراً.

د. سعود بن سلمان بن محمد آل سعود

• لقد كان لفضيلة الشيخ د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمة الله جهود تذكر فتشكر في إحياء رسالة المسجد، من خلال الدروس العلمية والدورات الشرعية، التي يقيمها على مدار العام في جامعنا بحي شبرا بالرياض، والتي استمرت بعد وفاته، رحمة الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

عبدالله بن عبدالعزيز الراجحي

• عرفنا فضيلة الشيخ عبد الله رحمة الله عن قرب، وكانت تربطنا به علاقة مودة ومحبة، وكان يتخولنا في زيارته، ولا يبخل بتقديم نصائحه وتوجيهاته في مجلسنا، وقد توثقت العلاقة به رحمة الله أكثر بعد تكليفنا لسماحته بتحقيق كتاب شرح الزركشي على مختصر الخرقى (سبعة أجزاء)، وقد أنجزه بمدة قياسية، وكان رحمة الله مثالاً للعالم الزاهد المتواضع المتدفق غزير العلم رحمة الله رحمة واسعة.

محمد بن عبدالعزيز الجميح

- حاولت أن أكتب حرفاً عن شيخنا العلامة / عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمة الله فاحترت كيف أعبر عنه بعدة أسطر فقط، فتذكرت قوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤]. وقوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

- فتساءلت: أي إمامة في الخير كان هذا العلم:

- إمامة العلم والدعوة؟

- أم إمامة الأخلاق والتواضع والورع؟

- أم إمامة العفو والصفح والتسامح؟

- أم إمامة الصبر والجلد والمثابرة؟

فوجدته ( ولا أذكره على الله ) قد كان فيها كلها إماماً، وهكذا عرفته وحسبته قرابة ثلاثين عاماً، رحمنا الله وإياه، وجمعنا في جنات النعيم مع الأئمة والمتقين، وخلف على ذريته ومحبيه والمسلمين خيراً.

ناصر بن سليمان العمر

- إذا ذكر الشيخ عبد الله بن جبرين فقد ذكر الإخلاص والصدق لله والتجرد من حظوظ النفس، وذكر الدأب والصبر والمضي في العلم والتعليم والتواصل مع الناس، وذكر الحلم والهدوء والسكينة والتواضع، وذكر الفقه والاطلاع والمعرفة المتجددة، شيخنا كان نسيج وحده إيماناً وعلماً وأخلاقاً نحسبه والله حسيبه، رحمة الله وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

د. سلمان بن فهد العودة



• شيخنا العلامة الشيخ: عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين رحمة الله ممن شرفني الله تعالى بالتلمذ عليه ومجالسته والاستفادة منه من نحو أربعين سنة، رأيت فيه صفات العلامة الرباني سماحة وتواضعاً وسلامة صدر وسعة علم وبذلاً له تدريسياً وافتاءً ومساعدة للمحتاجين، غفر الله له، وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا به في دار كرامته، إنه سميع مجيب.

عبدالعزیز بن إبراهيم القاسم





القِسْمُ الْأَوَّلُ

البيئة الغصبة

- الأسرة العالة
- الوليد المبارك
- من قصص الطفولة
- بيت العطاء



## البيئة الخصبة

في قلب الجزيرة العربية وفي قرية صغيرة من قرى منطقة العرض<sup>(١)</sup>، تنفس الصبح بميلاد طفل جميل، فرح به أهله، واحتفى به أقاربه، لم يكن أحد يقرأ المستقبل، ولا يعلم الغيب، كان الفرح به كالفرح بغيره من الأطفال، تصور أقاربه أن يشب كغيره على الحرث والزرع ورعي الغنم وسقي الغروس، لكن الله شاء لهذا الطفل أن يكون علما، بل جبلا من جبال العلم.

لعل دعاء الوالدين، وهمة الوالد العالم كانت بعد عون الله سببا لأن ينشأ هذا الطفل نشأة صالحة، فتمضي الأيام والليالي وتمر الشهور والسنون، حتى صار هذا الطفل بتوفيق الله إماما من الأئمة، حمل هم الأمة، فاشرأبت له الأعناق، وطبقت سمعته الآفاق، وكان بركة على أسرته ومجتمعه، بل على الأمة الإسلامية عامة.

هذا هو: سماحة الشيخ الوالد الإمام العلامة القدوة عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين رحمته الله تعالى.

الذي سنحاول في هذا القسم أن نكشف عن بعض معالم حياته الشَّخْصِيَّةِ وبيئته الخصبة التي نشأ فيها.

### الأسرة العالمة

نشأ الشيخ الوالد رحمته الله في أسرة علم وفقه ودين، فأبوه وأجداده كانوا من حملة العلم ومراجعته في محيطه الذي عاش فيه، وقد سرد الشيخ رحمته الله

(١) هذا هو الاسم القديم لمحافظة القويبة قبل التقسيم الجديد لمناطق المملكة.

في أكثر من لقاء مسجل تسلسل نسبه<sup>(١)</sup> فقال: "عبدُ الله بنُ عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين بن محمد بن عبد الله بن رشيد. و(آل رشيد) فخذٌ من عطية بن زيد، وبنو زيد قبيلة قضاعية مشهورة بنجد. كان أصلُ موطنهم مدينةً شقراء، ثم نرح الكثير منهم إلى كثير من القرى، ومنها بلدةُ القويمية في قلب نجد، حيث استقر كثير منهم، وتملكوا هناك.

وذكر بعض النسابين أن (جبرين) في الأصل كان جدًا لقبائل أخرى من بني زيد، وهم (الرواجح) و(آل هويلم) و(آل فنتوخ)، وأن محمد بن عبد الله ابن رشيد تزوج بنتًا لجبرين ورزق منها بمولود أسمته أمه: (جبرين) على اسم أبيها، ومنه انتقل الاسمُ إلى آل رشيد فصاروا يُدعون آل جبرين.

وآل جبرين أسرة علم وإمارة، ولهم شرف ومكانة، ومن أبرز وجهائها جبرين بن سليمان الذي تولى أبنائه الإمارة<sup>(٢)</sup>.

و حمد بن جبرين (الجدُّ الرابع للشيخ) له ثلاثة أبناء: (فهد)، وهو الجدُّ الثالث للشيخ، و(ناصر)، وهو شقيق فهد، وأمُّهما ابنة ناصر العريفي الذي هو جد أسرة (العرفا). والابن الثالث: (محمد).

(١) راجع صفحات من حياتي، وقصتي في طلب العلم، وغيرها من المواد المرئية والصوتية المسجلة للشيخ رحمه الله.

(٢) من أشهرهم: سليمان بن عبد الله بن جبرين، وكان من رجال الملك عبدالعزيز، تولى الإمارة في القويمية وبيشة ووادي الدواسر وجيزان، ثم أصبح وكيلًا للحرس الوطني، وتوفي سنة ١٢٨١هـ - ابنه محمد بن سليمان الجبرين: تولى إمارة حوطة بني تميم ثم وادي الدواسر ثم المجمع. توفي رحمه الله في سنة ١٤٠٨هـ

- ابنه حمد بن سليمان الجبرين: تولى إمارة عفيف ثم الدوادمي، ثم عين محافظًا لحضر الباطن، توفي رحمه الله في سنة ١٤٢٦هـ.

وفي الأحياء من هذه الأسرة كثير من الشخصيات البارزة في المجتمع السعودي في مختلف المجالات.

أما الجدُّ الثالث للشيخ (فهد) فإن له ابنين: (إبراهيم بن فهد) وهو جد الشيخ، و(جبرين بن فهد).

وإبراهيم بن فهد وهو الجد الثاني للشيخ. له ابنان: (عبدالله) وهو جد الشيخ و(محمد).

وجد الشيخ الذي سُمي الشيخ عليه عبدالله بن إبراهيم، كان له أربعة أبناء، إبراهيم و عبدالعزيز وقد انقطع نسلهما، ومحمد و عبدالرحمن الذي هو والد الشيخ وما يزال لهما أولاد.

وكل أجداده رحمتهم الله كانوا غالباً من طلبه العلم، ماعدا فهد بن حمد بن جبرين، وفيما يلي معلومات يسيرة عن طلبه العلم من أجداده رحمتهم الله:

#### ١- حمد بن جبرين بن محمد بن عبدالله بن رشيد:

هو الجد الرابع للشيخ، وكان ممن نزح من شقراء إلى القويعية، فلما استقر في القويعية نشأ فيها وتولى القضاء، وقد ورد في كتاب الدرر السنية<sup>(١)</sup>: أنه كان أميراً لفيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود على القويعية<sup>(٢)</sup>، وتولى أيضاً القضاء، فكان أميراً وقاضياً في المنطقة، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري.

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية لابن قاسم ٤٠٢/١٦ المكتبة الشاملة الإلكترونية.

(٢) يشكل على هذا ما ذكره ابن عيسى من أن حمد بن جبرين من علماء النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري، وفيصل بن تركي تولى الحكم في حقبته الأولى عام ١٢٥٠هـ، ولعل ما ذكره ابن عيسى أقرب، لأن إبراهيم بن فهد بن حمد اختاره أهل مزعل إماماً وخطيباً لهم في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وتوفي في عام ١٢٨٧هـ تقريباً، وقد قال الشيخ الوالد رحمتهم الله في لقاءاته مع الشيخ محمد المنجد عن جده حمد: وجد له تواريخ في حدود ألف ومائتين (١٢٠٠هـ)، مما يدل على أنه أدرك الشيخ محمد بن عبد الوهاب.



يقول الشيخ الوالد رحمته الله عنه<sup>(١)</sup>: "وكان ذا منزلة ومكانة في قومه، فهو خطيبهم وأميرهم وقاضيههم، مع ما رزقه الله من السعة في العلم والمال، وقد تملك الآبار عن طريق إحياء الموات، كما تدل على ذلك وثائق الملكية، التي تحمل اسمه وأسماء بنيه من بعده.

وتوجد عندنا له كتب كثيرة ليست من تأليفه ولكنها من ملكه، وكتبَ عددًا من المخطوطات منها تفاسير، ومنها كتب حديث، ومنها كتب فقه. وكان له كتاب وعمّال وتلاميذ ينسخون الكتب الجديدة على نفقته، ولا يزال الكثير منها موجودًا موقوفًا عند بعض أحفاده وبعض الأعمام والأخوال، حيث كتب عليها أنها وقف، وأن النظر فيها للصالح من أولاده، مما يدل على اهتمامه بالعلم. وله جهود في نشر العلم، ولما دخل الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى المؤرخ المعروف رحمته الله إلى القويبية، عثر على بعض آثاره فترجم له، وقد اعتمد ابن بسام على ترجمة ابن عيسى؛ حيث نقل ترجمته في كتابه المطبوع (علماء نجد خلال ثمانية قرون) ورقم الترجمة (١١١)<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر ترجمة الوالد رحمته الله في موقعه الإلكتروني وبرنامج صفحات من حياته.

(٢) قال عنه الشيخ عبد الله البسام رحمته الله في كتابه علماء نجد خلال ثمانية قرون ٧٢/٢: "الشيخ حمد بن جبرين بن محمد بن رشيد بن عطية، من بني زيد أهل شقراء، وهي قبيلة قضاعية قحطانية، علي ما هو مشتهر عند تلك القبيلة وعند الناس، لم أقف على تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته، إلا أنه من علماء النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري. ولد في القويبية ونشأ فيها وتعلم فيها، ثم سافر لأخذ العلم حتى أدرك، وصار هو المرجع في بلدة القويبية وماجاورها من بلدان المرض، فقد صار في البلدة هو عالمها ومفتيها. قال الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى: وقفت على جملة كتب وقف في القويبية، من كتب حمد بن جبرين أمير القويبية وعالمها، وهو الذي وقف الكتب المذكورة، وجملة منها بخط عبد الله بن محمد بن عيسى الحايك المطوع المعروف في القويبية، وله الآن بها عقب، وخطه في غاية الحسن."

## ٢- إبراهيم بن فهد بن حمد:

هو الجد الثاني للشيخ، ولد في القويبية، ولكنه رحل إلى الرياض وإلى غيرها، وطلب العلم هناك، وقرأ ونسخ وحفظ علمًا جمًّا، فتتلمذ على الشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ عبد الله أبا بطين، والشيخ حمد بن معمر، وغيرهم.

وأورث بعده مخطوطات في العقائد والنحو والحديث وغيرها تحمل اسمه، منها ما نسخه بخطه الحسن ومنها ما تملكه، ومن المخطوطات التي نسخها بخط يده مختصر كتاب اللالكائي الذي هو (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)، وهو موجود في مكتبة جدي رحمة الله، واسمه: كاشف الغمة في اعتقاد أهل السنة اختصره عبد الله بن حسين الأدكائي؛ وقد حققه عبد الله بن صالح المشيقح في رسالة ماجستير في جامعة الإمام عام ١٤٠٥هـ؛ بإشراف الشيخ عبد الله بن غديان رحمة الله.

ولما أسست قرية مزعل<sup>(١)</sup> اختاروه إمامًا وخطيبًا لهم، فانتقل عندهم هو وأبوه فهد، وذلك في حدود سنة سبعين ومائتين وألف (١٢٧٠هـ)<sup>(٢)</sup> وتوفي كلاهما هنالك، وقام هناك أيضًا بالإفتاء والتدريس وتعليم القرآن والحديث، وتوفي آخر القرن الثالث عشر الهجري قريبًا من (١٢٨٧هـ)، ولم تذكر له ترجمة في الكتب.<sup>(٣)</sup>

(١) يذكر محمد بن عبد العزيز العريفي رحمة الله، بأن بلدة مزعل قد شُيد قصرها في أوائل القرن الثالث عشر الهجري؛ مستندًا إلى وثائق وحجج ملكيات أرخت بعام ١٢٥٧هـ (مخطوط لم

يطبع عن بلدة مزعل) انظر: <http://www.al-arifi.org/vb/showthread.php?t=768>

(٢) انظر ابن جبرين عالم أمة للشيخ محمد المنجد.

(٣) أورد هذه المعلومات الوالد رحمة الله في برنامج صفحات من حياتي وفي قصتي في طلب العلم، وفي ترجمته في موقعه الإلكتروني.



### ٣- عبدالله بن إبراهيم بن فهد:

وهو جد الوالد المباشر الذي سمي الوالد باسمه، وقد حفظ القرآن وقرأ على أبيه وعلى بعض علماء بلده، وأدرك الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه عبداللطيف بن عبدالرحمن، وحضر مجالسهما، وذكر أن الشيخ عبدالرحمن ابن حسن كان في آخر عمره قد تجاوز الثمانين، وكان يخشى من النسيان، فكان يتعاطى ما يقوي ذاكرته، ومن ذلك أنه كان يمضغ اللبان الشجري؛ لأنهم ذكروا أنه يشحذ الأفهام ويقوي الذاكرة.

وقد تولى إمامة مسجد جامع قرية مزعل بعد أبيه، ونسخ كتباً بيده وأوقفها.

تزوج عبدالله بن إبراهيم من العرافا، وأغلب أولاده أخوالهم من العرافا، وتوفي سنة (١٣٤٣هـ) قبل دخول الملك عبدالعزيز لمكة بقليل<sup>(١)</sup>.

### ٤- والد الشيخ: عبدالرحمن بن عبدالله بن إبراهيم<sup>(٢)</sup>

وُلد عام (١٢٢١هـ)، ونشأ في قرية (مزعل)، حيث يقيم أبوه وأخوته.

تعلم القراءة والكتابة على يد أبيه، وعلى أخيه محمد الذي يكبره بسبع عشرة سنة. لأن والده كان قد طعن في السن. ولم يكن متفرغاً لتعليم ولده الصغير الذي هو عبدالرحمن، فتعلم على يد أخيه محمد، ورزق خطأ حسناً. وقد كان أخوه محمد ذا خط جميل، وتوجد رسائل قصيرة بخطوطهما<sup>(٣)</sup>، ثم

(١) انظر المصادر السابقة، فالمصدر هو كلام الوالد نقلاً عن جدي رحمه الله.

(٢) تحدث الوالد عن والده رحمه الله تعالى كثيراً، فانظر: برنامج صفحات من حياتي، وقصتي في طلب العلم، وترجمة الشيخ في موقعه، وبرنامج عالم أمة.

(٣) قصتي في طلب العلم.

طلب العلم على قضاة البلد: كالشيخ عبدالله بن سليمان السيارى، والشيخ عبدالله بن حمد الدوسرى، وحضر في الرياض بعض دروس الشيخ سعد ابن حمد بن عتيق، والشيخ محمد بن عبداللطيف، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ محمد بن إبراهيم، وغيرهم.

ولما كمل عمره عشرين سنة، رأى أن الحاجة ملمة ليلتمس شيئاً من الرزق، فسافر مع أخيه محمد إلى قطر في عام ١٣٤١هـ لطلب العيش، وكانت في ذلك الوقت مزهرة، وبلاد نجد أصابها جرب وقحط، واشتغلا هناك بالتعليم، إلا أن محمدًا رجع سنة ١٣٤٣هـ، وبقي جدي عبدالرحمن إلى آخر سنة ١٣٤٤هـ.

وفي أثناء وجوده في قطر، علم الكثير من أبناء القبائل المقيمين هناك القرآن والقراءة والكتابة، وبخاصة قبيلة: (آل أبو كوراة)، ولا يزال بعضهم يذكره هناك، وإن كان قد توفي كثير منهم.

ولم يكن هناك إلا أجرة يسيرة، فكلما أنهى طالب قراءة القرآن يمشي على المنازل يطلب منهم مساعدة وتشجيعاً، وكان قد كتب لهم قصيدة رجزية يقول في أولها:

علمنا القرآن واجتباننا

الحمد لله الذي هدانا

وفيها:

كمطلع الشمس على الجبال

فلوحنا يلمع كالهلال



وفي آخرها يقول:

هذا الغلام قد قرأ وقد كتب وقد تعلم الرسائل والخطب

فضع على اللوح دراهم وذهب

فيعطيه بعضهم حفنة من الأرز أو من البر، أو كسرة من التمر، أو فلوسا يسيرة، مما يسمى البياز، وما جمعه جاء به إلى معلمه، فبعضهم يجمع كثيرا إذا كان مشهورا، وبعضهم لا يجمع إلا شيئا يسيرا.

وذكر الوالد أن جدي عنده معرفة بالإملاء والإنشاء، وكان ذا خط جميل، كما كان يقرض الشعر نبطيا وعربيا وإن كان مقلا، فالموجود من شعره يقارب الأربعين صفحة، كتب بعضه وهو في غربته.

وفي أثناء وجوده في قطر بلغه خبر وفاة والده سنة ١٣٤٣هـ، فنظم قصائد متعددة نبطية وعربية فصيحة يرثي بها والده، ويعدد مآثره، (ومنها) قصيدة نبطية مطلعها:

جاني خبر مسجده يبكي وبكاني يقول وين الذي يدعي وهو خايف

وقد حصل من قطر على كتب عديدة، منها كتابان كبيران مطبوعان

في الهند.

أحدهما: سبل السلام، طبعة قديمة، طبعت على ما هي عليه، وتميزت عن الطبعات التي بعدها بعد الأحاديث. إذا جاء يبدأ بحديث يقال: الحديث الأول، الحديث الثاني، الحديث الثالث، والذين طبعوا السبل بعده حذفوا هذا العدد، ولأجل ذلك يأتي كلمات يستغربونها، إذا قال: وهو الحديث العشرون، وهو الحديث الثامن عشر، يستغرب الذين يقرؤون ذلك، وإذا رجعوا إلى أصل هذا الكتاب، النسخ الخطية، أو هذه النسخة المطبوعة القديمة عرفوا هذا الأمر.

الكتاب الثاني كبير، وهو التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ومع هذا الكتاب كتابان: أحدهما اسمه رفع الالتباس عن بعض الناس، يتكلم على قول البخاري: وقال بعض الناس، لأنه يرمز إلى الحنفية، والثاني اسمه: كلام أهل العصر في أحكام ركعتي الفجر، جاء بهذين الكتابين، وحصل أيضاً على بعض الكتب الصغيرة.

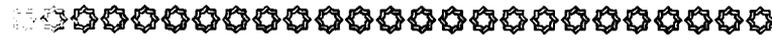
وفي آخر سنة ١٢٤٤هـ رجع من قطر، وتوجه إلى مكة لأداء فريضة الحج، وانتظم جندياً فيما يعرف بالكتيبة<sup>(١)</sup> واختاروه إماماً لهم، وبقي هناك سنتين أي: سنة ١٢٤٥ و ١٢٤٦هـ ثم رجع إلى بلاده.

وكان في أثناء وجوده في مكة حريصاً على أن تأتيه أخبار أسرته وأهله، مع أن المكاتبه في ذلك الوقت كانت عزيزة والوفود قليلين، إلا أنه يفرح إذا جاءه من يخبره عنهم، ولما جاءته بعض الوفود ولم يأت معهم خطاب من أهله، أنشأ قصيدة عربية. لا تخلو من خلل لكونه كان شاباً. ذكر فيها أخاه محمداً، وأثنى عليه يقول فيها:

أراني كلما قدمت ركاباً	أطالعُ هل أتى معهم خطابُ
وأنظر هل أتاني من محبي	رسائلُ ضمنها حسنُ الخطابِ
محمدُ المحبُّ فدته نفسي	ومالي و الأحبة والصحابُ
فتى شهيمٌ أديبٌ لودعي	خصيمٌ حينما حضر الخطابُ

قال الشيخ الوالد رحمته الله: " في ذلك الوقت كان الوالد متفرغاً، فكتب رسالة موجودة بخطه عندنا الآن، فيها مقالات متنوعة، وقد حاولت أن أرتبها

(١) هذا مصطلح عند العامة في ذلك الوقت للجنود الذين سجلوا في مكة بعد دخول الملك عبدالعزيز لها، حينما كان الملك فيصل أميراً للحجاز.



على مواضيع بقي منها بعضها، وكذلك نظم قصائد منها ما هو عربي، ومنها ما هو عامي نبطي، وأول قصيدة له عربية بعد المقدمة يقول فيها:

بحمد إلهي والثنا سوف ابتدي      ومن يبتدئ بالحمد والشكر يسعد

وفي مكة أيضاً تزود من العلم، حيث قرأ على كثير من مشايخ مكة، واشترى كثيراً من الكتب، التي لاتزال مع الكثير من أوراقه وكتبه موجودة في مكتبته عند أخينا ناصر" أ.هـ.

ولما بلغ السابعة والعشرين تزوج، وكان ذلك في عام ١٣٤٧هـ وهي التي تسمى: سنة السبلة، وبعد أن تزوج علقت زوجته بحمل وكان ذلك عام ١٣٤٨هـ، ثم حج بها أخوها في هذا العام، ولكن قَدَّر لهذا الحمل أن يسقط، ثم علقت بعد ذلك بحمل هو أول مولود لهما، وهو الوالد رحمه الله.

وفي سنة ١٣٥٠هـ قرر جدي الشيخ الانتقال من مزعل إلى الرين، فتوجه إليها راجلاً مع بعض الرفقة، وكانت المسافة مسيرة يومين.

وحينما وصل إلى الرين، اتصل بالشيخ عبدالعزيز أبو حبيب رحمه الله، وذكر له أنه ليس عنده عمل، وأنه يرغب أن ينتقل هاهنا لتعليم الأولاد، فسر بذلك الشيخ أبو حبيب رحمه الله، وشجعه على الانتقال، ووعدته خيراً، وهياً له منزلاً متواضعاً من البيوت الطينية.

ولما انتقل الجد إلى الرين، وجد منازل خالية عمرها بعض البادية ثم تركوها، فاختر أحدها، وكان إلى جانبه بئر عميقة من الآبار القديمة وقد جعلوه وقفاً، فاستقر في هذا البيت، ثم انتقل بأهله في سنة خمسين وثلاثمائة، وقد طلب الشيخ أبو حبيب من الحكومة أن يجروا له شيئاً، فوافقوا على خمسين

صاعاً من البر، ومائة وزنة من التمر، ورأى الشيخ أبو حبيب أنها قليلة فتبرع *رحمة الله* له بجزء مما يسمى بالبروة، وهي ما يصرف للقضاة ونحوهم، ويكون غالباً مما يجمع من الزكاة لقلّة الموارد آنذاك، خمسين صاعاً من البر، ومائة وزنة من التمر، فكانت هذه تخفف النفقة.

ولما انتقل الجد إلى الرين تتلمذ على القاضي الشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري المعروف بأبو حبيب *رحمة الله*، فقرأ عليه شيئاً كثيراً، ولكنه لم يستطع الاستمرار لضعف بصره.

يقول الوالد عن والده *رحمة الله* <sup>(١)</sup>: والدي *رحمة الله* أصيب في شبابه برصاصة من السلاح، الذي يقال له المقمع، أذهبت عينه اليمنى، وجرحت شفته السفلى، وأذهبت أكثر الجانب الأيمن من أسنانه، وشلت يده اليمنى، لكنه عولج، إلا أن أصابع يده انضم بعضها إلى بعض، ولم يعد يكتب بها، فتعلم الكتابة باليد اليسرى، وعينه اليسرى دخل فيها ما يسمى بالرشم، لكنها سلمت فكان يقرأ بها، ثم بعد ذلك أخذ يضعف بصره، فلما رأى ذلك قال: أريد أن تبدأ تقرأ عليّ، فكنّت أقرأ عليه من سنة إحدى وستين، وكان عنده كتب أثرية مخطوطات ومطبوعات، ولما كان في سنة ثمان وستين ابتدأت أقرأ على الشيخ أبو حبيب، فترك الوالد القراءة على الشيخ لما يلاقيه من المشقة بسبب ضعف نظره. ولم يزل نظره ضعيفاً. إلا أنه في سنة خمس وسبعين ذهب وعالج عند طبيب للعيون، ولما عالج اجتذب من عينه شيئاً من الماء الأبيض، وعمل له نظارتين، نظارة للنظر البعيد ونظارة للقراءة، فرجع إليه بإذن الله بصره، واستطاع أن يواصل القراءة.

(١) صفحات من حياتي الحلقة الثانية



وفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف ١٢٥٢ هـ ابتداء يعلم الأولاد القرآن والقراءة والكتابة، وتعلم على يده كثير من الأولاد، وكان منهم الشيخ ناصر بن عبدالعزيز أبو حبيب؛ فإنه تعلم القرآن وحفظه على يديه وتعلم الكتابة. ولذا كان يحبه ويقدره، ويحترم أبناءه أيضاً لأجله. واستمر يعلم القرآن. كما كلفه الشيخ بالإمامة والخطابة، فكان هو الذي يخطب ويصلي بهم كل الصلوات إلا التراويح، حيث كان يصلي بهم الشيخ أبو حبيب.

وفي ذلك الوقت لم يكن في البلدة سوى جامع واحد، أما المساجد التي تقام فيها الصلوات الخمس فكانت متعددة. وكان الناس يأتون لصلاة الجمعة وصلاة العيد من مسافات بعيدة تقارب الخمسة كيلو مترات.

يقول الوالد رحمه الله: الوالد رحمه الله هو الخطيب إذا كان موجوداً، وكان عنده خطب من خطب أجدادنا، فجد الوالد وأبوه وجد أبيه كانوا من حملة العلم وطلبته، فأثروا ثروة علمية، فكان الوالد ينتقي من خطبهم ومن كلماتهم خطباً لها تأثير قوي، فمن يستمع إليها يستفيد منها فوائد كثيرة.

وكان إذا غاب يتولى الشيخ أبو حبيب الخطابة إلى سنة ثمان وستين وبعدها بدأ الشيخ يكلفني بالخطابة إذا غاب الوالد<sup>(١)</sup> أ.هـ.

وقد ذكرت أن جدي كان شاعراً، وله قصائد نبطية وعربية. يقول العم محمد: تركنا الوالد في عام تسعة وسبعين وثلاثمائة وألف في الرين وجلس وحده، فتحركت أشجانه، وقال قصيدة دعا فيها لابنه الشيخ عبد الله وإبراهيم رحمه الله جميعاً ولبقية أبنائه، يقول في هذه القصيدة:

(١) تجربتي في طلب العلم.

إلى الله أشكو بعدكم وارتحالكم  
 وأسأله توفيقكم وصلاحكم  
 فإن فؤادي بعدكم ذو كآبة  
 إذا جنّ ليل واستنارت نجومه  
 وأذكر أولادي وأشكو بعادهم  
 فيا رب عبد الله وفقه للهدى  
 وسدد به في كل أمر يريده  
 ويسر له رزقاً حلالاً مباركاً  
 ومن كان منهم نائياً عن بلادنا  
 إلى آخر القصيدة.

ولما تعين الشيخ عبدالعزيز المزيني قاضياً في الرين تعين الجد معه كاتباً في المحكمة، ثم انتقل المزيني وجاء الشيخ محمد البليهي، وبعد ثلاث سنوات انتقل البليهي، وجاء بعده القاضي عبدالعزيز بن ناجي آل مبارك، ثم القاضي عبدالعزيز اللهمي، واستمر كاتباً معهم جميعاً، وبعد اللهمي انتقل الجد إلى الرياض في حدود سنة ١٣٩٢هـ وجاء بأولاده معه، وعمل كاتباً في المحكمة الكبرى في الرياض، ولم يزل على هذا العمل حتى توفى رحمه الله في رمضان عام ١٣٩٧هـ، وهو آخر من مات من إخوته، وله نصائح ومواعظ وقصائد عربية ونبطية في الرثاء وكثير من المواضيع المناسبة.

### الوليد المبارك

وُلد الشيخ الوالد عبدالله بن جبرين رحمه الله في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، ولما كان والده مهارة طالب علم فقد كان معتنيا بتقيد تاريخ



الولادة، يقول الوالد رحمة الله <sup>(١)</sup>: "كتب الوالد الولادة في سابع جمادى الثاني من عام تسع وأربعين وثلاثمائة وألف، وسماني عبد الله باسم أبيه".

كانت ولادته في قرية تسمى: (محيرقه) <sup>(٢)</sup>، تابعة لمحافظة (القوية) <sup>(٣)</sup> وقد تربى السنة الأولى مع والدته في هذه القرية <sup>(٤)</sup>.

ووالدة الوالد اسمها: نورة بنت عبد الرحمن بن محمد، وأخواله يقال لهم (آل مسهر)، لأن جده لأمه يلقب بمسهر، واسمه عبد الرحمن بن محمد ابن سليمان بن عبد الله بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن رشيد، فعثمان أخو جبرين.

ولجده لأمه ولدان وبنت: محمد وسليمان، وهما خالا الوالد، ونورة التي هي والدته رحمة الله جميعاً.

(١) صفحات من حياتي الحلقة الأولى.

(٢) قرية (محيرقه) تبعد عن القوية مسافة (٢٦) كيلومتراً تقريباً، وهي قرية زراعية، ولعلها كانت تسمى قديماً بذي طلوح، قال الهمداني في صفة جزيرة العرب ٧٥/١ من الشاملة "وذو طلوح أعلاه حصن بني عاصم صاحب النعمان بن المنذر والقويح في ثنية وجزالا والثريا والجوزاء في واد عن يمين ذي طلوح فيه نخيل وقرى".

يقول الشيخ سعد الجنيدل في كتابه عالية نجد: "من دراسة واقع هذه البلاد وتطبيق العبارات عليها يبدو لي أن ذا طلوح هو القرية التي تعرف في هذا العهد باسم محيرقة".

وقال الشيخ الوالد رحمة الله في لقاءاته مع الشيخ محمد المنجد في برنامج عالم أمة: وقد أسسها جماعة من أسرة آل جبرين في آخر القرن الثالث عشر الهجري، في حدود سنة سبعين ومائتين وألف (١٢٧٠هـ)؛ حيث جاؤوا إلى ذلك المكان وأسسوا فيه هذه القرية، وجعلوا فيها نخيلاً وأشجاراً؛ لأنها في مجرى واد، ولا يزال بعض ذلك النخيل باقياً، ولا تزال تحمل الاسم إلى هذا الوقت.

(٣) القوية إحدى محافظات منطقة الرياض، وتبعد عن الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية مسافة (١٦٠) كيلو متراً، على الطريق المؤدي إلى مكة، والمعروف بطريق الطائف، وكانت تسمى من قبل "منطقة العرض" بكسر العين، وهو عرض شمام المذكور في كتب البلدان كمعجم البلدان لياقوت الحموي ٤/١٠٣.

(٤) برنامج ابن جبرين..عالم أمة.

تحدث الوالد عن والدته *مهالفة*، فقال<sup>(١)</sup>: الوالدة *مهالفة* أصيبت بشلل نصفي من سنة خمس وستين (١٣٦٥هـ)، كانت ولدت آخر أولادها وسمي باسم خاله سليمان، أصيبت بعده بهذا المرض الذي يسمى الفالج، ولم نجد بدا من علاجها بكل ما نستطيع ورقيتها، وبقيت هكذا إلا أنها في ذلك الوقت كانت نشيطة، ففي سنة ست وستين ١٣٦٦هـ كنت معها في محيرقة عند أخوالي، وأقوم بما أستطيع من خدمتها، فكانت تترضى عني، وتقول: الله يرضى عنك كما أرضيتني أو كما رضيت عنك، وحجت بعد ذلك مع أهل تلك البلاد في سنة ست وسبعين، وفي تلك السنة حججنا نحن مع رفقة آخرين ونزلنا بجوارهم، وكان معها نشاط، فطفت وسعيت بها على قدميها ماشية، ولم تمل ولم تتعب، وبعد سنة ثمانين بدأها الضعف، حججت بها مرتين أو ثلاثا فكانت تتعب، ونحتاج إلى أن نحملها على سرير لكي يطوفوا بها، وعلى عربية وقت السعي، ولم تزل كذلك حتى وافاها الأجل في سنة اثنتين وتسعين من القرن الماضي، ولم أنس حقها أن نعتمر لها أنا وإخوتي وأخواتي".

وحين توفيت *مهالفة* كان ابنها الأصغر عبدالعزیز غائبا فماتت قبل أن يراها وكان شاعرا، فقال فيها قصيدة نبطية طويلة منها:

ونيت انا مماشطني واقول آه	وأجرها بتلتال صيت حزيني
ونت قطين يوم وردوا على ماه	نشت ابياره وارجعوا معطشيني
من عقب فرقا الوالدة خاطري تاه	دايم شريد البال في الجالسيني
جانني خبرها بغتة قلت ويلاه	فيها الندم له صفقة باليديني
يادار فاتك مشعل النور بضياه	من هي تهجد والعرب نايمياني
دايم هي بمحرابها ما تعدها	ما همها إلا دعوة للمعيني

(١) برنامج صفحات من حياتي من قناة المجد الحلقة الخامسة.



صوامة قوامة تطلب رضاه      ومسبحه ومهلله كل حيني  
 والمصحف اللي دايم الدوم تقراه      ما صدها عن هجوته زايديني  
 كل القدر بامر المقدر رضيناه      والحمد للرحمن في الحالتيني  
 يا جعل نورة بنت مسهر منجاه      من حر نار منزل الخاسريني  
 يا جعلها في حسن حال مرقاه      في جنة الفردوس في المنعميني  
 وصلاة ربي عد نبت بمرعاه      على الشفيح المرتضي يوم ديني

وقد تزوج جدي رحمة الله من زوجة أخرى غير جدتي، وهي نورة بنت محمد العريفي رحمة الله، ولهذا فلوالد إخوة أشقاء وإخوة من الأب، كما أن له أخوات من الأم.

أما إخوته فهم:

- ١- إبراهيم توفي رحمة الله في ٨/٤/١٤٢٦هـ.
- ٢- محمد، وهو متقاعد وكان مفتشاً في إمارة منطقة الرياض.
- ٣- عبدالعزيز توفي رحمة الله في ٥/٤/١٣٩٥هـ.
- ٤- اللواء الدكتور سعد، وهو متقاعد، وكان يعمل في قوات الأمن الخاصة.
- ٥- المهندس سعود، وكان يعمل في هيئة المواصفات والمقاييس السعودية ثم الخليجية وهو الآن متفرغ للأعمال الاستشارية.
- ٦- ناصر، وهو متخرج في كلية الشريعة، ويعمل باحثاً علمياً في وزارة الشؤون الإسلامية.
- ٧- زين، وهو متقاعد تقاعداً مبكراً، وكان يعمل في الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي.
- ٨- صقر، وهو يعمل في الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي.

## وأما أخواته فهن:

- ١- هيا.
  - ٢- دليل، وقد توفيت رحمها الله.
  - ٣- منيرة.
  - ٤- هيلة. وتعمل معلمة في وزارة التربية والتعليم.
- وقد نشأ الوالد رحمته الله وشب وترعرع بين قرية الرين<sup>(١)</sup> وقرية أخواله محيرقه؛ وكان أغلب وقته في الرين، حيث يعمل جدي، لكنه كان ينتقل في موسم الصيف من كل عام مع والدته إلى محيرقه حين يطيب التمر، ويمكث هناك قريبا من شهرين، ثم يعود إلى الرين<sup>(٢)</sup>.
- يقول الشيخ الوالد رحمته الله عن ذلك<sup>(٣)</sup>: في كل سنة إذا طاب الرطب يأتي خالنا محمد، فيرحل بنا من الرين إلى محيرقة، ومن ورعه رحمته الله أنه يعطي الوالدة جزءا من نصيبها، لأن النخل لا يزال مشتركا بينه وبينها وبين الخال الثاني سليمان، فيعطينا من التمر كسهم لنا إذا رجعنا يزودنا بكيسين أو ثلاثة من التمر، واستمر على هذه الحال كل سنة نذهب إلى محيرقة، ونقيم فيها شهرا أو شهرا ونصفا، ثم بعد ذلك يأتينا الوالد ونرجع إلى الرين أ.هـ.

\*\*\*\*\*

(١) هي قرية تبعد نحو ستين كيلو مترا عن القويمية، ويسكنها قبائل متعددة، أغلبهم من قبائل قحطان؛ حيث استوطنوها في حدود سنة ١٣٢٥ هـ. حينما شجع الملك عبدالعزيز رحمته الله البوادي على الاستيطان.

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الأولى

(٣) المصدر السابق

## من قصص الطفولة

لقد تحدث الوالد رحمة الله عن طفولته كثيراً، ونقل الكثير من الأخبار والمواقف اللطيفة والجميلة، التي تتحدث عن طفولته وشبابه، وسنذكر بعض القصص التي تحكي طفولته، وتصور الحياة البسيطة التي كان يعيش فيها المجتمع آنذاك.

### نعalan من جلد

بسبب الأحوال المتوسطة لم يكن عند الوالد رحمة الله في صغره نعال يلبسها، وهذا كان حال كثير من أترابه في تلك القرية البعيدة، فكان -عندما يريد الذهاب للمسجد - يحمل معه قطعة صغيرة من الجلد يسمونها ( جاعد ) ، فيركض في الرمضاء حافي القدمين، فإذا أحس بشدة حرارة الأرض ولم يستطع السير وضع قطعة الجلد ووقف عليها حتى تبرد قدماه، فإذا بردت عاد يركض بسرعة على الرمضاء، فإذا اشتدت حرارة قدميه عاد ووضع قطعة الجلد ووقف عليها، وهكذا حتى يصل إلى المسجد، فإذا وصل المسجد وضع قطعة الجلد في جيبه، ثم صلى مع الناس، فإذا عاد إلى البيت فعل كما فعل في الأول، فكانت هذه نعاله ونعال أترابه.

### في الدكان <sup>(١)</sup>

يقول رحمة الله: كانت حالة المجتمع في ذلك الوقت متوسطة، لسنا في فقر مدقع، ولا غنى يطغي، ولما انتقل الوالد في سنة خمسين إلى الرين انتقلت معه الوالدة، وأنا معهم رضيع، ومن المعلوم أن صاحب البيت تعثره نفقة.

(١) قصتي في طلب العلم، وأجوبة لأسئلة خاصة، لدى علي أبو لوز.

فكانت النفقة التي تعطى له لا تكفيه لنفقته على منزله: فأراد رَحِمَهُ اللهُ أن يتعاطى شيئاً من التجارة، وقد كان والده وأجداده ليس لهم أملاك تدر عليهم، غالب اكتسابهم أنهم يبيعون على البوادي شيئاً من السلع، ثم بعد خمسة أشهر يطوفون على البوادي، ويجمعون منهم قيمة ما اشتروه من دهن أو أقط أو شيء من الأغنام، ويتمتعون بذلك، ويعيشون منه، وينفقون على أولادهم، فكانت هذه مكاسبهم.

أما الوالد فقد جعل له دكاناً فيه أشياء يسيرة: كالقهوة والأكسية. وكان إذا غاب مثلاً إلى القويعية أو إلى الرياض، جلست مكانه لأتولى ذلك، وليس هناك سوق يكثر فيه الباعة والزبائن، وإنما ذلك شيء يسير يقضون به أوقاتهم، وكنت أساعده في الكتابة والمحاسبة.

يساعد أسرته<sup>(١)</sup>

يقول رَحِمَهُ اللهُ: كنا نسعى في التكسب بما تيسر، وما نحتاجه في المنزل من الاحتطاب والاحتشاش، ونحو ذلك مما يعمله أهل ذلك الزمان.

وفي زمن الصيف غالباً نكون عند أخواننا في محيرقه، وهم أهل حرث فنساعدهم في السقي على النواضح وتصريف الماء في النخل، وكذا في جناية الخضار وصرام النخيل، ثم تصفيته ونحو ذلك: فإن أهل ذلك الزمان كانوا يعتمدون على الله ثم على عمل اليد: لقول النبي ﷺ: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسب يده»،<sup>(٢)</sup>.

(١) أجوبة لأسئلة خاصة، لدى علي أبو لوز.

(٢) رواه ابن ماجه في باب الحث على المكاسب من كتاب التجارات برقم ٢١٢٨ عن المقداد بن معد كرب، وأصله في البخاري في باب كسب الرجل وعمله بيده من كتاب البيوع برقم ٢٠٧٢.

يرعى الغنم<sup>(١)</sup>،

رعى الوالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الغنم وهو صغير، فكان يذهب هو وأخوه إبراهيم مع الرعاة، يقول عن ذلك: "عادة أهل القرى أن يكون في بيت أحدهم خمس أو عشر من الغنم وبقرة واحدة، واللبن الذي يأخذونه منها يكون للشرب فقط، ولسقي الضيوف الذين ينزلون بهم أو يطرقونهم.

والأصل أنهم كانوا يستأجرون من يرعى هذه الأغنام؛ سواء كانوا رجالاً أو نساءً؛ حيث إن الراعي يُجمع له مائة أو مائة وعشرون من غنم أهل البلد، ويذهب يرعاها في زمن الربيع، وتسمى المجموعة، فإذا قرب الليل جاء أهل تلك المواشي، وكلُّ عزل ما يخصه، يعرفونها بالأوسمة أو بالعلامات الأخرى، أو أن الأغنام نفسها تألف مبيتها الذي تبيت فيه. أو تأتي لأجل أولادها.

فإذا جاء الصيف وجف ضرعها أرسلوها مع البوادي الذين يكونون في البراري، ثم إذا نزل المطر وكثر العشب في زمن الربيع استجلبوها لأجل أن ترعى مع الرعاة ويؤخذ لبنها.

وكان الوالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يملك بعض الأغنام ذات الدرّ، تكفي وقت الربيع لحلابها ولشرب لبنها، وإذا جاء وقت الصيف أخرجها مع البوادي يرعونها بأجرة، فإذا جاء وقت الربيع استجلبها، ثم يرسلها مع الرعاة الذين يرعون لأهل البلد.

وكنا أحياناً نضطر أن نخرج أنا وأخي إبراهيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع تلك البهائم لنرعاها مع الراعي، وخاصة إذا لم يكن عندنا شغل، فإذا قرب الليل رجعنا، ونتذكر في ذلك قول النبي ﷺ: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم»،<sup>(٢)</sup>.

(١) صفحات من حياتي الحلقة الثالثة.

(٢) هو في البخاري باب رعي الغنم على قرابط من كتاب الإجارة برقم/٢٢٦٢

وأحياناً نفقد شاة أو أكثر فنذهب نطلبها، فربما نجدها سالمة، وربما يكون قد اعتدى عليها السبع؛ حيث إن الذئب كانت في ذلك الوقت تتسلط على الأغنام وتفترسها، إذا كان الراعي غافلاً.

والراعي - كما قلنا - قد يكون رجلاً وقد يكون امرأة، ولا يزال أحد الرعاة موجوداً إلى الآن يقال له: ابن سرحان، وآخر يقال له: الطويل، وآخر شيخ كبير يقال له: ابن مروان وغيرهم، وقد مات كثير منهم<sup>(١)</sup>.

وكان عندنا في الرين مستنقع ماء، إذا جاء السيل يمتلئ ويبقى ستة أشهر، والأغنام تَرُدُّه وتشرب منه، وكذلك الرعاة يأتون إليه، ويستقون ويرتوون منه. وهو ماء عذب من ماء المطر، وأحياناً يغسلون فيه الأغنام فيدخلون الشاة من الضأن أو من المعز في داخله، ويغسلون جلدها وما عليها من الوسخ، وبإذن الله تسمن، ويكون لها جرم نظيف، ويزول ما بها من الوسخ، لأجل ذلك نسرح معها لنقوم بغسلها.

وكذلك كان أهل البلد يملكون شيئاً من البقر، وغالباً يكون عندنا بقرة ومعها ولدها، فتحلبها ونصنع من هذا الحليب الزبد واللبن، ومعلوم أن البقرة غالباً لا تحتاج إلى راع؛ حيث تذهب مع جمع من البقر وترعى طول النهار في الأودية والشعاب، وإذا جاء الليل جاءت إلى مألها، وبخاصة إذا كان لها أولاد، فهي تحن كثيراً إلى أولادها، وأحياناً قد تتأخر فيذهب أحدنا لطلبها، ويتبع أثرها إلى أن يجدها، وإذا كانت ليست من الكبار فإنها لا تمتنع من السبع فيفترسها".

(١) كان هذا بين عامي ١٣٦٠هـ - ١٣٧٠م.



وللشيخ الوالد مع الرعي قصة طريفة، رواها رحمته الله فقال <sup>(١)</sup>: " في سنة ثمان وستين وثلاثمائة وألف ١٣٦٨ هـ نزل مطر غزير قريباً من البلدة التي تسمى السيح، والتي ويوجد لها مفرق قرب القويعية مكتوب عليه الخروعية والسيح. فنتبت هناك ربيع جيد بإذن الله ثم بسبب سحابة جاءت هناك، وذلك الزمان كانوا يسمونه زمان الملك سعود رحمته الله لما كان ولياً للعهد؛ حيث جاء مرة إلى هذا المكان ومعه عدد كثير من السيارات في حدود عشرين أو ثلاثين سيارة، ومعه أيضاً عدد كبير من الرفقاء، فخيّموا في ذلك المكان الذي فيه الربيع ويسمى هدباء؛ فلما أصبح توافد إليه كثير من أهل تلك المنطقة.

وكان رحمته الله سخيّاً يجود بالمال، فأعطاهم ما يسمى: شرهات، يعني: جوائز لأجل وفودهم، وبسبب قلة ذات اليد وحاجة الناس وضعفهم جاؤوا إلى ذلك المكان، وأخذوا بقايا الطعام من اللحوم والأرز، ثم قاموا بتجفيفها لأكلها فيما بعد.

وقد نزع بعض أهل المواشي إلى ذلك المكان الذي هو هدباء لأن فيه أعشاباً كثيرة وهو بعيد عن البلد الذي هو الرين.

وقدّر أنه كان عندنا ثور صغير، وعند بعض جيراننا بقرات صغيرة، وأردنا أن نرسلها إلى أحد الأخوان وهو من آل هويمل وقد توفّي رحمته الله، وكان يسكن في ذلك المكان الذي هو هدباء، لكي ترعى من ذلك الربيع الجيد، فلما ذهبنا قدّر أن رفقتي الذين معي أمسكوا ثيرانهم أو عجولهم وساروا، أما أنا فقد هرب مني الثور الذي معي، فطارده معي ولم يستطيعوا أن يمسكوا به. فذهبوا وتركوني.

(١) المصدر السابق.

ثم احتلتُ بعد ذلك وجمعت شيئاً من الأعشاب، وقربتها من ذلك الثور إلى أن أحس بهذه الأعشاب، فاقترب وجعل يأكل منها، ولما تمكنت منه أمسكته، ولكنه تفلت مرة ثانية، ثم جمعت بعد ذلك أعشاباً أخرى، وبعد نحو من ساعتين - أي قرب الليل - أمسكته وجعلت الحبل في رقبتة، وبعد ذلك سرت على أثر رفقتي الذين ذهبوا إلى ذلك الربيع، ولكن غربت الشمس عليّ قبل أن أصل، وأنا لا أعرف الطريق، ولا أرى الأثر في الليل، فلم أجد بداً من أن ربطت ذلك الثور في شجرة ونمت وحدي حتى أصبحت، وليس معي طعام أو شراب فنمت جائعاً.

ولما أصبحت قبضت الثور بالحبل الذي في رقبتة والذي يسمى البطان؛ لأنه ينسج من الشعر، ثم سرت على الأثر إلى أن أدركت ابن هوميل رحمة الله في هدباء، يعني: سرت قريباً من اليومين؛ أما رفقتي فقد سرحوا في اليوم الأول من البلد، وساروا بسرعة ورجعوا.

ولما وصلت إلى ابن هوميل رحمة الله، أضافني بشيء من الخبز الذي يشوى في الجمر ويسمى القرص، وبشيء من التمر، وأكلت معه حتى شبعت.

وبعد ذلك نزل علينا مطر، وليس عنده كَنٌّ، وإنما هو تحت الشجر، فرأيت أنه لا فائدة في البقاء فرجعت إلى البلد، وسرت على أثر السيارات التي كان يرسلها الملك عبدالعزيز رحمة الله كل سنة من الرياض محملة بأنواع من الأرز مع النقود كصدقات على أهل القرى النائية، وذلك بعدما كثرت الفتوحات على الملك، وبعدهما عُثر على النفط وصار له دخل، وصار كل سنة يُخرج في رمضان سيارات مليئة بالأرزاق وغالباً تكون من الأرز، فكان لها طريق ظاهر تسير معه، فسرت في الضحى ووصلت إلى أهلي بعد العصر.



الصيد<sup>(١)</sup>،

من الأشياء التي مارسها الشيخ الوالد رحمة الله مع أهل ذلك الزمان الصيد، تحدّث عن ذلك فقال: من الأشياء التي كنّا نذهب لها: الصيد، الذي يكون غالباً لصيد الضب؛ حيث إنه كان متواجداً بكثرة، فيذهب الرعاة وغيرهم ومعهم المساحي والمحافر، فإذا وجدوا جحر ضب حفره إلى أن يصلوا إليه، ومعلوم أن الضب يعمق جحره، بحيث يكون ملتويّاً؛ ولذلك ضرب به النبي ﷺ المثل؛ كما في قوله ﷺ: «حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»،<sup>(٢)</sup> وذلك لكثرة اعوجاجه، وهي حيلة ألهمه الله بها حتى يختبئ عن أعدائه، ثم إنه يتحرى المكان الصلب الشديد الذي لا يقدر على حفره إلا الأقوياء.

ومن الطرق التي كانت تستخدم في صيد الضب: أنه إذا جاءت أيام السيول، فإنهم يذهبون إلى البراري التي يوجد فيها، ثم يصبون الماء في جحره من السيل، يفجرونه فيه إلى أن يخرج دون حفر، وهذا العمل يسمونه: الغر، أي: نغره حتى يخرج.

فالحاصل: أننا نذهب ونصطاد ما تيسر؛ فأحياناً نذهب في الشهر مرة، وأحياناً مرتين أو نحو ذلك.

ويعد الضب في ذلك الزمان فاكهة بسبب قلة اللحوم، فما كانت توجد اللحوم بكثرة، والغالب أنهم لا يجدون اللحم إلا مرة واحدة في السنة في أيام

(١) المصدر السابق.

(٢) هو بهذا اللفظ في مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة برقم ١٠٦٤١ ورواه البخاري عن أبي سعيد بلفظ "حتى لو سلخوا جحر ضب لسلكتموه" في باب ما ذكر عن بني إسرائيل من كتاب أحاديث الأنبياء برقم ٢٤٥٦. ومسلم في باب اتباع سنن اليهود والنصارى من كتاب العلم (رقم ٢٦٦٩).

الأضاحي ويفرحون بذلك، وأحياناً إذا جاءت الولايم التي بسبب ضيف يطرق أحدهم، فإن من يجلسون على الصحنون في الأول ينتهبون اللحم، ولا يبقى للآخرين شيء.

أذكر مرة أنا كُنَّا في محيرقه وكان الضيف من أهل الرياض، وأحد الأهالي هناك ذبح له ذبيحة واحدة من الغنم، فلما أكل الضيف ومن معه وجاء من بعدهم فما وجدوا إلا العظام، فأخذوا يتمرقون تلك العظام<sup>(١)</sup>، فكل واحد منهم أخذ عظماً صغيراً يتعرفه.

وكانوا إذا قُدِّمت الذبيحة يبدؤون بالشحم الذي هو شحم الإلية وما حولها فيأكلونه بسرعة؛ لأنهم نادراً ما يجدون ذلك.

ومن الحشرات التي كُنَّا نصطادها في ذلك الزمن الجراد؛ حيث كُنَّا ننتظر موسمه ونصطاده بكميات ثم يطبخ ويؤكل.

### الوالد وشرب القهوة<sup>(٢)</sup> :

معروف عن الوالد رحمه الله أنه لا يشرب القهوة منذ زمن بعيد، ولذلك قصة وأسباب يذكرها رحمه الله فيقول: أنا لم أشرب القهوة في الصغر، سبب ذلك: أن الوالد رحمه الله منعني ومنع أخي الذي يليني وهو إبراهيم رحمه الله من شربها، ولما سُئِلَ ونحن في العاشرة إلى الخامسة عشرة علل وقال: إنني قد أمر أحدهما بأمر، أن يذهب إلى فلان أو يذهب لينجز عملاً، فإذا أمرته وهو يشرب القهوة ويحبها، فإنه لا يمتثل، فينتظر حتى تُصَب هذه القهوة وتنتهي، فيفوت علينا جزء من الوقت، ونحن لم نقض شغلنا، فأريد أن لا يتقيدوا بهذه

(١) يتمرقون تلك العظام: يأكلون بقايا اللحم التي عليها.

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الثالثة



القهوة ولا ينتظرونها؛ بل إذا أمرت أحدهما فإنه يسارع ويبادر ويذهب لقضاء الشغل الذي أمرته به، فلاجل ذلك منعنا من شرب القهوة.

ولما كان في سنة أربع وستين وثلاثمائة وألف ١٢٦٤هـ، - وهي السنة التي صمنا فيها، أنا وأخي إبراهيم وأنا صمت قبله بسنة - رخص لنا الوالد *رحمة الله*، فأخي إبراهيم ولع في شربها، وأما أنا فعزفت نفسي عنها، وسبب ذلك: أنني رأيت أن أهلها إذا فقدوها يتأثرون تأثرًا كبيرًا.

وأهل ذلك الزمان كانوا يعتنون بالقهوة اعتناءً كبيرًا، فأولاً: يأخذون قبضة يسيرة ويحمصونها في المحامص المعروفة، ثم إذا نضجت أفرغوها في آلة يسمونها المبرّد لكي تبرد فيها. فإذا بردت أزالوا ما فيها من القشر وما فيها من الحب الفاسد. ثم بعد ذلك يدقونها دقًا ناعمًا في ما يسمونه بالنجر: (الهاون) فإذا نعمت فإنهم يصبونها في إحدى الدّلال، وهي الإناء الذي تشرب فيه، ويكون فيها ماء قد غلى أو قارب الغليان. وتبقى في ذلك الماء، نحو ربع ساعة أو عشر دقائق، وهي تطبخ طبخًا قويًا، وبذلك تكون قد نضجت. وقد ظهر طعمها في ذلك الماء، ثم بعد ذلك يصفونها.

وهناك أيضًا دلة أخرى يسمونها المنزل. يجعلون فيها البهار الذي غالبًا يكون من الهيل، ويبالغون في مدحه ومحبته؛ فإذا صفّوها في هذا المنزل جعلوها على النار حتى تغلي مرة. ثم يصبونها للأفراد الحاضرين. وعادة أنهم لا يملّون من شربها، ولا أحد يقول قد انتهيت أو لا أريدها، فيشربون في المجلس الواحد دلتين أو ثلاثًا وربما أربعًا. وقد ينتقلون أيضًا من مجلس إلى مجلس.

فأنا في ذلك الوقت عزفت نفسي عنها، وذلك لأنني رأيتها تؤثر على كثير من الذين يفقدونها، فإذا فقدوها أحدهم فإنه يصاب بدوخة وبآلام في الرأس

فيتحسر حتى يجدها، وإذا وجدها وأخذ يشرب زاد في شربه منها، فهذا هو السبب الذي دعاني لتركها.

وبقيت على هذا الوضع لا أشربها، ولما انتقلنا إلى الرياض في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف ١٣٧٤ هـ كنت في منزل خاص، ولم أكن أشربها، لكن إذا دخلت في المجالس الكبيرة التي نزور فيها المشايخ ونحوهم مرة أو مرتين في الأسبوع، فإنني أشرب فتجاناً واحداً أو اثنين، وإذا لم أجدها فإنني لا أطلبها.

ولما كان في سنة ثمانين وثلاثمائة وألف ١٣٨٠ هـ أصبت بألم نتج منه مرض يسمى التدرن، ونصحني الأطباء بأن أعالج، واستمر العلاج معي إلى حدود سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وألف ١٣٩١ هـ وأنا أعالج من ذلك المرض، ونصحوني بأن لا أشرب هذه القهوة وما أشبهها؛ فبعد ذلك رأيت أني لما انتهى العلاج إذا شربتها أحسُّ بجموضاتٍ كما يقولون. فتركتها بعد ذلك إلى هذا الزمان.

### صناعة الحبر<sup>(١)</sup>؛

لم تكن الأحبار الحديثة موجودة آنذاك، فكانوا يصنعون الحبر بأنفسهم، ولكون جدي رحمة الله كان كاتباً مجيداً، فقد كان الناس يطلبون منه توثيق عقودهم ووصاياهم ونحوها، وكان يقوم بصناعة الحبر بنفسه، وقد تحدث الوالد عن ذلك، فقال: كان الوالد هو الذي يعمل الحبر، فكان يأخذ قشر الرمان فيطبخه بعدما يبس طبخاً قوياً، وإذا انتهى من طبخه انقلب ماؤه أسود، بعد ذلك يضيف إليه شيئاً قريباً من البياض اسمه (الزاج) موجود

(١) صفحات من حياتي الحلقة الأولى



عند العطارين. ويضيف إليه قبضة من الصمغ الذي يؤخذ من الشجر، يدقه ثم يخلطه به حتى يلتصق بالأوراق، ثم بعد ذلك يعبئه في زجاجة نسميها (غرشة أو قارورة أو صافية)، ثم نصب منه في المحبرة الموجودة الآن على هيئتها وعلى شكلها، نجعل في أصلها خرقة حتى تنغمس فيها الأقلام.

أما الأقلام فإنها تؤخذ من شجر يقال له: النماص، له قصب كالإصبع الدقيق، وفي وسط القصبه خرق، فيعمد الذي يريد أن يجعله قلمًا فيبري رأسها حتى يكون لها رأس دقيق، ثم هذا الرأس يشقه فيكون فيه شق ليلتقط شيئاً من الحبر؛ فهذه هي الأقلام عندنا.

وقد تعلمنا الكتابة أيضًا في ألواح لأن الأوراق كانت قليلة، فتأخذ هذه الألواح، ويكتب لنا الوالد رسالة، فيقول: اكتبها في هذا اللوح، ذكر سماحة الشيخ الوالد رحمة الله أنه كان عندهم لوح كأنه الباب أو قريب من الباب، يقول كنت أضطجع عليه على بطني. وأملؤه من أعلاه إلى أسفله كتابة، فتمرنا على الكتابة على الألواح.

\*\*\*\*\*

## بيت العطاء

تزوج الوالد رحمه الله بآبنة عمه الشقيق، واسمها: لطيفة بنت محمد بن عبد الله، ولها اسم آخر اشتهرت به وهو غَزِيل (تصغير غزال)، وكان زواجهما في آخر عام ١٢٧٠هـ.

كانت يتيمة الأب فقد توفيت أبوها في سنة ١٢٥٥هـ. وعاشت في كنف عمها عبد الرحمن والد الشيخ رحمه الله، وكان والدها طالب علم قرأ على أبيه، ورحل في طلب العلم، وحفظ الكثير من المتون، ونسخ بيده كتباً، يقول عنه الشيخ الوالد رحمه الله: كان العم محمد قد اشتغل بالعلم، ورزقه الله ذكاء وفهما وحسن تعلم وخطاً جميلاً، وتوجد رسائل قصيرة بخطه، وقد حفظ القرآن، وكان يؤم الجماعة في مسجد أبيه يؤمهم جمعة وجماعة. ويصلي بهم التراويح في ليالي رمضان، فيطيل في القراءة وتعلم على يده الوالد رحمه الله<sup>(١)</sup> أ.هـ.

تقول أختي هيا<sup>(٢)</sup>: "كانت أمي رحمه الله تحكي لنا أن عمها جدي لأبي رحمه الله كان يخبرها أي أبنائي تريدون؟ لأنها كانت يتيمة عنده، فكانت تريد إبراهيم رحمه الله الذي يخرج دائماً يصطاد ويعود بالصيد، فترى فيه القوة التي تحميها.. لكن عمها يشير عليها بعبد الله، وكانت لا ترغبه حيث إنه عاكف طوال وقته على كتابه بشكل ممل لا ترغبه أي فتاة، لكنها تزوجته حياءً من عمها، ولما كبرت فهمت أن مشورة عمها كانت صائبة، فكانت تدعوله باستمرار".

كانت رحمه الله ذات دين وصلاح ونصح وإخلاص، فقد بذلت جهودها في القيام بحقوق ربها وبعلمها، وتوفيت عام ١٤١٤هـ<sup>(٣)</sup>.

(١) سيرة الشيخ من موقعه رحمه الله وقصتي في طلب العلم.

(٢) مذكرات الأخت هيا التي بعنوان: أبي كما عرفته.

(٣) سيرة الشيخ من موقعه رحمه الله.





ولا شك أن للزوجة نصيباً في صناعة الرجال، فكونها **رهاللة** تصبر على القيام بشئون بيته وتربية أبنائه، فإنها تفرغه بذلك لطلب العلم وبذله، صبرت في حال طلبه العلم، وصبرت في حال انشغاله بتعليمه، وصبرت على كثرة أسفاره للدعوة إلى الله.

فهنيئاً لها لأن كل علم يبذله ودعوة يقوم بها، تشاركه في أجره.

تقول أختي هيا: "كان أبي **رمة الله** مشغولاً جداً بالتعليم والتعلم، ولم يكن مسؤولاً مباشراً عني أو عن غيري من أخوتي فقد كانت أمي **رهاللة** تقوم ببعض واجباته نحونا، حيث إن وقته لا يسعفه بذلك، وقد وهبها الله شخصية قوية مؤثرة لتولي ذلك الدور".

ولقد صبرت عليه **رهاللة** في أمور لا تطيقها الكثير من النساء، ومما ذكرته أختي هيا: "أنه مرت عليه مدة طويلة كانت فيها أمي **رهاللة** أو أخواتي يصنعن له الطعام ويذهب لياكل مع مرافقه الهندي الجنسية الذي يفترض أن يكون سائقاً، ويدعنا نحن النساء نأكل وحدنا، ولم تكن أمي تتذمر، حتى ظننت أن هذا الوضع الطبيعي، ولم أعرف غرابته حتى كبرت وتزوجت وقارنت نفسي بها **رهاللة**".

وكانت فعلاً صابرة على انشغاله عنها ولم تكن تتذمر، بل كانت تحمده في كل مجلس وتدعوا لعمها - جدي عبد الرحمن - الذي أشار عليها بالزواج منه.

كانت خجولة حية، تقدر للناس قدرهم، وتخدم أبوي زوجها حتى توفوا **رمة الله** "أ.هـ".

ولقد رزق الوالد من والدتي رحمها الله باثني عشر ولدا من الذكور والإناث، مات بعضهم في الصغر، وبقي منهم ثلاثة من الذكور وست من الإناث، وقد تزوج جميعهم، وولد لهم أولاد من البنين والبنات.

فأبناء الشيخ الوالد رحمه الله هم:

- ١- محمد، (وهو أكبر الأبناء)، موظف في وزارة الشؤون الإسلامية.
- ٢- عبدالرحمن، أستاذ مشارك في كلية الشريعة في الرياض.
- ٣- سليمان، وهو متخرج في كلية الشريعة في الرياض، ويعمل مدرسا في وزارة التربية والتعليم.

وأما بناته، فهن:

- ١- سارة.
- ٢- نورة.
- ٣- منيرة.
- ٤- حفصة، وهي متخرجة في كلية الشريعة في الرياض.
- ٥- حليلة، وهي متخرجة في كلية الشريعة في الرياض، وتعمل مدرسة في وزارة التربية والتعليم.
- ٦- هيا، وهي متخرجة في كلية الشريعة في الرياض.

وبعد أن توفيت والدتي رحمها الله تعالى تزوج الوالد رحمه الله بإحدى قريباته، وهي: هيلة بنت محمد بن عبد الله الجبرين. وقد قامت بحقه خير قيام حتى توفي رحمه الله وجزاها خير الجزاء.



كان الوالد رحمة الله في بداية زواجه يعيش مع والده في الرين، وكان يساعده ويخدمه ويقوم بما يقدر عليه من بره، ولا يستبدُّ بكسب ولا يختصَّ بمال<sup>(١)</sup>.

ولما انتقل إلى الرياض بقيت الوالدة ومعها أخي محمد عند جدي، وانتظم الوالد في معهد إمام الدعوة العلمي. يحكي الشيخ الوالد رحمة الله قصة انتقاله للرياض، فيقول<sup>(٢)</sup>: في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف في شهر صفر كتب الشيخ محمد بن إبراهيم رحمة الله إلى قاضي الرين عبد العزيز أبو حبيب الشثري، يذكر أنهم قد عزموا على فتح معهد تخصصي، وأنهم بحاجة إلى معلمين، ورغب أن يكون الشيخ من المعلمين في هذا المعهد، فوافق الشيخ أبو حبيب على الانتقال والاشتراك في ذلك المعهد.

وكان أهل الرين يحبون شيخهم عبد العزيز الشثري، ولكن لم يكن بد من سفره.

ولما عزم على ذلك طلب مني أن أصحبه، وذلك لأكمل التعلم الذي قد ابتدأت به عليه، فوافق والدي على ذلك، وبقي والدي في الرين إمامًا وخطيبًا للمسجد، الذي كان يؤمه ويخطب به في عهد الشيخ أبو حبيب رحمة الله، وقد استصحبني الشيخ واستصحب بعض تلاميذه منهم عبد الله بن عبد الرحمن الهويمل وعبد العزيز بن محمد المسعد زميل لنا وكان ذكيًا رحمة الله، وسعد بن عبد الرحمن السريع، وكان قارئًا حسن القراءة، ومنهم أحد تلاميذنا عبد الله بن محمد الجبرين وهو من الأقارب.

استأجر الشيخ سيارتين من الرين، وتوجهنا إلى الرياض، وكان الطريق في ذلك الوقت صعبا، فسلكوا الطريق الذي يسمى الحيسية، وكان هناك

(١) المصدر السابق

(٢) انظر صفحات من حياتي الحلقة الرابعة وابن جبرين عالم أمة.

ملفات صعبة تسمى سبع الملفات، ذهبنا في أول النهار وقطعنا مسافة ثم بتنا في الطريق، ثم لما جئنا المكان الذي فيه الحيسية، وفيه شجر كبير وافتنا القيلولة فنزلنا هناك، ولما انتهينا من الغداء ومن القيلولة دخلنا الرياض عن طريق العيننة والجبيلة، لأن هذا هو الطريق الذي كان يسلكه أهل الرياض يتوجهون معه إلى الحجاز، والسائقون يحبون أن يكونوا مع الطرق المسلوكة لا مع الطرق المهجورة التي لم يألفوها.

استأجر الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله لشيخنا ثلاثة منازل، لينزل فيها هو وأهله، هذه المنازل كانت لآل علي من آل الشيخ. في حي يقال له حلة آل حماد، وكان إمام المسجد من آل علي اسمه: عبد الله بن علي آل الشيخ، وله أولاد مشهورون منهم عبد المحسن بن عبد الله الذي كان رئيساً للشؤون الدينية في القوات المسلحة ثم تقاعد، ومنهم ابنه علي أيضاً وابنه محمد وآل علي كانوا أربعة، ولما كثروا ضاقت عليهم تلك البيوت، واستأجروا أو بنوا غيرها.

وقد تقدم التلاميذ الذين استصحبهم الشيخ وسجلهم في معهد إمام الدعوة، وكان ابنه ناصر قد تقدم قبلنا بسنتين للدراسة في المعهد العلمي.

في السنة الأولى كنا في ضيافة الشيخ، لأنهم استأجروا منزلاً لرفقاء الشيخ أبو حبيب، وكنت معه في تلك السنة، أما في السنة التي بعدها فرأيت أنا وأحد زملائي أن نستقل في منزل صغير، لكثرة من يفشى الشيخ من الزوار، الذين لا يتمكن معهم من المذاكرة، وكنا بحاجة إلى مذاكرة.

وقد تركنا أهل هناك عند الوالد في الرين، ولم نأت بهم إلا في سنة سبع وسبعين. أ.هـ.

كان الوالد رحمه الله يُعطي في معهد إمام الدعوة مكافأة شهرية، فكان يدفع بعضها لوالده لينفق على نفسه وأولاده، وبعد ثلاث سنين اضطر





إلى إحضار الوالدة للرياض، واستأجر منزلاً صغيراً، فكانت المكافأة تكفي للحاجات الضرورية فحسب.

وبقي رحمة الله ثمان سنوات يستأجر منزلاً بعد منزل في بيوت طينية صغيرة في أحياء الرياض القديمة، وكانت الرياض إذ ذاك صغيرة.

ففي آخر سنة أربع وسبعين سكن في حي الرويضة غرب الرياض.

وفي سنة خمس وسبعين في حي الشرقية في وسط الرياض.

وفي سنة ست وسبعين في حي الدحو شرق الرياض.<sup>(١)</sup>

وفي عام سبع وسبعين جاء بالوالدة للرياض، وتثقل في عدد من البيوت في حي مصدة والعماج، حتى أعانه الله على شراء بيت من الطين، لكنه واسع وحديث في حي السبالة، فاستقر به النوى حيث مكث فيه سبعة عشر عاماً، يعيش في وسط من الحال، لا إسراف فيه ولا تقتير، ولم يتوسع في الكماليات والمرقّفات لقلة ذات اليد.

وفي عام (١٤٠٢هـ) انتقل إلى منزلٍ جديد بحي (شبرا) الواقع في غرب مدينة الرياض، الذي استطاع بناءه بعد حصوله على قرض من صندوق التنمية العقاري. وهو صندوق حكومي يمنح المواطنين قروضاً دون فوائد. ولبث في منزله هذا قريباً من تسع وعشرين سنة حتى توفاه الله تعالى.

فلم يكن بيته رحمة الله قصراً فارهاً، وإنما كان بيتاً متواضعاً، بعيداً كل البعد عن التكلف والترف، وهو في منطقة عادية وحي يسكنه عامة الناس.

(١) ابن جبرين عالم أمة.

وأما سياراته فأول سيارة اشتراها كانت من نوع داتسون غمارتين موديل ١٩٧٣هـ وقد اشتراها جديدة وكان يقودها أخي محمد، وكانت حاجته لها حينئذ قليلة لتقارب المسافات، لكنها تستخدم للأسفار والأماكن البعيدة. وقد اشترى بعدها سيارة بيجو جديدة أيضاً كان يقودها الأخ محمد وأنا، ولم يكن الوالد رحمه لله تعلم قيادة السيارة، حتى انتقل إلى حي شبرا فاضطر لتعلم القيادة، يقول رحمة الله<sup>(١)</sup>: "لما انتقلنا هاهنا شق عليّ أن أجد من يوصلني، واشترينا سيارة، ورغبت إلى الأمير سلمان أن يعفيني من التصوير في الرخصة، فكتب لهم أن اختبروه دون صورة فوافقوا على ذلك، وحملت رخصة سيارة دون صورة، وهكذا فكنت عندما سكنا أول سنة أربعمائة واثنتين السنة التي توفى فيها الملك خالد رحمة الله أذهب على سيارتي وحدي، سيارة أتوماتيك، أصلي في الجامع الكبير، وألقي الدروس التي بعد الفجر، والتي بعد المغرب والعشاء، وكذلك أيضاً بقية الصلوات في حال غيبة الشيخ ابن باز رحمة الله وأرجع".

ولحصوله على الرخصة قصة لطيفة، حيث وجه الأمير بإعطائه رخصة قيادة دون صورة وكنت أنا الذي راجعت المرور، حتى حددوا موعد الاختبار، وكانت معي سيارته الكرسيدا لكي يختبر عليها، فلما أخذت الموعد عدت مسرعا للبيت لأتي بالوالد رحمة الله، وفي الطريق حصل عليّ حادث شنيع، سلمت فيه الأرواح لكن تأثرت فيه السيارات، حيث كنت أسير في شارع واسع، وقابلتني سيارة أخرى فحرفت السيارة لتجنب الاصطدام، فانحرف صاحب السيارة الأخرى في المسار الذي سلكته، فتقابلنا بالأوجه.

(١) برنامج أسرة واحدة



اصطلحت معه وركبت سيارة أجرة لأذهب بالوالد للمرور، وكان عندنا سيارة صالون من نوع جي إم سي، فأخبرت الوالد بموضوع الحادث وأخذته بالصالون، ليختبر بها فلما مررنا بالسيارة الأولى ورأى موقع الحادث تعجب كيف حصل مع سعة الشارع وقلة السالكين، ولكنه القدر.

ولما وصلنا للمرور اختبروه في النظر والعلامات المرورية، ثم ركب معه الجندي ليختبر قيادته، وكان أول مرة يقود هذه السيارة الكبيرة، فأعانه الله على قيادتها. حتى أنهى الاختبار ومنح الرخصة دون صورة، كما ذكر *رحمة الله*.

وكانت السيارة التي يقودها قبل أن يحصل على الرخصة سيارة تويوتا من نوع كرسيدا، اشتريناها جديدة حتى أجاد قيادة السيارة. وبعد حصوله على الرخصة اشترينا سيارة مرسيدس من الوكالة، وكان في ذلك الوقت سعر السوق يزيد كثيرا عن سعر الوكالة فتقدمت باسم الوالد للأمير سلمان بطلب لكي يشفع لنا عند الجفالي وكيل مرسيدس فكتب لهم خطابا وباعونا السيارة بحوالي سبعين ألف ريال، وكان موديلها ١٩٨٤م.

كان جلوس الوالد *رحمة الله* منذ أن عقلت في بيتنا قليلا فوقته للناس، وإذا جلس في البيت فهو في المكتبة، التي تحتل غرفة كاملة في سطح البيت الطيني، وقد سئل *رحمة الله*: ماذا يتبقى من وقتكم لأسرتكم؟، فقال: يبقى ما فيه خير، يبقى الليل والوقت الذي لا نكون فيه مطالبين بمطالعة كتاب أو جواب سؤال، فنبقى فيه مع الأولاد بالإضافة إلى وقت تناول الطعام، وهذا فيه الكفاية إن شاء الله.

ومع هذا فقد كان يتعاهدنا بالتربية، ويتفقدنا للصلاة، ويحضنا على الخير، فهو حريص على توجيهنا والحاقنا بمدارس تحفيظ القرآن الكريم، كما أنه حريص على اختيار أصحابنا وتوجيهنا إلى طلب العلم، يقول أخي محمد في مقابلة معه: "ربانا والدنا والحمد لله على الصلاح والتقوى منذ الصغر، وكان حريصاً على تعليمنا القرآن الكريم وتحفيظه لنا بالإضافة إلى السنة، وكان حريصاً على أن نجالس الصالحين، والحمد لله فقد آتت هذه التربية ثمارها.

وكان نادراً ما يسلك مسلك العنف، وذلك إذا تعذر النصح، فمن ذلك أنه إذا فاتت أحدنا صلاة الفجر فإنه يجيء بعد الصلاة بإناء ماء وينضحه في وجه النائم عن الصلاة منا".

تقول أختي هيا في مذكراتها: "من المواقف التي أذكرها أنه قليلاً ما يؤنبنا، حتى سولت لي نفسي أن أعصي أوامره بما أني الطفلة الصغرى المدللة، فقد كنت مرة عنده في مكتبته وأمرني بالخروج، لأنه سيخرج لموعدهاء فرفضت، أريده أن يذهب ويدعني متى ما مللت أخرج، فلم يناقشني طويلاً بل خرج وأقفل الباب بالمفتاح وذهب لموعده، وتركني في المكتبة وحدي، وقد أذهلتني المفاجأة فنادت أختي فجاء أخي سليمان وأخرجني بسلم من فتحة تركت لتركيب جهاز التكييف، والا كنت بقيت حتى يرجع من مواعيده، وربما كان ذلك مساءً.

وأذكر أنه لم يكن يمد يده نحونا بالضرب أبداً، حتى تصورت في طفولتي أنه لا يعرف العقاب، فدخلت مكتبته - مرة أخرى - وهو جالس بها، وأفسدت صندوقاً للمناديل فيها، فقام إليّ مفضباً وجر ضفيرتي وأغلق دوني الباب.





لقد كان عنوانًا للعطف والهدوء، ولكنه كان صارمًا في تربيته إذا أحس أن طفله يحتاج للحزم.

وتخبرني أختي الكبرى بأنه كان ينهاها عن الخروج للشارع، لكنها كانت تخرج وتلعب مع صويحباتها، فكان يأتي خلفها ويمشي بهدوء حتى يقترب منها ويجر ضفيريها، وإذا التفتت غاضبة رأت والدها انقلب غضبها رعبًا، لم يكن يوبخها أمام صاحباتها.

لم يكن في البداية يريد لبناته أن يخرجن من بيته للتعلم بالمدارس، حيث كان هناك تحفظ من غالب الناس على هذا الأمر، ولكن لحبه للعلم ألحق الثلاث الكبار بامرأة تحفظهن القرآن، ولكن الثلاث الصغار بدأت في عصرهن تخف حدة الخوف من المدارس النظامية، وعلم عن وجود مدرسة لتحفيظ القرآن فألحقهن بها، وكانت تحوي القرآن وغيره من العلوم، كأى مدرسة أخرى غير أن تركيزهم أشد على القرآن الكريم، وهكذا درسنا في المدرسة الأولى لتحفيظ القرآن الكريم.

في الدراسة لم يكن يأبه لنا كثيرًا ولا يتابعنا، فهو مشغول بعلمه وتعليمه، لكنه يحرص على تفوقنا ويفرح به، كما يسوؤه تأخرنا الدراسي.

كنا في مراحل عمرية مختلفة، وكان أحيانًا يأتي لسؤالنا عما نحفظ من كتاب الله، ثم يأتي بأية ويقول في أي سورة هي؟ وإن لم نعرف سأل عن غيرها، وكان هذا اختبارًا للحفظ، وكان غالبًا ما يسألنا وهو واقف أو عابر، ولا يجلس لكثرة انشغاله..

وفي أحد الأيام جاءته إحدى حفيداته بشهادتها في المرحلة المتوسطة، وكانت تحمل درجات متميزة، وقد كتب عليها (الأولى) ففرح كثيرًا وضمها

إلى صدره بقوة. ثم صار يسألها عن نتائجها باستمرار. ولم أكن أظن أنه سيهتم ويفرح لهذا الحد، والا كنت قد نافستها!"

وبعد أن كبرنا وصار لنا أولاد أصبحت أخواتي يجتمعن في بيته كل أسبوع في يوم الأربعاء غالباً، وكانت جلسته قصيرة لكنها نفيسة، يجلس معهن قرابة نصف ساعة، يسألنه فيها عن حاله وتتخللها الفتاوى والفوائد التي كان ينثرها **رحمة الله** بينهن.

كان الوالد **رحمة الله** يرفض مبدأ وجود الخادمة في المنزل. حتى مرضت الوالدة في آخر عمرها **يها الله**، فجئنا بخادمة لمساعدتها.

كما أنه لم يطلب سائقاً، ولكننا احتجنا لوجود خادم لمساعدتنا على خدمة الضيوف والزوار، حيث كان يفتح بابه يومياً لاستقبال الناس، ويحتاجون لضيافة وخدمة، فأحضرنا له رجلاً من الهند كان عند عمي محمد، ثم إنه أصبح مع طول ملازمته للوالد من طلاب العلم، وكان يكلفه أن يكتب بعض الفهارس ونحوها لما كان يعمل في تحقيق الزركشي.

وكان لا يأكل إلا معه، فإذا حضر الطعام جعل يناديه بصوت عالي: (علوي...علوي) وينتظر إلى أن يحضر فيأكلان معاً، ومكث على هذا الحال قريباً من عشر سنين، حتى احتجنا لسائق يقود بالوالد، فبقي الهندي على كفالتة، ولكنه أصبح موظفاً في مكتب الدعوة.

هذه صورة لبيته **رحمة الله** من الداخل، فهو بيت عطاء يخرج منه الخير للأمة جمعاء.







القِسْمُ الثَّانِي  
التكوين المسدد

- مبادئ العلوم
- القرآن أولا
- حياة الطلب
- التعليم النظامي
- صداقة الكتاب
- مشايخ الشيخ
- أقران الزمان



## التكوين المسدد

إن المتتبع لسيرة شيخنا سماحة الوالد الشيخ عبد الله بن جبرين رحمته الله يجد أن حياته كلها كانت في طلب العلم والتعليم منذ نعومة أظفاره.

فقد بدأ بالتعلم على يد والده وعمره عشر سنوات تقريباً، فتعلم القراءة والكتابة وحفظ شيئاً من القرآن.

وبعد أن أتم حفظ القرآن، ابتدأ بالقراءة على شيخه الثاني الشيخ العلامة عبدالعزيز الشثري المعروف بأبو حبيب رحمته الله.

ثم انتقل مع شيخه إلى الرياض قادماً من قريته، بعد أن صلب عوده وتزوج. وأحاط بكثير من العلوم والفنون، تاركاً أسرته الصغيرة ووالديه في القرية، وفي الرياض استمرت مسيرته العلمية، فقرأ على عدد من المشايخ والعلماء في زمنه.

وفي الموضوعات اللاحقة سوف نتعرف على مرحلة التكوين العلمي للشيخ الوالد رحمته الله من خلال استعراض عدد من البيئات المهمة في حياته.

## مبادئ العلوم

لقد بدأ الشيخ الوالد رحمته الله في طلب العلم منذ نعومة أظفاره، ومعلوم أن طلب العلم في زمنه كان من الصعوبة بمكان، ولذلك فقد تحمل مشقة عظيمة في التحصيل والطلب؛ لم يثته عن ذلك حرارة الشمس، ولا لهيب الرمضاء، ولا قلة السالكين.



أشرب قلبه حب العلم منذ أن كان طفلاً صغيراً لا يعقل شيئاً، وكان من أهم أسباب ذلك أن أباه كان طالب علم، بل كان معلماً للتلاميذ، فكان الوالد يحضر هذه الحلقات.

يحكي رحمه الله ذلك، فيقول<sup>(١)</sup>: "أتذكر أنني كنت أحضر عند الوالد عندما كان يعلم الأولاد، ولكني لا أعقل شيئاً إلا كلمات يسيرة. وفي محيرقة كان العم سعد بن عبد الله رحمه الله إماماً وخطيباً، وكان يعلم الأولاد. فكنت أحضر عندهم. وأتقى بعض الكلمات التي أسمعها وأنا في السادسة أو قريباً منها".

بدأ الوالد تعلمه للقرآن على يد والده رحمه الله، فعندما كان عمره ست سنين لقنه أبوه الفاتحة وقصار السور، وكانت والدته تلقنه قصار السور، لأنها كانت تقرأ القرآن، وعلمه والده أيضاً شروط الصلاة وما تتم بها.

وحيث إن نشأة الوالد رحمه الله كانت في بلدة الرين، وهي هجرة بعيدة عن حواضر العلم؛ ولم يكن هناك مدارس قائمة، فقد تأخر في دراسته؛ فلم يبدأ في تعلم القراءة والكتابة إلا حينما بلغ العاشرة من عمره.

يقول رحمه الله: "وفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وألف جلس الوالد لنا يعلمنا القرآن، فابتدأ يحفظنا السور القصيرة. فحفظنا من سورة الناس من آخر المفصل إلى سورة الضحى، ولما حفظت هذا فرحت بذلك، وكان يأمرنا بأن نقرأ في صلاة الفجر من السور الطوال التي نحفظها، وليس عندي من السور الطوال إلا سورة: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة: ١]. وسورة: ﴿أَفَرَأَى يَأْسِرَ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]. فكنت أقرأها في الصلاة إذا فاتتني صلاة الجماعة.

(١) صفحات من حياتي الحلقة الأولى وقصتي في طلب العلم.

وبعد أن أتقنا هذه السور، بدأ والدي بتعليمنا الكتابة والهجاء ونحو ذلك. وكانوا يعلمنا في ألواح؛ يكتبون حروف الهجاء في لوح كسقيفة الباب، مكتوب فيها ألف باء تاء إلى آخرها. ولما حفظناها أخذوا يقرئوننا معانيها، ما فائدة هذه الحروف، فقالوا: إن كل كلام العرب لا يخرج عن هذه الحروف الثمانية والعشرين، فإذا حفظتموها استطعتم أن تقرؤوا وأن تكتبوا. وبعد أن حفظتها صرت أكتبها في الأرض وأقلد كتابتها.

بعد ذلك علمنا الحركات، وكانوا يسمونها بأسماء الأولين: (ال نصب، والخفض، والرفع، والجزم)، ولا يسمونها بأسمائها المعروفة التي هي: (فتحة، وضمة، وكسرة، وسكون)؛ وكان ذلك اصطلاح الأولين ومنهم صاحب الأجرومية، فالرفع علامته الضمة، والنصب علامته الفتحة، والخفض علامته الكسرة، والجزم علامته السكون.

وبعد ذلك علمنا حروف المد الثلاثة: الألف، والياء، والواو (با-بو-بي)، وهكذا. ثم علمنا أيضًا الفتحة مع شدة، والضمة مع شدة، والكسرة مع شدة، وأيضًا علمنا التتوين بحركاته الثلاث.

ثم بعد ذلك علمنا الهجاء الذي هو جمع الحروف، فأولاً: يكتب حرفين ألف وباء (أب)، ألف وميم (أم)، جيم ودال (جد)، ثم بعد ذلك يعلمنا ثلاثة حروف راء وجيم ولام (رجل)، راء وألف وسين (رأس)، ظاء وهاء وراء (ظهر) وهكذا، ثم يعلمنا أربعة حروف، وهكذا يكتبها ويسأل، ثم يكتب بعض الأسماء.

وأذكر أن والدي رحمته الله كتب الأسماء المعبدة، وهي ثمانية: عبد الله، وعبيد الله، وعبيد، وعبيد، وعبود، والعبدي، والعبيدي، ومُعبيد. وكذلك



المتصرفة من غيرها: سعد، وسعيد، وسعود، ومساعد، وكذلك الأسماء المحمّدة: محمد، محميد، وبعد ذلك يكون الطالب قد عرف كيف يقرأ.

بعد ذلك أحضر لنا أجزاء فيها (جزء عم) و(تبارك)، و(قد سمع) العشر الأخير، وابتدأ يُقرئنا فيها من سورة (والليل إذا يغشى).

واستمرت قراءتنا على الوالد، وكنت أُسرُّ بقراءته رحمةً لله، وأحفظ الكلمات التي يملئها عليّ أو يقرؤها، وكأنها تكتب في قلبي.

ولما وصلنا إلى (سورة المزمل) انتقلنا إلى محيرقة كالعادة، وكان هناك أحد الأعمام سعد بن عبد الله بن جبرين بن فهد رحمةً لله، كان يعلم القرآن ولكن يقتصر على وقت الصيف، حيث يتوارد إلى البلد الكثير من الطلاب، وأما في الشتاء فإن الطلاب يشتغلون في حروثهم وفي أشجارهم ولا يتفرغون للقراءة، فابتدأت أقرأ عليه هنالك، ووجدت بعض الزملاء وبعض الأقارب قد سبقوني بالقراءة عليه. ولكن استمر العم سعد يُقرئني من (سورة المزمل) إلى أن وصلنا إلى (سورة الرحمن)، وكان هذا في أوائل سنة (١٣٦٠هـ).

بعد ذلك رجعنا إلى الرين وابتدأ الوالد يُقرئني وأيضاً يعلمني الكتابة أنا وأخي إبراهيم، تعلمنا كتابة الكلمات وما يتصل بها. ولما تعلمنا الكتابة سهل علينا قراءة القرآن في المصحف، كان قد علمنا في هذه المدة وإن كانت قراءة فردية، وذلك لعدم توافر الطلاب الذين يهتمون بقراءة القرآن. فالقرية قرية بواد، والراغبون في القراءة قلة، فكان يُقرئنا أنا وأخي الشقيق إبراهيم رحمةً لله إلى أن وصلنا إلى سورة الزخرف.

وفي أثناء قراءتي في المصحف على الوالد وعلى العم سعد، كنت أحفظ ما تيسر لي من القرآن. فحفظت جزء عم وجزء تبارك إلى سورة الصف.

بعد ذلك صعب على الوالد أن يجلس لنا وأنا وأخي الشقيق إبراهيم رحمهما الله لكثرة مشاغله، فكان عندنا رجل من أهل الجنوب من أحد رفاة اسمه: سعيد ابن عبد الله الأجر، وكان قارئاً للقرآن قراءة لا بأس بها، فرغب إليه أهل الرين ليتولى تعليم القراءة، فطلب منه الوالد أن يكمل تعليمنا، فالتزم بذلك، وفرضوا له أجرة عادية على التعليم، وبدأت معه قراءة من سورة الشورى إلى قرب سورة الكهف.

ثم انتقلنا في الصيف كالعادة إلى محيرقة، ولما انتقلنا كان العم سعد قد ثقل عليه أن يقرئ، فتولى التعليم رجل من الأقارب اسمه: عبدالعزيز بن عبد الله الجبرين، ويقال له: ابن رشيد: وكان رحمهما الله يجد في التعليم وإن لم يكن حافظاً، وقراءته لا بأس بها، ابتدأنا نقرأ عليه من سورة البقرة إلى قرب سورة التوبة، وفي أثنائها جاء أحد الأقارب، وهو عبد الله بن حمد الجبرين، ويقال له ابن حمادة. جد صهرنا حمد بن حمادة، وجد الدكتور عبد الله بن عبدالعزيز، وكان جيد القراءة، وكان يقرئ الطلاب ويواظب على قراءتهم، واستفدنا من هذين الرجلين كثيراً، حيث قرأنا عليهما من سورة البقرة إلى سورة الأعراف.

وفي نهاية الصيف رجعنا إلى الرين، وتولى سعيد الأجر تكملة القرآن إلى نهاية سورة الإسراء، وكان ذلك في سنة إحدى وستين في أولها.

كانوا إذا أكمل القارئ القرآن في المصحف عمل أهله وليمة له ولزملائه، كقطعام أو ذبيحة أو نحو ذلك، يسمونه: "ختم" يعني: أنه قد ختم القرآن، فعمل الوالد ذلك.



وكان في أثناء ذلك يقرأ ويتدارس معي القرآن أحد زملاء، وهو عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم المسعد رحمته الله. أهـ. (١).

وكان الوالد يحضر مع والده قراءة بعض الكتب، حيث كان جدي يقرأ على الشيخ أبو حبيب في الصباح بعد شروق الشمس نحو ساعة، وكذلك يقرأ عليه بعد العصر وبعد المغرب، فكان يحضر ويستفيد من القراءة.

يقول رحمته الله عن بدايات التعلم<sup>(٢)</sup>: «كانت البداية مع والدي رحمته الله وذلك من حدود سنة ثنتين وستين، عندما ابتدأت أكتب وأقرأ في الكتب، كان الوالد يقرأ على الشيخ أبو حبيب بعد المغرب إلى العشاء، وبعد العصر قراءة في كتاب على الجماعة، وإذا قدر أن الشيخ مسافر أو غائب، وكان الشيخ أغلب ما يسافر إلى بلده الحوطة، يقيم هناك شهرا أو نحو، فكان الوالد يأمرني أن أقرأ عليه، فكنت أقرأ عليه في الكتب المبدئية.

قرأت عليه الأربعين النووية ولكنه لم يتوسع في الشرح، وقرأت عليه عمدة الأحكام وكان ينبه على بعض الفوائد، وقرأت عليه أيضا مواضع من الوايل الصيب، ومن كتاب الصلاة لابن القيم، ومن الرسالة السنية للإمام أحمد، قرأت عليه أيضا مبادئ النحو في الأجرومية، وذكر أنه ما حفظ إلا إلى مرفوعات الأسماء، ولكن البقية أخذها بالتلقي، فعلمنا تعليما كاملا للنحو.

وهكذا أيضا قرأت عليه الرحبية في الفرائض قريبا من كمالها، وكان له إمام بها، فكان يقرئنا ويضرب لنا أمثلة للمسائل التي يمكن أنها تقع أو نحوها، ونتعجب أيضا من قوله: هلك هالك. عندما يريد أن يلقي المسألة: هلك هالك عن كذا وكذا.

(١) انظر موقع الشيخ رحمته الله: <http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=9&book=213&toc=83>

81&page=7310&subid=32468

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الثانية

في حدود سنة ثلاث وستين وفي حضرة الشيخ أبو حبيب رحمهما الله جاء أمر بتعليم العامة ثلاثة الأصول المختصرة، وكان الوالد هو الذي يلقتهم، فكنت أسمع منه، وكان أيضاً يلقتنا ويكررها علينا خصوصاً إذا كنا في المنزل أو منفردين حتى حفظتها، وصار يكلفني أن ألقنها للناس، إذا قيل لك: من ربك؟، بأي شيء عرفت ربك؟، لأي شيء خلقك الله؟، ما أول شيء فرضه الله عليك؟، إذا قلت مثلاً: خلقني لعبادته، ما هي العبادة؟، وهكذا ما دينك؟، وكم أركان هذا الدين؟، وهكذا من نبيك؟، وكم عمره؟، وأين بلده؟، وإلى أي بلد هاجر؟، فحفظنا ذلك في سن الثالثة عشرة أو الثانية عشرة، وأتقنا هذه الأصول».

هذه كانت بدايات تعلمه رحمته الله فوجوده بقرب البيئة العلمية، حيث كان والده طالب علم وكذا وجود الشيخ أبو حبيب، وكذلك الاستعداد للعلم الذي وهبه الله إياه من حب للتعلم وجد فيه وبعد عن اللهو، كان كل ذلك بتوفيق الله معينا على بدايات موفقة في طلب العلم، كانت أساساً لحياة حافلة بالطلب مليئة بالجد والمثابرة.

## القرآن أولاً

لقد كان جدي رحمته الله طالب علم يعي ما للقرآن من الفضائل العظيمة، ولذا فقد حرص على تعليم الوالد رحمته الله القرآن وأن يحفظه منذ الصغر.

يقول الوالد رحمته الله<sup>(1)</sup>: «لا شك أن القرآن أصل العلوم وأشرفها، وأن على طالب العلم أن يبدأ به كما ذكر ذلك العلماء، فقد ذكروا: أن الوالد عليه أن يبدأ أولاده بتعليم القرآن، ولا يعلمهم شيئاً قبله، ولذلك كان العلماء يبدؤون أولادهم بحفظ القرآن أولاً».

(1) قصتي في طلب العلم محاضرة جامع الصانع.



ولهذا كان **رحمة الله** يحثه على حفظ القرآن. وبخاصة أن الأسرة أسرة علم كما مر بنا، فجدي وجد أبي عبد الله وجدّ جدي إبراهيم وعم الوالد محمد بن عبد الله كلهم كانوا من حفظة كتاب الله<sup>(١)</sup>.

وفيما يتعلق بحفظ الوالد للقرآن فقد ذكر أنه في أثناء قراءته في المصحف على والده وعلى العم سعد بن عبد الله في محيرقة، حفظ جزء عم وبعض جزء تبارك إلى سورة الصف.

وكان جدي **رحمة الله** قد حرص على أن يتم الوالد حفظ القرآن، يقول الوالد **رحمة الله**<sup>(٢)</sup>: "بقي شيء ثقل عليّ وهو حفظ القرآن. فألزمني الوالد بأن أبدأ من آخر القرآن، فابتدأت وحفظت إلى أن وصلت إلى سورة الشعراء، يعني نحو اثني عشر جزءاً. وضعف نشاطي بعد ذلك. فبقيت أكثر من ثلاث سنين وأنا لم أتقدم، يعني من السن الثالثة عشر إلى السادسة عشر، يرسلني أقرأ في المسجد وليس في المسجد أحد يشجعني ولا أتنافس معه. لأن الجد والاجتهاد إنما يحصل غالباً إذا كان هناك من ينافس ويسابق، فكان وقتي يضيع دون أن أستفيد منه، وأرجع ولم أستفد إلا قليلاً، ولكني كنت ملازماً لما حفظته أحفظه وأكرره".

ويقول **رحمة الله**<sup>(٣)</sup>: "في ريعان الشباب لم يكن هناك حوافز تحمل على الإسراع في الحفظ ومواصلة التعلم؛ لقلة من يتولى التعليم أو من تحمل رؤيته على المنافسة والمسابقة؛ حيث نشأت في قرية الرين النائبة عن البلاد المتحضرة، وليس فيها دروس ولا معلمون، فأثرت في إضاعة جزء من الحياة نحو خمس سنين لم أتزود فيها بعلم يمكن تذكره".

(١) برنامج ابن جبرين عالم أمة للشيخ محمد المنجد.

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الثانية.

(٣) الفتوى رقم ٨٥١.

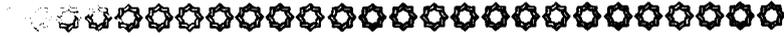
ويقول رحمه الله<sup>(١)</sup>: وطلب العلم في تلك السنين لم يكن فيه جدية؛ إنما يتعلم الطلاب وقت فراغهم وكانوا قلة: فالقرية التي كنا فيها وهي الرين وكذلك محيرقه ليس فيها طلاب يجتهدون ويجتهدون، فالموجودون إما طلاب قد كبروا وأسنوا، ولم ندرك نشاطهم في الطلب، واما صغار لم يكونوا قد بدأوا، أو منشغلون بخدمة آبائهم.

ومعلوم أن طالب العلم إنما يجد ويجتهد إذا كان هناك من ينافسه، المنافسة هي التي تحفز الهمم، وتدفع إلى الجد والنشاط في التعلم؛ فإذا كانت البلد خالية من الطلاب الذين لهم نشاط، فإن الطالب المبتدئ لا يكون معه تلك الهمة، ولذلك كان الآباء يضربون المثل لأبنائهم فيقولون: يا بني لا يسبقك فلان. احرص على أن تتفوق. كن سابقاً ولا تكن مسبوقاً. فإذا لم يكن هناك من ينافس أو يحمل على الغيرة بردت الهمم والعزائم. أهـ.

ويقول رحمه الله<sup>(٢)</sup>: "بعدهما وصلت إلى السادسة عشرة شعرت بأنني قد مضى عليّ وقت وأنا لم أستفد. فطلبت من الشيخ أبو حبيب رحمه الله، وطلب منه والدي أن أبدأ في القراءة عليه، فامتنع حتى أكمل حفظ القرآن، ولما رأيت أنه من الضروري عكفت على الباقي الذي هو نحو ثمانية عشر جزءاً، وابتدأت من سورة البقرة، فكنت أجلس في المسجد من الظهر إلى الليل وأنا أقرأ وأجد وأجتهد ولا ألتفت إلى أحد، حتى إن الشيخ رحمه الله وقف عليّ مرة وأنا أقرأ في المصحف في سورة يونس، وما رأيت أو أحسست بوقوفه ولم أرفع رأسي لأنظر من هو؟، وقف نحو ثلاث دقائق ينتظر أنني أكلمه، واشتغلت بالقراءة مكبا عليها إلى أن كلمني، ورفعت نظري وإذا هو فضيلة الشيخ

(١) أجوبة لأسئلة خاصة لدى الشيخ علي أبولوز.

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الثانية.



فكلمني بما يريد مني رحمة الله . وفي نحو ستة أشهر أو قريباً منها أكملت القدر الباقي عليّ من القرآن، الذي هو ثمانية عشر جزءاً، وأوصاني الشيخ ووالدي أيضاً بأن أكرر وأن لا أتغافل، وكنت ملتزماً منذ ابتدأت من سورة البقرة أنني أقرأ حفظي كل يوم مرة، إلى أن أكملت عشرة أجزاء وأنا أقرؤه كل يوم، إذا كان في الصباح ابتدأت من أول البقرة حتى أكمله في مجلس، وعندما كثر في مجلسين أو ثلاثة، ثم بعد ذلك أبدأ من حيث وقفت في الحفظ، وأوصاني والدي ألا أتمل ولا أتكاسل بل أستمر في الحفظ وفي تعاهد القرآن. على حد قول النبي ﷺ: «تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشدُّ ثقلًا من صدور الرجال من الإبل في عقلها»<sup>(١)</sup>.

ولما أكملت حفظه وكان آخر ما حفظته سورة الفرقان، ابتدأت أكرره وكنت أختمه في كل ثلاث ليال.

في تلك السنة التي أكملته فيها أمرني الشيخ أن أصلي صلاة التراويح بمسجد في القرية، وذلك في سنة سبع وستين، وكنت أصلي بهم من حفظي، وأطيل حتى إنني في العشر الأواخر قاربت أن أختم بهم ختمتين<sup>١١</sup>.

وبعد أن أكمل الوالد رحمة الله حفظ القرآن بدأ بطلب العلم على شيخه الشيخ أبو حبيب رحمة الله، كما سيأتينا إن شاء الله تعالى.

وقد سئل رحمة الله: هل حفظتم القرآن على أحد المجودين أم أن الاجتهاد في الحفظ كان شخصياً<sup>(٢)</sup>؟

(١) رواه البخاري في باب استذكار القرآن وتعاهده من كتاب فضائل القرآن رقم ٥٠٣٣. ومسلم في باب الأمر بتعهد القرآن من كتاب صلاة المسافرين برقم ٧٩١.  
(٢) السائل هو فضيلة الشيخ محمد المنجد، نقلًا من برنامج (عالم أمة)، وهو عبارة عن مقابلة مسجلة قام بها الشيخ محمد المنجد مع شيخنا رحمة الله.

فأجاب: كان الحفظ شخصياً، فلم يكن في القرية أحد يعمل بالتجويد إلا فضيلة القاضي، فإنه كان ممن قرأ على المشايخ علم التجويد، ولكن كأنه لا يعرف القواعد التجويدية إلا في بعض الأحرف كحروف القلقة ونحوها، وأما القراءة فإنه كان يقرأ مجوداً، وكان يحثنا على تطبيق التجويد، فيقول: هذا يمد كذا، وهذا يوجد كذا وكذا.

فمثلاً في آخر سورة الفاتحة قوله: (ولا الضالين) كان يحثنا على مدها كثيراً، وغيرها من الكلمات. ولذلك لما صليت بهم أول صلاة، لاحظ عليّ في سورة الفاتحة عدم المد الذي هو المد الطبيعي وكذلك المد المتصل".

وسئل: عن طريقته في حفظ القرآن<sup>(١)</sup> فقال: "الطريقة المثلى التي كان عليها مشايخنا ومعلمونا هي الجد والاجتهاد، وتكرار الآيات، حتى يتم حفظها، فأحدهم يقرأ الصفحة سبع مرات أو عشر مرات في المصحف، حتى يتحقق من صحة التلفظ بالكلمات، والأولى أن يعرضه على بعض الحفاظ، ثم يقرؤه نحو سبع مرات أو عشرًا، والمصحف معه قد أطبقه، ويفتحه إذا شك في كلمة، أو توقف فيها، ثم يقرؤه بعد حفظه سبع مرات أو عشر مرات، حتى يرسخ في ذهنه، ثم ينتقل إلى الصفحة التي بعدها، ولا يففل عن هذا المقطع بعد حفظه، بل يكرره كل يوم، ولمدة نصف سنة، ولو بلغ عشرة أجزاء، ثم ينتقل إلى ما وراءه".

أما عن المصاحف التي يقرؤون فيها في تلك الأيام، فيقول الوالد رحمه الله<sup>(٢)</sup>: كانت المصاحف موجودة وإن كانت قليلة، فكان عندنا مصحف يسمونه اسطنبولي وهناك مصاحف مصرية، ولكن الأغلب المصاحف الهندية، وذلك

(١) الفتوى رقم (١٦٠٣٥) بتاريخ ١٤٢٨/٣/٢٠هـ

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الأولى.



لأن الهند يطبع فيها مصاحف بكميات كبيرة وتهدى إلى الحرم، فيكون فيها زيادة فتباع بمكة، فكان الحجاج يشترونها فيأتون بها، ومع هذا فهي غالية وقليلة، وكذلك هناك الأجزاء، كجزء عم ومعه قاعدة يسمونها قاعدة بغدادية، فيها أنواع من الإعراب وأنواع من الهجاء كما هو معروف، فكانت المصاحف موجودة وإن كانت نادرة".

### حياة الطالب

كانت البذرة التي أنبتت حب العلم في قلب الوالد رحمة الله ذلك التحدي الذي واجهه به شيخه أبو حبيب رحمة الله جميعاً.

شروط عليه أن يحفظ القرآن قبل بداية القراءة عليه في كتب العلم، فعكف في المسجد ستة أشهر استظهر خلالها القرآن الكريم.

ومع أن جدي كان طالب علم وقرأ عليه الوالد كثيراً، سواء للتعليم أو للعرض والفائدة، إلا أن حياة الطالب الحقيقية لم تبدأ إلا مع الشيخ أبو حبيب، ولهذا سنعقد ما قبل ذلك من مرحلة التكوين الأولى، وليس من مرحلة الطلب.

مرحلة الطلب هي مرحلة الجهد والاجتهاد في تحصيل العلم، وهي تحتاج إلى همة وعزيمة وتفرغ، وقبل ذلك إخلاص واحتساب.

وكأني بالوالد يتمثل عبارة للشافعي سمعها فوعاها، يقول رحمة الله عنها<sup>(١)</sup>: "عبارة للإمام الشافعي رأيتها مكتوبة، وسمعتها من أفواه بعض كبار الأسنان، يقول رحمة الله: العلم بطي للزام، بعيد المرام، لا يدرك بالسهام،

(١) موقع الشيخ رحمة الله: <http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=9&book=213&toc=8380&p=7310&subid=32927>

ولا يرى في المنام، ولا يورث عن الآباء والأعمام. إنما هو شجرة لا تصلح إلا بالفرس، ولا تفرس إلا في النفس، ولا تسقى إلا بالدرس، ولا يحصل إلا لمن أنفق العينين. وجثا على الركبتين. ولا يحصل إلا لمن قطع المفاوز، ولا يحصل إلا بالاستناد على الحجر، وافتراش المدر، وقلة النوم، وصلة الليل باليوم.

انظر إلى من شغل نهاره بالجمع وليلة بالجماع، أخرج من ذلك فقيها؟ كلا والله، حتى يعتضد الدفاتر. ويستحصل المحابر، ويقطع القفار، ولا يفصل في طلبه بين الليل والنهار". أ.هـ.

تذكر أختي هيا هذا الدأب، فتقول<sup>(١)</sup>: "حكى لنا أمي عن أبي رحمه الله أنه كان قبل مجيء الكهرباء يخرج في الليل إذا كان القمر مكتملاً حتى يقرأ على ضوءه، وإذا كان الشتاء فإنه يخرج أيضاً ويجلس بين برميلين من الحديد حتى لا تؤذيه الرياح الباردة".

كان عمر الوالد رحمه الله عندما بدأ القراءة على الشيخ أبو حبيب سبعة عشر عاماً، يقول رحمه الله<sup>(٢)</sup>: "ابتدأنا بالقراءة عليه بعدما اخترنا في النحو والإعراب، ورأى أنني عندي معرفة".

وقد ابتدأ رحمه الله بالقراءة عليه في كتاب الواابل الصيب<sup>(٣)</sup>، ثم قرأ الكثير من الكتب.

يقول الوالد رحمه الله<sup>(٤)</sup>: "قرأت في كتب مطولة وفي كتب مختصرة، فقرأنا في الكتب المختصرة كتاب التوحيد ولكننا لم نكمله، وفي زاد المستقنع

(١) مذكرات الأخت هيا.

(٢) قصتي في طلب العلم.

(٣) صفحات من حياتي الحلقة الثانية.

(٤) صفحات من حياتي الحلقة الثانية.



ولم نكمله، وصلنا إلى حدود نصف البيوع أو قريبا من ثلثي كتاب البيوع، وفي النحو الأجرومية وشرحها لخالد الأزهري، وكذلك الرحبية وشرحها لسبط المارديني.

ونقرأ في زاد المستقنع فيشرح المتن، ثم نقرأ بعد ذلك الشرح أنا وابنه ناصر، نقرأ الشرح الذي هو الروض المربع، فيشرح أيضاً ويوضح بعض مسائله. كذلك نقرأ في ألفية ابن مالك في النحو. وكان قد قرأ فيها إلا أنه لم يكملها، فإذا وصلنا إلى المفعول المطلق المصدر:

المصدر اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل كأمن من أمن

نتوقف ونرجع ويقول: إن الباقي فائدته قليلة، فاهتمنا بقراءة أولها.

وأما بقية القراءات فإنها في كتب مطولة، ابتدأت في سبل السلام وكملته قراءة للشرح، وقليل أن يعلق الشيخ عليه، أو يشرح شيئا من جملة، إلا إذا سئل أو كانت عبارة مبهمة أو شيء مما يستنكر.

لما مر بقول النبي ﷺ: «إن ربكم حيي كريم»،<sup>(١)</sup> ذكر الشارح أن صفة الحياء كالصفات الفعلية تؤمن بها ولا نكيفها فشجعه على ذلك، وقال هذه طريقة أهل السنة.

والكتب المطولة التي قرأتها عليه كثيرة، فمنها جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب، أقرأ بعد العصر كل يوم ورقة أورقتين أو نحوها وقد قرأته كاملاً، وبعد المغرب أقرأ في كتب التفسير

(١) حديث صحيح رواه أبو داود في سننه في باب الدعاء من كتاب الوتر برقم ١٤٩٠. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٠٧٠).

فكملت تفسير ابن جرير مع طوله في نحو سنتين، لأنها سرديّة من بعد المغرب إلى قرب العشاء إذا لم يكن معي من يشاركني، ويكون هناك مستمعون يصل عددهم إلى عشرين من العامة الذين يحضرون، ويحضر بعض الذين عندهم تمكن كالشيخ محمد بن مسعد رحمة الله، وأحياناً يكون معي ابن الشيخ ناصر، فإنه يقرأ في تفسير ابن كثير، ويقرأ في الدرر السنية، ويقرأ في تاريخ ابن كثير. أما وقت القراءة<sup>(١)</sup> فنبدأ في القراءة بعد الفجر، فنقرأ عليه في المسجد في النحو وولدة ساعة أو ساعة ونصف، وبعدها تطلع الشمس بنحو عشر دقائق نتفرق لتناول القهوة والأكلة القديمة، يسمونها فك الريق، ويسمونها تريقاً، الذي يسمى الآن الإفطار، وبعد الظهر نقرأ في زاد المستقنع، وبعد العصر يقرأ مجموعة في ثلاثة الأصول وفي شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، وأقرأ أنا في شرح الخمسين، ويقرأ ناصر في بعض الكتب، وبعد المغرب إلى العشاء في بيته كله قراءة إلى أن يؤذن العشاء، وهكذا نقرأ كل وقت، والغالب أنها قراءة إمرار، لا يكون فيها تعليق، ويكتفي الشيخ بوضوح المعاني.

وقرأت عليه تفسير ابن كثير، والبداية والنهاية له أيضاً، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، ومختصر سنن أبي داود، وبعض سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذى. وقرأت عليه سبل السلام شرح بلوغ المرام النسخة الهندية، التي جاء بها الوالد من قطر، أكملتها عليه رحمه الله. لكنها قراءة سريعة. وقرأت بعض نيل الأوطار على منتقى الأخبار. أ.هـ.

وكان جل القراءة عليه في كتب الحديث ابتداء بصحيح مسلم ثم بصحيح البخاري ثم مختصر سنن أبي داود وبعض سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذى.

(١) برنامج ابن جبرين عالم أمة للشيخ محمد المنجد.





وكذا قرأ في كتب أخرى في الأدب والتاريخ والتراجم.

وكل هذه الكتب قرأها الوالد على شيخه أبو حبيب في الرين قبل انتقاله مع شيخه إلى الرياض. وبعضها كرر قراءته على شيخه مراراً. وقد استفاد من ذلك كثيراً، وحصل على علم كثير وخير وفير.

وكان رحمته الله يذاكر مع أقرانه، ولو غاب الشيخ فإنه يدارسهم يقول <sup>(١)</sup>:  
"مما تدارسناه مقدمة الجواب الكافي في آداب الدعاء وشروطه، وفوائده وثمراته".

وقبل أن نختم الكلام على هذه المرحلة من حياة الطلب نقف مع بيئة من البيئات اللطيفة التي كان لها أثر في الصبغة الأدبية التي يحلي الوالد رحمته الله بها علومه، وهي تتلمذه ومجالسته وصحبته للشيخ الأديب الأريب صالح بن مطلق رحمته الله.

وكان الشيخ صالح إماماً وخطيباً في إحدى القرى بالرين. وقد قرأ عليه الوالد رحمته الله بعض الكتب في العقيدة والحديث، وحضر مجالسه التي كان يفوق فيها الأكابر والعلماء، ويأتي بالعجائب والغرائب.

كان يذهب إليه راجلاً بصحبة والده رحمته الله، وبعض زملائه للتزود من علمه، والاستفادة منه يوماً أو نصف يوم، وكانت قرينته تبعد عنهم نحو ثمانية كيلومترات، وكان يقطعها ماشياً في ساعتين تقريباً.

وقد صحبه في سفره للحج مرتين، كانت الأولى سنة ١٣٦٩ هـ، وهي أول حجة للوالد رحمته الله، وسنذكر تفاصيلها في أثناء الكلام عن حجه رحمته الله.

(١) رحيل العلماء خطبة للشيخ محمد المنجد.

ونذكر هنا أن الوالد رحمه الله كان يحرص على استغلال كل لحظة ليستفيد من الشيخ ابن مطلق في أثناء سفرهم للحج، فيقرأ عليه في وقت الصباح قبل الركوب ووقت القيلولة وأوقات جلوسهم عندما يفرغون من بعض أعمال الحج.

وقد استفاد من مجالسته كثيراً، فقد كان أديباً يحفظ من النظم ما يزيد على خمسين ألف بيت، فضلاً عن الأشعار والمقامات والقصص واللطائف والظرائف والفوائد والفرائد.

### الانتقال من الرين إلى الرياض:

في عام ١٢٧٤هـ بدأت مرحلة جديدة من مراحل الطلب في حياة الوالد رحمه الله، وهي انتقاله من الرين إلى الرياض مع شيخه عبد العزيز الشثري أبو حبيب، وقد ذكرت أحداث هذه الرحلة فيما مضى.

وقد استمرت قراءة الوالد على شيخه الشيخ أبو حبيب رحمه الله حتى توفى أبو حبيب رحمه الله في عام ١٢٨٧هـ في الرياض، ولكنه بعد أن تخرج في الكلية قلت قراءته عليه لانشغاله بالتدريس ونحوه.

وقد درس الوالد في الرياض على الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، وهو من أشهر المشايخ الذين قرأ عليهم ولازم دروسهم، وسنهتم هنا بدراسة الشيخ عليه في غير الدراسة النظامية: لأن هذه سنذكرها بالتفصيل فيما بعد.

فقد قرأ الوالد رحمه الله على الشيخ ابن إبراهيم في المسجد في الحديث والنحو والصرف والمصطلح وأصول الفقه وغيرها من العلوم.



و حضر للشيخ ابن إبراهيم دروساً أخرى، يقول الوالد رحمة الله<sup>(١)</sup>:  
 "كان الشيخ محمد يدرس السنة الرابعة التي أنا فيها، ويدرس السنة الأولى  
 الطلاب المبتدئين، كان يدرسهم ثلاثة الأصول والأجرومية والأربعين النووية.  
 فكنت أحضر له في درس ثلاثة الأصول، فكان يشرحه ويأتي بفوائد عجيبة  
 يستنبطها من ذلك المتن. وهكذا أيضاً في شرحه للأربعين النووية.

وكان رحمة الله تعالى متوغلاً في علم التوحيد، وحضرنا له درساً في السوق،  
 وكان إذا انتصف الضحى جاء إلى السوق وقرؤوا عليه باباً من أبواب كتاب  
 التوحيد، ثم يشرحه شرحاً واسعاً، ويتوسع في ذلك الباب.

ومع أنه لا يوجد هناك مكبر، ولكن أهل السوق يجلسون ويستمعون إلى  
 درسه، وهم متقاربون في ذلك الوقت، لأن الدكاكين صغيرة، وكانت في جنوب  
 وشرق الجامع من بنايته القديمة.

وقد أعطي ذكاءً وفقهاً في هذا الكتاب، حتى إنه يستخرج منه فوائد  
 عديدة زيادة على المسائل التي استنبطها المؤلف، ويشرح الجمل شرحاً بليغاً،  
 ويطبّقها على الواقع، وأتذكر أنه قرئ عليه باب احترام أسماء الله تعالى،  
 وتغيير الاسم لأجل ذلك. وفيه حديث أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم،  
 فبعد ما شرح الباب قال: إن الناس يتساهلون في هذه الأسماء، فيسمون بما  
 يقرب من أسماء الله تعالى، ثم قال: إن من الناس من يسمي عبد العزيز:  
 عزيز، ويسمون عبد الرحمن: دحيم، وأخذ يمثل بمثل هذه الأسماء، وهذا لا  
 يجوز، فإن ذلك تغيير لأسماء الله، وأسماء الله يجب أن يكون لها مكانتها. ولما  
 تكلم على باب ما جاء في المصورين، كان التصوير قد ظهر في ذلك الوقت.

(١) محاضرة للوالد رحمة الله بعنوان: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ومنهجه في التعليم.

فأخذ ينكر على الذين يتوسعون في التصوير، بأي نوع من أنواع التصوير، ثم استطرد وذكر ما انتشر من الكتب المليئة بالصور، فذكر أنها كتب لا فائدة فيها، ولا أهمية لها، ومع ذلك يوجد في جوانبها كثير من الصور، وكذلك المجلات، وأخذ ينكرها، وقد استجاب لذلك كثير من الذين سمعوه، فرجعوا ومزقوا ما عندهم من الصور.

وكان الشيخ محمد بن إبراهيم يقوم بإلقاء درس في مسجده وقت العشاء بين أذان العشاء والإقامة، يقرأ عليه الشيخ عبد العزيز بن شلهوب رحمهما الله، يقرأ في تفسير ابن جرير قطع منه شوطاً في هذا الوقت القصير، يكون له تنبيهات على هذا التفسير وإلقاء فوائد، فكنا نحضر لأجل أن نستفيد."

وقد لازم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله ملازمة تامة، وصار من أبرز تلامذته في تلك المرحلة، وكتب عنه الكثير من شروحه وأماله القيمة كما سيأتي.

وكان في المساء يحضر دروساً لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بعد العصر وبعد المغرب، ففي سنة أربع وسبعين تولى الشيخ ابن باز إمامة الجامع الكبير فأحياه بالدروس.

يقول الوالد رحمته الله<sup>(١)</sup>: "كنا نحضر بعد العصر، وكان رحمته الله يقرأ عليه مجموعة من الطلاب عبد الرحمن بن مقرن في صحيح مسلم وشرحه للنووي وبلوغ المرام، ويقرأ عليه بعضهم قراءة خاصة حفظاً، العقيدة الواسطية يشرحها أيضاً لبعضهم، يقرأ عليه الشيخ فهد بن حمين إعلام الموقعين، يقرأ عليه مجموعة في كتب متفرقة، فمنهم من يستمر ويواصل، ومنهم من ينقطع

(١) صفحات من حياتي الحلقة الرابعة.





فنهض ونستفيد ، وبعد المغرب يجعله للفرائض ، وكان متوغلا في علم الفرائض ، فبدأ بشرح الجمل التي يريد أن يسأل عنها الطلاب ، الذين قد يزيدون على الثلاثين ، ثم إذا انتهى من شرحها أخذ يلقي عليهم أسئلة فرضية " .

وحضر مجالس سماحة الشيخ عبد الله بن حميد منذ أن قدم الرياض ، واستفاد منه كثيرا في الأحكام والقصاص والعبر والتاريخ والنصائح ، كما هو مشهور بذلك (١) .

وفي سنة خمس وسبعين أمرهم الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله أن يقرأوا علي الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في الأصول ، يقول رحمته الله عن ذلك (٢) : " قرأنا عليه الورقات إلا أننا لم نكملها ، وسبب ذلك توسعه ، كان يقول لنا: ما رأيت هذه الورقات ولا قرأتها قبل ذلك ، ولكن معانيها و عباراتها نعرفها في كتب الأصول الأخرى . لأن الذي ألفها أمام الحرمين الشافعي ، ولم تكن كتب الشافعية متوافرة عندهم في المغرب ولا في أفريقيا ، لأن الشائع عندهم هو المذهب المالكي .

كنا إذا انتهى من شرح جملة طلبنا منه أن يملي علينا ملخصا فأملى علينا ، ولا يزال ملخصه موجودا عندنا ، وكان له محاضرات أو دروس بمسجد الشيخ محمد بن إبراهيم ، يلقي فيه محاضرات في تفسير القرآن . نحضر عنده ولا نستطيع أن نتابعه ، وذلك لما رزقه الله من الحفظ وسرعة البديهة وسرد الشواهد وما أشبهه " .

(١) ترجمة الوالد في موقعه الإلكتروني .

(٢) قصتي في طلب العلم .

## التعليم النظامي

ذكرت أنه رحمة الله في عام ١٣٧٤هـ قدم من الرين إلى الرياض مع شيخه عبد العزيز الشثري أبو حبيب، الذي طلبه الشيخ محمد بن إبراهيم ليكون مدرساً في معهد إمام الدعوة، وقد جلب الشثري معه بعض تلاميذه وأحقرهم بهذا المعهد.

وقد سعى الشيخ ابن إبراهيم لإنشاء أحد المعاهد العلمية، وسماه بـ (معهد إمام الدعوة)، وجعله متمحزاً للعلوم الشرعية، ودعني أسوق لك من كلام الوالد رحمة الله قصة بدايات هذا المعهد ودراسته فيه، يقول عن ذلك<sup>(١)</sup>: "عندما أتيت إلى الرياض في سنة أربع وسبعين، وذلك بعدما فتح المعهد العلمي<sup>(٢)</sup>، وانتظم فيه خلقٌ كثير، وبقي آخرون أغلبهم من المكفوفين لم يلتحقوا بالمعهد؛ وذلك لأن فيه علوماً لا تناسبهم وتصب علىهم؛ فعزم الشيخ رحمة الله على أن يفتح معهداً خاصاً.

جئنا في أول شهر صفر أو في وسطه، وكان لم يتم في ذلك الوقت تأسيس المعهد، بقينا مدة نتظر، وكان أول ما جلس الشيخ محمد رحمة الله أن جلس بعد صلاة الفجر واجتمع حوله الكثير من الطلاب، جلسنا معه، وإذا هو يذكر لنا عزمه على هذا المعهد، وقال: إن هنا هؤلاء التلاميذ لم يرغبوا في المعاهد العلمية، لأن فيها علوماً لا تناسب كعلم الجغرافيا ويسمى التقويم وعلم المطالعة والإملاء والمحفوظات وما أشبه ذلك، وأن هذا المعهد سيكون خاصاً بالعلوم الشرعية، وذكر أنه يشتمل على عشرة فنون، وأخذ يعددها بأصابعه

(١) هذه المعلومات مستقاة ومنسقة من "برنامج صفحات من حياتي، وترجمة الشيخ في موقعه الإلكتروني، ومحاضرة قصتي في طلب العلم، وبرنامج ابن جبرين عالم أمة للمنجد".

(٢) يريد معهد الرياض العلمي، فإنه افتتح قبل معهد إمام الدعوة.





-ونحن ننظر-: التوحيد والعقيدة والفقہ وأصول الفقہ والحديث والمصطلح والتفسير وأصول التفسير والنحو والفرائض، لا يخرج عن هذه العلوم، ثم ذكر أنه صنف الطلاب إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الذين هم متفوقون، ولهم سابق قراءة يكونون في السنة الرابعة. وبعدهم طلاب قريب منهم في السنة الثالثة.

وبعدهم طلاب أيضاً معهم مبادئ في السنة الثانية.

وأغلب الطلاب في السنة الأولى، وإن كان فيهم أيضاً بعض التلاميذ المتفوقين. ثم قرر أن الشيخ أبو حبيب يدرس السنتين الثانية والثالثة.

والتزم هو رحمة الله بأن يدرس السنة الرابعة والسنة الأولى الذين هم الأكثرية. في السنة الأولى من افتتاح المعهد سنة أربع وسبعين كانت الحلقات كلها في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم، وكان يسمى قديماً: مسجد عبد الله، وهو ملاصق للمحكمة الكبرى القديمة.

ثم في السنة الثانية في سنة خمس وسبعين جعلوا الدراسة في المعهد الذي يُعرف بمعهد إمام الدعوة، ولا يزال يحمل هذا الاسم، وكان مكانه بقرب مبنى المحكمة العامة في وسط الرياض.

ولما كان عندنا مبادئ علوم أسقطوا عنا القسم التمهيدي، وكان المعهد عشر سنوات سنتين تمهيدي وأربع سنين ثانوي وأربع سنين عالٍ يعادل الكلية، فانتظمتنا في القسم الثانوي.

شيخنا المعتمد هو محمد بن إبراهيم، كان يجلس لنا كل يوم ما عدا يوم الجمعة، نقرأ عليه بعد الصباح إلى أن تنتشر الشمس الساعة الثانية بالتوقيت العربي، قريباً من الساعة الثامنة صباحاً.

هذه دروس الشيخ في الصباح، وتحتسب حصتين بعد صلاة الفجر مباشرة.

كنت أنا في السنة الرابعة، واستمر الشيخ محمد يدرسنا لمدة ثمان سنوات، نقرأ أولاً في زاد المستقنع وشرحه الروض المربع، كملناه في المرحلة الثانوية، ثم أعاده علينا في المرحلة التخصصية العالية فكملناه مرتين، وكان يكلفنا بحفظ الزاد، وإن كان بعضنا قد يعجز، ويكلفنا أيضاً: بحفظ بلوغ المرام، وقرأناه أيضاً مرتين في المرحلة الثانوية والمرحلة العالية، كذلك في العقيدة قرأنا عليه الواسطية والحموية، وكذلك فتح المجيد بأكمله، وكتاب الإيمان لابن تيمية وشرح ابن أبي العز للطحاوية،، وكان يشرحه شرحاً متوسطاً، وكان يعلق على الجملة أو على المقطع تعليقاً خفيفاً؛ وذلك لأنه يثق بأنه ظاهر، وأن هذا الكتاب إن شرحه شرحاً موسعاً فسيطول، وقد كان بعض زملائنا يتابعونه بالكتابة منهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، فإنه سريع الكتابة يكتب كلام الشيخ ولا يفوته إلا القليل، حتى ذكر أنه لما شرح الشيخ الحموية كتب شرحه في نحو أربعة وعشرين دفترًا، الدفتر فيه أربعون صفحة، وكان يكتب بقية الشروح الحديث والفقه وغير ذلك قل أن يفوته شيء، وأما البقية فإنما يكتبون الفوائد النادرة على هوامش الكتب وفي دفاتر، وقد كتبت أنا في دفاتر كثيرة ما تيسر من الفوائد، أكتب صفحة الكتاب وكذلك أيضاً رقم الحديث في البلوغ، ثم أكتب ما تيسر عليه، وتوجد عندنا هذه الدفاتر التي بها الفوائد، أو أعلق في الكتب الكلام الذي نلقاه من مشايخنا الشيخ محمد ابن إبراهيم أو الشيخ ابن باز، وكذلك أيضاً بعض المشايخ الذين ألقوا علينا.

وقد استمر سماحته في التدريس حتى أنهينا القسم العالي في آخر سنة ١٣٨١هـ؛ حيث توقف عن التدريس الرسمي، وانشغل بالإفتاء ورئاسة القضاء..



وبالنسبة إلى دروسه معنا فإنه **رحمة الله** قد أسند إليه أعمالاً كثيرة، فأسند إليه رئاسة الإفتاء وكان يداوم فيها غالب الأوقات، وكذلك رئاسة القضاة كانت تأتيه أمور القضاة ومعاملاتهم، وأسندت إليه رئاسة المعاهد والكلية، فكانت مرجعها إليه.

ولا شك أنه مع كثرة هذه الأعمال قد ينشغل قلبه ويحدث له شيء من القلق ومن التعب ومن السأمه مع كثرة الأعمال التي ترد إليه.

ولأجل ذلك نرى تأثير ذلك في دروسه، فأحياناً يكون متفرغ البال، فارغ القلب منشراح الصدر، فنرى في دروسه العجائب، بحيث إنه إذا شرح الحديث يستطرد ويذكر أمثلة، ويذكر ما يتعلق به، وما يستنبط منه.

وبعد درسي الفجر للشيخ محمد بن إبراهيم نذهب إلى منازلنا لتناول الفطور، ثم نرجع بعد ساعتين أو ساعة ونصف، ونتلقى بقية الدروس في المسجد. ويأتينا مدرسون من أشهرهم: إسماعيل بن محمد الأنصاري وحماد بن محمد الأنصاري.

كذلك الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد الذي درسنا أربع سنين في الفرائض، لأنه المؤلف لكتاب عدة الباحث في الفرائض.

كذلك أيضاً من المدرسين المتعاقدين: عبد الحميد بن عمار جزائري درسنا في التفسير سنتين في تفسير الجلالين وفي تفسير ابن كثير.

ومحمد البيحاني حضرمي يدرسنا في الحديث.

وأكثرهم ملازمة لنا الشيخ إسماعيل الأنصاري، فإنه الذي لازمنا من سنة خمس وسبعين إلى سنة إحدى وثمانين.

درسنا عليه تفسير الجلالين، ويحضر معه أيضاً تفسير ابن كثير  
لنرجع إليه.

ودرسنا عليه الحديث بلوغ المرام.

ودرسنا عليه النحو.

درسنا عليه في أصول الفقه الورقات وشروحها، وكان يلخص لنا  
الدروس.

ودرسنا عليه في الصرف لامية الأفعال لابن مالك.

وفي المصطلح نخبة الفكر وألفية العراقي، يقرأ علينا من الشروح،  
ويضرب لنا الأمثلة، ويوضح ما فيه إشكال.

وفي سنة خمس وسبعين قرروا أننا نقرأ على شيخنا عبدالعزيز بن باز  
في المصطلح نخبة الفكر، فالتزمنا بأن نحفظها ونقرأها، وألقى علينا فيها  
اختباراً هو الذي يصحح ذلك.

وكذلك أيضاً اختبار الحديث أسند إليه وضع الأسئلة في بلوغ المرام،  
تعرف من الأسئلة أنه رحمة الله واسع العلم، يسأل عن استنباطات قد لا يتفطن  
لها إلا الأذكياء والأقوياء، ولكن نكتب عليها ما تيسر مما يدل على عمق غوره  
ومعرفته بالاستنباطات من الأحاديث رحمة الله تعالى.

وقرأنا عليه قراءة نظامية في سنة سبع وسبعين في كتاب بلوغ المرام،  
وكان يشرح لنا شرحاً وافياً، ومعنا محمد بن قاسم رحمة الله كان سريع الكتابة  
نحن لا نكتب إلا الفوائد القليلة التي تعرض والتي نتمكن من كتابتها. وأما



الشيخ محمد فإنه سريع الكتابة فكان يكتب كلامه بحسب ما يقدر عليه، ولم تكن هناك مسجلات متوافرة.

اختبرنا تلك السنة اختبارين: اختباراً نصفياً، واختباراً نهائياً، ولما انتهينا من الاختبار النهائي وإذا عددنا قليل يمكن أنهم ثمانية، فكان الشيخ محمد بن ابراهيم تقالهم، ذلك لأنه في تلك السنة اشتدت الحاجة إلى نصب قضاة، وأخذ منا نحو نصفنا أو ثلثينا نصبوا قضاة.

كان منهم الشيخ محمد بن جابر رحمته الله تولى القضاء في المستعجلة، والشيخ إبراهيم النغمشي رحمته الله تولى القضاء في الحريق، والشيخ إبراهيم الخنيزان رحمته الله اشتغل بالتعليم، والشيخ محمد بن صالح السحبياني رحمته الله تولى القضاء في بلاده البدائع.

لما انتهينا من الاختبار النهائي قال الشيخ محمد: يصعب علينا أن نجعل لكم سنة خامسة، ولكن تبقون في سنتكم ونضم إليكم خريجي السنة الثالثة ليكونوا معكم، فبقينا في رابعتنا وواصلنا الدراسة إلى أن أنهيناها في سنة ست وسبعين، كنا أربعة عشر طالبا، وأعطونا مؤهلات (شهادات)، وكان ترتيب الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم رحمته الله الأول، وكنت أنا الثاني.

يقول الوالد رحمته الله معللاً تفوقه: "ويرجع ذلك إلى تفرغي وإكبابي على الدراسة، مع انشغال زملائي بأهاليهم وأمورهم الخاصة، مع أن في زملائي من يفوقني في السبق والذكاء وكثرة المعلومات". ولعل هذا من تواضعه رحمته الله.

وقد كان الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله معجباً بالوالد رحمته الله، حتى إنه طلبه تلك السنة التي تخرج فيها لتولي القضاء، ولكن الوالد اعتذر بالدراسة

والشوق إليها، وأنه يريد أن يكمل مسيرته العلمية، وسنذكر قصة طلبه للقضاء في موضعها إن شاء الله تعالى، ففيها لطافة ودلالة على الورع وحب العلم.

### شهادة الماجستير،

في عام ١٣٨٨هـ انتظم الوالد رحمة الله في المعهد العالي للقضاء لدراسة الماجستير، ودرس فيه ثلاث سنوات حتى عام ١٣٩٠هـ: حيث منح درجة الماجستير بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وكان عمره إحدى وأربعين سنة.

يقول رحمة الله عن هذه المرحلة<sup>(١)</sup>: "كانت الدراسة فيه ثلاث سنين دراسة قوية، بحيث إنهم يدرسون كتباً طويلة كبيرة في السنة الأولى، كان يدرسنا الشيخ مناع القطان رحمة الله دراسة موجزه في بعض المواضيع، ودراسة موسعة، وحيث إن المعهد إنما وجد للعلوم القضائية فاسمه المعهد العالي للقضاء، فيبحث في المعاملات وفي العقود وفي الأنكحة، والمشايخ الذين درسونا معروفون. وأشهرهم الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمة الله، وسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمة الله في الفقه طرق القضاء، وكنت أتابعه وأكتب ما يقوله، وقد استفدت كثيراً من كتابة دروسه، وذلك أنه كان يختصر، ولكنه يستوفي ويذكر الراجح من الطرق التي هي طرق القضاء، وكيف يكون قاضياً، ومتى يقضي؟ وما أشبه ذلك.

في سنة تسعين أو تسع وثمانين جاءنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي كإنتداب، وألقى علينا دروساً في أصول الفقه، وأخذ يتوسع في الأدلة والشواهد مما يدل على تبخره في هذه العلوم.

(١) راجع صفحات من حياتي الحلقة الرابعة وترجمة الشيخ في موقعه الإلكتروني وقصتي في طلب العلم.



أنهينا الدراسة في سنة تسعين، وكان يكلف كل طالب أن يكتب رسالة، فكتبت رسالة بعنوان: أخبار الأحاد في الحديث النبوي، وأشرف عليها الشيخ عبد الرزاق رحمته الله، والذين ناقشوها الشيخ مناع القطان والشيخ حسنين مخلوف ولم يشددوا في المناقشة، وذلك احتراماً للشيخ عبد الرزاق، وجعلوا النتيجة تسعين يعني امتياز بحمد الله، وكتبوا عنها تقريراً مفيداً، مع أن البحث كتب في مدة قصيرة، ولم تتوافر لديّ المراجع المطلوبة، وقد لقيت مشقة في البحث عن مواضع المسائل، واضطرت إلى الاختصار رغم سؤال المشرف وغيره، وقد طبع عام ١٤٠٨هـ في مطابع دار طيبة ثم أعيد طبعه مراراً، وهو موجود مشهور، وكنت أتمنى أن أتوسع فيه ولم يتيسر، ولو أردنا التوسع فيه لوجدنا مجالاً، وذلك لأننا ابتلينا في هذه الأزمنة بمن يكذب بأخبار الأحاد، وقد حملني على الكتابة فيه محبة الحديث وفضله، وما رأيت في كتب المتكلمين والأصوليين من عدم الثقة بخبر الواحد، سيما إذا كان متعلقاً بعلم العقيدة، وقد رجحت قبوله في الأصول كالفروع". أ.هـ.

#### شهادة الدكتوراه

وفي عام ١٤٠٠هـ سجل رحمته الله في كلية الشريعة لدراسة الدكتوراه وانتهى منها عام ١٤٠٧هـ، وحصل على درجة الدكتوراه، ومنح الدرجة بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى. وقد حصل على هذه الدرجة وعمره ثمانية وخمسون عاماً.

كان المشرف الدكتور عبدالله الركبان، ولجنة المناقشة مكونة من سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ مفتي عام المملكة حالياً، والشيخ صالح ابن محمد اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى سابقاً.

يقول الشيخ رحمه الله عن هذه المرحلة<sup>(١)</sup>: " في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وألف رأيت أنني أقوم بتحقيق شرح الزركشي على مختصر الخرقى، وهو أشهر شروحه التي تبلغ الثلاثمائة بعد المئني لابن قدامة، وكان آل الجميع قد رغبوا في طباعته فأشار عليّ بعض الإخوة أن أسجله كرسالة للدكتوراه، وقبلت ذلك كلية الشريعة، واشتغلت بتحقيقه ولما وصلت إلى كتاب النكاح وإذا هو كبير طلبت من الكلية الاكتفاء بهذا ووافقوا على ذلك، ونوقشت كرسالة، المشرف أخونا الشيخ عبد الله بن ركيان، وذلك لأنه سبقنا بأخذ الدكتوراه بنحو ثمان سنين أو أكثر، وأشرف علينا وكان يدقق في الملاحظات وتنزل على رغبته، ناقشنا فيه الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله آل الشيخ والشيخ صالح بن محمد اللحيدان، ووافقوا على منحي درجة الدكتوراه، وبعدهما حصلت المناقشة اشتغلت بتكميل الكتاب فحققت بقيته الذي هو كتاب النكاح وما بعده وطبع في مطابع شركة المبيكان للنشر والتوزيع في سبعة مجلدات كبار، وقد تكرر طبعة ثلاث مرات وتم توزيعه وبيعه في أغلب المكتبات.

يقول الشيخ أحمد عبدالرحمن الكوس من الكويت<sup>(٢)</sup>: " أذكر أنني حضرت مناقشة رسالته للدكتوراه في عام ١٤٠٧ هـ في كلية الشريعة بالرياض بمنطقة البطحاء، ووقتها احتار الطلاب من سينا قش العلامة ابن جبرين في رسالته للدكتوراه، وقيل وقتها: إن سماحة المفتي الشيخ ابن باز هو من سينا قشه، ولكن بعد ذلك تبين أن هيئة المناقشة كانت مكونة من سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ مفتي المملكة حالياً والشيخ صالح اللحيدان، وقد حرصت على التبكير للحضور، وما أن دخلت قاعة كلية الشريعة فما هي إلا

(١) انظر: قصتي في طلب العلم.

(٢) <http://www.alwatan.com.kw/Default.as...&AuthorID=1041>



دقائق معدودة فإذا هي تمتلئ ولا يجد بقية الطلاب مكاناً للجلوس، وقد بدأت المناقشة من خلال بعض الأسئلة الشكلية، وبعد نصف ساعة على ما أذكر انتهت المناقشة تقديراً للشيخ ابن جبرين ولكانته وعلمه والثقة به، حيث لم يتم التدقيق والاسترسال في التفاصيل، ونال الامتياز مع مرتبة الشرف".

لقد جمع **رحمة الله** بين مختلف طرق التعليم قديمها وحديثها، ووفقه الله للحصول على الشهادات العليا ولم يكن بحاجة إليها لا وظيفياً ولا معنوياً، ولكن همته في الوصول للمعالي كانت تسوقه إلى كل مجال فيه تميز وفائدة.

### صداقة الكتاب

الكتاب هو أنيس طالب العلم وأنسه، بل هو طعامه وشرابه، ولقد كان للكتاب في حياة الشيخ الوالد **رحمة الله** حظوة وحضور، سواء للتعلم أو للفائدة أو للاطلاع أو للفحص والتقويم أو للتسديد والتقديم.

وسنخصص الحديث في هذا الموضوع عن القراءة الفردية، التي لا يقصد بها طلب العلم على المشايخ والمذاكرة الخاصة بذلك.

ولنبداً في صحبة الوالد **رحمة الله** للكتاب من أوله، ففي أيام الصبا والشباب كان الوالد **رحمة الله** محباً للكتب يأنس بها أكثر من أنسه بمجالس الناس وأحاديثهم، يحدث **رحمة الله** عن ذلك فيقول: «كان الوالد عنده مكتبة تحتوي على مجموعة من الكتب، بعضها عن آبائه وأجداده، من كتب الجد الأعلى حمد بن جبرين **رحمة الله**، بقية كتبه التي كان يكتبها، كسنة أبي داود نسخة خطية، وجزء من بهجة النفوس مطبوع، ولكنها طبعة قديمة ونسخة مخطوطة أيضاً، وكذلك تفسير ابن كثير ولكنه مختصر مخطوط، والروض

المربع مخطوط أيضا، وكتب أخرى في فنون متعددة، وكذلك أيضا خطب كان يخطب بها العم محمد رحمة الله، والجد عبد الله، وأبو الجد إبراهيم، لهم رسائل ينقلون بها خطبا إما إنهم ينشئونها، وإما إنهم ينقلونها من كتب أخرى، وقد ضاع كثير منها، وهكذا كان الوالد يشتري كتباً قديمة أو حديثة، حتى حصل على مكتبة ضخمة، وكنت في حال غيبته أعكف على القراءة في هذه الكتب، أقرأ في سيرة ابن هشام وأعجب بما فيها من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وعلامات النبوة التي يذكرها، وفي سبل السلام وسنن أبي داود، وقد قابلته على مختصره الذي اختصره المنذري، ووجدت تفاوتاً في مواضع تقديماً وتأخيراً، هكذا هذه قراءتنا الفردية تحصلنا فيها على فوائد كثيرة». أ.هـ.

هذه كانت البداية ونشأت بعدها علاقة حميمة بين الوالد رحمة الله والكتاب، وكل من صحبه بل من عرفه لاحظ هذا الشغف بالقراءة والإقبال على المطالعة في الكتب.

تقول أختي هيا في مذكراتها: «يشهد له أقرانه منذ صباه بزهده في اللعب معهم وحبه الشديد للكتب، فكانوا يسخرون منه ومن كتبه ولم يكن يلقي لسخريتهم بالأ.

مع أنه يتهم نفسه بالفطور والتقصير في طلبه للعلم. لكن الواقع ينفي ذلك. فما أن يرى كتاباً مع أحد حتى يأخذه وينشغل به ويقبله.

أذكر أنني رأيتُه يهدى له كتاب في الحديث ففرح به وسأل عن مؤلفه، وجلس يقرأ فيه ونسي من حوله، وكنا جئنا للسلام عليه، فقالت إحدى الحاضرات لمن أهدى الكتاب: لم تهديه الآن؟ الآن لن يكلمنا، بل سيفوص في كتابك هذا، لكنه أغلق الكتاب بسرعة لما سمعها، وقال: نعم.. ماذا عندكم؟



وكان في أسفاره معنا لا بد أن يصطحب حقيبة للكتب، ويجعلها بقربه في السيارة. ويقرأ منها في أثناء الطريق كله، حتى يحل الليل ثم يفلق كتابه.

وعندما نكون في نزهة أو في البر يجلس معنا قليلاً، ثم يأخذ كتبه إلى ظل شجرة أو صخرة ويجلس مع كتابه ليؤنسه، وليس معنى ذلك أنه كان عازفاً عن أهله، بل كان ضئيلاً بوقته حريصاً عليه».

ومشهد الانفراد في ظل صخرة أو جدار أو شجرة يرى منه كثيراً رحمة الله في النزهات البرية وفي أثناء الذهاب للمزارع أو القرى في العطل والأعياد، ومن أعجبها صورة تداولها الناس في الإنترنت، وكنا في موسم الربيع في جنوب المملكة وكانت الأشجار والأزهار والأطيوار تغري بالفرجة عليها والتنزه فيها، ولما اكتمل نزولنا وانشغلنا في تهيئة المكان وإعداد الطعام، أخذ سجادة صغيرة وفرشها تحت شجرة كبيرة واستند إليها، وودع من حوله وغاص في بحر الكتاب الذي معه.

أما في السيارة فإن ذلك ديدنه يحدث الأخ أبو طلحة واسيني، وهو فرنسي أصله من الجزائر كان مع الشيخ ابن باز رحمة الله، وبعد وفاته طلب أن يرافق الوالد رحمة الله، وكان يقوم بالتسجيل لدروسه ومحاضراته وقد صحبه في رحلاته كثيراً: «أذكر مرة كان معه كتاب يصل إلى خمسمائة صفحة، وكنا في إحدى الرحلات إلى الشرقية لمدة يوم واحد لمحاضرة هناك، فلما رجعنا إلى البيت قال: الحمد لله على السلامة، ورأيت الشيخ وضع الورقة في وسط الكتاب وكان لما ذهبنا في بداية الكتاب».

ويذكر الأخ عبد الله بن سعد الحوطي<sup>(١)</sup> مدير مكتبه في رئاسة الإفتاء وكان رافقه في رحلة لمدينة المجاردة في جنوب المملكة أنه كان يقرأ في كتاب كبير الحجم، تبلغ عدد صفحاته أكثر من ألف، فكان يقرأ فيه من بداية رحلته في الطائرة وفي السيارة في أثناء التنقل من مكان لآخر وفي مقر إقامته ليلاً عند النوم، وكان هذا الكتاب من تأليف الشيخ عبد العزيز بن ناصر المسيند، وعنوانه: القول المبين في معرفة ما يهم المصلين. أعطاه له المؤلف ليصححه ويقدم له.

وأما في البيت فلا تسل عن الساعات الطوال التي يقضيها مع الكتاب.

لما استقر في بيت السبالة اتخذ غرفة كاملة في السطح مكتبة له، وقام بجلب نجار ليفصل له أرففاً يفصل له أرففاً خشبية على هيئة أرفف المكتبات التي تصف فيها الكتب أي دون أبواب، وكانت عالية إلى السقف لتتسع لكتبه الكثيرة، ولذا اشترى سلماً ليصعد عليه إذا أراد جلب كتاب من الأرفف العالية، وما زلنا نحفظ بهذا السلم ذي الذكريات الجميلة.

وكان معظم وقته إذا لم يكن في التدريس في هذه المكتبة، يجلس في داخلها أو يستند على الباب أو يستند على جدارها الخارجي، يحكمه في ذلك النهار والليل والصيف والشتاء، حيث لا يوجد في تلك الأيام تكييف ولا إضاءة مناسبة.

وكان وجود هذه الغرفة في السطح يوفر له هدوءاً وبعداً عما يشغله.

وبعد انتقاله لحي شبرا جعل المكتبة في أكبر غرف المنزل، ثم بعد مدة ضم لها أخرى وصار يجلس فيها على مكتب وكروسي متواضعين، ثم لما افتتح المكتب

(١) ابن جبرين.. صرحنا الذي هوى. مقال في جريدة عكاظ الخميس ١٤/٠٨/١٤٣٠ هـ  
٦ أغسطس ٢٠٠٩م، العدد: ٢٩٧٢. الميس ١٥/٠٨/١٤٣٠ هـ



في الدور الأرضي من منزله رحمة الله، جعلنا له مكتباً خاصاً ليجلس فيه، فحوله مكتبة للبحث، وبعد أن تزوج أولاده وخلا البيت أصبح يجلس في هذا المكتب إذا أراد البحث والمراجعة، ويقرأ في الصلاة التي في منزله المجاور للمكتب إذا أراد مجرد القراءة التي لا تحتاج لمراجع. وكانت تنتشر كتبه في الصلاة. حيث وضع رفاً صغيراً وطاوله صغيرة ذات أدراج، يضع عليها الكتب التي يقرأ فيها، وأصبح يقضي معظم الضحى في القراءة، ويقرأ قبل النوم حوالي ساعتين.

يقول رحمة الله<sup>(١)</sup>: «في هذه السنوات أحب أنني أقرأ في بعض الكتب لتصحيح أو لتقديم لها أو نحو ذلك إلى قرب الساعة الثانية عشرة ليلاً، وأحياناً قبله بقليل، وأحياناً بعده بقليل أما القيام آخر الليل فإنه قليل، وبالأخص إذا كان الليل قليلاً كهذه الليالي، قد يوفق الله وأقوم قبل الأذان بربع ساعة أو بنصف ساعة وقد يغلبنا النوم. ثم ألقى الدروس التي بعد الفجر إلى قرب الساعة الثامنة أو السابعة والنصف، ثم أريح نفسي ساعتين أو قريباً منها، ثم بعد ذلك أشتغل بتصحيح أو ما أشبهه».

ويقول<sup>(٢)</sup>: «في هذه السنوات الأخيرة يعني من نحو اثنتي عشرة سنة أو خمسة عشر قمت بتصحيح الرسائل والكتب التي سجلت من محاضراتنا ومن كتاباتنا، وهي تشغل وقتاً بعضها حققه أخونا علي أبو لوز، وبعضها حققه غيره. وهذه لا شك أنها تشغل وقتاً في التصحيح».

كذلك أيضاً يلح علينا كثير من الشباب ومن الإخوة إذا ألف أحدهم رسالة أن أقدم لها، فلا أقدم لها حتى أقرأها كلها، وهذه أيضاً تأخذ وقتاً في قراءتها ثم في الكتابة عليها.

(١) قصتي في طلب العلم جامع الصانع.

(٢) المصدر السابق.

كذلك تعرفون أنني لا أزال أشرف على الرسائل التي تطبع في مجلة البحوث، أشرت مع بعض زملائنا الذين هم أحمد الدويش ومحمد الشويعر ورئيس المجلس الذي هو عبد العزيز بن عبد المنعم هؤلاء توزع عليهم شهرياً أو كل شهرين بحوث يتقدم بها أصحابها إلى المجلة، ويأمرونا بأن نقرأها ونكتب الملاحظات، هل هي صالحة أو ليست صالحة؟ وهذه أيضاً تأخذ وقتاً، وكذلك أيضاً بعض الرسائل التي يكون فيها ملاحظات يردونها إلى صاحبها، ثم بعدما يصلحها يكلفوني أنا بالنظر في تلك الإصلاحات، وهذه أيضاً تأخذ وقتاً.

وأكثر ما يشغلنا الآن الكتب التي قام بكتابتها أو نسخها بعض التلاميذ، ومن أهمها شرحنا على عمدة الأحكام، وكنا قد شرحناه في مسجد الراجحي الذي في الربوة قديماً وسجل في تسجيلات وفرغ بعد ذلك.

وأيضاً شرح منار السبيل وكان من الذين سجلوه أو كتبوه أخونا عبدالعزيز السدحان وغيره من الذين حرصوا على تسجيله، ثم نحن الآن نريد أن نسعى في تكميل طبعه، حيث طبع منه الجزء الأول الذي هو قسم الطهارة، وهذه لا شك أنها تشغل وقتاً. أ.هـ.

وقد مرت قراءته بعدد من المراحل بحسب مراحل العمرية لكن يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القراءة للفائدة والاستزادة من العلم، وهذه كانت في شبابه وكهولته، حتى انتقل لحي شبرا.

القراءة للفحص والتقويم والتسديد، سواء للرسائل العلمية التي يشرف عليها أو يناقشها، أو للكتب التي يعطيه إياها بعض طلاب العلم ليسددها ويقدم لها، وهذه كانت بعد أن انتقل لحي شبرا وكان قد تجاوز عمره الخمسين.



وهذه العلاقة الحميمة جعلته يحرص على الكتب شراء واقتناء، حتى اجتمع عنده كتب كثيرة، ومع أننا لم نقم بإحصاء دقيق لها، إلا أنها تقرب من عشرين ألف كتاب، ولضيق المكان اضطر لتوزيعها على ثلاث غرف، غرفتان في الدور العلوي، وغرفة في الدور السفلي، فيها الكتب التي يحتاجها كثيرا، وهي التي يجلس فيها معظم الوقت.

وما زال حتى وفاه الأجل يشتري الكتب، وتأتيه عن طريق الإهداء من الأشخاص ومن بعض الجهات، وبخاصة إدارة الإفتاء السعودية، ورابطة العالم الإسلامي، ووزارة الأوقاف في السعودية وفي قطر وفي الكويت.

وكان يكتب لهذه الجهات بين فينة وأخرى ليطلب ما عندهم من الجديد.

كتب مرة للشيخ/ مشعل بن مبارك الصباح مدير إدارة البحوث والفتوى بوزارة الأوقاف الكويتية، وقال بعد السلام: «تفضلتم فيما مضى بإهدائنا عدداً من مطبوعات الوزارة جزاكم الله خيراً، وقد وجدناها كتباً قيمة استفدنا منها كثيراً، وقد علمنا أنه تجدد لديكم بعض الكتب، فنأمل تزويدنا بها كما هي عادتكم في تزويدنا بالجديد، ولا بأس من تسليمها للأخ عبدالعزيز بن محمد العنزي الموظف لديكم ليقوم بإيصالها لنا».

ولديه في مكتبته معظم المراجع المهمة في الحديث والفقہ والعقيدة وغيرها من الطبقات الأولى والطبعات التي حققت حديثاً.

ويحرص رحمة الله على أن يقيد تملكه على الكتاب وغالباً يكتب: في أول صفحة: «دخل في ملك الفقير إلى عبوره عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد الجبرين» وربما اختصر النسب، ثم يشير أحياناً إلى تاريخ ذلك.

وما زال حتى توفي رحمة الله هو الذي يعرف مواضع كتبه في مكتبته، لأنه هو الذي يرتبها ويصنفها، فلم يكن عنده موظف مختص بذلك، فكان إذا احتاج كتابا لا يعرف مكانه غالبا إلا هو.

وكان يحب كتبه ويحرص عليها، وإذا فقد شيئا منه سأل عنه، تقول أختي هيا في مذكراتها: «أذكر أنه افتقد كتابا وجلس يسألني عنه لمدة تقرب من السنة، وأنا والله لم آخذه، وكأنه ما صدقني، وكان يقول: تأكدي.. أين ذهب الكتاب؟ ولا أعلم هل وجده أو اشترى نسخة أخرى.

وكنا عند مجيئنا للسلام عليه في بيته نكون ممسكين لأطفالنا الصغار محذرين لهم من العبث بكتبه، لأننا نعلم أنه يضايقه ذلك أشد المضايقة.

وأذكر ذات مرة أنني كنت مع أهلي في مكة المكرمة، وكان الوقت يمر طويلاً عندي، فلم أكن أذهب للصلاة في الحرم في كل الأوقات، لأن معي أطفالي، وإذا خرج الرجال للصلاة أسارع وأخذ كتاباً من كتب والدي رحمة الله ثم أعيدته خلسة كما أخذته.. ومرة افتقد كتاباً من كتبه ولما سأل عنه قلت: إنه معي، فأنا لم أحضر معي كتباً لتسلييني، فلما ذهب للصلاة اللاحقة رجعت ومعه نسختان من كتاب ضخمة اسمه (أخبار الصالحين) أعطاني نسخة وأخذ الأخرى له. فلما اشترى كتاباً لي لم يفوت على نفسه فرصة الحصول على الكتاب نفسه!!».

وفي أثناء بحثي في بعض الكتب من كتبه رحمة الله أرى آثار قراءته ومطالعته فيها، فإنه كثيراً ما يقيد على طرر الكتب وحواشيها ما يعن له من فائدة أو تصحيح أو ملحوظة أو تنبيه.



وقد ضاقت المكتبة في آخر عمره، وكانت كما ذكرت غرفتين في الدور الثاني، وغرفة في الدور الأرضي، حتى إننا إذا دخلنا المكتبة نبحث عن مواضع لنضع فيها أقدامنا، لأن الأرض مليئة بالكتب التي لم نجد لها رفوفاً. بل حتى الممر الخرجي بين الغرفتين امتلأ أيضاً.

### مشايخ الشيخ

طلب الشيخ الوالد رحمة الله العلم في الرين والقرى القريبة منه، وفي محيرقة وفي الرياض. وفيما يلي سأورد ما اطلعت عليه من أسماء المعلمين والمشايخ والعلماء الذين تتلمذ عليهم ورحمهم الله، وكنت قد ذكرت في أثناء الحديث عن حياة الطالب بعضهم عرضاً، وذكرت هناك ما درسه عليهم من علوم، ولهذا سأهتم هنا بذكر شيء من تراجم شيوخه متجنباً الإطالة في الترجمة للمشهورين، مركزاً على ما ذكره الشيخ الوالد رحمة الله عنهم، وسأسوقهم بالترتيب الزمني بحسب ما أعلم.

أولاً: العلماء الذين تتلمذ عليهم قبل انتقاله للرياض:

١- والده فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين:

يعد والده شيخه الأول، وكان رحمة الله من طلبة العلم، وأهل النصح والإخلاص والمحبة، وقد أفاد منه الشيخ كثيراً بحسن تربيته وتلقينه.

وقد مرت ترجمته مع العلماء من أسرة الشيخ رحمة الله.

## ٢- الشيخ سعد بن عبد الله بن جبرين:

قرأ الوالد رحمته الله عليه في القرآن الكريم عندما كان يذهب مع والدته في الصيف إلى بلدة محيرقة.

وهو من مواليد القويعة عام ١٢٠٠هـ وتلقى تعليمه على يد والده عبد الله بن جبرين، حيث علمه القرآن الكريم، كما علمه القراءة والكتابة. كان معلماً للطلاب في الكتاتيب في محيرقة لمدة طويلة، كما كان إماماً وخطيباً لمسجدها.

يقول الوالد رحمته الله<sup>(١)</sup>: «كان العم سعد بن عبد الله بن جبرين رحمته الله إماماً وخطيباً لجامع محيرقة، وكان عنده علم، وعنده كتب من كتب أجدادنا الذين اشتهروا بالعلم وجمع الكتب، وكان أولهم حمد بن جبرين رحمته الله.

وكنّا نستفيد منه في مجالسه وفي قراءته ووعظه وتذكيره، حيث يتصدر المجالس بالوعظ والتذكير والعلم، إلا أنه رحمته الله لم يتوغل في طلب العلم ولكن كان عنده فوائد، وكان يخبرنا ببعض القصص فاستفدنا منه كثيراً».

توفي العم سعد بن عبد الله في عام ١٢٧٧هـ

## ٣- سعيد بن عبد الله الأجر.

وهو طالب علم أصله من جنوب المملكة من أحد ريفية من قبلية قحطان، وقد وفد للرين قديماً واستقر بها وقرأ عليه الوالد القرآن في الرين كما ذكرنا، توفي في عام ١٤٣١هـ.

(١) برنامج ابن جبرين عالم أمة للشيخ المنجد.



٤- عبد العزيز بن عبد الله بن رشيد الجبرين.

ولد في عام ١٢٢٠هـ في محيرقة وبها نشأ وتعلم، ثم تصدر للتعليم بعد العم سعد بن عبد الله، وتوفي في عام ١٤٠٧هـ، وقد قرأ عليه الوالد رحمه الله القرآن في محيرقة.

٥- عبد الله بن حمد بن حماده الجبرين.

ولد في عام ١٢٩٧هـ في محيرقة وتعلم بها وعلم، ثم انتقل إلى هجرة ابن لبدة في الرين إماما ومعلما، حتى توفي بها في عام ١٣٦٥هـ، وقد قرأ عليه الوالد رحمه الله القرآن في محيرقة.

٦- فضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري المعروف بـ (أبو حبيب) :

الشيخ عبد العزيز الشثري هو أول المشايخ الذين تأثر بهم الوالد رحمه الله. ويعد الشيخ أبو حبيب من أبرز فقهاء العصر، فقد أسهم في التعليم والفتوى والتوعية والإرشاد والقضاء والحسبة وغيرها.

ولد في عام ١٢٠٥هـ في حوطة بني تميم، وتلقى تعليمه الأولي في الحوطة، ثم انتقل من الحوطة إلى الرياض للتوسع في طلب العلم، فدرس على الشيخ عبد الله ابن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس والشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله.

وكان من زملائه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبد الله العنقري.

وفي سنة ١٢٢٧هـ عينه الملك عبدالعزيز قاضيًا لقبائل قحطان المهاجرة في وادي الرين وما حوله، وكان ينتقل من قرية إلى قرية معلمًا ومرشدًا، وكان له دروس يومية، واستمر على هذا سبعمائة وثلاثين سنة، فنتفع الله به خلقًا كثيرًا.

وفي عام (١٢٧٤هـ) تم انتقاله من الرين إلى الرياض بطلب من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله للتدريس في معهد إمام الدعوة، وكان أهل الرين يحبون الشيخ عبدالعزيز ولكن لم يكن بد من سفره، واصطحب الشيخ أبو حبيب معه بعض تلاميذه وسجلهم في المعهد المذكور. وقد استأجر له الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله ثلاثة منازل، منزلين للعوائل ومنزل للرفقاء.

واستمر على طريقته في التدريس في بيته وفي مساجد الرياض، وقد تخرج به مجموعة من العلماء منهم سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ المفتي العام للمملكة، والشيخ عبد الله بن زيد آل محمود قاضي قطر وغيرهم.

ولما انتقل الشيخ إلى الرياض شعر أهل الرين بالخسارة وبفقد العلم الذي اعتادوا عليه، حتى عوضهم الله فيما بعد ببعض أهل العلم الذين سدوا الثغرة.

وفي حدود سنة ١٢٦٥هـ أصيب الشيخ أبو حبيب بألم في بصره وفقد إحدى عينيه، فخاف أن يفقد البصر وأكب على قراءة الكتب بنفسه، لأن التلاميذ عنده قليل يقرؤون في أول النهار وفي آخره، ولكن كان طوال الوقت يقرأ بنفسه.



وفي رمضان عام ١٢٨٧هـ اشتد عليه المرض في مكة فنقل إلى المستشفى العسكري في الرياض، ولما زاره الملك فيصل أشار بنقله إلى لندن للعلاج، فذهب إليها ثم توفي هناك في ١٧ رمضان عام ١٢٨٧هـ.

وقد رثاه جدي عبد الرحمن بقصيدة جاء فيها:

جانا الخبر في فجر يوم الخميس      عشرين تسعة عام سبع وثمانين  
 خبر مصاب الشيخ أبوي وجليسي      باح العزا والدمع جادت به العين  
 يبكي على فقدة مجالس دروسي      ومساجد يبذل بها النصح والدين

وقد قام حفيده الدكتور محمد بن ناصر بن عبدالعزيز الشثري بتأليف كتاب لطيف مفيد، يتناول سيرة جده عنوانه: إتحاف اللبيب في سيرة الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب، ومعظم ما ذكرته هنا في ترجمته من هذا الكتاب، وفيه شيء من كلام الوالد رحمة الله.

وقد بدأ الشيخ الوالد في القراءة على الشيخ أبو حبيب في عام (١٣٦٨هـ)، وكان عمره سبعة عشر عامًا.

وقد ذكرت تفاصيل ذلك في بداية الطلب، وأنه حينما طلب الوالد من الشيخ أبو حبيب رحمهما الله وكذلك طلب جدي منه أن يقرأ عليه، وامتنع حتى يكمل الوالد حفظ القرآن، فعمل بمشورة شيخه وأكمل حفظ القرآن، وبعد ذلك رخص له الشيخ أبو حبيب بالقراءة عليه، فقرأ عليه الكثير من المتون والشروح والكتب المطولة بعد الفجر وفي الضحى وبعد العصر وبعد المغرب.

وقد تأثر الوالد رحمة الله بشيخه الأول بعد والده الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب رحمة الله كثيرًا، لأن الوالد صحبه قرابة ثلاثين سنة.

يقول الوالد رحمه الله<sup>(١)</sup>: «لقد تأثرت بشيخي الأول بعد والدي وهو الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب الشثري رحمه الله قبل أن أبدأ في القراءة عليه، وذلك لجدّه واجتهاده في التعليم ونصحه، وكذلك لحرصه على العبادات، فقد أدركته أحياناً يختم القرآن كل يوم وعلى الأكثر كل ثلاثة أيام، وكان حريصاً على كثير من العبادات كقيام الليل ونحو ذلك».

ولما انتقل الشيخ أبو حبيب رحمه الله للرياض أحب جمع المشايخ والاستفادة منهم ولذلك خصص لهم يوماً يجتمعون فيه عنده، يقول الشيخ الوالد رحمه الله: «عندما قدمنا إلى الرياض في سنة ١٣٧٤هـ رأى الشيخ الشثري رحمه الله أن يستزير جملة من المشايخ في ليلة الجمعة مساء الخميس من كل أسبوع، ومنهم الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ عبدالرزاق عفيفي، والشيخ محمد أمين الأشقر وهو فلسطيني، وأحياناً يحضر الشيخ ابن مهيزع، والشيخ محمد المختار والشيخ عبدالعزيز بن رشيد وغيرهم من المشايخ، فيجتمعون في بيت الشيخ بعد العشاء ولمدة ساعة ونصف أو نحوها، وكلفني أن أقرأ عليهم في صحيح البخاري، ويتولى الشيخ عبدالرزاق شرح الحديث الذي نقرؤه، وكان أحياناً يستغرق شرحه ساعة أو ساعة إلا ربعاً، وربما يقسمه في ليلتين في أسبوعين، وكذلك يتولى الشيخ عبدالعزيز بن باز التعليق عليه، ولا زالوا على ذلك عدة سنوات، يبحثون في المسائل المتجددة التي تقع والتي تحتاج إلى مراجعة فيستفيد الحاضرون».

تحدث الشيخ الوالد عن أخلاق شيخه أبو حبيب رحمه الله فقال<sup>(٢)</sup>: «كان على جانب من الأخلاق، فإذا سألت عن كرمه فهو الغاية في الكرم، وفي توسعته على المستضعفين والمستحقين، وكذلك إكرامه للزائرين وبذل ما يجده دون أن

(١) قصتي في طلب العلم محاضرة جامع الصانع

(٢) العلامة الشيخ عبدالله بن جبرين.. خلود بعد ممات مقالة للدكتور محمد بن عبد الله

المشوح <http://www.al-jazirah.com/81483/rj3.htm>



يحجزه من ذلك شح أو بخل، وإن سألت عن سهولة جانبه وحسن خلقه ولباقته لمن يزوره فلا تجد في تلك البلاد مماثلاً له، فهو دائماً سهل الجانب دائم البشر، ومتى زاره أحد وجد انشراح قلب وسعة بال، وإذا سألت عن أخلاقه فإنه كان حسن الخلق، قل أن يحقد على أحد أو يجد في قلبه لأحد شيئاً في البغض والكرهية، وإن وجد عليه أحد شيئاً فإنه يتصل به ويعتذر بكل ما يمكن حتى لا يكون هناك أحد يحقد عليه، ولذلك ما رأينا أحدًا طوال صحبتنا إلى أن توفي سنة ١٢٨٧هـ حقد عليه أو انتقده أو كرهه لسبب من الأسباب».

#### ٧- فضيلة الشيخ صالح بن مطلق

الشيخ صالح بن مطلق من أهل حوطة بني تميم ولد في سنة ١٢٠٥هـ وأخذ العلم عن الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن عتيق.

كان إماماً وخطيباً في إحدى القرى بالرين، ثم تولى القضاء في الخرج، ثم في حوطة بني تميم عام ١٢٦٧هـ، ثم في حفر الباطن عام ١٢٧١هـ، وقد اشتهر في حفر الباطن: كُتِّبَ زوجة الشيخ صالح بن مطلق وهو من أول الكتاب التي اعتنت بتعليم المرأة.

تقاعد وسكن الرياض وممن أخذ عنه اللغة حينما استقر في الرياض الشيخ بكر أبو زيد، فقد كان ابن مطلق يحفظ من مقامات الحريري خمسا وعشرين مقامة بشرحها لأبي العباس الشريشي، وقد ضبطها الشيخ بكر عليه، وأخذ عنه علم الميقات<sup>(١)</sup>.

(١) علم الميقات هو فرع من فروع الفلك لم يسبق له مثيل في الحضارات السابقة، وتتحدد وظائفه في السعي إلى تحديد أوقات الصلوات الخمس وحساب الأهلة، وذلك بواسطة الحساب والمراقبة الفلكية والآلات الفلكية، مثل الآلات الظلية والكرات السماوية وغيرها. ويعلم الميقات يرتبط علم التقويم الذي يدرس نظام إحصاء أجزاء الزمن وكيفية تحويل التواريخ من تقويم إلى آخر.

كان ضريب البصر ولكن وهبه الله الحفظ والفهم القوي، فقل أن يجالسه أحد كبيراً أو صغيراً إلا استفاد منه، حتى قال عنه الوالد رحمهما الله<sup>(١)</sup>: «كان في قرية تسمى الآن المثناة قرية آل عاطف، وكنا نأتيه ويأتينا، أحياناً نذهب إليه نحو ثمانية كيلوات راجلين، وأحياناً يأتي إلينا راجلاً هذه المدة وهو ضريب البصر يمشي إلى أن يصل إلينا ونستفيد منه، وهو رحمته الله لغوي، اهتم باللغة واهتم بالشعر، بحيث إنه مضرب مثل في حفظ النظم، ربما يقرأ القصيدة التي هي خمسمائة بيت يسردها لا يتوقف فيها، وكذلك أيضاً مقامات الحريري برز فيها يمكن أنه يحفظها كلها، زاد المستنقع يحفظه كله من أوله إلى آخره، ديوان ابن مشرف قل أن يخطئ فيه، إذا بحثت معه في الفقه وجدته فقيها وفي اللغة تجده لغوياً وفي النحو تجده نحوياً وفي العربية وفي الفرائض وما أشبه ذلك.

وبالجملة فهو أعجوبة زمانه رحمته الله - ثم ذكر من لطائفه - أنه جاء مع أهل سيارة من مكة إلى الرياض، ولما رآه أهل السيارة ضريباً ضعيفاً وليس معه أحد ألقوه في مؤخر السيارة ولقي تعباً وعنتاً ومشقة، ولما نزلوا - وكانوا يسمون قائد السفينة النوخذا - فقال: وين النوخذا وين النوخذا؟ فدلوه على السائق، فجلس معه هو وثلاثة من قومه وأخذوا يسألونه فذكر لهم أنه من أهل الحوطة وأن هذا اسمه، سأل أحدهم فقال أنا فلان بن فلان آل الشيخ. فأخذ يمدحه، قال: حياكم الله أنت ابن مشايخنا، أنت من هذه الأسرة المباركة. ثم أخذ يلقي عليهم أسئلة عويصة عجيبة، فإذا لم يقدرُوا عليها أخذ يسترجع، وأنت من آل الشيخ الذين هذه منزلتهم ولا تعرف إعراب هذه الكلمة ولا تحل هذه المسألة التي من الفرائض ونحوها، ثم يحلها، ثم أخذ أيضاً يعطيهم فكاهات ويعطيهم قصصاً فأخذوا يضحكون ويتعجبون،

(١) صفحات من حياتي الحلقة الثانية و الثالثة.





ولما جاء الرحيل قالوا لا بد أنا نعرف لك قدرك، فأركبوه في أعلى السيارة وهيئوا له مركبا وطيبئا، وقالوا لغيرهم اعتنوا بهذا الشيخ، فإنه أهل أن يعتنى به ويحترم».

ورد في فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله سؤال موجه للشيخ محمد هذا نصه:

«فضيلة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم

(مستعجل جداً) الرياض

أفتنا في بئر تصدر على سواني عمقها ستة وثلاثون باعاً ما تستحق من الحريم، أفتونا مأجورين.

قاضي الحفر صالح بن مطلق (عدد ١٦٢ - ٢ في ١٩/٤/١٣٧٦) حضر الباطن»

وقد رد عليه الشيخ محمد بالجواب الآتي: «الشيخ صالح بن مطلق ج ١٦٢: حريم هذه البئر إذا كانت مواتاً وأحييت بحفرها إلى بلوغ الماء هو ما تحتاجه حواليتها عطناً للماشية ومدى للسانية، ما لم يكن ما حواليتها مملوكاً للغير ملكاً صحيحاً.

محمد بن إبراهيم (ص. ف ٢٧٤ في ٢٢/٤/٧٦هـ)».

ومما يذكره أهل الحفر سنة العرقة عند هطول الأمطار الغزيرة على مدينة حضر الباطن بتاريخ ١٥/٧/١٣٧٦هـ لمدة ٤٢ يوماً متواصلاً وغرق خلالها عدد من الأشخاص وانهارت المباني وجرى وادي الباطن لمدة أسبوعين جريانا

متواصلاً وسكن الناس في الخيام على جانبي الوادي، وهرع الناس إلى صلاة الاستغاثة وأمهم فيها فضيلة الشيخ صالح بن مطلق رحمته الله.

مات في الرياض في سنة ١٢٨١ هـ رحمة الله واسعة.

درس عليه الوالد رحمته الله كما ذكرنا في الرين واستفاد منه كثيراً وبخاصة في الأدب.

#### ٨- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الجبرين:

هو عم الوالد ولد في عام ١٢١٨ هـ واستقر قديماً في بلدة القويح، واستفاد منه الوالد من مجالسته، يقول رحمته الله<sup>(١)</sup>: «وممن استفدنا منهم أيضاً: العم عبد العزيز بن عبد الله وهو شقيق الوالد، رحمته الله جميعاً، وكان من طلبه العلم واستفاد كثيراً من والده ومن أخيه محمد، وكان رحمته الله يحفظ المواعظ المؤثرة، فكأننا نتلقى عنه تلك المواعظ التي يكون لها وقع في النفوس، كما أنه كان يحفظ الأمثال من المؤلفات، ويحفظ بعض الأحكام التي يقرؤها في الكتب.

وكان عنده كتب من كتب الأجداد، وقد اشترى من مكة كتباً كثيرة من مطبوعات ومخطوطات، وكان يعطيني أحد الكتب، ويطلب مني أن أقرأ على الحاضرين، وكان يرشدني ويوضح لي. ولم يكن متمكناً في الأحكام الفقهية، لكنه كان لا يخلو من المعلومات المفيدة.

ومن الكتب التي طلب مني أن أقرأها: كتاب السيرة لابن هشام، وكان يرى أن القراءة فيه مفيدة، وخاصّة فيما يتعلق بدلائل النبوة ومقدماتها،

(١) برنامج ابن جبرين عالم أمة للشيخ المنجد.



وكذلك كتاب آخر في الرقائق والمواظب نسيت اسمه، يتعلق بذكر الآخرة وذكر البعث والنشور؛ فكنت أقرأ في هذه الكتب، وكان يعلق ببعض الفوائد التي تحتوي عليها تلك المؤلفات». أ.هـ.

وكان رحمه الله عارفاً بالطب الشعبي يقصده كثير من البادية والحاضرة ليعالجهم بالرقية وبالكيفية وبالاعشاب، ويجدون فائدة لعلاجه، وكان يتعاطى التجارة مع البوادي إضافة لقيامه بالزراعة في بستانه في القويق، وتوفي في عام ١٢٩٤هـ ولم يخلف ذرية.

#### ٩- الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد العريفي:

ذكره الوالد رحمه الله مع الذين قرأ عليهم واستفاد منهم، ولم يكتب أن نسأله من هو؟، وقد سألت الخال عبد الله بن محمد العريفي، فقال: لعله محمد بن عبد الله المعروف بشقران، وهو قد ولد في عام ١٢٤٦هـ، فهو أسن من الوالد بنحو ثلاث سنين يقول الوالد رحمه الله عنه<sup>(١)</sup>: «ممن استفدنا منهم أحد الأخوال وهو محمد بن عبد الله بن محمد العريفي، وهو أحد أصهارنا، وكان عنده علم وعنده مبادئ في الفقه، فاستفدنا منه فوائد محسوسة في مجالسه ومواظبه».

وشقران ابن لعمة الوالد لطيفة بنت عبد الله رحمه الله وقد توفي في عام ١٤٢٠هـ.

#### ثانياً: العلماء الذين تتلمذ عليهم في الرياض:

تتلمذ الوالد رحمه الله في الرياض على عدد من المشايخ والعلماء؛ منهم من قرأ عليهم في المسجد، ومنهم من قرأ عليهم في دراسته النظامية، ومنهم

(١) برنامج ابن جبرين عالم الأمة للشيخ المنجد.

من قرأ عليه فيهما، وقد ذكرت ما يتعلق بذلك في الحديث عن طلبه للعلم ودراسته النظامية، وسأشير هنا لنبذ من تراجمهم رحمهم الله.

ومن هؤلاء العلماء والمشايخ:

#### ١ - سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ،

هو الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب ولد في عام ١٢١١هـ، ويعود له الفضل بعد الله في بعث الحركة العلمية السلفية في نجد، التي امتد أثرها للعالم كله.

وهو من أشهر المشايخ الذين قرأ عليهم الوالد ولازم دروسهم. وقد تلقى عليه دروساً نظامية في المعهد العلمي، حيث تولى الشيخ ابن إبراهيم تدريس القسم الذي كان فيه الوالد رحمته الله، وكان يُدرّس أغلب المواد الشرعية كالتوحيد والفقه والحديث والعقيدة.

وقد استمر سماحته في تدريسهم حتى أنهوا القسم العالي في آخر سنة ١٢٨١هـ؛ حيث توقف عن التدريس الرسمي وانشغل بالإفتاء ورئاسة القضاء.

وحضر الوالد للشيخ ابن إبراهيم رحمته الله دروساً أخرى خارج الدراسة النظامية، يقول الشيخ الوالد رحمته الله<sup>(١)</sup>: «الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله قد بارك الله في علومه، حتى ذكروا قبل فتح معهد إمام الدعوة أن الذين تخرجوا عليه من القضاة أكثر من أربعين قاضياً.

ونحن ما أدر كنا دروسه القديمة التي كانت في بيته وفي المسجد ولكن سمعنا عنها.

(١) صفحات من حياتي الحلقة الرابعة وبرنامج: ابن جبرين عالم أمة.



كذلك أيضاً كنا نزوره في كل صباح يوم الجمعة يفتح الباب للزوار وإذا زاروه فإنهم يسألونه عن المشكلات والمعضلات التي تقع لهم، وهكذا أيضاً إذا مات أحد من القضاة أو المشايخ يجلس يزورونه لأجل التعزية، مات شيخ يقال له ابن زاحم رحمة الله وكثر الذين يتوافدون على الشيخ يعزونه في هذا الشيخ الذي تعد مصيبته مصيبة على القضاة ونحوهم.

وكان الشيخ رحمة الله مرجعا عند المهمات، في سنة خمس وسبعين رأى بعض الإخوة كثرة المنكرات التي تحدث، فصاروا يراجعونه كلما حدث أمر من الأمور.

فكلما أحسنا بشيء من النقص في الهيئات، أو الملاحظات لم يكن لنا مرجع إلا سماحته رحمة الله.

وفي سنة من السنين عزموا على أن يدخلوا اللغة الأجنبية في المعاهد العلمية، ذهبنا إليه وقلنا هذه المعاهد أنت أسستها وذكرت أنها معاهد علمية فكيف مع ذلك توضع فيها هذه اللغة التي لا فائدة فيها، التي تشغل الطلاب وتشغل أوقاتهم، فلما ذكر له ذلك تأسف كثيرا، كيف يحصل هذا الأمر، ثم قال بلهجته: ما عندنا إلاها العين المبصرة، ها العين الوحيدة نسلط عليها من يطسها، هذه هي التي نرجوها، فتكلم بقوة وألغى هذا القرار.

ومأثر الشيخ محمد بن إبراهيم كثيرة وترجمته مشهورة وقد توفي عام ١٣٨٩ هـ في رمضان رحمة الله تعالى عليه، واقتصرنا هنا كما وعدنا على ما يتعلق بعلاقته بالوالد رحمة الله.

وقد رثاه جدي رحمهم الله بقصيدة قال فيها:

العلم بحر ولكن ليس يدركه      إلا النحارير من طلابه القدم

حتى قال:

وأخر القوم مفتينا وخيرنا وذي السماحة والمعروف بالشيم  
قد أنفق العمر في تعليم كل فتى حتى استوى قاضيا في نجد أو تهم

٢- سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز:

هو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز ولد في ذي الحجة سنة ١٢٢٠هـ بمدينة الرياض، وكان بصيرا ثم أصابه مرض في عينيه عام ١٢٤٦هـ وضعف حتى فقد البصر تماما وعوضه الله بالبصيرة فكان شيخ العصر وإمام الزمان ووصل خيره من علم ونفع لكافة أقطار الدنيا.

يحكي الوالد أول لقاء بينه وبين الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمهما الله فيقول<sup>(١)</sup>: «جاء الشيخ ابن باز إلى الرياض بعد أن كان قاضيا في الدلم في سنة سبعين لما فتحت المعاهد.

ولما جئنا في عام أربعة وسبعين فضي اليوم الثاني جاء إلى الشيخ أبو حبيب للسلام وللاستزارة وكان مستأجرا بيتا في حي المليحة أو حي آل حمود. دعانا إلى طعام الفطور صباحا وذهبنا معه، وكان مجلسه لا يخلو من فوائد وكان يكلف أحد تلاميذه أن يقرأ عليه، في ذلك المجلس قرأ عليه زميلنا عبد الرحمن بن مقرن آل سعود رحمته الله في صحيح مسلم.

(١) قصتي في طلب العلم وصفحات من حياتي الحلقة الرابعة.



وفي شهر جمادى الأولى من سنة أربع وسبعين توفي إمام الجامع الكبير ويقال له ابن عدوان، وكلف الشيخ أن يكون إماما في الجامع، ولما التزم كان من محبته لطلب العلم أن يجلس بعد كل عصر ليقروا عليه في المطولات، وبعد المغرب في المتون، ولما انتقل إلى المدينة أناب عبداللطيف آل الشيخ الذي يسمى عبداللطيف المصري، ولكن إذا جاءت الإجازة رجع إلى الرياض وقام بتولي الإمامة فيه، وكذلك بإلقاء الدروس كالمعتاد.

بعد الفجر كان مشغولا هو وغيره بالإعداد للدروس في المعاهد والكليات فلازمناه غالبا بعد العصر وبعد المغرب أحيانا، بعد العشاء يذهب إلى بيته ويأتيه الزوار ويقروون عليه، كان رحمه الله يمشي من المسجد الجامع إلى بيته بيت طين بجانب المسجد الأصفر على شارع الشميسي القديم، يمشي هذه المسافة قبل توافر السيارات، وكنا نصحبه في ذهابه من المسجد إلى بيته ونستفيد من المسائل التي يسألها قبل أن تتوافر عنده السيارة.

قرأنا عليه في متن نخبة الفكر، وقرأنا عليه أيضا أبوابا من بلوغ المرام زيادة على ما قرأناه على الشيخ محمد. وكان يهتم رحمة الله فنرى كثرة من يتنافسون عنده في القراءة.

في سنة ست أو سبع وسبعين حصل على سيارة خاصة، وكان يأتي فيها ويرجع فيها، ولكن يسألونه من حين يقوم من الحلقة أو من المصلى إلى أن يركب في سيارته.

كان رحمة الله شفيقا على المستضعفين، الذين يأتون إليه ويطلبون منه شفاعته، إذا أتيناها وقلنا: إن فلانا مستحق وإنه عاجز عن كذا وكذا. يصدقني ويذكر تحت كتابتي أن الكاتب معروف، وأن المكتوب معه مستحق ونحو ذلك. يتقبل شفاعاتنا وشفاعة كثير من الإخوة رحمة الله.

أما زيارته في البيت فكان **رحمة الله** يفرح بالزوار إذا جاؤوا إليه، وبالأخص الإخوان المتطوعون الذين يلاقون بعض المنكرات، وإذا جاؤوا إليه يلتزم بأنه سوف يراجع أو يكتب معهم كتابات ويرسلها إلى المسؤولين: أنه بلغنا من المنكر كذا وكذا، وأنتم تشجعون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهكذا استمر على ذلك إلى أن انتقل إلى المدينة في سنة تسع وسبعين<sup>(١)</sup>.

كما كنا نأتي إليه في بيته من سنة ١٢٧٥هـ إلى سنة ١٢٨٠هـ ونحضر الدروس وبالأخص عندما ابتدأ في تصحيح فتح الباري، فتحضر مع الذين يصححون، وكانوا قد أحضروا أربع نسخ مطبوعة طبعات متفرقة ونسخة خطية: فكان يقرأ عليه أحدهم والبقية يصححون».

ومن الفوائد المسجلة بين الوالد وابن باز **رحمتهما** سؤال الوالد لابن باز عن حديث أبي النضر وفيه: «قال أبو النضر هاشم بن القاسم: كنت أرى في داري، فقيل: يا أبا النضر، تحوّل عن جوارنا، قال: فاشتد ذلك عليّ، فكتبت إلى الكوفة، إلى ابن إدريس، والمحاربي، وأبي أسامة، فكتب إليّ المحاربي: أن بئرا بالمدينة كان يُقطع رشاؤها، فنزل بهم ركب، فَشَكَّوْا ذلك إليهم، فدعوا بدلو من ماء، تكلموا بهذا الكلام، فصبّوه في البئر، فخرجت نار من البئر، فطفئت على رأس البئر، قال أبو النضر: فأخذت تورا من ماء، ثم تكلمت فيه بهذا الكلام، ثم تتبعت به زوايا الدار. فرششته، فصاحوا بي: أحرقتنا، نحن نتحوّل عنك».

وهو: «بسم الله، أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتع، وبعزة الله التي لا تُرام ولا تُضام، وبسلطان الله المنيع نحتجب، وبأسمائنا الحسنی كلها

(١) صفحات من حياتي الحلقة الرابعة.



عائذ من الأبالسة، ومن شر شياطين الإنس والجن، ومن شر كل معلن أو مسر، ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار، ومن شر ما خلق وذراً وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر كل دابة أنت أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم، أعوذ بالله بما استعاذ به موسى، وعيسى، وإبراهيم، الذي وقى، من شر ما خلق وذراً وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر ما يبغى، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم «والصافات صفا، فالزاجرات زجرا، فالتاليات ذكرا، إن إلهكم لواحد، رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق، إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب، وحفظناها من كل شيطان وارد، لا يسمعون إلى الملائة الأعلى ويُقذفون من كل جانب، دحورا ولهم عذاب واصب، إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب».

فذكر هذا الذكر الوالد وقرأ بعضا منه بحضرة سماحة الشيخ ابن باز، ولما وصل إلى قول: (أحرقتنا يا أبا النضر، أحرقتنا نحن نتحول عنك) قال الشيخ ابن باز: (طيب، إذا نفع، هذا طيب) ثم أكمل الشيخ الوالد بعضا منه.

ثم بعد ذلك قال العلامة ابن باز: في الوابل الصيب؟ فقال الوالد: في الوابل الصيب.

ثم قال الشيخ ابن باز: يُجرب، إذا نفع الله به الحمد لله، الأصل في الأدوية كلها الإباحة، إلا ما حرمه الشرع، فقال الوالد: جربه بعض الإخوان، يقول سقيته امرأة بها جان، وفي لحظة خرج الجان أو مات.

ثم قال الشيخ/ ابن باز: الحمد لله، الحمد لله، كل ما يحصل به الدواء وليس فيه محذور شرعا فالأصل الإباحة، في الأدعية والأدوية، إلا ما حرمه الشارع<sup>(١)</sup>. ١.٥هـ.

وقد تأثر الوالد بشيخه ابن باز رحمهما الله لما كان يراه من حرصه على العلم والتعليم والعبادة ومواظبته على الأعمال والسنن، وكان رحمته الله يقول: (إن الشيخ ابن باز قدوتنا)، ثم ذكر جملة من السنن والأعمال التي كان يحافظ عليها الشيخ ابن باز رحمته الله، ثم قال: «وهذا دليل على أن الناس يقتدون بمن يحرص على العمل بالعلم»<sup>(٢)</sup>.

### ٣- الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ الفرضي المعروف

هو أخو الشيخ محمد بن إبراهيم وقد ولد في عام ١٢١٥هـ في مدينة الرياض، وطلب العلم على مشايخها من أعمامه وغيرهم، وكان مساعداً لأخيه في دروسه وبخاصة في علم الفرائض، ومساعداً له في اختيار القضاة من طلاب العلم في المسجد وفي كلية الشريعة بعد إنشائها.

ذكر الشيخ رحمته الله<sup>(٣)</sup> أن الشيخ محمد بن إبراهيم كان يحيل تدريس الفرائض على أخيه عبد اللطيف وكان متخصصاً ومتوغلاً في علم الفرائض رحمته الله.

توفي رحمته الله في عام ١٢٨٦هـ.

(١) المرجع/ شريط (لقاء مع إخوة في الله للشيخ ابن باز) رقم ٤.

(٢) قصتي في طلب العلم - جامع الصانع.

(٣) قصتي في طلب العلم.





٤- الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، العلامة المحدث والباحث في إدارة الإفتاء

هو العلامة المحقق السلفي المحدث الفقيه الأصولي اللغوي أبو محمد إسماعيل بن محمد بن ماحي الخزرجي الأنصاري، وُلِدَ بصحراء إفريقيا الغربية بمالي، عام ١٢٤٠هـ.

تعلم في بلاده ثم قدم للبلاد السعودية وتولى التعليم، ثم عين باحثاً في إدارة الإفتاء حتى توفى في عام ١٤١٧هـ رحمة الله.

درس عليه الوالد رحمته الله في التفسير والحديث والنحو والصرف وأصول الفقه، وذلك من عام ١٢٧٥هـ حتى التخرج، وكان يلخص لهم الدروس ويضرب الأمثلة ويوضح ما فيه إشكال.

وكان الوالد رحمته الله يثني على علم الشيخ إسماعيل الغزير، وخصوصاً في اللغة وأصول الفقه، وكان يتعاهد أبناءه بعد وفاته.

٥- الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد:

ولد الشيخ العلامة عبدالعزيز الناصر الرشيد عام ١٣٣٤هـ في مدينة الرس في منطقة القصيم، وكان أبوه أحد أعيان الرس ووجهائها، فطلب العلم في بلده ثم وفد للرياض في عام ١٣٥٣هـ فأخذ عن علمائها حينذاك، وكانت عامرة بالعلماء حتى نبغ وتميز ثم سافر لمكة وأخذ عن علمائها، ثم بدأ في العطاء حتى توفى رحمته الله في عام ١٤١٨هـ.

وقد درس عليه الوالد رحمته الله في الفرائض لمدة أربع سنوات: لأنه هو المؤلف لكتاب: عدة الباحث بأحكام التوارث، ودرس عليه أيضاً في مرحلة

الماجستير مادة الفقه عام ١٢٨٨ هـ. وكان رحمة الله من فقهاء البلد، وله مؤلفات مشهورة، منها: التنبيهات السننية شرح العقيدة الواسطية، وهو من الشروح الوافية لهذه العقيدة.

٦- سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى

هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن حسين ابن حميد الخالدي.

ولد عام ١٣٢٨ هـ في بلدة معكال، وهي بلدة قديمة تعد الآن حياً من أحياء مدينة الرياض القديمة.

نشأ الشيخ رحمة الله يتيمًا حيث توفي والده وعمره سنتان. ثم في السنة التي تليها أصابه مرض الجدري فأفقدته بصره، ثم في السنة السادسة من عمره توفيت والدته، إلا أن تيتّمه وفقدته للبصر مبكراً لم يمنعه من تحصيل العلم والارتقاء على سلم المجد، فدرس وثابر حتى صار أحد العلماء الأعلام، وتوفي في عام ١٤٠٢ هـ رحمة الله.

ذكر الوالد علاقته بالشيخ عبد الله بن حميد رحمة الله فقال<sup>(١)</sup>: «أول ما أتى سنة ٧٤ نزل قرب مكاننا، وكان يصلي معنا في المسجد. وكنت أقرأ وقت العشاء في تفسير ابن كثير على جماعة المسجد، فكان يتكلم أحيانا على المسائل هو والشيخ أبو حبيب. قرأنا مرة في تفسير سورة مريم على قول الله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مريم: ٥٩]. فتكلم على أثر ذكره ابن كثير: «أنا نعرف المتخلفين من صفاتهم. شرايين للقهوات، تراكين

(١) قصتي في طلب العلم.





للصلوات، لعابن بالكعبات، متبعين للشهوات»، فاستشكلنا شرابين للقهوات، واستشكلنا قوله لعابن بالكعبات، ففسر لنا أن القهوات يراد بها الخمر، ولعابن بالكعبات يراد بها الألعاب التي يكون فيها القمار.

ثم تعين قاضيا في بريدة في سنة ٨٠ من القرن الماضي، وقمنا برحلة للدعوة بصحبة الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب رحمة الله، ومعنا من زملائنا عبد الرحمن بن فريان و عبد الرحمن بن مقرن وفهد بن حمين، واستغرقت الرحلة ثلاثة أشهر وعشرين يوما، كان نهايتها مجيئنا إلى بريدة، واستضافنا الشيخ عبد الله في بريدة، وكنا نقص عليه بعض العجائب التي لقيناها من البوادي التي في الحدود الشمالية وما هم عليه من الجهل، وأخذ يتعجب من ذلك: كيف وهم في بلاد إسلامية، ومع ذلك لا يعرفون شيئا من الدين إلا مجرد أنهم مسلمون، وأخذ أيضا يذكر لنا أمثال ذلك من الوقائع.

وفي سنة ١٢٨٩هـ استقر في الرياض وسكن في شارع آل فريان، وكان له درس في المسجد الذي قرب بيته الذي يسمى مسجد آل رضيان، وكان يأتي بفوائد عجيبة، كنت في ذلك الوقت قد ابتدأت في بعض الدروس، ولكن يكون عندي أحيانا فراغ وآتي إليه وأجلس عنده ونستفيد منه.

كذلك أيضا كان كثيرا ما يجلس بعد المغرب في حديقة في بيته ويزوره كثير من المشايخ والإخوان، ويلقي إليهم كثيرا من الفوائد والعجائب التي يذكرها والتي يستحضرها.

وفي سنة ١٢٨٧هـ كنت في مكة أساعد الشيخ محمد بن قاسم في تكميل مجموع الفتاوى وفي فهارسه، وكان الشيخ رحمة الله في الإجازة ينزل من الطائف إلى مكة كل أسبوع ليلتين أو ثلاث ليال، وكان يلقي نصيحة في الحرم المكي نحضرها ونستفيد مما فتح الله عليه.

## ٧- فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمته الله نائب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

وهو رحمته الله مشهور ومن كبار العلماء، فهو عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية ابن عبد البر بن شرف الدين النوبي من مصر ولد فيها في سنة ١٢٢٣ هـ ونشأ نشأة دينية علمية، فحفظ القرآن الكريم صغيراً، ثم التحق بالمعاهد الأزهرية، ثم بالجامع الأزهر وحاز شهادة العالمية وقدم للمملكة فدرّس في الطائف والرياض ثم عين نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، واستمر فيها حتى توفي في عام ١٤١٥ هـ رحمته الله وعفا عنه.

وقد درّس الوالد في مرحلة الماجستير، وكان مشرفاً على رسالته كما سبق، وتلمذ عليه واستفاد منه جمع غفير في هذه البلاد من القضاة والمدرسين والدعاة وغيرهم، وهو ممن فتح الله عليه وألهمه من العلوم ما فاق به الكثير من علماء هذا الزمان، وقد توغل في التفسير والاستنباط من الآيات، وكذا في الحديث ومعرفة الغريب منه، وكذا في العلوم الجديدة وأهلها.

ويقول الوالد عنه رحمته الله: «أما علمه فهو بحر لا ساحل له في أغلب العلوم التي يتناولها بالبحث والشرح، فلقد عرفته لأول مرة عام ١٢٧٤ هـ، وكان يزور بعض المشايخ كالشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري، ونقرأ عليه في المجلس حديثاً من أول صحيح البخاري فيشرحه شرحاً موسعاً بحيث يستغرق شرح الحديث الواحد أكثر الجلسة. وعرفته في أحد الأعوام يفسر سورة سبأ في مسجد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله، فكان يبقي في تفسير الآيتين نحو ساعة أو أكثر، ويستنبط من الآيات فوائد، وأحكاماً، وأقوالاً، وترجيحات يظهر منها عظمة القرآن وما فيه من الاحتمالات والفوائد، مما يدل على موسوعية الشيخ وسعة اطلاعه وكثرة معلوماته».



## ٨- فضيلة الشيخ مناع خليل القطان:

ولد الشيخ مناع في عام ١٣٤٤هـ في المنوفية في مصر، ودرس في المعهد الديني التابع للأزهر، ثم أخذ الشهادة الجامعية من كلية أصول الدين في الأزهر، وقام بالتدريس في مصر، ثم وفد إلى المملكة في عام ١٣٧٢هـ، ودرس في كلية الشريعة والمعهد العالي للقضاء، ومازال يمارس النشاط العلمي والدعوى حتى توفي رحمة الله في عام ١٤٢٠هـ.

وقد درس عليه الوالد في مرحلة الماجستير في مادة التفسير، واستفاد كثيراً من مجالسته ومحاضراته؛ حيث كان يأتي بفوائد كثيرة مستنبطة من الآيات أو الأدلة، وله مؤلفات عديدة في فنون متنوعة، من أشهرها مباحث في علوم القرآن.

## ٩- فضيلة الشيخ عمر بن مترك:

ولد معالي الشيخ عمر بن عبد العزيز المترك، في بلدة شقراء في حدود عام ١٣٥١هـ، ودرس الابتدائية ثم عين مدرساً في مدرسة شقراء، وكان يلازم حلقات بعض مشايخ وقضاة شقراء.

التحق بالمعهد العلمي بالرياض، ثم التحق بكلية الشريعة وتخرج فيها عام ١٣٧٧هـ، وكان مدرساً فيهما أيضاً، ابتعثه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمة الله إلى مصر لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه، فنال الدكتوراه في الفقه المقارن من كلية الشريعة بجامعة الأزهر عام ١٣٩٥هـ.

كان عضواً في مجلس القضاء الأعلى، وكان مدرساً في المعهد العالي للقضاء. توفي رحمة الله في عام ١٤٠٥هـ<sup>(١)</sup>.

(١) <http://www.alukah.net/Culture/0/3556/#ixzz1ntMepA00>

قرأ عليه الوالد رحمهما الله في مادة الفقه والحديث والتفسير، وكان شديد العناية بالأدلة والتعليقات، وله معرفة تامة بالمعاملات المتجددة ويتوسع في الكلام حولها وقد استفاد منه كثيرًا.

#### ١٠- فضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب البحيري:

الشيخ العلامة الورع المحدث محمد عبد الوهاب البحيري المصري بعثه الأزهر إلى كلية الشريعة ببغداد ثم قدم للمملكة ودرس فيها وتخرج به عدد من العلماء.

درس عليه الوالد رحمهما الله في الحديث وكان يتوسع في الشرح وذكر المسائل الخلافية ويحرص على الجمع والترجيح.

لم أقف على تاريخ وفاته.

#### ١١- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن هويل:

من أهل القويبة وكان قاضيا في الرياض، قرأ عليه الوالد رحمهما الله في المسجد وغيره، وكان قليل التعليق لكنه يفيد في تصحيح الأخطاء، ويوضح بعض المسائل الخفية وفي آخر حياته ثقل سمعه واشتد مرضه، ثم توفى رحمته الله تعالى في عام ١٤١٥هـ.

#### ١٢- الشيخ محمد الجندي:

وهو مصري الجنسية، ولم يقم إلا بعض سنة حتى مرض فرجع إلى مصر وتوفى هناك رحمته الله.





### ١٣- الشيخ طه الدسوقي العربي:

وهو مصري الجنسية، وكان ذا معرفة واسعة واطلاع وحفظ مع فصاحة وبيان.

### ١٤- الشيخ محمد بن إبراهيم المهيزع:

وهو من المدرسين والقضاة، وكان يقيم دروساً في مسجده وفي منزله ويستفيد منه الكثير.

هكذا ذكر الوالد ولعله وهم فإن من مشاهير من درس في معهد إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مهيزع أحد القضاة المشاهير، حيث درس فيه من [عام ١٣٧٦هـ إلى عام ١٣٨٤هـ] وفي هذه السنوات درس الوالد *رحمة الله*، توفي *رحمة الله* في عام ١٤٠٣هـ<sup>(١)</sup>.

### ١٥- الشيخ محمد حجازي:

الأستاذ الدكتور الشيخ محمد محمود حجازي، من علماء الأزهر ومدير معهد المنصورة، درس في الأزهر وتخرج فيه. عين مديراً لمعهد المنصورة. أهم آثاره: «التفسير الواضح»، وكتاب: «الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم».

### ١٦- الشيخ عبد الحميد عمار:

جزائري الجنسية، وقد درس عليه الوالد في علوم وفنون متعددة، فدرس عليه تفسير الجلالين وتفسير ابن كثير.

(١) <http://imamad.com/page.php?do=show&action=aboutimamad>

## ١٧- الشيخ حماد بن محمد الأنصاري العلامة المحدث والأستاذ بالجامعة الإسلامية

هو الشيخ حماد بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي، ولد سنة ١٣٤٣ هـ في مالي في أفريقيا.

حفظ القرآن وعمره ثمان سنوات، ودرس علوم الآلة، والحديث، والكثير من المتون والمنظومات قبل سن الرشد، هاجر بسبب الاستعمار الفرنسي وكان عمره إحدى وعشرين سنة، فتوجه إلى الحرمين وأخذ ينهل من العلم في حلقات المسجد الحرام، ثم أذن له بالتدريس، ثم ذهب إلى الرياض، وأصبح يُدرّس في كلية الشريعة، ثم معهد إمام الدعوة العلمي ثم نُقل إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة، توفى رحمته الله في عام ١٤١٨ هـ.

وقد درّسهم في المعهد العلمي واستفاد منه الوالد رحمته الله كثيراً.

## ١٨- الشيخ محمد البيحاني.

وهو من علماء اليمن من حضرموت، وقد درّسهم في الحديث.

## ١٩- الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي.

هو الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ولد رحمته الله في شنقيط من دولة موريتانيا، وكان مولده في عام ١٣٢٥ هـ.

خرج في رحلته إلى الحج، وقد كانت نيته الحج ولم يكن في خله أن يقيم بالمملكة، ولكن أراد الله به خيراً، فمكث في المملكة واستقر في المدينة المنورة.



وفي سنة ١٢٧١ هـ افتُتح المعهد العلمي في الرياض وكلية الشريعة وكلية اللغة، واختير للتدريس بالمعهد والكليتين، فتولى تدريس التفسير والأصول إلى سنة ١٢٨١ هـ. ومكث في الرياض عشر سنوات، وكان يدرس في مسجد الشيخ محمد في الأصول، كما كان يخص بعض الطلاب بدرس آخر في بيته.

ولما أنشئت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة انتقل إليها، وفي سنة ١٢٨٦ هـ افتتح المعهد العالي للقضاء في الرياض فكان يذهب لإلقاء المحاضرات المطلوبة في التفسير والأصول.

توفي **رحمة الله** عام ١٢٩٢ هـ.

من أشهر كتبه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ومذكرة في الأصول على روضة الناظر وآداب البحث والمناظرة.

ذكر الوالد الشيخ محمد الأمين **رحمته الله** فقال <sup>(١)</sup>: «سمعنا بقدمه قبل أن تقدم إلى الرياض، وأنه قدم كمدرس أو كمهاجر، ثم لما أتينا الرياض في سنة أربع وسبعين كان شيخنا أبو حبيب **رحمته الله** يحبه، فكان يقرر زيارته كل أسبوع أو كل أسبوعين، وكنت أصحبه أنا وبعض التلاميذ، إذا دخلنا عليه استقبلنا ببشاشة وبترحيب، ثم أخذ الشيخ يسأله وأخذنا نسأله عن بعض المسائل، فتجد أنه **رحمته الله** قد أتقن اللغة وعرف اشتقاق كل كلمة، وكذلك أيضًا كان عالماً في أصول الفقه، فكان إذا تكلم في التفسير يتوسع في الكلمات اللغوية، وإذا تكلم في الفقه يستشهد بعبارات تدل على توغله في علم أصول الفقه.

كان يحفظ متن نظم يقال له مراقبي السعود لأحد الشناقطة اسمه محمد الأمين، وقد طبع بعد ذلك وطبع عليه شرح، في السنة الأولى زرناه أكثر من عشرين أسبوعاً أو ثلاثين كل أسبوع نأخذ منه فوائد.

(١) قصتي في طلب العلم.

هؤلاء أبرز من رأيت من مشايخ الوالد رحمته الله، وقد ذكر الشيخ محمد المشوح في مقالة له وكان قد حاوره في الإذاعة أن الوالد رحمته الله عد له بعض مشايخه ممن لم أذكرهم هنا وهما الشيخ محمد بن عباد والشيخ إبراهيم ابن حركان<sup>(١)</sup>

رحم الله الشيخ الوالد ورحم مشايخه وجمعنا بهم في جنات النعيم.

## أقران الزمان

أقران الزمان لا تكاد الذاكرة تنسى الساعات الجميلة والأيام السعيدة التي يقضيها المرء معهم، لا سيما إذا كانوا أقرانا في مهنة شريفة ووظيفة سامية كطلب العلم الشرعي، وتحت هذا العنوان سنعيش مع أقران الوالد الذين زاملهم ورافقهم في زمن الطلب حيث استفاد رحمته الله من عدد من الزملاء والجلساء الذين سعد بالاقتران بهم في وقت الدراسة، ووفق بالقراءة والمذاكرة مع بعضهم في أغلب الليالي، وسأذكر هنا أقرانه الذين زاملوه في طلب العلم، وسيأتي الحديث فيما بعد عن علاقته بهم، وممن أسعفتنا المصادر التي بين أيدينا بأسمائهم:

- ١- الشيخ فهد بن حمين الفهد.
- ٢- الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن فريان مؤسس جمعية تحفيظ القرآن الكريم في الرياض.
- ٣- الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.
- ٤- الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

(١) <http://www.al-jazirah.com/81483/rj3.htm>



- ٥- الشيخ إبراهيم بن عبد الله الهلالي، وكان ضريير البصر.
- ٦- الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن العريني، وكان ضريراً أيضاً.
- ٧- الشيخ عبد الله بن سعدان الجضعي<sup>(١)</sup>.
- ٨- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مقرن آل سعود.
- ٩- الشيخ محمد بن جابر، وقد تولى القضاء في المحكمة المستعجلة.
- ١٠- الشيخ إبراهيم النغمشي، وقد تولى القضاء في الحريق
- ١١- الشيخ إبراهيم الخنيزان، وقد اشتغل التعليم.
- ١٢- الشيخ محمد بن صالح السحيباني، وقد تولى القضاء في البدائع.
- ١٣- الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم المسعد.
- ١٤- الشيخ محمد بن سعود الصبيحي.
- ١٥- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الهويمل.
- ١٦- الشيخ سعد بن عبد الرحمن السريع.
- ١٧- الشيخ عبد الله بن محمد الجبرين «ابن دليحان».

#### ومن زملائه في مرحلة الماجستير:

- ١- سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة.
- ٢- معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.
- ٣- الشيخ محمد بن عبد الرحمن العقيل المعروف بأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري.
- ٤- الشيخ سليمان الرشودي.
- ٥- الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم.
- ٦- الشيخ ناصر بن زهير.

(١) صفحات من حياتي الحلقة الرابعة.



- ٧- الشيخ عبدالله الشعبي.
- ٨- الشيخ عبدالله بن حمد الخويطر.
- ٩- الشيخ الدكتور عبدالرحمن بن محمد السدحان.

وكان رحمته الله يستفيد ممن سبقه بالقراءة على المشايخ، فأدرك كثيراً مما فاتته بواسطتهم، فكان يقرأ عليهم الشرح، ويتلقى إصلاح بعض الأخطاء اللغوية والبحث في المسائل الخلافية. ومعرفة الكتب المفيدة في الموضوع، وكيفية العثور على المسألة في الكتب المتقاربة في الفقه الحنبلي، وكذا معرفة طرق الاستفادة من كتب اللغة، واختصاص كل كتاب بنوع من المواضيع، ونحو ذلك مما يفوت من يقرأ بمفرده، ولهذا يقول رحمته الله: «يُنصح المبتدئ أن يقترن في المذاكرة والاستفادة بمن هم أقدم منه في الطلب، ليضم ما عندهم إلى ما عنده من الفوائد».

ويقول رحمته الله<sup>(١)</sup>: «استفدت كثيراً من زملائي؛ لأن لهم دراسة قديمة على بعض المشايخ أكثر مما درست، فأنا دراستي فقط كانت على شيخنا الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب، وعلى الوالد قبله، وعلى الشيخ صالح ابن مطلق في الرين، وأما هم فدرسوا على الشيخ عبداللطيف، ودرسوا على الشيخ عبدالعزيز بن باز عندما انتقل من الخرج إلى الرياض عند تأسيس المعهد العلمي سنة ١٣٧١هـ. وكانوا من قبل يترددون على الشيخ ابن باز للدراسة عليه عندما كان قاضياً في الخرج».

هناك كلمات كنت أغلط في التلفظ بها فيقوموني، وكانوا ينتقدون لهجتي فإن لهجتنا في القويعية فيها كلمات غريبة، فكانوا يتعجبون منها، ولما

---

(١) صفحات من حياتي الحلقة الرابعة





رأيتهم يضحكون ويتعجبون من هذه اللهجة التزمت أنتي أترك اللهجة ولا أتكلم إلا باللغة العربية الفصحى مما كان سبباً في معرفتي بها.

كما أننا كنا نستفيد من المكتبة الموجودة في مسجد دخنة الذي كان يؤمه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله، وأغلب الكتب الموجودة فيها لزميلنا عبدالرحمن بن محمد بن مقرن بن عبدالعزيز بن مشاري آل سعود، فكنا إذا صلينا العشاء نجتمع في هذه المكتبة نقرأ دروسنا التي سوف ندرسها في الغد، فنقرأ مثلاً في الفقه في حاشية الروض التي كتبها الشيخ عبداللّٰه العنقري رحمته الله، ويحضر معنا أحمد بن قاسم ويقرأ في حاشية الروض المربع التي هي من تأليف والده، ونقرأ أيضاً شرح الأحاديث التي سوف نقرأها من بلوغ المرام غداً، نقرأ في سبل السلام، وكذلك نقرأ في شرح التوحيد الذي سوف نقرأه من الغد: لأن دروسنا على الشيخ محمد بن إبراهيم بعد الفجر ثلاثة، وهي: الفقه، والحديث، والتوحيد».



القِسْمُ الثَّلَاثُ  
العطاء المتجدد

- نبوغ مبكر.
- موسوعية وابداع.
- المدرس المتفزن.
- داعية لا يكل.
- المفتي القدير.
- وماذا عن التأليف.
- الامامة والخطابة.
- تقاعد أم انطلاق.



## العطاء المتجدد

هذا القسم سأحاول أن أجلي فيه مرحلة من المراحل المهمة في حياة الوالد رحمة الله التي تميز بها، بل عرف بها.

ومع أن عطاءه رحمة الله كان في عدد من الميادين العلمية والدعوية والاجتماعية، إلا أنني سأهتم هنا بالعطاء العلمي والدعوى، وأعني بذلك العطاء الذاتي المباشر في عدد من المجالات التي تميز بها رحمة الله كالتعليم والإفتاء والدعوة، وسأؤجل الحديث عن المجالات الأخرى إلى مباحث تخصصها.

سأذكر هنا أيضاً قضايا مهمة تبين مميزات هذا العطاء وأرضيته ومعامله، ككون مظاهر هذا العطاء ومبادئه برزت مبكرة في حياة الوالد رحمة الله منذ صغره، وكونه عطاء موسوعياً مستوعباً العديد من مجالات العلم والدعوة، وتكامل هذا العطاء وأصالته، وتجده وانضباطه بضوابط الشرع والعقل والحكمة والبصيرة، وكون العطاء في حياة الوالد رحمة الله لم يرتبط بزمان ولا مكان ولا وظيفة ولا جنسية ولا أسلوب ولا غيرها من محددات العطاء ومقيداته، بل هو عطاء شيخ الأمة لعموم الأمة.

سنعيش مع هذا العطاء، نخوض بحره ونستمتع بدرره، متجنبين المبالغات والتكهنات، مهتمين بالوقائع والشواهد، التي رأها أحبابه وعاشها طلابه.

## نبوغ مبكر

العطاء المبكر في حياة الوالد رحمة الله كان مؤشراً للنفس المحبة للعطاء والبذل، الحريصة على الفائدة والإفادة.





مر بنا أنه ذكر أن والده رحمه الله كان يلقنه ثلاثة الأصول المختصرة حتى حفظها، وصار يكلفه أن يلقنها للناس فحفظ ذلك وأتقنه في سن الثالثة عشرة أو الثانية عشرة.

توفيق الله ثم تربية الوالد ثم عناية شيخه الأول أبو حبيب ثم النفس المحبة للعلم والتعليم الحريصة على العطاء، كان ذلك كله وراء هذا القدر الكبير من العطاء الذي نسجه الوالد رحمه الله خلال سني عمره.

فبعد أن أتم حفظ القرآن بدأ شيخه اللبيب يدربه على العطاء في مجالات عديدة.

يذكر رحمه الله عناية شيخه أبو حبيب به فيقول<sup>(١)</sup>: «ومن المواقف: إلزامه لي أن أتولى تعليم الأولاد للقرآن الكريم في حدود سنة ثمان وستين، ولدة أربع سنين، وكان لذلك الأثر في الحياة؛ حيث حصل بذلك الاهتمام بالقرآن، والتفرغ لتعليمه، وانتفاع الأولاد الذين قرؤوا علينا فيما تيسر من القرآن».

ويقول أيضاً<sup>(٢)</sup>: «عندما أكملت حفظ القرآن، ابتدأت أكرره، وكنت أخته كل ثلاث ليال وذلك في سنة سبع وستين، في تلك السنة أمرني الشيخ أن أصلي صلاة التراويح بمسجد هناك في القرية في الرين، فكنت أصلي بهم من حفطي وأطيل».

وفي مجال ثالث من مجالات التدريب يقول رحمه الله<sup>(٣)</sup>: «لما أتممت حفظ القرآن الكريم ألزمني الشيخ أبو حبيب أن أتولى إمامة وخطابة المسجد إذا غاب

(١) انظر الفتوى رقم / (٨٥١).

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الثانية.

(٣) تجربتي في طلب العلم.

الوالد؛ فكنت أصلي بهم الجمعة والجماعة، وكان الوالد رحمة الله يسافر ويفيب شهراً أو شهرين، يذهب إلى الرياض أو إلى القويعة أو إلى البلاد الأخرى».

إن هذا العطاء لم يأت من فراغ بل كان ثمرة توفيق وتدريب وإخلاص ورغبة.

ولما انتقل الشيخ عبد العزيز الشثري رحمة الله إلى الرياض عام ١٣٧٤ هـ استصحبه معه وذكر لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمة الله تعالى تميز الشيخ ونبوغه مما جعل الشيخ محمد يجعله مع أعلى التلاميذ عند تقسيمهم إلى سنوات في معهد إمام الدعوة العلمي<sup>(١)</sup>.

وظهرت آثار هذا النبوغ والتميز في النتائج؛ فقد كان هو وزميله الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمهما الله تعالى يتنافسان على الأولوية يقول رحمة الله<sup>(٢)</sup>: «في سنة ست وسبعين اخترنا للمرحلة الثانوية وكان الأول محمد بن قاسم رحمة الله وأنا الثاني في الترتيب، وأما في سنة اثنتين وثمانين اخترنا للمرحلة الأخيرة التي هي القسم العالي، التي هي تعادل كلية الشريعة فصار الأمر أنني أنا الأول ومحمد بن قاسم هو الثاني».

وكان من آثار إعجاب الشيخ محمد بن إبراهيم به أن طلبه ذلك العام لتولي القضاء، ولكنه اعتذر بالدراسة والشوق إليها فعذره<sup>(٣)</sup>.

وفي عام (١٣٨٠ هـ) وبأمر من الملك سعود رحمة الله شكلت هيئة من عدد من المشايخ لإرسالها للدعوة والإرشاد في الحدود الشمالية، وقد رأس هذه الهيئة الشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري المعروف بأبو حبيب.

(١) ترجمة الشيخ من موقعه رحمة الله.

(٢) قصتي في طلب العلم.

(٣) ترجمة الشيخ من موقعه رحمة الله.





وقد اختير الوالد رحمه الله عضواً في هذه الهيئة، واستمرت هذه الرحلة أكثر من ثلاثة أشهر تنقلوا خلالها في عدد كبير من القرى والمدن في شمال المملكة<sup>(١)</sup>.

وفي سنة إحدى وثمانين تعين مدرسا في معهد إمام الدعوة الذي كان يدرس فيه، وذلك قبل أن يتخرج بعدة أشهر<sup>(٢)</sup>.

وقد أحب التدريس وشغف به حتى أصبح أشهر من عرف بكثرة الدروس في العصر الحاضر، كما سيأتينا إن شاء الله.

يقول رحمه الله<sup>(٣)</sup>: «ومن آثار مزاولتي لهذا التدريس أحببت أن أشتغل بهذا التدريس في الأوقات الأخرى التي عندي فيها سعة، فطلب مني بعض التلاميذ أنني أدرسهم، فكان ذلك أولا في سنة خمس وثمانين أن ابتدأت مع بعض الإخوة اليمينيين في الفرائض، ولقيت منهم تقبلا».

يقول الدكتور عبدالوهاب الطرييري وهو من تلاميذه القدماء<sup>(٤)</sup>: «أول ملمح تلمحه في حياة الشيخ بالنسبة للتعليم أن الشيخ رحمه الله بدأ في التعليم بداية مبكرة، سبق الصحوة العلمية وكان يجلس في التعليم ولحيته سوداء ليس فيها شعرة بيضاء.

يعني: في الثلاثينيات من عمره.

كان يجلس في التعليم في وقت، كان وقت غربة، كانت مجالس العلم قليلة.

(١) ترجمة الشيخ من موقعه رحمه الله

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الخامسة

(٣) صفحات من حياتي الحلقة الخامسة

(٤) برنامج مرآة الحدث من قناة المجد الحلقة الأولى عن الشيخ رحمه الله

كان الشيخ عبد العزيز بن باز في المدينة، والشيخ عبد الله بن حميد في مكة، في الرياض لم تكن هناك مجالس علم، لكن كان الشيخ عبد الله بن جبرين الذي كان ذلك الوقت في أوج شبابه وقوته كان هو المعطي الباذل».

وكما نبغ مبكرا في التدريس والإمامة والخطابة فقد نبغ كذلك في الإفتاء مبكرا، يحدث تلميذه الشيخ عبد الوهاب الزيد، فيقول<sup>(١)</sup>: «حدثني الشيخ العلامة القاضي عبد الرحمن بن سحمان أن الشيخ ابن جبرين والشيخ ابن فوزان كانا يفتيان أيام الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله تعالى».

وقبل أن أختم الحديث عن هذا النبوغ أورد ما روته أختي هيا، وهي تحكي سببا من أسباب ذلك عن الوالدة رحمها الله تقول: «أذكر من قصصها أن أتراب الشيخ رحمته الله كانوا يأتونه يطلبون منه القيام للعب معهم، إلا أنه مشغول بالتلقي.. فلما بأسوا منه صاروا يعيرونه ويصفونه بالخوف منهم وهو لا يبالي بهم. ودارت الأيام وأصبح كثير ممن سخروا منه يطلبون قربه ورضاه».

## موسوعية وإبداع

لملح آخر من ملامح العطاء في حياة الوالد رحمته الله، وسأخصص الحديث عن الموسوعية والإبداع في المجال العلمي والدعوي فقط، كما ذكرت من قبل.

وأريد بالموسوعية أنه رحمته الله كان موسوعة متنقلة، يحليها بإبداع الاختيار وبراعة الطرح ورقي الأسلوب ومتانة المادة.

(١) <http://www.hdeeth.com/vb>



يقول الدكتور سلمان العودة<sup>(١)</sup>: «في الشيخ جانب موسوعي وإن كان غلب عليه جانب الفقه، حفظه للقرآن، حفظه للتفاسير، حفظه للسنة النبوية، حفظه للغة العربية، حفظه الأدب، تجلس معه تجد مقامات الحريري وغير الحريري، حفظه للأنساب، كثير من العلوم حتى في الجغرافيا والمواقع والأعلام عنده معرفة وعنده اطلاع.

والغريب أنه أحياناً يلقي المحاضرات كأنه يقرأها من ورق، مما تجد عنده من سعة المحفوظات واستحضارها».

ويقول تلميذه الشيخ أحمد المهنا<sup>(٢)</sup>: «الشيخ أصفه بما وصف به الإمام الشافعي بأنه: ما سمع شيئاً فتسيه، والإمام الشافعي يقول عن نفسه: ما كتبت سوداء في بيضاء.

الشيخ فيما أعلم عنه أنه لا يسمع شيئاً فينساه».

ويقول تلميذه عمر المشاري<sup>(٣)</sup>: «تجدّه يستشهد بالآيات والأحاديث والأشعار والأمثال وأقوال أهل العلم من السلف ومن المعاصرين مما يعجب له السامع، كما أنه يسترسل في شروحه للكتب والمتون العلمية ويفصل تفصيلاً طويلاً ليفهم الطالب المقصود».

ويقول الشيخ عبد الواحد المزروع وهو من تلاميذه أيضاً<sup>(٤)</sup>: «كان لصوت الشيخ المميز، وأسلوبه في الطرح، وحديثه في مسائل العلم، وتبحره

(١) حلقة في قناة الدليل عن الشيخ رحمه الله في يوم وفاته.

(٢) محاضرة للشيخ أحمد المهنا  
<http://www.liveislam.net/browsrchive.php?sid=&id=64742>

(٣) <http://www.al-jazirah.com/87018/rj8.htm>

(٤) <http://ibn-jebreen.com/ommah/index.php?t=content&tid=81&cid=352>

فيها، لذة لا يدانيها لذة، وأنس لا يقاربه أنس، وإنك لتعجب من موضوع أو مسألة يطرحها الشيخ فتجد انصراف ذهنك لجزئية معينة، في حين يفتح الله على الشيخ فتوحاً وفوائد، لو قرأت الدهر كله لم تحصلها، وذلك لأنه بحر في العلوم؛ عقيدة وتفسيراً وفقهاً ولغة وأدباً، كان لقاءنا به يذكرنا ببقية السلف، ويذكرك رؤيته وحديثه بمن سلف من العلماء الربانيين».

وهذه مجموعة مواقف ساقها تلميذه وقريبه الدكتور محمد العريفي بأسلوبه الشيق يقول<sup>(١)</sup>: «الشيخ له أربعون سنة ما أمسك المصحف، الشيخ يحفظ المعلقات السبع، يحفظ مقامات الحريري.

كنا في مجلس فسأله أحد الجالسين وكان صغيراً، قال: يا شيخ ما الحكم إذا أمسكت المصحف وهو مجلد، أمسكته وأنا على غير طهارة؟

فقال الشيخ رحمه الله لهذا الطالب: ذكرتني بقول الحريري في مقاماته: هل يجوز للدارس حمل المصاحف؟ قال: لا، ولا في الملاحف.

قال: ما تقول فيمن صلى وعانته بارزة.

قال: صلاته جائزة.

ثم سرد من حفظه صفحة ونصفاً من مقامات الحريري، وهي إحدى وتسعون مسألة فقهية، ذكرها الحريري في إحدى المقامات فيها أفاض فقهية.

قلت له: يا شيخنا أنت متى راجعت هذه الصفحة ونصف؟

قال: أذكر الكتاب كان عندنا في الرين قبل خمسين سنة، ومن ذلك الحين لم أنظر إليه.

(١) قناة دليل حلقة بعنوان في وداع فقيه العصر.





ومرة من المرات في درسه كان يتكلم شيخنا عن مواقيت الصلوات وأنا حاضر، فتكلم عن النجوم وعن حركتها، وعن الكواكب، ثم ذكر المريخ والزهرة والمشتري، وعدد الكواكب كلها بأسمائها، ثم ذكر ما هو أكبر وما هو أصغر، حتى يخيل إليك أنك أمام دكتور متخصص في الفلك، ثم قال الشيخ: وكما قال الناظم:

لظل أقدام أتت محرره	دلو وقوس سبعة معتبره
وستة للعقرب والحوث	دال لميزان وحمل أوتي
اثنان للثور وللجوزاء	وواحد لليث والعذراء
سَرَطان لا ظل له علانيه	جدي أتت أقدامه ثمانيه

ثم لما انتهى الشيخ وجلسنا سأله أحد الطلاب قال: يا شيخنا الأبيات التي جئت بها في الأبراج الحمل الدلو والميزان هذه، متى حفظتها، ومن أي كتاب؟

فقال الشيخ: أذكر قبل أربعين سنة قرأتها في التقويم القطري، التقويم فيه فوائد.

هذه القوة الهائلة في الحفظ في أشياء لا يسأل عنها، لو سرد حديثاً في البخاري ومسلم لقلنا يستفتى في كل يوم فيكون له مراجعة، لو سرد آية من القرآن لقلنا له ورد يومي، لكن من سيسأله عن هذه الأبراج ومن سيسأله عن مقامات الحريري "أ.هـ.

سئل الوالد رحمه الله عن حفظه لمقامات الحريري، فقال بتواضعه المعهود<sup>(١)</sup>: «شيخنا الشيخ صالح بن مطلق رحمه الله ضرير البصر، ولكنه آية في

(١) قصتي في طلب العلم.

الحفظ، كان يحفظ المقامات. وكان يأتينا في قريتنا ويسرد مقامتين أو ثلاث مقامات في المجلس الواحد، وكذلك يحفظ زاد المستقنع بأكمله، ويحفظ نظماً أكثر من ثمانين ألف بيت، فأعجبنا بحفظه لهذه المقامات. ولكن لم نقدر على أن نقرب من حفظه، ولا أن نحفظ شيئاً منها، إلا جملاً يسيرة أو قصيدة في آخر المقامات، كان يحدثنا على حفظها قصيدة رباعية مبدؤها قوله.

خل اذكار الأربع	والمعهد المرتبع
والظاعن المودع	وعد عنه ودع
واندب زمان سلفا	سودت فيه الصحفا
ولم تزل معتكفا	على القبيح الشنعا
كم ليلة أودعتها	مأثماً أبدعتها
لشهوة أطعتها	في ملعب ومرتع

إلى آخرها تجدونها في آخر المقامات.

ويقول الشيخ أحمد المهنا<sup>(١)</sup>: «الشيخ عنده استذكار لبعض الأمور وإن كانت ليست مكررة، مثل وصية أحمد هذا الذي يدعي أنه خادم حجرة النبي ﷺ.

سألت الشيخ، كنت أسأله وما أتوقع أن هناك جواباً.

قلت: يا شيخ أول سنة انتشرت فيها وصية أحمد هذه المكتوبة عام ١٣٥٦م؟

فقال مباشرة: عام ١٣٥٦هـ.

متميز في التواريخ، وفي حساب المسائل الفرضية، تعطيه أي مسألة فرضية

ليس المراد بقسمتها، العجب أنك تعطيه المبلغ دون آلة حاسبة يعطيك النتيجة.

الأم لها كذا، الزوجة لها كذا، لكل بنت كذا، لكل ابن كذا.

زرنا مرة جمعية مكافحة التدخين، طلبوا من الشيخ كلمة عن الدخان،

جلس قرابة ساعة كاملة يتكلم بكل طلاقة، كأنما يقرأ من كتاب، كلام علمي

(١) محاضرة للشيخ أحمد المهنا

<http://www.liveislam.net/browsearchive.php?sid=&id=64742>



مرتب، أخذ يستعرض بعض الكتب التي قرأها في التدخين، ويذكر بعض المنشورات القديمة لها ثلاثين أو أربعين سنة قرأها، منها منشور كان يقول: اشرب ناراً وأحرق ديناراً، ويعطيك اسم المؤلف، ويقول هذا الكتاب مترجم كان باللغة الإنجليزية، وترجمه فلان بن فلان، وقال في مقدمة الكتاب كذا، ويسرد حوالي صفحة، وقال في خاتمة الكتاب كذا، ويسرد مجموعة من الكتب. هذه الموسوعية وهذه الملكة هي التي جعلتنا نبكي على الشيخ هذا البكاء. ذهبت معه لإحدى المحاضرات، ولما وصلنا إلى المسجد التفت عليّ، وقال: أيش عنوان المحاضرة؟.

قلت: ماذا يا شيخ؟.

قال: أيش عنوان المحاضرة؟.

أعطيته عنوان المحاضرة، فلما تكلم كأنه قد حضر لها من شهر. ومن أبرز المحاضرات التي أثرت فيّ وما زلت أستفيد منها في خطب الجمعة، لأنني فرغتها محاضرة باسم فتن آخر الزمان، أخذ يتكلم الشيخ عن فتن آخر الزمان فتن الشهوات فتن الشبهات، تقول هذا الشيخ لا يحسن إلا هذا.

يتكلم في الأدب، يتكلم في الأخلاق، يتكلم في كل فن تجده موسوعة.

الآن في المركز العلمي التابع لمكتب الشيخ، الشيخ هو الذي افتتح هذا المركز، فيه أكثر من سبعة آلاف ساعة صوتية للشيخ.

قلت: قد بلغت الآن أكثر من عشرة آلاف ساعة بحمد الله.

وتقول الأخت سميرة من طالبات الشيخ رحمته الله وهي سويدية الجنسية وسودانية الأصل، وتتعجب من موسوعيته: «لقد عرفت الكثير من مدن وقرى المملكة من شرحه، فيذكر مثلا القبائل، ويذكر طريقة المعيشة، وما كان في الزمن القديم قبل دخول المدنية، وأيضا مسألة إدخال المكيفوفونات والكهرباء في المساجد، وموقف المشايخ في ذلك الوقت، وموقف سماحته ورأيه فيها رحمته الله، وكأنه أستاذ جغرافيا وتاريخ، بل وحتى في العلوم من علوم النباتات والفلك والنجوم والكواكب وأسمائها، تتعجب من علمه الغزير رحمته الله.

ففي شرحه لكتاب الحج مثلا عندما ذكر مس الطيب بالنسبة للمحرم، ذكر المسك والزعفران بأنواعه والياسمين والكادي، بل وأتى على ذكر أعشاب عطرية عديدة جدا، لا تخطر على بال الكثير منا أو يعلمها، مع ذكر مواصفاتها، فلا يدع للسائل مجالا للتفكير والحيرة في معنى مس الطيب».

وفي جولة له في حائل لازمه أحد الإخوة وسأله عن العديد من المسائل، ومن طريف ما ذكر قال <sup>(١)</sup>: «سألت الشيخ كيف هزم العرب في حرب ١٩٦٧م، سرد الأحداث مثل ما كانت في ذلك الوقت!!، فتكلم الشيخ تاريخيا كيف كان هجوم اليهود على جيش مصر، وكيف قصفوا الجنود والمطارات، وذكر أن جيش مصر في ذلك الوقت كان أقوى جيش ولكنهم دكوه بالطائرات، ثم ذكر جيش الأردن وسوريا، وكيف أنهم هزموا، وذكر الشيخ أن الملك فيصل في ذلك الوقت طلب جمع تبرعات خاصة للأردن التي تضررت كثيرا.. وذكر سلسلة من الأحداث.

(١) أبوسارة الجمعة ٨/٨/١٤٢٧هـ

<http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>





ثم ألقى الشيخ دروسه التي هي كالدرر والثمار اليانعة مجلس فيه جم كبير من الفوائد والنكت وأقوال العلماء ، كأنك تعيش مع الإمام مالك وهيبته، أو مع أبي حنيفة وذكائه واستنباطه، أو مع الشافعي وآرائه، أو مع أحمد في علمه وتقواه.. لا تسمع إلا آيات وأحاديث ونقولات عمن سبق من العلماء وترجيحات يراها الشيخ.

وإذا حضرت مع درسه في الفجر لا تسمع إلا تأصيلاً في العقائد وردًا على شبهات المعتزلة والأشاعرة والروافض فله دره».

رزقه الله حافظه عجيبة. يقول الشيخ أحمد المهنا<sup>(١)</sup>: «قرأت عليه حوالي خمسمائة بيت من نونية ابن القيم، وكان عند الشرح يعيدها عليّ، فسألت الشيخ: أنت حافظ النونية وعدد أبياتها أكثر من ستة آلاف بيت.

قال: لا ما نحفظها بس أبيات متفرقة.

أقول: هو أحفظ من رأيت من العلماء».

يقول عنه تلميذه الدكتور عبد المحسن العسكر: «مما يميز شيخنا رحمه الله سعة محفوظاته من النصوص، وكان رحمه الله يورد الأحاديث الطويلة من كتب السنة بألفاظها، وله قدرة عجيبة في انتزاع الآيات من القرآن، ويعزو الأقوال والمذاهب إلى أهلها، وكان آية في حفظ الشعر والتمثل به، وأحسبه يحفظ مقامات الحريري. وقد سلم له زملاؤه بقوة الحفظ، قال لي شيخنا عبد الله ابن قعود رحمه الله «الشيخ ابن جبرين عيبة علم» وحدثني شيخنا عبد الرحمن البراك فقال: «الشيخ عبد الله بن جبرين يحفظ ولا نحفظ».

(١) محاضرة للشيخ أحمد المهنا

<http://www.liveislam.net/browsearchive.php?sid=&id=64742>

وأورد أحد الكاتبين في موقع أهل الحديث<sup>(١)</sup>: «ومما يذكر عن الشيخ العلامة عبد الله بن جبرين: قال لي أحد طلابه: إنه سأله عن مسألة فقال الشيخ عبد الله: هذه المسألة تذاكرتها مع فلان وفلان وفلان بعد المغرب قبل نحو ثلاثين سنة.....!»

أيضاً الشيخ يشرح الكتب والدروس اليومية من حفظه وبعض الكتب أيضاً كالسبك الفريد (يقع في مجلدين) وهي كما يقول الشيخ: مما علق بالذهن!».

ويقول الشيخ محمد زياد التكلة<sup>(٢)</sup>: «كان الشيخ رحمه الله حافظاً للعلم، عجيب الاستحضار، ينتقل من درس إلى آخر، وينتقل من فن لغيره، ويشرح في الجميع، وينقل الأقوال دون مراجعة ولا تحضير سابق، وأنى يجد الوقت لذلك؟ وسمعت من شيخنا سعد الحميد حفظه الله مرة يقول: الحمد لله أنه بارك لنا في حافظة شيخنا واستحضاره للمسائل».

وفي حديث لتلميذه الشيخ الدكتور إبراهيم بن صالح الخضيرى عضو المحكمة العليا في الرياض عن موسوعية شيخه وحافظته، قال<sup>(٣)</sup>: «إن الأمة الإسلامية فقدت بوفاة الشيخ عالماً جليلاً، ومؤرخاً كبيراً، ومحدثاً وفقياً في آن واحد، كان ذا حافظة رائعة وبنكا معلوماتياً متحركاً».

ويقول تلميذه أحمد المهنا: «قرأت عليه في ملحة الأعراب للحريري، فكان يترجم للحريري ويذكر بعض المقامات، وإذا بدأنا أخذ يأتي بألفية ابن

(١) <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=4931>

(٢) خواطر ومواقف في وفاة سماحة الشيخ ابن جبرين محمد زياد بن عمر التكلة  
<http://alukah.net/articles/1/7038.aspx>

(٣) [http://www.aleqt.com/2009/07/article\\_252034.html/14](http://www.aleqt.com/2009/07/article_252034.html/14)



مالك، وألفية ابن معط، قال صاحب قطر الندى، قال صاحب الأجرومية، وهكذا، كأنك تدرس عند أستاذ في الجامعة متخصص في علم النحو.

إذا انتقلت إلى فن آخر علم الأصول وقرأت مثلاً عليه في الورقات، يقول: قال الإمام ابن القيم كذا، وقال الشاطبي في الموافقات كذا.

وفي إحدى السفرات أخذ الشيخ يصف لي الطريق، يقول: ستأتينا قرية كذا. مركز كذا. محافظة كذا.

والعجب من ذلك أنه يأتي بالفروق بالكيلومتر، يقول: المسافة بقي عليها كذا، وإذا مر واد قال: هذا وادي كذا.

مررنا وادي الرشا المعروف، فأخذ الشيخ يسرد قصائد بالعامية عن هذا الوادي.

ثم مررنا على مجموعة من الأشجار، فقال: هذا الشجر يؤخذ منه كذا، ويصنع منه البارود الذي يوضع في أحد الأسلحة القديمة وهو المقمع».

ويذكر الأخ سليمان أنه قام بجولة في شمال المملكة وبعد عودته سأله الوالد *رحمة الله* عن رحلته فبدأ يذكر له بعض المدن فأخذ الوالد رحمه الله يسأله عن قرى صغيرة مروا بها وما زال يتذكرها مع أن عهده بها من عام ١٢٨٠هـ.

يقول الشيخ أيمن بن عبدالعزيز أبانمي<sup>(١)</sup>: «أذكر أنه أنشدنا في أحد دروسه أكثر من ثلاثين بيتاً في أحكام السواك».

<http://www.al-jazirah.com.sa/2009jaz/jul/30/rj4.htm> (١)

ومع هذا كله فقد كان الوالد رحمته الله يستصغر نفسه، ويرى أن ذلك أمر عادي، ففي مقابلة مع مجلة البيان<sup>(١)</sup> سئل عن فتاواه، وأنها تلقى ارتياحاً عاماً. فأجاب بقوله: «أعترف على نفسي بالقصور والنقص، وكثرة الخطأ، وأسأل الله العفو والغفران، وستر العيوب، والنقائص»، وسأذكر هذا النص كاملاً عند الحديث عن فتاواه رحمته الله وسترى ما فيه من عجائب.

وهذا لا شك أنه تواضع منه رحمته الله، والا فقد شهد له القريب والبعيد بقوة حافظته حتى قال تلميذه البار الدكتور عبدالعزيز السدحان: «والشيخ لو ترجم له منصف لصفه مع الحفاظ دون تردد، فلا أعرف في مشايخنا أقوى حافظاً واستحضاراً من الشيخ عبد الله، رحم الله مشايخنا».

وأختتم هذه النصوص بنص لسماحة المفتي العام الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله آل الشيخ رحمته الله يقول: «عرفته رحمته الله عام الثمانين يشغل مع محمد بن قاسم رحمته الله في تحقيق فتاوى شيخ الإسلام، ولهذا إذا مر بنا شيء في الفتاوى يستذكر الموقف من هذه العبارة أو نحو ذلك، فكان عنده إمام تامٌّ بمجموع شيخ الإسلام ابن تيمية، كأنه يتصفح بين يديه، فمشاركته الفعلية جعلت الشيخ يستذكر هذا المجموع الكبير استذكراً كاملاً، وإذا سألته عن شيء في أي صفحة من أي مجلد أبدى لك ما عنده».

وقد تحدث الشيخ عن محفوظاته في حال الطلب، فقال<sup>(٢)</sup>: «كان مشايخنا يلزمونا بالحفظ، ويكررون ويتأكدون من الحفظ، فكنا نحصر على حفظ المتون وبالأخص في مبادئ أمرنا ككتاب التوحيد، وثلاثة الأصول وأدلتها، وشروط الصلاة وواجباتها وأركانها، وفرائض الوضوء ونواقض الوضوء، ألزمونا بحفظها قديماً بواسطة الوالد.

(١) مجلة البيان، العدد ١٢٢ شعبان ١٤١٩هـ.

(٢) انظر قصتي في طلب العلم وصفحات من حياتي الحلقة الخامسة.



والوالد رحمة الله أمرنا أن نحفظ الآجرومية في النحو فحفظنا متنها، وكذلك كلفني أن أحفظ متن الرحبية في الفرائض، ولما ابتدأنا على الشيخ أبو حبيب كان يكلفنا بحفظ المتون، زاد المستقنع حفظنا فيه إلى قرب نهايته، وكذلك آداب المشي إلى الصلاة حفظته أنا وابنه ناصر، والألفية قرأنا فيها وحفظنا نحو ثلثها، والعقيدة الواسطية حفظناها.

ولما جئنا للرياض كملنا بلوغ المرام، وكذلك الحموية كلفنا بحفظها، وحفظنا نخبة الفكر وقرأناها على الشيخ عبد العزيز بن باز، وكلفنا أن نحفظها، وألفية العراقي حفظناها، وروضة الناظر نطالعها، وقد تكلف بحفظ مواضع منها لأجل الاختبار فيها، والورقات لإمام الحرمين قرأناها على الشيخ محمد الشنقيطي رحمة الله، فألزمنا بحفظها، حفظنا منها نحو صفحتين أو ثلاث صفحات.

في سنة من السنين أيضاً ألزمنا بقراءة اللامية لامية الأفعال التي لابن مالك، وهي أيضاً فيها شيء من الصعوبة، فقرأناها وحفظنا منها ما تيسر.

ومن طرائف ما ذكره من محفوظاته عن الشيخ محمد بن إبراهيم رحمة الله قال<sup>(١)</sup>: «مما أذكره أنه ألقى إلينا لغزاً، وعجزنا أن نحله، وذلك في آخر كتاب الوصايا، يقول وهذا من نظمه:

هنا مريضٌ مخوف الموت ليس له	سوى عبيدٍ يساوي قدر خمسيناً
فأعتق العبد قبل الموت واكتسب الـ	عبيد قبل ممات السيد سبعيناً
ونازع العبد ورأى لسيده	من بعد أن مات في السبعين أفتونا
هل هي له أو لهم أو بينهم وإذا	ما الوجه في القسم إن كنتم مجيبيناً

(١) محاضرة للشيخ عن الشيخ محمد بن إبراهيم ومنهجه في التعليم.

وبحثنا في كتب الوصايا ولم نجد جواباً، ومات الشيخ قبل أن يخبرنا،  
ووجدنا هذه الأبيات عند أحد تلاميذه الآن، ولعله من زملائه، وهو الشيخ  
عبدالله بن عبد العزيز بن عقيل».

ومن المميزات المشهورة لدروس الوالد رحمته الله التزامه باللغة الفصحى،  
يقول تلميذه الدكتور عبد المحسن العسكر وهو متخصص في اللغة العربية:  
«ومما امتازت به دروس شيخنا التزامه الدائم للفصحى وتجنبه للحن  
والعامية، لا يحيد عن ذلك أبداً منذ عرفته، في دروسه ومحاضراته».

وقد ذكرت سبب حرصه ومعرفته للغة العربية، حيث ذكر عن بعض  
زملائه: أنهم كانوا ينتقدون لهجته حينما جاء من القويعة، فالتزم أن يترك  
اللهجة، ولا يتكلم إلا باللغة العربية الفصحى.

ومع أننا سنفرد حديثاً لتواضعه وبحثه عن المزيد من العلم إلا أن هذه  
القصة الطريفة التي تروها أختي هيا مفيدة هنا بعد الكلام عن موسوعتيه  
رحمته الله تقول فيها: «أنجبت بنتاً أسميتها (لميساً)، كنت معجبة بالاسم منذ  
صباي، فقد قرأت أنه عربي أصيل وليس مشهوراً عندنا، ومعناه المرأة ناعمة  
الملمس. وكانت إحدى ملكات اليمن قبل البعثة اسمها لميس».

وقد بحثت فقرأت أنه اسم لامرأة خزرجية بايعت رسول الله ﷺ، فلما  
قلت ذاك لأبي.. استغرب، وقال: لا أعرف صحابية بهذا الاسم.. وراح يبحث  
في الكتب حتى وجد في إحدى كتب الحديث إسناداً فيه امرأة اسمها لميس  
ولكنها مجهولة!

وكنت أقول لأبي: إننا قد درسنا شاهداً من الشعر في النحو يقول:





يا ليتني وأنت يا ليس... في بلدة ليس بها أنيس

إلا اليعافير وإلا العيس

وكلما رأني بعدها ومعني ابنتي ليس، قال لي: ما هو الشعر؟

فأذكره بشطر الأول ثم يكمله، حتى حفظه وفرح بحفظه، وكلما رآها كرره.

وكنت أسأله عن معناه وعلى أي شيء استدل به في النحو، فيخبرني

ويشرح لي».

### المدرس المتفزن

هذه المرحلة من حياة الوالد **رحمة الله** هي أم الباب، كما يقوله النحاة عن

كان وإن ونحوهما، فقد برع **رحمة الله** في التدريس، بل وقف حياته له منذ أن

كان يافعا حتى ودع الدنيا.

كان التدريس يجري في عروقه، ويدخل مع الهواء لثنتيه، هو طعامه

وشرابه، أنسه وسعده.

وقد يستغرب بعض القراء هذه العبارات، لكنه إذا قرأ هذا الموضوع زال

عنه الاستغراب، فسيمر بنا في هذا الموضوع ما يدل على ذلك ويجليه.

سنلقي في البداية الضوء على البداية الرسمية بهذه المهمة، حيث عين

مدرسا في معهد إمام الدعوة ثم انتقل لكلية الشريعة، ثم تنتقل إلى العطاء

التطوعي في مجال التدريس فنعرض تاريخ الدروس وتسلسلها في حياته

**رحمة الله** ثم سيتلو ذلك إشارات بل منارات تكشف عن معالم هذه المهمة، بل

الهواية في حياة الشيخ.

كانت بداية هذه الدروس ونموها وتطورها وشهرتها وكثرتها عفويا، لم يكن مقصودا ولا مدروسا، يوجهه التوفيق ويسدده الإخلاص.

وسأعتني هنا بدروس المساجد وحلقات التعليم غير النظامية، مع إشارة خفيفة للتدريس الرسمي.

أحب دائما أن يكون الشيخ هو المتحدث في هذه السيرة، لأن طرحه أشمل وألطف وأدق وأوضح<sup>(١)</sup>.

### مدرس قبل التخرج

كانت البداية في التعليم النظامي في معهد إمام الدعوة، كان المعهد عامرا بالطلبة، وكان ينقصه مدرسون، رأى الشيخ محمد بن إبراهيم أن يستعين بأنجب تلاميذه، ليتولوا التدريس في المعهد، فاختار الشيخ الوالد واختار معه زميله ورفيقه الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحم الله الجميع، وكان ذلك قبل تخرجهم.

يقول الوالد رحمة الله<sup>(٢)</sup>: «لما كان في سنة إحدى وثمانين تعينت مدرسا في معهد إمام الدعوة قبل أن أتخرج بعدة أشهر، واختير لي المواد الدينية كالتفسير والحديث والفقه والتوحيد وما يلحقها من النحو والتاريخ وما أشبه ذلك».

(١) انظر لهذه النقول: صفحات من حياتي الحلقة الخامسة، وبرنامج ابن جبرين....عالم أمة للشيخ محمد المنجد، وقصتي في طلب العلم، وكلمة للوالد رحمة الله في اجتماع طلابه عام ١٤٢٦ للعناية بكتبه، ومقالة عن حياة الشيخ لتلميذه عبد الوهاب الزيد، وترجمة الشيخ من موقعه رحمة الله، وتجربتي في طلب العلم.  
(٢) صفحات من حياتي الحلقة الخامسة.



كان ذلك في شعبان عام ١٢٨١هـ وتعين بعد ذلك رسمياً في المعهد نفسه، واستمر فيه إلى عام ١٢٩٥هـ، وقام بتدريس الكثير من المواد وكتب مذكرات على أحاديث عمدة الأحكام وعلى مواد الفقه والتوحيد والمصطلح لا يزال الكثير منها محفوظاً عند الطلاب أو في المعاهد العلمية<sup>(١)</sup>.

يقول **رحمته الله**<sup>(٢)</sup>: «في سنة اثنتين وثمانين تعينت مدرساً في معهد إمام الدعوة، وتعين فيه معي بعض الزملاء كالشيخ فهد بن حمين والشيخ محمد ابن عبد الرحمن بن قاسم».

ومن أخباره في ذلك ما قاله تلميذه الشيخ أحمد المهنا<sup>(٣)</sup>: «كنت أسأل الشيخ إذا صححت الأوراق قديماً في المعهد العلمي، هل تكتبون جيد جداً، جيد، ممتاز؟».

قال: لا، هذه ما نعرفها، لكن كنا نكتب عبارات أخرى مثل: يا بني لقد أقررت عيني، ومرة: لا فض فوك ولا بر من يجفوك، ومثل: لا شلت عشرك، يعني: يديك التي تمسك الورق وتمسك القلم».

ويقول تلميذه الدكتور علي الزبن<sup>(٤)</sup>: «كان يدرسننا في المعهد الشيخ عبد الله الموسوعة الفقهية والحديثية والعقيدية والأدبية، فقد كان درسه جامعاً شاملاً لعلوم الشريعة والأدب، بل إننا حينما ارتقيننا إلى المستويات العليا في المعهد كان حديث الطلاب أن هذا مقامه الكلية، حيث يعم نفعه وفائدته».

(١) سيرة الشيخ من موقعه الإلكتروني.

(٢) برنامج عالم أمة للشيخ محمد المنجد.

(٣) لقاء للشيخ أحمد المهنا بعنوان: الإمام الراحل.

(٤) مقال في جريدة الجزيرة <http://www.al-jazirah.com/156718/fe30.htm>

درسنا في عمدة الأحكام في الحديث، وكان شرحه شرحا شاملا في الراوي وأحكام المصطلح والنكات الفقهية والبلاغية وخلافات العلماء بأسلوب شيق وعرض متمكن، ولا تزال تعليقاته عندي إلى الآن على متن العمدة، ودرسنا لمعة الاعتقاد، فكان يقرر عقيدة السلف بأسلوب محبب إلى النفوس، حيث حبب لنا عقيدة السلف وقررها في نفوسنا..

استمر في معهد إمام الدعوة خمس عشرة سنة، ثم انتقل إلى كلية الشريعة.

### في كلية الشريعة

في سنة خمس وتسعين وأربعمائة وألف انتقل إلى كلية الشريعة في الرياض وتولى تدريس التوحيد للسنة الأولى، وكان المقرر كتاب التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية وكتب عليه تعليقات، وكذا درس أول شرح الطحاوية للسنة الثانية<sup>(١)</sup>، وقد استمر فيها حتى أنشئت الأقسام العلمية في الجامعة، وتم توزيع أساتذة الجامعة فجعلوه في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، فكان يشارك في جلسات القسم ويشرف على الرسائل ويناقشها<sup>(٢)</sup>. وما زال كذلك حتى انتقل لرئاسة الإفتاء عام ١٤٠٢هـ، كما سيأتينا إن شاء الله.

### تدريس الدراسات العليا

بعد انتقال الشيخ الوالد رحمته الله للإفتاء طلبته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لتدريس الطلاب في الدراسات العليا، فدرس في المعهد العالي

(١) ترجمة الشيخ من موقعه الإلكتروني.

(٢) برنامج عالم أمة للشيخ محمد المنجد.





للقضاء، وفي كلية الشريعة، وفي كلية أصول الدين، وكان يطلب أيضًا من قبل الجامعة وغيرها للإشراف على الرسائل العلمية ومناقشتها كما يطلب منه تحكيم بحوث الترقية.

يذكر الوالد رحمة الله<sup>(١)</sup> أنه قام بالتدريس في المعهد العالي للقضاء التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك في عام ١٤٠٨هـ، حيث أسند إليه مقرر الفقه للسنة الأولى في قسم السياسة الشرعية بمعدل محاضرتين في الأسبوع.

ثم في العام الذي بعده قام بتدريس هذا المقرر، ومعه مقرر الأحوال الشخصية للسنة الثانية ثلاث محاضرات في الأسبوع، وكان يختار جملاً من الكتاب المقرر، ويذكر ما فيها من الخلاف، ويسرد أدلة الأقوال مع الجمع والترجيح ووجه الاختيار.

وفي عام ١٤١٠هـ اقتصر على المقرر الأول وهو السياسة الشرعية، ثم توقف بعدها عن التدريس في المعهد.

يقول الدكتور محمد بن يحيى النجيمي<sup>(٢)</sup>: «وقد تشرفت بالتلمذ على يديه في المعهد العالمي للقضاء، فقد كان يجمع بين آراء الفقهاء المتقدمين والمعاصرين في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية وقواعدها الكلية».

وقد درس في آخر حياته طلاب الدكتوراه في قسم العقيدة في كلية أصول الدين.

(١) سيرة الشيخ من موقعه الإلكتروني.

(٢) جريدة المدينة <http://al-madina.com/node/161552/madina>

هذه لمحات عن تدريسه الرسمي ولنعد الآن إلى بيت القصيد، وهو  
التدريس غير الرسمي.

## التجربة الأولى

يذكر الوالد رحمته الله أول دروسه فيقول: «في حدود سنة خمس وثمانين  
قبل أن أبدأ في التدريس في المسجد، رغب إليّ يماني اسمه إبراهيم شريف،  
وقال: إني أحب أن أتعلم في الفرائض لأنني ما تعلمتها.

في ذلك الوقت كنت أدرّس في معهد إمام الدعوة وهو يدرّس في مدرسة  
تحفيظ القرآن، قبل أن أصير إماماً، وقبل أن أتولى التدريس في مسجد آل حماد.  
فكنت أدرس إبراهيم شريف في الفرائض متن الرّحبية، ولم يزل  
إبراهيم يدرس إلى أن حصل عليه حادث وتوفي رحمته الله».

كان هذا أول تدريس خارج إطار المعهد العلمي، وكان رحمته الله في الخامسة  
والثلاثين من عمره.

بعد هذه التجربة حيب إليه التدريس، يقول رحمته الله: «ومن آثار مزاوله  
هذا التدريس أحببت أن أشتغل بهذا التدريس في الأوقات الأخرى، التي عندي  
فيها سعة».

## الانطلاق

من علامات التوفيق للعبد أن يستعمل فيما يبارك له فيه، قد يكون  
الشيء في بادئ الأمر صعباً وبعيداً، لكنه في الحال الثاني يكون قريباً ومفيداً،  
وهذه القضية لا يدركها إلا أولو البصائر وأرباب التجارب.



خذوا هذا المثال العجيب الغريب.. والتوفيق البديع.. الذي صنعه  
العليم القدير..

توفي الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله في سنة تسع وثمانين، وطلب من  
الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله آل الشيخ المفتي العام حالياً أن يكون إماماً  
وخطيباً في مسجد الشيخ محمد الذي في دخنة.

كان الشيخ عبدالعزيز إماماً في مسجد آل حماد، كان إمامه قديماً  
عبد المحسن بن علي آل الشيخ، وكان قد استخلف الوالد رحمته الله فيه في سنة  
ثلاث وثمانين ليصلي بهم التراويح. وكان يستخلفه أن يصلي بهم بعض  
الأوقات، حيث إنه كان مفتشاً تابعاً للجامعة فيسافر كثيراً.

عرف الوالد رحمته الله جماعة المسجد وعرفوه، وحصلت بينهم معرفة  
وزيارة وصداقة، كان أغلبهم من أهل الرياض من آل الشيخ ومن آل مرشد.

تنازل عبد المحسن عن المسجد فتعين فيه المفتي كإمام، فلما توفي الشيخ  
محمد بن إبراهيم أناب المفتي الوالد رحمته الله إماماً في هذا المسجد، ووافق  
الجماعة لأنهم يعرفونه قديماً فتعين فيه رسمياً.

كان المسجد ملاصقاً لمدرسة تحفيظ القرآن التي يديرها الشيخ محمد  
ابن سنان رحمته الله.

طلب الشيخ ابن سنان من الوالد رحمته الله أن يجلس لطلاب المدرسة في  
بعض الدروس العلمية.

يقول الوالد رحمته الله: «رغبني في ذلك وأخبرني بأنهم أغلبهم من اليمن  
ومن البلاد الجنوبية من جيزان ومن تهامة ومن تلك البلاد، وأنهم في بلاد

يغمرها الجهل، وإذا رجع أحدهم إلى بلادهم أصبح كأنه عالم بين جهلة، يصبح وحيدا فيهم. ويحيي فيهم هذا الوعي وهذا العلم، فشجمني على ذلك». كان الشيخ ابن سنان رحمته الله يستأجر لهم سكناً وكانت تأتيه صدقات، فينفق عليهم ويعطيهم مكافآت، فكانوا يجتهدون في حفظ القرآن. التزم الوالد رحمته الله وبدأ في التعليم، بدأ معهم في أول سنة تسعين وثلاثمائة. كان يجلس بعد الفجر إلى ما بعد الإشراق وبعد الظهر إلى منتصف الوقت بين الظهرين وبعد العصر إلى قرب الغروب وبعد المغرب إلى العشاء. وجد منهم تقبلاً وقبولاً ورغبة واستفادة.

يقول رحمته الله: «وأكثر ما كنت أهتم به في العقيدة في ثلاثة الأصول وشروحها وكشف الشبهات وكتاب التوحيد والعقيدة الواسطية هذه الكتب كررتها عليهم.. وآداب المشي إلى الصلاة والأربعين النووية ودرسنا أيضاً في الفقه: عمدة الفقه وعمدة الأحكام.. ثم بعد ذلك صرت أطلب من بعضهم أن يقرؤوا في الشروح وأكثر ما يتيسر عندهم شروح الشيخ عبدالعزيز بن سلمان رحمته الله الأسئلة والأجوبة الأصولية وكذلك الكتاب الموسع في شرحها فكانوا يقرؤون في ذلك».

بعد نحو ثمان سنين هدم ذلك المسجد بل تلك المدرسة العامرة بدروس العلم، وذلك في سنة سبع وتسعين، وجعل في مكانه مواقف متعددة الأدوار توسعة للسوق، حيث كان في وسط المقبرة وهي السوق الرئيس لمدينة الرياض. لكن العلم والتعليم لم يتوقف كان الوالد رحمته الله في بيته الذي في حي السبالة. ويصلي في مسجد بجوار بيته وهو مسجد الحمادي الذي يؤمه الشيخ عمر بن محمد بن باز رحمته الله.



صار الطلاب يأتون إليه يقطعون مسافة كيلومتراً أو أكثر إلى المسجد  
راجلين ذهاباً وإياباً.

يقول الوالد رحمه الله: «فشجعوني واستمر الدرس وبالأخص في شرح ابن  
سلمان الذي يسمى الكواشف الجلية في شرح العقيدة الواسطية وغيره من  
الشروح».

كان يحضر الحلقة أكثر من خمسين إلى ستين، وكان الشيخ ابن سنان  
رحمه الله يحثهم ويتفقدهم فكانوا يتشجعون بتشجيعه.

وكان الشيخ ابن سلمان رحمه الله يشجعهم بما يعطيهم من الكتب التي  
يقرأون فيها.

نبغ منهم كثير من الذين تعلموا، أصبحوا الآن يحملون الشهادات  
العالية، وصار منهم دعاة كبار وعلماء راسخون.

أرأيتم التوفيق، والنظرة الثاقبة لأهل العلم، إن ابن سنان وابن سلمان  
وابن جبرين رحمهم الله لا يعلمون الغيب، لكنها فراسة المؤمن الذي ينظر بنور الله.

### دار العلم

هي حقا دار العلم، ففي عام ١٢٨٢ هـ أسس بعض المحسنين مدرسة  
خيرية أسموها: دار العلم، فأقبل إليها العدد الكثير من الطلاب صغاراً وكباراً.

وفي دار العلم تولى الوالد رحمه الله التدريس، فبعد تدريسه لطلاب  
تحفيظ القرآن علم عنه القائمون على الدار فطلبوه يقول رحمه الله<sup>(١)</sup>: «بعد

(١) اجتماع طلاب الوالد.

ذلك بقليل ابتدأت درسا في دار العلم بطلب من الإخوان في الدار، وقد توفيت أكثرهم، منهم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن غيث، و الشيخ صالح بن سبتي وأخونا عبد الله السبر».

وتولى رحمته فيها التدريس في المواد الدينية: كالحديث والتوحيد والفقهاء حسب مدارك الطلاب، وأقام الشباب فيها ناديا أسبوعيا يستمر بعد العشاء ليلة كل جمعة لمدة ساعتين، فكان يحضره غالبا، ويلقي فيه بعض الكلمات، ويجيب عن الأسئلة الدينية والاجتماعية<sup>(١)</sup>.

### الدرس المعمر

ومن دار العلم انطلق أحد دروس الوالد رحمته الذي استمر قريبا من خمس وثلاثين سنة، يقول رحمته: «بعد ذلك طلب منا أخونا الشيخ إبراهيم الغيث أن نبدأ بصحيح البخاري، وكان معه الشيخ محمد بن ناصر السحبياني حتى انتقل إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة، ثم خلفه الشيخ الدكتور فهد السلمة حتى انشغل بالتدريس في كلية الملك فهد الأمنية، والذي استمر هو الشيخ إبراهيم وأكمل الصحيحين وسنن الترمذي، وابتدأ في أحكام القرآن لابن العربي ليلة واحدة في الأسبوع، والطريقة أن يقرأ الباب ثم نشرحه بإيضاح مقصد المؤلف وبيان ما تدل عليه الأحاديث».

### أشهر الدروس

أما الدرس الذي اشتهر، واشتهر به الوالد رحمته فهو ما يعرف بدرس المنار أي منار السبيل، وقد ذكر الوالد رحمته بدايات هذا الدرس وتطوره

(١) موقع الوالد رحمته <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=200&book=75&toc=4750&page=4279&subid>



بقوله: «في حدود سنة ثمان وتسعين طلب مني بعض الإخوة أن يقرؤوا عليّ في بعض المتون العقدية بعد العشاء، فأعطيتهم ليلة وهي مساء الجمعة ليلة السبت في المنزل في حي السبالة. كان في العقيدة التي كتبها الشيخ ابن سعدي وطبعت في مقدمة كتابه القول السديد، فكان يحضر عدد كثير، وممن كان يحضر خالد الحميضي وعبد الله بن إبراهيم الخلف وغيرهم، واستمروا في الحضور، ولم يزلوا يزيدون حتى يضيق بهم المجلس، استمر العمل كذلك إلى أن انتقلنا في حي جنوب شبرا في سنة اثنتين وأربعمائة وألف، فكنت أجلس لهم في الرحبة التي أمام المجلس الملحق، فأخذ العدد يزداد فصارت تمتلئ تلك الرحبة ويمتلئ الملحق وتمتلئ البلكونة، وكثر الإقبال، قرأنا كثيرا من المتون، قرأنا أولا متونا في التوحيد كتاب نظم سلم الوصول وشرحه معارج القبول في مجلدين، ورسالة الشفاعة للوادعي وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وشرح ثلاثة الأصول له، كما قرأوا في الفقه نظم الرحبية في المواريث، ومنار السبيل شرح الدليل لابن ضويان حتى كمل والحمد لله. ولما ضاق المكان نقلناه إلى المسجد الذي يسمى مسجد ابن برغش قريبا من البيت، ولما رأوا أن هذا الدرس قليل مرة في الأسبوع طلبوا يوما ثانيا، فأعطيناهم يوم الأحد ليلة الاثنين، فصار درسين في الأسبوع، وهذه من الدروس التي عليها إقبال كبير مساء الجمعة ومساء الأحد.

ابتدأنا في منار السبيل وزاد العدد، وصاروا يواصلون، والذي كان يقرأ الشيخ محمد بن إبراهيم الشعلان، وعين قاضيا في المزاومية فصعب عليه الحضور واعتذر، وكان يقرأ أيضا أحد الطلاب اسمه يوسف الشنيفي، والذي واصل الدكتور عبد العزيز السدحان استمرار في القراءة حتى أكملناه<sup>(١)</sup>.

(١) قال الشيخ الدكتور عبد العزيز السدحان: بدأنا في منار السبيل على الشيخ رحمه الله في يوم ١٣ من الشهر العاشر شهر شوال عام ١٤٠٢ وانهينا في عام ١٤١٦ للهجرة "فصتي في طلب العلم".

## في الجامع الكبير

في عام ١٣٩٨هـ رغب سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز أن يقوم الوالد رحمته الله في غيبته بالصلاة في الجامع الكبير إماماً للصلوات الخمس، فنقل الدروس إلى الجامع الكبير، الذي عرف بعد ذلك بجامع الإمام تركي بن عبد الله رحمته الله، وكان في حالة وجود سماحة الشيخ ابن باز في الرياض يقوم بصلاة العشائين هناك، ويلقي الدروس بينهما، وبقيّة الأوقات يلقي دروسه في مسجد الحمادي.

وقد بدأ في الجامع درسا مهما استمر حتى توفيه، فقد طلب منه اثنان من آل تركي هما: إبراهيم بن سليمان ومحمد بن ناصر درسا في بعض الفنون، وانضم لهما خالد أبا حسين رحمته الله وآخرون، ولما هدم الجامع نقل الدرس في حي شبرا، وانضم إليهم الدكتور عبد الله الشثري، ولازم الشيخ بعد ذلك.

## درس العليا

في حدود عام ١٤٠٣هـ رغب إليه بعض الشباب من سكان حي العليا أن يلقي عندهم درسا أسبوعيا في العقيدة ودرسا في الحديث، فابتدأ الدرس في مسجد في وسط الحي، وكان ذلك يوم الاثنين ليلة الثلاثاء، ثم انتقلوا إلى مسجد الملوحي مدة طويلة، ثم إلى مسجد السالم، واستمر الدرس فيه سنوات. ثم انتقل إلى مسجد الملك عبد العزيز، ثم إلى جامع الملك خالد. وقد أكملوا في هذه المدة متن لمعة الاعتقاد والعقيدة الواسطية وكتاب التوحيد ومتن التدمرية وبعض بلوغ المرام وشرح عمدة الفقه قسم العبادات وبعض الروض المربع.



## درس للعامّة

جامع عتيقة يقع في سوق الخضار المشهور في جنوب الرياض ويمتلى بالمصلين في كل وقت ومعظمهم من العامّة. ومن بصيرة سماحة الشيخ ابن باز رحمة الله أن طلب من الوالد رحمة الله أن يلقي درسا في هذا الجامع، وذلك في عام ١٤٠٩ هـ فلبى رغبته وأقام فيه درسا أسبوعيا. واستمر هذا الدرس مع أنه لا يحضره إلا القليل من الطلاب لانشغال أهل الأسواق بتجارتهم.

قرأ فيه الشيخ عبد العظيم أبابطين في الروض المربع إلى كتاب البيع، ثم تولى القراءة الشيخ عبد الرحمن أبانمي حتى أتم الكتاب.

## درس جامع الشيخ سليمان الراجحي

في عام ١٤٠٩ هـ عندما هدم الجامع الكبير لإعادة بنائه رغب إليه بعض الأخوان أن يقرر درسا أسبوعيا في جامع الشيخ سليمان الراجحي بحي الربوة، وذلك لأن المسجد مشهور ويحيط به أحياء مكتظة بالسكان المحبين للعلم. فلبى طلبهم في مساء كل سبت وابتدأ في شرح الطحاوية فأكمّله، ثم عمدة الأحكام في الحديث فأكمّلهما، ثم كتاب السنة للخلال ثلاثة مجلدات، ثم كتاب السنة لعبد الله بن أحمد.

كان الذي يقرأ أولا الشيخ عبد الله البواردي، وقرأ بعده الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ فهد بن حمين. ثم إمام المسجد الشيخ صالح بن سليمان الهبدان، وفي عام ١٤١٢ هـ ابتدأ يقرأ الشيخ عبد الرحمن بن عبدالعزيز أبانمي، وهو الذي استمر حتى توفي الوالد رحمة الله.

ويكثر الطلاب في هذا الدرس فربما زادوا على الخمسمائة، ولا يتوقف إلا في أيام الاختبارات. وقد سجلت تسجيلات الراية معظم هذه الدروس، وكان جارنا الشيخ محمد بن إبراهيم بن مهنا يذهب بالوالد على سيارته، ويحضر الدرس ويقرأ في بعض الكتب.

## درس جامع شيخ الإسلام ابن تيمية

يعد جامع شيخ الإسلام ابن تيمية من أهم الجوامع في جنوب الرياض وكان لدى الوالد رحمته الله في مسجد البرغش درسان مهمان يوم الجمعة ويوم الأحد بعد العشاء فاقترح عليه الشيخ فهد الغراب إمام جامع ابن تيمية وخطيبه نقل أحد الدرسين، فنقل درس الأحد هناك من عام ١٤١٥ هـ واستمر حتى نقلت الدروس إلى جامع الراجحي في شبرا.

### الدروس الصباحية

من أهم ماتميز به الوالد رحمته الله كثرة الدروس الصباحية واستمرارها لمدة طويلة، تحدث رحمته الله عن هذه الدروس فقال <sup>(١)</sup>: «أما الدروس الصباحية فالغالب أن الذي يقبل عليها الإخوة اليمانيون مثل الشيخ عبد الله بن علي عامر وقد كمل المنهاج للسنة وقرأ في كتاب ابن القيم (الصواعق) وأحكام أهل الذمة وتفسير القرطبي، وكذلك محمد بن عبد الله ناجي في تفسير الشوكاني، وحسن ثابت في كتاب اقتضاء الصراط، ومع ذلك رأينا أيضاً إقبالا آخر قويا من الإخوة السعوديين

اقترح علينا أخونا بدر بن ناصر البدر وذلك لأن الشيخ ابن باز رحمته الله يجلس لهم أربعة أيام، يجلس يوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الأربعاء ويوم الخميس، فقال: عندنا يومان فيهما فراغ يوم السبت ويوم الثلاثاء، فنريد أنك تجلس معنا، فلبيت طلبهم وأقبل في هذين اليومين عدد كبير، فكنا نجلس في مسجد البرغش حتى تمتلئ صالة المسجد، وإذا كان وقت الصيف نجلس في رحبة المسجد وربما تمتلي، واستمر هذان الدرسان ولم يزا إلى

(١) صفحات من حياتي الحلقة الخامسة وتجربتي في طلب العلم وترجمة الوالد رحمته الله في موقعه الإلكتروني.

اليوم إلا أن العدد قل، وبعد أن نقلناها في مسجد عبد الله الراجحي الموجود أصبحت تسجل.

بقية الأيام عندنا فيها أيضاً دروس، وهي صباح الخميس وصباح الجمعة، وكان أول من طلب منا أحد الإخوة اليمانيين، يقال له محمد أبكر قد توفي رحمة الله طلب منا أن نجلس في كتاب التوحيد في صحيح البخاري، وكنا نشرح صحيح البخاري ونتوسع ويتوسع الإخوة في إلقاء المسائل، وكان ذلك بعد فجر يوم الجمعة، قبل أن يكون يوم الخميس إجازة، فاستمر يقرأ علينا ثم بعد ذلك لما جعل يوم الخميس إجازة جلسنا أيضاً في صباح الخميس.

بعد ذلك توافد إلينا بعض الإخوة، ومن الذين يحضرون: باكستاني اسمه غلام والشيخ عبد العزيز الجهني، ولم يزلوا يزيدون ويقترحون أيضاً دروساً أخرى.

واستمر هذان الدرسان وتوسعا بدل ما كان كتاباً واحداً أصبحنا نقرأ أحياناً اثني عشر كتاباً وعلى الأقل ثمانية كتب في كل صباح خميس وصباح جمعة.

يقرأ فيها كثير من الطلاب بعضهم في التفسير، وبعضهم في الحديث، وبعضهم في التاريخ، وبعضهم في العقيدة، ونحو ذلك.

نقلنا هذين الدرسين الصباحيين في مسجد قريب من البيت هو مسجد البرغش الذي إمامه عثمان الشعلان.

طلب منا أيضاً الإخوة أن نقرأ في اليومين الباقيين اللذين هما صباح الاثنين وصباح الأربعاء في تفسير ابن جرير فأجبناهم إلى ذلك، واستمروا

في تفسير الطبري وصلنا إلى المائة، وأشركنا أيضاً دروساً أخرى في كتب العقيدة وكتب التوحيد وكتب أخرى.

فأصبحت دروس الصباح ستة أيام كلها معمورة ما عدا صباح الأحد، جعلناه لمراجعة بعض الكتب التي نحتاج إلى مراجعتها ونحو ذلك.

كنا هكذا إلا في أوقات الإجازات.

وقد قرئ علينا في هذه الأوقات كثير من الأمهات: كالصحيحين وشرح الطحاوية وشرح الواسطية لابن سلمان ولابن رشيد وبعض زاد المعاد وجميع بلوغ المرام وزاد المستقنع وبعض سنن أبي داود والترمذي وموطأ مالك ورياض الصالحين وبعض نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار وبعض سنن الدارمي وترتيب مسند الطيالسي وكتاب الدين الخالص لصديق حسن خان وفي المصطلح متن نخبة الفكر ومتن البيقونية وفي النجوم متن الأجرومية وبعض ألفية ابن مالك وفي أصول الفقه متن الورقات لإمام الحرمين وغير ذلك من المتون والشروح الكثيرة.

### وفي العصر أيضاً

لقد كانت دروسه رحمة الله في جميع الأوقات، فحتى العصر لم يخل من دروس، وأترك الوالد رحمة الله يحدثنا عن ذلك يقول رحمة الله: «لما استقر بنا المقام في حي شبرا كنت أصلي في مسجد آل فنتوخ الذي كان إمامه قديماً أحد الأقارب حمد بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، فطلب منا أن نتكلم بعد العصر بكلمة فاستجبنا لذلك ثم طلب منا أن يقرأ علينا حديثاً ونشرحه، وبعد أن استقال من المسجد تولى إمامته صالح بن محمد آل فنتوخ نصلي معهم العصر، وتكلم على الحديث الذي يقرؤه.



وفي حدود سنة أربعمائة وثمان طلب مني أيضًا أحد الأقارب أن أجعل يوماً صلاة العصر في المسجد الجنوبي ويعرف بمسجد الخرجي فأجبتهم يوم الخميس أني أصلي معهم ويقرؤون عليّ حديثاً، وأتكلّم عليه إذا كنت موجوداً. وفي المنزل طلب منا بعض الإخوة قراءة في الفرائض بعد العصر فأعطيناهم عصر يوم الأحد قرأنا الرحبية، ثم بدأنا أيضًا في ألفية الفرائض التي عليها شرح كبير اسمه العذب الفائض.

كذلك طلب منا بعض الإخوة درسا بعد العصر يوم الثلاثاء فوافقنا على ذلك، وابتدؤوا في منار السبيل شرح الدليل نشرحه شرحا مختصرا.

### ومن خارج الرياض

كان هناك طلاب يأتون من أماكن بعيدة، يقصدون الرياض في أيام الإجازات ويدرسون على عدد من المشايخ.

تردد لزمان غير قصير بعض الإخوة من الكويت يحضرون عند الوالد درسا خاصا بهم في المنزل.

وكان بعض الإخوة يأتون من قرية عرجاء، وأغلبهم من العتبان من آل حمادي في درس نصف شهري، وقرية عرجاء تبعد عن الدوادمي شمالا نحو ثلاثين كيلو، أي يأتون من مسافة أربعمائة كيلومترا، ويقرؤون في الروض المربع من كتاب المعاملات قبيل الظهر، فيشرح لهم بابا أو نحوه، ثم يذهبون إلى بعض المشايخ، ثم يرجعون لبلادهم، واستمروا على هذا عدة سنوات.

## دروس الصيف

للصيف عند الوالد رحمة الله طعم آخر، وطريقة أخرى في التعامل مع الإجازة الصيفية، ونظرته إليها تختلف عن تعامل الكثيرين ونظرتهم.

كان رحمة الله قبل تقاعده من العمل لا يبرح الرياض إلا نادرا، فقد كان مدرسا في المعهد ثم الكلية، فإذا جاءت الإجازة أرسلنا لمدة شهر لزيارة أحوالنا في القويبية، وتفرغ في الرياض للقراءة والتعليم. ثم لما كان موظفا في الإفتاء كان لا يأخذ إجازته كل سنة، فإذا اجتمعت أخذها وتفرغ في الرياض أو غيرها، لإنجاز ما تراكم لديه من أعمال.

وبعد أن تقاعد وتفرغ متبرعا للتدريس. كما كان رحمة الله يحب أن يكتب للتعريف بنفسه. أصبح يقوم بجولة علمية في كل صيف، تشمل الكثير من مناطق المملكة، وكان يفتح الإجازة الصيفية بدروس مكثفة في الرياض تصل لأكثر من أربعين درسا في الأسبوع، وذلك قبل أن يبدأ بجولته الصيفية.

وسنتكلم الآن عن الدروس التي في الرياض مرجئين الكلام عن غيرها إلى موضعه المناسب.

بدأ رحمه هذه الدروس بالدورة العلمية الصيفية الأولى في عام ١٤٢٢هـ، وكانت مدتها شهراً كاملاً يدرس بعد الفجر وبعد الظهر وبعد المغرب، وقد شرح رحمة الله فيها عدداً من المتون، هي:

كتاب المحرر في الحديث لابن عبد الهادي ولم ينته منه، وكتاب الباعث الحثيث لأحمد شاكر ولم ينته منه، وكتاب الجوهرة الفريدة للحافظ الحكمي وقد أكمله في هذه الدورة.



ثم تلتها في العام اللاحق الدورة العلمية الصيفية الثانية لمدة شهر، وكان يدرس فيها بعد الفجر وبعد المغرب وبعد العشاء، وقد درس في هذه الدورة جزءاً من المحرر، وأكمل الباعث الحثيث، وابتدأ في عدد من المتون هي:

زاد المستقنع، وكتاب التوحيد ولم ينته منهما، ودرس عدداً من المتون وأكملها، وهي الورقات، وكتاب العقيدة الواسطية، والآجرومية، والرحبية.

وفي عام ١٤٢٤هـ عقد الدورة العلمية الصيفية الثالثة لمدة شهر، وقد واصل رحمة الله شرح كتاب المحرر في الحديث، وزاد المستقنع، وكتاب التوحيد، ولم ينته منها.

كما ابتدأ في كتاب العقيدة السفارينية وملحة الإعراب ولم ينته منهما. ودرس المنظومة البرهانية في الفرائض ونخبة الفكر، وقد أكمل رحمة الله هذين الكتابين.

وكان يدرس بعد الفجر وبعد المغرب وبعد العشاء، واستقر تدريسه في الأوقات الثلاثة في الدورات اللاحقة.

وعقد رحمة الله الدورة العلمية الصيفية الرابعة في عام ١٤٢٥هـ، وكانت مدتها ثلاثة أسابيع، وواصل فيها شرح كتاب المحرر وزاد المستقنع ولم ينته منهما، وأكمل شرح كتاب التوحيد، وكتاب العقيدة السفارينية، وملحة الإعراب. وابتدأ في ألفية الحديث للعراقي، وتوقف عند باب الوصل والإرسال، وشرح كتاب آداب المشي إلى الصلاة. وقد أكمله رحمة الله في هذه الدورة.

وكان المشرف على هذه الدورات الأربع تلميذه فضيلة الدكتور محمد بن حمد المنيع حفظه الله، والشيخ أحمد بن ناصر الموسى.

ثم تولى مكتب الشيخ رحمته الله تنظيم الدورات اللاحقة فعقدت الدورة العلمية الصيفية الخامسة في عام ١٤٢٦هـ، وكانت مدتها ثلاثة أسابيع وواصل فيها رحمته الله شرح كتاب المحرر في الحديث لابن عبد الهادي، وتوقف عند كتاب الحدود، وكتاب زاد المستقنع، وتوقف عند باب الأصول والثمار، وألفية الحديث للعراقي، وتوقف عند مراتب التعديل.

كما ابتدأ في شرح كتاب الاقتصاد في الاعتقاد - للحافظ عبد الغني المقدسي وكتاب تجريد التوحيد المفيد - للمقريري، وقد أكملهما الشيخ رحمته الله في الدورة ودرس جزءاً من مختصر السيرة - للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقد شارك الشيخ التدريس في هذه الدورة بعض تلاميذه، وهم:

د. عبد العزيز بن محمد السدحان في شرح كتاب أصول التفسير - لابن تيمية.

د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين في شرح كتاب تهذيب تسهيل العقيدة.

د. عبدالرحمن بن عبد الله الجبرين في شرح كتاب الورقات للحويني.

وفي عام ١٤٢٧هـ عقدت الدورة العلمية الصيفية السادسة، وكانت مدتها ثلاثة أسابيع، وواصل الشيخ رحمته الله فيها القراءة في كتاب المحرر في الحديث، وزاد المستقنع، وألفية الحديث للعراقي، ولم يكمل بعد هذه الكتب.

كما ابتدأ في كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - لابن تيمية من أول الكتاب - إلى منتصف الكتاب، وكتاب الاعتقاد لابن أبي يعلى الفراء، وعقيدة الإمام الشافعي، وقد أكملهما رحمته الله في هذه الدورة.



وشاركه تلميذاه الدكتور عبدالعزيز بن محمد السدحان في تفسير جزء عم،  
والدكتور عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين في تكملة كتاب تهذيب تسهيل العقيدة.  
ثم جاءت الدورة أو الدروس العلمية الصيفية السابعة في عام ١٤٢٨ هـ، وكانت  
ثلاثة أسابيع، وقد أكمل فيها رحمة الله المحرر في الحديث، وكتاب الفرقان، وواصل في  
كتاب زاد المستقنع وألفية الحديث للعراقي، وابتدأ في كتاب الفتوى الحموية  
وشاركه في هذه الدورة تلاميذه الدكتور عبدالعزيز بن محمد السدحان،  
والدكتور عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن المهنا.  
ثم كان آخر الدورات العلمية: الدورة العلمية الصيفية الثامنة في عام  
١٤٢٩ هـ، وكانت مدتها ثلاثة أسابيع، وواصل فيها شرح كتاب زاد المستقنع  
ولم يتمه، وأتم كتاب ألفية الحافظ العراقي في الحديث، وشرح كتاب شرح  
السنة للمزني، وقرئ عليه في كتاب الفتح الرباني.

وقد شاركه تلاميذه الثلاثة السابقون في الدورة السابقة.

وكان مكتب الشيخ رحمة الله قد أعد للدورة الصيفية التاسعة، حينما كان  
الوالد رحمة الله في المستشفى، وكان يؤمل أن يقوم بالتدريس بها، ولما طال به  
المرض قام بها بعض تلاميذه جزاهم الله خيرا، وشارك فيها معالي الشيخ  
إبراهيم بن عبد الله الغيث، والدكتور عبدالله بن عبدالعزيز العنقري،  
والدكتور عبدالعزيز بن عبدالله المبدل، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن المهنا.

كان الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الراجحي رحمة الله هو الذي يتولى  
الإنفاق على هذه الدورات بسخاء، وكانت الدورة الواحدة تكلف ما يقرب من  
ثلاثمائة ألف ريال، ثم رأى أن يصرف مكافآت للطلاب، فأصبحت التكاليف

تزيد على مليون ريال، لأن حضور الطلاب في الدورة متميز، وبخاصة بعد أن اشتهرت حيث يصل إلى أكثر من خمسمائة طالب من داخل المملكة وخارجها، ومعظمهم من طلاب الوفود الإسلامية، الذين يدرسون في الجامعات السعودية، حيث تتنوع جنسيات المشاركين وتصل إلى أكثر من ستين جنسية.

ويقام في ختام كل دورة حفل ختامي تكريمي لطلاب الدورة، تقدم فيه جوائز وشهادات للطلاب وخطابات شكر ودروع تذكارية لرعاة الدورة، الذين من أبرزهم الشيخ/ عبد الله الراجحي، والشيخ/ عمر بابكر، ومؤسسة السعدان، والشيخ/ سليمان بن حمد اليحيى، والشيخ أحمد موسى، ومؤسسة ابن باز الخيرية.

وفي كل عام يتوجه الوالد رحمته الله لطلاب الدورة بكلمة توجيهية، يذكرهم فيها بالجد والاجتهاد، ومن كلماته في إحدى الدورات قوله رحمته الله: «الحمد لله الذي فقه من شاء من العباد، وبلغهم غاية المراد، نحمده سبحانه ونشكره على نعم لا نحصي لها تعداد، ونشهد أن لا إله إلا الله تعالى عن الشركاء والأنداد، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، الذين جاهدوا في الله حق الجهاد.

وبعد... فإن مواصلة التعليم والحرص على التلقي عمل بر، وهو عمل صالح يهدي له الله تعالى من أراد به خيراً، تكتب له حسنات، وترفع به درجات، ويكتب الله أهله في حملة العلم الذين يحبهم ويحبونه، والذين يصلون أو يواصلون أوقاتهم بعضها ببعض حتى يستفيدوا من حياتهم.

وهذه الإجازة التي يتوقف فيها الكثير من الناس عن الدراسة النظامية تضيع على كثير، بحيث إنهم يضيعونها في لهو وسهو وجلوس، وتسكع في



الأسواق وعمل غير مرضي، أو يضيعونها في رحلات وأسفار لا أهمية لها، ولا يستفيدون منها فائدة تعود عليهم بالخير، أو يضيعونها في أمور دنيوية، ولو استفادوا من أمور الدنيا، ولكن يفوتهم الخير الكثير، الذي هو أمور الدين وأمور العلم وأمور العبادة».

وقد استفاد الألواف من هذه الدورات، ونفع الله بها في المملكة وفي الخارج، وهذه رسالة من إحدى الطالبات عبر الإنترنت من الكويت، تقول فيها بعد الديباجة: «لقد كان لك تأثير كبير في تغيير حياتي.. لم أكن أعرف أن للدين الإسلامي هذه الكتب وهذه المتون وهذه الشروحات وهذا العلم، الذي نحمد الله سبحانه وتعالى عليه... أحب العلم، وهذا طموحي منذ صغري، لكم الفضل بعد فضل الله سبحانه وتعالى في أنكم جعلتموني أحب العلم...».

### دورات الرياض الأخرى

لم تكن دورة الشيخ الصيفية هي نشاطه الوحيد في الرياض في مجال الدورات، بل لقد سبقها ورافقها دورات عديدة. سواء في الصيف أو قبل رمضان وقبل الحج.

إن الدورة العلمية التي تقام سنويًا في الصيف في جامع شيخ الإسلام ابن تيمية في حي السويدي في الرياض هي نقطة البداية والبذرة الرئيسة لانطلاقة الدورات العلمية في أنحاء المملكة، فقد بدأت في عام ١٤١٥ هـ يقول الشيخ فهد الغراب إمام الجامع والمشرف العام على الدورة في الجامع: إن الشيخ رحمه الله كان رقمًا مهمًا في هذه الدورات منذ بدايتها، ولم يتخلف على مدى أربعة عشر عامًا إلا في هذا العام بعد أن أصابه المرض رحمه الله<sup>(١)</sup>.

(١) انظر ما كتبه منصور البراك في جريدة الجزيرة بعنوان مواقف وعبر من حياة ابن جبرين <http://www.al-jazirah.com/104890/fe5.htm> رحمه الله

ومن الدورات التي كان يشارك فيها سنويا الدورة العلمية الصيفية في جامع علي بن المديني في شرق الرياض، وكان يشارك أحيانا في دورة جامع العز بن عبدالسلام في شرق الرياض أيضا.

وكان في كل عام في آخر شهر شعبان يعقد دورة في جامع الأميرة موضي السديري في غرب الرياض عن أحكام الصيام، استمرت عدة سنوات.

كما يطلب منه في بعض السنوات دروس عن الحج عند دنو موسم الحج. ويشارك في برامج اليوم العلمي في جامع الصانع بالسويدي وفي غيره من المساجد، وهي عبارة عن متن قصير يشرح في يوم واحد من بعد صلاة الفجر إلى آخر اليوم.

ويشارك في دورات الحج والصيام والصيف التي تعقد في جامع الأميرة نورة بنت عبدالله بالرياض.

### دروس لا نظير لها.. منهجه وأساليبه

إن دروس الوالد رحمه الله تذكرك بحلقات العلم في حياة السلف رحمهم الله. سنبحر في هذا الموضوع مع الأخلاق الفاضلة.. والهمة العالية.. والقلب الحنون.. والنفس السمحة.. والنية الصادقة.. مع الصبر والدأب.. والحكمة والأدب.. والعلم والحلم.

سنبحر مع التربية والتهذيب.. مع المدرسة العلمية.. والنهج الفريد الذي صاغه رحمه الله من خلال اقتدائه بنهج السلف الصالح.. وسنن العلماء السالفين.

يقول الأستاذ خضر بن صالح بن سند واصفا شيخه رحمه الله، وكان قد كتب هذا النص قبل أن يموت الشيخ بشهر<sup>(١)</sup>: «يجلس في حلقاته يومياً ساعات

(١) ملتمى أهل الحديث <http://www.ahlalshdeeth.com/vb/showthread.php?t=175729>



يُدرس على كرسي متواضع مرتفع قليلاً ليراه الطلاب الكثيرون، طلابه فيهم القضاة، وفيهم أساتذة الجامعات، وفيهم أصحاب المناصب الرفيعة، وفيهم شباب في بداية الطلب من طلاب الجامعات وغيرهم، وهم من جنسيات مختلفة، وبقدرة فائقة يمنحهم جميعاً حناناً واحداً ومحبة صادقة، وهم يبادلونه الشعور بالمثل.

يعلمهم ويفهمهم، لا يمل من أسئلتهم واستشكالاتهم، يحاول إيصال الفكرة بأقرب طريق، فيضرب لهم الأمثلة، ويلقي عليهم الأسئلة، يدرس لطلابه الكتب المتنوعة في العلوم، تنوعت معارفه وقدراته، لكنها لم تكن عن تشبع بما لم يعط، بل هي قوة علمية شهد له بها كبار شيوخه.

يعتني بعقائد طلابه، يعلمهم عقيدة الإسلام النقية، ويحذرهم من البدع، ربما لحقه تجريح وردود على بعض ذلك، لكنه لا يبالي، فصفاء عقائد المسلمين أولى في نظره من كل شيء، فماذا ينفع الطالب علمه إذا فسدت عقيدته، أو شك في المنهج الذي يتبعه، أو ضعف في بيان الحق الذي ينجيه من النار يوم القيامة.

يتكلم كثيراً في دروسه عن آداب وأخلاق طالب العلم، يسرد عشرات الأبيات في العلم وفضله، يتكلم عن الصفات الخلقية والأخلاقية، دون أن يكون في ذلك تشبه بالصوفية.

يحذرهم من أن يكون للطالب عقل معطل عن التفكير، كما يفعل شيوخ المتصوفة والرافضة، ويتكلم عن الاحترام بين العالم والمتعلم دون أن يكون هناك تبعية روحية أو تقليد وتعظيم للذوات.



يجلس على الأرض المفروشة بالسجاد، أو التراب والبسط المتواضعة، أو الأرائك الفارهة، كل ذلك سيان عنده، فهو معلم من طبقة الشعب، يعيش حياتهم ويتقرب لقلوبهم، ولا يتكلف من أجل ذلك شيئاً.

ابن جبرين كان هو الرجل المتواضع حقاً دون تكلف، ودون أن يبحث عن شخص يعظمه أو يقدره، فهو يرى نفسه خادماً للناس ولطلبة العلم، وليس أكثر من ذلك.

جدول دروسه اليومي أشبه بجامعة مفتوحة مجانية، يدرس الكتب الكثيرة، دون أن يتألم أو يتوجع أو يتذمر، لا يعرف عنه أنه طرد طالباً أو شتم حاضراً، أو تملل من الحضور وانسحب أو انقطع مدة طويلة لغير سفره للمحاضرات والدعوة في خارج الرياض». أ.هـ.

ويقول تلميذه الدكتور عبد المحسن العسكر: «حلقة شيخنا عبد الله قدس الله روحه ذات هيبة، وعليها جلاله، وهي تذكرك بحلقات الأوائل من الأئمة الكبار، فقد كان شيخنا رحمته الله يتميز في دروسه وشروحه بميزات، منها:

١- تنوع الكتب المقروءة في جميع الفنون.

٢- حسن العرض وتقريب المعاني بكثرة الأمثلة وذكر النظائر.

٣- سعة محفوظاته رحمته الله.

وتقول الأخت سميرة وهي تلميذة بارة للشيخ: «سماحة الشيخ دروسه كانت مختلفة بالنسبة لي عن باقي دروس المشايخ، والسبب أسلوب سماحته رحمته الله.



كنت في السويد وكان علمه يصلنا ونحن في أقصى شمال أوربا، فكنت أتابع دروسه قبل وفاته بسبع سنين أو تزيد. حيث توافرت وسيلة التواصل المباشر عن طريق النت، فكانت هذه فرصة ثمينة لكل محروم من العلم الشرعي في الغرب، فكانت تنقل دروسه في بعض الغرف الصوتية..

كان سماحته رحمة الله عندما يلقي درسًا أو شرحًا لأحد الكتب من أمهات الكتب التي قد لا يفهمها أحيانًا المتقدم في الطلب فضلًا عن المبتدئ، يبدأ في فك كل تعقيد موجود فيها حتى يفتح ذهن الطالب، ويجعله مستعدًا لسماع وقبول شرحه بأسلوب ممتع، لا يخلو من الطرفة ومن الأشعار التي يلقيها سماحته حفظًا من ذاكرته

فيكون الدرس مشوقًا وممتعًا لا تشعر معه بالملل ولو طال، حيث إن سماحته يستطرد أحيانًا ويأتي بتفصيلات لا يعلمها من هو مثلي».

بعد هذه النصوص تعالوا نتلمس هذا المنهج البديع الذي جده الوالد رحمة الله، هو لم يبدعه، وإنما سار فيه على نهج أسلافه من علماء الأمة رحمة الله، نتلمس منهجه في التدريس وأساليبه في التعليم نتعرف على معالم هذا النهج الفريد، الذي جعل لدروسه رحمة الله قبولًا وارتياحًا، واستمرارًا وديمومة، وفائدة ومنفعة، وأثرًا وتأثيرًا.

لم تكن الدروس عبثًا، لم يكن يلقيها مجاملة أو ترضية، بل كانت أنسا وسرورا كما ذكرنا غير مرة.

يحكي تلميذه وابن أخيه عبدالرحمن بن العم ناصر يقول: «سألته مرة قلت يا شيخ لعلك تتعب في الدروس؟ قال: إني أسعد وينشرح صدري، أسعد ما أكون إذا رأيت الطلاب».

## طريقته في التدريس

دعونا في البدء نذكر طريقته في التدريس وأسلوبه من حيث الجملة، ثم نشير بعد ذلك إلى أهم معالم منهجه التعليمي ونهجه التدريسي، فهذا طالب من طلابه وهو الشيخ علي بن حسين فقيهي، أنموذج لطالب من آلاف يذكر بدايته مع شيخه رحمته الله، ويلخص طريقته وأسلوبه، فيقول<sup>(١)</sup>: «كانت بدايتي مع الشيخ ابن جبرين رحمته الله تعالى عام ١٤١٠هـ لكثرة دروسه وتنوعها وانتشارها، ولقربها من المنهجية العلمية والطريقة التعليمية.

كانت البداية في مسجد البرغش بشبرا فجر الأحد والثلاثاء، حيث يقام درس منتقى الأخبار.

لا يبدأ الشيخ الدرس حتى ينتهي من الأذكار، ثم يأخذ مكانه وينتظر القارئ ثم يأذن له بالقراءة.

يقوم الشيخ بدر البدر بقراءة الباب، ثم يقوم الشيخ رحمته الله تعالى بالتعليق على كل حديث، بدءاً بألفاظ الحديث ومعانيها، ثم الكلام على السند والتصحيح والتضعيف، ثم يشرع في بيان أحكام الحديث، متوسعاً في عرض الخلاف وأقوال الأئمة، ثم بيان الراجح ووجه الترجيح، ثم يفتح المجال للأسئلة والاستفسارات.

يستفيد من هذا الأسلوب وبهذه الطريقة طالب العلم المبتدئ والمتوسط والمتقدم، كل على حد سواء.

(١) من مذكراتي: أيام مع ابن جبرين

<http://majles.alukah.net/showthread.php?p=325483>



ولكن يأخذك العجب من حفظ الشيخ المتقن، واطلاعه الواسع، واستيعابه الكبير لألفاظ الأحاديث وتخريجها ومسائلها وأحكامها.

هذه المشهد أصابني بانبهار عجيب، فلم أر في حياتي مثل هذه الصورة ولا ذلك المشهد.

كان هذا المشهد حافزاً كبيراً لي للاستزادة من علم هذا الجهد، فجزمت على حضور ما أستطيع من دروسه.

ويقول تلميذه الدكتور عبد المحسن العسكر مشيراً للطريقة التي يسلكها الشيخ في التدريس في بداية طلبه العلم عليه: «كانت دروس الشيخ إذ ذاك أن الطلاب يسمعون المتون، والشيخ يشرح بطريقة التفصيل لا بالتقريرات».

ويقول الدكتور محمد العريفي<sup>(١)</sup>: «قرأنا عليه كتاب التوحيد وفي الأصول الثلاثة وفي الاعتصام للشاطبي وفي غيره من الكتب، كان يفصل ويذكر عدداً من الأمثلة، التي تربط ما يتعلق بتوحيد الله سبحانه وتعالى بالواقع».

ويقول الشيخ خالد بن علي الحيان<sup>(٢)</sup>: «تتميز دروسه رحمه الله بشمولية الشرح والإيضاح، ونسبة القول لقائله وخاصة في الفقه، وربما عرج وأشار إلى اختيارات الشيخين الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبدالعزيز بن باز، كل هذا باستيعاب ما في المسألة من فوائد وشواهد شعرية ومواقف ولطائف وقصص قديمة وحديثة ونحو ذلك، وإن كان في المسألة بعض الغرابة والشذوذ، ذكر ذلك ونسبه إلى قائله ورد عليه».

(١) قناة بداية

(٢) جريدة الجزيرة <http://www.al-jazirah.com/104890/fe7.htm>

وكان رحمه الله لا يأنف أن يقول لا أدري أو يكلف طالبا من الطلاب بالبحث في مسألة أو حديث.

يقول رحمه الله<sup>(١)</sup>: «إذا أشكلت مسألة فإننا نكل البحث فيها إلى بعض الطلبة، ونقول هذا الحديث الذي نشك في صحته أبحث عنه أيها الطالب، وعنده مراجع فيبحث ويفيدنا في الدرس المقبل، ويقول وجدته في كذا وكذا، وتكلم عليه فلان بكذا وكذا، فيفيد ويستفيد».

ويقول الدكتور محمد العريفي<sup>(٢)</sup>: لا أذكر أنه في مسألة تكلم بغير علم، بل كان يقول بكل شجاعة في بعض المسائل: لا أعلم، المسألة تحتاج إلى تأمل، تحتاج إلى نظر، تحتاج إلى بحث».

يقول الدكتور عبد المحسن العسكر كان رحمه الله<sup>(٣)</sup>: «كان لا يتبرم من كثرة الأسئلة، ولا يتضايق من إعادة قراءة الكتب والمتون، مع أن النفوس مجبولة على معادة المعادات، كما قيل، ولعله تأسى في ذلك بشيخه العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله، فقد حدثني نور الله حضرته: أنه قرأ الروض المربع على شيخه محمد مرتين، وحدثني رحمه الله عن زميله شيخنا الشيخ حسن ابن مانع أنه قرأ كتاب التوحيد على الشيخ محمد أربع عشرة مرة، قلت: وقد حدثني بذلك أيضا الشيخ حسن نفسه».

ومن لطائف طريقته في بعض دروسه أنه يحضر القهوة والشاي للطلاب في المسجد، ولهذا تأثير في نفوس الطلاب لم تكن نقدره، يقول الدكتور محمد

(١) تجربتي في طلب العلم.

(٢) قناة اقرأ.

(٣) ذكرياتي مع الشيخ ابن جبرين للدكتور عبد المحسن العسكر.





العريفي<sup>(١)</sup>: «لم أر أحداً غير الشيخ ابن جبرين يحضر قهوة وشاي لطلابهِ في المسجد.

كنا في الدرس أكثر من خمسمائة، ومع ذلك يأتي السائق - كأني أراه الآن - ومعه أربعة سطول مليئة بكاسات الشاي وفناجين القهوة، ومعها حافظات الشاي والقهوة الكبار، ثم يبدأ يصب للطلاب ويدور عليهم، والشيخ يلقي درسه، وأعلم أنها من بيت الشيخ، لأنني أحياناً أذهب إلى الشيخ بعد الدرس، وأجد أن هذا العامل قد دخل، وبدأ يغسلها وينظفها للدرس الذي بعده».

ولهذه القهوة والشاي قصة، وهي أن الشيخ الوالد رحمه الله إذا تعود شيئاً لا يحب أن يقطعه، وكان هذا الدرس الذي تقدم فيه القهوة والشاي وهو درس الجمعة والأحد بعد العشاء أول ما ابتدأه في المنزل، وكان يقدم فيه للطلاب ضيافة قهوة وشاي، يصنعها الأهل في المنزل، فلما انتقل الدرس للمسجد لما ضاق المنزل بالطلاب، أمر أن يؤتى بها للمسجد.

### من المحبرة إلى المقبرة

إن أول ركن من أركان المنهج التعليمي الذي جدده الوالد من حياة السلف رحمهم الله تعالى، هو التدريس المتواصل وحلقات العلم التي لا تنتهي، فهي حياته التي يأنس بها، وأنسه الذي يهفوله، كان رحمة الله دائماً يردد عبارة الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله «من المحبرة إلى المقبرة» وكان أيضاً يتمثلها.

يقول في إحدى وصاياه<sup>(٢)</sup>: «فإن طالب العلم الذي يريد الفائدة هو الذي يواصل ولا يتوقف، تذكرون ما نقل عن الإمام أحمد أنه مات وهو يحمل

(١) فتاة دليل.

(٢) قصتي في طلب العلم.

المحبرة، وكان يقول: من المحبرة إلى المقبرة، يلازمها، مع أنه مات وعمره سبع وسبعون سنة».

ويقول في وصية أخرى<sup>(١)</sup>: «تذكر وصية بعض العلماء الذي يقول: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد». يعني: إلى الموت. وما ذكر عن الإمام أحمد وغيره أنه يقول: «من المحبرة إلى المقبرة». أي: نحمل المحبرة التي هي الدواة، نكتب بها الفوائد ولا نفارقها إلا إذا متنا، «من المحبرة إلى المقبرة».

وقد كان رحمته الله يتمثل ذلك ويطبقه، فلم يكن يمل ولا يكل من التدريس، فبعد فجر يوم الخميس والجمعة يقرأ عليه في أكثر من عشرة كتب، ويجلس إلى الساعة التاسعة، ويصيب الطلاب الإعياء، وهو على هيئته كما بدأ رحمته الله لا يغير من جلسته، ويجلس في المسجد في دروس المساء، من بعد المغرب إلى ما بعد العشاء بساعة ونصف أو ساعتين، دون أن يبدو عليه تعب أو إرهاق أو ملل أو كسل.

وقد حصل أن حيل بينه وبين الدروس مدة وجيزة فافتقدها وحن إليها وحزن عليها، وكأنه هو المستفيد<sup>(٢)</sup>. وسنذكر قصة ذلك في موضع آخر.

ويذكر تلميذه الدكتور عبد الوهاب الطرييري قصة عجيبة، تدل على أن العلم والتعليم هو الأصل في حياته، يقول رحمته الله<sup>(٣)</sup>: «كنا ثلاثة طلبة نقرأ عليه ضحوة يوم في المسجد، وقد قارب الدرس أن ينتهي، وإذا بالشيخ يلتفت إلى الباب، فالتفتنا معه، فإذا زوجه أم محمد رحمها الله - وكانت امرأة من عقائل النساء، وعونا للشيخ على طاعة الله - قد وقفت بالباب، فأقبل إلينا،

(١) موقع مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية

<http://www.taimiah.org/index.aspx?function=item&id=958&node=5906>

(٢) رسالة بعنوان والذي كما عرفته للأخت هيا ابنة الشيخ رحمته الله

(٣) مقال بعنوان حياة من نور



وقال بود: عن إذنيكم. ثم ذهب معها قليلا ثم عاد، ونحن في غاية العجب، فقد كان يسع الشيخ أن يقول: تم المجلس، موعدنا غداً، ولكنه قد جعل مهمته التعليمية الأصل في حياته، وما سواها استثناء أو عارض عابر، وكلما تذكرت هذا اليوم تساءلت متى نشكر هذا الموقف؟».

وقصة أخرى تؤكد هذا المعنى ذكرها تلميذه الشيخ ناصر القطامي<sup>(١)</sup> يقول: «أذكر مرة أنه كان ذاهباً إلى أحد الدروس في مدينة الرياض، ومدينة الرياض متسعة وشاسعة الأطراف، فوقع للسيارة التي نقله حادث يسير في الطريق، لكنه لم يرد أن يتأخر عن درسه فنزل وركب سيارة أخرى، أركبه شخص عابر، ذهب به إلى الدرس».

ومثلها ما ذكره ابن أخيه عبد الرحمن بن ناصر يقول: «ذات مرة كان عنده درس في القويبة بعد المغرب، وهو درس شهري، والقويبة تبعد ساعة ونصفاً عن الرياض، تحركنا من الرياض عقب العصر وكنا متأخرين، كان الشيخ صائماً، وقد جهز له بعض الإخوة الإفطار في القويبة، وفجأة انفجرت إحدى عجلات السيارة، وقفنا، سألتني الشيخ ماذا حصل؟ وكان منشغلاً بالقراءة، قلت: الكفر.. يعني إطار السيارة.. فتأسف أشد الأسف، وقال: سنتأخر عن الدرس، نزلت لإصلاح الإطار فوجدت الإطار الاحتياطي فاسداً أيضاً، فاتصلت بأحد المشايخ وأخبرته ليرسل لنا سيارة، لكن الشيخ نظر للساعة ثم قال *بِسْمِ اللَّهِ*: اجلس عند السيارة وسأقف على الطريق لعل أحداً من أصحاب السيارات العابرة يوصلني، لم أستطع منعه، وكنت لا أريده أن يتعب وهو صائم، فوقف على الشارع والسيارات مسرعة فلم يتوقف أحد، اتصل صاحبنا وذكر أنه قريب، فأخبرت الشيخ فرجع للسيارة وجلس فيها.

(١) قناة حياتنا.

لما وصلنا ركب معهم وتركني لأصلح السيارة، لم يفكر في السيارة، ولم يفكر في الإفطار، طلب منهم التوجه للمسجد مباشرة، وأحضروا شيئاً يسيراً ليفطر عليه.

العجيب أنه لما ركبنا السيارة راجعين للرياض، لم يسألني عن السيارة ولا عما عملته معها.

لقد كان غفر الله له حريصاً على الدروس وعلى المحاضرات وعلى إفادة الناس، وليس له اهتمام بالتنزه ولا التفسح، يقول صهره حمد بن عبدالعزيز: «كنا في مدينة النماص في جنوب المملكة، وكان جوها وطبيعتها في الصيف متعة، فصام ذلك اليوم وصمت معه، فقال ابنه سليمان: سنخرج للمنتزه، فقال **رحمة الله**: لن أخرج معكم فإني لن أكل ولن أشرب، فألح عليه سليمان. وقال: اخرج معنا، وإذا أقبل العصر اذهبوا للدرس فهو قريب عندنا».

ومرة كنا في الرايس وهي قرية على الساحل الغربي للمملكة، ذهبنا للنزهة مع عدد كثير من الأقارب والعوائل. فلما مضى يوم سألنا: ما رتبتم دروساً ولا محاضرات؟ قلنا: إنما جئنا للنزهة، فتكدر خاطرهم، فاتصلنا ببعض الإخوة ورتبوا له محاضرة في مدينة بدر، فذهبنا معه **رحمة الله** مع بعض الشباب، وجلس الباقون عند العوائل، ولم نرجع إلا بعد العشاء ولما رجع رأينا في وجهه السرور والراحة.

ويقول تلميذه وابن أخيه أحمد بن محمد: « كنا راجعين من دروس في مدينة الخفجي على حدود الكويت، وكان منهكا من السفر، قطعنا أكثر من سبعمائة كيلومتراً بالسيارة، وكان عنده درس في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية. فتوجه للدرس مباشرة، فكتبت لقارئ الأسئلة أن الشيخ قد جاء من سفر، فاختصر القارئ واعتذر بذلك للحضور. فسألني الشيخ لما خرجنا: ماذا أدراهم؟ فأخبرته فعاتبني».



ويحدث تلميذه الشيخ أحمد المهنا عن شيخه، وكان ذلك في آخر عمره يقول<sup>(١)</sup>: «كان لي موقف مع الشيخ في الفرائض، فالشيخ درس كثيرا من المتون في الفرائض، ومن أكثر ما كرر عليه متن الرحبية، فلما انتهينا من الرحبية، كان عددنا أربعة أو خمسة في بيت الشيخ، قال: نريد القراءة في ألفية الفرائض، عددها ألف وأربعمائة وواحد وثلاثون بيتاً تقريباً».

لقد استغربوا من اختياره هذه الكتاب الطويل، لكنهم لو تذكروا كلمته التي يرددتها كثيرا «من المحبرة إلى المقبرة» لما استغربوا ذلك.

وكان من ثمار هذا المنهج نتائج كثيرة، سترها من استعراض نتاج الشيخ رحمه الله إن شاء الله، ومن ذلك أنه سجلت له ولله الحمد آلاف الساعات الصوتية، والمحضور منها الآن يزيد على عشرة آلاف ساعة، يسر الله إخراجها ونشرها.

### في كل زمان ومكان

مر بنا أن معظم وقت الوالد رحمه الله كان يقضيه في الدروس، دروس بعد كل صلاة من الصلوات، تزيد وتنقص بحسب مناسبات العام، دروس في وقت الدراسة وفي أيام الاختبارات وفي الصيف، ولكل درس طلابه، ولكل وقت رواده من الطلاب أو الموظفين أو المتفرغين للطلب، دروس في جميع الأيام، حتى الجمعة له فيها درس بعد الفجر وبعد المغرب وبعد العشاء، وهو رحمه الله لا يرى حرجا في التدريس في صبيحة الجمعة.

سئل رحمه الله: هل الدرس قبل الجمعة بدعة، وهل يجوز سماعه؟.

(١) محاضرة للشيخ أحمد المهنا

<http://www.liveislam.net/browsearchive.php?sid=&id=64742>

فأجاب<sup>(١)</sup>: «ورد أن النبي ﷺ نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة<sup>(٢)</sup>، وذلك أن الصحابة إذا دخلوا المسجد لصلاة الجمعة ولقى بعضهم بعضاً بعد طول تفرق، تحلقوا حلقاً يتناجون، ويسأل بعضهم بعضاً عن حاجات تخصهم، فيأتي النبي ﷺ للخطبة وهم كذلك، فناهم عن هذا التحلق، وأمرهم أن يكونوا صفوفاً ينتظرون الصلاة، فأما إقامة الدروس في صباح الجمعة، فلا مانع من ذلك، فإنه من تعلم العلم الذي ورد الحث عليه، فلا يدخل في النهي ولا يحرم سماعه، سواء كان في مسجد تقام فيه الجمعة أو ليس بمسجد جمعة، لأن الأصل الترغيب في تعلم العلم وتعليمه، فيوم الجمعة كثيرة من الأيام».

أما الإجازة الصيفية التي يسميها الناس العطلة، فهي عنده رحمة الله موسم العطاء، حيث تزيد دروسه في الأسبوع الواحد على أربعين درسا، ويملاً الإجازة كلها بالدروس، وقد أشرت إلى كل ذلك بالتفصيل في موضعه بحمد الله.

أما الأماكن التي كان يدرس فيها رحمة الله فقد كان معظم دروسه في المساجد، فهي مدرسة رسول الله ﷺ التي انطلق منها العلم، وهي مدارس السلف من الصحابة ومن بعدهم: كابن عباس وابن عمر والحسن البصري وسعيد بن المسيب ومالك وأحمد ونحوهم من سلف أمتنا الصالح، ومع هذا فقد مر بنا أنه درس في بيته في حي السبالة وفي حي شبرا، كما درس في دار العلم، لكنه من المسجد انطلق رحمة الله، وفي المساجد اشتهر، وقد درس في مساجد كثيرة في مدينة الرياض، أسوق منها ما اطلعت عليه بحسب التسلسل الزمني:

مسجد آل حماد في المقبيرة، وهو المسمى بمسجد الأمير ناصر لكونه بقرب بيته.

(١) الفتوى رقم ٧٨١ بتاريخ ١١/٦/١٤٢٠ هـ.

(٢) أخرجه أبو داود في باب التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة من كتاب الصلاة برقم / ١٠٨١.



- مسجد الحمادي في حارة السبالة.
- مسجد القباع في المقبيرة.
- مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في دخنة.
- جامع الإمام تركي بن عبد الله، وهو الجامع الكبير في مدينة الرياض.
- مسجد الملوحي في حي العليا.
- جامع السالم في حي العليا.
- جامع الملك عبد العزيز في حي العليا.
- جامع الملك خالد في أم الحمام.
- مسجد البرغش في حي شبرا.
- مسجد آل فنتوخ في حي شبرا.
- مسجد الخرجي في حي شبرا.
- جامع الشيخ سليمان الراجحي بحي الربوة.
- جامع الأمير عبد الله بن محمد في سوق عتيقة.
- جامع شيخ الإسلام ابن تيمية في حي السويدي.
- جامع القاضي بحي التعاون.

وكان الوالد رحمته الله ينتقل بين هذه المساجد على مدى ثلاثين عاما أو تزيد، ولما تم ترتيب مكتبه في منزله بعد تقاعده رحمته الله، اقترح عليه أن تجمع هذه الدروس قريبا من منزله.

وكان الشيخ عبد الله الراجحي قد بنى جامعا كبيرا بقرب منزلنا في حي شبرا بالسويدي، فناسب أن تجمع فيه الدروس التي كانت متفرقة في المساجد، وأقيم حوله سكن للطلاب المتفرجين.

يقول الوالد رحمة الله: «في حدود سنة عشرين أو إحدى وعشرين جمعنا الدروس كلها الصباحية والمسائية في مسجد الشيخ عبد الله الراجحي، فصرنا نقرأ فيه بعد الصباح أربعة أيام السبت والاثنين والثلاثاء والأربعاء وأبقينا يومين في مسجد البرغش صباح الخميس وصباح الجمعة وأما الدروس المسائية فهي خمسة أيام كلها في مسجد الراجحي الجمعة، والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء».

وكان آخر الدروس انتقالا درسه في جامع القاضي بحي التعاون، حيث تم نقله في يوم السبت ١٤٢٨/٢/٦هـ.

وقد لقينا عتبا من أئمة المساجد التي كان يلقي فيها دروسه، وكذلك جماعتها لحرمانهم من علمه، وحاول بعضهم إبقاء تلك الدروس رغبة في النفع، واستشفع بعضهم لديه، ولكنهم أخيرا عرفوا المصلحة في ذلك وقدروا الأمر، لأن زحام السيارات وتباعد المسافات يسبب ضياع جزء كبير من وقته رحمة الله.

وممن كبر عليه الأمر وضاق به وأهمه الشيخ المبارك فهد بن غراب إمام جامع شيخ الإسلام ابن تيمية، وحاول كثيرا مع الوالد رحمة الله لثنيه عن قراره، لكنه اقتنع أخيرا لما رأى أن جميع الدروس نقلت.

وبعد انتقال الدروس فرح بذلك الشيخ عبد الله الراجحي وأمر بتوفير ما يحتاج إليه، فتم ترتيب تسجيل الدروس وبثها عن طريق الإنترنت، وكان للشيخ أحمد الموسى وفقه الله إمام الجامع في ذلك الوقت ومؤذنه بندر الفريح جهودهم المباركة في ذلك، وكذلك أئمة الجامع ومؤذنه الذين تعاقبوا عليه، وفي السنوات الأخيرة صارت تصور بعض الدروس تلفازيا من قبل قناة المجد العلمية ومن قبل مكتب الشيخ رحمة الله.



## أطول الدروس وأقصرها

لا ينظر الوالد رحمة الله إلى الزمن، فالطلاب هم الذين يختارون الكتب، وهو لا يحدد وقتاً لإنجاز الكتاب، لكن عاداته الاسترسال في الشرح لموسوعيته كما ذكرنا، ولهذا تمكث بعض الدروس سنين عديدة، وفي بعض الدورات يرغبون إليه رحمة الله إنجاز المتن المقرر، فيلبي رغبتهم بالاختصار في الشرح. سأله الشيخ محمد المنجد عن أقصر دروسه وأطولها، فأجاب رحمة الله: «أقصر الدروس أربع القواعد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، قرأناها في أربعة أيام كل يوم قاعدة مع الشرح.

أما أطول الكتب، فكنت التزمت أن أقرأ على المصلين وقت العشاء ما بين الأذان إلى الإقامة حديثاً أو حديثين يومياً حتى ليلة الجمعة، يقرأ عليّ أخونا محمد قاسم السويدي الجعفري وفقه الله، الذي يقوم بالإمامة في مسجد ابن فريان، فابتدأنا في كتاب منتقى الأخبار، واستغرق نحو ست سنين أو سبع.

ثم قرأناه أيضاً في درس آخر في الحي الذي فيه منزلنا ولكن يومان في الأسبوع: يوم السبت بعد الفجر. ويوم الثلاثاء بعد الفجر، واستغرق ثلاثة عشر عاماً.

كذلك أيضاً شرح منار السبيل هذا أيضاً ابتدأنا به في حي شبرا، في حدود سنة أربع مائة وثلاثة، واستغرق ثلاث عشرة أو أربع عشرة سنة، نقرأ فيه لليلتين بعد العشاء مساء الجمعة ومساء الأحد<sup>(١)</sup>.

(١) سبقت الإشارة إلى أن الشيخ الدكتور عبدالعزيز السدحان قال: "بدأنا في منار السبيل على الشيخ رحمة الله في يوم ١٣ من الشهر العاشر شهر شوال عام ١٤٠٣ وانتهينا في عام ١٤١٦ للهجرة" قصتي في طلب العلم

## طالب أو أليف طالب

لم يكن الوالد رحمة الله يعير اهتماماً لعدد الحضور، فطالب واحد وألف طالب سواء، ولا شك أن كثرة الطلاب تشجع وتزيد الإنسان حماسة للمواصلة، لكنه رحمة الله لم يكن ينظر لذلك، ولعل ذلك إن شاء الله من علامات الإخلاص. وهذه بعض روايات تلاميذه لصنيعه معهم في ذلك.

يقول تلميذه البار الشيخ الدكتور عمر العيد<sup>(١)</sup>: «كان رحمة الله لا يعبأ كحالتنا اليوم عندما نقيم دورة أو محاضرة بكثرة الجماهير وعددهم، ولا أنسى إذ كان شيخنا ابن باز غفر الله له ورحمه في عام سبع وتسعين وثمان وتسعين وتسع وتسعين يسافر للطائف في وقت الصيف، فكنا نقرأ على الشيخ ابن جبرين رحمة الله في الجامع الكبير، وكان الحضور لا يجاوزون عدد أصابع اليد، ومع ذلك يجثو على ركبتيه ويعلم ويدرس ويفرح بكل من وصل إليه».

ويقول الشيخ علي بن حسين فقيهي<sup>(٢)</sup>: «سمعت بدرس للشيخ في الروض المربع في جامع عتيقة مغرب كل أربعاء، حضرت الدرس لأول مرة، كان الشيخ أول الحاضرين يصلى المغرب في المسجد، لم يكن الحضور كبيراً، الطلاب كانوا بعدد الأصابع حتى إننا نتحلق حول الشيخ وهو جالس على الأرض في روضة المسجد، كنت أحضر له في الدروس كثيرة العدد، وقد وجدت في هذا الدرس الأسلوب هو الأسلوب، والطريقة هي الطريقة في الشرح والتعليق والتعقيب والتفصيل مع قلة العدد.

(١) قناة دليل.

(٢) من مذكراتي: أيام مع ابن جبرين

<http://majles.alukah.net/showthread.php?p=325483>



وزرت الشيخ مرة في مسجده فرأيته بعد المغرب يدرس في المسجد في كتاب الكافي لابن قدامة والحضور فقط طالبان، أكبرت في الشيخ هذه المهمة والعزيمة في التعليم والتدريس

في درس فجر الخميس يقرأ على الشيخ ما يفوق عشرة كتب، حسب الإعلان الموزع عن دروس الشيخ اليومية.

صليت الفجر مع الشيخ في سرحة المسجد، وبعد الصلاة جلس الشيخ يذكر الله ﷻ حتى أسفر جداً، ثم أخذ الشيخ مكانه في الدرس وتابع الذكر، وهو يتلفت يمناً ويسرة، يا ترى ماذا ينتظر.

تعجبت من تأخر بداية الدرس، دخل أحد الإخوة المقيمين من باب المسجد، فإذا الشيخ يشير إليه بإحضار ما معه من كتب والجلوس بجانبه، أحضر الأخ كتبه وبدأ في القراءة، وقام الشيخ بالشرح والتعليق قرابة الساعة والنصف، أثر ذلك الموقف في نفسي أيما تأثير، فلقد كنت أرقب الشيخ وهو ينتظر واحداً من طلاب العلم العشرة الذين تغيّبوا عن الدرس، الذي كان الشيخ يحضره أولاً ويخرج منه أخيراً.

يقول الدكتور عبدالعزيز السدحان في محاضرة قصتي في طلب العلم التي ألقاها الوالد عام ١٤٢٦هـ: «الصبر على التعليم والتعلم ليس بالأمر الهين، ولقد رأيت الشيخ في الجامع الكبير قبل أربع وعشرين سنة من هذا التاريخ جالساً وحده في السرحة المكشوفة لم يأت طالب واحد ومع هذا كان جالساً حضرت عنده وحضر طالب يمانى، وشرح لنا الشيخ متناً أو كلاماً عن الحج، أقسم بالله أنني لا أفرق بين شرحه في هذا الجمع وبين شرحه لي وواحد معي، وهذا يدل إن شاء الله على حرصه في تزكية العلم وعلى حرصه في نفع الناس».

ويقول الشيخ إسلام دعدوشة<sup>(١)</sup> وهو من طلاب العلم في مصر وقد درس على الوالد رحمة الله: «العجيب أن الشيخ رحمة الله تعالى عنده درس يحضره ما يقرب من خمسمائة طالب، وفي أيام الاختبارات يكون الحضور خمسة أو ستة، لا يتغير الشيخ البتة، الأداء نفسه، والعطاء نفسه، والجد نفسه، والهمة العالية نفسها، ما ضعفت ولا يوماً».

ويقول الدكتور عبد الوهاب الطيريري<sup>(٢)</sup>: «درست عنده وكان معي ثلاثة يقرؤون قبلي، كانوا أكبر مني سناً، ثم أبقى أنا والشيخ لوحدينا. لا يختلف شرح الشيخ والمجلس فيه المجموعة، وشرح الشيخ وأنا جالس لوحدي».

وهذا المسلك العجيب الذي يدل إن شاء الله على إخلاصه وصدقه رحمة الله، نجد الوالد يحرص أن يعلمه لطلابه، يقول رحمة الله<sup>(٣)</sup>: «على طالب العلم أن يبث علمه ولو لم يستفد منه إلا القليل، هكذا ننصح من كان عنده علم أن لا يأس، فإنه ربما يستفيد القليل، ثم يفيدون آخرين، فيكون لك مثل أجورهم. إذا انتفع الخمسة أولاً بعلمك ثم نفعوا مثلهم، كان ذلك أيضاً من آثار علمك الذي علمتهم، فيصل إليك الأجر لأن هذا علم ينتفع به».

تذكر قول النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(٤)</sup>.

(١) برنامج التبيان في فتاة الناس

(٢) فتاة المجد

(٣) تجربتي في طلب العلم

(٤) رواه مسلم في باب باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته من كتاب الوصية برقم ٢٤١٠.



فهذا العلم الذي ينتفع به غيرك يبقى لك أجره إذا كتب وإذا سجل وإذا نقله تلاميذك».

فهذا المنهج لم يكن عنده رحمة الله اتفاقاً أو طبيعة، بل اقتناع راسخ، ورغبة في الأجر الذي لا ينقطع.

لقد كان هذا دأبه وأسلوبه رحمة الله منذ بدأ التدريس في المساجد، ألم يبدأ بطالب واحد حبس نفسه له، ألم يجلس سنين طويلة ليس عنده إلا العدد القليل، هو إذاً منهج، ونعم المنهج الذي ينبغي أن يأتسى به طلاب العلم في بذل علمهم.

#### من يطبق هذا... ٩

من المعالم المهمة في مجال عناية الوالد رحمة الله بالطلاب وتدريسهم، دأبه وصبره اللذان لا ينفدان على بعض طلابه، ممن لهم رغبة في العلم، ولكن ليس معهم معرفة كافية، أو ليس عندهم جد وعزيمة.

ولقد أبدع رحمة الله في تعامله مع هذين الصنفين، طالب مبتدئ، ضعيف في النحو، بل ربما لا يقيم الكلمات، لا يمنعه من أن يقرأ، بل يعامله بحسب ما يحسن.

يقول الشيخ محمد زياد التكلة<sup>(١)</sup>: «حدثني شيخنا سعد الحميد رحمة الله - وهو من كبار تلاميذه - أن الشيخ كان يقعد في حلقاته قديماً الاثنان والثلاثة، ويصحح لهم تلاوة القرآن، ويأتيه العوام وأشباهم، ويصبر على تعليمهم أوليات العلم بصدر رحب».

(١) خواطر ومواقف في وفاة سماحة الشيخ ابن جبرين  
<http://alukah.net/articles/177038.aspx>

ويقول رفيقه في حضره وسفره أبو طلحة واسيني حجيوي الفرنسي الجنسية: «أول ما بدأت لأزم الشيخ الوالد رحمة الله رأيت جل الذين يقرؤون عليه، ولكن ما تأثرت مثل تأثري من أحد الطلاب، رجل كبير من إفريقيا، قراءته ضعيفة جدا، يقرأ فجر الخميس وفجر الجمعة، قلت له رحمة الله: هذا الطالب يتمتع ويخطئ، قال: أي نعم من إفريقيا، ولم يزد على ذلك.

هذا الرجل لازم الشيخ أكثر من أربع عشرة سنة، وقرأ على الشيخ الموطأ وكتاب الآجرومية والأربعين النووية وكتبا كثيرة، وكان الشيخ رحمة الله إذا قرأ ذلك الطالب يشرح شرحا وافيا مستوعبا، كأن الطالب الذي أمامه من أنجب الطلاب».

ويريد بقوله: من أفريقيا أنه أعجمي، فالعربية عسيرة عليه.

ومن أعجب المواقف في موضوع القراءة على الشيخ الوالد رحمة الله رجل من اليمن عمره الآن قريب من السبعين، نطقه عسير وقراءته ضعيفة جدا في القرآن الكريم، كان يأتي يوميا للوالد حينما كان في حي السبالة، يقرأ كل يوم خمس آيات أو ستا، كان عنده همة في الحضور والمواصلة، وكان عند الوالد رحمة الله صبر واستعداد ليستمع له، قرأ سنينا زادت على خمس عشرة سنة، وكان يحاول تصحيح قراءته فلا يفيد معه، فلا أدري أعجب من همة هذا أم من صبر الوالد عليه!؟

ومع هذا فله رحمة الله منهج حسن مع الطلاب بحسب مستوياتهم، فالطالب المتقن الجيد يرد عليه ويقوم قراءته، والطالب الذي يعرف أنه كثير اللحن وأنه لا يستفيد من الرد، يتركه يقرأ على سجيته، ولا يقول أخطأت.





أما الصنف الثاني وهم الطلاب الذين لهم رغبة في العلم، ولكنهم لا يواظبون، إما لعذر وإما دون عذر، فإن الوالد رحمة الله واسع الصدر على طلابه، لا يعنف من غاب، ولا يحرم أو يطرد، فقد يغيب بعضهم شهوراً عدة فإذا جاء، ابتسم له وسأله عن أخباره، وعاتبه بلطف، وحثه بأدب.

وكثير ممن لم يخالط الوالد رحمة الله يظن أن هذا منهجه في كل دروسه، ومن خلال تتبعي لهذا الموضوع، وجدت أن هذه القضية محصورة في دروس الصباح، وبخاصة في يومي الخميس والجمعة، فإن الكتب المقررة في يومي الخميس والجمعة تزيد على العشرة، وفي الأيام الأخرى حوالي سبعة كتب، ولعل الشيخ الوالد رحمة الله تعمد ذلك، ليتيح المجال لهؤلاء أن يقرؤوا، ولا نرى هذا الكم من الكتب في الدروس الأخرى.

يحكي الشيخ عصام العويد قصة له حول هذا الأمر، فيقول <sup>(١)</sup>: «جئت يوماً بعد الفجر فلم أجد طلاباً، وقلت يا شيخ أين طلابك؟ قال: لا بأس، هون على نفسك الأمر واسع، أصبر حتى يأتوا، وينتظر حتى يذهب نصف ساعة أو نحوها، ثم يأتون ثم يبدأ.

لأنه يريد وجه الله، ولأنه أراد تربيته، وفعلاً هذا الذي حصل لنا، أننا ننتظر طلابنا حتى يأتوا ربما أجلس نصف ساعة وهذا بفضل الله ثم بتأثرنا وتأسينا به».

وقد دفع هذا بعض الطلاب في السنتين الأخيرتين من حياته لتقديم اقتراح حول معاملة الذين لا يحضرون، واقترحوا أن يقرأ من حضر وأن يكون النظر للكتاب لا للقارئ وأعطوني اقتراحهم، وكنت أميل إليه ولكنني أعرف رأي الوالد، فعرضته عليه فسكت، وكانت هذه عادته في الغالب إذا لم يرد شيئاً.

(١) فتاة إقرأ.

## العناية بالنجباء

كان رحمه الله يهتم بطلابه الذي يرى فيهم علامة النجابة ويحبب إليهم العلم، يقول الدكتور عمر العيد<sup>(١)</sup>: «كان رحمه الله يشجع طلاب العلم، ويفرح بالنابغين، ويعطيهم شيئاً من العناية والتوجيه».

ويذكر الدكتور عبد المحسن العسكري في أول قراءته على الوالد: «أصبح الشيخ يأنس بي، وقد أذن لي أن أقرأ عليه وحدي متن الآجرومية. فشرحها شرحاً مبسوطاً، حبب إليّ اللغة العربية بما كان يورده ويعربه من الشواهد شعراً ونثراً، فكان ذلك من أسباب دخولي كلية اللغة العربية».

ويقول الدكتور عبد الوهاب الطرييري<sup>(٢)</sup> لقد كان علم الشيخ من العلم العتيق الذي تنامى عبر دأب طويل، واستذكار دائم، وليس حصيلة تحضير عاجل، أو إعداد قريب، ولذا كان يبهر بقوة استحضاره وغزارة تدفقه، ولذا فلم يكن الشيخ في حياة طلابه شيخ مرحلة يعبرها الطالب ثم يتجاوزها إلى غيرها، ولكنه عالم كل المراحل، قرأت عليه وأنا في المرحلة الثانوية، وفي المرحلة الجامعية، وقرأت عليه وأنا أعد رسالة الدكتوراه، وكلما ازددت علماً ازدادت معرفتي بسعة علم الشيخ واحتياجي لمزيد الاستفادة منه.

وكان هذا الثراء العلمي يقدم في وعاء تربوي جميل؛ فقد كان الشيخ يمارس التعليم أبوة وتربية، فيرفع الحجب بينه وبين طلابه، ويشعرهم بالحفاوة والخصوصية، ويسعهم جميعاً على تفاوت قدراتهم ومداركهم بتحفيظه وتشجيعه، بحيث يستشعر كل منهم أنه قارب أن يبلغ أمله.

(١) قناة دليل.

(٢) مقال بعنوان حياة من نور.



لقد كان تعامله السمع الرفيق يبني شخصية الطالب، ويعزز لديه مشاعر الثقة النفسية، وكم كنت أنصرف من درسه وأنا أشعر بنشوة نفسية عارمة؛ لأنه أشركني في مقابلة كتاب ينجزه، أو حدثني بموقف مؤثر من حياته». أ.هـ.

ولربما صبر رَحْمَةُ اللهِ طويلاً على طالب يؤمل فيه خيراً، يقول تلميذه الشيخ عصام العويد<sup>(١)</sup>: «كان يتبسط وربما أخطأت الخطأ مراراً وتكراراً ويعيده عليّ لا يويخ ولا يرفع الصوت، تجده رَحْمَةُ اللهِ تعالى يتبسط وابتسامة، بل لربما ترك بعض الشيء رَحْمَةُ اللهِ تعالى رحمة واسعة».

وكان يكرم طلابه ويهش لهم ويبش، ويساعدهم بما يستطيع.

ومن ذلك أن يكتب لتلاميذه البارزين تزكيات علمية مميزة ومما رأيتَه تزكيتَه للدكتور عبدالعزيز السدحان والدكتور عبدالمحسن العسكر، والشيخ عبد الله بن علي بن عامر.

وإذا زاره أحد منهم قربه واحتفى به، وربما أثنى عليه بمسمع من الحضور، وإذا استزاروه لبي دعوتهم، كما سأذكره في حياته الاجتماعية.

وهو يقف معهم فيما يحتاجونه من شفاعة ووجاهة، ولا أنسى وقفته مع الشيخ بدر الفلاج إمام جامع الصانع، حيث تعسر تعيينه خطيباً فذهب لوزير الشؤون الإسلامية واتصل به وكتب له خطابات مرارا، وكتب للأمير مشعل وذهب له بصحبة الشيخ بدر ليستشفع له.

وحدثني الشيخ موسى توري وهو من تلاميذه قديما: أنه كان له موضوع في المحكمة فتعسر، وطلبوا منه من يعرفه، فقال: يعرفني الشيخ ابن جبرين، فأخبر الوالد بذلك فقال: أنا أذهب معك. فذهب معه وتيسر الأمر.

(١) قناة إقرأ.

## العناية بالوافدين

هذه سمة بارزة في حياة الوالد العلمية ونهجه التعليمي.

تأتي إليه فتجد حوله اليماني والمصري والشامي والمغربي والهندي والأفارقة على اختلاف جنسياتهم وغيرهم.

هو جامعة ثالثة في الرياض، يفتح لهم قلبه، يسمع مشكلاتهم، وينفس كرب المكرويين منهم، ويتعاهدهم بالتربية والتعليم.

لعل التجارب الأولى من حياته التدريسية هي التي حببت إليه هذا، فقد رأى فائدته وعرف أثره.

فإنه كما علمنا قد بدأ في التدريس لمجموعة من طلاب مدرسة تحفيظ القرآن من اليمن ومن تهامة ونحوها، وكان ابن سنان رحمته الله يحثه على تدريسهم.

فكان يتابعهم ويلزمهم بقراءة المتون، مثل ثلاثة الأصول وكشف الشبهات والعقيدة الواسطية وكتاب التوحيد وآداب المشي إلى الصلاة وأشباهاها، حتى أخرج منهم رجالا نفع الله بهم في بلادهم، ورأى آثار تدريسه لهم.

ولهذا أنس بالوافدين وأنسوا به، يقول الدكتور عبد الوهاب الطرييري<sup>(١)</sup>:  
«كان درس الشيخ عجيبا تلقى فيه الكبير والصغير، أذكر أنني كنت جالسا وعمري إذ ذاك ست عشرة سنة وبعجواي شيخ لا يقل عمره عن خمس وخمسين سنة.

تجد طالبا من السعودية وآخر من اليمن وثالثا من حضرموت وهكذا، فكان المجلس أخلاطا. القاسم المشترك دأب الشيخ وصبر الشيخ».

(١) قناة المجد.



وهو **رحمة الله** يشجعهم، ويستغل الفرص لذلك، يقول الشيخ رضا أبو الفتوح من الدعاة في مصر<sup>(١)</sup>: «كان الشيخ **رحمة الله** يشرح العقيدة الطحاوية في بيته، وكان يشرح لنا منار السبيل في سوق الخضار في عتيقة **رحمة الله**.

في مسألة من المسائل ألقى الشيخ سؤالاً على الطلبة، فقال: إن آية في القرآن حرمت الخمر في حالة دون حالة، وآية حرمت الخمر في وقت دون وقت، وآية حرمت الخمر تحريمًا نهائيًا، وآية أحلت الخمر.

فعرف الطلاب الآيات الثلاث، وحرنا في الرابعة فبفضل الله **عجل**، فتح الله عليّ فقلت: الآية في سورة النحل ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧].

فقال الشيخ: أحسنت، بارك الله فيك، أنت مصري طبعًا.

فقلت: نعم.

قال: هكذا المصريون.

فغمرني بأدبه وتشجيعه.

### نقل آراء مشايخه وأقرانه

نقل الوالد **رحمة الله** لآراء مشايخه وأقرانه، بل وطلابه ومن هم في مرتبتهم منهج فريد، يدل على سعة اطلاع وانصاف وتواضع واعتراف، فقد كان كثيرًا ما يذكر رأي شيخه ابن باز في المسائل التي يشرحها، وكذلك رأي ابن حميد، فضلًا عن الشيخ محمد بن إبراهيم، وهو أيضًا يذكر آراء بعض

(١) برنامج التبيان في فتاة الناس.

أقرانه من المشايخ الأموات أو الأحياء: كابن عثيمين وصالح الفوزان وغيرهم، كما يذكر رأي هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء، بل إنه يذكر أحيانا آراء بعض طلابه ومن هم في مرتبة طلابه كالشيخ الدكتور سعد الشثري وسلمان العودة ونحوهما، وهذا من تواضعه رحمة الله وإنصافه<sup>(١)</sup>.

سمعتة مرارا يحيل على بحث للدكتور سعد الشثري حول الإيجار المنتهي بالتمليك، رجح فيه الجواز، وكأن الوالد رجع إليه بعد ما كان يفتي بفتوى اللجنة في المنع من ذلك.

### التحضير للدروس

المشتهر عن الشيخ الوالد رحمة الله أنه لا يحضر لدروسه، وقد أشرت لذلك في أثناء الكلام عن موسوعيته رحمة الله، ولقد أحببت هنا أن أورد شيئاً يتعلق بذلك من كلامه رحمة الله، فقد سئل عن ذلك مرارا، فقال في إحدى أجوبته<sup>(٢)</sup>: «لا أتفرغ للتحضير غالباً إلا لبعض دروس الحديث: وذلك بقراءة الشروح التي توضح معاني تلك الأحاديث وما فيها من الخلاف، أما البقية فنكتفي بدراستها وتدريسها السابق، حيث تكرر علينا القيام بتدريسها مرات بعد مرات».

وسئل مرة أخرى، فقال: «بالنسبة إلى الدروس التي تتكرر فإننا نكتفي بتكررها».

قمت في المعهد بتدريس تفسير جزء عم وكنت أراجع، وكذلك تفسير سورة سبأ وغيرها، وكنت أراجع ابن كثير وما تيسر من تفاسير أخرى.

(١) لقاء للشيخ أحمد المهنا بعنوان: الإمام الراحل.

(٢) انظر الفتوى رقم (٧٦١).



ولكن بعد أن درسته مرتين أو ثلاث مرات أصبحت أستحضر النصوص التي قرأتها والتي درستها، وهكذا سائر المتون كمتن الزاد وكتاب التوحيد، ولما تكرر تدرسينا لهذه الكتب أصبحنا لا نحتاج إلى مراجعة ولا إلى تحضير وذلك للتكرار.

ولما انتقلت في سنة خمس وتسعين إلى كلية الشريعة درست التدمرية ففي السنة الأولى والثانية احتجت أن أراجع بعض الكتب التي تتوسع في شرح معانيها وبقية السنوات لم أحتج إلى المراجعة.

أما شرح الطحاوية فإني درستها في الكلية سنة واحدة حوالي ربع الكتاب، واحتجت أيضًا إلى أن أطلع بعض المراجع.

هذا بالنسبة إلى الدروس النظامية، وأما دروسنا بعد ذلك التي في المساجد فكان ابتداءها في حدود سنة ثمان وثمانين، ومع تكرارها لم أحتج إلى المراجعة، لكن لا بد أن الإنسان يطالع، وقدوتنا في ذلك مشايخنا، الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله مات وهو لم يترك المراجعة، كل ليلة بعد العشاء يأتيه زميلنا أحمد بن عبدالرحمن بن قاسم، ويقرأ عليه متن الروض، وكذلك التعليقات التي عليه، أو حاشية العنقري أو حاشية أبيه الشيخ ابن قاسم، ثم نراه في شرحه يستشهد بتلك الحواشي.

أتذكر منها مرة كان في كتاب الصيد من الروض المربع، فجرى البحث أو السؤال عن الصيد بالبندق بالرصاص المعروف، إذا رمي فمات المرمي، رموا مثلاً ضيياً أو أرنباً فماتت من أثر الرمي، فهل يجوز أن يأكل إذا سمى ذلك الذي رمى، فناقشه أحد الزملاء فقال: كيف يكون حلالاً وهو ليس بمحدد؟، أي إن الرصاصة ليست محددة فرأسها غليظ، فقال: إنها حلال

بالإجماع: نظرنا وإذا استناده على حاشية العنقري، حيث أورد بيتين فيهما الإجماع يقول الناظم:

وما ببندق الرصاص صيدا      جواز أكله قد استقيدا  
أفتى به والدنا الأواه      وانعقد الإجماع من فتواه<sup>(١)</sup>  
فهذا مستند الإجماع عنده.

فتبين لنا أن الشيخ الوالد رحمه الله يراجع إذا احتاج، وقد رأيت مرارا في الدروس التي يدرسها لأول مرة يطالع بعض الكتب قبل الدرس، مع اعتراف الناس بموسوعيته رحمه الله وجودة حافظته وكثرة محفوظاته.

### التوقف في رمضان

كان الشيخ الوالد رحمه الله يقف الدروس إذا دخل رمضان ويتفرغ للعبادة وقراءة القرآن، ويذكر أن هذه طريقة السلف رحمهم الله، يقول في إحدى فتاواه<sup>(٢)</sup>: «كان السلف الصالح يتوقفون عن التحديث وتعليم العلم، ويشغلون بقراءة القرآن والذكر والعبادة، اغتناماً لهذا الموسم العظيم، وحرصاً على استغلال أيامه في الأعمال الصالحة، فيتفرغ العالم لعبادة ربه والعمل بما تعلمه، ويتفرغ الطلاب للأعمال الصالحة التي تلقوا أدلة فضلها من علمائهم وأحبوا تطبيقها والعمل بها، فهذا سبب توقف السلف في رمضان عن الحديث وتفرغهم لقراءة القرآن والأعمال الصالحة».

وكثيرا ما يذكر في مواظبه عن رمضان بأن السلف إذا دخل رمضان تركوا دروس العلم، وأقبلوا على مصاحفهم يقرؤون فيها.

(١) انظر حاشية الروض المربع لابن قاسم ٤٥٧/٧.

(٢) الفتوى رقم (١٥٤٣).

ولكنه في رمضان - كما سنذكر بعد - يستجيب لدعوات أئمة المساجد فيلقي كل ليلة موعظة في أحد المساجد، وربما ألقى بعد العصر أيضاً في بعض المساجد.

## رأيه في علوم الآلة

لقد لاحظنا فيما مر أن الوالد رحمة الله يحب التركيز في طلب العلم على الكتب الرئيسية ككتب العقائد وكتب الحديث وكتب الفقه وبخاصة للمبتدئ، وقد كان هذا صنيعه مع الطلاب الذين درسهم في أول أمره، ثم أخذ لا يرد الطلاب عن القراءة في أي كتاب، لكنه يختار ويحب ما ذكرنا، وقد سئل عن القراءة في كتب علوم الآلة، فأجاب رحمة الله بقوله<sup>(١)</sup>: «يُفضل لمن يقرأ في العلم أن يأخذ مبادئ من علم النحو؛ فإن فائدته إقامة الألسن وفهم المعاني من كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام أهل العلم، ولا حاجة إلى التوغل فيه الذي يشغل عن ما هو أهم منه؛ فقد قال بعض العلماء: النحو في الكلام كالمح في الطعام: أي: لا يزداد فيه ولا ينقص منه، وأما علم اللغة كالبيان والبدیع والمعاني والعروض والقوال في فنرى أنها ليست ذات أهمية، وأما الأصول كأصول الفقه والمصطلح وأصول التفسير فلها أهمية، ولكن لا تُقدم على فروعها، بل يبدأ الإنسان في التعلم بالعقيدة والتوحيد والأحكام، فيقرأ في كتب الفقه وكتب الحديث وكتب التوحيد، ويقدمها على علوم الآلة لأهميتها».

هذه هي أبرز معالم المنهج الذي اختطه الشيخ الوالد رحمة الله مؤتسماً بذلك بنهج خير الأمة، مترسماً منهج سلفها. يقوده في ذلك الدليل، ويسيره الإخلاص، ويعضده الصدق، ويحفزه محبة الخير للناس، نحسبه كذلك والله

(١) الفتوى رقم (٧٦٨).

حسيبه، ولا نزكي على الله أحدا، سار على ذلك، فأدرك ماتمنى، ورأى ما روى، وحصل ما ابتغى، حتى ووري في الثرى، وبكت عليه القلوب قبل العيون، فرحمه الله، وأجزل مثوبته. وجمعنا به في عليين. اللهم آمين.

## داعية لا يكل

هو فعلا.. داعية لا يكل.. ولا يمل.

جمع رحمة الله بين العلم والدعوة. والأصل أنهما مجتمعان، لكن جرى عرف الناس في عصرنا على أن العالم هو الذي يجلس لطلاب العلم، والداعية هو الذي يجلس للعامّة، يقول الدكتور عبد العزيز الفوزان<sup>(١)</sup>: «الشيخ رحمة الله جمع بين الخيرين، العلم مقرون بالدعوة، هذا التميز في منهج الشيخ رحمة الله، هو منهج المدرسة السلفية، ليس علماً محصوراً في طائفة معينة، أو في الراغبين فقط في طلب العلم، كان يبذله لكل الناس، فهو عنده دروس كثيرة لطلاب العلم الذين يحثهم على نشره بين الناس في مساجدهم وأحيائهم، وأيضاً يشارك في البرامج الإعلامية المتنوعة، وفي المحاضرات والدروس العامة التي يستفيد منها عامة الناس على اختلاف طبقاتهم، هذه قضية مهمة للغاية، تميز بها هذا العالم الجليل رحمة الله».

فهو إذن داعية.. وأما لا يكل فهي قضية أخرى ستري عجائبها وغرائبها إذا طالعت أخباره في هذا المبحث، ولقد عجب من دأبه في هذا المقام كل من عرفه أو سمع عنه.

فهذا نص آخر للدكتور الفوزان، وهو يبدي عجبه من هذا الدأب والعطاء المتواصل، يقول حفظه الله<sup>(٢)</sup>: «من الأشياء التي أعجب منها دائماً

(١) قناة دليل.

(٢) قناة دليل.



وأتساءل، حينما أقرأ عن خبر محاضرة أو درس أو لقاء لهذا الشيخ الجليل، أو أشتريك معه في بعض اللقاءات العلمية والأسابيع والأيام الثقافية، أقول: سبحان الله إنسان بلغ الثمانين وجاوزها وتجدد يعيش بروح الشباب، وتجدد -والله- يسابق الشباب في جده واجتهاده، ينتقل من بلد إلى آخر، ومن قرية لأخرى، ومن درس إلى درس، ومن محاضرة إلى أخرى، إن الواحد منا يحققر نفسه حينما يرى هؤلاء الكبار على جلالة قدرهم وسعة علمهم وكثرة مشاغلهم وثقل الأمانة الملقاة على عواتقهم، مع ذلك سبحان الله لا يكادون يتركون باب خير يقدررون عليه إلا كانوا أسبق الناس إليه».

وليس طلاب العلم هم الذين يبدوون عجبهم منه فقط بل كل من عرفه، فهذا أحد جيرانا في حي شبرا، وهو من أهل أبها في الأصل الأستاذ عمرو ابن أحمد الضبعان<sup>(١)</sup> يقول: «من الأمور التي يتميز بها الشيخ جلده في العلم، أذكر موقفا عشته شخصيا.. في إحدى زيارته لمدينة أبها.. دعوانه للغداء بعد الظهر. فطلب منا أن يكون الغداء في تمام الساعة الثانية، لأن الشيخ مرتبط بدرس بعد صلاة الظهر في أبها، وهو مرتبط بدرس بعد صلاة العصر في سراة عبيدة!!!، ولديه محاضرة بعد صلاة المغرب في تنومة.

المعروف أن بين أبها وسراة عبيدة قرابة سبعين كيلو متراً وبين سراة عبيدة وتنومة قرابة مائة وستين كيلو متراً.

قلت لابن الشيخ بعد الغداء: اطلب من الوالد أن يؤخر محاضرتة في تنومة إلى بعد صلاة العشاء؛ لأن المسافة بين سراة عبيدة وتنومة طويلة، فتبسم ضاحكاً.. وقال: لا تخف إن الله معه».

(١) الإمام ابن جبرين.. أسرار.. مواقف.. حكايات تشر لأول مرة..!!

<http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229>

وقد تظن أن هذه الجولات فيها شيء من السعة والأنس، والوقت الكافي للفسحة والنزهة، لا.. فهذه لا يعرفها **رحمة الله**.. فقد عرفنا أن أنسه في الدروس، وسروره في إفادة الناس.. خذ مثلاً لبرنامج في أحد أسفاره، لتري كيف يقضي الوقت **رحمة الله**.

يقول تلميذه بل ابنه البار الدكتور طارق بن محمد الخويطر<sup>(1)</sup>: « ذهبنا إلى مدينة عنيزة في رحلة معه ضحى السبت، ففي أثناء الطريق كان الشيخ يقرأ القرآن، ثم بدأ بقراءة كتاب آخر، ثم أعطاني بعض الأسئلة، فبدأت أقرأها والشيخ يجيب، وأنا أسجل هذه الإجابات.

وصلنا قبيل العصر، وبعد صلاة العصر استقبل أسئلة عبر الهاتف، وبعد صلاة المغرب ألقى محاضرة، وكذلك بعد صلاة العشاء.

وبعد صلاة الفجر من يوم الأحد كنت أتوقع أنه سيرتاح قليلاً، لكنه قال لي: إنه سيستقبل اتصالاً الآن من شخص من أمريكا ليلقي عليهم محاضرة عبر الهاتف، تنقل في المراكز الإسلامية، فبعد دقائق اتصل الشخص، واستمر في المحاضرة قرابة الساعة، ثم طلب منه أن يلقي محاضرة في المعهد العلمي، ولما خرجنا من المعهد طلب منه أن يلقي محاضرة في كلية التربية للبنات، وانتهت المحاضرة قبيل صلاة الظهر، فذهبنا إلى مكتب الأوقاف، وصلى بنا الظهر، ثم ألقى كلمة بعد الصلاة.

ثم ذهبنا إلى أحد المشايخ لتناول الغداء، وهناك كان اللقاء مع طلبة العلم، الذين عرضوا عليه بعض الأسئلة، ثم سافرنا إلى الرياض، وفي الطريق كانت تُطرح عليه بعض الأسئلة والإشكالات، ووصلنا إلى الرياض قبيل أذان

(1) في رثاء سماحة الشيخ عبد الله الجبرين <http://www.al-jazirah.com/96916/rj5.htm>

المغرب بقليل، فتوضأ وذهب إلى المسجد، وألقى دروساً له بعد صلاة المغرب وبعد صلاة العشاء».

يصف ابن أخيه عبد الرحمن بن ناصر إحدى سفراته معه، وسأورد هذا النص بطوله، لأنه مليء بالعجائب، وإن كانت لا تتعلق بحدثنا الآن، يقول<sup>(١)</sup>: «في عام سبع وعشرين سافرت مع الشيخ رحمته الله في أول رحلة لي معه كنا في الصيف متوجهين أولاً إلى مكة، أعرف أن الشيخ في المجالس يحكي القصص والأخبار فتوقعت أني سأستمتع بالطريق، كانت عائلة الشيخ في سيارة أخرى يقودها ابنه سليمان، وأنا والشيخ وحدنا، أتيت معي بمسجل لأسجل قصص الشيخ وحكاياته الممتعة التي كان يتحفنا بها إذا اجتمعنا. بعد ركوبنا بخمس دقائق حينما وصلنا الخط السريع بدأ الشيخ يقرأ القرآن.. أخذ يقرأ ويقرأ، ما حدثني بكلمة واحدة، حتى إنني استوحشت، وصلنا إلى قرية في القوية تسمى الجفارة لنصطحب أخته الكبرى، حيث تعود أن يأخذ أخواته معه، فقال لي: قف عند المسجد، فلما وقفت نزل الشيخ صلى ركعتين، وذهب ابنه سليمان يأتي بعمته. ركبت معنا أخته هيا وسلم عليها، فلما أخذنا الطريق السريع قال لي: قف، وكانت أخته هيا أخته لأمه ولست من محارمها فطلب منها أن تركب مع عائلته، وركبت معنا أخته الشقيقة منيرة وهي عمتي، فلما سرنا عاد الشيخ لقراءة القرآن، حاولت عمتي منيرة أن تتحدث معه وهو يرد عليها رداً مجملاً ويواصل القراءة، وكأنه قد وضع له حزباً يريد أن يكمله، فأشرت إليها لتتركه، واستمر يقرأ حتى وصلنا إلا أنه في منتصف الطريق قبل المغرب نام نومة خفيفة حتى أذن المغرب، فأعطوه إفطاره وكان صائماً، صلينا المغرب والعشاء وواصلنا المسير حتى الميقات، دخلنا الميقات فأحرم

(١) لقاء منتجع أبي حسان.

الشيخ وركب السيارة وبدا يلبي بصوت مرتفع، وفي منتصف الطريق نام نومة خفيفة حتى وصلنا لمكان السكن، ذهبت معه للحرم وتركنا سليمان ينزل الأغراض، سألته قلت تريد أن تتوضأ؟، قال: لا، النوم في السيارة ما ينقض الوضوء بحكم إني جالس.

واعتمرنا وانتهينا وذهبنا للحلاق، فكلما رأى حلاقاً حالقاً لحيته أشر على لحيته، كأنه يقول له: لا تحلق عند من يحلق لحيته، فدخل عند حلاق لم يحلق لحيته.

عدنا للسكن متأخرين حوالي الساعة الثانية عشرة فتعشنا ونمنا، والعجيب أنني استيقظت في منتصف الليل، فرأيت الشيخ عند المغاسل يتوضأ، ورأيت على السجادة يصلي قبل الفجر بساعة أو نصف ساعة، ثم جلس يستغفر ويذكر الله قبل الفجر. ولما أذن ذهبنا إلى الحرم، ثم جلس إلى الإشراف ورجع للشقة. كان عنده بعد الظهر لقاء. وعقب العصر درس في أحد الجوامع، وبين المغرب والعشاء جلس في الحرم وبعد العشاء ذهب يسلم على أحد المشايخ، انبهرت من هذه الطاقة العجيبة، أمس كان في سفر واليوم هذا البرنامج المشحون غفر الله له ورحمه».

ويقول الدكتور عبد المحسن العسكر: «ومن صحب الشيخ في تلك الأسفار أدرك مقدار ما يبذله من الجهد، وعون الله أكبر مدد له في ذلك، وقد رافقت الشيخ في أسفاره غير مرة. ومن ذلك دروس له أقيمت في الرس ثلاثة أيام عام ١٤١٢هـ. فكان يدرس ويفتي طوال اليوم في المساجد وفي البيوت التي يزورها».



يقول تلميذه أحمد المهنا عن إحدى رحلاته معه<sup>(١)</sup>: «كنا في رحلة بعد صلاة الظهر من يوم الأربعاء، وكنت أقود السيارة مع الشيخ متجهين إلى إحدى المحافظات تبعد عن الرياض ثلاثمائة كيلو، خرجت من الدوام والشيخ عنده درس بعد الفجر والضحي يقرأ في بعض الكتب، جنّته بعد الظهر فإذا بالشيخ في الشارع ينتظرني.

فمشينا إلى هذه البلدة، وجلسنا ثلاثة أيام ما نمنا فيها إلا ست ساعات.

كنت أحس أن رأسي سينفجر من قلة النوم، والشيخ بكل أريحية أقول له: ألا تنام، فيقول: نحن مرتاحين جالسين على الكرسي ليس عندنا تعب، التعب عند الأولين الذين يسافرون على الإبل، ويروون الماء ويتيهون في الطريق.

وصلنا البلد فاستقبلنا الإخوة، وكان من عادة الشيخ إذا ذهب إلى إحدى المحافظات أو البلدان أن يحمل من الكتب التي لديه، سواءً من مؤلفاته أو مؤلفات غيره، يحملها في كراتين، ويزود بها مكاتب الدعوة وتوعية الجاليات، وهذه قليل من يصنعها.

كان عنده لقاء بعد العصر، ثم حفل بعد المغرب، ثم لقاء بعد صلاة العشاء، ولم نصل البيت الذي نريد أن نستقر فيه إلا الساعة الثانية عشرة والنصف.

وكان عنده في الغد درس بعد صلاة الفجر، فكان من المناسب أن نضع مكانا مستقلا للشيخ لينام فيه، فلما دخل نظرت من الباب فوجدت الشيخ ذهب يتوضأ، فما حاولت أن أشعره وسكت.

(١) برنامج مرآة الحدث في قناة المجد.

في الغد انطلقنا إلى عدة أماكن في هذه المحافظة: عزاء، زيارة مريض، زيارة مكتب دعوة الجاليات، زيارة محافظ البلد، وأنا أقول: سبحان الله بركة الوقت مع هذا العالم عجيبة.

قال الشيخ بعد صلاة العصر: عندنا كلمة تبعد سبعين كيلو عن المحافظة.

كانت هذه الكلمة عن فضل صلاة العصر، جلس فيها الشيخ خمسا وأربعين دقيقة يتكلم عن فضل صلاة العصر، يتكلم ويسوق أقوال العلماء في الخلاف في الصلاة الوسطى.

كان عنده بعد العشاء محاضرة، ولم تنته إلا في الساعة الحادية عشرة ذهبنا بعدها إلى محافظة أخرى تبعد مائة وخمسين كيلومتراً.

قلت للشيخ: لعل فيك نوماً؟. وكنت أرغب: أن الشيخ يوافقني في أن نأخذ بيتنا وننام فيه، قال: لا.. إذا أنت تعبان أنا أسوق.

وصلنا الساعة الواحدة والرابع، كان البلد صغيراً، وطلاب العلم يعدون على الأصابع، فجلسنا في البيت، وقال الشيخ: خلاص أنتم الآن ناموا وأنا سأنام.

كنا في وسط الصيف، وأذان الفجر الساعة الرابعة إلا خمس تقريباً، قبل أن أنام أردت الاطمئنان على الشيخ فتحت الباب وجدته يصلي.

أخذت عشر دقائق ورجعت فوجدته يصلي، أنا رأسي يكاد ينفجر من التعب والإرهاق.

اضطجعت على الفراش وكان متواضعاً جداً عبارة عن مسند نمت عليه، وكان فراش الشيخ مثل فراشي.



وقبل الأذان بنصف ساعة وإذا بالشيخ يوقظني: أبا عبد الرحمن توكل على الله.

فجلس الشيخ بعد صلاة الفجر في الدرس حتى الساعة السابعة والرابع. قلت للشيخ: هل تريد أن ننام قليلا؟، قال: لا.. الإخوان عندهم سؤال على الهاتف.

أنا أعرف أن البلد صغير، لم يأت إلا ستة أو سبعة أسئلة، والشيخ ينتظر عند الهاتف.

قال لي الشيخ: قم اغتسل لصلاة الجمعة، فلما قربت الصلاة قال الشيخ: خذوا أحمد لأحد الجوامع في إحدى القرى، وامثالاً لأمر الشيخ ذهبت وخطبت». هذه نماذج من أسلوب الوالد رحمته الله في رحلاته، مما جعل الشيخ ناصر العمر كما سيأتي يقول: إن الشيخ لا يكل ولا يمل.

ولهذا كان رفقاؤه في أسفاره من أبنائه وأقاربه وتلاميذه يتعبون وهو لا يتعب، فقد كنا نتعاقب على مرافقته طوال اليوم، وهو رحمته الله لا يحتاج أحدا لكننا نحب ذلك.

بل إن الطلاب الذين يتابعون دروسه ومحاضراته ولقاءاته في البلدان التي يزورها يتعبون وهو لا يتعب، يذكر ذلك الأخ حمدان بن أحمد في مقالة له <sup>(١)</sup> يقول: «تشرفت بصحبة الشيخ رحمته الله في أثناء زيارته للجنوب، وكنا نتعب من ملاحقة دروسه ونحن شباب، وهو الذي يلقي الدروس لا يكل ولا يمل».

(١) مقال بعنوان: المنهج الرصين في حياة ابن جبرين (رحمته الله) لجينيات  
<http://174.120.81.100/index.php?action=showMaqal&id=9021>

ويقول الدكتور ناصر العمر حفظه الله<sup>(١)</sup>: «حدثني عن نفسه قبل سنوات وكنت عنده أنه ذهب إلى مناطق المملكة جميعاً، قدرنا ما قطعه في الإجازة الصيفية بقراءة عشرة آلاف كيلومتر فقط، وحدثني كيف أنه انطلق من الرياض إلى جنوب المملكة إلى غربها إلى شمالها إلى شرقها إلى وسطها، تعاقبه من طلابه ثلاث مجموعات، تأتي مجموعة وتذهب مجموعة وهو لا يكل ولا يمل».

فهو إذن لا يكل ولا يمل، وسترى كثيراً مما يثير العجب فيما يأتي من النقاط، حيث سنتحدث عن بداياته في الدعوة وتجاربه الأولى، ومن أبرزها رحلة الشمال، ثم نفيض في الحديث عن جولاته العلمية والدعوية في أنحاء المملكة، وما تحمله من دروس وعبر، ثم ننتقل إلى جهوده الدعوية في مدينة الرياض، وسنختم بتلمس منهجه في الدعوة وطريقته فيها.

## البدايات

الدعوة كغيرها من المجالات تحتاج إلى الخبرة والمعرفة والممارسة العملية، ولا شك أن العلم أسها وأصلها، ولقد أوتي الشيخ الوالد رحمه الله في شبابه من العلم خيراً كثيراً، ولكن الله إذا أراد بعبده خيراً هياً له أسبابه، وهذا ما حصل للوالد رحمه الله، فقد كتب الله له الاشتراك في رحلة دعوية بل تجربة عملية، صحب فيها شيخه ومعلمه الأول الشيخ أبو حبيب، وشاركه هذه التجربة ثلة من زملائه ممن عرفوا بالغيرة والحماسة والبذل والاحتساب، كانت هذه التجربة الأولى كما يقول رحمه الله.

(١) برنامج مرآة الحدث في قناة المجد.



## رحلة الشمال<sup>(١)</sup>

هكذا كان يسميها **رحمة الله**، وقد ابتدؤها في شهر صفر من عام ثمانين وثلاثمائة وألف قبل تخرجه من المعهد بسنة واحدة، واستغرقت أربعة أشهر إلا عشرة أيام.

علموا فيها الكثير من الجهلة في البوادي والقرى، وقاموا بالدعوة حق القيام.

يقول الشيخ الوالد **رحمة الله**<sup>(٢)</sup>: «وسببها أن أناسا جاؤوا من الحدود الشمالية، واشتكوا كثرة الجهل في القبائل الذين يقطنون هناك من قبائل الرولة وشمر والحويطات والعميرات وبلي وعطية وقبائل من مطير ومن حولهم.

كانت القبائل هناك تعيش في البوادي ولم يتعلموا، ولما جاءهم بعض من معه علم، وإذا بالجهل ينتشر بينهم، ففيهم كثير من الجهلة في أحكام الطهارة وفي أحكام الصلاة وفي شروطها وفي صفتها، فلما ذكروا ذلك للشيخ عبدالعزيز أبو حبيب **رحمة الله** عرض الأمر على الشيخ محمد بن إبراهيم، فقال هؤلاء في ذمتكم ولا تبرأ الذمة إلا بأن تعلموهم، فقال له الشيخ محمد: هل عندك استعداد أن تذهب لتعليمهم؟ قال: نعم، ولكن أريد أن تعطوني رفقة من الذين أختارهم، ووقع اختياره على الشيخ عبدالرحمن بن فريان والشيخ فهد بن حمين والشيخ عبدالرحمن بن مقرن وأنا رابعهم.

(١) انظر للمعلومات عن هذه الرحلة كتاب الدكتور محمد بن ناصر الشثري العذب الزلال في اختصار رحلة الشمال. وصفحات من حياتي الحلقة الرابعة.

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الرابعة.

ولما عزمنا على الرحيل زودنا الملك سعود بكل ما نحتاجه من الأدوات والمشتريات، وأجرى لنا نفقة يومية مائتي ريال.

كان الشيخ محمد البواردي رحمته الله صديقاً للشيخ أبو حبيب فجاء إليه وأخذ يشجعه، ثم إنه نظم أبياتاً يشجع فيها على هذه الرحلة.

الشيخ ابن باز أيضاً رحمته الله شجع على ذلك ولازمنا وسار معنا في سيارته إلى أن وصلنا إلى مفرق رماح فودعنا ثم رجع.

ثم ذكر الوالد رحمته الله قصة هذه الجولة أو الرحلة وهي طويلة، حيث سجل يومياته فيها بدقة في دفاتر بخط مرصوف، فملأت أربعة دفاتر كل دفتر فيه نحو مائة وعشرين صفحة (١٢٠ ص) أي ستين ورقة (٦٠ ورقة) والدفتر الأول فيه ثمانون صفحة (٨٠ ص)، وقد أصابها السيل فتأثر بعضها ثم راجعها، ولعلها أن تطبع قريباً، ففيها كثير من المعلومات المفيدة، واختصر هذه الرحلة الدكتور محمد بن ناصر الشثري وطبعها في كتاب سماه: العذب الزلال في اختصار رحلة الشمال.

ومن القرى التي مروا بها: رماح، واللاهبة واللصافة وقرية العليا وأبرق الكبريت والسعيرة والقيصومة والحفر، وكان فيها تجار من العراق يسمون المشاهدة، ثم مروا بقرية نصاب وسماح والشعبة، وكان أميرها في ذلك الوقت سهو العتيبي والد الدكتور تركي أستاذ النحو، ثم مروا بقرية أم رضة ثم لينة والحفيرة ورفحا ولوقة والحبكة والحبيكة والمندسة والدويد، وكان قاضيها زميله الشيخ إبراهيم بن خنيزان رحمته الله، ثم مروا بالعويقيلة وأم خنصر، ثم وصلوا إلى عرعر وأقاموا فيها خمسة أيام، ويحيط بها قرى منها الجديدة وحزم الجلاميد، ثم وصلوا إلى طريف على الحدود العراقية





والأردنية وبعدها رجعوا إلى سكاكا الجوف ودومة الجندل ونبك أبو قصر ثم مروا بالبوادي الذين في وادي السرحان وأغلبهم من الشرارات ومن العوازم ومن قبائل أخرى حتى وصلوا إلى القرى وهي قريات الملح وفيها قرى منها: العين و النبك والكاف و منوة والحفيرة والقرىات ثم توجهوا إلى تبوك وبعدها واصلوا إلى حقل على الساحل، يقول رحمة الله: كنا ننظر بالمكبر ونشاهد بنايات اليهود على الساحل الغربي ما بيننا وبينهم إلا هذا البحر، وساروا على الساحل ومروا بالبدع وضبا والوجه، ومنها رجعوا شرقا إلى وادي القرى الذي يسمى الآن العلا، ثم توجهوا إلى خيبر ثم إلى المدينة ثم رجعوا فمروا بالحناكية ثم حائل والقصيم وبعدها رجعوا إلى الرياض.

يقول الوالد رحمة الله<sup>(١)</sup>: «كانت طريقتنا في التعليم أن نجتمعهم في مخيماتهم فنبدأ في تعليمهم العقيدة: كثلاثة الأصول ثم شروط الصلاة باختصار ونكررها عليهم ونعطهم أيضًا إذا كان فيهم من يقرأ شيئاً من النسخ التي معنا، ونتجول على الدوائر الحكومية في وقت الدوام ويجمعون لنا الموظفين، ونلقي عليهم تعليمات نحثهم فيها على إصلاح الأعمال وعلى تعلم ما ينفعهم وعلى النصيحة لمن حولهم. وكذلك نزور المدارس ابتدائية ومتوسطة لأنه لم يكن هناك ثانويات إلا قليل، فيجمعوا الطلاب فنلقي عليهم كلمات.

وحيث إننا أربعة فإننا نتفرق على الدوائر الحكومية وعلى المدارس وعلى المساجد، حتى ندور على البلد مرتين أو ثلاثاً، نستوعب كل المساجد غالباً، وكل يتكلم فيما يناسبه أو فيما يراه، وذلك بأن نسأل أهل القرى التي نحن فيها عن أهم الأشياء التي يحتاجون إليها، فنسأل القضاة والمعلمين والمسؤولين فإذا أرشدونا إلى شيء ركزنا عليه.

(١) تجربتي في طلب العلم.

وفي وسط الضحى نأتي الأسواق التي هي مجتمعات الناس وتلقي عليهم كلمات، يكون هذا في طرف السوق وهذا في وسطه وهذا في الطرف الثاني، فيجتمع عدد لا بأس به، قد يجتمع مائة أو خمسين أو نحوهم من العامة الذين هم بحاجة إلى توجيه، فنرى فيهم التأثير وتكون النصيحة لهم نصيحة زهدية، نزهدهم في شهوات الدنيا التي تشغلهم عن التعلم حتى يتفرغوا، وذلك لأننا لمسنا فيهم الجهل والإعراض، ورأينا انتشار المعاصي».

كانت هذه الرحلة هي التجربة الأولى للوالد رحمة الله، وقد أكسبته دربة وحباً لهذه المهمة العظيمة، التي هي الدعوة إلى الله.

### الدعوة قبل انتشار الدعوة

لقد كانت هذه التجربة حافزاً له رحمة الله على الدعوة، فقد رأى حاجة الناس لذلك، والذي عاش في الثمانينيات والتسعينيات الهجرية يدرك ذلك، فإن القائمين بالدعوة إذ ذاك قلة، والشباب كثير منهم معرض عن الدين معجب بالحركات القومية التي كانت رائجة في تلك السنين.

لقد كان هناك مجموعات وأفراد قليلون يقومون بالواجب، قبل أن يكون هناك مراكز رسمية وتعاونية للدعوة.

لقد كان من المجموعات المجتهدة في هذا المجال مجموعة الشيخ يوسف ابن محمد المطلق وإخوته المشايخ الذين كان الشيخ الوالد رحمة الله من المؤسسين فيها، مستلهما تجربته في رحلة الشمال.

يقول رحمة الله عن حديثه عن رحلة الشمال<sup>(١)</sup>: «ثم بعد ذلك أخذنا فكرة هذه التجربة لما أتينا في الرياض، بحيث نجتهد في أن نفضل ما نستطيعه من

(١) تجربتي في طلب العلم.



التذكير في المساجد، سواء في الرياض في الجوامع أو في خارج الرياض في القرى.

واتفقت مع أحد المشايخ المشهورين من أهل القصيم وهو الشيخ/ يوسف ابن محمد بن مطلق رحمه الله، فكان عنده سيارة ونحن لا نملك سيارة، قبل أن نملك السيارات، فتبرع بسيارته في أن نذهب معه ثلاثة أو أربعة إلى القرى المجاورة للرياض، إلى الخرج وضرما والدرعية وما حولها وإلى حريملاء وشقراء وثادق، فكانا بعد صلاة الجمعة يقف كل منا في مسجد بعد الانتهاء من الصلاة ويلقي موعظة، هذه الموعظة إما أنها في موضوع خاص، أو أنها تعليق على الخطبة التي سمعها الحاضرون.

استمر بنا هذا الفعل وكنا أيضاً نذهب إلى قرى بعيدة حتى نصل إلى الأحساء والدمام وما حوله، وإلى قرى سدير: الجمعة والروضة والحوطة، وقرى العرض القويعية والدوادمي وما حولها هذه أيضاً من التجارب.

استمر عملنا على هذا أكثر من خمس عشرة سنة ونحن نخرج كل جمعة غالباً وإذا لم يتيسر الخروج أو تأخرنا فلا نعدم أن نصلي في جوامع الرياض، كل واحد يصلي في جامع، ويلقي كلمة بعد ذلك، ويكون لذلك تأثير.

وإن كان أهل المدن كالرياض ونحوها غالباً يخرجون بعد الصلاة ولا يجلس إلا القليل لكن هؤلاء القليل ولو كانوا من عامة الناس ينتفعون بما يسمعون.

وكان من زملائنا في هذه الرحلات:

الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله.

والشيخ عبد الله بن مسعود رحمته الله.

والشيخ عبد الرحمن بن حماد بن عمر رحمته الله.

وغيرهم من المشايخ الذين يخرجون في بعض الأوقات، هذه أيضاً تجربة وجدنا لها تأثيراً.

كانت هذه التجربة رائدة في المجال الدعوى، يذكر رحمته الله برنامجهم الدعوى فيقول<sup>(1)</sup>: «نصلي في المساجد صلاة الفجر يوم الجمعة ونلقي بعض المواعظ التي تناسب العامة وكذلك نحاول أن نخطب ببعض الجوامع وإذا لم يتيسر نتكلم بعد الصلاة في الجامع الذي نصلي فيه بعد خطبة ذلك الخطيب».

وكان الشيخ يوسف رحمته الله يصطحب بعض أبنائه في هذه الجولات، وقد صحبتهم أنا قليلاً، وكانت السيارة التي يسافرون بها أولاً سيارة للأخ محمد ابن صالح الديخي سيارة ونيت، ثم اشترى الشيخ يوسف سيارة من نوع بيجو فصاروا يسافرون بها، ثم اشترى أيضاً صالون جي إم سي، هكذا حدثني الدكتور عبد المجيد ابن الشيخ يوسف المطلق، وكان كثيراً ما يصحبهم في هذه الأسفار، وذكر أيضاً ممن يذهبون معهم: الشيخ إبراهيم بن عتيق والشيخ عبد الرحمن ابن فريان وأحياناً يرافقهم الشيخ عبد الله بن يوسف الوابل إذا قدم للرياض.

ومما حدثني به الدكتور عبد المجيد المطلق أيضاً: أنهم كانوا يعينون لهم أميراً في كل رحلة، وكانوا يحاولون أن يخطبوا بدل الخطيب، فإذا لم يتيسر تكلموا بعد الجمعة، وربما ضاق عليهم الوقت فاجتمع الاثنان في مسجد واحد فخطب واحد وتكلم الآخر بعد الجمعة، وكانوا يتشاورون في الموضوعات المناسبة ويتفقون عليها.

(1) تجربتي في طلب العلم.



لقد كانت هذه المرحلة طويلة وثرية، فقد بدأت في أوائل التسعينيات الهجرية، واستمرت حوالي خمس عشرة سنة، لقد عايش فيها الوالد رحمة الله الناس، وجلس معهم عن قرب، وأحس بحاجتهم لطلاب العلم والدعاة، وحاجتهم للوعظ والتذكير، فكان ذلك حافزا له على مواصلة المسيرة والسير على النهج نفسه، ولقد كان تعيينه خطيبا في الرياض مانعا له من مواصلة المشوار الدعوي في الجمعة الأسبوعية التي اختطها مع هذه الثلة المباركة. لكنه لم يترك المجال، بل أبدع فيه وفاق كما سيأتي.

### الجولات الدعوية في أنحاء المملكة

لقد عرف رحمة الله بقيامه بالدعوة في داخل المملكة. حيث لم يخرج لخارجها سوى في رحلته العلاجية إلى ألمانيا، فكان يتجول في المدن والقرى. حيث يقوم بإلقاء محاضرات أو خطب أو إجابة على الأسئلة. وكانت هذه الجولات على قسمين:

**الأول:** جولات في المناطق القريبة من الرياض وذلك كل شهر غالبا حيث يلقي محاضرة في معهد أو مركز صيفي أو مسجد أو جامع، ويجتمع بالأهالي ويبحث معهم في مشكلات البلاد وعلاجها.

**والثاني:** جولات في مناطق المملكة البعيدة وقد تستمر أسبوعا أو أكثر، فيقيم هناك دروسا ومحاضرات ولقاءات، ويزور بعض الدوائر الحكومية للمناصحة والإرشاد، فيلقى تقبلا وتشجيعا وترغيبا في الاستمرار<sup>(١)</sup>. وقد أخذت هذه الجولات شكلا منظما منذ عام ١٤١٦هـ، واستمرت حتى وفاته رحمة الله.

(١) سيرة الشيخ من موقعه الإلكتروني.

ولو سألت أي قرية من قرى المملكة وهجرها فضلا عن مدنها لحدثك بأن الشيخ زارها وأنسها.

لا أريدك أن تسأل مكة والمدينة والدمام وجدة وتبوك والباحة وجيزان وأبها وحائل والباحة والطائف ونحوها، فهذه تعرف عرفه وأثره.

لكن سل المجاردة وبارق وثربران ورهاط والكامل والرفيعة والصرار ويبرين والحرمر وأمثالها، فستحدثك أن الشيخ الوالد رحمة الله من القلة الذين عطروا هواءها وأنسوا عمارها.

يحكي الشيخ الوالد رحمة الله قصة إحدى جولاته الصيفية في عام ١٤٢٢هـ فيقول<sup>(١)</sup>: «أوقات الإجازة الكبيرة نتجول على البلاد التي بها حاجة إلى إلقاء بعض الدروس، فأخرها هذا العام بعد الانتهاء من الدروس قمنا بدورة في المسجد الذي عند البيت مسجد الراجحي ولمدة أربعة أسابيع، ابتدأنا في زاد المستقنع قرأنا منه إلى الصلاة، وكذلك أكملنا العقيدة الواسطية و متن الوراقات و متن الرحبية و متن الآجرومية وغيرها.

بعد ذلك قمنا بجولة، هذه الجولة نقوم بها غالباً سنوياً منذ سبع سنين. فابتدأنا بمكة ثم المدينة ثم الطائف ثم قرى حول الباحة أربع قرى أو خمس ثم سبت العلايا ثم قرية بقرب بيشة ثم بيشة ثم ذهبنا إلى الخميس ثم القرى التي حوله أربع أو خمس، أقمنا هناك دروساً ودورة، ثم بعد ذلك رجعنا إلى القرى التي في الطريق إلى تثليث ثم الوادي والسليل والأفلاج والحوطة والدلم، ثم بعد ذلك انتقلنا إلى الشمال، فالأسبوع الماضي كنا في حضر الباطن أقمنا دورة لمدة ستة أيام، والأسبوع الآتي الذي أوله غداً

(١) تجربتي في طلب العلم.





عندنا اشترك في دورة مسجد علي بن المديني الذي في الروضة في الرياض والأسبوع الذي بعده عندنا دورة في حائل والأسبوع بعده دورة في الدمام، وبه تنتهي الدورات التي في الخارج، ويبقى لنا أيضاً دورتان في الرياض ولمدة ثلاثة أسابيع، والله الموفق».

ويحدث **رحمة الله** عن جولة له في إحدى السنوات فيقول «في هذه الإجازة سوف أشارك إن شاء الله في دورة في مدينة الرس لمدة أسبوع، ثم في دورة مسجد سلطانة لمدة ثلاثة أسابيع بعد المغرب، ودورة في مسجد ابن المديني بعد العصر لمدة أسبوعين، ودورة في الأحساء لمدة أسبوع، ودورتين في الخميس وأبها لمدة أسبوعين، ودورة في مسجد الأميرة هيا في الرياض لمدة أسبوعين، وفي مسجد العز بن عبد السلام في الرياض لمدة أسبوعين».

وهذا أنموذج لجدول جولاته الصيفية في السنة التي سبقت وفاته **رحمة الله**:

#### مواعيد الجولات الخارجية في الإجازة الصيفية لعام ١٤٢٩ هـ

مكان الدورة	تاريخها	المدة	المسجد	الوقت	المتن
مكة	السبت ٧/١٦	أسبوع	جامع المهاجرين	بعد الظهر	- صريح السنة للطبري
				بعد العصر	- الحيدة للكتاني
جدة	السبت ٧/٢٢	أسبوع	جامع الملك سعود	بعد الفجر	- كتاب السنة من سنن أبي داود - زاد المستقنع - الطلاق
			جامع خديجة بلف	بعد العصر	فضل علم السلف على علم الخلف
الطائف	السبت ٨/١	أسبوع	جامع ابن عمار	بعد الفجر	الإبانة الصغرى لابن بطنة
المدينة	السبت ٨/٨	أسبوع	جامع عبداللطيف آل الشيخ	بعد الفجر وبعد العصر	- منهج السالكين ( باب المواييث )
في المدة من ٨/١٥ إلى ٨/٢٠ محاضرات متفرقة في الرياض وضواحيها عدا الدورة الآتية:					
الرياض	السبت ٨/٢٢	٤ أيام	جامع الأميرة موضي السديري	بعد المغرب	كتاب الصيام من عمدة الأحكام

وان شئت شاهدنا على ذلك فدونك شهادة أساطين الدعاة من الشباب، الذين عرفوا بالدعوة والترحال، يحكون لك أن شيخهم كان سابقا لهم إلى البلدان التي زاروها.

يقول الدكتور خالد الخليوي<sup>(١)</sup>: «إنني ما ذهبت إلى قرية من قرى المملكة، ولا هجرة من هجرها، ولا حي من أحيائها القديمة، إلا كانت إجابة أهله في الغالب أن الشيخ ابن جبرين زارنا قبل مدة.

وما طلب مني أن أسجل كلمة في سجل الزيارات لبعض المؤسسات أو مدارس تحفيظ القرآن الكريم والجمعيات الخيرية في مختلف أنحاء المملكة، إلا وجدت زيارة الشيخ ابن جبرين مدونة في سجل الزيارات قبل كثير من الدعاة».

ويقول الدكتور محمد العريفي<sup>(٢)</sup>: «لا أذهب إلى منطقة إلا ويقال لي: قد زارنا الشيخ عبد الله بن جبرين، قرى الليث، وقرى القنفذة، وبعض القرى القريبة من جيزان، وبعض القرى التي في الشمال».

يقول الدكتور طارق الحواس<sup>(٣)</sup>: «ما ذهبت إلى قرية ولا إلى بلدة لأجل أن أشارك في الدعوة إلا قالوا: كان الشيخ ابن جبرين من ليلتين هنا في قرى بعيدة، ليس فيها فنادق، وليس فيها مساكن، وليس فيها حتى جمهور كبير يسمعون، ولكن تحرك هذا العالم لنشر العلم غريب على كبر سنه وضعفه».

ويقول الدكتور عبد الوهاب الطرييري<sup>(٤)</sup>: «فوجئت عندما زرت قرية نائية في جنوب المملكة والمسافة بعيدة، والطريق وعرا، حتى ظننت أنني أول

(١) من جريدة الاقتصادية

article\_252034.html/14/07/http://www.aleqt.com/2009

(٢) قناة اقرأ.

(٣) قناة اقرأ.

(٤) مقال بعنوان حياة من نور.



من زارها، فلما قُلبت سجل الزيارات في مركز الدعوة وجدته قد حضر في أول صفحة».

يقول الدكتور عبد الله بن هضبان الحارثي<sup>(١)</sup>: «كان لدينا مخيم في غرب بيشة في وادي ترج، وعندما طلبته يلقي محاضرة هناك قال له بعض الإخوان: إنه يبعد عن الإسفلت قرابة ستين كيلو. قال: ولو كان».

ويقول أحد الإخوة، وكان رافقه في جولاته في حائل في شهر شعبان من عام ١٤٢٧هـ<sup>(٢)</sup>: «وسألته عن رأيه في حائل، فذكر أنه زار حائل عام ١٤٠٢هـ ورأى جمعاً من الأفاضل وأحبهم، ثم زار المنطقة عام ١٤٠٨هـ، وقال: استضافنا قاضٍ عندكم يقال له مسفر، وسأل عنه، فأخبرناه أنه موجود، ثم قال: وزرت حائل عام ١٤١٧هـ».

وهذا ما دفع الدكتور وليد الرشودي<sup>(٣)</sup> أن يقول: «لو ادعى كل شخص في المملكة العربية السعودية أنه تلميذ للشيخ عبد الله بن جبرين لصدق، لأن الشيخ عبد الله بن جبرين له في كل بلد من بلاد المملكة الحبيبة درس، فتجد له دورة علمية في الرياض والقصيم والغربية».

### درسه الشهري في القويعة

لقد خص الوالد رحمته الله محافظة القويعة بدرس شهري، وليس هذا كله لأنها محافظته التي نشأ فيها وبلده التي ينسب إليها، فإن السبب الظاهر

(١) قناة اقرأ.

(٢) <http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>

(٣) قناة اقرأ.

أن الشيخ الوالد طلب منه منذ مدة طويلة أن يكون رئيساً للجمعية الخيرية في القويعة التي أنشئت في عام ١٤٠٩هـ، وكان من مؤسسيها، فلما طلب منه ذلك عرض عليه بعض طلاب العلم، ومنهم الشيخ القاضي محمد بن عبدالرحمن الهويمل، وابن العم الشيخ سعد بن عبدالله الجبرين أن يعقد لهم درسا فابتدأ درسه هناك في شهر رجب من عام ١٤١٩هـ، وكان يعقده تزامنا مع اجتماع الجمعية، فيذهب عصرا، ويعود غالبا منتصف الليل.

كان يقرأ عليه في بلوغ المرام وفي السنتين الأخيرتين أضافوا السنة لابن أبي عاصم، وتعدد الدروس في جامع ابن باز المعروف بجامع الجفونية.

## المحاضرات

كان الوالد رحمته الله يقوم في غالب الأسابيع بإلقاء محاضرات في مساجد الرياض التي يكثر فيها المصلون، ويحاول اختيار المساجد التي لا يلقى فيها دروس، وأغلب الموضوعات التي يطرقها في محاضراته ما يحتاج إليه العامة من مسائل العقائد والعبادات والمعاملات ونحوها.

وهو كما ذكرنا يكون له في جولاته البعيدة والقريبة محاضرات أيضا.

وقد زادت محاضراته المسجلة والمحفوظة عندنا في مؤسسة ابن جبرين الخيرية على أربعمائة محاضرة.

وقد قام بعض طلابه بتفريغ بعض هذه المحاضرات ورفعها على الإنترنت ليستفيد منها الناس.





## ندوات الجامع الكبير

ومن الجهود التي كان يقوم بها رحمة الله الاشتراك في الندوات، التي تقام أسبوعياً في المسجد الجامع الكبير المسمى الآن بجامع الإمام تركي بن عبد الله، والتي ابتدأت منذ أكثر من ثلاثين عاماً، وكان يعلق عليها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمة الله، ولما تولى التعليق عليها سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله، فله سنوياً مشاركة بمحاضرة يلقيها منفرداً، ومشاركة أخرى في ندوة مع بعض المشايخ.

## قيامه بالدعوة في المناسبات

نريد بذلك أن الشيخ الوالد رحمة الله كثيراً ما يدعى إلى مناسبات، وأكثر ما يكون ذلك في مناسبات الزواج، وقد بدأ بعض الناس قبل عدة سنوات بجعل مناسبة الزواج فرصة للدعوة، بسبب كثرة من يحضرها، وكان بعض طلبة العلم لا يجيد ذلك لأنها ليست محلاً للموعظة، فهي مناسبة للفرح واللقاء والسلام ونحوه، غير أن الوالد رحمة الله لم يكن يرى بذلك بأساً، وكان كثيراً ما يطلب منه ذلك فيلبي، وتجهز قاعات الاحتفالات بمكبرات الصوت، بحيث يسمع الجميع، ولكنه عادة يختصر، ويتكلم في موضوع يناسب المناسبة، ويناسب الحاضرين، وربما طرحت بعض الأسئلة فيجيب عنها.

وقد يدعوه بعض الشباب لمناسبات أصغر من ذلك: كعقيقة أو اجتماع عائلي أو اجتماع لبعض الشباب في منزل أو استراحة فيلبي ذلك، وتستغل المناسبة للاستفادة منه رحمة الله.

يقول رحمه الله عن هذا الموضوع<sup>(١)</sup>: «أما الدعوة التي في الرياض أو غيره فهذه تكون في المجالس، وتكون في بعض الحلقات.

يكون أحدنا إذا جمعه مع أهل الحي الذين حوله مجمع أو مجلس أو حفل زواج أو نحو ذلك يفتتم هذا الجمع، ويلقي كلمة توجيهيه مناسبتها المناسبة الحاضرة».

ويقول أيضا<sup>(٢)</sup>: «أتذكر أنني زرت أحد الاجتماعات، فبعض الأسر يجعلون لهم اجتماعاً شهرياً يجمع الأسرة، قد يكونون أربعين أو مائة أو ستين، يجتمعون صغارهم وكبارهم.

استزارني أحد الأفراد من الشباب الصالح، ولما زرتهم كان قد جعل مكبراً، وجعل له سماعة عند الإناء أيضاً، ولما ابتدأت في الموعظة قام بعض من الشباب الذين لا يناسبهم الكلام في العلم، فانفردوا في مجلس، وأغلقوا الباب وصاروا يتناجون فيما بينهم، ولكن البقية الذين يقربون من ثلاثين أو أربعين حضروا هذا المجلس فانتفخوا».

ويقول الدكتور سعد بن مطر العتيبي<sup>(٣)</sup>: «وأذكر أنه حرص على حضور مزاين الإبل لقبيلة قحطان، برغم أنه لا ينتمي لها، وألقى هناك كلمة توجيهية تحث على نبذ العصبية القبلية».

### تنظيم مواعيد جولاته ومحاضراته

إن الشيخ الوالد رحمه الله سهل سمح، يعرف ذلك منه كل من خالطه، يصل إليه كل من أراده، ويستطيع الترتيب معه الصغير والكبير، لا يتردد في

(١) تجربتي في طلب العلم

(٢) تجربتي في طلب العلم

(٣) جريدة عكاظ ٨٦% ٩٨%D9 %B1%D9 /2009...B1%D9 %8A%D9 %86



الموافقة إذا لم يكن مرتبطا، سواء كانت الدعوة لمحاضرة أو درس، أو لمناسبة اجتماعية، أو لحفل ونحوه.

لم يضع رحمة الله منسقا، كان يحرص في بداية كل عام على الحصول على مذكرة الجيب، يسجل فيها المواعيد بنفسه، وقد حرصنا في السنوات الأخيرة على ترتيب مواعيده وتنسيقها، وذلك من خلال المكتب، وتولى أخي سليمان هذه المهمة، وحرص عليها وكان أهلا لها، فقد كان مع الوالد في حضره وسفره غالبا، وكان الوالد رحمة الله يحيل عليه أحيانا، وبرغم ذلك فلم يتخل الوالد رحمة الله عن مذكرة الجيب، وكان يسجل، وسليمان يسجل بتكليف أو إذن منه.

وقد تتزاحم المواعيد، فنكتشف أن لديه ثلاثة مواعيد في وقت واحد، لكن لا شك أن المسجل في مذكرته دائما هو الأولى. فبعض الناس يأتيه على عجل ويأخذ منه موعدا ويبني عليه، فيفاجأ وقتها بأن غيره قد سبقه، وتحل المسألة في وقتها، ولا أذكر برغم كثرة التعارض أننا وجدنا صعوبة في التوفيق، لكن الأخ سليمان كثيرا ما يخرج من إلحاح الإخوان.

ومن المواقف الطريفة عن تعارض المواعيد ما كتبه الشيخ محمد السعيد<sup>(١)</sup> قال: «أتيت إليه قبل عشر سنوات بعد صلاة العصر عند بابه، وإذا به قد ركب مع بعض الشباب ليذهب معهم، فسلمت ورفض أن أقبل رأسه لتواضعه. فقلت له: إلى أين أنت ذاهب يا شيخ؟ فقال: إلى القويعة مع هؤلاء الشباب، لحضور حفل حفلة القرآن الكريم، فقلت له: يا شيخ هل نسيت أن عندك اليوم محاضرة في ثادق بعد المغرب؟، فتبسم الشيخ، وأخرج محفظته الصغيرة الحمراء، ووجد نفسه قد دون الموعد ولكنه نسيه. فقال: أجل نذهب

(١) جريدة الجزيرة <http://search.al-jazirah.com.sa/2009jaz/jul/17/fe4.htm>

معك، واعتذر للشباب وركب معي. ونعم الرفيق الذي لا يُمل. فوصلنا نادق عند أذان المغرب، فسألته يا شيخ هل تعلم ما هو موضوع المحاضرة؟ قال: لا، فأعلمته، فقال: الله يعيننا، فصلينا المغرب، وبدأ الشيخ المحاضرة، وكأنه حضر لها قبل شهرًا، ثم صلينا العشاء، وأجاب عن أسئلة المصلين، ثم تناولنا العشاء، ثم كان بعده لقاء مع الشباب بوجههم، ويجيب عن أسئلتهم حتى نفدت، وكان رجوعنا للرياض الساعة ٢٠، ١ ليلاً، ولم يبد تضجره أو مله أو تعب مع كبر سنه *رحمة الله*».

وأكثر ما يحرص الأخ سليمان على ضبطه مواعيد كلمات رمضان، حيث يلقي *رحمة الله* كل يوم كلمة في مسجد من المساجد كثيرة الجماعة، وذلك في النصف الأول من الشهر، ومواعيد كلمات الحج، حيث تطلب منه حملات الحج أن يزورها في مقارها، ليلقي كلمة على الحجاج الذين معهم، ومواعيد الجولات الصيفية. لأن هذه المناسبات يكثر من يطالب فيها بموعد فيضيق الوقت، فيقدم الأسبق غالباً.

ومعظم المواعيد تتم بترتيب شخصي مع الإخوان المتبرعين بالدعوة، وهم الذين يتابعون الحصول على الإذن لها، وبعضها يأتي من المكاتب الرسمية للدعوة في المناطق أو في الوزارات والمؤسسات الحكومية. وبخاصة الحرس الوطني ووزارة الدفاع ووزارة الداخلية ووزارة الصحة.

وبسبب آراء الوالد *رحمة الله* في بعض المسائل، فقد يقف منه بعض من يتولى المسؤولية عن أمور الدعوة في بعض المناطق موقفاً، ويحاول تعطيل أو تأخير حضوره وحرمان الناس منه، لكن الأمر إذا وصل لكبار المسؤولين - وكثيراً ما يصل - يحسم من قبلهم بالموافقة المطلقة، وبخاصة أمراء المناطق ووزير الشؤون الإسلامية أو نوابه.



ومن ذلك أنه رتب له الأخ سليمان ثلاث محاضرات متتابعة في الرياض وتأخر فسحها فاتصل بمعالي وزير الشؤون الإسلامية وأخبره عن ذلك فوجه بعدم تأخير فسح أي محاضرة له رحمه الله فاتصل به الشيخ عبد الله الحامد وأخبره بأن ينسق مع مكتبه في ذلك مباشرة.

وقد تأخر الإذن له مرة في مدينة أبها بسبب بعض أصحاب الأهواء، وضاق المشايخ الذين يرتبون له كل عام بالأمر، فحاولنا الاتصال بوزير الأوقاف هاتفياً، فلم نفلح في الوصول له، فرفعنا له خطاباً عاجلاً، فسرعان ما جاء الجواب بالموافقة.

### المنهج الدعوي

«كل الأعمال التي قام بها الشيخ رحمه الله كانت من منطلق علمي معرفي، لم يكن الشيخ عاطفياً أو ارتجالياً أو صاحب غيرة مطلقة، وإنما كان الشيخ رحمه الله منذ صباه نشأ في مجالس العلم، وكان العلم بالنسبة له هو النور الهادي في الطريق، وهذا درس مهم جداً».

كانت هذه الكلمات شهادة من أحد طلاب العلم في قناة دليل، وهو الشيخ مسعود الغامدي.

هذا أساس المنهج، الدعوة المبنية على علم وعلى بصيرة.

أما منهجه التفصيلي فقد لخصه تلميذه الشيخ إبراهيم بن محمد الهلالي،<sup>(١)</sup> حيث يقول: «يطوف البلاد عرضاً وطولاً، برّاً لا جواً، يُدرّس في دورة علمية، ويُلقى محاضرة عامة، ويجيب دعوة داعية، ويزور جمعية برّ»

(١) <http://www.saaaid.net/Minute/288.htm>

أو تحفيظ، ويكتب لمكتب دعوة أو لجنة اجتماعية، ويزور عالماً في بلد مروره، ويسمع من أهل كل قرية عمّا لديهم عن قريتهم من ذكريات وتاريخ ومن سكنها من أهل فضل وعلم ودعوة، جدولّ مملوءٌ بكل نافع ومفيد، منذ أن ينطلق من بيته حتى يعود إليه، اسألوا ابن الشيخ الأستاذ سليمان كيف كان يحار في ترتيب جدول أبيه وزياراته، وهو يرى هذا كله أمام عينيه، وقد صدرت موافقة الشيخ بكل أريحية على كل ما فيه، فلم تتعود نفسه أن تُغضب حبيباً، ولم يتعود لسانه أن يردّ طالباً، وما بقي على سليمان إلا التوفيق بين كل ذلك مع جزمه أن ذلك كثيرٌ ومرهقٌ للشباب وأصحاب الفتوة، فكيف برجلٍ يعانق عقده الثامن، ولكنه في الوقت ذاته يعلم أن راحة الشيخ وفرحة قلبه، وسعادة نفسه أن يكون كذلك، فله درّه من حاملٍ لنفس وروح عشقت العلياء، فلم ترض بالدون، وأنست بالقمم، فلم تنظر للقيعان».

ويصف جانباً آخر الشيخ خضر بن سند قائلاً<sup>(١)</sup>: «يجلس بين الناس بكل حب وود ونقاء، يبين لهم أحكام الشريعة بوضوح ويسر، يراعي ظروفهم، ويتكلم بما يناسب عقولهم، ربما شرح كتاباً وأقام أياماً، وربما عقد دورة علمية مكثفة، يكتب لهم التزكيات والتوصيات، ويزور مشاريعهم الخيرية ويجلس مع أعضائها، ويلتقي بالقضاة وطلبة العلم والدعاة، تراه يسكن في منزل متواضع أو فندق عادي».

ومن المعالم الفريدة في رحلاته الدعوية رحمة الله حرصه على توزيع الكتب النافعة، حيث يحمل معه كراتين صغيرة فيها بعض كتبه وكتب أخرى عهد إليه بتوزيعها، يقول الدكتور محمد العريفي<sup>(٢)</sup>: «ذهبت معه مرة في محاضرة،

(١) ملتنى أهل الحديث <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=175729>

خضر بن صالح بن سند: عبد الله بن جبرين الأسطورة المشاهدة جدة ١١/٦/١٤٣٠

(٢) فتاة اقرأ.





فوجئت لما انتهت المحاضرة قال: يا محمد افتح شنطة السيارة الخلفية، ففتحتها فإذا كتب قال: وزع على الناس، لم يكتف بإلقاء المحاضرة بل إنه يذهب بكتب لتوزيعها على الناس».

كانت أسفاره غالباً ما تكون بالسيارة مع عائلته أو مع بعض تلاميذه، وقد كان يمر بقرى صغيرة في طريقه للمدن الكبرى، ويقف في كل منها لأجل موعد وعدهم إياه قبل عدة أشهر، فيعطيهم درساً أو يحضر عندهم مأدبة، ولا يقلل من أهمية هذا العمل.. ويتقطع عليه الطريق حتى يصل بعد عدة أيام من السير<sup>(١)</sup>..

الكلمة نفسها التي بدأنا بها هذا الموضوع، لأنها هي التي تصفه وصفاً دقيقاً.. إنه حقاً.. داعية لا يكل ولا يمل، فرحمه الله، وأخلفه على الأمة بخير.

### المفتي القدير

الفتاوى في حياة الوالد رحمه الله معلم من المعالم التي اشتهر بها، سواء من حيث كثرتها، حيث فاقت خمسين ألف فتوى، أو من حيث ثقة الناس بها وتقبلها، أو من حيث قيمتها العلمية، حيث تجمع بين التأصيل الشرعي والتطبيق الواقعي.

يقول تلميذه الشيخ محمد زياد بن عمر التكلة<sup>(٢)</sup>: «كان الشيخ من مراجع الفتيا للناس في حياة شيخه ابن باز، بل نُقل عن سماحة الشيخ ابن باز الاستشهاد بفتوى شيخنا ابن جبرين، وكذلك سمعت من شيخنا عبد الله العقيل، وأحال عليه في بيانه عن الجزء المكذوب على مصنف عبد الرزاق».

(١) انظر ما كتبه الأخت هيا عن والدي رحمه الله.

(٢) <http://alukah.net/articles/1/7038.aspx>

خواطر ومواقف في وفاة سماحة الشيخ ابن جبرين.

ويقول تلميذه عبد المحسن العسكر: «كان له عناية بالفتوى، لا سيما بعد أن ولي منصب الإفتاء، فكان يجيب السائلين ويكتب الفتاوى بيده، وكثير من فتاواه تفرقت في أيدي المستفتين، وحين عني أبناؤه البررة بتدوين علومه وضبط فتاواه، قيدوا له أكثر من سبعة عشر ألف فتوى، وهذا العدد لو قامت به لجنة لكان مفخرة لهم، فكيف والمفتي واحد؟! وما لم يقيد من فتاواه كثير أيضا، وقد تذاكرت يوما مع شيخنا عبد الرحمن البراك خبر شيخنا ابن جبرين في الفتاوى، فقال: الشيخ عبد الله حافظ وقلمه سيال».

ولقيت مرة الأستاذ المربي عثمان الصالح رحمته الله فلما عرفني قال: هذه الأيام بدأ والدك في الإجابة في الإذاعة في برنامج سؤال على الهاتف، فعجبت من علمه، هذا هو العلم الحقيقي، وهذه هي الفتوى.

ويقول الدكتور إبراهيم الدويش<sup>(١)</sup>: «مما يتميز به رحمته الله سعة الفقه في كثير من الأمور التي سبق بها أهل زمانه، فله فتاوى استقل بها وانفرد عن كثير من أهل العلم، وكنا أحيانا نستغرب أن الشيخ انفرد بهذه الفتاوى، فإذا بالزمان لما مضى يظهر فقه الشيخ من خلال فتاواه التي انفرد بها».

لقد سارت فتاواه في الآفاق وشرقت وغربت، يقول الشيخ خالد الأحمدى<sup>(٢)</sup>: «كنت قبل ثلاث سنوات في زيارة للهند، ومكثت بها مدة طويلة، ولقيت فيها عدداً من علمائها، وكانوا كثيري الرجوع إلى فتاوى الشيخ رحمته الله، بل إن بعضهم كان حريصاً على الاتصال بالشيخ والتحدث معه».

وقد قطعت بعض فتاواه الجدل في قضايا مهمة، كادت أن تعصف بالأمة، كما قال الدكتور عادل بانعمة في خطبة له بعد وفاته رحمته الله: «تختصم الآراء في قضية توسعة المسعى، ويذهب جمهور من أهل الفضل إلى منع

(١) قناة بداية

(٢) لجينيات <http://174.120.81.100/index.php?action=showMaqal&id=8937>



ذلك وتحريمه، فيكتب الشيخ في تأييد الجواز بحثه المفصل المدعم بشواهد التاريخ، فيكون فيه مقنع وبلاغ».

كما كان لبعض فتاواه الصدى الواسع والأثر البالغ في قضايا حساسة في حياة الأمة وفي قضايا أخرى، لها حضورها في حياة الناس، ومن ذلك فتواه المشهورة في تكفير الرافضة، وفتواه في الحزب الرافضي الذي يسمى «حزب الله» في صراعه مع اليهود، وفتوى طالبان المشهورة، وفتواه في صرف الزكاة للأشراف، وغيرها مما سيمر معنا بعضه في هذا البحث.

سنتحدث أولاً كالمتعاد عن بدايته رحمته الله في الفتوى، ثم منهجه فيها وما يميز فتاواه رحمته الله، ثم عن بعض الفتاوى المشهورة وملاساتها، ثم نورد بعض الفتاوى التي انفرد بها رحمته الله.

## البداية

لانعرف تحديدا متى بدأ رحمته الله في الفتوى، لكنه كان يفتي من مدة طويلة، كما ذكرنا حينما تحدثنا عن نبوغه المبكر، ونقلنا هناك عن الشيخ عبد الوهاب الزيد قوله<sup>(١)</sup>: «حدثني الشيخ العلامة القاضي عبد الرحمن ابن سحمان أن الشيخ ابن جبرين والشيخ ابن فوزان كانا يفتيان أيام الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله تعالى»، وقد توفي الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر رمضان من عام ١٢٨٩.

وفي التسعينيات الهجرية كان الوالد رحمته الله يشارك في التوعية الإسلامية في الحج، ولعل ذلك من عام ١٢٩٥هـ حتى عام ١٤٠٢هـ، ومن أهم ما يقوم به المشاركون الإجابة عن أسئلة الحجاج، وكان يوضع له كرسي في الحرم يجلس فيه

(١) <http://www.hdeeth.com/vb>

بعد كل صلاة، فيلقي موعظة يسيرة تتعلق غالباً بما يهم الحجاج، ثم يلتف حوله الناس، ويسألونه عما أشكل عليهم من أمور الحج وغيره.

وقد شاركت في عام ١٤٠٤هـ في التوعية في الحج، وكان القائمون على التوزيع يظنون أنني الوالد رحمته الله، فوضعوني مكانه مع كبار المشايخ، مع أنني كنت حديث التخرج من الجامعة، فكان من بركاته عليّ أن درست في الحرم.

وقد كان الكثير من الأقارب والجيران والمعارف من زمن قديم، يعرضون عليه أسئلتهم، ويطلبون منه كثيراً قسمة التركات، ويستشيرونه في كثير من الأمور.

وكل ما مضى لم يكن بداية فعلية في مهمة الإفتاء، وإنما البداية الفعلية حينما انتقل لرئاسة الإفتاء في عام ١٤٠٢هـ. وكانت تسمى إذا ذاك الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ورئيسها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمته الله.

ولانتقاله لإدارة الإفتاء قصة يرويها رحمته الله، فيقول<sup>(١)</sup>: «كان المفتون في إدارة الإفتاء في الصيف ينتقلون إلى الطائف، ويبقى المكان بحاجة إلى من يتولى هذا العمل، الفتاوى الشفهية والفتاوى الهاتفية، ثم إن الشيخ عبدالله ابن غديان رحمته الله اشترك معي وأنا في الجامعة في مناقشة بعض الرسائل الجامعية، وعرف عني شيئاً من المقدرة، فاقترح على الشيخ ابن باز أن يطلب نقلي إلى الإفتاء.

وقد طلب مني الشيخ ابن باز رحمته الله في سنة ١٤٠٠هـ وفي السنة التي بعدها أن أعمل في الإجازة الصيفية في إدارة الإفتاء، فكنت أجلس في المكتب وأستقبل الفتاوى الشفهية والفتاوى الهاتفية.

(١) صفحات من حياتي الحلقة الخامسة.



بعد ذلك لما رأى أن المكتب بحاجة مستمرة إلى عضو يقوم بالإفتاء طلب من مدير الجامعة في ذلك الوقت الدكتور عبدالله التركي أن أنتقل إليهم، ولم يزل يلح ويطلب إلى أن حصلت الموافقة، قبلت ذلك وإن كنت أفضل الإقامة في الجامعة».

يحكي العم محمد حفظه الله أن الشيخ ابن باز لما طلب من الجامعة نقله لديه على وظيفة باحث بالمرتبة الثالثة عشرة اجتمع مجلس الجامعة للنظر في نقله، ورفضوا جميعاً، وكتب مدير الجامعة للشيخ ابن باز: أن هذا يدرس الأجيال في أهم العلوم وهو العقيدة، ولو كان لديك لوجب أن تمدنا به، ولم يقنع ابن باز بذلك وكتب للمقام السامي بطلب نقله عضو إفتاء على المرتبة الرابعة عشرة، فنقل رحمه الله للإفتاء على وظيفة باحث وعين عضو إفتاء، وتصدى لفتاوى الناس من داخل المملكة ومن خارجها.

يقول رحمه الله<sup>(١)</sup>: «لما انتقلت رسمياً في سنة ثنتين وأربعمئة التزمت بأن أقوم بالفتاوى الشفهية، حيث يتوافد كثير من الذين عندهم أسئلة شفهية، وقد يكون أيضاً بعضهم يحتاج إلى تحرير هذه المسألة أو الجواب عليها رسمياً، فأكتب جواباً، ولا أحتفظ له بصورة، وأكثر ما أحتاج إليه المسائل الفرضية، التي تحتاج إلى حساب، وتحتاج إلى قسمة تركة، ونحو ذلك، كذلك أيضاً قمت بالفتاوى الهاتفية، وهي التي أيضاً تشغل وقتاً، وكان السنترال يحيل إليّ أكثر الفتاوى الهاتفية، التي تأتي من اتصالات قريبة أو بعيدة، فتوليت الفتاوى شفهية أو هاتفية وأحياناً تحريرية.

وبعد مدة أصبحت أحتفظ بصورة من الفتاوى التحريرية، وقد جمع منها عدد، وتولى طبعه وتصحيحه أحد الموظفين عندي، وهو الأخ عبدالله

(١) صفحات من حياتي الحلقة الخامسة.

الحوطي، والذي تولى العناية بها أحد الطلاب اسمه عبد الله بن عجلان من أهل رغبة، وقد طبع منها مجلداً.

وبقيت أتولى هذا العمل الذي هو الفتاوى، ويعظم العمل في الإجازة عندما يذهب المشايخ كلهم وأبقى وحدي، وبقيت هكذا حتى حصل التقاعد في سنة ثنتي عشرة، فطلب الشيخ رحمته الله تمديد خمس سنوات إلى سنة سبع عشرة، ثم تعاقدوا معي أيضاً سنة أخرى، فلم أترك العمل إلا في سنة ثمان عشرة وأربعمائة وألف.

وفي الجملة فقد كان رحمته الله في مدة وجوده في رئاسة الإفتاء يقوم بمهمات عديدة، فقد تولى كما ذكر الفتاوى الشفهية والهاضية والكتابة على بعض الفتاوى السريعة وقسمة المسائل الفرضية.

كما كان رحمته الله يقوم ببحث ما يحتاج إلى بحث من فتاوى اللجنة الدائمة، التي يحيلها عليه الشيخ ابن باز رحمته الله، وكذلك قراءة البحوث المقدمة لمجلة البحوث الإسلامية التي تصدرها الرئاسة وتحكيمها<sup>(١)</sup>، وهي مجلة محكمة كان الوالد رحمته الله أحد أعضاء لجنة التحكيم فيها، لمعرفة ما يصلح للنشر وما لا يصلح. وكان الشيخ ابن باز رحمته الله يحيل له دراسة بعض المسائل والكتابة فيها نيابة عنه.

يقول رحمته الله<sup>(٢)</sup>: «تعرفون أنني لا أزال أشرف على الرسائل التي تطبع في مجلة البحوث؛ حيث إنني أشترك مع بعض زملائنا الذين هم: أحمد الدويش، ومحمد الشويعر، ورئيس المجلس الذي هو عبد العزيز بن عبد المنعم، وهؤلاء

(١) سيرة الشيخ من موقعه على الشبكة.

(٢) قصتي في طلب العلم بجامع الصانع.





توزع عليهم شهرياً أو كل شهرين بحوث يتقدم بها أصحابها إلى المجلة، ويأمروننا بأن نقرأها ونكتب الملاحظات، هل هي صالحة للنشر أم ليست صالحة؟.

وامتدت عضويته في لجنة الإشراف على مجلة البحوث الإسلامية منذ عام (١٤٠٣هـ)، حتى وفاته رحمة واسعة.

ومن خلال ممارسة الإفتاء في إدارة الإفتاء عرف رحمة الله مفتياً قديراً، فكان يفتي كثيراً في خارج إطار الإدارة، فيفتي في المحاضرات وفي الندوات وغيرها من مجامع الناس، وكنا قد رتبنا له مكتبا في البيت في عام ١٤١٧هـ، وخصصنا هاتفا مستقلا للفتاوى، وهو ٤٢٥٣٠٥٠ وانتشر هذا الرقم ونشر كثيرا، فكان يجلس لاستقبال الناس والرد على فتاواهم شفويا ومن خلال الهاتف وكذلك كتابيا.

وجمعت كثير من فتاواه في المكتب، ورتبت حتى وصلت قريبا من ثلاث عشرة ألف فتوى، وبعد افتتاح الموقع الإلكتروني الخاص به رحمة الله أدخلت هذه الفتاوى فيه، وفتح المجال للفتوى عن طريق الإنترنت، فكانت تأتي الكثير من الأسئلة من جميع البلدان.

كذلك كانت تأتي رسائل كثيرة بالبريد العادي، وأذكر أنه خلال سنتين تقريبا في عامي ١٤٢٠ و ١٤٢١هـ كثرت الرسائل التي تأتينا من الجزائر، ربما تجاوز مائة رسالة في الأسبوع، ثم انقطعت أو قطعت تماما.

وكان لفتاواه الحضور في كثير من وسائل الإعلام، فقد كانت له فتاوى يومية وأسبوعية وشهرية، يعرضها عليه بعض طلبته ومحبيه، ثم ينشرونها في صفحة خاصة بفتاواه، وقد نشر له في جريدة المسلمون وجريدة اليوم ومجلة الدعوة ومجلة الحرس الوطني وغيرها.



ثم كان له مشاركة في برنامج سؤال على الهاتف لمدة ثلاث سنوات، وله مشاركة في برنامج الجواب الكافي في قناة المجد، وغير ذلك من المشاركات. وكثيراً ما كان يطلب منه لقاء مفتوح يكون متمحّضاً للفتاوى سواء في المساجد أو في الدوائر الرسمية.

ولقد استمر رحمه الله في العطاء في مجال الفتوى حتى توفى رحمه الله، وكان لفتواه القبول والتأثير بسبب ما تميز وتميزت به من خصائص، وسنخصص للكلام عن خصائصها عنواناً مستقلاً.

#### منهجه وطريقته في الفتوى وما تتميز به فتاواه

كان الشيخ الوالد رحمه الله كأمثاله من إخوانه العلماء العاملين قديماً وحديثاً، حريصاً على أن تكون فتواه موافقة للدليل، قريبة من الصواب، بعيدة عن الشبهات، مراعية لحالة الواقعة، مشتملة على ما يهم السائل وما يفيد.

وفي هذا العنصر سأحاول استجلاء المنهج الذي يسير عليه رحمه الله في فتاويه، ومعرفة الطريقة التي يسلكها للجواب عن الفتاوى على اختلاف أصنافها وتعدد موضوعاتها، وقبل ذلك سأعرض بعض ما يتصف به رحمه الله في هذا الباب، منقولاً من كلام من تعامل معه في مجال الفتوى.

لخص تلميذه عبد الواحد المزروع الصفات التي يتميز بها الوالد رحمه الله في مجال الفتوى، وأجملها بقوله<sup>(١)</sup>: «كنت حريصاً على سؤاله لعدة نواح الأولى حباً له، والثانية ثقة بعلمه، والثالثة تطفه بطلا به وبمن جاء يسأله، ورابعاً حلمه وصبره، وخامساً لأنه يتأنى ويناقش الأمر من جوانب شتى، وسادساً لأن بابه مفتوح في عمله أو مسجده أو بيته، وسابعاً لأنه يجيبك ويوجهك، وثامناً لأنه يحيلك إلى المرجع من أمهات الكتب وأقوال المتقدمين، فتستفيد حكماً

(١) <http://www.lojainiat.com/index.cfm?do=cms.conPrint&contentid=7831>



وعلمًا، وتأسعًا لأنه يذكرك بالمتقدمين من العلماء الراسخين، وعاشرًا لما تراه من النور والبهاء على محياه، وحادي عشر لأنه لا يمل جلوسه ولا يشعرك بما لديه من ضغط أو عمل، إلى غير ذلك من الصفات والشمائل، التي مكن الله تعالى لشيخه ابن جبرين وحباه بها».

ويقول الشيخ خضر بن سند<sup>(١)</sup>: «ابن جبرين يجمع بين المعرفة بالنصوص الشرعية، ومعرفة المذاهب الفقهية، وبين الربط والتحليل واختيار القول الصحيح، حتى لو خالف ما عليه الناس، ففتواه يأنس بها طلبة العلم لما فيها من القوة العلمية، ففيها الجمع بين أقوال الفقهاء القدامى، مع دقة الفقه والفهم للمسائل المحدثة المعاصرة، التي يكثر فيها الخلاف والنزاع.

فتاواه سبق بها علماء عصره، ولذلك رغم تدريسه لمذهب الحنابلة فهو متوسع في الاطلاع على الحديث والأدلة، بل هو أميل لمذهب المحدثين، فكانت فتاواه تحمل المعاصرة مع هيبة الدليل، فلم يكن ليرضي العامة بفتاواه أو يساير الواقع ويبرر للناس فعلهم، ولكنه يبحث عن الدليل، ويجمع أقوال الفقهاء، فيكون قوله أشبه ما يكون فيصلاً قويًا عند النزاع، فيحترم طالب العالم رأيه، لأنه مبني على دليل وليس هوى أو مجارة.

عرفه الناس قبل مدة طويلة بأنه صاحب الفتاوى الجريئة، التي ربما تخالف بعض آراء مشايخه أو المذهب الحنبلي، ولكنه لم يكن ليفتي بالرأي أو إرضاء للجمهور أو العامة، بل كان الحق مذهبه، والدليل قائده وهاديه».

ويقول الشيخ سعد بن مطر العتيبي<sup>(٢)</sup>: «وقد أفدت - كغيري من طلبة العلم - من فتاويه الفريدة في تحقيق مسائل خالف فيها بعض الآراء، التي

(١) <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=175729>

(٢) موقع الأنوكة [http://www.alukah.net/articles/67\\_7065.aspx](http://www.alukah.net/articles/67_7065.aspx)

كانت سائدة، مما كنت أميل إلى قول الشيخ فيها نتيجة بحوث ومدارس، كفتواه رحمته الله في جواز الرسوم الهادفة في مجلات الأطفال، وفي أفلام الكرتون النافعة، وفي المسعى حيث فتواه المدعمة بشهادته، وهو من هوي في العناية بالتاريخ..

لا تكاد تجد لجنة شرعية في مؤسسة دعوية أهلية إلا وله فيها عضوية فاعلة، وفتاوى فريدة، بعضها ينص فيها الشيخ على أنها فتوى خاصة بإقليم كذا أو بأهل البلد الفلاني لا يجوز إعمالها في غيره!! أي إنها من فتاوى السياسة الشرعية المؤقتة».

كان رحمته الله معاشياً للواقع، متابعاً للتطورات الحديثة، مسائراً لها، مع أصالة وتميز وثبات وبصيرة، يقول الدكتور سلمان العودة<sup>(١)</sup>: «يتميز رحمته الله بالتكيف مع الجديد ومع المتغيرات، فالشيخ لما جاء الإعلام والصحافة والإنترنت والقنوات الفضائية وغيرها من الوسائل الحديثة شارك فيها، بل حتى مواقف الشيخ من القضايا فيها تميز، لما حدث الخلاف في المسعى كتب الشيخ، وقال: أنا شاهدته بعيني، وكان يكتب عن رؤيا بصيرة في عدد من القضايا، فلا تحس أن الشيخ أسيراً للمألوف أو لمرحلة معينة».

وقد يظن بعض الناس أنه رحمته الله بعيد عن بعض القضايا المعاصرة، يروي بعض الإخوة، فيقول<sup>(٢)</sup>: «كنت في درس له أستمع لبعض الأسئلة التي تطرح على الشيخ، سواء من الحضور أو من الشبكة الإنترنت، وكان من ضمن الأسئلة شخص يسأل عن حكم المحادثات في البالتوك (البرايفت) بين

(١) قناة دليل.

(٢) <http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>



الرجال والنساء!! فقلت في نفسي ما أجهل هذا السائل، وكيف سيعرف الشيخ البرايقت».

وقد أجاب رحمته الله عن السؤال جواباً شافياً، لأنه استضيف مرارا في البالتوك ورأى أثره، وعرف أخطاره.

ويقول الدكتور عبدالعزيز الفوزان مشيراً لتمييز الوالد رحمته الله<sup>(١)</sup>: «تجده واسع الأفق بعيد النظر، ينظر للمصالح وما تؤول إليه الأمور، هذا هو الفقه الحقيقي».

ويقول الدكتور عبد الوهاب الطرييري<sup>(٢)</sup>: «الشيء الذي أحفظه في فتاواه أنه يتفهم حال السائل، وتأتي فتياه على مقاس السائل والسؤال، وهو يميل إلى اليسر ما وسعه ذلك، تقفياً لقول الرسول ﷺ: «يسروا ولا تعسروا»<sup>(٣)</sup>، وإنما بعثتم ميسرين»<sup>(٤)</sup>، لذلك كان من أوائل من أفتى بجواز الرمي قبل الزوال، وأذكر أنه رحمته الله كان يحدثنا ويقول: الناس يجتمعون عند الجمرة الصغرى في اجتماع حاشد، يكاد يكون مقتلة، ينتظرون أن تزول الشمس، فلما رأيت ذلك أفتيت بهذه الفتيا.

وكان رحمته الله بسبب طول ممارسته للفتيا موهوباً في حسن انتزاع الجواب، فتأتي المسألة تخيل إليك أنها شائكة، فإذا استمع إليها الشيخ وعنده من الدربة والمران ما يسهل معه انتزاع محل الإشكال، فإذا سمعت جواب الشيخ قلت: سبحان الله، الجواب بهذا اليسر، وأنا ما فطنت له».

(١) فتاة دليل.

(٢) فتاة المجد.

(٣) رواه البخاري في باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا من كتاب العلم برقم ٦٩. ومسلم في باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير من كتاب الجهاد برقم ١٧٢٤.

(٤) رواه البخاري في باب صب الماء على البول في المسجد من كتاب الوضوء برقم ٢٢٠.

ومع هذا فكان يصغر نفسه ويتهما، ويرى قصوره وتقصيره. سألته مجلة البيان في مقابلة معه سؤالاً حول فتاواه نصه<sup>(١)</sup>: «تلقى فتاواكم بحمد الله ارتياحاً عاماً، يعزى فيما نحسب بعد توفيق الله تعالى لحسن فهمكم روح الشريعة، ومراعاة مقاصدها، واعتبار المصالح والمفاسد، هل من توجيه لطلبة العلم في هذا الصدد؟».

فأجاب رحمته الله: «أعترف على نفسي بالقصور والنقص، وكثرة الخطأ، وأسأل الله العفو والغفران، وستر العيوب، والنقائص، حيث إنني أكتب أجوبة الأسئلة التي ترفع إلي دون مراجعة، أو بحث في أقوال العلماء غالباً، نظراً إلى كثرة الأعمال، وعجلة السائل، والارتباط بالمواعيد والدروس، وأعتمد فيما أكتب على معلومات قديمة علقت بالذهن وقت الطلب والتلقي عن المشايخ، أو تجددت وقت التدريس الرسمي الذي كنت أستعد له وأراجع وأحضر قبل الإلقاء، أو حصلت من الممارسة وتكرر المرور، ومن المطالعات والدروس الجديدة التي أقوم بإلقائها في المساجد، فأما القابلية لها عند العامة أو التلاميذ فعمل ذلك لحسن الظن، ولما يتلقونه من الدروس التي يتقبلونها، واثقين بصحتها، ومع ذلك فإنني أقول: ما كان فيها من صواب فمن الله تعالى، وهو الذي وفق له وهدي، وما كان من خطأ أو زلل فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله مما وقع مني، وأقول على طلاب العلم أن لا يعتمدوا على فتوى تخالف الدليل أو الحق والصواب، فإن على الحق نوراً، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، فلا بد من مراجعة الكتب والمؤلفات وتطبيق الفتاوى الاجتهادية لي ولغيري، على كلام العلماء، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً، والله أعلم».

وكان رحمته الله إذا رأى من السائل ما يدل على ريبة أو وقية تصرف معه تصرفاً حكيماً، ومن ذلك القصة المشهورة التي ذكرها الدكتور سلمان العودة

(١) مجلة البيان، العدد ١٢٢ شعبان ١٤١٩هـ.



أنه قدم له سؤال عن الدكتور سلمان، ذكر فيه السائل بعض ما يعدونه من المثالب عليه، فكتب الوالد رحمة الله تحال إلى الشيخ سلمان العودة، ونشر ذلك الدكتور سلمان، ورد عليها في موقعه على الشبكة.

وذكر الشيخ نور الدين درواش في خطبة له بعد وفاه الشيخ رحمة الله أن الشيخ علي الحلبي رحمة الله حدثه عن حزم الشيخ فيما يحتاج إلى حزم، فقال: «زرت يوماً الرئاسة العامة للإفتاء فزرت الشيخ ابن جبرين رحمة الله في مكتبه، فاتصلت به امرأة مستفتية، قالت: إن زوجها طلقها وهو سكران فهل يقع طلاقه. فأجابها الشيخ ابن جبرين عليه رحمة الله بلسان حازم: ليأتينا أولاً لإقامة حد الخمر، ثم نفتيه في موضوع الطلاق».

وكان رحمة الله رجاعاً إلى الحق، يقبله ممن جاء به، رفع إليه أحد الإخوة سؤالاً فيه<sup>(١)</sup>: «سمعت شريطاً أجبت فيه على بعض الأسئلة، ومن ذلك قلت رحمك الله: (إن دعاء وجهه الله جائز، لأنه صفة ذاتية)، وقد جاء في رد شيخ الإسلام ابن تيمية أن دعاء الصفة كفر باتفاق المسلمين، أرجو إفادتي بالدليل والأرجح».

فرد عليه بقوله: «نشكرك على هذه الملاحظة، ونعتذر عمماً وقعنا فيه من الخطأ، ونستغفر الله تعالى، وحيث إن صفة الوجه ذاتية، وأن الوجه يطلق على الذات<sup>(٢)</sup>، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. وقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]. وحديث: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة»<sup>(٣)</sup>

(١) الفتوى رقم (٧٧٢).

(٢) يريد رحمة الله: أن الوجه يطلق ويراد به الذات، لأن الوجه عين الذات، فبقاء وجهه سبحانه هو بقاء ذاته، انظر: فتاوى ابن تيمية ٤٣٤/٢.

(٣) أخرجه أبو داود في باب كراهية المسألة بوجه الله من كتاب الزكاة برقم ١٦٧٣.

فإن للوجه خصوصية ليست كصفة الكلام والعلم والقدرة والعزة، فإنها لا تطلق على الذات. والله أعلم، قاله وأمله عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين ١٨/١٢/١٤١٨هـ».

ولا يضيره أيضاً أن يكتب بتوقفه وعدم معرفته بالجواب فيما لم يجزم فيه بشيء، وقد رأيت مرارا يحيل بعض السائلين على الشيخ ابن باز رحمة الله وعلى اللجنة الدائمة.

وكتب له قاضي رأس الخيمة عن قضية طلاق وقعت عنده، وكان الزوج في حالة غضب، فكتب له بعد الديباجة قائلاً<sup>(١)</sup>: «أفيدكم بأني أتوقف في هذه المسألة، ولا أجزم فيها بوقوع الطلاق ولا عدم وقوعه؛ نظراً إلى قوة الخلاف في هذه المسألة، فهناك خلاف فيما إذا طلق وحده، ولم تكن الزوجة عنده، ولم يُشهد على الطلاق، وخلاف قوي في طلاق الحائض هل يقع أم لا يقع، والمشهور وقوعه سواء علم بالحيض أو لم يعلم، وخلاف في طلاق الغضبان والجمهور على أنه يقع ما لم يفم عليه من شدة الغضب، وخلاف في طلاق التكرار، إذا قال: هي طالق طالق، هل تُحسب واحدة أم اثنتين، وإذا كان كذلك فنرى لكم أن تجتهدوا حسبما فتح الله عليكم، وتظنروا ما يترجح في هذه المسألة وتُخبروه بالجواب. والله أعلم».

وكان رحمة الله شجاعاً في فتاواه، ومن مظاهر الشجاعة أنه لا يخفي شيئاً من الفتاوى التي قد يكون لها حساسية، حتى لا يكون ذلك سبباً في فهمها على غير وجهها، يقول أحد الإخوة الذين كتبوا في الإنترنت عن مرافقته في زيارته لمدينة حائل<sup>(٢)</sup>: «ثم أوصلت له رسالة خاصة واقتربت منه، وقلت: يا شيخ امرأة كبيرة في السن تعرضت لابتناء ومصيبة، تريد جلسة خاصة معك،

(١) الفتوى رقم (٢٠٢٢).

(٢) <http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>





لتشرح وتستفسر منك عن شبهات مرت عليها وعلى موت ابنها، ولا تثق بأحد غيرك، فقال الشيخ: بالتلفون، فذكرت للشيخ أن التلفون يتعذر لأسباب، فقال: بل التلفون أفضل، وكما سنذكر بعد، فإنه لا يتخرج من الجواب عن أي سؤال مهما كانت حساسيته، فيجيب جواب العالم البصير الحريص على نفع الناس ورفع الإشكال، وكأنه يقول: لمن نترك الناس، وقد كنا نحاذر في المحاضرات العامة أن نعرض عليه الأسئلة المثيرة سياسيا أو اجتماعيا أو فكريا أو منهجيا، وسيأتي لهذه النقطة مزيد تفصيل.

وأما طريقته رحمة الله في الفتاوى، فإن الفتاوى لا تخلو: إما أن تكون شفوية كالتفوى المباشرة في البيت أو المكتب أو المسجد أو نحوها، وكذلك الفتاوى التي تلقى عليه في المحاضرات والإذاعة والقنوات الفضائية.

وهذه الفتاوى يجيب عليها مباشرة، ويلتمس وجه الحق في ذلك، بعد أن يعي ما قاله السائل، ويستفسر منه إن احتاج الحال لشيء من ذلك، وهو رحمة الله لا يتبرم من سؤال سائل أو إطلالته أو تكراره، وبخاصة إذا علم أن ذلك عن حسن نية وحب فائدة. إما إذا رأى تنطعا أو تشبعا، فإنه يعامله بما يناسب حاله، وقد يقطع عليه السائل قراءته أو راحته أو ذكره، فلا يكفهر ولا يتسخط، بل ربما تبسم في وجهه، وأجاب عن سؤاله.

ولم أر صبورا كصبره على الهاتف، فقد كان عنده لما كان في الإفتاء هاتفان أو ثلاثة، وكان يرد عليها جميعا، بحيث لا يجد وقتا للراحة مدة جلوسه في المكتب، حيث كان يعينه السائق أو الخادم أو أحد الموظفين، وربما تطوع بعض الحاضرين لإمساك الهاتف، وأمر المتصل بالانتظار حتى يفرغ رحمة الله من الهاتف الآخر.

يذكر الشيخ أحمد بن عبدالرحمن الكوس من الكويت أنه في أيام

الدراسة في الجامعة بالرياض في حدود عام ١٤٠٥ هـ كان يزوره في مكتبه في إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، فكان مكتبه مفتوحاً يقول<sup>(١)</sup>: «فكنا ندخل ونسلم عليه ونجلس معه، ونطرح عليه العديد من الأسئلة، فيجيبنا عليها بصدر رحب.

وأذكر في إحدى المرات كان على الهاتف أحد القضاة، ومكث مدة طويلة، وهو يستفتيه ويسأله في إحدى القضايا».

فقد كان بعض السائلين في الهاتف يطيل، فربما جلس نصف ساعة أو أكثر والوالد رحمة الله يجيب عن أسئلته بكل هدوء وصبر ورفق وعلم، لاتفرق بين جوابه الأخير وجوابه الأول.

ومن العجائب التي يعرفها من خالطه صبره على الموسوسين ورفقه بهم وأنسهم به واستفادتهم منهم، وأعرف الكثيرين منهم والكثيرات الذين بكوا عليه لما توفى، وكأنما فقدوا آباءهم أو أشد، وكان واحد منهم يأتي بالطائرة من مكان بعيد ليشفي غليله ويروي ظمأه، مع أنه يتصل بالهاتف كثيرا، وقد تعودنا على إحداهن تتصل في كل أسبوع مرة تقريبا، ويمكث معها الوالد أكثر من نصف الساعة وهو يقنعها بأن هذه وسوسة، وآخر مثلها يطيل مع الشيخ الوالد كثيرا دون أن يتبرم منه، فرحمه الله وغفر له، وأخلفه عليهم وعلى غيرهم بخير.

وأما الفتاوى التي في المحاضرات ونحوها، فإنه لا يتبرم من كثرتها، وما عرفت عنه، بل لم أسمع أنه قال لقارئ الأسئلة: قف أو يكفي، وكنا نرسل للقارئ خفية أو نشير إليه إذا أحسننا بالإطالة أو لاحظنا أن الوالد متعب، أو كان لديه موعد، فإذا علم عن صنيعنا لم يستحسنه وربما عاتبنا، أما إذا كان هو الذي يقرأ الأسئلة فلا يتوقف حتى يأتي على آخرها.

(١) <http://www.alwatan.com.kw/Default.as...&AuthorID=1041>



وللوالد رحمة الله إذا أمسك الأسئلة ليقرأها منهجان لا يتركهما أبداً، يقرأ الأسئلة حتى تنتهي، ويقرأ الأسئلة مهما كانت حتى ولو كانت من أشد الأسئلة صراحة، يقرأ كل شيء ويجب بوضوح.

وكان لا يترك سؤالاً بلا جواب مهما كان موضوعه، ولذلك كنا نتحرى في فرز الأسئلة، ونوصي من يفرزها، ويخرج القائمون على المحاضرة مثلاً أو مسؤولي مكاتب الدعوة إذا عرض عليه سؤال، مما لا ينبغي عرضه أمام الملاء. ولطالما تسرب سؤال يتعلق بالسياسة أو الحكام أو القضايا الاجتماعية الحساسة أو القضايا الفكرية، فيكشف الوالد رحمة الله فيه الأمر، وينطق فيه بالحق والعدل، الذي لا يطيقه كل أحد.

وإذا كنت معه أقرأ الأسئلة له، أحياناً يأمرني رحمة الله فيقول: اقرأ كل شيء، فإذا أمرني لا بد أن أقرأ كل شيء، حتى إنني مرة ألقيت سؤالاً عن ابن لادن، وهو مقطع متداول الآن في الإنترنت، وإن كان فهم على غير وجهه، كان السؤال ونحن في الحج.

فهم الناس أنه يثني على ابن لادن، لأنه قال: إنه مجتهد، ولم يعرفوا كلام أهل العلم في معنى ذلك، ولو أرادوا الحق لنظروا الفتاواه الأخرى، وكلامه الآخر المكتوب عن ابن لادن، فهو يرى أن ابن لادن يكفر الناس ومنهجه خطأ، فمعنى مجتهد أنه مخطئ في اجتهاده، لأنه لا يلزم أن يكون المجتهد مصيباً، وبعض الناس فهموا أنه مصيب، وما كل مجتهد مصيب، فإن ابن لادن أرسل للوالد شريطاً صريحا بصوته ومعه خطاب، نصيحة عامة للعلماء موجهة لعلماء السعودية، شريط صوتي صريح فيه التفسير للدولة وللحكومة وللعلماء، وذلك قبل عشر سنوات من وفاة الوالد رحمة الله تعالى.



وهذا المسلك أعني الصراحة والوضوح أثار ضده - في مرات عديدة - الأوساط السياسية أو الأحزاب والجماعات الإسلامية أو التوجهات الفكرية أو المجتمعات والتجمعات الإقليمية والقبلية ونحوها. ولقد ابتلي بسبب ذلك كثيرا، وأوذي في عرضه ونفسه، فصبر واحتسب، وسنذكر هذا في موضعه من هذه السيرة إن شاء الله تعالى.

وأما الكتابة فيقول الوالد رحمة الله عن منهجه فيها<sup>(١)</sup>: «الفالب الاقتصار على القدر المطلوب في السؤال دون استقصاء وتوسع في الجواب، وكذا الإملاء إذا كان الجواب ارتجاليا، كما وقع في الأسئلة التي طبعت بعنوان (حوار رمضاني) الذي طبعته مؤسسة أسام للنشر عام ١٤١٢هـ في ٢٨ صفحة بقطع صغير، وكذا في أسئلة متعلقة برمضان وقيامه والقراءة في القيام ودعاء الختم ونحوه، حيث ألقى بعض الشباب ٢٦ سؤالا وقد كتبت عليها جوابا متوسطا، ثم قام السائل وهو سعد بن عبد الله السعدان بتحقيقها وتخريج أحاديثها وطبعت بعنوان (الإجابات البهية في المسائل الرمضانية) نشر دار العاصمة مطابع الجمعة الإلكترونية عام ١٤١٣هـ ١٠٢ صفحة». أ.هـ.

وكان رحمة الله لا يستعين بأحد فيما يعرض عليه من فتاوى، فإما أن تكون الفتوى حاضرة في ذهنه، أو يقوم بالبحث عنها في مظانها إن كان يعرف مظانها، وكثيرا ما رأيته يقوم وهو يملي إحدى الفتاوى على الكاتب، فيذهب لمكتبته ويستل أحد الكتب ليراجع فيه شيئا، ثم يعود ليكمل إملاء الفتوى، وأذكر مرة واحدة فقط أنه ورده سؤال عن فاطمة بنت أسد بن هاشم الهاشمية، والدة علي بن أبي طالب رضي الله عنها، وهم بالقيام للبحث عنها في الكتب المتخصصة، وكنت إذ ذاك بقربه فاقترحت أن أبحث له عنها في المكتبة الشاملة لأنها أيسر، فوافق، وأخرجت ما يتعلق بها، وعرضته عليه رحمة الله.

(١) سيرة الشيخ من موقعه على الشبكة.



ومما يشهد لهذا يقول الأخ منصور البراك<sup>(١)</sup>: «من المواقف المباشرة عندما كنت محرراً صحفياً في جريدة اليوم في العام ١٤١٦ هـ كنت أطرح بعض الموضوعات التي أرى أن القارئ يحتاج إليها وأعد حولها مجموعة من الأسئلة، وأحملها إلى مكتب الشيخ الذي يقوم بالإجابة عنها، والعبرة في ذلك أنه رحمته الله كان يفضل أن يقوم بتفصيل الإجابة كتابة بيده. وبخط واضح برغم إمكانية أن أسجل إجاباته، أو إنابة من يكتب عنه، ولكن حرصاً منه رحمته الله على نفع المسلمين ومازلت أحتفظ بنماذج منها حتى الآن».

وبعد تنظيم مكتبه في المنزل في عام ١٤١٧ هـ تم ترتيب دورة إدارية للفتاوى، تضمن الإتقان والدقة والسرعة، فكانت الرسائل المكتوبة تأتي بالبريد العادي أو الإلكتروني أو تسلم مئولة أو تصل بالفاكس فيتم فرزها بحيث تفصل الطلبات عن الاستفتاءات، ثم يبحث عن الأسئلة التي لأجوبتها شبه فيرسل للسائل ما يشبهها، وبقية الأسئلة تجهز للشيخ الوالد رحمته الله ليحجب عنها، وإذا كان منها ما لا يصلح الجواب عنه إما لحساسيته أو لقصد سيء من مرسله أو لغير ذلك، فهذه تعرض عليه رحمته الله للاطلاع، وأما ما يستحق الجواب فيجلس رحمته الله يوماً غالباً من بعد الظهر إلى قرب العصر، ليملي على كاتب الفتاوى الأستاذ أحمد حسين الأجوبة.

بعد أن تتم الإجابة تراجع الفتاوى للتأكد من سلامتها من الأخطاء الطباعية، ثم ترسل لأصحابها، وقد رئي أن يكتب عليها فتوى خاصة غير قابلة للنشر، حيث لوحظ أن بعض المستفتين يتقدم بها للقضاء كمستند له في قضيته. وما يرغب في نشره مما يصلح للنشر لفائدته العامة لا تكتب عليه هذه العبارة.

(١) <http://www.al-jazirah.com/104890/fe5.htm>

وسبب ذلك أن بعض القضاة الذين حكموا في قضية بخلاف ما يراه لما ثبت عندهم من البيّنات، أخرجوا عندما أتاهم الخصم بفتوى الوالد رحمته الله، فبين لهم أن العمل على ما يراه القاضي الذي نظر القضية واطلع على ملابساتها، فبعد كتابة العبارة خف هذا الأمر كثيرا.

ومن طرائف ما حدث في هذا أن أحد الإخوة قدم ورقة استفتاء عنمن هو أحق بالأذان الإمام أو وكيل المؤذن؟ فأفتاه بأن الوكيل أحق، فلما أخذ الفتوى بعد أن مهرها الوالد رحمته الله بتوقيعه، وإذا بأحد الأقارب يتصل بنا، ويشرح لنا ملابسات الموضوع، وأن الإمام بينه وبين المؤذن حساسية، وكان القصد الانتصار بالفتوى على الإمام.

وقد نقلت عن الوالد رحمته الله قريبا أن بعض الفتاوى التي كتبها طبعت في كتب: ككتاب حوار رمضان، والإجابات البهية، كما جمع الأخ عبد الله الحوطي فتاوى وطبعها في مجلد، ونشر الدكتور طارق الخويطر العديد من الفتاوى، وأخرجها في رسائل صغيرة بحسب الموضوعات، منها: فتاوى في المسح على الخفين، وفتاوى في المعوقين، وفتاوى في أحكام المولود، وفتاوى في الطهارة الشرعية، وفتاوى في المدينة النبوية، وغيرها كثير، كما نشر الشيخ إبراهيم الشثري فتاوى للوالد رحمته الله في المسائل الطبية في جزئين، وهناك كتب أخرى سنذكرها إن شاء الله في أثناء الحديث عن نتاجه رحمته الله.

#### الفتاوى المشهورة للشيخ الوالد رحمته الله

سأذكر في هذا الموضوع بعض الفتاوى التي كان لها شهرة لسبب من الأسباب: إما لحساسيتها أو لتعلقها بحوادث مشهورة، وسأتترك فتاوى أخرى كان من المناسب إيرادها هنا، لكن لصلتها القوية بموضوعات أخرى أثرت بحثها مع تلك الموضوعات، لنحافظ على الوحدة الموضوعية، كفتاواه في الراضة وفتوى طالبان ونحوهما.





## فتوى ما يسمى بـ «حزب الله»

لقد أثارَت هذه الفتوى عاصفة في العالم الإسلامي من شرقه إلى شرقه، وكانت تزامنت مع هجوم شنه هذا الحزب على حدود اليهود مع لبنان، فصفق له الفوغاء من عوام أهل السنة. والقصة مشهورة منشورة. لكننا هنا سنتحدث عما يتعلق بهذه الفتوى التي أثارَت جدلاً واسعاً، ليس في أوساط العامة فحسب، بل حتى بين الدعاة والجماعات الإسلامية، فألى القصة من بدايتها..

نشر موقع نور الإسلام، الذي يشرف عليه الشيخ محمد الهيدان فتوى للوالد **زكوة الله** حول حزب الله هذا نصها<sup>(١)</sup>:

عنوان الفتوى	هل يجوز نصرته ( ما يسمى ) حزب الله الرافضي
المفتي	الشيخ / عبد الله بن جبرين
رقم الفتوى	١٥٩٠٣
تاريخ الفتوى	١٤٢٧/٦/٢١ هـ -- ٢٠٠٦-٠٧-١٧
تصنيف الفتوى	العقيدة- < فرق ومذاهب وأديان- < كتاب فرق منسوبة- < باب طائفة الرافضة
السؤال	هل يجوز نصرته ( ما يسمى ) حزب الله الرافضي؟ وهل يجوز الانضواء تحت إمرتهم؟ وهل يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين؟ وما نصيحتكم للمخدوعين بهم من أهل السنة؟
الإجابة	لا يجوز نصرته هذا الحزب الرافضي، ولا يجوز الانضواء تحت إمرتهم، ولا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين، ونصيحتنا لأهل السنة أن يتبرؤا منهم، وأن يخذلوا من ينضموا اليهم، وأن يبينوا عداوتهم للإسلام والمسلمين وضررهم قديماً وحديثاً على أهل السنة، فإن الرافضة دائماً يضمرون العدا لأهل السنة، ويحاولون بقدر الاستطاعة إظهار عيوب أهل السنة والطمع فيهم والمكر بهم، وإذا كان كذلك فإن كل من والا هم دخل في حكمهم لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

(١) [http://www.islamlight.net/index.php?option=com\\_ftawa&task=view&Itemid=0&atid=1399&id=15903](http://www.islamlight.net/index.php?option=com_ftawa&task=view&Itemid=0&atid=1399&id=15903)

وبعد أن نشرت هذه الفتوى شرق بها الناس وغربوا، وتلقمها القاضي والداني، حتى إن بعض وسائل الإعلام الغربية نشرت عنها، ومنها قناة (فوكس نيوز) وصحيفة (نيويورك صن) الأمريكيتين، ونشرتها صحيفة ידיعوت أحرنونوت الصهيونية بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٢١ (١).

**ynet** news.com

**updates** מבדקים

News  
Opinion  
Money  
Culture  
Jewish  
Travel  
Singles

Breaking News

**Wahabi cleric in Saudi Arabia issues scathing fatwa against Hizbullah**

A leading Wahabi cleric in Saudi Arabia has issued a scathing fatwa against Hizbullah, Fox News reported. Sheikh Jarrah declared a jihad against Hizbullah and has urged his followers to join in the fight for the latter group, warning: "our advice to the Muslims is to denounce them and strip those who join them to show their loyalty to Islam and to the Muslims."

The New York Sun reports that the fatwa also condemns Iraq for funding and supporting Hizbullah to further what Jarrah called its imperial ambitions. (YnetNews)

JUL 21 10: 04 AM

Print Send to friend

وترجمة الخبر كالتالي:

«رجل دين وهابي بارز في السعودية أصدر فتوى قاسية ضد حزب الله، حسب تقرير من محطة (فوكس نيوز)».

أعلن الشيخ عبد الله بن جبرين أن قوانين الشريعة الإسلامية لاتجيز مساعدة أو الانضمام أو حتى الدعاء للجماعات الإرهابية، وأصدر ذلك كتابياً، ونصح أهل السنة بأن يشجبوا ويجتنبوا أولئك الذين ينضمون إليهم، حتى يكشف حربهم للإسلام والمسلمين.

وأعلنت (نيويورك صن) أن الفتوى أيضاً شجبت إيران لدعمها ومساندتها لحزب الله «أ.هـ».

<http://www.ynetnews.com/articles/0,7340,L-3279280,00.html> (١)

ولقد كانت وسائل الإعلام التابعة للرافضة قد حملت كبر إشاعة هذا، ونشره عبر قنواتهم وصحفهم ومواقعهم الإلكترونية، حتى خدع بذلك كثير من أهل السنة في مصر والمغرب العربي والشام واليمن وحتى الخليج العربي. وأول من تولى كبر نشر الموضوع شبكة راصد الإخبارية، وهي شبكة رافضية نشطة، لكنها قائمة على الكذب والدعاية المغرضة ضد أهل السنة وبخاصة العلماء، وسأسوق لك النص الذي نشرته، وأترك لك تأمل ما في طياته من الكيد والكذب والجهل، وقد نقلته عن وكالة الأخبار السعودية وهذا تلبيس، فإن من قرأه يظنه وكالة الأنباء السعودية، وإنما هو موقع إلكتروني رافضي يسمي نفسه وكالة الأخبار السعودية المستقلة (واسم)، ولننتقل إلى نص الخبر.

«شبكة راصد الإخبارية - وكالة الأخبار السعودية بتصرف ١٩ / ٧ /

٢٠٠٦ م ١٠: ١١ ص

ابن جبرين أفتى بحرمة الدعاء لحزب الله اللبناني

أصدر الشيخ السلفي السعودي عبد الله بن جبرين يوم أمس الإثنين فتوى ضد حزب الله اللبناني، قال فيها: إنه «لا يجوز نصره هذا الحزب الرافضي، ولا يجوز الانضواء تحت إمرتهم، ولا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين».

ووجه ابن جبرين نصيحة للمسلمين السنة، قائلاً: «ونصيحتنا لأهل السنة أن يتبرؤا منهم، وأن يخذلوا من انضموا إليهم، وأن يبينوا عداوتهم للإسلام والمسلمين».

ويعد ابن جبرين ثاني أكبر مرجع ديني للحركة الوهابية بعد الشيخ عبد الرحمن البراك، وكان ابن جبرين يشغل منصبا عاليا في لجنة الإفتاء الحكومية حتى تقاعده قبل سنين قليلة، وتشر له وكالة الأنباء السعودية الرسمية (واس) أخباره ومحاضراته، التي تتولى وزارة الشؤون الإسلامية تمويلها.

وتأتي الفتوى الدينية متناسقة مع التصريحات السياسية المتكررة للحكومة السعودية الأسبوع الماضي، التي حملت فيه «حزب الله» المسؤولية الكاملة للقصف الإسرائيلي على لبنان.

ويشهد الشارع السني والسلفي الوهابي في السعودية انقسامًا حادًا في موقفه تجاه حزب الله، حيث برزت أصوات سلفية لأول مرة تؤيد حزب الله، وبدا أن الفتوى أتت لقطع الطريق على تنامي تأييد الشارع السلفي الوهابي لحزب الله الشيعي.

ونشر الفتوى موقع «نور الإسلام» الذي يديره الشيخ السلفي محمد الهبدان، والمعروف بتأييده لتنظيم القاعدة. وكما جرت العادة فإنه ليس من المتوقع نشر الفتوى في وسائل الإعلام، التي تسيطر عليها الحكومة. انتهى خبر شبكة راصد<sup>(١)</sup>.

وقد نقله عنها العديد من المواقع الشيعية والسنية وبنوا على كلامها.

وكانت هذه الفتوى كما عرف بعد ذلك فتوى قديمة للوالد رحمته الله صدرت عنه في تاريخ ١٤٢٣/٢/٧ هـ، فلم يصدرها بمناسبة الحدث ولا علاقة لها به، وهو أيضًا لم يستأذن في نشرها، وإنما نشرها القائمون على موقع الشيخ

(١) <http://rasid201.homeip.net/artc.php?id=12035>





الهدان اجتهادا منهم، ووضعوا لها رقما وتاريخا خاصا بموقعهم، ولم يذكروا الرقم والتاريخ القديم، وهذا مما ليس الأمر على الناس.

هذه هي ملابسات الفتوى ولكن السرعة من الناس في أقوالهم وأفعالهم لا يتثبتون ولا يسألون، وإنما سمعوا ما قاله الرافضة، الذين اهتبلوا الفرصة وبنوا عليه.

صورة الفتوى الأصلية من موقع الوالد رحمته الله <sup>(١)</sup>



الصفحة الرئيسية < الفتاوى < عرض الفتوى

رقم الفتوى	٤١٧٤
موضوع الفتوى	نصرة حزب الله الراضي والانضواء تحت إمرتهم و الدعاء لهم بالنصر والتمكين
السؤال	س: بدأ في الآونة الأخيرة ظهور بعض المنادين بنصرة حزب الله اللبناني. هذا الحزب راضي موالٍ لإيران وسؤالنا: هل يجوز نصرته حزب الله الراضي؟ وهل يجوز الانضواء تحت إمرتهم؟ وهل يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين؟ وما نصيحتكم للمخدوعين بهم من أهل السنة؟
الإجابة	لا يجوز نصرته هذا الحزب الراضي، ولا يجوز الانضواء تحت إمرتهم، ولا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين، ونصيحتنا لأهل السنة أن يتبرءوا منهم، وأن يخذلوا من ينضمون إليهم، وأن يبينوا عداوتهم للإسلام والمسلمين وضررهم قديما وحديثا على أهل السنة، فإن الرافضة دائما يضمرون العدا لأهل السنة، ويحاولون بقدر الاستطاعة إظهار عيوب أهل السنة والطعن فيهم والمكر بهم، وإذا كان كذلك فإن كل من والاهم دخل في حكمهم لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ﴾ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

<http://www.ibn-jebreen.com/controller?action=FatwaView&fid=4174> (١)

وبسبب هذا اللبس، ولأن الأمر اختلط على كثير ممن يظن بهم خيراً، فخاضوا في ذلك بقصد ودون قصد، اقترح بعض محبي الشيخ أن يصدر عنه ما يوضح الأمر.

فقدم سؤال له حول الموضوع كان نصه: نشر أحد مواقع الإنترنت فتوى منسوبة إليكم، تتعلق بحزب الله اللبناني، فهل تصح نسبة هذه الفتوى لكم؟ فأجاب **رحمةً ربيّةً** بقوله<sup>(١)</sup>: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد...

فهذه الفتوى قديمة صدرت منا في تاريخ ٧ / ٢ / ١٤٢٣ هـ، والواجب على الذين نشرها أن يبينوا ما تتعلق به، وأن يتثبتوا فيها قبل نشرها، وأن يردوها إلى من صدرت منه. حتى يبين حكمها ويبين مناسبتها، وهي لا تتعلق بما يسمى حزب الله فقط، فتحن نقول: إن حزب الله هم المفلحون، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وأما الرافضة في كل مكان فهم ليسوا من حزب الله، وذلك لأنهم يكفرون أهل السنة، ويكفرون الصحابة الذين نقلوا لنا الإسلام ونقلوا لنا القرآن، وكذلك يطعنون في القرآن، ويدعون أنه محرف، وأنه منقوص منه أكثر من ثلثيه، وذلك لما لم يجدوا فيه شيئاً يتعلق بأهل البيت، كذلك هم يشركون بدعاء أئمتهم الذين هم الأئمة الإثني عشر، هذا هو مضمون تلك الفتوى: فإذا وجد حزب لله تعالى ينصرون الله وينصرون الإسلام في لبنان أو غيرها من البلاد الإسلامية، فإننا نحبهم ونشجعهم وندعو لهم بالثبات، وحيث إن الموضوع الآن موضوع فتنة وحرب بين اليهود وبين من يسمون حزب

(١) الفتوى رقم (١٥٢٩٤).



اللَّهُ، واكتوى بنارها المستضعفون ممن لا حول لهم ولا قوة، فنقول: لا شك أن هذه الفتنة التي قام بها اليهود وحاربوا المسلمين في فلسطين، وحاربوا أهل لبنان أنها فتنة شيطانية، وأن الذين قاموا بها وهم اليهود، يريدون بذلك القضاء على الإسلام والمسلمين، حتى يستولوا على بلادهم وثرواتهم، وهذا ما يتمنونه، ولكن نقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُسَمَّرَ نُورُهُ﴾ [التوبة: ٣٢]. وندعو الله تعالى أن ينصر الإسلام والمسلمين في كل مكان، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضاه لهم، وأن يبذلهم بعد الخوف أمنًا وبعد الذل عزًا، وبعد الفقر غنى، وأن يجمع كلمتهم على الحق، وأن يرد كيد اليهود والنصارى والرافضة وسائر المخالفين، الذين يهاجمون المسلمين في لبنان وفي فلسطين وفي العراق وفي الأفغان وفي سائر البلاد الإسلامية، وأن يجمعهم ويبطل كيد أعداء الله الطامعين في بلاد المسلمين، وندعو الله سبحانه وتعالى للمسلمين أن يردهم الله إلى دينهم الحق، وأن يرزقهم التمسك به، وأن يثبتهم على ذلك، حتى يعرفوا الحق، وحتى ينصرهم تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرْ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]. والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، قاله وأملاه: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين في ١٤٢٧/٧/٣ هـ.

لقد أطفأ هذا البيان بعض الفتنة، ولكن الذين في قلوبهم مرض من الرافضة ونحوهم، وبعض المخدوعين من أهل السنة لم يكفهم ذلك بل أثارهم، وحتى تتصور حجم المسألة سأورد لك شواهد مما قيل في وقتها.

## القسم الأول: ما قاله المخدوعون من أهل السنة

في إحدى الصحف الجزائرية<sup>(١)</sup> كتب أحدهم تحت عنوان فتوى سعودية تحرم نصره حزب الله!! فقال: «في تفسير أولي لهذه الفتوى، يظهر ذلك التناسق والتناغم مع الموقف الرسمي للحكومة السعودية، التي أدانت ابتداء عمل «حزب الله»، ووصفته بالمغامرة غير المحسوبة العواقب... ولا يخرج هذا التصرف الذي تعاضدت فيه السلطان الدينية والسياسية في السعودية، عن النسق المميز لسياسة الدولة السعودية، وموقفها من المد الشيعي، واعتباره أكثر تهديدا من غيره».

وكتب أحدهم في الساحة السياسية: «أن الفتوى القديمة المنسوبة لسماحة الشيخ عبدالله بن جبرين رحمته الله فيما يتصل بالشيعة وبحزب الله، التي نبش عنها من نبش ونشرها، وجعلها مدار ومحل تطبيق فيما يتصل بعلاقتنا بإخواننا في لبنان بمن فيهم الشيعة، الذين يُذبحون الآن، وتُهدم عليهم بيوتهم.. أقول: إن تلك الفتوى في حاجة ماسة إلى أن يُعاد فيها النظر بما يخدم المصلحة العامة لما في محتواها من شق الصّف وتشتيت الكلمة والسرور الذي تُدخله على أعداء الأمة، فضلا عن مجافاتها ومناهضتها لموقف قيادتنا الرشيدة، التي تقف مع أشقائنا في لبنان وفي فلسطين في صف واحد».

## القسم الثاني: ما قاله الرافضة

نشرت بعض المواقع الشيعية أن رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام في إيران هاشمي رفسنجاني وجه رسالة إلى الشيخ رحمته الله، حذره من السعي إلى إثارة الخلافات بين السنة والشيعة.

(١) صحيفة البلاد الجزائرية عدد يوم السبت ٢٢ يوليو ٢٠٠٧.



وأسف الإيراني لأن بعض الأشخاص يقومون بإثارة الخلافات بين الشيعة والسنة في التعاطي مع قضية لبنان.

وكتب أحد الرافضة في القطيف، وهو حسن العوامي رسالة طويلة للشيخ الوالد *رحمته* بخصوص هذه الفتوى، ونشر رسالته في المواقع الإلكترونية الشيعية، ثم بعث نسخة إلى الوالد بدأها بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله خاتم الرسل وعلى آله الطيبين الطاهرين. الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. وعلى أصحابه الذين اتبعوه بإحسان ومن والاه إلى يوم الدين.

فضيلة الأخ الشيخ عبد الله بن جبرين المحترم

أحييكم بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أمل أن تقرأ هذه السطور قراءة متأمل، فلا ترمي بها قبل قراءتها، لأنها من رافضي شيعي. حسب تعبيرك الجميل. فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها.

جناب الشيخ، بين حين وآخر نقرأ لكم تكفيراً للشيعة «الروافض»، وتحذير المسلمين منهم. وتنبيه الغافلين الذين يحسنون بهم الظن، ويتعاملون معهم، وآخر ذلك إجابتكم على سؤال هو: هل يجوز نصره ما يسمى حزب الله الرافضي؟».

ثم ساق الفتوى وجوابها، ثم قال: «جناب الشيخ، حينما يخط قلمك مثل هذه الأفكار. بل هذه السموم، التي تخرف في جسم الأمة الإسلامية، وتحدث العداء والبغضاء والتفرقة والتشردم بين جماعة المسلمين - وربما الاحتراب

لا سمح الله - بل حدث ذلك وتكرر، ويتكرر في بلاد الإسلام بين المسلمين عند كل مناسبة وأحياناً دون مناسبة، ويشتد زند العداة أواره بسبب فتاواكم وأمثالكم».

ثم سار على هذا المنوال في مواظ ونصائح وتحريف للنصوص ولي لأعناقها، واستدلال بضعيفها بل سقيمها، وهمز ولمز، وكيد واستعداء، كما هي عادتهم.

ومن طرائف ما قاله: «أنت تعلم إن سيدك وإمامك ابن تيمية حشره الله معه نهى عن تكفير من يقول لا إله إلا الله، ويقول: إنها أول بدعة أحدثت في الإسلام».

وكأنه لا يعلم أن ابن تيمية هو الذي قال عنهم<sup>(١)</sup>: «فليس في الطوائف أدخل في ذلك من الرفضة، فإنها أعظم الطوائف كذبا على الله وعلى رسوله وعلى الصحابة وعلى ذوي القربى، وكذلك هم من أعظم الطوائف تكذيباً بالصدق، فيكذبون بالصدق الثابت المعلوم من المنقول الصحيح والمعقول الصريح».

ثم لبس ثوب الواعظ، وبدأ يعظ الشيخ الوالد رحمه الله، ويحذره من الحساب والعقاب، وختم كلامه بقوله: «ارجع أيها الشيخ إلى صواب عقلك ورشد تفكيرك، وتب إلى ربك، ولا يلعب بعقلك الشيطان، فتكون بعض حطب جهنم. واردم الهوة العميقة التي أحدثتها أحاديثك لتكون من التائبين.

وتقبل شكر وسلام أخيك: حسن باقر العوامي».

وكتب أحد الرفضة من القطيف في ١٩ / ٧ / ٢٠٠٦م في أحد المواقع

(١) منهاج السنة النبوية ١٢٧/٧ بتحقيق د. محمد رشاد سالم نشر مؤسسة قرطبة، ط ١



على الشبكة: «ليس بالغريب على الوهابيين. وحزب الله سار على نهج الإمام الحسين، والشيخ عباس الموسوي، والشيخ راغب حرب، والسيد الإمام الخميني. أما السلفيون فهم مع مصالحهم، أينما سار ركب كبرائهم ساروا معه، والا صدرت الفتاوى بالعكس. فعلى الرغم من مقاومة حزب الله ضد إسرائيل فهو في نظرهم معتد، وتسبب في دمار بلاد المسلمين بسبب جنديين، حيث كان يجب عليه مشورة القيادة أولاً. بينما لم يطالب أي منهم إسرائيل بمشورة أحد في اعتقالها واغتيالها للمسلمين في فلسطين ولبنان، أو يستكر ذلك». أ.هـ.

والذين تابعوا الأخبار في تلك الأزمة يعلمون أنها بدأت بأسر جنديين من الجيش الإسرائيلي، وقتل ثمانية، وجرح ما يزيد عن عشرين جندياً إسرائيلياً.

ثم قامت (إسرائيل) بعملية همجية ومنهجية في أن واحد، فقصفت جميع البنى التحتية الموجودة في لبنان: كالمطار والطرق والجسور، واستطاعوا تقطيع أوصال البلاد، كما قصفوا المصانع وكثيراً من السيارات والشاحنات والناس، وكان القصف يركز على البنى التحتية للدولة، ولم يكن يركز على حزب الله أو قيادته، وقد أدى القصف إلى قتل وجرح المئات، وإلى تهريب الناس وإرعا بهم وتهجيرهم ونزوحهم، فالصواب أن (إسرائيل) ضربت لبنان، ولم تضرب حزب الله، ثم أخيراً قصفت بعض المناطق الشيعية التي فيها حزب الله، ومن ثم فإن حزب الله لم يتأثر مما يشعر بأن هناك نوعاً من الاتفاق غير المعلن.

وكان اللبنانيون يتساءلون: ما الفائدة التي سنجندها حين نقاوم (إسرائيل)، وهل يستحق موضوع الأسيرين الذين اختطفهما حزب الله كل هذا الدمار الذي أصابنا.

وكانت الإشكالية الموجودة إذ ذاك أنك إما أن تؤيد (إسرائيل)، وإما أن

تؤيد حزب الله، وليس هناك من يدرس المسألة من جميع جوانبها<sup>(١)</sup>.

وممن اشتهر ونشر عنه في تلك المدة انتقاد الفتوى تصريحاً أو تلميحاً:

- الدكتور محسن العواجي.
  - الدكتور سلمان بن فهد العودة.
  - العلامة الدكتور يوسف القرضاوي.
  - الدكتور علي جمعة مفتي مصر.
  - محمد مهدي عاكف المرشد العام للإخوان المسلمين في مصر.
  - د. محمد إمام رئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق ومستشار رئيس جامعة الأزهر.
  - الشيخ جمال قطب رئيس لجنة الفتوى بالجامع الأزهر سابقاً.
  - الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر.
  - الدكتور محمد رأفت عثمان عضو مجمع فقهاء الشريعة الإسلامية بالولايات المتحدة.
  - الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر السابق.
  - المستشار الشيخ فيصل مولوي رحمته الله الأمين العام للجماعة الإسلامية في لبنان.
  - العلامة اليمني إبراهيم الوزير.
  - الدكتور غالب القرشي - رئيس لجنة العدل والأوقاف بالبرلمان اليمني -.
  - الشيخ عبد المجيد الزنداني - رئيس مجلس شورى التجمع اليمني للإصلاح ورئيس جامعة الإيمان.
- وليس العجب أن يخالف العالم رأي عالم آخر، لكن العجب حينما تتهم

(١) انظر موقع المسلم.



النيات، ويلقى الكلام على عواهنه، ليس من غوغاء الناس وعوامهم، لكنه من علماء أو مفكرين أعلام، لهم قيمتهم ووزنهم على الساحة الإسلامية.

ولا تفهم من ذكر القائمة السابقة أنني أعنيهم، ولكن قد تكلم بعض من تكلم عن فتوى الوالد رحمه الله وقال: إن الفتوى جاءت استجابة لموقف سياسي للحكومة السعودية، وكان هذا الأمر غريبا أن يصدر في حق مثل الوالد رحمه الله، وهو الذي عرف بمواقفه الشجاعة التي لم يكن يأبه فيها بأحد، ولم يكن يرى سوى الحق ومسؤولية العالم أمام الناس، كان غريبا لأنه رحمه الله تكلم في قضايا عديدة سبب فيها حرجا للدولة مع دول أخرى، ولولا أن الدولة تعلم صدق نيته وصفاء سيرته، ونقاء سيرته، لكان لها معه موقف آخر.

ومن باب العدل نقول: إن كثيرا من هؤلاء بعد أن ظهر هذا الحزب على حقيقته، وأثار الفوضى في لبنان، عرفوا عداوته وشره، وبين بعضهم خطأه، وأن الشيخ رحمه الله كان ينظر بنور الله، ومنهم الدكتور العواجي.

ولا شك أيضًا أن كثيرا من العلماء والدعاة كانوا يعرفون الرافضة، ويعرفون هذا الحزب الرافضي، فلم ينكروا ما قاله الوالد رحمه الله، بل أيدهم لعلمهم أيضًا بمكانة الشيخ العلمية، وأنه يأخذ من مشكاة النبوة، وممن نشر ذلك وأظهره الدكتور ناصر العمر حفظه الله.

### فتوى الأشراف

هكذا يسميها الناس، وهي أيضًا من الفتاوى التي أثارت جدلا واسعا في داخل المملكة وخارجها، وذلك لأنها تتعلق بمسألة حساسة، وهي انتساب طائفة من القبائل إلى النسب النبوي الشريف.

ولحساسية هذا الموضوع، وخشية أن يفسر كلامي على غير ما أردت، أحب أن أنبه أنني أكتب للتاريخ، كتابة سيقروها الأولاد والأحفاد، مع تقديري واعترافي بالقبائل المشهورة، والمشجرات النسبية المحفوظة لدى هذه القبائل. قد يظن البعض أن الوالد رحمة الله جر إلى هذه الفتوى جراً، وأنها زلة لسان وخطأ غير مقصود، فأحب أن أوضح أن هذا الرأي للوالد رحمة الله قديم، وأن هذه فتواه منذ عرفته، ولدينا فتاوى مقيدة قبل أكثر من عشرين عاماً من هذه الحادثة.

ودعني أعرض أولاً فحوى هذه الفتاوى، ثم أعرض سبب شهرتها، ثم أعرض تداعياتها، ولن أعرض نص الفتاوى مراعاة لمشاعر المحبين من هذه القبائل.

فالشيخ الوالد رحمة الله يرى جواز دفع الزكاة لآل البيت، ويعلل بتعطّل الخمس الذي كانوا يأخذونه في العصور القديمة.

وثمة أمر آخر، هو الذي أثار الناس، وحملوه على غير وجهه، وهو أن كثرة الانتساب لآل البيت، وبخاصة لذرية الحسن والحسين مدعاة للشك في هذا النسب.

وهو رحمة الله لا يريد بذلك القبائل معروفة النسب، وإنما يريد شيئاً آخر، هو الذين ينتسبون في كثير من البلاد دون مستند لذلك الانتساب، كما وضع ذلك في البيان الذي أصدره.

أما سبب شهرة هذه الفتاوى وانتشارها، فيعود إلى أن الدكتور خالد ابن الشيخ عبدالرحمن الجريسي رجل الأعمال المعروف، صنف كتاباً عن



العصبية القبلية ونشره، وكان مما نشر فيه فتوى حول الموضوع كان قد سئل عنها الوالد رحمة الله.

وقد أدى ذلك إلى القيام بتتبع فتاوى الشيخ الوالد رحمة الله، وإظهار ما يتعلق بالموضوع ونشره وتداوله في الإنترنت وغيره.

كما قام بعض وجهاء هذه القبائل بتقديم عرائض للمسؤولين يطالبونهم باتخاذ موقف من هذه المسألة، وقام بعض طلاب العلم وبعض الباحثين بكتابة ردد مطولة في بعض الصحف ومواقع الإنترنت، ولا شك أنه قام أيضاً بعض المفرضين أعني ممن ليس على منهج أهل السنة بالنيل من الوالد رحمة الله، وعند الله تجتمع الخصوم.

وكان رحمة الله في بادئ الأمر كعادته مع مخالفيه، لم يعر الأمر اهتماماً، ولم يفكر بالانتصار لنفسه أو الشكاية لغير الله.

ولكن بعد أن تفاقم الأمر وكثر القيل، رأى بعض الغيورين من طلاب العلم من بيوت آل البيت ومن غيرهم السعي لإطفاء الفتنة، وإسكات الغوغاء ببيان يصدره رحمة الله يوضح فيه رأيه ويفسر كلامه الذي حمل على غير وجهه، وكان من أبرزهم الشريف الدكتور حاتم بن عارف العوني والشريف الشيخ علوي بن عبدالقادر السقاف، والشريف المهندس محمد بن علي الوشلي الحسني.

ولذلك أصدر رحمة الله التوضيح المشهور، ونصه: «الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد...»



فقد بلغنا أن بعض إخواننا من قبائل أهل البيت ساءهم ما ورد في بعض الفتاوى الصادرة منا، المتعلقة باستحقاق أهل البيت للزكاة، ولدفع الإشكال وإزالة الالتباس نحب التنبيه إلى ما يأتي:

أولاً: أن أهل البيت هم ذرية من أشرف بيت وجد على وجه الأرض حسباً ونسباً، ولهم أنساب محفوظة إلى عصرنا الحاضر، ونحن لا نقدر في نسب أحد منهم، حيث تحققوا من صحة النسب وثبوته، والناس مأمونون على أنسابهم، ولا نحل لأحد أن يقدر في نسبهم أو ينال منه.

ثانياً: أننا نعرف لأهل البيت فضلهم وحقوقهم، التي وردت في الكتاب والسنة، واتفق عليها أهل العلم والإيمان، ومن جمع منهم بين اتباع السنة مع شرف النسب فقد جمع بين فضيلتين، ومن انحرف عن الصراط المستقيم فلن ينفعه نسبه يوم القيامة، كما قال النبي ﷺ: «من بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه»، رواه مسلم، والتفاضل عند الله إنما يكون بالتقوى، لقوله تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ثالثاً: نعتذر لكل من ساءته تلك الفتاوى، التي لم نرد بها الإساءة لأحد، ولا نجيز لأحد أن يستغلها في الإثارة والتشكيك. ونحث المسلمين جميعاً على التمسك بالتقوى والحرص على جمع الكلمة والقضاء على مادة الاختلاف وأسبابه.

نسأل الله للجميع التوفيق. والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، قاله وأملاه عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين ١٩/٤/١٤٢٨ هـ

ولقد قضى هذا البيان على المشكلة ولم الشمل بحمد الله تعالى.



## فتوى المسعى

تعد فتوى الوالد رحمه الله في جواز السعي في المسعى الجديد من الفتاوى المهمة، فقد أطفأت فتنة كادت أن تنشب بين طلاب العلم، وهو أول من صرح من العلماء المعتبرين بذلك، وكانت هيئة كبار العلماء قد أشكلت عليها المسألة، وحدث اختلاف كبير بين أعضائها، فخرجت فتوى الوالد وأزاحت عن الناس عبئاً ثقيلاً.

ومما ورد فيها<sup>(١)</sup>: «أنه يجوز السعي في المسعى الجديد، ومن سعى فيه لحج أو عمرة، فإنه قد أتى بالركن أو أتى بالواجب الذي أمر الله به وشرعه. ومعلوم أن الصفا في الأصل يمتد من جهة الشرق، وقد رأيتُه أنا قبل ستين سنة في أول مرة حججت فيها البيت، وكان ذلك سنة تسع وستين رأيتُه ممتداً إلى مكان لا أحدهم.

وكذلك المروة كان عليها مبان، المكان الذي نقف عليه بالمروة خلفه من جهة الشرق بنايات بمكان مرتفع، فيدل على أن المروة كانت مرتفعة.

وذكر أنه تقدم عشرون مسلماً مواطناً من الثقات إن شاء الله، الذين لا يتهمون بأنهم خانوا أو كذبوا أو تخيلوا شيئاً ليس بحقيقة.

فالذي نختاره أنه يسعى في المسعى الجديد، ولا حرج على من سعى في ذلك، سواء كان في حج أو عمرة».

وقد ذكر لي الأخ سليمان أن الوالد التقى قبل البدء في مشروع المسعى بيكر بن لادن، وكان كل منهما لا يعرف الآخر، فلما عرفه بكر سلم عليه وسأله

(١) جريدة الرياض الثلاثاء ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٩هـ - ١ أبريل ٢٠٠٨م - العدد ١٤٥٢٦.

عن توسعة المسعى، فأفتاه بالجواز، ولم يجر بعد ذلك حديث بينهما، إذ لا علاقة بينهما.

ولا أحب أن أطيل في هذا الموضوع، لأنه مشهور معروف، وليس الحديث فيه من صلب موضوعنا، وإنما أردت أن أبين أن فتوى الوالد رحمة الله قطعت الخلاف أو أزالته الإشكال عند العامة.

ذكر لي الدكتور محمد بن عودة السعوي أن معالي الشيخ عبد الكريم الخضير قال لبعض الصحفيين في مجلة الدعوة لما نشروا كلام بعض العلماء من العالم الإسلامي، وذكروا كلام الوالد معهم: أنتم كمن استدلت بأية، ومعها أحاديث موضوعية.

ويذكر الشيخ عبدالرحمن بن عبد الكريم الخضير عن والده أنه كان يقول:  
إن شهادة الشيخ ابن جبرين جمعت بين المعاينة البصرية والحجة الشرعية ورأيت في موقعه الإلكتروني حفظه الله قوله<sup>(١)</sup>: «الذين أدركوا مكان السعي قبل أن يُعمر، ورأوا المسعى على حقيقته، وأنه أوسع من القديم، فهو لاء لهم أن يُفتوا، ومعروف كلام الشيخ ابن جبرين - حفظه الله - قال بمثل هذا. أنه حج سنة تسعة وستين قبل عمارة المسعى وكان أوسع من هذا، فلا مانع حينئذ من السعي في الجديد».

وقال الشيخ عبدالعزيز الحمين رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سابقاً<sup>(٢)</sup>: «فتواه فيما يتعلق بتوسعة المسعى وشهادته رحمة الله، التي حسمت الموضوع وكانت محل ارتياح المسلمين جميعاً».

(١) <http://www.khudheir.com/text/1320>

(٢) <http://www.alriyadh.com/2009/07/15/article444783.html>



ومع أن هناك كثيرًا من طلاب العلم والباحثين حرروا المسألة وتوسعوا فيها، لكن لم أر من تحدث منهم عن فتوى الوالد بشيء يسوء.

## نماذج من فتاواه التي انفرد بها رحمة الله أو لها نوع تميز

### سفر المرأة في الطائرة دون محرم

ومن الفتاوى التي انفرد بها رحمه عن كثير من معاصريه، وهي من النوازل المعاصرة فتواه في سفر المرأة دون محرم بالطائرة. ويشترط أن يوصلها وليها إلى الطائرة، ويستقبلها آخر من أوليائها إذا وصلت.

وكنت مع إجلالي له، وعدم رغبتي في مراجعته، إلا أنني في هذه الفتوى راجعته كثيرا، وكنت أفرح بمن يناقشه حولها، لعله أن يرجع، ولعلي أعرض هذه الفتوى، ثم أعرض بعض ما روجع به حولها، ثم أخص ما وصلت إليه بعد مدة طويلة من التأمل والمراجعة.

فقد سئل مرارا عن هذا الموضوع، وأفتى بعدة فتاوى نشرت واحدة منها جريدة المسلمون، ومن أجمع الفتاوى حول الموضوع قوله رحمة الله:<sup>(١)</sup>

«وردت السنة بنهي المرأة عن السفر دون محرم، كقوله ﷺ: «لا تُسافر المرأة مسيرة ثلاث ليالٍ إلا مع ذي محرم»<sup>(٢)</sup> وفي رواية: «مسيرة يومين»<sup>(٣)</sup> وفي لفظ: «مسيرة يومٍ إلا مع ذي محرم»<sup>(٤)</sup>، ولا شك أن هذا

(١) <http://ibn-jebreen.com/ftawa.php?view=vmasal&subid=7286&parent=786>

(٢) رواه مسلم في باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره من كتاب الحج برقم / ٣٢٢٤.

(٣) رواه البخاري في باب الصوم يوم النحر من كتاب الصوم برقم / ١٩٩٥ ورواه مسلم في باب

سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره من كتاب الحج برقم / ٣٢٢٦.

(٤) رواه مسلم في باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره من كتاب الحج برقم / ٣٢٣١.



يدل على التحريم، وذلك أن السفر يعرضها لركوب الأخطار، وسلوك الطرق البعيدة، التي قد يوجد بها من الفسقة، وقطاع الطريق من يفجر بها طوعاً، أو كرهاً، وكان السفر ذلك الوقت بواسطة الرواحل من الإبل، والحمر، والخيول، والسفن، وكلها تستغرق وقتاً طويلاً، مما تبتعد به عن محارمها وأهلها، وتطول غيبتها، وتقع في أسباب الردى، فلا جرم ورد النهي عن سفرها، ولو لحج ونحوه، وورد أيضاً جواز ذلك للحاجة، فقد أرسل النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى الحبشة، واستصحب أم حبيبة بعد أن عقد النبي ﷺ عليها من الحبشة إلى المدينة دون محرم، وكذا زينب بنت النبي ﷺ لما أطلق زوجها من الأسر يوم بدر، واشترط عليه أن يرسلها إلى المدينة، فجاء بها بعض الصحابة من مكة إلى المدينة مسيرة عشرة أيام دون محرم للضرورة، ثم إن بعض العلماء كالمالكية أجازوا أن تحج المرأة مع نسوة ثقات، مع بُعد المسافة من المغرب وقرى إفريقيا، الذي قد يستغرق شهراً أو أكثر، حيث إن الحج فريضة، والسفر بلا محرم مظنة فعل الفاحشة، والظن قد يخف أو يزول مع النسوة الثقات، فلا يكون الظن مانعاً للفرض.

أما في هذه الأزمنة فقد تقاربت البلاد، ووجدت وسائل النقل المريحة التي تقطع المسافات في زمن قريب، فالذي أراه جواز سفر المرأة في الطائرة، لمدة نصف يوم أو ثلثيه، بحيث يوصلها المحرم الأول إلى المطار، ويتصل بالمحرم الثاني ليستقبلها في البلد الثاني، ولا خلوة في الطائرة، والمرأة كسائر الركبات، وليس هناك مجال للخوف عليها، والاحتمالات التي تقدر نادرة الوجود، والأصل السلامة، وهذا يعم السفر للحج وغيره، وهذا ما ترجح عندي وفقاً بالمسلمين، وأستغفر الله من الخطأ والزلل، والله أعلم.»



ومن أشهر من راجعه في هذه الفتوى شيخه سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمته الله تعالى، فقد نشرت للوالد جريدة المسلمون الفتوى المرفقة، فبلغت شيخه رحمته الله، فكتب له الكتاب المرفق يراجعه في الفتوى، وكانت الصحيفة قد عممت الفتوى، فأدخلت السفر بالبواخر والحافلات مما ساء الشيخ الوالد رحمته الله، حيث إنه يرى جوازه بالطائرة فقط، فكتب للجريدة ونشرت تعقيبه، ثم كتب لشيخه يبين وجهة نظره ومسوغات رأيه.

وقد راجعه بعض المشايخ وطلاب العلم، ونشر بعضهم بحثًا يطول المقام عن ذكرها، وكنت ممن أكثر مراجعته في ذلك، وعرضت عليه الأخطار المحتملة، فكان يجيبني عنها ولما أكثرت عليه، قال لي رحمته الله: أليس المحرم يموت؟، أليست تذهب إلى السوق وإلى المستشفى بالساعات وحدها، وذكر نحو ذلك رحمته الله، حتى انشرح صدري لصحة رأيه.

وهو رحمته الله قد انطلق من منطلق تأصيلي في نظرتة للسفر، فهو يرى أن ما يكون أقل من يوم وليلة لا يسمى سفرا، ولو قطعت فيه المسافات الطويلة، فلا يبيح فيه جمعا ولا قصرا ولا فطرا لأجل السفر، ورأيه في ذلك مشهور رحمته الله، وقد بنى عليه هذا الموضوع أيضًا.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة العربية السعودية

وزارة

إدارة البحوث العلمية والإفتاء

الرقم :

التاريخ : ١٤١٧/٧/١٤ هـ

الشؤون :

الموضوع :

سماحة شيخنا ووالدنا المفضي العالم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رضى الله عنه والى الله العلمين والى الله العاقبة الصالحين  
السلام عليكم وبرحمة الله وبركاته

وسعد فقد تلقيت خطابكم المرقم بترقيم ٤٦٧/٢٨٩ على ٤٧/٢٨٩ وهو معروضاً محضاً من غير قوة السلطنة  
المصادرة في ١٤١٧/٦/٢٨ هـ حول الفتيا التي نسبها الي في سفر المرأة بدون حجاب وقدمت في ما في تلك الفتوة  
من التوضيح والتمهيد في سفر المرأة حيث لا أشكر الى ان فتيتي بسقوطها في الحوادث والابتزازات من قبل هؤلاء  
وقد استقرت منذ ايام في سائر المطاوعة وكنت المسافة. ولقد طلعت من الفلك صبيحة ان سألوا في  
علم أهل الفتوى التي كتبتموها لوس بوطالاً لانتظار مدد من الاجابة مما يشهد به أنهم صانعوا البرهان ما ليس  
فيها وقد أقره منهم ونشره آخره كغير تلك الفتوة واليك مسودة ما نشر في بعض الجريدة عدد ٦١٦ على  
١١/٧/١٤١٧ هـ خلفه التفتيح بالضرورة كما روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رد فتواه من انثى والمرجع المرجع لما روى  
صغار من السفر من المدينة من الحديث الى المدينة مع عمرو بن العبد الهندي وسفره في بيت النبي صلى الله عليه وسلم  
عليه وسلم من مكة الى المدينة ونظم القصة المدة التي قضتها في الطائفة منى على من هو واصلها فابانها وما ذكرنا  
من استنارة الطائفة المحرم بها والنظام وهو حتى لا تلتصق بها حالها بحرمها في البلاد التي نزلت فيها كما هو شأن مسوق  
يستقبلها هناك ولقد علمت الفتوة في حينها ما يحذر وقد سمعت صوت السائح ومنها الشيخ أبو بكر الخزازي  
يرفض في هذه السفر كما سئل في جمع كثير من رده في المسجد النبوي بهذه القبول واجمع بقوله الخطباء والدارات  
التي يبطل بها المنافقون نادرة الوقوع والسائر لولا حكمهم ولأنها منقولة عندهم يمكن حصولها مع وجود الحجاب والركن  
من النساء تكون منقطعاً كما اذا مات من ادمها او استغفروا ومنع من السفر بحرمها التي تظلمة المستنيرين  
المبول حينئذ اما للبري والامر من تزود وجزى الله خيراً علمه في الملاحظة ودمع العلم على محمود آل الإمام محمد بن

ابنكم محمد بن عبد الرحمن الجبرين  
عقدوا الإفتاء







فأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فأكثر الرواة يقولون: «رأيت النبي ﷺ يعقد التسبيح بيده»<sup>(١)</sup>، واليد اسم جنس يعم اليمين والشمال، وتطلق على اليدين، لقوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، مع قوله ﷺ: «والخير بيديك»<sup>(٢)</sup>، ثم رواه بعضهم بلفظ: «يعقد التسبيح بيديه»<sup>(٣)</sup>، ورواه بعضهم بلفظ: «يعقد التسبيح بأصابعه»<sup>(٤)</sup>، وهو يعم أصابع اليدين كليهما<sup>(٥)</sup>، وتفرد أحدهم وهو محمد بن قدامة فقال: «بيمينه»، والحديث رواه أيضاً الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى، وابن ماجه، والحميدي، والبخاري في الأدب المفرد، وابن أبي شيبة، وابن السني، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي في شرح السنة، وكلهم قالوا: «يعدهن بيده، أو نحوها وقد بين أن تعليق الألباني رحمه الله تعالى النهي عن العد بالشمال بأنها آلة الاستنجاء، فينزه الذكر عن استعمالها غير سديد، لأن العد ليس هو الذكر الذي هو النطق باللسان، وإنما العد بالأصابع أو بألة العد لأجل معرفة العدد المطلوب، وإن اليد اليسرى تستعمل في العبادة، فيرفع يديه عند التكبير، ويعتمد عليهما معاً في الركوع، ويسجد عليهما، وقد يعتمد عليهما عند القيام، ويرفعهما سواء في الدعاء، ولا يقتصر في ذلك على اليمنى ثم ساق أدلته على ما يراه رحمه الله، وبين أن هذا عمل المسلمين علمائهم وعوامهم، فلم يزوالوا يستعملون في العد أصابع اليدين، وتلقاه الخلف عن السلف، وتتبعوا على ذلك من غير تكير، ولا شك أنه قد تلقاه

(١) أخرجه الترمذي في باب ماجاء في عقد التسبيح باليد من أبواب الدعوات برقم /٣٤٨٦.

(٢) رواه مسلم في باب التلبية وصفحتها ووقتها من كتاب الحج برقم /١١٨٤.

(٣) لم أجد.

(٤) رواه عبدالرزاق في المصنف في باب التسبيح والقول وراء الصلاة من كتاب الصلاة برقم /٣١٨٩.

(٥) للوالد رحمه الله فتاوى عديدة في ذلك منها: فتوى بتاريخ ١٤١٨/٣/١٤ هـ وتاريخ ١٤١٨/٨/٢٠ هـ وهما دون ترقيم، وقد أصدر رحمه الله بياناً مفصلاً حول المسألة بتاريخ ١٤٢٥/١٠/١٢ هـ.



الآباء عن الأجداد، والعامّة عن العلماء، وعمل الأمة طوال هذه القرون يعد إجماعاً، وهو حجة قاطعة، حيث لم يذكروا في مؤلفاتهم في كل مذهب ما هو صريح في منع استعمال اليد اليسرى.

والمقصود الإشارة للمسألة، وليس تحقيق القول فيها، وممن كان يرى مثل رأي الوالد الشيخ بكر أبو زيد رحمته الله، فقد نصر التسبيح باليدين، وأطال في ذلك في كتابه لاجديد في أحكام الصلاة<sup>(١)</sup>.

### منع قرن التكبيرتين في الأذان

ومن آرائه التي ينبه عليها كثيراً، تنبيهه المؤذنين الذين يقرنون التكبير، فيجعلون كل تكبيرتين في نفس واحد<sup>(٢)</sup>، فكان يقول لهم: إن هذا ليس بمشروع، بل إنه يجعل ألفاظ الأذان تنقص، فبدلاً من أن تكون خمس عشرة تكون ثلاث عشرة، ويذكر أحد الإخوة أنه من الأشياء العجيبة التي رآها في زيارة الوالد رحمته الله إلى مدينة حائل<sup>(٣)</sup> أن الشيخ عندما سمع مؤذن جامع خادم الحرمين، وكان صوته جميلاً جداً بالأذان، على نمط أذان الحرمين الشريفين، وهي دمج التكبيرتين بنفس واحد، لاحظ الشيخ هذه الملاحظة عليه، وقال الشيخ: إن المؤذنين يخطئون في هذه الطريقة، ولا بد من فصل كل تكبيرة وحدها في الأذان، وأن من يعمل ذلك استدل بحديث «يقول الله أكبر الله أكبر ثم يقول الله أكبر الله أكبر» وقال الشيخ: ليس في ذلك دليل على أن التكبيرتين تدمجان مع بعض، وأكثر الأحاديث على الفصل.. ثم رأيت المؤذن بعد ذلك جزاه الله خيراً يفصل التكبيرات، وعوضه الله بأن أصبح صوته أمدى.

(١) لاجديد في أحكام الصلاة ص ٢٧-٤٥.

(٢) انظر الفتوى رقم ١٩٤٤.

(٣) <http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>





## صيام الست من شوال في ذي القعدة للنساء

يرى **رحمة الله** أن النساء التي أفطرت جميع رمضان إذا بدأت بالقضاء بعد رمضان مباشرة ثم صامت شهرًا كاملًا وأرادت أن تصوم الست وقد دخل عليها شهر ذو القعدة، أنها تصوم الست في ذي القعدة<sup>(١)</sup> وأنها داخلة في قوله **ﷺ**: «من صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال، فكأنما صام الدهر كله»،<sup>(٢)</sup>.

يقول الأخ عبد الله الحوطي: وقد راجعه الشيخ عبد الله الركبان **رحمته الله**، ولكن الشيخ أصرّ على رأيه وأفتعه بأن هذا هو ظاهر الحديث، وأنها أفطرت بعذر شرعي، فلما انتهى العذر أرادت الصوم فهو بالنسبة لها رمضان، فإذا انتهت أتبعته بستة أيام، فتعد من شوال، وتحصل على الأجر المترتب على هذا العمل الوارد في الحديث.

## عملية زراعة الوجه

كانت الفتاوى تأتيه **رحمة الله** من كل مكان وبالذات في النوازل الجديدة، ومنها أنه ورد سؤال من أمريكا حول إجراء أول عملية لزراعة الوجه في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(٣)</sup>، حيث تم استبدال نحو ٨٠٪ من وجه امرأة بوجه متبرعة متوفاة، وهذه العملية تعد الرابعة من نوعها في العالم.

وكان جوابه **رحمة الله** وافيا، فبين أن الأصل بالنسبة إلى الأشخاص الذين خلقهم الله، وولدوا على الخلق الطبيعي، أنه لا يجوز العبث في أعضائهم، فإن

(١) انظر الفتوى رقم ٨٧٥٢.

(٢) أخرجه مسلم في باب باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعا لرمضان من كتاب الصيام رقم ٢٨١٥.

(٣) انظر الفتوى رقم ١٧٧١٩.

ذلك داخل في تغيير خلق الله، الذي هو من وساوس الشيطان، كما ذكر الله عنه أنه قال: ﴿وَلَا ضَلَّئَنَّهُمْ وَلَا مَنِينَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَنبِتْ كَنْءَ أَذَانِكَ وَلَا تَمُرَّ بِهِنَّ فَلْيَغَيِّرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩]. وهكذا قول النبي ﷺ: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والواشرات والمستوشرات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله»<sup>(١)</sup>، وأن الإنسان يرضى بما خلقه الله عليه.

وأما إذا حدث اعتداء على الإنسان، وحصل تشوه في وجهه أو في شيء من بدنه، فلا مانع من علاج ذلك، فقد ثبت أن رجلاً من الصحابة اسمه «عرفجة» قطع أنفه في وقعة يوم الكلاب، فرخص له النبي ﷺ أن يركب أنفاً من ذهب، ليتم به الجمال، إذا وجد من يتبرع له بشيء من بشرته جاز ذلك دون تضرر للمتبرع ونحو ذلك.

### أكل اللحوم المستوردة

ومن الفتاوى التي لم تتغير طول حياته، رأيه في أكل اللحوم المستوردة من بلاد النصارى<sup>(٢)</sup> فإنه يرى أنه لا يجوز أكلها لقوة الشك في إباحتها، لأن الذبح عندهم يخالف غالباً الذبح الشرعي، فلا يذبحون الحيوانات بالسكين الحادة، ولا يذكرون اسم الله عند الذبح، فقد يذبحونها بالصعق الكهربائي. وقد يعلقون الطيور في أشربة حديد، فتمر وهي حية بماء يfli، فتنفس فيه لكي ينسلخ جلدها، وتخرج وقد ماتت. ثم يقطع رأسها بعد ذلك.

(١) هذا الحديث أصله في مسلم في باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله من كتاب اللباس والزينة برقم / ٥٦٩٥.

(٢) انظر الفتوى رقم ٢٩٠٨.



## حكم النشيد والتمثيل الهادف

من فتاواه التي خالف بها بعض المشايخ رأيه فيما يسمى بالنشيد الإسلامي، وفي التمثيليات الهادفة التي يمثلها الطلاب في نشاطاتهم، يقول في ذلك **رحمة الله**<sup>(١)</sup>: «يجوز الإنشاد إذا كانت تلك القصائد دينية إسلامية، ولا بأس بسماعها إذا كان فيها شيء من الحماس، الذي يبعث الهمم إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، ولكن لا يكون إلقاؤها كاللقاء الغناء، الذي فيه تغنج وتلحين ودفع لفعل الفواحش والمنكرات، كما يجوز التمثيل إذا كان هادفاً يستفيد منه الحاضرون، ويتصورون ذلك المثال، مما يكون له وقع في النفوس وتأثير في الحياة، مع أن الحاضرين يعلمون أنه ليس حقيقياً، وإنما قصد منه تقريب المعاني، ففي ذلك فائدة محسوسة، وأما إذا كان القصد منه التلهي والضحك وشغل الوقت في غير فائدة فنرى عدم الاستعمال له».

## فتوى لطيفة

من الفتاوى اللطيفة<sup>(٢)</sup>، أن امرأة أرسلت له سؤالاً عن جامع قبل الاغتسال من الحيض مباشرة، ثم أوقع الطلاق بعد الاغتسال. وكانت قد صاغت السؤال بما يشبه الشعر، أو هو أقرب للسجع منه للشعر، قالت فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أقسمت لأسألن الشيخ «ابن جبرين»  
عن تفسير آي من رب العالمين

(١) الفتوى رقم (٨٥٤).

(٢) الفتوى رقم (١٢٦٥٣).

بأول سورة الطلاق  
هل كان فيها من مختلفين!  
أن يقع طلاق بحائض  
أو من كانت بزوجها من المجتمعين!  
فأفتنا يا شيخنا فإني  
قد جبت الأرض مع الحيرانين  
وناديت زوجي مرارا  
أن يمسكني لأحيض ثم لأكون من الطاهرين  
فإن شاء أمسكني بجنبه  
أو يطلقني دون مساس إن كان من الكارهين  
فأوصاني ألا أتأسى بحديث ابن عمر  
لأن الأئمة في تفسيره من المختلفين  
وكيف لي بهذا؟! وقد طال حديث ابن الجوزي عنه  
ورواه خمس عشرة من الأئمة المشهورين  
ووضع أعلام الأئمة قاعدة فقهية  
أن الشك ليس له شأن بزوال اليقين  
و عندما جادلت زوجي  
أبى إلا كلام «ابن جبرين»  
فأجبتنا يا شيخنا وتحرى الصواب  
سألت الله أن يجمعنا في عليين  
• فأجابها رَحْمَةُ اللهِ على منوال سؤالها فقال في الجواب:  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين





وبعد... فإن الله أباح الطلاق بين المختلفين  
 للتخلص من الاجتماع الذي يدنس ويشين  
 فجعل فيه خلاصاً عندما يكون لزوجته من الكارهين  
 فإذا أوقع الطلاق بها وكان من المتعمدين  
 ولم يكن في زوجته من الراغبين  
 فإن هذا الطلاق يقع بها وتبين  
 ولو كانت حائضاً أو كانت لزوجها من الجامعين  
 وهذا الطلاق من البدع في الدين  
 ولكن يعاقب فيقع به عند الأئمة المشهورين  
 فإن كان طلاقاً واحدة فلعله يكون من المتراجعين  
 وإن كان ثلاثاً فإنها منه تتفصل وتبين  
 ولا تحل له حتى تنكح زوجاً من الراغبين  
 ثم تطلق منه ويباح بعده كونهما من المجتمعين  
 وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين

### وماذا عن التأليف؟

التأليف أحد الأوعية المهمة التي يحفظ بها العلماء علمهم، ولقد ترك  
 العلماء المسلمون تراثاً ضخماً شاهداً على بذلهم للعلم وحرصهم على تبليغه،  
 ولا شك أن تلاميذ العلماء كان لهم جهد أيضاً في حفظ علم شيوخهم، فليس  
 كل عالم يوهب ملكة التأليف أو يتفرغ لها، بل كان بعض العلماء مشغولاً  
 بمهمات أخرى كالقضاء والإفتاء والتدريس، ربما رأى أهميتها من مثله  
 للناس، فقدمها على التصنيف، فكان تلاميذه يقيدون علمه من دروسه  
 وأماله، كما فعل أبناء الإمام أحمد وتلاميذه.



ولقد كان الشيخ الوالد رحمته الله من هذا الصنف فمع ما وهبه الله من ملكة في التأليف إلا أن عطاءه في التدريس والإفتاء كان هو الأغلب، فلذا قلت المؤلفات التي كتبها، فقام عدد من طلابه وغيرهم بتفريغ بعض دروسه ومحاضراته وطبعها في كتب كان لها القبول والتأثير.

وسنعرض هنا لأبرز المعالم عنده في ميدان الكتب والمؤلفات تصنيفاً وتحقيقاً وتصحيحاً وتعليقاً، مما انفرد به أو شارك فيه غيره، مما كتبه هو أو حرره تلاميذه وغيرهم، وسنبداً ببداية الكتابة والتأليف عنده رحمته الله وتسلسل ذلك، ثم نشير إلى منهجه في التأليف والتصنيف، ثم نشير إشارة لجهود تلاميذه في إخراج علمه ونشر كتبه.

### بداية الكتابة والتأليف وقصة رحلة الشمال

إن أول مستند مكتوب بين أيدينا للشيخ الوالد رحمته الله هو رحلة الشمال، فقد ذكرنا أنه رافق شيخه أبو حبيب في رحلة دعوية إلى شمال المملكة استغرقت أربعة أشهر، وكان الشيخ الوالد أحد الدعاة في هذه الرحلة، يشارك في الوعظ والتعليم، ويقرأ على شيخه في أوقات الراحة، ومن لطيف ما صنعه أنه كان يكتب يومياته في هذه الرحلة ويسجلها بدقة متناهية، يذكر البلاد وسكانها وأمرائها وقضاتها ووجهاءها، ويذكر الأحداث والوقائع، ويصف وصفاً دقيقاً كل ما يراه في يومه وليلته، وجاءت أوصافه على سجيته صاغها بأسلوب سردي أثر في صياغتها تكوينه العلمي وبيئته الدينية، وكان الشمال إذا ذاك ينتشر فيه الجهل وتكثر فيه المنكرات، فكان هذا مثيراً للوالد رحمته الله وهو الذي قد نشأ في بيئة دينية ووسط محافظ تنتشر فيه السنة، ولا يتجرأ أهل المنكرات على إظهارها، ولهذا تلحظ في بعض عبارته الحدة، ويظهر





فيها الامتعاض والأسف والأسى على الواقع الذي يعيشه القوم هناك، ويسجل ملحوظاته وتعليقاته على الأشخاص مما جعل هذه اليوميات يصعب نشرها كما هي، بسبب أنه كان يكتب لنفسه لا لغيره. وقد جاءت هذه المذكرات في خمسة دفاتر، كان يسميها الأعداد حيث يسجل في أول كل دفتر رقم عدده. وقد احتفظ بها مع كتبه وأوراقه، لكن المطر في إحدى السنوات أصاب كثيرا منها، حينما كان يسكن *زعمه الله* في أحد البيوت الطينية في الرياض، فوكف السقف وخر الماء عليها وعلى غيرها، مما جعل حبر بعض أوراقها يذهب أو يخف، ولقد أحزن هذا الأمر الوالد لأنها كانت عنده نفيسة، ولم يشتغل بإصلاحها إلا في آخر حياته، حينما عرض عليه الدكتور محمد الشثري طباعتها، فحاول إصلاح بعضها، وكان - كما هو معروف - قد أنعم الله عليه بذاكرة عجيبة. فكان يذكر أحداث الرحلة كأنما هي اليوم أو أمس، فاستدرك مواضع مما طلبه منه الدكتور الشثري، ثم طبع الدكتور مختصرا لها سماه العذب الزلال في اختصار رحلة الشمال، وكان الدافع للاختصار حذف ما قد يسبب حساسية مما يمس الأشخاص أو القبائل، وحذف التكرار والزيادات التي لا حاجة لها، وقد رأيت أن الاختصار قد أفقدها روحها وطعمها، فعرضت على الوالد *زعمه الله* النظر فيها لإعادة طبعتها كما هي، لأنها تحكي مرحلة من مراحل التاريخ التي مرت بها بلادنا حماها الله، ولا شك أن منطقة الشمال تغيرت الآن، وانتشر فيها الوعي والعلم، وصار بعض أبنائها أعلاما في العلوم الدينية والدنيوية، ولا يضير أن يكتب التاريخ عن مرحلة مرت بها البلاد. فهذا مما لا يقدح فيها ولا في أهلها، فإن أهل نجد عاشوا في مدة من الزمن حياة جهل وظلام قبل مجيء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بل كانوا يعبدون



الأحجار والأشجار كما هو معروف، بل إن العرب قبل مجيء النبي ﷺ كانوا في جاهلية جهلاء وظلمة عمياء، ثم أصبحوا أعلام الدنيا ومصاييح الدجى. طبعنا هذه الرحلة كاملة، وقرأها الوالد رحمه الله كلها وصححها وكملها، وكتب لها مقدمة، حيث لم يذكر في الدفاتر مقدمات الرحلة، ولعل الله أن ييسر طبعها عما قليل، وسنحاول عدم ذكر ما يجرح أو يشين شخصا بعينه. وتعد هذه الرحلة من مثله في عصره من الغرائب يقول الشيخ خضر بن صالح بن سند<sup>(١)</sup>: «ومن العجائب أنه سجل يوميات رحلته مع شيخه أبو حبيب لزيارة قرى وهجر شمال المملكة في عام (١٢٨٠)، وطبعت هذه الرحلة بعد خمسين سنة. وفن الرحلات لم يكن من الفنون التي يدونها بالتفصيل علماء نجد آنذاك، وهي رحلة مائعة يذكر فيها معاناة الصحراء، وصفة البدو والقبائل، ويذكر فيها الفوائد العلمية والنفيسة التي مرت بهم في الرحلة».

### التعليقات على متن اللمعة

في عام ١٣٩١ هـ قام رحمه الله بتدريس متن لمعة الاعتقاد لابن قدامة لطلاب معهد إمام الدعوة العلمي، وكتب عليها أسئلة وأجوبة مختصرة تتلاءم مع مقدرة أولئك الطلاب في المرحلة المتوسطة، وبقي هذا الكتاب حبيس الأدراج، حتى اقترح بعض طلاب العلم القيام بطبعها، فطبعت بعنوان (التعليقات على متن لمعة الاعتقاد) في عام ١٤١٢ هـ، وحيث إن ابن قدامة في اللمعة وقع منه ألقاظ في بعض المواضع فهمت على غير وجهها حول موضوع التفويض في معاني الصفات، فقد وقع في هذه النسخة أخطاء حيث تابع الوالد رحمه الله ظاهر المتن والأدلة، وبعد الطباعة انتبه لذلك فأعيد طبعها، واستدرك ذلك<sup>(٢)</sup>.

(١) <http://www.ahlalhdceeth.com/vb/showthread.php?t=175729>

(٢) سيرة الشيخ في موقعه رحمه الله





## أخبار الأحاد

في عام ١٣٩٠هـ أنهى الوالد رحمة الله مرحلة الماجستير، وحيث يكلف كل طالب أن يكتب رسالة، كتب الوالد رحمة الله رسالة بعنوان (أخبار الأحاد في الحديث النبوي) وأشرف عليها الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمة الله وناقشها كل من: الشيخ مناع القطان والشيخ حسنين مخلوف، ومنح الماجستير بتقدير امتياز، وقد طبع هذا البحث في عام ١٤٠٨هـ في مطابع دار طيبة ثم أعيد طبعه مرارا، وهو موجود مشهور.

## التدخين مادته وحكمه في الإسلام

هذه هي التجربة الرابعة التي بين أيدينا مما كتبه الوالد رحمة الله، فقد رشح للمشاركة في مؤتمر في الجامعة الإسلامية في عام ١٣٩٨هـ يتعلق بمشكلة المسكرات والمخدرات، فشارك يبحث بعنوان (التدخين مادته وحكمه في الإسلام)، وهو بحث متوسط، وفيه فوائد وأحكام نفيسة، وقد أعجب به المشايخ المشاركون، وقد طبعته مطابع دار طيبة، ثم أعيد طبعه عدة طبعات، وهو مشهور متداول وإن كان مختصرا، لكن حصل به فائدة كبيرة، حيث جمع في الدخان ملخصا لما قاله علماء الشريعة وعلماء الطب والصحة.

## تحقيق شرح الزركشي على مختصر الخرقى

رغب الشيخ محمد بن عبد الله الجميح بإشارة بعض المشايخ في طباعة كتاب نفيس للعنابلة هو شرح الزركشي على مختصر الخرقى، ويعد من كتب المذهب المهمة، التي اهتمت بجمع الروايات عن الإمام أحمد وكلام الأصحاب، وقد أشار الشيخ محمد بن الأمير بتكليف الوالد رحمة الله

بالعمل في الكتاب، وحينما عرض عليه أبدى موافقته، فبدأ في حوالي سنة ١٤٠٠هـ فجمع مخطوطات الكتاب التي قاربت الخمس، وكان يكمل بعضها بعضا لوجود نقص في كثير منها، وبدأ مقابلة المخطوطات مع بعض تلاميذه، ومكث في ذلك قريبا من العام، ثم شرع في تحقيق الكتاب، وقد لقي فيه صعوبة لسعة الكتاب وكثرة نقوله وندرة الكتب التي نقل عنها، وعدم بعض المراجع للأحاديث التي يستشهد بها، معتمدا على كتب الفقهاء، التي لا تعزو الأحاديث إلى مخرجها، فيحتاج إلى بحث في كتب الفهارس والتخريج، التي تذكر المشهور من الأدلة دون النادر منها، ولكن الله أعانه على كثير منها، وحصل منه توقف في بعضها الذي فقدت أصوله كأول سنن سعيد بن منصور وكسنن الأثرم ومسند إسحاق ونحو ذلك، ولو وجد من ينقلها لكن مع قصور واختصار.

وقد اعتنى في هذا الشرح بتخريج الأحاديث والآثار الكثيرة التي يوردها الشارح وقام بترقيمها، فبلغ عددها كما في آخر المجلد السابع ٣٩٣٦ وإن كان فيه تكرار قليل وقد بذل جهدا في هذا التخريج بمراجعة الأمهات وكتب الأسانيد التي تيسر له الرجوع إليها، وكان يذكر موضع الحديث من الكتاب برقمه أو بالجزء والصفحة، ويذكر اختلاف لفظ الحديث إن كان مغايرا لما ذكره الشارح. ويذكر من صحح الحديث أو ضعفه من المتقدمين: كالترمذي والحاكم والذهبي وابن حجر والهيتمي، إلا إن كان في أحد الصحيحين للثقة بهما.

وقد تقدم ببعضه بإشارة بعض المشايخ لنيل درجة الدكتوراه في عام ١٤٠٧هـ كما ذكرنا فمنحها، ثم أكمل تحقيق باقيه، وطبعه الجميع ووزعه على طلبة العلم، فتنفع الله به كثيرا، لما فيه من العناية بالفقه والحديث، ثم طبع بعد ذلك مرتين أو ثلاثا.



وممن أعجب به الشيخ الدكتور بكر أبو زيد، الذي اقترح أفراد الأحاديث مع تخريجها في كتاب مستقل، وكذا غيره من العلماء وطلاب العلم والأدباء ونحوهم<sup>(١)</sup>.

### الجواب الفائق في الرد على مبدل الحقائق

في عام ١٤٠٢ هـ رفع إليه **رحمة الله** كلام لبعض علماء مصر ينكر فيه إثبات الصفات، ويرد الأدلة ويتوهم أنها توقع في التشبيه، وكذا يميل إلى الشرك بالقبور ويمدح الصوفية، وقد لخص كلامه بعض الإخوان في أربع صفحات وأرسلها لمناقشتها، فكتب عليه جوابا وافيا، وتتبع شبهاته وبين ما وقع فيه من الأخطاء، بعبارة واضحة ومناقشة هادئة، وطبع ذلك البحث في العدد التاسع من مجلة البحوث الإسلامية التي تصدرها دار الإفتاء، ثم أفرده بعض طلابه بالطبع في رسالة مستقلة بعنوان (الجواب الفائق في الرد على مبدل الحقائق). ثم طبع مرة أخرى، وهو موجود متداول.

### الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما

في عام ١٤٠٦ هـ كتب بحثا لطيفا يتعلق بمعنى الشهادتين وما تستلزمه كل منهما، وطبع في العدد السابع عشر من مجلة البحوث الإسلامية التي تصدرها إدارة الإفتاء، ثم أفرده بعض تلاميذه بالطبع بعنوان (الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما) وطبع في عام ١٤١٠ هـ في مطابع دار طيبة، ثم طبع بعدها وترجم إلى عدة لغات.

(١) راجع سيرة الوالد **رحمة الله** في موقعه الإلكتروني.

## جمل رفيعة حول كمال الشريعة

لما أراد القائمون على موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم طباعتها، طلبوا منه **رحمة الله** مقدمة تتوج بها الموسوعة، فكتب مقدمة إضافية في عدة صفحات حول كمال الشريعة الإسلامية، وقد رأى بعض تلاميذه أفرادها لنفاسها، فأفردت في رسالة صغيرة.

وهناك كتب أخرى كتبها في مناسبات مختلفة بعضها بحوث لمجلة البحوث الإسلامية التي تصدر عن إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ومنها:

١- الرأي السديد إذا وافق يوم الجمعة العيد.

٢- تربية الأجيال وتنشئة الأطفال.

٣- بحث في التوحيد.

٤- الحسد.

## بحوث لم تطبع في حياته **رحمة الله**

كتب **رحمة الله** بحوثاً أخرى قصيرة لم يتح المجال لطبعها في حياته **رحمة الله**، وهما بحثان:

بحث عن حياة الشيخ ابن باز **رحمة الله** وجهوده شارك به في مؤتمر باسم: «ندوة الشيخ ابن باز وجهوده في العمل للإسلام والدعوة إلى الله» المقامة في جامعة الملك خالد في أبها من ١٨-٢٠/٨/١٤٢١هـ.



بحث حول الفتوى وضوابطها، شارك به في مؤتمر «الفتوى وضوابطها»، الذي نظمه المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في العشرين من محرم ١٤٣٠هـ في مكة المكرمة.

رسالة بعنوان أحكام القسم بين الزوجات.

فهذه أبرز المصنفات التي كتبها رحمه الله تعالى

### كتب الشيخ الأخرى رحمه الله

تعد الكتب التي صنفها رحمه الله استقلالاً قليلة بالنظر إلى عدد العناوين التي طبعت له رحمه الله، فقد جاوز المطبوع له مائة وخمسين كتاباً، قام على إعداد معظمها للنشر والطباعة تلاميذه وبعض طلاب العلم الحريصين على نشر علمه، وهذه الكتب يمكن تقسيمها إلى أربع مجموعات: شروح الكتب المفرغة من الدروس، والمحاضرات المفرغة، والفتاوى، والكتب المختارة من دروسه ومحاضراته ولنبدأ في إعطاء لمحة عنها.

### شروح الكتب المفرغة من الدروس

عرفنا أن الوالد رحمه الله كان من المكثرين من الدروس العلمية بشكل لم يعرف له نظير في العصر الحاضر، حتى إنه يجلس للطلاب حوالي أربعين ساعة في الأسبوع، ولقد سجل له الكثير من الدروس كما عرفنا ذلك من قبل، وكان درسه مليئاً بالفوائد الفرائد واللطائف والمعارف، يبنيه على التأصيل، ويقيمه على الدليل، ويوشحه بالمنهاج الأصيل، ويحليه بالأدب والمنطق الجميل، ولهذا كثر طلابه وتنافسوا في القراءة عليه.

كانت هذه الدروس وبخاصة في سنواته الأخيرة تسجل، فاحتسب عدد من طلاب العلم من تلاميذه وغيرهم ففرغوا بعضها وقابلوه وراجعوه، ثم عرضوه على الوالد رحمة الله فراجعه أيضا، وكمل ما يحتاج إلى تكميل مما نقص، أو لم يكن واضحا فطبع له العديد من الكتب، ومن أبرزها:

١- الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد.

٢- إبهاج المؤمنين بشرح منهج السالكين (مجلدان).

٣- التعليقات الزكية شرح العقيدة الواسطية (مجلدان).

٤- الدرر المبتكرات في شرح أخصر المختصرات (أربعة مجلدات).

٥- السبك الفريد في شرح كتاب التوحيد (مجلدان).

وهناك غيرها لكنها أردنا التمثيل، وسنرفق في ملحقات هذه السيرة قائمة بكل كتبه رحمة الله، وقد توفي رحمة الله وعدد من تلاميذه يعمل على بعض كتبه نشر بعضها، والبقية في الطريق، ومنها شرح العقيدة الطحاوية (طبع في خمسة مجلدات)، وشرح زاد المستقنع، وشرح بلوغ المرام، وشرح عمدة الأحكام، وغيرها.

### المحاضرات المفرغة

لقد عرف رحمة الله بالسماحة والسهولة، ولهذا كان يرتب له طلابه ومحبه محاضرات في مساجد في داخل الرياض وفي خارجها في مواضيع متعددة، ويتم تسجيلها، وقد بلغ ما وجدنا منها أكثر من أربعمائة محاضرة، ثم إن بعض طلاب العلم اهتم بنسخ بعضها وإعداده للطبع، وكان من أول ما طبع له





رسالتان الأولى بعنوان (الإسلام بين الإفراط والتفريط) في ٥٩ صفحة، والثانية بعنوان (طلب العلم وفضل العلماء) في ٥١ صفحة، وكلاهما طبع عام ١٤١٣هـ.

وفي عام ١٤١٩هـ ألقى محاضرة قيمة بعنوان: عمارة المساجد فضلها وأحكامها، في جامع جامعة الملك سعود فطلب منه وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الإذن لهم بطبعها فراجعها ورتبها ثم أرسلها لهم.

ثم بعد ذلك تتابع طبع هذه المحاضرات في كتيبات صغيرة، ومنها:

١- السحر، حقيقته وطرق الوقاية منه.

٢- فتن هذا الزمان وكيفية مقاومتها.

٣- فضل الصحابة وذم من عاداهم.

٤- الآداب والأخلاق الشرعية.

٥- الكسب الحلال أهميته وآثاره.

وهناك غيرها لكنا - كما ذكرنا - أردنا التمثيل، وسنرفق قائمة بكل

كتبه رحمه الله.

## الفتاوى

كان رحمه الله كما عرفنا فاتحاً قلبه وبيته وصدوره للمستفتين والسائلين، وكانت الفتاوى تأتيه من كل صوب، فيفتي في مكتبه لما كان في الإفتاء وفي بيته وفي المسجد وفي الطريق وفي المحاضرات وفي الدروس وعبر الهاتف وعبر الإنترنت.

وكان قديما يكتب بقلمه على الفتوى، وقد تفرقت كثير من فتاواه في أيدي الناس، ولم يبدأ في حفظ صور منها إلا متأخرا، وكذلك كثير من فتاواه الشفوية لم تسجل أو تقيّد.

ومع هذا فقد حفظ من فتاواه الكثير، ونقدر أن عندنا ما يقرب من خمسين ألف فتوى ما بين مكتوب ومسجل.

وكان أول من اقترح عليه حفظ صورة من الفتاوى الأخ عبد الله الحوطي، الذي كان يعمل في مكتبه في الإفتاء، يقول الأخ عبد الله<sup>(١)</sup>: «في بداية عملي مع الشيخ اقترحت عليه رحمه الله بأن يتم تصوير الفتاوى التي تصدر منه لنشرها، حتى تعم الفائدة لعموم الناس، فوافق الشيخ على هذا الاقتراح، فسررت بذلك فقمت بتصوير وطباعة وترتيب الفتاوى التي تصدر من الشيخ بالتعاون مع أحد طلبة العلم، وبعد أن أجازها قمت بإخراجها في كتابين ولله الحمد، ومنها كتاب أسميناه (النخبة من الفتاوى النسائية) والكتاب الآخر (اللؤلؤ المكين لفتاوى ابن جبرين)، وهما موجودان حاليا في المكتبات».

وقام عدد من طلابه بعد ذلك بإخراج عدد من الكتب تحوي فتاوى في موضوعات متخصصة، كانوا يقدمون فيها أسئلة له رحمه الله، فيجيب عنها ثم يستأذونه في نشرها ومنها:

- ١- مائة سؤال وجواب في العمل الخيري.
- ٢- الأجوبة الفقهية على الأسئلة التعليمية التربوية.
- ٣- الفتاوى الشرعية في المسائل الطبية (جزءان).
- ٤- فتاوى وأحكام في نبي الله عيسى عليه السلام.
- ٥- المفيد في تقریب أحكام المسافر.

(١) جريدة عكاظ الخميس ١٤/٠٨/١٤٢٠ هـ ٦ أغسطس ٢٠٠٩م، العدد: ٢٩٧٢.



كما قام أحد طلاب العلم بنشر كتاب جمع فيه الفتاوى الفقهية على كتاب عمدة الأحكام، التي كان يسأل عنها الوالد رحمته الله في درسه في كتاب عمدة الأحكام.

وقد نشط الدكتور طارق الخويطر في آخر حياة الوالد رحمته الله في نشر كتيبات تحوي فتاوى له في موضوعات متخصصة، ومنها:

١- فتاوى في المسح على الخفين.

٢- فتاوى في الجنائز.

٣- فتاوى في الصيد.

٤- فتاوى في الطهارة الشرعية.

٥- فتاوى المدينة النبوية.

والكتب التي تحوي فتاوى الوالد رحمته الله تزيد على خمسين كتابا، لكننا هنا أردنا التمثيل كما بينت ذلك.

### الكتب المختارة من دروسه ومحاضراته

تعد الكتب السابقة كتبا محضة للوالد رحمته الله، وجهد من قام عليها من طلاب العلم منحصر في متابعة الطباعة ومراجعة الصف، ونحو ذلك من الأمور الإجرائية، وليس لهم جهد علمي في ذلك.

أما هذا القسم من الكتب فهو عبارة عن تصنيف، حيث يقوم الباحث باختيار موضوع معين، ثم يجمع من تراث الوالد رحمته الله المطبوع والمسموع بعض ما يتعلق بالموضوع، وبعد الانتهاء من الترتيب يراجع الوالد رحمته الله ويقره.

ومن أبرز الذين كانوا يسلكون هذا المسلك الشيخ علي أبو لوز، حيث أعد كتباً عديدة بهذه الصورة، ومن أمثلة الكتب في هذا النوع:

- ١- السراج الوهاج للمعتمر والحاج.
  - ٢- بعض المخالفات المنتشرة في الحج.
  - ٣- الصيام آداب وأحكام.
  - ٤- الإعلام بكفر من ابتغى غير الإسلام.
  - ٥- الحلول الشرعية للخلافات والمشكلات الزوجية.
- وإضافة لما ذكر فقد صدر عنه رحمته الله بعض الفتاوى المهمة والنصائح القيمة، التي كانت تنشر على شكل مطويات بكميات كبيرة، فتوزع مجاناً وتباع، وكانت في موضوعات متعددة، ومن أشهرها:

- ١- الدور الحقيقي لإمام المسجد.
- ٢- أبنائي الشباب هذه نصيحتي.
- ٣- أحاديث وعظات في فضل التبكير إلى الصلوات.
- ٤- فضل أيام عشر ذي الحجة.
- ٥- خطبة الجمعة.

### جهوده رحمته الله في تصحيح الكتب

هذا الجانب كما يلاحظ ليس جانب تصنيف، بل هو جانب تصحيح ونشر، ولقد كان له رحمته الله جهود مستقلة في مراجعة بعض الكتب لطبيعتها، وجهود مشتركة مع بعض العلماء، فمن الجهود المستقلة:

- ١- تصحيح كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان لمحمد بشير السهسواني الهندي.





وهذا الكتاب قام فيه المصنف رحمته الله تعالى بالرد على الشيخ دحلان في كتابه: ( الدرر السنية في الرد على الوهابية ) ، فاتبع ما عنده من أخطاء بالدليل والبرهان، ويقع في خمسمائة وستين صفحة.

وحيثما رغب آل الجميح في إعادة طبعه عهدوا للوالد رحمته الله بمراجعته وتصحيحه فطبع في عام ١٢٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، وكانت تلك هي الطبعة الخامسة على نفقة عبد العزيز ومحمد العبد الله الجميح، وقفا لله تعالى.

وقد ألحق الوالد رحمته الله في هذه الطبعة تعليقات مهمة للشيخ إسماعيل الأنصاري رحمته الله وغيره

٢- كتاب تبين العجب فيما ورد في شهر رجب لابن حجر رحمته الله.

وهو كتاب مشهور طبع عدة مرات، وقد رغب سمو الأمير بندر بن عبدالعزيز آل سعود في طبعه طبعة خيرية، وعرض على الوالد رحمته الله تصحيح هذه الطبعة ففعل ذلك، وطبع في عام ١٤٠٠ هـ على نفقته بالمطابع الأهلية للأوقفت في الرياض، ويقع في ثمان وثلاثين صفحة من القطع الصغير.

أما الجهود المشتركة فنشير إلى ما اطلعنا عليه من ذلك.

١- المشاركة في تصحيح فتح الباري لابن حجر رحمته الله

يقول الوالد رحمته الله متحدثاً عن مشاركته في مقابلة فتح الباري <sup>(١)</sup>، حيث كان يشارك في مقابلة نسخ فتح الباري بإشراف الشيخ ابن باز رحمته الله قبل أن ينتقل الشيخ للمدينة، ابتدأ في تصحيح فتح الباري مع مجموعة من طلاب العلم، وأحضروا ثمان نسخ مخطوطات ومطبوعات يقابلونها، يقرأ أحدهم ثم

(١) صفحات من حياتي الحلقة الرابعة.

ينظر إذا اختلفت النسخ، ويقول: أثبتوا نسخة كذا وكذا. نحضر معه أحيانا في هذه المقابلة إلى أن قطع شوطا من التصحيح، يعني قريبا من ثلاثة أجزاء إلا ربع كما هو معروف. ولما تولى في المدينة الجامعة الإسلامية انشغل كثيرا». وقد استمرت هذه المقابلة حوالي خمس سنين، لأنها لا تكون كل يوم، وذلك من سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف إلى سنة ثمانين في بيت الشيخ رحمه الله<sup>(١)</sup>.

## ٢- المشاركة في تصحيح فتاوى ابن تيمية

كان من جهود الشيخ الوالد رحمه الله في هذا المجال مساعدة الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في إكمال فتاوى ابن تيمية التي بدأها والده وطبع كثير منها في حياته، يقول الوالد رحمه الله عن ذلك<sup>(٢)</sup>: «كلفه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، بالإشراف على طبع ما بقي من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، التي كان قد اشترك مع أبيه في جمعها وتصحيحها وترتيبها وطبعها في مطابع الرياض في حدود سنة تسع وسبعين، وحيث بقي منها الخمس مجلدات الأخيرة، فقد كلفه الشيخ أن يُشرف على طبعها بمكة في مطبعة الحكومة، فسافر بأولاده في حدود سنة ست وثمانين أو قبلها، وقام بطبع وتصحيح المجلدات الخمسة الأخيرة، ثم اشتغل بالفهارس العامة، وطلب مساعدتي له في الإجازة الصيفية، فاشتركت معه في عمل الفهارس في الإجازة سنة سبع وثمانين، وثمان وثمانين».

يقول الدكتور يوسف بن أحمد القاسم<sup>(٣)</sup>: «قام الشيخ ابن جبرين بجهد مشكور في مقابلة نسخ مجموع الفتاوى وقت إعدادها للطباعة مع مجموعة

(١) رحيل العلماء خطبة جمعة للشيخ محمد المنجد من موقع إمام المسجد  
<http://www.alimam.ws/ref/1822>

(٢) الفتوى رقم ٧٦٢.

(٣) [http://www.aleqt.com/2009/07/article\\_252730.html/16](http://www.aleqt.com/2009/07/article_252730.html/16)



من المشايخ منهم الشيخ غييب الغييب ، والشيخ سالم الدخيل رحمهما الله ، والعم محمد بن قاسم، والوالد رحمهما الله تعالى جميعاً.

٢- تصحيح كتابي حاشية كتاب التوحيد، والجزء الرابع من الإحكام شرح أصول الأحكام كلاهما لابن قاسم رحمته الله.

قام رحمته الله، هو والشيخ سعد ابن الشيخ عبدالرحمن بن قاسم بمقابلة بعض كتب الشيخ وذلك في عام ١٣٩٦هـ، ومنها كما ذكر في العنوان: حاشية كتاب التوحيد، والجزء الرابع من الإحكام شرح أصول الأحكام، حيث إن الأجزاء الثلاثة قد راجعها الشيخ ابن قاسم قبل وفاته رحمته الله، وقد استمر في ذلك قرابة العام.

٤- تصحيح كتاب حاشية الروض المربع لابن قاسم رحمته الله

قام أيضاً هو والشيخ سعد بمقابلة ومراجعة حاشية الروض المربع، مع مقابلة متن الروض المطبوع على الروض المخطوط، منذ عام ١٣٩٧هـ، ولمدة أربع سنوات. وكانا يقومان بالمقابلة والمراجعة في مسجد الأمير ناصر في حي دخنة المعروف بمسجد آل حماد، وذلك من صلاة العصر إلى صلاة المغرب، ولما هدم في سنة ١٣٩٧هـ انتقلا لجامع ابن عتيق بقرب بيت الوالد رحمته الله، وأحياناً يجتمعان يوم الخميس في بيت الوالد رحمته الله لهذا الغرض، حتى أنهيا الكتاب، وهياه للطباعة.

يقول الدكتور يوسف بن أحمد القاسم<sup>(١)</sup>: «وقد لاحظت العم - حسبما ذكر لي - نباهة الشيخ، وقوة حفظه، حيث كان يستشكل بعض المسائل، ويلاحظ خللاً في السياق، فإذا راجعا الأصل، وجدا أن هناك خطأ ما، يحتاج إلى تعديل، حسبما فطن له الشيخ رحمته الله».

(١) [http://www.aleqt.com/2009/07/16/article\\_252730.html](http://www.aleqt.com/2009/07/16/article_252730.html)

ويقول الدكتور عبد المحسن العسكر: «ذكر لي الشيخ سعد ابن الشيخ العالم عبد الرحمن بن قاسم، قال: لما توفي والدي كانت حاشيته الكبيرة على الروض المربع مخطوطة، وكثير منها على هيئة مسودات، فجئت إلى الشيخ ابن جبرين فأخبرته بحاجتها إلى التصحيح والمقابلة، وأبدت له رغبتى في أن يساعدني، وأن العمل ضخيم، فرحب بذلك، ومكثنا أربع سنين وبضعة أشهر، نصح كل يوم من العصر إلى المغرب. حتى انتهى الكتاب مطبوعاً».

### الإشراف على الرسائل العلمية ومناقشتها

ومما يقرب من التصنيف الإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه ومناقشتها، فقد كانت كليات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تعهد له كثيراً بالإشراف والمناقشة، حينما كان في كلية الشريعة وبعد انتقاله للإفتاء وحتى بعد تقاعده، وتعهد له أيضاً بذلك جامعات أخرى لكن ذلك قليل، فيقوم رَبِّهِ بما يقوم به المشرفون على الرسائل العلمية، وقد يجتمع عنده ثلاث رسائل أو أربع، فيقرأ ما يقدمه الطالب من بحثه كل شهر، ويبين ما فيه من خطأ ونقص، ويجتمع به غالباً كل أسبوع، ويقوم بتوجيه الطالب وإرشاده إلى مراجع البحث في الأمهات أو نحوها، ويرفع عنه للجامعة تقريراً عن سيره وما يعوقه، وفي النهاية يكتب تقريراً عن رسالته ومدى صلاحيتها وتتم المناقشة وتقويم الرسالة بإشرافه، كما هو معروف في مثل هذه القضايا.

ومن الرسائل التي أشرف عليها لمرحلة الدكتوراه:

١- العقوبات التبعية في الفقه الإسلامي، للطالب فهد بن عبدالعزيز بن سلمة

عام ١٤٠٩هـ في الجامعة الإسلامية.



٢- التبرك: أنواعه وأحكامه، للطالب ناصر بن عبدالرحمن الجديع عام ١٤١٠هـ.

٣- جابر بن عبد الله وفقهه، للطالب موسى بن علي بن محمد الأمير عام ١٤١١هـ.

٤- تطبيقات القواعد والضوابط الفقهية في مجال الأحوال الشخصية، للطالب سعود بن عبد الله بن عبدالرحمن الغديان عام ١٤١٢هـ.

٥- النكول وأحكامه في الفقه الاسلامي، للطالب عبد العزيز بن عبدالرحمن العجلان عام ١٤١٦هـ.

ومن الرسائل التي أشرف عليها لمرحلة الماجستير:

١- الشهادتان: حقيقتهما وأثرهما، للطالب محمد يوسف بن سنيك عام ١٤٠٢هـ.

٢- العقد الثمين في شرح أصول الدين، لابن غنام تحقيق إبراهيم يوسف الماس عام ١٤٠٣هـ.

٣- القواعد الكلية للأسماء والصفات، للطالب إبراهيم بن محمد البريكان عام ١٤٠٤هـ.

٤- التوسل أنواعه وحكمه، للطالب عبدالكريم بن محمد الحميدي عام ١٤٠٤هـ.

٥- العين والأثر في عقائد أهل الأثر، لعبد الباقي الحنبلي تحقيق: راشد بن حمد الطيار عام ١٤٠٥هـ.

٦- الابتهاج في الكلام على الإسراء والمعراج، للإمام نجم الدين السكندري الفيضي تحقيق ودراسة عمر بن سعود بن فهد العيد عام ١٤٠٥هـ.

٧- التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ على الاتفاق والتفرد، لابن منده القسم الأول تحقيق ودراسة موسى عبدالعزيز الفصن عام ١٤٠٦هـ.

٨- التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ على الاتفاق والتفرد، لابن منده القسم

الثاني تحقيق ودراسة: محمد عبدالله الوهبي عام ١٤٠٦هـ.

٩- الجاهلية بين القديم والحديث، للطالب عبدالله بن سليمان العميريني

١٤٠٧هـ.

١٠- الشرك الأكبر حقيقتها وحكمه وأنواعه، للطالبة أسماء بنت عبدالعزيز

السلمان.

كما قام بمناقشة العديد من الرسائل، وكان بيدي ما لديه من

الملاحظات عند مناقشة الرسالة كالمعتاد، وكان الطلاب يحرصون على

مناقشته لما يعرفون عنه من العلم والأدب والسماحة.

ومن الرسائل التي ناقشها رسالة الموالاتة والمعاداة في الشريعة الإسلامية

للطالب محماس الجلعود، وكان المشرف عليه زميله وصاحبه الشيخ فهد بن

حمين رحمه الله، وشاركهما المناقشة الشيخ عبدالرحمن البراك حفظه الله.

ومن الطلاب الذين ناقشهم الوالد رحمه الله سلمان العودة في عام ١٤٢٣هـ

يقول الدكتور سلمان حفظه الله عن ذلك<sup>(١)</sup>: «عند المناقشة دهشت، لأن الرسالة

في الحديث والتخريج، وجدت شيئاً عجبياً، وأنا الذي أظن أنني متخصص في

هذا العلم، وفي هذا الباب على وجه الخصوص، وجدته يتعقب في أشياء غاية

في الدقة، مثلاً أقول: هذا الكتاب مخطوط، فيقول: الكتاب طبع عام كذا، وهو

موجود عندي».

وكانت تعهد له المجالات العلمية المحكمة ومراكز البحوث في الجامعات

بفحص بعض البحوث المقدمة لها، ويكتب كالمعتاد بعد قراءة البحث

(١) قناة دليل.



ملحوظاته وتوجيهاته وهذا أنموذج لما كتبه عن أحد البحوث، ولسرية ذلك فلن نذكر اسم البحث ولا الباحث، يقول **رحمته الله** بعد الديباجة: «بعد قراءة كلا الباحثين تبين لي ما يأتي:

البحث الأول طويل، استوفى فيه الباحث الموضوع، ويلاحظ عليه ما يأتي: الاستطراد والتوسع كمادة أهل البحوث بذكر مسائل قد لا يسبق إلى الفهم صلتها بالموضوع إلا من بعيد.

التكرار لبعض القواعد التي ذكرها في آخر البحث.

التساهل في بعض المسائل مما قد يسبب تعطيل أكثر الحدود.

ومع هذه الملحوظات؛ فالبحث جيد في الجملة، من حيث الابتكار والتجديد في النتائج العلمي، وهو مفيد يستحق عليه الترقية إلى رتبة أستاذ مشارك حسب طلبه؛ وإنما الملحوظات شكلية لا تحط من قدر البحث وجهد الباحث.

أما الرسالة الثانية فهي كما وصفها بدء في تحقيق شرح متوسع، اقتصر على الدراسة وشرح بابين، وأكثر مسائل الباب الأول ساقطة من الأصل، فنقلها من المغني وعلق عليها، فهو نموذج لتحقيق كتاب مفيد يستحق عليه الترقية إلى المرتبة المذكورة.»

### تقريظ الكتب والتقديم لها

مما يتعلق بالتصنيف والتأليف تقريظ الكتب والتقديم لها، ولقد كان الوالد **رحمته الله** مقصداً لطلاب العلم ونحوهم. ممن يصنفون مصنفات أو يحققون كتباً، سواء بقصد تسديده وتوجيهه، أو لذلك مع الحصول على تأييد منه، ليثق الناس بالكاتب فيروج كتابه.

وله في التقريظ والتقديم باع طويل ومساع مباركة، ولقد قاربت الكتب التي احتفظنا في مكتبه رحمة الله بصورة من تقديمها المائتين، وهي بلا شك تفوق هذا العدد مما سبق ترتيب هذا الأمر أوند في غفلة منا أو انشغال أو بسبب بعد المكان وعدم توافر وسائل التصوير ونحو ذلك.

وهو يصطحب هذه الكتب التي يعطيه إياها المؤلفون معه في رحلاته ويقرأ فيها في السيارة والطائرة ووقت الراحة، يحدث أحد الإخوة عن رحلة الوالد رحمة الله إلى حائل في شعبان من عام ١٤٢٧ هـ فيقول<sup>(١)</sup>: «دخلنا المجلس ولم يكن الشيخ موجوداً، فسألت ابنه، فأخبرني أن الشيخ صلى الظهر ورجع يرتاح لغرفته، وبعد قليل يخرج إن شاء الله، كنت أظن راحة الشيخ بالنوم - مثلي ومن هو على شاكليتي - ولكني اكتشفت أن الشيخ لا ينام إلا قليلاً، ووقت راحته يقضيه في مراجعة بعض البحوث والأوراق، وبعض الكتب التي أحضرها الشيخ معه، وفيها كتب يريد أصحابها تقديم الشيخ، ليتشرفوا بذلك».

ويقول أيضاً عن كتاب له أعطاه للوالد ليقدم له<sup>(٢)</sup>: «وبعد الصلاة سلمني الشيخ الكتاب وقد قدم له بمقدمه جميلة وثناء ولقب لا أستحقه، وقد تفاعت بأن الشيخ اكتشف ملاحظات نحوية فاتت علي وعلى من راجعه بعدي، بل فاتت حتى على دكتور في اللغة العربية، فالشيخ متضلع في اللغة، وأوراقه معي بخط يده ما أحب أن لي بها حمر النعم».

وهو يحب نفع الناس، لكنه يحب أن يعدل بينهم، ولهذا لما تكاثرت عليه الكتب التي يرغب أصحابها في فحصها وتقريظها بدأ ينتقي المهم ويعتذر عن سواه، ثم يأخذهم بالترتيب بحسب الأسبق حتى ولو كان من جاء به من أقرب

(١) <http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>

(٢) <http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>



الناس تقول أختي هيا وفقها الله: «أعطيته ذات مرة كتاباً ليقرأه، ويكتب له مقدمة قبل طباعته. فوضعه عنده، ولما أتيت أسأل عنه قال: إنه لا يتذكره، وأشار إلى مجموعة أوراق، وقال: ابحثي هنا، فلما وجدته وأقبلت به إليه، قال: كلا لن أكتب له الآن حتى يأتي دوره.

وبعد وفاته رحمته الله دخلت بيته، ووجدت كتابي في الرف نفسه الذي رفعه عليه، وقلت لنفسي: سبحان الله لم يأت دوره، لكنني وجدت فيه ورقة خارجية وضعت بين صفحاته، ولما فتحت وجدته قد بدأ فيه، وقرأ منه بضع صفحات، وعلق عليها فبكت، لأن المنية حالت بينه وبين تمامها، والحمد لله على كل حال.

وسأثبت إن شاء الله في الملاحق ثبنا بأسماء الكتب التي لدينا معلومات عن تقديمه لها غفر الله ورحمه ونماذج من ذلك.

### ليت وهل ينفع شيئاً ليت

قد يبدو العنوان غريباً في هذا السياق، حيث نتحدث عن الكتب والتصنيف والتأليف، لكن المضمون له علاقة بالموضوع، فلقد عضضنا أصابع الندم. وتألماً أننا لم نسع في خطوات نسابق فيها الزمن، لنستفيد من الشيخ قبل رحيله، ولكنها الأقدار، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.

سبب هذا العنوان أن أبناء الشيخ وبعض تلاميذه ومحبيه تتادوا قبل وفاته لجمع تراثه وإخراج علمه، لكن تأخر البداية وضخامة التراث وصعوبة الحصول على التراث سببت بطء التنفيذ وتأخر العمل، دعني أسوق لك القصة، وستعلم حينها أنني حينما قلت: ليت وهل ينفع شيئاً ليت، لم أبعد عن الحقيقة.

تتادى أبناء الشيخ وبعض تلاميذه للاجتماع، كي يبحثوا ما يمكن عمله لجمع تراث الشيخ ونشر علمه، فاجتمعوا في منزل الشيخ الوالد رحمته الله في يوم الثلاثاء ٢٥/١١/١٤٢٦هـ.

لقد كان الدافع لاجتماعهم التشاور فيما يمكن المساهمة به لخدمة الشيخ من خلال العناية بتراثه، أو تنظيم النشاط العلمي أو الأعمال ذات النفع العام، التي يقوم بها الشيخ، ولذلك سمو اجتماعهم: الاجتماع التشاوري الأول لكبار تلاميذ الشيخ عبد الله بن جبرين.

وكان هناك عدد من الأسباب التي دعت لهذا الاجتماع منها:

- ١- تعدد أعمال الشيخ وكثرتها مما يدعو للتشاور في تنظيمها لحفظ جهد الشيخ ووقته.
- ٢- كثرة المواد غير المنشورة للشيخ مما يدعو لوضع خطة عملية للتسجيل بنشرها.
- ٣- شرح الشيخ لبعض الكتاب عدة مرات والحاجة لوضع آلية للتعامل مع ذلك.
- ٤- كثرة فتاوى الشيخ التي زادت في ذلك الوقت على خمسة عشر ألف فتوى محفوظة في المكتب، وهناك آلاف الفتاوى غير محفوظة والحاجة لوضع آلية لجمع ونشر الفتاوى والتعامل مع الفتاوى المكررة بحسب تغير الاجتهاد أو بحسب الاختصار والتوسع.
- ٥- تفرق المواد العلمية بين الطلاب وأهمية جمعها والحاجة للتعرف على أماكن وجودها.
- ٦- وجود الملحوظات على التراث المنشور للشيخ بسبب عدم وجود آلية واضحة وجهة إشرافية موحدة.



لقد وضعوا جدولاً حافلاً بالأعمال بل حتى وبالأماني التي تساعد في نشر علم الشيخ وجمع تراثه رحمة الله، ومن ذلك:

- ١- حصر قدماء طلاب الشيخ.
- ٢- استعراض الكتب المشروحة التي يرى نشرها.
- ٣- استعراض الطريقة المناسبة لجمع المواد العلمية المراد نشرها.
- ٤- استعراض الأماكن والأشخاص المتوقع وجود المواد العلمية عندهم من شروح وتعليقات وفوائد.
- ٥- استعراض الجهود السابقة للعناية بالتراث العلمي للشيخ.
- ٦- استعراض الآلية المناسبة للعناية بالتراث العلمي للشيخ.
- ٧- تكوين اللجنة الإشرافية واللجنة التنفيذية من كبار طلاب الشيخ وتحديد مهماتها.

٨- عرض الخطة المقترحة للعناية بكتب الشيخ وأشرطته. ووجهت الدعوة لكبار تلاميذ الشيخ الذين عرفوا بملازمته، ولبعض المهتمين بالموضوع من محبي الشيخ، إضافة لبعض موظفي مكتبه، وهم:

- ١- معالي الشيخ إبراهيم بن عبد الله الغيث.
- ٢- فضيلة الشيخ الدكتور سعد بن عبد الله الحميد.
- ٣- فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الشثري.
- ٤- فضيلة الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن محمد السدحان.
- ٥- فضيلة الشيخ محمد بن ناصر التركي.

- ٦- فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن حمد المنيع.
- ٧- فضيلة الشيخ الدكتور طارق بن محمد الخويطر.
- ٨- فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز العنقري.
- ٩- فضيلة الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله المبدل.
- ١٠- فضيلة الشيخ عبدالله بن علي عامر.
- ١١- فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز أبانمي.
- ١٢- فضيلة الشيخ أحمد بن عبدالرحمن المهنا.
- ١٣- فضيلة الشيخ حمد بن عبدالعزيز الجبرين.
- ١٤- فضيلة الشيخ أحمد بن محمد الجبرين

وخلصوا من هذا الاجتماع إلى وجوب الإسراع في إخراج الكتب، وكونوا

لجنة إشرافية مكونة من الحاضرين برئاسة الشيخ الوالد رحمة الله، كما كونوا

لجنة تنفيذية مكونة من:

- ١- الدكتور سعد بن عبدالله الحميد رئيساً.
- ٢- الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين نائباً للرئيس.
- ٣- الشيخ أحمد بن عبدالرحمن المهنا نائباً ثانياً
- ٤- الشيخ حمد بن عبدالعزيز الجبرين.
- ٥- الدكتور طارق بن محمد الخويطر.
- ٦- الشيخ محمد بن ناصر التركي.
- ٧- عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين أميناً للجنة



كما خلصوا لعدد من النتائج المهمة، التي لو تحققت لكان فيها خير كثير، ومن أبرزها:

- ١- التعريف باللجنة عن طريق الإعلانات والنشرات
  - ٢- تصميم شعار للجنة يوضع على الكتب المطبوعة
  - ٣- الحرص على تسجيل دروس الشيخ وحفظ ذلك.
  - ٤- إعادة طباعة الكتب الموجودة في السوق بعد عرضها على اللجنة.
  - ٥- طباعة الكتب مفردة وعلى شكل مجموعة
  - ٦- البداية بطبع الكتب المشروحة المتوافرة أشرطتها كاملة.
  - ٧- محاولة جمع التراث المتفرق بأيدي الطلاب وغيرهم، كمكاتب الدعوة والتسجيلات الإسلامية في الرياض وفي خارج الرياض وجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية وإذاعة القرآن ومحاضرات الجامع الكبير والإنترنت والمجلات والصحف وما سجل في جامع الراجحي وغيره من المساجد.
- انتهى الاجتماع وكان انشغال المشايخ وضعف المتابعة سببا في أن لا يثمر بشيء ملموس، وكان مكتب الشيخ قام بخطوات قليلة في هذا السبيل سنراها في أثناء الكلام عن جمع تراث الوالد رحمته الله.

## الإمامة والخطابة

الخطابة والإمامة من المهمات التي يتولاها العلماء رحمهم الله تعالى، ولقد كان للوالد رحمته الله من هذه المهمة النصيب الأوفى والقدح المعلن، فهو كما ذكرنا عند الكلام عن نبوغه المبكر تولى هذا الأمر ولما يبلغ العشرين من عمره إمامة وخطابة، ففي سنة سبع وستين التي أكمل فيها حفظ القرآن أمره

الشيخ أبو حبيب أن يصلي صلاة التراويح في أحد المساجد في بلدة الرين. وكان يصلي بهم من حفظه ويطلب، حتى إنه في العشر الأواخر قارب أن يختم بهم ختمتين<sup>(١)</sup>، ثم أزمه أن يتقدم إذا غاب والده الذي كان إماما وخطيبا في جامع الرين، فكان يصلي بهم جمعة وجماعة إذا غاب والده، وكان الشيخ أبو حبيب هو الذي يتولى ذلك من قبل إذا سافر جدي رحمهم الله<sup>(٢)</sup>.

ولم يتول الوالد رحمة الله الإمامة رسميا إلا في مسجدين: مسجد آل حماد والجامع الكبير في الرياض نيابة عن شيخه ابن باز في بعض الأوقات فلنلم بمعلومات عن هذين العاملين، وقبل ذلك دعوني أعرض هذه اللطيفة.

الشيخ الوالد رحمة الله يحب الصلاة ويطلب فيها، وبخاصة في رمضان كما مر بنا أنه قارب أن يختم مرتين في العشر الأواخر، وهذه القصة الطريفة له في الرياض، يقول رحمة الله: «في سنة أربع وثمانين رغب إلي راشد بن رشود، وكان يصلي في مسجد بن عدوان، قال: أنت تحفظ القرآن، وأنا ما أحفظه، أريد أن تصلي بهم التراويح. صليت بهم أول ليلة ثلاث عشرة ركعة، أقرأ في الركعة نصف ثمن، ولكن كأنهم ما رغبوا، وقالوا صل بنا يا راشد ولو من المصحف»، صلى بهم الوالد رحمة الله صلاة متوسطة، وكان يراها خفيفة، لكن جماعة المسجد استنقلوها<sup>(٣)</sup>.

### إمامته في مسجد آل حماد

يقع مسجد آل حماد في وسط الرياض في حي الديرة حاليا في الزاوية التي تلي سوق أشيقر من تقاطع شارع الديرة وشارع طارق بن زياد امتداد شارع آل ريس.

- 
- (١) صفحات من حياتي الحلقة الثانية .  
 (٢) تجربتي في طلب العلم.  
 (٣) أسرة واحدة.



تعيين إماما في هذا المسجد في شهر شوال عام ١٢٨٩ هـ، وقد كان الذي يصلي به سماحة المفتي الحالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، ونقل في هذا العام إلى إمامة وخطابة جامع دخنة الذي كان يصلي به الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله، فتولى الوالد رحمته الله الإمامة في مسجد آل حماد من آخر سنة تسع وثمانين إلى أن هدم المسجد وهدم الحي كله في سنة سبع وتسعين، توسعة للأسواق، وأقيم مكانه مواقف متعددة الأدوار، كما هو معروف الآن<sup>(١)</sup>، وقد ذكرنا - فيما سبق - قصة تعيين الوالد رحمته الله إماما في هذا المسجد<sup>(٢)</sup>.

### إمامته في الجامع الكبير

أما إمامته للجامع الكبير فإن الشيخ ابن باز رحمته الله اختاره لينوب عنه إذا سافر، وقد تحدث الوالد رحمته الله عن هذا، فقال: «كان الذي يصلي التراويح بالجامع الكبير رجل يقال له عبد الرحمن بن رشيد بن عوين من أهل الحوطة، والشيخ ابن باز يصلي معهم كما موم، ولكن بعد سنتين اشتكى ابن عوين، حيث أصابه مرض السكر واشتد عليه، وتوقف عن التراويح، فألزمني الشيخ ابن باز رحمته الله أن أصلي بهم، ولكنه لا يصلي معنا يصلي في البديعة عند قصره الآن، فكنت أصلي بهم، كانت الأئمة الذين حوله يصلون إحدى عشرة ركعة، وأنا أصلي ثلاث عشرة عملا بحديث ابن عباس، وفي العشر الأواخر أصلي في أول الليل أربع عشرة ركعة منها تسليمتان أطيل فيهما، وفي آخر الليل أصلي ست ركعات والوتر.

وفي آخر سنة سبع وتسعين استتابني الشيخ ابن باز رحمته الله كإمام في الجامع في الإجازة نحو ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر، حيث يذهب هو ومن معه

(١) سيرة الشيخ من موقعه الإلكتروني وبرنامج عالم أمة للشيخ المنجد.

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الخامسة.

من المفتين إلى الطائف، فقامت بالإمامة، ولما رجع رأى أن ينينني في العشاءين، لأنه قد يشق عليه إلا أنه كان يأتي ليلة الجمعة لأجل ندوة الجامع الأسبوعية وليلة الاثنين والأربعاء لأجل دروس كانت عنده، وبقية الليالي أنا الذي أقوم بالإمامة هناك<sup>(١)</sup>.

و عندما سكنا أول سنة أربعمئة واثنين<sup>(٢)</sup> السنة التي توفي فيها الملك خالد، كنت أذهب على سيارتي وحدي سيارة تماتيك، وأصلي وألقي الدروس التي بعد الفجر والتي بعد المغرب والعشاء، وكذلك أيضاً بقية الصلوات في حال غيبة الشيخ وأرجع<sup>(٣)</sup>.

## الخطابة

جاء الوالد رحمه الله للرياض في عام ١٣٧٤ هـ وكان في ذلك الوقت متدرجا على الخطابة، حيث كان يخطب في مسجد والده في الرين، فصار يمارس الخطابة تطوعا في بعض المساجد، إما بالنيابة وإما في الجولات الدعوية التي ذكرناها من قبل، ومن المساجد التي ناب فيها مدة طويلة مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم الذي في دخنة، وكان اسمه قديما مسجد الشيخ عبد الله ابن عبد اللطيف، ثم سمي باسم الشيخ محمد بن إبراهيم، وذلك في سنة تسعين، فقد كان الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله المفتي العام هو الذي يخطب به، ولما جاء الأمر بتعيينه خطيبا في الجامع الكبير رغب إلى الوالد أن يخطب بدلا منه في ذلك الجامع، فخطب به نحو ستة أشهر<sup>(٤)</sup>.

(١) سيرة الشيخ من موقعه الإلكتروني.

(٢) في حي السويدي.

(٣) برنامج أسرة واحدة.

(٤) أسرة واحدة.



في عام ١٣٩٩ عين الوالد رحمة الله خطيباً احتياطياً، يتولى الخطبة عند تخلف خطيب أو نحو ذلك، وكانت وزارة الحج والأوقاف وهذا اسمها في ذلك الوقت قد بدأت في تعيين خطباء احتياطيين للقيام بالخطابة بدلا من الأئمة عند الحاجة لذلك، فعين الوالد رحمة الله، وكان ينتقل بين الجوامع، وربما استمر في أحد الجوامع أشهراً وكان يتولى صلاة العيد والاستسقاء أحيانا<sup>(١)</sup>.

ومن المساجد التي صلى بها جامع العود الجنوبي وجامع المشيقيق في شارع الشميسي وجامع ابن عتيق في السبالة وجامع المنصورية وغيرها كثير، ومن المواقف الطريفة أنه أنيب في جامع في حي الشفا، فذهب مع أخي محمد، ولم يعرفوا مكان المسجد، فداروا كثيرا حتى خشوا فوات الصلاة، فصلوا في أحد الجوامع، ثم علمنا أن أهل الجامع صلوا ظهرا في ذلك اليوم لعدم وجود من يستطيع الخطابة.

وقبل حادثة لجنة الحقوق الشرعية كان يخطب مؤقتا بجامع في حي السويدي اسمه جامع والده الأمير عبدالعزيز بن مقرن، حيث لم يعين فيه إمام بعد، فلما جاءت الحادثة عزل من الخطابة، ولما انكشفت الغمة أعيد رحمة الله للخطابة، وثبت في هذا الجامع، وبقي فيه حتى توفى رحمة الله.

وكان يطلب أحيانا للخطابة في بعض جوامع الرياض أو في خارج الرياض أو يسافر فينييني للخطابة في جامع، فإذا سافرت معه أناب العم ناصر أو الخال سليمان بن جبرين أو الشيخ عثمان الشعلان أو الشيخ صالح الفتوخ أو غيرهم.

(١) سيرة الشيخ من موقعه الإلكتروني.

لمحة عن طريقته في الخطبة رحمة الله

قبل أن أورد ما عندي في هذا الموضوع أحب أن أعرض جواباً للوالد عن سؤال في هذا السياق، فقد سئل رحمة الله <sup>(١)</sup> عن تجربته في الخطابة، وكيفية إعداده للخطبة، فأجاب قائلاً: «كُنَّا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ نَقْرَأُ مِنَ الْخُطْبِ الْمَكْتُوبَةِ؛ حَيْثُ يَوْجَدُ لَدَيْنَا خُطْبٌ وَعِظِيَّةٌ وَرَثَائِهَا عَنْ آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا، وَلَا تَزَالُ مَخْطُوطَةٌ لَمْ يَتَيْسَّرْ نَشْرُهَا، وَغَالِبُهَا يَكُونُ فِي الْمَوَاعِظِ وَإِنْكَارِ الْبِدْعِ وَالْحَوَادِثِ وَالتَّذْكِيرِ بِتَقْلِبِ الدُّنْيَا وَبِالْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ وَبِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ فِيمَا بَعْدَ رَأْيِنَا الْخُطْبَةَ بِمَا يُنَاسِبُ الْحَالَ وَمَعَالِجَةَ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ الْمُتَجَدِّدَةِ، فَنُخَطِبُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا يَنَاسِبُ الْمُخَاطَبِينَ، وَحَيْثُ كَانَ الْأَغْلَبُ عَلَيْهِمْ وَصَفِ الْعَامِيَّةِ وَعَدَمِ التَّعَمُّقِ فِي الْمَعْلُومَاتِ وَقِلَّةِ التَّأَثُّرِ بِمَا يَتَجَدَّدُ مِنَ الْمُحَدَّثَاتِ، فَإِنَّا نَخُطِبُ بِمَا يَنْفَعُهُمْ وَيَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ: كَفَضْلِ الْعِبَادَاتِ وَالْأَدَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمَا يَحْصُلُ بِهِ التَّخَلُّقُ بِالْفَضَائِلِ، وَالْحَثُّ عَلَى الْعِبَادَةِ، وَالْإِكْتِثَارُ مِنَ الْقُرْبَاتِ وَالنَّوَافِلِ، وَكَذَا التَّحْذِيرُ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ، وَمِنَ التَّوَسُّعِ فِي الْمَبَاحَاتِ، وَمِنَ الْإِنْخِدَاعِ بِالدَّعَايَا، وَنُعَدُّ لِلْخُطْبَةِ إِعْدَادًا مُبَدِّئًا، بِحَيْثُ يَكُونُ التَّفْكِيرُ فِي ذَلِكَ الْأُسْبُوعِ بِمَا هُوَ مَشْهُورٌ أَوْ مُتَدَاوِلٌ بَيْنَ الْعَامَّةِ، فَنَحْرُصُ عَلَى التَّطَرُّقِ لَهُ، وَهَكَذَا التَّنْبِيهِ عَلَى مَا يَحْصُلُ مِنَ الْمُخَاطَبِينَ كَمُعَالِجَةِ الْكَسَلِ وَالتَّنَاقُلِ عَنِ الطَّاعَةِ وَالحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَعَدَمِ الْإِنْقِطَاعِ عَنِ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ. وَلَا نَرَى إِعْدَادًا خَطِيئًا لِلْكَتَابَةِ فِي الْمَوْضُوعِ، بَلْ نَكْتَفِي بِالتَّفْكِيرِ وَذِكْرِ عُنَاوِرِ الْمَوْضُوعِ، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَدْلَةِ مِنْ آيَاتٍ وَأَحَادِيثٍ وَأَثَارٍ وَحُكْمٍ وَأَحْكَامٍ وَتَعَالِيلٍ وَمَصَالِحٍ وَمَضَارٍ. وَتَسْتَفْرِقُ الْخُطْبَتَانِ وَالْجَلْسَةُ بَيْنَهُمَا نِصْفَ سَاعَةٍ إِلَى أَرْبَعِينَ دَقِيقَةً وَنَعُدُّ ذَلِكَ تَقْصِيرًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى خُطْبٍ مِنْ يَطِيلُ بِنَحْوِ سَاعَةٍ أَوْ سَاعَةٍ وَنِصْفٍ،

(١) الفتوى رقم ٢٩٧٧ بتاريخ ١٤٢١/١١/٢٢ هـ.



وذلك لأنه لا يتهيأ للكثير من الناس الاستفادة والتعلم إلا بواسطة الخطب لقلّة حضورهم حلقات العلم وسماعهم للإذاعات الإسلامية، وقلّة اهتمامهم بتحصيل الفوائد وقراءة الكتب العلمية والإنصات إلى الأشرطة الإسلامية، فلم يبق مجال إلا سماع هذه الخطب، فاستلزم ذلك التطرق إلى ما ينفعهم، وما هم بحاجة إليه ومُعالجة ما هم فيه من التثاقل وترك العبادات، ولا يدخل ذلك في إطالة الخطبة المنهي عنه؛ فإن تقصير الخطبة أمرٌ نسبيٌّ.

يصل الوالد رحمته الله غالباً قبل بداية الخطبة بنصف ساعة تقريباً، فقد عودنا أن نخرج في الساعة الحادية عشرة وخمس وعشرين دقيقة، وكان المسجد يبعد عشر دقائق، وإذا وصلنا دخل المسجد وصلي، ثم يجلس يقرأ القرآن حتى يدخل الوقت، وكان لا يصعد المنبر إلا بعد دخول الوقت، وحدثه عما يفعله بعض الخطباء من التبكير قبل الزوال، وأنه فعله بعض الصحابة، فكأنه رأى أن ذلك لعذر، وأن الأصل أن وقت الجمعة بداية ونهاية هو وقت الظهر، ويذكر أن النساء في البيوت غالباً يصلين إذا سمعن الأذان فإذا لم يعلمن عادة الخطيب وقعت صلاتهن خارج الوقت<sup>(١)</sup>.

وهو رحمته الله كما ذكر يخطب ارتجالاً فيما أدركته من خطبه، ولعله منذ أن جاء إلى الرياض، أما لما كان في الرين فكان يخطب من خطب أجدادنا التي كانت موجودة عند أبيه رحمته الله تعالى، وكان فيها مواظب ولها تأثير بليغ، حتى ذكر أنه يسمع حالة الخطبة بكاء الحاضرين وخشوعهم، ولو كانوا من العوام، وذلك لرقّة قلوبهم وصفاء فطرهم<sup>(٢)</sup>.

(١) الفتوى رقم ٢٢٨ بتاريخ ١٤/٢/١٤٢١هـ.

(٢) تجربتي في طلب العلم.

وهو رحمة الله يطيل الخطبة عادة فلا تقل خطبه عن نصف ساعة، وكنت أقول له في بعض الأيام بين السلامين تمام الساعة، أي سلام الخطيب وسلام الصلاة، فيقول: بين السلامين قريب الساعة، وأذكر مرة أنه صلى بمسجد حارة العود وأطال الخطبة كما دته، وكان المسجد مزدحما، وبعض الناس في السطح، وهو لا يعلم أنهم في الشمس، فقام أحد المصلين فأخذ حجرا كبيرا وضرب به السطح مما يلي المحراب، فانتبه الوالد واجتزا في الخطبة رحمة الله، وكان يثرب على بعض الخطباء تقصير الخطبة، ويقول كما نقلنا أعلاه: إن الناس لا يستمعون للمواعظ إلا في يوم الجمعة، ويقول: إن الأصل الإطالة، ولذلك احتيج إلى أن يجلس بينهما للاستراحة<sup>(١)</sup> ولولم يكن هناك طول لما جلس بينهما يستريح، والتقصير الوارد في بعض الآثار نسبي.

وغالب خطبه وعظية، كما ذكر رحمة الله مراعاة لحال السامعين، وكنت قبل أن أعلم وجهة نظره أحدث نفسي لما لا يرقى بخطبه قليلا، حتى أتيت مرة فصلى بجامعة الملك عبدالعزيز خلفا للشيخ عبد الوهاب الطريري، وكان الشيخ عبد الوهاب من مشاهير خطباء الرياض أداء وأسلوبا وموضوعا وجرأة، ويقصده طلاب العلم والمتقفون للصلاة معه، لأنه يتطرق لموضوعات حساسة، وكان ذلك في أثناء أزمة الخليج، وتلك الأيام يعرفها من أدركها فيها حماسة لدى الشباب مجارة للأحداث في العالم.

ولما ارتقى الوالد المنبر قلت وقال غيري من الحضور وقد حدثني بعضهم بعد ذلك: ماذا عسى الشيخ أن يقول على منبر عبد الوهاب، الذي منع من الخطابة بعد إحدى خطبه الحماسية، فخطب الوالد رحمة الله خطبة وافية ضافية كافية شافية، جمعت بين العلم والعاطفة والحماسة والعقل، واستمر يلقي الدرر، ويجود بالفرر، ونحن نقول: لبيته لا يسكت رحمة الله.

(١) الفتوى رقم ٧٥٥٩.





فبعد هذه الخطبة حدثته **رحمة الله** لم لا تخطب كهذه الخطبة في المساجد الأخرى، فقال: الناس يختلفون.

ويذكر الأخ سليمان أنه كان معه في إحدى مدن المنطقة الجنوبية وكانت أول سنة تقام فيها مهرجانات غنائية فخطب خطبة بليغة حول ذلك أثرت في الحضور وكان فيهم أحد مسؤولي الإمارة فمنعت المهرجانات بعد ذلك العام. وكان يعتمد في خطبه على عصا، ويحرص على السنن: كابتداء الخطب بحمد الله تعالى والثناء عليه وشكره وذكره، ثم بالشهادتين والصلاة على النبي ﷺ وعلى آله وأصحابه، ويأتي بلفظة أما بعد: ثم بالوصية بتقوى الله أو بما يحرك القلوب، ويتحرى الألفاظ الفصيحة التي يفهمها الحاضرون ويعرفون المراد منها، ويتقيد بالسجع المتتابع في المقدمة وفي بعض الخطبة، ويرى أنه يكون أقرب إلى الإنصات والتلذذ بالكلمات<sup>(١)</sup>، ومن ذلك قوله في إحدى خطبه: «الحمد لله رب العالمين، قيوم السماوات والأرضين، مدبر الخلائق أجمعين، أرسل إلينا أشرف المرسلين، وأنقذنا به من بدع المبتدعين، نحمده سبحانه على ما أولاه من الفضل العظيم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله إلى جميع الثقلين، وأنقذ به الأمة من شرك المشركين، ومن بدع المبتدعين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، أما بعد..»

عباد الله، اتقوا الله تعالى حق تقايتِه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، فأطيعوا أمره ولا تخالفوه فتكونوا من الضالين، واذكروه دائما ولا تكونوا من الغافلين، واشكروه على نعمه ولا تكونوا بها من الكافرين»<sup>(٢)</sup>.

(١) الفتوى رقم ٢٩٧٩ بتاريخ ٢٣/١١/١٤٢١ هـ.

(٢) <http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=10&book=195&toc=8091&page=7072&subid=28327>

وفي الخطبة الثانية يبدأ غالباً بالخطبة المشهورة: «الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ الداعي إلى رضوانه، الهادي إلى إحسانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا بلا إله إلا الله؛ فإنها العروة الوثقى، واحذروا المعاصي، فإن أجسادكم على النار لا تقوى، وتواضعوا لله؛ فإن من تواضع لله رفعه، ومن تكبر على الله وضعه، ومن زرع التقوى حمد عند الحصاد ما زرعه.

واعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بجماعة المسلمين؛ فإن يد الله مع جماعة المسلمين، ومن شذ عنهم شذ في النار.

واعلموا رحمكم الله أن الدنيا دار ممر، وأن الآخرة هي دار المقر؛ فتزودوا من ممركم لممركم، وتأهبوا ليوم حسابكم وعرضكم على ربكم، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]. واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون، وبأعمالكم مجزيون، وعن أفعالكم محاسبون، وعلى تقريطكم وإهمالكم نادمون، وعلى رب العزة ستعرضون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. واعلموا أن ملك الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسوف يتخطى غيركم إليكم؛ فخذوا حذركم.. إلخ<sup>(١)</sup>، ثم يكمل بعض ما يتعلق بالموضوع ولا يطيل، ثم يذكر بالصلاة على النبي ﷺ، ويتلو دائماً

(١) <http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=10&book=192&toc=8065&page=7053>

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وقوله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا من الصلاة علي فيه، فإن صلاتكم معروضة علي»،<sup>(١)</sup> ثم يصلى على النبي ﷺ، ويترضى عن الآل والأصحاب، ثم يدعو دعاء طويلا، وكثيرا ما يستسقي في خطبته، ومن نماذج ذلك قوله في إحدى خطبه: «اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد النبي الأمي البشير النذير، والسراج المنير، اللهم صل وسلم عليه عدد ما صُلي عليه من أول الدنيا إلى آخرها، اللهم وارض عن أصحابه الخلفاء؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن الستة الباقين من العشرة، وعن الذين بايعوا نبيك تحت الشجرة، وعن عمي نبيك؛ حمزة والعباس وعن زوجاته أمهات المؤمنين وعن بقية الصحابة أجمعين، اللهم ارض عن التابعين وتابعي التابعين، اللهم ارض عمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم ارض عنا معهم بمنك، وكرمك، وجودك، وإحسانك يا رب العالمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين؛ اللهم أعز الإسلام والمسلمين؛ اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللهم انصر عبادك الموحدين، اللهم انصر الدين ومن نصر الدين، وأذل الكفرة والمشركين، اللهم انصر أنصار الدين وقو عزائمهم يا رب العالمين، اللهم انصر دينك وكتابك وعبادك الموحدين، اللهم أظهر الهدى ودين الحق الذي بعثت به نبيك محمدا ﷺ على الدين كله يا رب العالمين، اللهم آمننا في أوطاننا، واستعمل علينا خيارنا، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعلهم هداة مهتدين؛ يقولون بالحق وبه يعدلون، اللهم أصلح من في صلاحه خير للإسلام والمسلمين، ودمر من في بقائه ضرر على الإسلام والمسلمين يا رب العالمين، اللهم من أرادنا وأراد الإسلام

(١) أخرجه أبو داود في باب الاستغفار من كتاب الوتر برقم /١٥٣٢.

والمسلمين بشر فاشغله في نفسه، واردد كيده في نحره، اللهم عليك باليهود والنصارى وأعاونهم في كل مكان، اللهم فرق جمعهم وشتت شملهم، واثم حدهم، واشقق عليهم عصاهم، اللهم دمر اليهود والنصارى والشيوعيين والمنافقين، والباغين والمحمدين وكل عدو لدين، اللهم انتقم منهم فإنك عزيز ذو انتقام. اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم انصر المجاهدين في الشيشان وفي كشمير وفي الفلبين وفي سائر البلاد الإسلامية، اللهم قو عزائمهم، وثبت أقدامهم، وسدد سهامهم وسدد رميهم، اللهم إنهم جياع فأطعمهم، وإنهم عراة فاكسهم، وإنهم حفاة فاحملهم، اللهم ثبتهم، وقو عزائمهم، وانتقم من أعدائهم يا رب العالمين، اللهم أقم علم الجهاد واقمع أهل الشرك والفساد والعناد، وانشر رحمتك على العباد يا من له الدنيا والآخرة واليه المعاد، اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء والربا والزنى والزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلدنا هذا خاصة، وعن سائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث، ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا وأغننا، اللهم اسق عبادك، وبلادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحيي بلدك الميت، اللهم اسقنا وأغننا، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً وحيّاً، وجداً طبقة غدقاً مفدقاً موقناً هنيئاً مريئاً مريعاً سحاً عاماً دائماً درراً، نافعاً غير ضار عاجلاً غير راث، تحيي به البلاد، وترحم به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد، اللهم أنزل في أرضنا زينتها، اللهم أنزل في أرضنا سكنها، اللهم أنزل من السماء ماء فأحيي به بلدة ميتاً، واسقه مما خلقت أنعاماً وأناسي كثيراً، اللهم إن بالعباد والبلاد من اللأواء والشدة، والضيق، والضنك ما لا نشكوه إلا إليك، اللهم اسق بهائمك، وانشر رحمتك يا رب العالمين، اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا، اللهم لا تحرمنا خيرك، ولا تحرمنا فضلك بذنوبنا؛ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين،





ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار. عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى... إلخ».

وهو دائما يرفع يديه في الدعاء في الخطبة وفي غيرها ويمسح بعد الفراغ من الدعاء وجهه بيديه، ويرى أن ذلك مشروع، وأن الأحاديث التي وردت في رفع اليدين عامة في جميع المواضع، فيرى أنه يسن للخطيب رفع يديه حالة الدعاء، وللمأمومين رفع أيديهم مع التأمين على الدعاء، ويرى أن حديث: «قبح الله هاتين اليدين... إلخ»<sup>(١)</sup> في رفعهما وحركتهما حالة الخطبة، أو رفعهما عند الشهادة، وأن المشروع عند الشهادة الإشارة بالسبابة للتوحيد<sup>(٢)</sup>، وأن الخطيب المذكور في الأثر كان يأمر الناس أن يرفعوا أيديهم في الذكر، ويقول: اذكروا الله يذكركم. ويشير للناس أن يرفعوا أيديهم، ويمثل الوالد رحمه الله ذلك برفع يديه كهيئة من يريد تكبيرة الإحرام<sup>(٣)</sup>.

وهو في صلاة الجمعة كثيرا ما يقرأ سورة الأعلى والفاشية، وذات مرة قرأ في الركعة الأولى سورة الأعلى، وفي الركعة الثانية ابتداء بسورة الفاشية، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الفاشية: ٢١]، قال: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩]، وأكمل من سورة الأعلى، ولم يفتح عليه أحد من المأمومين، فلما سألته بعد الصلاة، قال: إني تفكرت فيما ذكره العلماء من الحكمة في قراءة هاتين السورتين في الجمع والأعياد ونحوها من الصلاة الجامعة، وذلك لما فيهما من الأمر بالتذكير، فلذلك سهوت.

(١) رواه مسلم في باب تخفيف الصلاة والخطبة من كتاب الجمعة عن عمارة بن ربيعة قال: "رأى بشر بن مروان على المنبر رافعا يديه فقال قبح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بإصبعه المسبحة".

(٢) الفتوى رقم ٩٥٩٨ بتاريخ ٨/٨/١٤١٥هـ.

(٣) <http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>

ويقرأ أحيانا في الركعة الأولى سورة الجمعة وفي الثانية سورة المنافقون، اقتداء بالنبي ﷺ، وربما قرأ غيرهما لمناسبة آيات الصيام أو الحج أو التوبة من الذنوب أو الشكر أو الصبر أو نحوها.

وهو يحرص على الخطابة في مسجده وفي غيره حبا في نفع الناس، حتى ولو كان مرهقا أو متعبا، وفي السنين الأخيرة كنا نلاحظ عليه الإرهاق في أثناء الخطبة. ومع ذلك لا ينيب ولا يستخلف، وفي إحدى المرات كان يصلي الجمعة في حي العريجا في الجامع الذي يصلي به الشيخ عبد الله المطرود، وفي أثناء الخطبة لاحظت عليه تعباً ظاهراً، فصعدت للمنبر فلما رأني صاعدا جلس، وأشار لي أن أكمل الخطبة فأكملتها وهو جالس على الكرسي خلفي، فلما انتهت نزل من المنبر وصلى بالناس، فلما سألته ما الأمر قال: إن المنبر ليس فيه تكييف كاف، وشعرت بالحر فلم أستطع المواصلة، وكان هذا قبل عشرين عاما من وفاته رحمة الله.

وحدث هذا كثيرا في السنوات السابقة لوفاته، كما سأحدث عنه إن شاء الله عند الحديث عن مرضه، والشاهد أنه كان يتجلد في سبيل نفع الناس وافادتهم رحمة الله.

هذه أبرز المعالم فيما يتعلق بخطبه، نسأل الله أن يغفر له، وأن يجعل ذلك ذخرا له يوم يلقاه.

### تقاعد أم انطلاق؟

هذه آخر وقفة لنا مع عطاء الشيخ الوالد رحمة الله، وهذا الموضوع ليس فيه كثير حديث، وعنوانه كاف في الدلالة على مضمونه.



كنا في صحبته في المدينة قبل سنين عديدة فزرننا الشيخ حمادًا الأنصاري رحمته الله، وكان قد تقاعد لتوّه من الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، وذلك في عام ١٤١٠هـ، فقال الشيخ حماد للوالد مهازحاً: يقولون لي: «متقاعد». والعلماء والدعاة ورجال العمل الخيري لا يوهنهم التقاعد، بل يزيد من نشاطهم، ويوسع دائرة اتصالهم.

وهكذا كان الوالد رحمته الله لم يزد التقاعد إلا نشاطاً وانطلاقاً..

- حينما كان في العمل لم يكن يبرح الرياض إلا نادراً، فقد كان العمل يقيّد تحركاته، فهو من السبت إلى الأربعاء يقيّد تقيداً دقيقاً بالدوام الرسمي من الساعة الثامنة وحتى الثانية والنصف، بل لا يصل للبيت إلا حوالي أذان العصر، وبعد التقاعد انطلق في الأرض مشرقاً ومغرباً، فالجولات الصيفية لم تأت إلا بعد التقاعد، والدورات الصيفية لم تبدأ إلا بعد التقاعد، والرحلات الشهرية للمناطق لم ينشط لها إلا بعد التقاعد، ودرس القويعة الشهري لم يكن إلا بعد التقاعد... وغيرها كثير.
- زادت دروسه الأسبوعية بعد التقاعد على خمسة عشر درساً، ستة بعد الفجر، ودرس بعد الظهر، ودرسان بعد العصر، وخمسة بعد المغرب، وثلاثة بعد العشاء، كما زاد الوقت الذي يقضيه في الدروس، فضلاً عن الدروس نصف الشهرية والشهرية.
- أصبح له زيارات منتظمة وغير منتظمة للدوائر الحكومية، فله لقاء شهري في الحرس الوطني، ولقاءات أخرى في المستشفيات والقطاعات العسكرية وغيرها.
- فتح بابه للناس من المستفتين والمستجدين وطالبي الشفاعات والزوار

- وغيرهم، فالأعمال التي كان يمارسها في مكتبه انتقلت لبيته بعد التقاعد.
- نظم مكتب البيت وجهاز بالمكاتب والأدوات المعينة على العمل، وعين فيه موظفون رسميين ونظم العمل الإداري بتوجيهه رحمة الله وإشراف أبنائه وبعض إخوانه وأقاربه وتلاميذه.
- افتتح موقعه الإلكتروني على الإنترنت، وبثت دروسه عبر النت إلى العالم، وعرفه البعيد والقريب.
- انفتح على وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في برامج منتظمة كسؤال على الهاتف وغير منتظمة كالحوارات التلفزيونية في قناة المجد ونحوها.

هذه أبرز المعالم وخلاصتها أن الشيخ الوالد رحمة الله لم يتقاعد بل انطلق، كان التقاعد بداية لمرحلة جديدة مليئة بالعطاء.

لم يتفرغ لأهله، بل انشغل عنهم، لم يتفرغ لنفسه، بل استعملها في الطاعة ونفع المسلمين، لم يكن التقاعد فرصة للراحة، بل كان هو الراحة نفسها، لقد وجد رحمة الله راحته في حلقات العلم ومجالس الذكر ونفع الناس.



...فانما ...

...فانما ...

...فانما ...

...فانما ...

...فانما ...

...فانما ...

...



القِسْمُ الرَّابِعُ

## الشخصية الفذة

- الملامح والسمات
- معالم الإخلاص
- علو الهمة
- تواضع وعزة
- زهد وورع
- جبل الصبر
- الوقت في حياة الشيخ
- حلم وأدب
- الشجاعة المتزنة
- أحوال النفس
- صفات الريادة
- ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها



## الشخصية الفذة

كانت الأقسام الثلاثة السابقة أقساماً سرديّة تحكي واقعاً حيّاً، وتصور حياة ملموسة، لكن هذا القسم يفوض في عمق النفس، ويترجم الأحاسيس والمشاعر، ويتلمس الصفات والسمات التي قد تظهر، وقد لا تظهر بسبب خفائها في نفسها أو حرص صاحبها على إخفائها؛ رغبة في الثواب وطلباً للأجر، وبالرغم من أن هذا القسم أشق عليّ من الأقسام السابقة لصعوبة الوصول إلى المعلومات فيه، لكنه في الأذان أعذب وللنفوس أقرب، فهذا العالم التحرير والمفتي التقدير والمحقق المدقق المتفنن المبدع، لا بد أنه يملك شخصية فذة، فقد حباه الله بالجميل من الأخلاق الفاضلة، وجبله على كثير من الصفات الكاملة.

سنعيش في هذا القسم مع الإخلاص والتواضع والزهد والورع والحلم والسماحة، سنعايش الصبر والتحمل والشجاعة والعزة والترتيب والتنظيم، سنحلق مع علو الهمة والسمو للمعالي ورباطة الجأش وصدق العزيمة، سنتلذذ ونحن نحكي قصص الابتلاء والإيمان بالقضاء، ونحن نتأمل حسن المعاملة واللطف والدعابة، سنلم بالسّمات والملاح الخلقية، والصفات والفضائل الخلقية، وسنحاول أن نسبر غور النفس وأحوالها في فرحها وحزنها، ونتعرف على معالم الريادة وصفات القيادة.

أقول هذا، وأنا أعلم أننا نحاول محاولة، وقد لا نوفق لمعرفة بعض ذلك، لكننا سنحاول تلمس شيء من ذلك؛ ليعرفه القراء وتستفيد منه الأجيال، ومع هذا، فسنبعد عن المبالغات، وما ذكرته هنا هو عرض لا وصف، ولعله يأتي من يحكيه أو يحاكيه، فإننا نتحدث عن علم من الأعلام بلغ فيما نحسب حدود الغمام.



وفوق كل هذا سيكون الحق رائدنا والشفافية منهجنا، سأحكي الواقع كما كان دون زيادة أو نقصان، وسأشير أيضاً من باب البيان إلى ما يقوله بعض المنتقدين من أهل النصح والخير، فمن الذي ترضى سجاياه كلها، وسأضرب صفحاً عن كلام أهل الحسد أو الجفاء، فقد كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُم معرضاً عن كلامهم، مجافياً لنقدهم، فعلى نهجه سأسير، فهكذا علمنا وعلى هذا درّبنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُم حسن الخلق، لين الجانب، كثير التواضع، طيب المعشر، يبذل الوسع في التوسعة على المحتاجين، يفرح بمن يزوره، ويكرمه.

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُم دائم البشر والابتسام، لا يحقد على أحد، ولا تجد في قلبه بغضاً ولا كراهية؛ لذا أحبه الناس وأحبهم، وأفوه وأفهم.

لقد كان عمره حافلاً بالمزايا الطيبة والسجايا الكريمة، التي هي سمت العالم وسمة المؤمن كحب الخير، والرفق بالناس، وسعة الصدر، ورجاحة العقل. وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُم سلس الحديث ثاقب الرأي حصيماً، يعطي كل من يقابله حقه من المعاملة الحسنة، وينزل الناس منازلهم، ويعرف لهم قدرهم، ويقضي حوائجهم.

بيته ومكتبه مفتوحان؛ فلم يكن له حجاب، وليس على بابه بواب، الكل يدخل عليه، هذا يسأله، وذلك يطلب شفاعته، والآخر يرجو معونة أو صدقة، وهو يجيب هذا، ويشفع لذاك، ويعطي الثالث، وكان الشاعر عناه بقوله:

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً	كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَأَلْتَهُ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ	لَجَادَ بِهَا فَلَيْتَقِ اللَّهَ سَأَلْتَهُ
هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ	فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْبَحْرُ سَاحِلُهُ
تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ	دَعَاهُ لِقَبْضِ لَمْ تُطْفِئْهُ أَنْامِلُهُ <sup>(١)</sup>

(١) انظر تاريخ دمشق ٦٦ / ٦٠.

لقد عاش رحمة الله ثمانين عاماً، قضاها في خدمة الناس وقضاء حوائجهم، رحمة الله رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته.

وأخيراً نقول: لقد كان له رحمة الله من كل فضيلة السهم الأعلى والقدح الأعلى، ولنبدأ في تفاصيل هذا القسم وفروعه: علّ ذلك أن يكون نبزاً لطلاب العلم ومحبي الخير.

### الملامح والسمات

إن الناظر للشيخ الوالد رحمة الله ليتبين من ملامحه الصورة السائدة لشيخ القبائل النجدية. حيث اللون القمحي المشرب بالحمرة والجبهة العريضة والعينان السوداوان اللتان يتوسطهما أنف متوسط تحته ثغر باسم وذقن مزدان بلحية بيضاء، لم يغير الشيخ بياضها ولو بالحناء، وكان إذا سئل عن ذلك ذكر قول الإمام أحمد رحمة الله: «هو سنة، ولو نقوى عليه اتخذناه، ولكن له كلفة ومؤنة»<sup>(١)</sup>.

الوالد رحمة الله معتدل القامة ليس بالطويل، ولا بالقصير فيه انحناءة يسيرة تظهر بوضوح عند المشي، وكان رحمة الله خفيف اللحم. وقد منع من تراكم اللحم عليه ضيق في المريء صبر عليه أكثر من ثلاثين عاماً، وبعد أن أجرى عملية لتوسيع المريء عام أربعة عشر وأربع مئة وألف تحسنت حالته، وزاد وزنه عشرين كيلو جراماً، فقد كان وزنه قبل ذلك ثلاثة وخمسين ثم أصبح ثلاثة وسبعين كيلو جراماً، وطوله ١٦٥ سم.

(١) الفروع لابن مفلح ١٥١/١.



ومما يميزه **زكوة** بحة في صوته قديمة من أصل خلقته وليست كما يتصور بعض الناس بسبب مرض أو عين.

لباسه الغالب الشماع الأحمر والثوب الأبيض الذي يكون إلى مستدق الساق، والنعلان النجديان المعروفان بالزبيرية، وإن كان يلبس غيرهما أحياناً، ويلبس في الشتاء معطفاً يسمى «الكوت» هو من الصوف غالباً، وربما لبس في الشتاء إذا اشتد البرد الملابس الشتوية الملونة، والشراب والأحذية الشتوية، ويختار أن يلبس جورباً صفيحاً أو يلبس اثنين؛ لأنه لا يرى المسح على الجورب الخفيف.

أما المشلح فإنه لا يكاد يفارقه إلا إذا كان في بيته، أو مسجد حيه، أو دروسه اليومية.

وهو **زكوة** يحب في ملابسه اللون الأبيض وما قاربه.

وهو **زكوة** لا يهتم بالمظاهر، ولا يحب المغالاة في ذلك، فملابسه ومشلحه من الملابس المعتادة التي يلبسها عامة الناس.

وكان **زكوة** يغير ملابسه إذا اتسخت، ويغيرها عندما يفتسل في يوم الجمعة، تطبيقاً لسنة النبي ﷺ في لبس الثوب النظيف والتطيب يوم الجمعة.

وهو **زكوة** حريص على الطيب، يضعه على شماغه ولحيته، فلا يُشمُّ منه إلا رائحة طيبة، فهو يحمل الطيب دائماً في جيبه يطيب من حوله، ويتطيب ويهدي.

## معالم الإخلاص

الإخلاص خصلة من الخصال التي يتصف بها العلماء الربانيون الذين سخرُوا أوقاتهم وأعمارهم كلها لله وحده لا شريك له.

والوالد رحمته الله له من هذه الصفة النصيب الأوفى، فإذا رأيته رأيت في وجهه الصدق والإخلاص، نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحداً. كان رحمته الله يلمح الإخلاص في عمله، وهو ما أثمر البركة في أعماله، كما كان محافظاً على الصدق في حديثه، فإذا استمعت إلى دروسه ومحاضراته وكلماته، أحسست بالصدق الذي يحليه الإخلاص، مع أنه رحمته الله يجتهد في إخفاء عمله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

يحمل في قلبه حبَّ الدعوة، وحب إيصال الخير للناس، دون تصنع وتكبر وتعالٍ على الخلق، بل مع طلاقة وجه وكرم خلال.

ومن المظاهر التي تدل على إخلاصه رحمته الله: أنه كان يحاول التخفي في المجالس وعدم الظهور، يقول الدكتور سلمان العودة<sup>(١)</sup>: «دخل المجلس مرّات؛ فألقى السلام على من حوله، وقعد في طرف المجلس متسللاً مستخفياً، لا يحب أن يعلم به أحد. فإذا علموا به، فقاموا إليه، وقدموه؛ تباطأً، وتلكأً، وسأيرهم على مضض».

وكان لا يحب أن يتحدث، ولا يبدأ بالحديث إلا إذا رأى ضرورة لتصحيح أو إنكار أو إذا دعي إلى الحديث فإذا تحدث أتى بالعجب العجيب، وأمطر كمزن السحاب يقول عنه معالي الشيخ عبد الله الركبان رحمته الله: «كان يستمع أكثر مما يتحدث»<sup>(٢)</sup>.

والحديث عن هذه الخصلة عسير جداً؛ لأنها خفية وصاحبها يحب إخفاءها، ولكن حسبنا ما نراه من بركات عمله رحمته الله وما خلف من العلوم والتلاميذ

(١) <http://islamtoday.net/salman/mobile/mobartshows-28.htm>

(٢) من مقالة للدكتور سلمان العودة بعنوان السهل الممتنع: <http://islamtoday.net/salman/> .htm.116315-artshow-28

والفتاوى والسيرة العطرة ومحبة الناس وثقتهم، ما يدفعنا للظن بأنه كان من المخلصين الصادقين نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدًا.

ويظهر لكل من خالطه، وعرفه كثرة الأعمال التي يقوم بها، والتي ينوء بحملها أولو القوة والبأس من الرجال؛ ومن عرف الوالد رحمة الله، عرف أنه لم يكن يعمل هذه الأعمال طلبًا للشهرة ومعسول الثناء، بل يبغض ذلك، ويتضايق منه، كما سيأتينا إن شاء الله تعالى.

يقول الدكتور سلمان العودة<sup>(١)</sup>: «الشيخ رحمة الله يستمد قوته من إخلاصه، هذا الذي ظهر لي، أنت تستطيع أن تثني على عمل إنسان، لكن أحيانًا قد تتردد في الثناء على إخلاصه: لأن النيات أمرها إلى الله سبحانه وتعالى، لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أنتم شهداء الله في الأرض»<sup>(٢)</sup>، الذي يعلمه كل من جالس الشيخ أن الرجل في غاية الإخلاص، وكأنه لا حظ له من نفسه، يوم كان طلابه في المسجد عشرة وخمسة، وهو يدرس، ولما كانوا آلفًا يدرس».

ويقول الدكتور عبدالعزيز الفوزان<sup>(٣)</sup>: «أظن أن من أكبر الأسباب التي جعلت الشيخ يتميز، ويتفوق في طلب العلم وقوة التحصيل، ثم في العطاء والجهاد الذي يبهر النفوس هو الإخلاص هكذا نحسب الشيخ، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدًا، فلا يمكن أن يتفانى الإنسان بهذه الدرجة إلا وهو يريد ما عند الله سبحانه وتعالى».

ومن القصص التي ذكرت عن البركة في الوقت التي يراها من يرافقه، يقول أحمد بن العم محمد: «كنا في حصة قحطان، وكان سيصلي بهم الجمعة في أيام الشتاء والنهار قصير، وكان عنده درس بعد المغرب في الرياض، قلت

(١) قناة دليل.

(٢) رواه البخاري في باب ثناء الناس على الميت من كتاب الجنائز برقم / ١٣٠١.

(٣) قناة دليل.

في نفسي: إن صلينا الجمعة فلن نلحق درس المغرب، لكن جعل الله في الوقت بركة، سلكننا الطريق البري، ثم سلكننا الأسفلت، ووصلنا قبل أذان المغرب بحمد الله».

ويقول أخي سليمان: «كنت معه في الحج، وذهبنا لطواف الإفاضة، فلما أقبلنا على الحرم وجدنا الأبواب مغلقة بسبب الزحام، والشرطة يصيحون: ممنوع الدخول، الحرم ممتلئ، وذلك قبل وضع اللوحات التي على الأبواب، قلت له ﷺ: ما رأيك؟».

قال: سندخل إن شاء الله، فذهبنا من جهة الصفا، مع السلم الكهربائي إلى السطح، فلما وصلنا السطح نزلنا مع السلم القديم الذي بجوار الصفا، حتى وصلنا المطاف في الدور الأرضي، فأنهينا أربعة أشواط قبل الصلاة بجوار الكعبة، ثم أكملنا الثلاثة بعد الصلاة».

### علو الهمة

علو الهمة من الأخلاق الإسلامية التي حث عليها الإسلام، وربى عليها النبي ﷺ أصحابه الكرام، وكانت حياته ﷺ وحياة أصحابه مليئة بالمواقف التي تدل على علو الهمة.

والمسلم الذي تربى على علو الهمة تجده جاداً في حياته، مبتعداً عن مواطن الشبهة والشهوة، مترفعاً عن الصغائر والدنيا، مجتهداً في الطموح إلى المعالي، سباقاً إلى فعل الخيرات.

والشيخ الوالد ﷺ يلحظ كل من عرفه أنه كان عالي الهمة، فله في كل ميدان بصمة، وذكر حسن، ومواقف حميدة تذكر، فتشكر.



بلغ رحمة الله الثمانين من عمره، لكن همته ونشاطه في الدعوة والتعليم والاحتساب وبذل الجاه ونفع الناس، يعجز عن مجاراتها أبناء العشرين.

يقول أحد طلابه رحمة الله<sup>(١)</sup>: «صحبت الشيخ في إحدى رحلات العلمية التي يقوم بها للبلدان وما أكثرها، وألقى الشيخ درسه، ثم عدنا بعد منتصف الليل، فذهبت إلى النوم مباشرة بسبب التعب والإنهاك، وفي اليوم التالي اكتشفت أن الشيخ رحمة الله كان يقوم الليل تهجدًا لله».

ويقول الشيخ حمد عبدالرحمن الكوس في مقال له بعنوان: «لقاءي الأخير بالإمام ابن جبرين رحمة الله»<sup>(٢)</sup>: «لقد قدر لي التلمذ على يديه أيامًا قلائل في الدورة العلمية بعد الفجر، فكان لا يكل ولا يمل، ويجلس أكثر من ساعتين، وكان الشيخ وقتها قد ناهز السبعين، ولكن همته كانت تفوق همه الشباب ونشاطهم! وكانت أوقاته عامرة بالدروس والإفتاء لعويض المسائل ودقائقها بهمة عالية ليس لها نظير».

يقول الشيخ عبدالله بن راضي المعيدي<sup>(٣)</sup>: «حينما قدّمت له كتابي: (تشنيف الآذان في أحكام الأذان) كان الشيخ في إحدى الدورات العلمية، وكنت أتوقع بقاء الكتاب عند الشيخ مدة ستة أشهر؛ كما هو المعتاد، هذا ما قاله لي الأخ الفاضل سليمان ابن الشيخ، ولكن العجيب أنه في درس الفجر من الغد أعطاني الأخ سليمان النسخة التي دفعتها للشيخ أمس!! فقلت في نفسي: لعل الشيخ رفض التقديم للكتاب، ولهذا سألت سليمان: لماذا؟ هل رفض الشيخ الكتاب؟ فضحك، وقال: اقرأ وأنت ستري، فقلت: هل كتب الشيخ عليه شيئاً،

(١) أورد هذه القصة عبدالله بن محمد الحربي، انظر مقاله في موقع أهل الحديث:

<http://www.ahlalhdeth.com/vb/archive/index.php/t-179870.html>

(٢) <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=179870&page=5>

(٣) <http://islamtoday.net/nawafeth/mobile/zview-102.htm.116142>

قال: نعم، قلت: ولكن كيف؟ فجدوله مليء بالدروس! قال: وجدت الشيخ جالساً وقت الظهر، وهو وقت راحته، فقلت له: إن أحد طلبة العلم أعطاني كتاباً له يريد أن تقدم له، وهو غير مستعجل، فقال: أعطني إياه، فقلت: لملك ترتاح الآن، فقال: لا، هات الكتاب!!

يقول ابنه سليمان: فما قام من مجلسه حتى أنهى قراءة الكتاب، وعلق عليه؛ بل لم يترك حتى الأخطاء الإملائية، وكل ذلك مع كونه مرتبطاً بدروس بعد كل صلاة، ولقاءات وزيارات، وهذا شرف لي وللكتاب أن يكون بتعليق هذا الإمام، فرحمه الله.

ويحكي عبد الرحمن ابن العم ناصر يقول: «كنا في عام سبع وعشرين في رحلة في جنوب المملكة، وكنت سأرجع بعد أسبوع للرياض لأسجل في الجامعة، فقلت للشيخ، ونحن في الطائف: إني بعد أسبوع سأسافر للرياض، وأرجع لأجل التسجيل في الجامعة، قال: طيب وأنا لا أعلم أن له مغزى ولكني لاحظت أن معه مجلداً كبيراً من كتاب «شرح منار السبيل» كان يراجع، فرأيته بدأ يقضي أوقاته التي ليس فيها دروس في قراءته يقرأ ويصحح وأنا لا أدري ماذا يقصد، حتى ونحن في طريقنا لخميس مشيط مع بعض طرق الجنوب الممتعة، الطريق السياحي لم يرفع الشيخ عينيه من الكتاب، فرأيت الأسفلت مقشوراً، فقلت له أريد ألفت نظره؛ لكي يرى الطريق: يا شيخ لم يقشرونه؟ فرد علي: لم أسألهم!! وهو منهمك في القراءة حتى وصلنا للجنوب فجلس الأيام الثلاثة الباقية يقرأ فيه فلما حان رجوعي وإذا هو قد ختمه، فأعطاني إياه؛ لأسلمه لابنه عبد الرحمن وأتي بالمجلد الثالث، فعرفت حينئذ سبب جده في ذلك، وكان إذا عزم على شيء وجّه نفسه له، وأنجزه».



ويقول الأستاذ عبد الله الحوطي<sup>(١)</sup>: «كان رحمه الله يمتاز بالسرعة في إنجاز الأعمال، فقد كان عضواً في فحص البحوث التي تنشر في مجلة البحوث الإسلامية التي تصدرها رئاسة البحوث العلمية والإفتاء منذ عام ١٤٠٣، وكانت هذه البحوث تصل إلى خمسة أو ستة بحوث، فيقوم بقراءتها قراءة كاملة ويدون ملاحظاته ومرئياته عليها في مدة وجيزة».

ولقد قدمنا الشواهد السابقة، وهي تحكي جانب العبادة وجانب التعليم وجانب العمل بوصفها نماذج والا فهمته رحمه الله عالية لا تسامقها إلا الجبال. ويكفي ما مر بنا من أنه رحمه الله حفظ القرآن في ثمانية أشهر، وكان يراجع في اليوم عشرة أجزاء.

وأنه تعلق قلبه بطلب العلم منذ الصغر، فحفظ كثيراً من المتون ودرس العشرات من الكتب.

وأنه منذ أن نشأ لم يكن له التفات إلى اللهو واللعب كما يحكي أحد أقرانه وهو ابن عمه محمد بن عبد الله بن محمد الجبرين يقول: كنا نلعب ونلهو في الصغر والشيخ جالس تحت ظل شجرة يقرأ في كتاب.

وأنه جلس لتعليم الطلاب، وهو لم يبلغ العشرين ربيعاً، ثم أصبح التعليم شغله الشاغل وعمله الدؤوب.

وأنه سجل له أكثر من عشرة آلاف ساعة من الدروس والمحاضرات والذي لم يسجل أضعاف ذلك.

(١) مقالة بعنوان: "ابن جبرين... صرحنا الذي هو" جريدة عكاظ، الخميس ١٤/٠٨/١٤٣٠هـ.

٦ أغسطس ٢٠٠٩م، العدد: ٢٩٧٢.

وأن دروسه الأسبوعية المعتادة خمسة عشر درسًا.

وله محاضرة في كل أسبوع، حتى زادت محاضراته على الألف المحفوظ المسجل منها أكثر من أربعمائة.

وله جولات علمية في الصيف إلى المناطق، يلقي فيها خلال ستة أسابيع قريبًا من ثلاث مئة برنامج ما بين درس ومحاضرة ولقاء، وغيرها.

وأنه إذا لم يكن مشغولًا بدرس فإن الكتاب لا يكاد يسقط من يده فاحصًا أو مراجعًا أو مطلعًا، ولقد جرد كثيرًا من المطولات، وقرأ المئات من الكتب وقرأ المهم منها، كتفسير ابن كثير وبعض كتب الفقه والحديث أكثر من مرة، كما ذكرنا في الأقسام السابقة.

إن الهمة العالية لتتأى بصاحبها عن حظوظ نفسه حتى الطبيعية منها، ولو تأملت حياته رحمة الله مع ملذات الدنيا من الطعام والشراب واللباس والنوم والنزهة والراحة لرأيت عجبًا، وقد ذكرنا في هذه السيرة طرقًا من ذلك يعجب منه العجب.

إن الوالد رحمة الله عندما سجل في معهد إمام الدعوة كان عمره آنذاك خمسة وعشرين عامًا، ولم يعاتب نفسه، ويقول: بعد أن بلغت هذا العمر أدرس منتظمًا مع الطلاب.

إن نفسه الطامحة للسمو والعلو جعلته يناقش رسالته الدكتوراه ولحيته بيضاء، فلم يرهبه هذا، ولم يتكبر أن يجلس ليناقله بعض زملائه في الطلب: بل كسر كل التقاليد، ولم تكن هذه الشهادة ذات قيمة علمية ولا وظيفية بالنسبة إليه آنذاك، فقد بلغ سن التقاعد أو قاربها، حيث نالها وعمره ثمانية وخمسون عامًا.



إن ما مضى من أقسام هذه السيرة، وما سيأتي يترجم همته العالية ونفسه الطموحة وعزيمته الماضية، ولولا التكرار لذكرنا ما قلناه في مواضع أخرى، لكننا نحيلها إلى وعي القارئ اللبيب ومن أحيل على مليء فليحتل.

## تواضع وعزة

سأله الدكتور فهد السندي في برنامج «صفحات من حياتي»: طلبت التقاعد النهائي؟، فكان رد الوالد رحمته الله: حصلت الإحالة للتقاعد.

إجابة جمعت بين الصدق والتواضع الذي عود نفسه عليه حتى صار له سجية، وهو قبل ذلك منة إلهية ومنحة ربانية، وقد اشتهر رحمته الله بهذا الخلق حتى صار هو الميزة التي بها يعرف، حتى قال فيه سماحة المفتي العام الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ<sup>(١)</sup>: «الشيخ عبدالله بن جبرين أخ لنا، وصاحب لنا، عرفته منذ زمن طويل، وعرفت منه التواضع الجَمِّ، والخلق الفاضل».

ولتواضعه رحمته الله رفع الله قدره، وأعلى مكانته، وحبَّبه لعباده، مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «وما تواضع عبد لله إلا رفعه الله»<sup>(٢)</sup>.

يقول الوالد رحمته الله<sup>(٣)</sup>: «ومن الآداب التي أدبنا بها الإسلام التواضع ولين الجانب؛ فإنه أمر أهله بالتواضع، ونهى عن التكبر، والمتواضع هو الذي يُقبل على الناس إقبالاً متساوياً كبيرهم وصغيرهم، يسمع من هذا وذاك، ويقبل من هذا وهذا، ويلين جانبه لهم، ويسعهم خلقه، ويسفر لهم وجهه، ويبسط لهم جاهه، ويتواضع لهم قلباً وقالياً»

(١) [www.al-q.com/forum/archive/index.php/t-29327.html](http://www.al-q.com/forum/archive/index.php/t-29327.html)

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في باب استحباب العفو والتواضع من كتاب البر والصلة والآداب برقم /٢٥٨٨.

(٣) ينظر كتاب (الآداب والأخلاق الشرعية)، لفضيلة الوالد الشيخ عبدالله بن جبرين رحمته الله (ص: ٢٨).



لقد عُرف رَبُّهُ بتواضعه الجم مع الناس كلهم صغيرهم وكبيرهم، من جالسه وعاشره وجد فيه التواضع بأسمى صورته، وقد ضرب رَبُّهُ أروع الأمثلة وأعظمها في ذلك، فهذا الخلق دأبه وسجيته.

دعني أذكر بعض معالم تواضعه، وإن كانت تفاصيلها ذكرت في مظانها.

فمن تواضعه رَبُّهُ: أنه كان لا يحب الظهور ولا الشهرة، فلو دعى لمحاضرة أو درس، ولو في مكان بعيد، فإنه لا يأنف، ولا يتردد، ولو علم قلة الحضور، فهو لا ينظر إلى عدد الحاضرين كما ذكرنا حين تحدثنا عن قيامه بالتدريس، ولا لبعد المكان كما ذكرنا في جولاته الدعوية.

وقد كان في أثناء الحج يذهب لرمي الجمرات، فكان الشباب الذين معه يحاولون حمايته من مشقة الزحام، ويدفعون عنه الناس، ولكنه يأبى إلا أن يكون كغيره من الناس، فيدخل في زحام الجمرات، فيسقط شماغه من شدة الزحام، وربما ضُيق عليه من غير قصد، فيقول: الأجر على قدر المشقة، كما قال رَبُّهُ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أجرك على قدر نصبك»<sup>(١)</sup>.

كان رَبُّهُ إذا ذهب لمكة يصلي في الحرم في أي مكان، وربما رتبنا له مكاناً، فلا يلتزم بذلك مع أنه قادر على أن يصلي خلف الإمام أو في بعض الأماكن الخاصة، ولكنه لم يكن حريصاً على ذلك وفي آخر رمضان له في مكة المكرمة عام ١٤٢٩هـ لمح الشيخ صالح آل طالب إمام وخطيب المسجد الحرام الوالد رَبُّهُ وهو في طريقه لصلاة العشاء، فأمسك بيده، وقبّل رأسه وأخذته إلى الحجر وبعد أدائه السنة انتظره حتى فرغ من صلاته، ثم نهض

(١) مشهور بهذا اللفظ في كتب الفقه وغيرها وقد أخرج أصله البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهو في البخاري في باب أجر العمرة على قدر النصب من كتاب الحج برقم / ١٧٨٧. وفي مسلم في باب وجوه الإحرام من كتاب الحج برقم / ١٢١١.



وأمسك بيده وأشار الشيخ صالح للجنود أن يهيئوا مكاناً له خلفه وكان كذلك، وبعد انتهاء الصلاة وأداء السنة سأله الشيخ صالح: هل لك مكان تقصده لصلاة التراويح؟ فأجاب ببساطته المعهودة: سأبحث عن مكان حتى أجد، فأصلي مثل الناس، فأخذه إلى حيث يصلي الأئمة ووضعه بجانبه على الرغم من الزحام الشديد، وفي الليلة المقبلة وكانت ليلة الختمة تأخر الشيخ صالح إلى الصف الثاني لضيق المكان ووضع الوالد رحمة الله في مكانه <sup>(1)</sup>، فجزاه الله خيراً على بره بشيخه.

ومن المواقف الغريبة ما حدثنيهِ الشيخ محمد حسان، ثم ذكره في برنامج في رثاء ابن جبرين في قناة «الرحمة» وعجبت من أن الوالد رحمة الله لم يخبرني بذلك، يقول الشيخ حسان: «تأخر الشيخ رحمة الله تعالى في يوم من الأيام عن درس المغرب في جامع الراجحي بالربوة، وهذا ليس من عادة الشيخ ثم حضر متأخراً قبيل العشاء وكان بعض الطلبة ما زالوا ينتظرون الشيخ رحمة الله تعالى فألقى درسه ولم يعلق على شيء، ثم سألته وكانت المفاجأة حينما علمت سبب تأخره رحمة الله، فقد كان في طريقه إلى الجامع مع أخ يقود السيارة فمر على كمين لحملة مروورية، وسأل الجندي الشيخ عن هويته وهو لا يعرفه، فاعتذر له الشيخ بأنه لا يحملها، ولما أراد قائد السيارة أن يخبر الجندي بأنه ابن جبرين، واذ بالشيخ يسرع فيسكت الطالب ويأمره ألا يخبر عنه، فأصر الجندي على أن ينزل معه الشيخ، فنزل الشيخ؛ لأنه لا يحمل البطاقة وذهب معه بالفعل إلى المخفر، ودخل بتواضعه الجم دون أن يتكلم، فقابله ضابط من طلاب العلم، فأقبل على الشيخ يقبل رأسه، ويرحب به بشدة، ويعرض عليه أن يقدم له أي خدمة يريدونها.

(1) <http://www.albarzh.com/vb/showthread.php?t=8932> موقع البرزة.



فابتسم، وأخبره بالسبب الذي جاء به إلى الشرطة، فما كان من الضابط إلا أن اعتذر غاية الاعتذار، وقيل رأسه، وعاد الشيخ إلى الدرس ولم يعلق على هذا الموقف بكلمة».

وهو *رحمة الله* لا يحب الرسميات، ويميل إلى البساطة، ولهذا يفضل السفر بالسيارة على الطائرة، وقد حدثني غير مرة وهو يقارن بين السيارة والطائرة، فيقول غفر الله له: الوقت متقارب، إذا أردت أن تسافر إلى مكة المكرمة ستحتاج إلى ساعة من البيت إلى المطار وساعة في المطار وساعة ونصف الساعة في الطائرة وساعة من الطائرة حتى تخرج من المطار وساعة ونصف الساعة إلى مكة المكرمة، فإذا حسبتها فإذا هي ست ساعات وأضف إليها ساعتين أو ثلاثاً وكن أمير نفسك تقف متى ما أردت وتصلي متى ما شئت وتأكل وتشرب ما تريد وتتحدث في أنس مع رفقتك وتستمتع بالمناظر وتحرم مطمئناً في المحرم، فهو يرى أن السيارة أكثر راحة وإن كانت الطائرة أقصر وقتاً، أما المنطقة الشرقية فيستحيل أن يسافر إليها بالطائرة إلا إذا كان في مهمة رسمية كمؤتمر أو نحوه، أما الرحلات العادية أو الدعوية فكل رحلاته إليها بالسيارة.

يقول الشيخ أحمد المهنا<sup>(١)</sup>: «أذكر من الأشياء التي أثرت في نفسي زيارة الشيخ للأمير فيصل بن بندر أمير القصيم، فقد كان هناك موعد محدد مع الأمير في عام ألف وأربعمائة وعشرين بعد صلاة الظهر، فلما وصلنا وجدنا العسكر عند الباب والبوابة مفتوحة، ويطلبون منا أن ندخل على المنصة التي تدخل على الباب الرسمي.

فقال الشيخ: لا، قف هنا أو ادخل في الموقف، فذهبنا إلى الموقف وجئنا على الأقدام».

(١) قناة المجد، مرآة الحدث.



وكان لا يأنف أن يجلس إلى من هو أقل منه علمًا، أو في طبقة طلابه وهذا يعرفه طلابه عنه، فهو يجلس دائمًا في الدرس الذي يسبق دروسه في الدورات العلمية التي تعقد في الصيف، فيحضر مبكرًا كبقية الطلاب ويجلس يستمع، وقد يجلس في درس بعد درسه. بل تقام أحيانًا محاضرة في وقت درسه المعتاد لبعض الدعاة والمشايخ، وتراه جالسًا يستمع للمحاضرة.

فقدته مرة في الحرم، وكان سألتني عنه أحد المشايخ لأمر مهم، فبحثت عنه كثيرًا في الأماكن التي أظن أنه يقصدها أو يجلس فيها، ثم وجدته في إحدى الحلقات لأحد المدرسين غير المشهورين في الحرم.

ومن تواضعه رحمة الله: أنه كان يرفض المديح والإطراء، وأشق شيء عليه أن يسمع ثناءً أو إطراءً.

يقول الشيخ الدكتور عبد الوهاب الطرييري<sup>(١)</sup>: «لم يكن تواضعه متكلفًا؛ بل كان على السليقة وبعضوية تأسر النفوس، وهذا الذي تنقطع دونه الهمم.

لقد كان تواضعًا فطريًا غير متكلف منسجمًا مع شخصيته، لا يؤثر فيه مدح المداحين، ولا يضره ذمُّ الذامِّين، فصدق عليه قول القائل: (مادحه وذامه سواء)<sup>(٢)</sup>، وأشق شيء عليه أن يسمع ثناءً أو إطراءً، ولا أزال أذكر أنني قدمت الشيخ يومًا ليلقي كلمة، فغلبتني عاطفتي تجاه شيخي، فوصفته ببعض ما يستحق، فلما قام ليلقي كلمته بدأها قائلاً: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله.

(١) مقالة بعنوان «حياة من نور».

(٢) هذه العبارة قيلت في شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله انظر الرد الواهر لابن ناصر الدين

والله لو علموا بقبح سريرتي      لأبى السلام علي من يلقاني  
ولأعرضوا عني وملّوا صُحبتِي      ولبؤتُ بعدَ كرامةٍ بهوان  
لكن سترتُ معايبي ومثاليبي      وحلمتُ عن زللي وعن طفَياني<sup>(١)</sup>

ثم تبرأ من كل ما قيل في مدحه قبل أن يبدأ كلمته». (١)

وقال رحمه الله مرة عندما مدحه المقدم في إحدى محاضراته<sup>(٢)</sup>: «أعتذر مما ذكره أخي من هذا الإطراء، وهذا الوصف البليغ؛ فلست هناك، فأنا من آحاد الناس، ولم أصل إلى هذه الرتبة التي أشار إليها، ولكن أحب أن أسهم بقدر ما أستطيع، وأستسمحكم عذراً عن الخطأ وعن الزلل؛ فلست بمعصوم. أقول ما تسمعون، وأرجوكم أن تعفوا عما يكون من التقصير، ومن النقص؛ فالإنسان محل النسيان، ولم نبليج درجة الاجتهاد، ولا درجة الحكم بما نراه؛ وإنما نقول بما نستطيعه، وبما وصل إليه علمنا. والإنسان عليه أن يعرض العلم الذي يسمعه على الأدلة، وعلى ما يقوله العلماء الأولون، وإذا رأى صواباً قبَّله، وإذا رأى خطأ رَدَّه؛ ولو كان القائل من كان، ولو كان فلاناً أو فلاناً».

ومن ذلك: أنه ذات مرة أنابه الشيخ ابن باز رحمه الله لإلقاء محاضرة في جامع الشيخ الدكتور عبدالعزيز التركي، فبدأ الشيخ المحاضرة بالاستغفار، ولوم النفس على الحديث بدلاً من الإمام ابن باز.

وكان يستشهد في مثل هذه المناسبة بقول الشاعر:

نزلوا بمكة في قبائل هاشم      ونزلت بالبطحاء أبعد منزل

(١) من أبيات القحطاني في قصيدته النونية البيت الثامن عشر وما بعده.

(٢) <http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=8&book=119&toc=7437&page=6542>



وقال مرة بعد قصيدة قيلت فيه <sup>(١)</sup>: «وبعد أيها الإخوة: فأنا لا أحب هذا المديح؛ وذلك لما ورد في الأحاديث: أن رجلاً مدح آخر عند النبي ﷺ، فقال: «ويحك! قطعت عنق صاحبك، إن كان أحدكم مادحاً لا محالة، فليقل: أحسبه كذا، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً». وبكل حال، فإن أخانا الشاعر -وفقه الله- قال وتكلم بحسب ما يظنه، ونحن نستغفر الله أن نكون دون ما يظن، ولا شك أن الإنسان أعرف بنفسه، ولا يجوز لأحد أن يظن أو يتخيل شيئاً لم يكن، والإنسان يظن بنفسه القصور، ويعرف من نفسه أنه ليس أهلاً للمديح ولا للمقالات؛ لما يعرفه من نفسه ولا يعرفه غيره».

وقال رحمه الله <sup>(٢)</sup>: «أنا أشعر بأنني ضعيف في الحفظ، كثير النسيان وكذلك إذا قايستم بيني وبين الزملاء، ولكن معلوم أن الإنسان إذا كرر المتن، وكرر القراءة يسر الله له الحفظ».

وقال أيضاً في مناسبة أخرى رحمه الله <sup>(٣)</sup>: «أعوذ بالله أن أكون في أعين الناس كبيراً، وعند الله صغيراً، وأقول كما قال الشاعر القحطاني:

والله لو علموا بقبح سريرتي      لأبى السلام علي من يلقاني  
ولأعرضوا عني وملوا صحبتي      ولبؤت بعد كرامة بهواني

وأقول كما قال أبو بكر رضي الله عنه: «اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون». ولا أحب أن أواجه بمثل هذا الإطراء، وهذا الرفع، فلسان الحال يقول:

أنا العبد الذي كسب الذنوباً      وصدته الأمانى أن يتوباً

(١) مقدمة محاضرة «محرمات متمكنة من الأمة».

(٢) قصتي في طلب العلم.

(٣) <http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=9&book=166&toc=7916&page=6932&subid=30073>

فأنا:

لي ذنوب شغلتنى      عن صيامي وصلاتي  
 تركت جسمي عليلاً      مات من قبل وفاتي  
 ليتني تبت لربي      من جميع السيئات  
 أنا عبد لإلهي      مغضب في الخلوات  
 قد توالى سيئاتي      وتلاشت حسناتي

ويقول الدكتور عبد الوهاب الطرييري<sup>(١)</sup>: «في يوم من الأيام سبقت الشيخ إلى حدائه، وقربته منه، وقبل أن أصل إليه أسرع إلي، ودفعني بكلتا يديه، وهو يقول: أستغفر الله. أستغفر الله، أستغفر الله، وقد وضع عليه كراهية هذا الأمر؛ ولذلك لم أعد إليه مرة أخرى».

ومن تواضعه رَحْمَةً لِلَّهِ: أنه لم يكن يرضى أن يُقَبَّلَ أحدٌ رأسه؛ بل يمنع ذلك ولا يحبذة؛ ويمسك عنق من يحاول، ويدفعه، في حين أنه يُقَبَّلُ هو رؤوس مشايخه وزملائه.

يقول عبد الله بن سعيد بن زعير<sup>(٢)</sup>: «صلى معنا الشيخ رَحْمَةً لِلَّهِ صلاة العصر في المسجد المحاذي لمنزل الوالد في اليوم الثاني بعد إطلاق سراح الوالد من سجنه. وتعانق الشيخان أمام المصلين. وأمسك كل منهما برأس الآخر ليقبله، ولكن الشيخ ابن جبرين أقسم على أن يقبل رأس الوالد، ففعل».

ويقول الشيخ محمد حسان<sup>(٣)</sup>: «كنت في مكة المكرمة، وكنت أحب اللقاء بالشيخ، فلما هممت بالانصراف من بيت الله الحرام وإذا بأحد الإخوة

(١) برنامج «مرآة الحدث» في قناة المجد.

(٢) <http://ibn-jebreen.com/ommah/index.php?t=content&tid=81&cid=769>

(٣) قناة «الرحمة» في رثاء ابن جبرين.





يناديني ويقول: الشيخ ينتظرك، فعدت إليه مسرعاً وإذا بالشيخ يقف للسلام علي وأنا من تلاميذه، فانكفأت على رأسه؛ لأقبلها وإذا به بقوة شديدة يقبل رأسي فانكبيت على يده لأقبلها فانكب على يدي، وهو يريد أن يفعل ذلك فبكيت وقلت: يا شيخنا، أنا تلميذك، فكيف تفعل ذلك؟».

ويقول خالد الأحمدى<sup>(١)</sup>: «أذكر أنني زرته في بيته ذات مرة لسؤاله عن بعض المسائل، فوقفت بفناء المنزل منتظراً قدومه من المسجد وكان بالقرب مني رجل مسنٌ من عوام الناس ينتظر الشيخ كذلك، ولما دخل الشيخ علينا ورأى الرجل هش له وبش كعادته، وصافحه بحرارة تُنبئك عن قرب الرجل من الشيخ، ولما همَّ الرجل بتقبيل رأس الشيخ، إذ بالشيخ يحاول هو تقبيل رأس المسن، وأخذاً بالتطاول أمامي في منظرٍ قل أن يتكرر ويُشاهد من غير ابن جبرين، وإذ بالشيخ يفاجئ الرجل ويفجؤني معه بانحنائه وتقبيله ليد ذلك المسن، فاستل الرجل يده مسرعاً وهو يردد: أنا من أقبل يدك يا شيخ».

ويقول الشيخ إسلام دعدوشة<sup>(٢)</sup>: «كان الشيخ ابن جبرين رَحِمَهُ اللهُ تعالى يضرب أعلى المثل في هذه المسألة، وكان ينهى الطلاب تماماً، حتى إنه كان يصعب عليك جداً أن تقبل رأسه أو تقبل يديه وقد حاولت مراراً، فكان يمنعني تماماً إلا على حين غرة».

ويقول تلميذه فهاد القحطاني<sup>(٣)</sup>: «كل يريد أن يقبل رأسه، حتى إن الشيخ كان يقول لي: أجلس أحياناً ثلاثة أيام أعالج رقبتني مما أجد من الآلام من كثرة ما يشد الناس رقبتني».

(١) لجينيات <http://174.120.81.100/index.php?action=showMaqal&id=8937>

(٢) برنامج «النبان» في قناة «الناس».

(٣) <http://ibn-jebreen.com/ommah/save.php?t=word&cid=781>

ومن تواضعه رحمة الله: تقديره للعلماء المعاصرين، وحرصه على زيارتهم،  
وعيادة من يمرض منهم.

يقول الشيخ أحمد عبد الرحمن الكوس<sup>(١)</sup>: «كان متبحراً في مذهب الإمام  
أحمد بن حنبل، وكذا كان أجداده من العلماء، واشتهر بذلك حتى إن العلامة  
محمد بن جراح كبير علماء الحنابلة في الكويت أوصى قبل موته بعض كبار  
تلاميذه بالعلامة ابن جبرين رحمة الله وبالعلامة عبد العزيز آل الشيخ رحمة الله  
(المفتي الحالي للمملكة) فلما ذهبوا لابن جبرين قال في تواضع جم: كيف  
تقرؤون علي بعدما قرأتكم على الشيخ ابن جراح؟ فكان رحمة الله متواضعاً، ولعل  
هذا من أسباب رفعة وقبول الناس له».

وكان في كل عام يذهب غالباً من تاريخ الخامس عشر من رمضان  
إلى مكة المكرمة ويقيم إلى آخر الشهر، ومن الأشياء التي يقوم بها في مكة  
المكرمة أنه يسلم على جميع أئمة الحرم، فيمر على كل واحد منهم في مكتبه  
أو غرفته، وكان يفطر مع الشيخ عبد الرحمن السديس في الحجر ويسلم عليه،  
وكانوا يعتذرون للشيخ ويقولون له: لك الحق علينا أن نأتيك.

وكان رحمة الله أيضاً كلما ذهب إلى مكة المكرمة، يزور الشيخ إبراهيم  
الحديثي قاضي أبها رحمة الله ويفطر معه في الحرم، ولما توفي الشيخ الحديثي لم  
يقطع الشيخ هذه العادة؛ بل استمر على ذلك وكان يأتي عند أبنائه ويفطر معهم.

وله كما سأذكر بعد زيارات منتظمة لعدد من المشايخ وأهل الخير  
ومنهم سماحة الشيخ عبد الله بن عقيل والشيخ فهد بن حمين رحمة الله والشيخ  
ناصر الشثري والأمير عبد الرحمن بن عبد الله.

(١) <http://www.arrouiah.com/node/170419>



في عام (١٤٢٦) سمع الوالد رحمه الله أن الشيخ سفر الحوالي مريض، وأنه في العناية الخاصة، فذهب للاطمئنان على حالته، وكان يحضنه ويقبله كأب، ويمسح بيده على جسمه؛ ليواسيه ويبشره بثواب الله<sup>(١)</sup>.

يقول الشيخ سلمان العودة<sup>(٢)</sup>: «قبل عشرين سنة، أي: عام (١٤١٠هـ) بدأتي هو بالزيارة، وسهر في بيتي مع ثلثة من أبناءه الصغار، الذين يسميهم (مشايخ) بكل عفوية وصدق.

ويقول: لقد أرسل إلي صديقي د. علي الحماد: يعزيني في الشيخ. وقال: كنت عنده قبل مرضه وقلت له: الأخ سلمان مواعدي في الرياض، فنريد أن تشرفنا معه يا شيخ؟ فقال: لا بأس بشرط أن يعطيني الأخ سلمان موعداً».

يقول الشيخ حماد الحماد<sup>(٣)</sup> ومن تواضعه: تقديره للعلماء المتقدمين والمتأخرين، بل قرأت له مقدمات لكتب ورسائل وسمعته في دروسه يصف بعض طلابه بصفات التبجيل، كقوله العلامة الشيخ ونحوها.

وكان رحمه الله: يزور طلابه إذا مرض أحدهم، أو دعاه للزيارة، يقول الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز الشثري<sup>(٤)</sup>: «زارني الشيخ في منزلي عام (١٤٢١هـ) عندما علم أنني أصبت بحادث مروري، وكان لهذه الزيارة الأثر الكبير عليّ وعلى من كان حاضرًا عندي ذلك اليوم في المجلس».

يقول الشيخ عصام العويد<sup>(٥)</sup>: «من المواقف العجيبة يقول أحد الإخوة في زواج أختي: نسيت أن أدعو الشيخ حتى أذن العشاء والزواج بعد صلاة

(١) مقالة خضر سند.

(٢) من مقالة للدكتور سلمان العودة بعنوان السهل الممتنع:

http://www.islamtoday.net/salman/artshow-28.htm.116315

(٣) http://www.alriyadh.com/2009/07/24/article447102.print

(٤) http://www.al-jazirah.com.sa/2009jazz/aug/7/is14.htm

(٥) فتاة واقراء.

العشاء، فجئت إلى بابه لأطل إطلالة؛ لعلي أجده، فرأيته خارجاً إلى الصلاة فسلمت عليه وقلت له يا شيخ عبد الله، الليلة زواج أختي ولعلك أن تأتي، فاعتذر، فقلت: إن أباهم توفي وليس لها إلا الله ثم أنت وألححت عليه وأخرجت مكبر الصوت من جيبى حتى أريه أني قد جهزت له كلمة، فجاء معي رحمة الله».

ومن تواضعه رحمة الله: أنه كان يصرح برأي طلابه في بعض المسائل.

يقول الشيخ حماد الحماد<sup>(١)</sup>: «سمعتُه أكثر من مرة يراجعه الشيخ عبدالعزيز السدحان أحد طلابه المبرزين في بعض المسائل حال الأسئلة، فكان الشيخ رحمة الله يقول: الشيخ عبدالعزيز يقول كذا، الشيخ عبدالعزيز يقول: الحديث ضعيف».

ويقول الشيخ محمد زياد بن عمر التكلة<sup>(٢)</sup>: «مرة في أحد دروسه ذكر معلومة مشتهرة عن الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، لكنها غير ثابتة عند التحقيق، فكتبتُ ورقة بذلك وأرسلتها للشيخ، فقرأها أمام الحضور، وقال بكل تواضع: هكذا كتب الأخ، ونستغفر الله إن أخطأنا».

وقال أيضاً: «ولا أنسى لما طلبت من سماحته الكتابة بشأن القطعة المكذوبة التي وضعها بعض الغلاة، وزعموا أنها من مصنف عبدالرزاق الصنعاني، وكتبتُ فيها كتابة، وأعطيتها مع الأصل المردود عليه لمكتب الشيخ، فلم يرعني إلا اتصالاً في اليوم التالي، وآخر ما توقعته أن يكون المتصل هو الشيخ نفسه، فقال بنبرته المعتادة بعد السلام: معكم أخوكم عبد الله بن جبرين - هكذا دون ألقاب، وقال: اتصلت بك لأشكرك على كتابتك، وقد

(١) <http://www.alriyadh.com/2009/07/24/print/447102.article>

(٢) <http://alukah.net/articles/1.7038.aspx>



كُتبتُ لك بياناً في الموضوع تفضل وخذه من المكتب، وختم بدعوات صالحات أرجو من الله إجابتها، وأنهى المكالمة بالسلام، وأنا لا أكاد أستوعب الموقف الذي أثارني كثيراً: من تواضع الشيخ، وسرعة استجابته - مع انشغاله التام بالدروس المكثفة وغيرها، ولما أخذت البيان ظهر لي أن الشيخ اقتطع من وقته الثمين جزءاً ليس قليلاً لهذا الموضوع. فقد قرأ الأصل والرد الطويلين، وراجع لأجله بعض الكتب، وكان بيانه من أهم البيانات التي كُتبت في العالم الإسلامي في إنكار تلك الجريمة النادرة من الكذب المعاصر في الحديث النبوي».

ويقول الشيخ سلمان العودة<sup>(١)</sup>: «لقد أدهشني مرة أن كان في مدينة الرّس، فسُئِل عن مسألة المساهمة في الشركات التي فيها نسبة قليلة من الربا، وأصل نشاطها مباح، فقال: كنت قلت بتحريمها ثم قرأت جواب فلان، وأنا الآن أقول به، وسمى عبداً مثلي، لا يصلح أن يكون من تلاميذه».

ويقول الدكتور عبد المحسن العسكر: «وحضرت له مجالس كثيرة يطلب فيها أن يتحدث، فيشير إلى من هو في طبقة طلابه أو صغارهم، وكنا مرة في حدود عام ١٤٠٥ هـ في جامع تركي بن عبد الله المعروف قديماً بالجامع الكبير وهو إمام المصلين، إذ صلى خلفه في آخر الصف الثاني أحد زملائه في التدريس في كلية الشريعة، وهو أصغر منه سنّاً فقام إليه الشيخ وسلم عليه».

وتذكر أختي «هيا» أنه كان يحكي لهم قصة مثل لامرأة ماكرة تعطي زوجها وأولاده من غيرها طعاماً رديئاً، وتخفي في أسفل القدر طعاماً جيداً شهياً فتبقيه لنفسها، وتقول: لا أريد سوى حكاك القدر، وهو ما يتبقى في القدر بعد غرف الطعام وغالباً ما يكون ناشفاً أو محروقاً، فاكتشفها ابن

(١) من مقالة للدكتور سلمان العودة بعنوان السهل الممتنع:

http://islamtoday.net/salman/artshow-28.htm.116315

لزوجها وصار يأكل معها، فقال لأبيه لما دعاه للأكل معهم: أنت ما تدري وولدك يدري، أحلى المعاوش حكاك القدر، فذهبت مثلاً.

فقلت له: أحلى المعایش بالیاء أفصح. فقال: صدقت: لقوله تعالى: ﴿مَعِيشٌ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُمُ رِزْقِينَ﴾ [الحجر: ٢٠].

ومن ذلك: أنه كان يراجع النشرات والكتب التي يطلب منه طلاب العلم مراجعتها والتقديم لها، حتى لو كان صاحب الكتاب شاباً صغيراً، يقول الشيخ أيمن بن عبدالعزيز أبانمي<sup>(١)</sup>: «قبل نحو خمسة عشر عاماً، حينما كنت في المرحلة الثانوية، كتبت ورقة عن بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، فأردت من الشيخ ابن جبرين أن يراجعها؛ فذهبت إلى مكتب الشيخ في الإفتاء، فلما دخلت على الشيخ في مكتبه، فإذا بعدد من الناس يريدون سؤال الشيخ، وبجواره ثلاثة أو أربعة أجهزة هاتف والموظف يقول للشيخ تفضل اتصال من جنوب إفريقيا، فيأخذ الشيخ السماع، ويجيب عن السؤال، وما إن ينتهي الشيخ حتى يعطيه السماع الأخرى من مصر والثالثة من سكاكا ورابعة من الحفر، ثم يأخذ المستفتين ويجيبهم، فلما جاء دوري قدمت للشيخ الورقة التي تحتوي على كلام مكتوب بخط صغير، وطلبت من الشيخ قراءتها والتعليق عليها. توقعت أنه سيقول لي: راجعنا بكرة؛ لما رأيت من كثرة مشاغله، لكن الذي فاجأني أن الشيخ أخذ الورقة وجعل يقرأها كلها، ثم فتح قلمه وكتب في آخرها مراجعته للورقة وإقرارها والحث على نشرها، ومهرها بتوقيعه وختمه وسلمني الورقة بكل تواضع، ولم يقل هذا شاب صغير في الثانوي، ويحمد الله تمت طباعة تلك الورقة في مطوية، وتم توزيعها على الآلاف في العالم الإسلامي؛ لتكون في ميزان حسنات الشيخ، مع أن العملية لم تستغرق من

(١) <http://www.al-jazirah.com/84158/rj4.htm>





الشيخ سوى خمس دقائق، وهكذا العظماء ينجزون أمورًا عظيمة في أقصر الأوقات ودون ضجيج».

ومن تواضعه رحمة الله: أن السائل يأتيه ليسأله، وهو في المجلس، فيستحي السائل أن يسأل أمام الناس الحاضرين، فيطلب من الشيخ أن يخرج معه خارج المجلس، فيلبي الشيخ طلبه، ويخرج معه إلى خارج المجلس، وربما كان هذا السائل شابًا صغيرًا.

ومما يقرب من هذا ما يذكره الدكتور طارق الخويطر يقول<sup>(١)</sup>: «أذكر مرة أنني اتصلت عليه أسأله بعض الأسئلة، وكنت قد فتحت جهاز التسجيل في الجوال، وفي أثناء جوابه لي علمت أن التسجيل توقف، فطلبت منه أن أعيد الاتصال عليه، فقال: لا بأس، فأعدت الاتصال عليه مرة أخرى، ثم قلت له: سأعيد السؤال مرة أخرى، وأرجو منك أن تعيد الجواب؛ لأنه لم يُسجل، فوافق رحمة الله».

ومن تواضعه رحمة الله: أنه كان يلاعب الصغار، ويسألهم أين يدرسون؟ وكم يحفظون من القرآن؟ وهو بيتسم لهم ويضاحكهم؛ وربما ركل الكرة بقدمه حينما تأتي أمامه؛ ليعيدها لصبية يلعبون في الشارع.

وقد كان رحمة الله يحترم طلاب تحفيظ القرآن الكريم، ويجلهم ويعرف لهم قدرهم، ويحضر حفلات تخرجهم، ويستقبلهم في بيته، يقول الشيخ خالد الهميش وهو مشرف على حلقات تحفيظ القرآن الكريم في حي الروضة في الرياض<sup>(٢)</sup>: «قبل أكثر من أربع سنوات رتبنا موعدًا لزيارة الشيخ عبد الله الجبرين؛ لزيارته في منزله، وكان معي مجموعة من الطلاب الحفظة لكتاب

(١) <http://www.al-jazirah.com/96916/rj5.htm>

(٢) [http://www.aleqt.com/2009/article\\_252363.html/15/07](http://www.aleqt.com/2009/article_252363.html/15/07)

الله الكريم، فاستقبلنا رحمة الله في منزله، وكانوا خلال مقابلتهم للشيخ يريدون أن يقبلوا رأسه، فكان يرفض، بل إنه قام لاستقبالهم جميعاً مع أنهم في سن أحفاده وكنا نقول له: استرح يا شيخ، فكان يقول: هؤلاء الحفظة لا بد من القيام لهم: لأنهم يحفظون كتاب الله الكريم، فكان موقفاً مؤثراً في حياة هؤلاء الشباب وأسهم في ثباتهم على الطاعة حتى الوقت الحاضر».

ومن تواضعه رحمة الله: معاملته الرحيمة للخدم والسائقين ونحوهم، كما سيأتي ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى.

ومن تواضعه رحمة الله: فتح بابه وقلبه للشفاعات وهو من أشهر من عرف بذلك بعد شيخه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمة الله وسيأتي ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى.

ومن تواضعه رحمة الله: أنه كان سهلاً سمحاً يقبل دعوة من يدعوه، فيزوره في بيته، وربما ألقى كلمة في ذلك المجلس؛ ليفيد الحاضرين، يقول الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله السليم<sup>(١)</sup>: «أذكر للشيخ رحمة الله موقفاً لطيفاً، وذلك بعد أن انتهى الشيخ رحمة الله من أحد دروسه في أحد المساجد، جاءه أحد كبار جماعة ذلك المسجد، وطلب من الشيخ أن يزوره في بيته، فاعتذر الشيخ منه بعد أن بينَ عذره وطيبَ خاطره بالدعاء له ولذريته، ولكنه أعاد طلبه على الشيخ، فما كان من الشيخ إلا أن قبلَ دعوته، وحدد له موعداً قبل صلاة المغرب بنصف ساعة من اليوم نفسه، مع أنه قد كان للشيخ رحمة الله في ذلك اليوم ستة دروس. وفي الموعد: اجتمع في مجلس المضيف: الشيخ رحمة الله وأحد أبنائه وثلاثة من طلابه، والمضيف وأبناؤه، وبعد السلام أخذ المضيف يعرف أبنائه للشيخ ويذكر له وظائفهم ومراحلهم الدراسية، وكم للمتزوج منهم من

(١) <http://www.al-jazirah.com/119698/fe25.htm>

الأولاد، ومتى قدم للرياض، ولماذا اختار هذا الحي... وأخذ يستطرد في ذكر وظيفته، وحاله بعد التقاعد منها، ونحو ذلك.

ولا أزال أذكر ابتسامه الشيخ رحمته الله، وإظهاره السرور بما يسمع، يستحته بذلك على الاستمرار، ولما انتهى المضيف مما أحب أن يذكره، دعا له الشيخ رحمته الله ولاطفه في الكلام، ثم بدأ رحمته الله يقابل المضيف في حديثه عن نفسه، فأخذ يعرف له أبناءه، ويذكر له وظائفهم وأعمالهم، ومتى قدم إلى الرياض، وأين أول مسكنه فيها... إلى آخر كلامه رحمته الله مما يناسب حال المضيف؛ وعجبت أكثر حين علمت أن الشيخ يقابل مضيفه لأول مرة.. فعجبت من هذا العالم الرباني، وعظيم أدبه، وكمال مروءته، وحسن مراعاته لمشاعر جلسه..

ومن تواضعه رحمته الله: أنه لا ينتقم لنفسه، ولم تبدر منه الإساءة إلى أحد من الناس فيما أعلمه، ولم يتجهّم أو يصخب على أحد من المستفتين، أو طلاب العلم أو غيرهم، فكان لطيفاً حبيباً قريباً من النفوس؛ وإذا وقع منه مثل ذلك تراجع وطلب المعذرة والمسامحة، يقول تلميذه الشيخ محمد زياد ابن عمر التكلة<sup>(١)</sup>: «ومن القصص المعبرة التي شهدتها له: أنه تكلم في أحد دروس التسهيل للبعلي عن العمالة الوافدة، واستطرد في الكلام إلى أن أصاب فيه -من غير قصد- جرحاً في نفوس بعض الحضور من الوافدين، وفي نهاية الدرس قرأ المعيد ورقة جاءت للشيخ: بأنك قلت كذا وكذا وألمتنا، فقال الشيخ أمام الملا: إنني لم أكن أقصد هذا، وأعتذر، وأرجو المسامحة، ونحو ذلك.

ولم تنته القصة هنا، فقد كان ذلك الدرس في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية في حي سلطانة بعد صلاة العصر، وكان لشيخنا درسان متواليان بعد المغرب والعشاء في مسجد الراجحي بشبرا، وكنت ممن حضرهما، وبعد درس

(١) خواطر ومواقف في وفاة سماحة الشيخ ابن جبرين لمحمد زياد بن عمر التكلة:

<http://alukah.net/articles/1/7038.aspx>

العشاء طُرحت الأسئلة عن الدرسين، فجاء ضمنها ورقة لأحدهم مفادها: إنني يا شيخ، بعد أن سمعت منك الكلام السابق في درس العصر تضايقت، ووقعتُ فيك، واغبتك، فأرجو منك مسامحتي. فما كان من الشيخ إلا أن قال بابتسامته المعتادة ما معناه: قد حلتك، واشهدوا أنني حلت كل مسلم.

ومن تواضعه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه إذا أراد شيئاً ليس قريباً منه فإنه لا يطلب ولا يتكلم إلا نادراً ولكن نلاحظه ينظر إليه بطرف عينه دون أن يشعر أحد، وقد تعودنا منه ذلك وعرفنا طريقته فإذا رآه من معه ممن يعرف طبيعته أنه لخص الشيء بعينه عرف أنه يريد فقربه منه، فمثلاً ونحن على المائدة والماء بعيد عنه لا يقول: أعطني ماء مع أبي ابنه وأتشرف بخدمته؛ لأنه لا يطلب مطلقاً، فإذا نظر إلى الماء بطرف عينه عرفت أنه يريد، فأقربه له، بل إنه يقوم من المجلس ونحن عنده فيذهب لمكتبه أو للمكتبة ويرجع بطرف أو كتاب ولا يأمر أحداً بالإتيان به، مع أنه لو أشار إلى أحد ممن معه إشارة لسُرَّ بذلك وفرح بالخدمة، غير أنه تعود ألا يسأل الناس شيئاً حتى أبناءه وموظفيه، مستحضراً في ذلك وصية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ألا تسأل الناس شيئاً»<sup>(١)</sup>، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «من يتقبل لي بواحدة أتقبل له الجنة»<sup>(٢)</sup>، قال: قلت: أنا. قال: «لا تسأل الناس شيئاً»، فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب، فلا يقول لأحد: ناوئنيه حتى ينزل، فيتناوله<sup>(٣)</sup>.

يقول الشيخ أحمد المهنا<sup>(٤)</sup>: «في أثناء تسجيل برنامج سؤال على الهاتف كنت أنا الوحيد الذي يدخل معه إلى الغرفة؛ لنقوم بالتسجيل، فكانت زوجته

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢١٥٠٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٢٣٨٥)، وابن ماجه في باب كراهية المسألة من كتاب الزكاة برقم (١٨٢٧).

(٣) الإمام ابن جبرين.. أسرار.. مواقف.. لعمر بن أحمد الضبعان:  
<http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229>





أحياناً تضع القهوة أو الشاي عند باب الغرفة، فكان الشيخ يقوم بنفسه على الرغم من أنه في الخامسة والسبعين، ويرفض أن أقوم أنا».

هذه بعض معالم تواضعه رحمة الله ولقد أورثته هذه الخصلة محبة في قلوب الناس وقبولاً عند الخاصة والعامة، ولم تكن هذه الخصلة مانعة له من عزة النفس؛ لأن التواضع هو رفعة لا مهانة وعزة لا ذلة، وهكذا كان رحمة الله.

### زهد وورع

صفتان من صفات الكمال، تضيفان على من تحلى بهما رونقاً وبهاءً، ونقاءً وصفاءً، نحاول أن نمر على كل صفة؛ لنجلي بعض معالمها في حياة الوالد رحمة الله، الذي كان قدوته نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم إمام الزاهدين الذي قال: «مالي وللدنيا»<sup>(١)</sup> وهو الصادق الأمين الغاية في الورع والتقوى واليقين صلوات الله عليه وسلامه إلى يوم الدين.

فأما الزهد فلقد عُرف الشيخ الوالد رحمة الله بزهده الفريد، حيث سار على نهج السلف الصالح من هذه الأمة في التقلل من الدنيا، متمثلاً في ذلك قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «اللهم، أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرنني في زمرة المساكين»<sup>(٢)</sup>.

وكان رحمة الله إذا ذكرت عنده أمور الدنيا يتمثل بقول الشاعر:<sup>(٣)</sup>

هي الدنيا تقول بملء فيها      حذارِ حذارٍ من بطشي وفتكي  
فلا يفرركم مني ابتسام      فقولي مضحك والفعل مبكي<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه البخاري في باب هدية ما يكره لبيه من كتاب الهبة وفضلها برقم/٢٤٧١.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي عن أنس في باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم من أبواب الزهد برقم/٢٣٥٢.

(٣) هو من قصيدة لأبي الفرج الكاتب يرثي بها أحد الملوك، انظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي ٧٠٨/٤.



ويذكر العم محمد أنه رأى الوالد رحمة الله قد علق على أحد كتبه  
قول الشاعر:

قاطع الدنيا فمن عاداتها      تخفض العالي وتعلي من سفل<sup>(١)</sup>

ترك رحمة الله مزاحمة أرباب الدنيا، وتفرغ لطلب العلم وبذله؛ فكان له ما  
كان من رفعة وشموخ وعزة وتمكين، وسيرة طيبة سيحفظها التاريخ.

إن زهده رحمة الله يذكرنا بزهد السلف الصالح الذين نُقل عنهم أعجب  
الصور في الزهد في الدنيا وزينتها، ولولا أن هذا الكتاب في سيرته رحمة الله  
لذكرنا من عجائب السلف في ذلك شيئاً كثيراً لكننا نخشى الإطالة.

كانت قاعدته رحمة الله التي خطها لنفسه أنه لا يطلب شيئاً من أمور  
الدنيا، ولا يسعى لها، وإذا طرقت بابه من غير الباب الذي يرتضيه ويأمنه  
ردها؛ خوفاً على نفسه منها.

وكان متبسّطاً في حياته كلها، في لباسه، وطعامه، وكلامه، وغيرها، ولم  
ينقص ذلك من قدره شيئاً؛ بل والله هو بعض ما حاز به المعالي.

وأذكر هنا نماذج مما أعرفه، أو رواه بعض من اطلعت على كلامهم من  
أقاربه وتلاميذه ومعارفه، مما يدل على زهده رحمة الله لعل ذلك يكون حافظاً  
لطلاب العلم على سلوك هذا المسلك العسير.

فمما أثر في نفسي، وحضر في ذاكرتي أنه لما أعيد للعمل بعد حادثة لجنة  
الدفاع عن الحقوق الشرعية عام ١٤١٣ هـ ذهب للسلام على الشيخ ابن باز  
رحمة الله وكان في الطائف، ثم مر بجدة؛ للسلام على الأمير سلمان.

(١) من وصية عمر بن الورد المتوفى سنة ٧٤٩ هـ لولده، انظر جواهر الآداب ٤٣/٢.

فرح به الأمير، وأكرمه، ودار بينهما حديث محبة ومودة وكان مما قاله له الأمير سلمان: «يا شيخ عبد الله، نحن نعرف صدقك وإخلاصك ومحبتك للخير، والملك أوصاني قال: انظر ماذا يريد الشيخ ابن جبرين، وأعطوه إياه». فكانني أراه الآن وهو ينفض يديه رحمة الله ويقول: جزاكم الله خيراً، وجزى الملك خيراً، لا نحتاج إلى شيء، عندنا بيت ملك، وليس علينا ديون، وعندنا ما يكفيننا وأهلينا.

لم يستغرب الأمير جوابه؛ لأنه يعرفه ويعرف عدم رغبته في هذه العطايا تربية لنفسه وتهذيباً، ولهذا قال: إذا اجتمعتم إلى شيء فتحن جاهزون. أعلم أنه لو طلب في ذلك الموقف ما طلب لأعطي، ولكنه طلق الدنيا ثلاثاً رحمة الله.

لقد خرجت من قصر الأمير مع الوالد حيث الأثاث والرياش والفضامة ورأسى يعانق السحاب، صغرت الدنيا في عيني، ورأيتها كنواة ملقاة على الأرض ينظر الناس إليها، ولا يأبهون بها.

رحمة الله، لقد علمني هذا الموقف كثيراً، فهذه المواقف لا يطيقها كل أحد، ولا يحسن التعامل معها إلا أولو الألباب المهديون للصواب.

لقد ربانا رحمة الله بفعله وسمته قبل أن يرينا بأمره ونهيه، ففطمنا أنفسنا أنا وإخوتي عن أن نطلب أو نتكثر، فلا أذكر أننا كتبنا سواداً في بيضاء لطلب شيء من الدنيا له أو لنا.

وهذه قصة أخرى قريبة من سابقتها، ففي أواخر عهد الملك فهد رحمة الله أرسل للوالد رحمة الله مائة ألف، وكان الرسول سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد

وهو من محبي الوالد، فجاءه، وقال: «يا شيخ، هذه من الأمير عبد الله يسلم عليك ويقول هذه ضيافة لكم، وستكون شهرية».

فشكره الوالد، فلما كان من الغد ناداني وأراني خطاباً لطيفاً كتبه للأمير عبد العزيز يعتذر منه عن قبول هذه الضيافة، وأنه بخير وليس محتاجاً إليها، فأشرت عليه أن نستشير بعض المشايخ الذين يثق الوالد في سداد رأيهم، ثم نعمل بما يظهر له بعد مشورتهم، وكان رحمته الله يحب ذلك، فاستشرت بعض كبار العلماء ممن أعطوا هذه الضيافة عن رأيهم فيما رآه الوالد، فأشاروا بأن يصرفها على المكتب والموظفين، وأخبرني أحدهم بأنها مؤقتة وفعلاً لم تستمر سوى ثلاثة أشهر، فأخذ الوالد بهذا الرأي وكتب رحمته الله خطاباً بما صنعه فيها.

ومن المواقف في هذا أنه يوجد بجوارنا في الحي أرض واسعة على أربعة شوارع، وهي حكومية، فألح علينا بعض الأقارب لطلبها للوالد؛ لتوسع فيها، فشاورت الوالد فيها، فقال: لتكون سكناً للطلاب، فقلت: أو لنا، فسكت، فظننته قد وافق، فأعددت خطاباً موجهاً للأمير سلطان رحمته الله حول الموضوع، وجعلت فيه عمومًا؛ خشية أن يرفضه الوالد رحمته الله، وكان ذلك مني رغبة في بناء بيت يناسبه رحمته الله، ولما قابلنا الأمير سلطان هش وبش ورحب بالوالد رحمته الله، فسلمت الوالد الخطاب، فشرح للأمير الموضوع، وقال: بجوارنا أرض حكومية نرغب في أن تمنح لنا سكناً يتوسع فيه الطلاب، ففرح الأمير بالطلب وقال: تستاهل يا شيخ عبد الله، فعرف نيته رحمته الله، وكان بعض الأهل لما منحت له يطلبون منه عمارتها، وهو يجيب جواباً عاماً، فلما توي رحمته الله أخبرت الورثة وهم زوجته وإخوتي بنيته فيها رحمته الله فطابت بها نفوسهم، فجعلناها وقفاً جزاهم الله خيرًا.





فلم يكن زكوة الله يعير الدنيا اهتماماً، وكان بإمكانه أن يستغل مكانته وشهرته لجني الأموال الطائلة، ولكن الله أنعم عليه بالقناعة وملاً قلبه بالغنى وإنما الغنى غنى النفس.

ومن جالسه زكوة الله وخالطه تبين له عظيم زهده، وبعده عن التكلف، وعن زخارف الدنيا، وكأنه يعيش في غير عصره، لم تغره هذه الحياة ببهرجها وزخرفها الفتان.

عاش زكوة الله عازفاً عن مظاهر الدنيا، لا يعرف من البيع والشراء إلا ما يحتاج إليه في حياته العادية، وذلك قبل أن تكبر أنا وإخوتي، وبعد أن كبرنا كفيناه المهمة، فانصرف عن الدنيا بكليته وصرف حياته كلها في العلم ونفع المسلمين.

يقول العم محمد محفوظ الله عن الوالد زكوة الله: «عندما عين مدرساً في معهد إمام الدعوة جعلوه في المرتبة الثالثة، ثم عينوا زملاءه في المرتبة السابعة ولم يطالب ولم يراجع حتى ألححت عليه، فكان يقول: ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ولما ذهب إلى الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ - وكان نائباً للشيخ محمد بن إبراهيم على المعاهد العلمية - جعلوه في السادسة واعتذر له الشيخ عبداللطيف بأنه لم يعلم عن ذلك».

وقد مكث في إدارة الإفتاء سبعة عشر عاماً لم يطلب ترقية ولا انتداباً، وكان المشايخ يذهبون في الصيف للطائف ويجلس في الرياض ولا يطلب شيئاً، وكذلك ينتدبون للحج في كل عام، ولا يذهب معهم في التوعية، وكان حينما كان في الجامعة يذهب مع التوعية في كل عام، ولم يكلم الشيخ ابن باز في شيء من ذلك، مع أنه من أقرب الناس له.



وبعد أن توليت أمور الوالد وجدت في بعض أوراقه صكوكاً لقطعتي أرض صغيرتين في حي لبن وحطين في مدينة الرياض وسندات لأسهم الراجحي، فسألته عن ذلك؟ فقال: هذه الأراضي منحة من الدولة، منحت لأساتذة الجامعات، وهذه الأسهم أشار بها بعض الإخوان منذ مدة طويلة.

وكانت شهادة أسهم الراجحي قديمة من أسهم التأسيس وفيها ٩٤ سهماً بقيمة مئة ريال للسهم، أي قيمتها نحو عشرة آلاف ريال والوالد لم يحرك فيها ساكناً ولم يفتح محفظة، فراجعت البنك ووجدتها قد وضعت مرات، ورتبت وضعها النظامي.

أما الأراضي فهي أيضاً على وضعها منذ أن استلمها قبل ثلاثين عاماً، فقامت أيضاً بترتيب أمورها النظامية.

ولم يسألني رحمة الله عنها ماذا صنعت، إلا أنه كان يسألني في رمضان كم تتوقع عندنا نزكاه؟ فأجتهد بحسب وسعي، وأقدر.

وبعد انتقالنا من بيتنا في حارة السبالة إلى حي شبرا بقي بيت السبالة فارغاً، ثم إن أحد جيرانه اقترح علينا تأجيريه مستودعاً للأواني، فكنت أنا أتابع تحصيل الأجرة وكان الوالد إذا تأخرت يحثني، ويلومني فأتي له بالأجرة كاملة، ولا أعلم سبب حرصه حتى دخل المستشفى رحمة الله فقال لي: «أحرص على عمارة بيت السبالة، فإني قد أوقفته في أعمال البر» فعلمت حينها سبب حرصه على الأجرة، حيث كان ينفقها في وجوه الخير.

يقول الشيخ أحمد المهنا<sup>(١)</sup>: «تعلمون أن بعض طلاب العلم والمشايخ لهم أنشطة تجارية، أو على الأقل ربما يتحدثون عن بعض أمور الدنيا، كالتجارة

(١) <http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229>



والاقتصاد وغيرها، في حين كرس الشيخ عبد الله بن جبرين كل حياته لأمر الآخرة، من علم ودروس ومحاضرات وفتاوى.

وأنا بحسب معرفتي بالشيخ لا أعلم أنه تكلم في أمر من أمور الدنيا أبداً، ولا سأل عن أمر من أمورها، وتلاحظون في العادة أن البعض وهم يسيرون في الطرقات يسألون عن الأراضي وأسعارها، أو مثلاً هذه العمارة جميلة أو هذا القصر جميل، بينما لم أرَ الشيخ يتحدث عن أمر كهذا إطلاقاً، ولم يكن ينظر إطلاقاً إلى مظاهر الدنيا.

وكان رحمه الله عندما يسافر في السيارة من الرياض إلى إحدى مناطق المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات، تجده ممسكاً بكتاب يقرأ ويصحح فيه، وقد يكون الكتاب له، أو لغيره لمراجعته والتقديم له، والشاهد: أن السيارة تسير مسافات طويلة، وهو لم يرفع نظره من الكتاب لينظر إلى متاع الحياة الدنيا، كما يفعل الكثير.

يقول الدكتور غازي الشمري<sup>(١)</sup>: «الموقف العجيب الذي أذكره من حياة شيخنا العالم الجليل أول مرة رأيت الشيخ فيها في أكثر من مجلس قبل تسع أو عشر سنوات أننا نجلس في مجالس لأكثر من ساعة أو ساعتين أذكر أنهم لم يتكلموا في الدنيا أبداً، أول ما يجلس يسلم ويسأل عن الصحة والأولاد، ثم تبدأ الأسئلة لا يتكلم عن عقار ولا عن موديل سيارات ولا عن بيوت، حتى إنني اتصلت على أحد أقربائه فقلت له، فقال: الشيخ معروف بهذا، هذه طبيعته».

وأما زهده في ملبسه: فإنه لا يحب التباهي في لباسه وهيئته، والذي لم يسبق أن رأى الوالد رحمه الله قد لا يعرفه؛ لأنه لا يتميز في لبسه عن الناس بشيء.

(١) حلقة عن حياته رحمه الله في قناة «حياتنا».

وكان رحمة الله ربما ذهب إلى بعض الوجهاء لابساً ثياباً عادية، ومشلحاً متواضعاً، فهو يدخل البيت قبل ذهابه، ويأخذ المشلح المعلق أياً كان، ويمضي مهما كانت المناسبة.

وكان رحمة الله لا يجدد الملابس في كل حين على عادة الناس، بل كان يقول: ملابسي جيدة لا عيب فيها، فكنا نحرص على أن نأخذ القديم من الملابس، ونضع بدلاً منه ملابس جديدة، وكذا الأمر في الأحذية وغيرها.

وفي السنوات الأخيرة عزم عليه أحد محبيه وهو الشيخ سليمان بن حمد اليحيى صاحب مؤسسة الكسائي ومحال الفاخرة للخياطة أن يفصل له ثياباً في الصيف وفي الشتاء وكان يرسل الخياط إلى بيت الوالد رحمة الله ليأخذ مقاساته.

ومن زهده أن معه ساعة مكثت سنين طويلة، وكانت مربوطة في سلسلة تتدلى من جيبه الأمامي<sup>(١)</sup>، وكان يتعجب رحمة الله من ساعته، ويقول: «اشتريتها بسبعة وعشرين ريالاً، وأصلحتها بخمسة ريالات وعاشت اثنتين وثلاثين سنة، كل سنة بريال».

وأما بيته: فقد بني قبل وفاته بنحو ثلاثين عاماً، والذي قام على بنائه العم محمد وأخي محمد بقرض من الصندوق العقاري.

وكان بعض الأقارب يسألونه: لم لا تبني بيتاً جديداً، فيقول لهم بلهجة أهل نجد: (ما يمدينا... ما يمدينا)، ويعني بذلك: أنه لم تعد هناك مدة وفرصة للبقاء في هذه الدنيا أكثر مما مضى منها.

وعندما كان يقال له: إن البيت ضيق، ولا بد أن يكون لك بيت أوسع منه، كان رحمة الله يقول: سوف نوضع في أضيق منه (يعني: القبر)، ولم يكن يأبه بترميم أو تجديد في البيت.

(١) هذه طريقة أهل نجد قديماً، وكان بعض المشايخ يفعله تحرجاً من وضع الساعة في اليد.



وحين قال له أحد الإخوة، قبل تقاعده من الوظيفة بسنة: لماذا لا توسع مكتبك وتغيره؟ رد عليه بقوله: (هي ساعة، وتنقضي).

وقد عرض عليه كثير من المشايخ ورؤساء القبائل الزواج من موليائهم، وكان يقول لهم: أنا قد فرغت من الدنيا.

يقول الشيخ عصام العويد<sup>(١)</sup>: «كنت أمازحه رحمة الله يوماً في السيارة ونحن في الطريق لزيارة التاجر الصالح محمد العساكر رحمة الله في الطريق قلت للشيخ: ألا تعدد يا شيخ؟»

قال: قد طلقت الدنيا ثلاثاً ثم أخذ ينشد أبياتاً في ترك الدنيا وأن النساء من الدنيا وأنه لا يريد التعدد وأني تزوجت العلم وتزوجت مدارسته».

ويقول أحد الإخوة من حائل<sup>(٢)</sup>: «قلت: إن شاء الله سنختار للشيخ زوجة من بنات حائل، فقال ابنه سليمان: لا تحاول فأبي لم يستطع عليه أهل القوية - وهي موطن الشيخ - ولم يستطع عليه أهل الرياض ولا القصيم».

وأما زهده في المأكّل والمشرب: فكان رحمة الله لا يهتم بنوع الطعام الذي يُقدم له. سواء كان مفاطيح<sup>(٣)</sup>، أو غيرها.

فعندما كان رحمة الله يزور بعض المناطق؛ ليلقي عندهم الدروس والمحاضرات والدورات العلمية لعدة أيام، فإن أهالي المنطقة يدعون الشيخ للإفطار والغداء والعشاء إكراماً له رحمة الله.

(١) فتاة اقرأ.

(٢) <http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>

(٣) مفاطيح: جمع: مفتح وهي من ألفاظ العامة المشهورة: وهو عبارة عن خروف يطبخ كاملاً، ويوضع على صحن الأرز بحيث تكون الرجلان مع الإلية وتفصل اليدين مع الكتفين، فيكون ثلاثة أجزاء غالباً.

وذات مرة ذهب إلى منطقة يقال لها: «بيرين»، وهي تقع في الربع الخالي، وأهلها من بني مرة وهم أهل كرم وجود، وفي أول يوم دعي فيه رحمة الله على الإفطار، وضعوا على الإفطار (حاشياً<sup>(١)</sup>)، فتغير وجهه، وتضايق من فعلهم هذا، ولم يأكل إلا شيئاً قليلاً جداً.

ولم ينكر عليهم رحمة الله؛ لأنه أول مرة يزورهم، فلذلك رأى أنه من غير المناسب الإنكار؛ حتى لا يؤثر ذلك في نفوسهم؛ خاصة أنهم أرادوا بذلك إكرامه وتقديره رحمة الله.

وفي موقف مماثل حصل معه في إحدى زيارته إلى المنطقة الشرقية؛ حيث دعاه أحد المشايخ المحبين له، وهو الشيخ ناصر المدرع ليفطر عنده؛ فوافق ولكن ألحَّ عليه ألا يتكلف، لأنه يعرف كرمه وجوده، وكانت هذه عادته رحمة الله مع كل من يدعوه للطعام، حيث يطلب عدم الكلفة، ويقول: طعام الاثنين يكفي الثلاثة.

فلما دخل رحمة الله إلى غرفة الطعام، فإذا بالشيخ ناصر، وفقه الله، قد وضع على الإفطار (مفطحاً)، فلما جلس الوالد رحمة الله لم يضع يده في الطعام، وتضايق جداً، ثم قام ورجع إلى غرفة الجلوس، ورفض الأكل والجلوس على السفرة، وقد حاولوا معه أن يأكل، ولكنهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً؛ لأنه رحمة الله رأى أن في ذلك كلفةً وأسرافاً.

ولما أصرَّ رحمة الله على عدم العودة وعدم الأكل، قال له الشيخ ناصر: إذا أنت يا شيخ، ما تأكل، فأنا أيضاً لن أكل، ثم جاؤوا بشيء من الإدام والخبز، وأكل منه هو وصاحب الدعوة في غرفة الجلوس.  
ثم قال رحمة الله: هذا الفطور يكفي والحمد لله.

(١) الجمل الصغير.



وقد تكرر هذا الموقف عند زيارة الوالد رحمة الله إلى وادي الدواسر، وفي رنية وحوطة بني تميم وغيرها، حتى أصبح الناس يتحدثون به، ويحذر بعضهم بعضاً، مع أنهم لا يفعلون ذلك إلا إكراماً له وتقديراً.

ويحكي عبدالرحمن ابن العم ناصر أنه في إحدى زيارته إلى مدينة (الأفلاج)، وبعد الانتهاء من الدروس والمحاضرات، بات ليلة الخميس عندهم، وقد اتفق رحمة الله مع مرافقيه على أن يعودوا للرياض بعد فجر الجمعة؛ لكي يخطب الجمعة في مسجده، ثم إن أحد الإخوان في المنطقة حلف ألا يذهب الشيخ ومرافقوه إلا بعد الإفطار، فقال: لا بأس نذهب نسلم عليه، ونفطر عنده، ثم نسير، فلما وصلوا عنده وسلموا عليه، جلسوا ينتظرون الإفطار، والوالد معه كتاب يقرأ ويصح فيه، ثم قال العم محمد: نسينا أن نخبر أخانا الداعي بالأذى ولا يتكلف، وبعد برهة من الزمن، فإذا بالوالد يشم رائحة طبخ اللحم.

فقال رحمة الله باللهجة المحلية: «إن كان ذابح فوالله ما أقعد عليها»، ثم استمر في القراءة.

فقام العم محمد، وذهب للداعي، وقال له: ما حصل؟ فقال: والله إنا ذبحنا وهذه عادة عندنا عندما يأتينا ضيف، فقال له: هذه طبيعة الشيخ، فقال الداعي: إذا نحضر إفطاراً خفيفاً بسرعة ثم تمشون، ونقول للجماعة: إن الشيخ استأذن ومشى، ثم قال العم للوالد: يا شيخ، هذه عادة عندهم أنهم يذبحون، فالتفت الشيخ إليه، وما زاد على كلمتين: (جزاء له وردعاً لأمثاله)، ثم عاد لقراءته وتصحيحه، فرحمه الله رحمة واسعة.

وأما زهده في حظوظ نفسه: فكان رحمته الله على الرغم من أعماله وإنجازاته الكثيرة زاهدًا في حظوظ النفس التي يتنافس فيها المتنافسون، من السمعة والجاه والمكانة والظهور.

ومن ذلك: أنه رحمته الله بذل جهدًا في العمل في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية مع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، وفي تصحيح حاشية الروض المربع وغيرها مع الشيخ سعد بن قاسم، وفي تصحيح كتب الشيخ عبد العزيز السلطان، ومع ذلك لم يحرص أن يبرز اسمه في شيء من ذلك، ولا تشوف له.

ولقد طبع الكثير من كتبه، من شروح ومحاضرات وفتاوى، وصدرت له الأشرطة بالمئات، ومع ذلك لم يطلب على ذلك حقوقًا مادية؛ بل كان الذين يقومون بتحقيق كتبه وطبعها ونشرها يستفيدون ماديًا، ولم يطلب منهم ريالاً واحداً، يريد بذلك وجه الله والدار الآخرة، وأن تكون خالصة لوجهه الكريم دون أن يشوبها شائبة.

وقد كتب كتابًا عامًا في حياته عن هذا؛ لأن وزارة الإعلام تطالب بإذن المؤلف، ونصه:

«الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وبعد...»

فلقد عرض بعض المشايخ موضوع إمكانية الاستفادة من الأشرطة التي سجلت لنا من الدروس والمحاضرات والخطب ونحوها مما هو مسجل في الأشرطة، فرأينا أن المناسب أن تكون حقوق هذه الأشرطة - سواء أشرطة الكاسيت أو الفيديو - مباحة لكل مسلم، يريد تسجيلها وتوزيعها مجاناً، أو بيعها بالسعر المناسب، وذلك ليعم الانتفاع بها في الأمكنة القريبة والبعيدة،



ويعد هذا إذناً عاماً منا لجميع الأشخاص وجميع محلات التسجيلات لنسخ هذه الأشرطة وعدم جواز احتكارها؛ حتى لا يحرم المسلمون من الاستفادة مما فيها، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم...

قال ذلك، وأملاه الفقير إلى الله، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين».

وفي إحدى رحلاته رحمة الله لإحدى المناطق، قدموا له تذكرة للسفر، فقال: لا نريد التذاكر، نحن نأتي عن طريق البر، وهذه التذاكر اجعلوها في جمعية خيرية أو في حسابكم؛ لأنه رحمة الله كان يحب السفر عبر البر.

يقول الشيخ علي أبو لوز: «كنت مع الشيخ في رحلة إلى جنوب المملكة، وفي أحد الأيام ذهبنا إلى قرية ثريان؛ ليلقي فيها الشيخ محاضرة، ولما وصلنا قبيل أذان المغرب بدقائق ذهب الشيخ إلى مكان الوضوء، وذهبت أنا معه للفرغ من نفسه، ولما فتح الشيخ صنبور الماء. فإذا الماء ضعيف جداً، فقال الشيخ رحمة الله: الماء شحيح.

فأخذت إبريقاً كان موجوداً، وجمعت فيه بعض الماء، ثم أتيت به الشيخ؛ لأصب عليه، فرفض رحمة الله، وقال: يكفي ماء الصنبور إن شاء الله، فأخذت الإبريق وتوضأت منه».

وكانت عادة على المائدة يفتح علبة اللبن ثم يصب ما فيها في كأس ويشربه ثم يحضر ماء قليلاً ويصبه داخل العلبة ويفلق العلبة ثم يرجها ثم يشرب ما فيها ولعله لا يريد أن يرمي ما بقي من اللبن في العلبة - وهذا من احترام نعمة الله علينا - والا فالعلب التي توضع أمامه كثيرة، ولكنه يكتفي بواحدة<sup>(١)</sup>.

(١) <http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>

وجوانب الزهد في حياته رحمة الله كثيرة وأما الأمانة والورع فإن الحديث عن ذلك في حق مثله رحمة الله من فضول القول، فهي خلق من أخلاق الإسلام. وصفة من صفات المؤمنين، وهي من أبرز أخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام أجمعين، بل هي لقب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لقبه به أهل بلده منذ صغره.

يقول صلى الله عليه وسلم: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»<sup>(١)</sup>. وقال صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم»<sup>(٢)</sup>.

ولكن نحب أن يتعرف القارئ، وتتعلم الأجيال من خلال المعالم الرئيسة لسيرة علمائنا المعاصرين، ولقد كان الشيخ الوالد رحمة الله مثلاً رائعاً في هذا المقام، فكان رحمة الله يحرص على الأمانة والورع، ويتحرى ذلك كثيراً، فقد كان أميناً في عمله الوظيفي، وأميناً على أموال الزكوات والصدقات التي تعطى له؛ لينفقها على مستحقيها، وأميناً على أعراض المسلمين، وأميناً على أسرار الناس وفتاواهم الخاصة.

فمن أمانته في العمل الوظيفي: أنه كان يبكر للعمل، حينما كان يعمل في الرئاسة العامة للإفتاء، ولا يخرج إلا بعد خروج جميع الموظفين، بل ربما جلس الحراس ينتظرون خروجه، فيدفعه حرصه على قضاء حوائج الناس والرد على المستفتين إلى التأخر.

وكان قبل الخروج يقوم بإطفاء الإنارة في الممرات التي يمر عليها؛ حرصاً على أموال الدولة؛ لأن بقاءها مضيئة فيه إسراف وتبذير.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند عن أنس بن مالك برقم / ١٢٢٨٢.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، برقم ٢٦٢٧ وقال: حديث حسن صحيح.

ومما يدل على حرصه على الدوام، عندما توفيت زوجته والدتي رحمهما الله بأشر العمل في اليوم اللاحق؛ أداء للأمانة وخدمة المسلمين، وقد فوجئ منسوبو الإفتاء بحضوره في ذلك اليوم، مع أنها ابنة عمه الشقيق، وقد حزن لفقدائها حزناً شديداً.

وكان رحمته الله أميناً في علمه الذي ينشره بين الناس، فمن أمانته حرصه على عدم التخلف عن دروسه العلمية، والتفاني في ذلك بكل أمانة وصدق وإخلاص.

وكان شديد الأمانة والورع في فتاواه، وهو ما جعل طلاب العلم يتهافتون على سؤاله عن دقيق المسائل وكبيرها، ثقة فيه رحمته الله.

وكان رحمته الله أميناً على الوقت والمواعيد؛ لذا كان شديد المحافظة عليه، ويحرص كل الحرص على الوفاء بها وعدم إخلافها، كما سنبين ذلك بالتفصيل إن شاء الله.

وكان رحمته الله أميناً على الكتب التي يقرأها، ويراجعها، ويصححها لطلابها وغيرهم، فتجده يقرأها قراءة كاملة ويدون ملاحظاته ومرئياته عليها.

ومما يدل على ورعه رحمته الله؛ تورعه عن التصوير في أول حياته، حينما كان يرى عدم جوازه، وكان ذلك حال المشايخ في تلك الحقبة، فقد بذل جهداً في عدم وضع صورته الشخصية على حفيظة النفوس وهي البطاقة الوطنية في ذلك الوقت، ولنسق القصة لطرافتها بكاملها كما رواها يقول رحمته الله؛ «في حدود سنة إحدى وثمانين (١٢٨١هـ) طلب مني إخراج ما يسمى بالحفيظة، وامتنعت عن التصوير، ورفع الأمر إلى الجوازات، وكان المدير

فيها يُقال له: ابن ضاوي<sup>(١)</sup> فأصر على التصوير، فجاءه خطاب من مدير معهد إمام الدعوة، ولكنه أصر على الامتناع، وقال: لا نصدر حفيظة إلا بصورة إلا للقضاة، ثم استشفعت بالشيخ عبدالرحمن بن هويل رحمه الله<sup>(٢)</sup>، فكتب إليه خطاباً، فأصر أيضاً ولم يقبله، وحاول معه الشيخ أن يعملها سريراً ولكنه امتنع، فرفعنا الأمر إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله فكتب إليه خطاباً قوياً وأمره بإعفائنا من التصوير، فلم يجد بداً من قبول ذلك، فأخرجت لي الحفيظة من دون صورة في شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة وألف (١٢٨١هـ) باسم مدرس وكتب فيها: معفى من التصوير.

ثم لما احتيجت إلى التجديد، وكان مكتوباً فيها معفى جُددت من أحوال القومية، وكان ذلك في حدود سنة تسع وتسعين وثلاث مئة وألف (١٢٩٩هـ)، وأضيف فيها الأولاد الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت.

وأضيف بعد ذلك في آخرها الرقم المعتاد الذي هو رقم البطاقة الشخصية التي يحملها الأفراد».

وحينما احتاج إلى بطاقة العائلة الحديثة وكان لابد فيها من صورة أخذت له صورة من إحدى محاضراته في الإنترنت، ولم يحتج إلى التصوير فلما رآها استغرب وقال: «اللَّهُ المستعان».

(١) محمد بن ناصر بن ضاوي من بلدة حرمة، إحدى بلدان سدير في نجد، رحل لبلدة الزبير في العراق، ودرس فيها بمدرسة النجاة الأهلية الابتدائية للبنين وتخرج فيها، وعاد إلى المملكة، فالتحق بالديوان الملكي، ثم تولى رئاسة دائرة الجنسية والجوازات بمدينة الرياض.

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن محمد الهويل، من قبيلة بني زيد، ولد في القومية، وتعلم على يد علماء الرياض، كالشيخ محمد بن إبراهيم وعبد اللطيف بن إبراهيم، عين عام ١٢٥١هـ إماماً وخطيباً في جامع المربع، ثم تولى القضاء في الزلفي وساجر ثم في الرياض إلى ١٢٩٢هـ حيث أحيل إلى التقاعد، وقد توفي عام ١٤١٤هـ في الرياض.





وفي أوائل هذا القرن في حدود ١٤٠٢ هـ لما تعلم قيادة السيارة، واشترينا له سيارة أتوماتيك؛ ليذهب بها إلى أداء دروسه ومحاضراته في الجامع الكبير نيابة عن ابن باز رحمته الله، طلب رحمته الله من الأمير سلمان أمير منطقة الرياض أن يعفيه من التصوير لأجل الرخصة، فكتب للجهات المختصة أن اختبروه من دون صورة، فوافقوا على ذلك، وحمل رخصة من دون صورة كما ذكرنا سابقاً.

ومن القصص في ذلك يقول أحد أساتذة جامعة الإمام المصريين الذين زاملوه في التدريس فيها: رأيت الشيخ يشرب الماء من الصنبور، فلما رأيته قلت: أسألك بالله يا شيخ عبد الله، لماذا شربت من الصنبور ولم تشرب من البرادة التي يشرب منها الناس كلهم، أريد جواباً صريحاً دون تعريض أو مواربة؟

فقال الشيخ عبد الله بابتسامة: بلغني أن البرادة اشترت من صندوق الطلاب، ولعل بعضهم لم يرضَ بما أخذ منه<sup>(١)</sup>.

ويقول الأخ عبد الله الحوطي<sup>(٢)</sup>: «عندما تقاعد الشيخ رحمته الله من عمله في دار الإفتاء، قام بجمع أوراقه وأغراضه الخاصة في آخر يوم من دوامه، وفي أثناء ذلك وجد بين الأغراض قلم رصاص وممحاة، فسألني قائلاً: هل أحضرت يا أبا سعد، هذه من مالك أو من مال الرئاسة؟ وهذا من حرصه رحمته الله حتى لا يأخذ شيئاً ليس من حقه».

وكان رحمته الله بعد تقاعده يذهب بنفسه دون أن نعلم، ويسحب رصيده بعد نزول راتبه من البنك العربي الذي تودع فيه الدولة رواتب المتقاعدين،

(١) عصام المويد قناة «اقرأ».

(٢) جريدة عكاظ، الخميس ١٤/٠٨/١٤٣٠ هـ ٦ أغسطس ٢٠٠٩ م، العدد: ٢٩٧٢، الخميس

١٥/٠٨/١٤٣٠ هـ .

ويودعه في بنك الراجحي، تورعاً من الربا وبعداً عنه، ولما علمنا عن ذلك صار الأخ سليمان يكفيه هذه المهمة.

## جبل الصبر

إن الصبر من أبرز الأخلاق التي وردت في القرآن الكريم، وما ذاك إلا لارتباطه بجميع الأخلاق، فما من خلق أو فضيلة إلا كان الصبر أساسه وركيزته.

ولقد حث الإسلام على التحلي بخلق الصبر، ووعد الصابرين بالأجر العظيم والثواب الجزيل، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»<sup>(١)</sup>.

والشيخ الوالد رحمه الله يعد من شيوخ الصبر في زماننا هذا، فقد نقل عنه طلابه ومحبهه والمقربون منه أروع الأمثلة في الصبر؛ سواء صبره على العبادات والطاعات، أو صبره على المصائب والابتلاءات.

## فأما صبره على العبادات والطاعات:

فإنه يذهب كل عام خمسة عشر يوماً إلى مكة في النصف الأخير من شهر رمضان، فكان يجلس في الحرم من قبل صلاة العصر جلسة واحدة يقرأ القرآن من حفظه، لا يتململ في جلسته، ولا يكاد يغيرها، ولا ينشغل في شيء إلى صلاة المغرب.

(١) أخرجه البخاري في باب الاستعفاف عن المسألة من كتاب الزكاة برقم / ١٤٦٩.



فكان بعض من يراه من الإخوان يؤثرونه بأماكنهم، فيطلبون منه أن يستند إلى كرسي أو عمود من أعمدة الحرم؛ لكي يريح ظهره قليلاً، ولكنه لا يقبل، فاشترينا له في سنواته الأخيرة مسند ظهر، فكان يستند إليه.

وكان الناس يكثرون من سؤاله ولا يرد أحداً ولا يتبرم، بل ربما جلس بجواره شخص يشرح له مشكلة طويلة أو نحوها، فكان يتبسم ويرد عليه بلين ورفق.

ويقرب من ذلك جلسته رحمة الله للطلاب في الدروس، حيث يشرح لهم المتون ويجردون عليه المطولات الساعات الطويلة، فلا يكاد يغير جلسته، صابراً محتسباً، لا يشتكي تعباً أو إرهاقاً، وقد ذكرنا في أثناء الكلام عن مهمة التدريس نماذج من صبره العجيب على الطلاب، وبخاصة ضعيفي القراءة الذين كان يترفق بهم، ولا ينفرضهم.

يقول الدكتور محمد بن عبد الله المشوح<sup>(١)</sup>: «لقد أجريت لقاءات مع شخصيات تجاوزت مائة عالم وداعية، لكني لم أعلم أحداً كان لديه مثل ذلكم الحشد الهائل والعظيم من الدروس والمحاضرات، والنشاط العلمي الذي لا نظير له».

كان له درس بعد الفجر، ويستمر حتى قرب الساعة الثامنة صباحاً، وبعد الانتهاء من الدرس يمشي راجلاً إلى البيت وكان يبعد نحو نصف كيلو، وكان يمشي معه السائل وصاحب المشكلة وطالب الحاجة، وربما وقف عند الباب ربع ساعة، حتى يفرغوا دون تذمر أو ملل.

وذكرنا صبره على الدعوة إلى الله، والرحلات الصيفية العلمية والوعظية والإرشادية الطويلة، التي يطوف فيها المملكة من شرقها إلى

(١) <http://www.al-jazirah.com/81483/rj3.htm>

غربها، يقطع آلاف الكيلومترات بالسيارة، ويذهب إلى مدن صغيرة وقرى جبلية أو ساحلية، أو في وسط الصحراء، ويستمر في الرحلة قرابة الشهرين من كل عام، وهمه أن يجد طلاب علم يفيدهم، أو أقوامًا يرشدهم، أو أناسًا يسألونهم، فيجيبهم.

ولعلنا نشير هنا إلى نماذج من مثل هذا لم نذكرها من قبل.

يقول أحد الإخوة من حائل<sup>(١)</sup>: «الغريب أن الشيخ لا يطلب من أحد أن يتوقف، حتى ولو بلغ به الجهد مبلغه، وأذكر أنني اتصلت عليه ذات مرة وقلت: يا شيخ، عندي بعض الأسئلة فأستأذنك ل طرحها وأذن وسألته عشرة أسئلة ثم قلت: يا شيخ، أوصل فوافق ثم عشرة وعشرة إلى أن طرحت عليه خمسين سؤالاً في الهاتف.

وكنت والله في بعض الدروس أرحم الشيخ حتى إنه ذات مرة تكلم يشرح ويوضح ما يقارب الساعتين ثم جاءت الأسئلة وكان يستمع للأسئلة وكان السائل صوته ضعيفاً ما حدا بالشيخ إلى أن يطلب من السائل أن يعيد السؤال أكثر من مرة بل وصل بعض الأحيان إلى أن يطلب منه الشيخ أن يعيد كلامه أربع مرات! حتى إن الشيخ تعب، واتضح عليه التعب ولكنه لا يقول للسائل كفى أو تكمل غداً، بل ينتظر إلى أن ينتهي السائل من جميع الأسئلة».

ويقول الشيخ عبد الواحد المزروع<sup>(٢)</sup>: «ناقشته رحمة الله في مسألة صرف العملة المعدنية بالورقية مع الزيادة، حينما كانت الهوائف التي تعمل بالعملة الحديدية موجودة وكانت العملة المعدنية رائجة ومطلوبة، وكان رأيه رحمة الله

(١) <http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>

(٢) <http://www.lojainiat.com/index.cfm?do=cms.con&contentid=7831>

جواز صرف العشرة من الورق بتسعة من المعدن، وكنت أناقشه في قوله هذا، وبعد أن قارب وقت النقاش ما يزيد على عشرين دقيقة قال لي رحمته الله: هذا رأيك!! عندها أمسكت، وفي ظني أنه لو كان نقاشي مع غير أستاذي وشيخي ابن جبرين لكان قد قطع أو أوقف قبل أن أكمل ثلاث دقائق».

ويقول الشيخ سعد بن جمهور السهيمي<sup>(١)</sup>: «جاء إلينا الشيخ في جولة دعوية ووضعنا له برنامجًا وكان رحمته الله متقيدًا بالبرنامج لا يفادر المسجد إلا بعد الانتهاء من تلك الدروس العلمية والقائما، وكنا نطلب منه الراحة، ولكنه كان يقول لنا وقد حمل أماننا مجموعة من الأسئلة: لن أرتاح حتى أجيب عن هذه الأسئلة، وأخذ يطالع الأسئلة ويجيب عنها، ولم ينته منها إلا في ساعة متأخرة من الليل، وخذل للنوم ساعات قليلة، وجئت أوقظ الشيخ للفجر، فوجدته قائمًا يصلي قبل صلاة الفجر، وهو لم يرتح إلا دقائق، فقد كان حب الصلاة والمسجد يسريان في عروقه».

ويقول نواف بن عبيد الرعوجي<sup>(٢)</sup>: «حينما أقول الصبر فإنني أرى جميع معاني الصبر قد تحققت فيه، ولا أزال أتذكر أيام الحج كيف كان رحمته الله ينتقل بين المخيمات في إلقاء الدروس والمحاضرات والفتيا دون ملل أو كلل، ربما يعجز عنه الكثير من الناس».

يقول الشيخ أحمد المهنا<sup>(٣)</sup>: «في برنامج سؤال على الهاتف يجلس ساعة كاملة والسماعة في يده، فقلت للشيخ: هنا جهاز أضعه على رأسك، وتكون السماعات في الأذن واللاقط أمام فمك ولا تتعب، فقال: لا، ليس هناك تعب».

(١) <http://www.lojainiat.com/index.php?a...wMaqal&id=8955>

(٢) <http://majles.alukah.net/showthread.php?t=37498>

(٣) محاضرة بعنوان: «الإمام الراحل».

ونسافر معه، فيصيبنا إرهاق شديد والشيخ بكل قوة وأريحية ويقول:  
نحن في راحة السيارة مريحة والأوائل على رواحل، ولا نروي ماء من الآبار».

يقول الدكتور سعد الحميد: «إن شيخنا رحمة الله لا يأتيه أحد - كائنًا من  
كان - ويطلب مساعدته والوقوف معه، إلا وجده سمحًا كريم السجايا سباقًا  
لفعل المعروف مادام ذلك في مقدوره، سواء كان مساعدة بمال أو بذلاً لجاه أو  
غيره؛ لذا أحبه الجميع، علماء، وطلبة علم، وعامة.

وأما سرعة استجابته لمن يطلب منه محاضرات، ودروسًا، ودورات  
علمية، فإن من رآها عرف أن الشيخ أتعب من جاء بعده، فلا أعرف له مثيلًا  
في تحمله المشاق في هذا السبيل من سفر وغيره، بالرغم من كبر سنه. وأما  
في شبابه وكهولته فعجب عجاب».

ويحكي الشيخ الدكتور إبراهيم الدويش برنامجًا له في مدينة الرس  
يمثل صبره وجلده، فيقول<sup>(١)</sup>: «كان الشيخ رحمة الله لا ينام إلا قليلًا، فبعد  
صلاة الفجر تبدأ الدورة وتستمر إلى ما قبيل الظهر، فنرجع إلى البيت:  
ليستعد لصلاة الظهر، وبعد صلاة الظهر يبدأ الإجابة عن أسئلة الحضور في  
المسجد ثم نرجع نأخذ الغداء قليلًا، وبعد ذلك يبدأ البرنامج المسائي للشيخ  
ما نرجع إلا الساعة التاسعة والنصف أو العاشرة.

كنت أظن أن الشيخ الآن سيرتاح، وإذا بالشيخ رحمة الله يجلس، ويبدأ  
يحرر الإجابات عن الفتاوى المكتوبة، حتى كنت أقول للشيخ: يا شيخ، غفر الله  
لك رفقًا بنفسك، هذه الإجابات نجعل لها وقتًا من ضمن وقت البرنامج،  
قال: لا، إذا اجتمع الناس والشباب نستثمر الوقت معهم، ويجلس الشيخ يحزر

(١) فتاة بداية..



الإجابات مكتوبة بيده حتى ساعات متأخرة من الليل، وأنا أنتظر، وكنت لا أحب أن أنصرف حتى يبيت الشيخ، فإذا بات الشيخ وأطفأت الأنوار وذهبت، فأفاجأ بعد ساعة ونصف تقريباً وإذا بالشيخ قام وأضاء النور، وتوضأ وأخذ يصلي، وأنا أعلم أن الشيخ ليست الخمسة أيام فقط هذه أحد برامجها، بعدها سيكون عنده في جهة أخرى ثم مكان آخر، فكنت والله أعجب أشد العجب من الشيخ وجلده رَحْمَةُ اللَّهِ، فهذه والله لا نستطيعها، هذه المواقف تتراقص أمام عيني كلما فترت عزيمتي، هو مدرسة لي في الصبر والجلد والعزيمة، كلما حاولت أن أعتذر من أحد في برنامج نظراً لضغط البرنامج أو لانشغال أو لغيره تذكرت مواقف الشيخ، وازدادت همتي وعزيمتي الضعف.

كان ابنه سليمان يحدثني أنه كان يجوب معه في الصيف مناطق المملكة مرة في الشمال ومرة في الجنوب، فكنت أقول لسليمان: ألا تتعبون؟

فقال: والله يا شيخ، إننا مجموعة من الشباب من أبنائه وطلابه نتناوب على مصاحبته، فنتعب وهو الذي يقوم بالبرنامج من الصباح إلى وقت النوم في المساء لا يتعب.

هذا الجلد العجيب يا أخي، مدرسة يستفيد منها الشباب والأخيار والدعاة والعلماء يستفيد منها شبابنا اليوم في كيفية الصبر والمثابرة وكيف نعالج الفتور والضعف؟».

تقول الأخت سميرة ياسين بعدما سمعت عن صبر الوالد رَحْمَةُ اللَّهِ وجلده: «الجميع يتحدث عن أن للشيخ طاقة رهيبه رَحْمَةُ اللَّهِ تعالى، وكان رفقته يتعبون وهو لا يتعب، ولكني أحس بأن سماحته كان يتعب، ولكنه كان يصبر ويحتسب، يتطلع لشيء أعظم ولراحة أكبر، وهي الراحة في الفردوس الأعلى، لذلك كان



يجهد نفسه كثيراً ويقدم راحة الناس على راحتته، وعلمه قبل نفسه *رحمة الله*، وينتهز كل ثانية من أنفاسه في أن يفعل شيئاً يقدمه عند الله *عَلَّيْنِ*..

وكثيراً ما يسأل *رحمة الله* عن جلده وتحمله، فيقول: «عودوا كل جسد ما اعتاده»، فهو يرى أن الجسم إذا تعود شيئاً لم يشق عليه.

وسنذكر إن شاء الله عند الكلام عن عبادته شيئاً مما يدل على صبره على العبادات من الصلاة والصيام والحج وغيرها.

وأما صبره على المرض فكان *رحمة الله* لا يشتكي أبداً، فإذا ألمه شيء أو حتى جرحه شيء صبر وتحمل، وسنذكر إن شاء الله تعالى في أثناء الكلام عن مرضه عجائب من صبره *رحمة الله*، ولا مانع أن نذكر هنا شيئاً مما يناسب المقام مما لن يتكرر هناك.

فمن ذلك ما ذكرته الأخت هيا: «أنه أحس بألم في اثنين من أسنانه، فحين طال الألم فيهما، طلب من سائقه التوقف عند إحدى عيادات الأسنان، ثم دخل على الطبيب وطلب منه خلع هذين السنين؛ لأنه لم يجد وقتاً لعلاجهما، فخلع السنين، وحين علمنا بذلك، أقتعه إخوتي بأهمية العناية بالأسنان وعلاجها من خلال طبيب متمكن، ورتبوا له مواعيد متسلسلة مع أطباء أكفاء، وعالجوا جميع أسنانه».

ومرة جرحت رجله في الحج جرحاً بالغاً، فمسح الدم ووضع عليها مناديل ورقية، ولما رأيتها فجمعت وكنا في مخيم الحرس الوطني في منى، فذهبنا للطبيب وقام بعلاجها وربطها.

وكثيراً ما نرى في يده أو قدمه أثر رضة أو كدمة من باب أو حجر، وهو لا يلقي لها بالاً، فإذا سألناه قال: شيء سهل.



وقد أصيب رحمة الله بمرض السكري، ولم يكن يشتكي من آثاره وأعراضه، حتى لاحظت زوجته أنه عندما يستيقظ في كل صباح يصيبه دوار يوشك معه أن يصطدم بالباب، فأخبرتني، وبعد تحاليل عدة تبين أنه مصاب بمرض السكري، فرتب له الطبيب علاجاً، فانتظم عليه.

ودخل المستشفى مرة لعرض أصابه، فخاف عليه الأهل والطلاب والزملاء كثيراً، وكان إذا سأله أحد ورأى لهفته وشفقته قام من سريره ثم جلس مراراً، وهو يقول: ها أنا طيب معافى؛ ليطمئنهم على أنه بخير<sup>(١)</sup>.

وكان يردد عبارة عامية: «اربط يدك وعرضها الطيبا» ومعناها: اربط يدك، واعرضها على الأطباء ولو كانت سليمة فكل طيب سيذكر لك علة غير ما يذكره الآخر، يريد أنه في عافية ولكن الأطباء يدققون تدقيقاً زائداً.

ومن الأمراض التي أصيب بها رحمة الله فصبر واحتسب، إصابته باللسنة؛ وهي مرض يصيب اللسان، فقد كان رحمة الله في صغره متميزاً على أقرانه في القراءة، يقول رحمة الله متحدثاً عن ذلك<sup>(٢)</sup>: «في حدود سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وألف (١٢٦٢هـ) كنت أقرأ في ليالي رمضان مع بعض القراء المسنين؛ فكنت أصحح بعض الأخطاء منهم على الرغم من صغر سني، فحسدني بعضهم وأصبت بعين حاسد؛ حيث تورم اللسان، وذلك ما يسمى باللسنة، انتفخ اللسان وتعطلت عن الكلام حتى لا أتكلم إلا بالإشارة أو نحوها، ما أثقل علي الكلام وصرفتني عن تعاهد القرآن وتعلم العلم، وأضرني في الأكل والشرب، وقد عولجت بالرقية والأخذ من أولئك المتهمين، وعالجني أحد أعمامي رحمة الله بكية تحت الحنك وبكية فوق العنق تحت الرأس من

(١) من مذكرات الأخت هيا.

(٢) «صفحات من حياتي» الحلقة الثانية وقصتي في طلب العلم.

الخلف، وحماني عن بعض المأكولات فشفيت بإذن الله، ولكن بقي أثرها معي أكثر من عشر سنين يصعب علي مواصلة الكلام، ويصعب علي أيضاً النطق وسرد القرآن وما أشبهه إلى أن زالت والحمد لله بالتدرج».

كما أصيب رحمة الله بالعين حين صلى بالناس إماماً في صلاة التراويح في أحد مساجد الرين، فقد كان يطيل في قيام رمضان، حتى إنه في العشر الأواخر قارب أن يختم بهم ختمتين، فأصابه بعض الحساد بالعين، ما نتج عنه قرحة في ساقه اليمنى، فكان يضع تحت رجله لبنة من الطين؛ حتى لا يشتد ألم الساق من آلام هذه القرحة، ثم إنه عالجه حتى شفيت بإذن الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وأما صبره على البلاء فقد ابتلي رحمة الله كثيراً فصبر واحتسب، وحمد العاقبة في الدنيا، وسيحدها إن شاء الله في الآخرة.

### المواقف العصيبة في حياته رحمة الله

#### اختفاء ابنته مع المطلوبين أمنياً

فمن ذلك أن أختي الصغرى اختفت مع زوجها، حيث كان من المطلوبين أمنياً من قبل الدولة، وغابت قرابة ستة أشهر دون أن يعلم عنها خبراً، وقد رأينا أثر الهم والتأثر عليه في شحوب لونه ونزول وزنه فقد نزل وزنه، أكثر من عشرين كيلواً، ومع هذا فلم يشكُ لكبير ولا صغير سوى لربه جل وعلا، حتى عادت بعد أن قتل زوجها رحمة الله، ولهذا قصة طويلة محزنة سأوردها إن شاء الله في موقف الوالد رحمة الله من القاعدة.

(١) «صفحات من حياتي» الحلقة الثانية.





## دخوله مع لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية

من الأمور التي ابتلي بها رحمة الله فصبر دخوله مع لجنة الحقوق الشرعية، وما صاحب ذلك من فصله من عمله ومنعه من الدروس والمحاضرات، وكانت أياماً عصيبة وأحداثاً غريبة، فقصته مع هذه اللجنة مليئة بالدروس والعبر، فيحسن أن نرويها بتفاصيلها.

ولن أخوض في تفاصيل إنشاء اللجنة ودوافعها؛ لأننا نتحدث عن ترجمة خاصة للشيخ الوالد، ولذا سأذكر ما يهمنا من أحداث مما يتعلق به رحمة الله. ولكن لا بد من تمهيد للموضوع يفهم من خلاله القارئ تسلسل الأحداث، فلقد كان رحمة الله غيوراً على حرمان الله، محباً لصلاح الأمة، وكانت حرب الخليج الثانية التي قضي فيها على صدام حسين، بداية لأحداث جسام مرت بها بلادنا حماها الله.

لقد كان دخول القوات الأجنبية فرصة لاستغلال بعض أصحاب الأهواء هذه القضية في سبيل الخروج عن سمت المجتمع المتمسك بتعاليم الدين وأحكام الشريعة.

كانت مظاهرة قيادة السيارات التي قامت بها مجموعة من الأكاديميات والمتقنات السعوديات في ربيع الآخر من عام ١٤١١ هـ هي السهم الأول الذي رمى به هؤلاء، ولعلها كانت بمنزلة اختبار لردة فعل المجتمع.

كانت خطوة جريئة في وقت حرج جداً تمر فيه الدولة بتهديد وهذا غالباً مسلك هذه الفئة، فإنها تستغل أوقات الاضطراب؛ لأنها تظن أنها لن تواجه.

كان صدام حسين يهدد بلادنا بعد غزو الكويت، بل أرسل صواريخ وقع عدد منها في مناطق مختلفة من العاصمة الرياض، وكان في المملكة جيوش



أكثر من ثلاثين دولة عربية وأجنبية، ومع هذا فقد أقدم هؤلاء على فعلتهم وأثاروا ضجة كبيرة، كما هو معروف.

لقد وقفت الدولة والعلماء والشعب وقفة مشرفة أمام هذا التصرف، ولكنه سبب ظهور تيارين قويين يتجادبان مركب البلاد:

تيار علماني متمكن من الإعلام ومن بعض المناصب ومن مواقع مهمة في الاقتصاد، وتيار محافظ يستند للواقع والتاريخ والنظام، ودارت سجالات عدة ليس هذا موطن شرحها.

لكن من المهم بيان أنه تكوّن في تلك المدة فئة من أساتذة الجامعات من خريجي الجامعات الأجنبية ومن يحملون في الوقت نفسه توجهًا إسلاميًا، على اختلاف بينهم في المدارس الفكرية التي ينتمون إليها، ففيهم السلفي والإخواني والمستقل بل والتحريري، أعني المنتمي لحزب التحرير.

وظهر تيار قوي من المشايخ الشباب الذين برزوا، واشتهروا بصورة سريعة، وتميزوا بطرق موضوعات حساسة ونقاش الأمور بجرأة ووضوح لم يتعود العلماء ولا المجتمع عليها، فطار بهم الناس، وبخاصة شباب الصحوة، وشرقوا وغربوا.

ثم قام التيار العلماني بقيادة الدكتور غازي القصيبي رحمه الله بهجمة شرسة لتشويه الصحوة الإسلامية والتحريض عليها وعلى الدعاة عبر مقالاته، وبخاصة زاويته: «في عين العاصفة» التي كان يكتبها في صحيفة الشرق الأوسط ثم كتابه الذي بعنوان: «حتى لا تكون فتنة»، الذي قدم فيه القصيبي قراءة نقدية لخطاب الصحوة السياسي، وذلك من خلال مناقشة محاضرات ودروس ألقاها كل من الدكتور سلمان العودة والدكتور ناصر



العمر والدكتور عائض القرني قاموا بإلقائها تفاعلاً مع أزمة الخليج، وقد شارك الدكتور القصيبي عدد من الكتاب، لكن لم يكونوا في مثل حضوره ولا في قوة طرحه وجرأته.

لم تقف المسألة عند هذا الحد من المساجلات الفكرية، بل تطورت إلى أساليب عملية دخل فيها فئات فكرية كثيرة، كل منها ركب الموجة لتحقيق غرضه والله من وراء كل قائل وفاعل وقلبه، وتشكلت مجموعة في جامعة الملك سعود سميت نفسها لجنة الجامعة للإصلاح والمناصرة «لجام»، وبدأت في خطوات عملية كان لها آثار كثيرة وخطيرة، واستفيد من كبار المشايخ كالشيخ ابن باز وابن عثيمين والوالد رحمه الله لكسب التأييد الشرعي والاجتماعي.

ولعلي أعرض بإيجاز أهم الأساليب العملية التي طرقت وكيف استفيد من المشايخ فيها، ثم أحكي قصة الوالد رحمه الله معها.

كان أول الأساليب التي قامت بها هذه المجموعة بعدما انتهت الحرب تقديم مذكرة إلى الملك فهد وقع عليها أكثر من أربعمئة شخص وتعرف بخطاب المطالب الاثني عشر؛ لأنها اشتملت على اثني عشر مطلباً، وقد قدمت في شوال عام ١٤١١هـ واستطاع بعضهم إقناع كل من سماحة الشيخ ابن باز وابن عثيمين بدعمه، فكتب كل منهما خطاب تأييد لها.

ولقد أثار هذا الخطاب ضجة سياسية واجتماعية، ما تسبب في صدور بيان من هيئة كبار العلماء بتاريخ ١٩/١١/١٤١١هـ يستنكر الطريقة التي سلكت في نشر خطاب المطالب وتوزيعه.

وفي المحرم من عام ١٤١٢هـ، بعد إعلان الملك فهد عن الأنظمة الثلاثة قامت المجموعة بتوجيه (مذكرة النصيحة) الشهيرة إلى الملك، وتضمنت

أفكارًا إصلاحية في المجالات الإدارية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والقضائية والاجتماعية، وقد علم فيما بعد أن الدكتور محمد المسعري كان وراءها، ولهذا تأثرت ببعض أفكار حزب التحرير، وقد قدمت للشيخ ابن باز رحمته الله فوعد بدراستها مع نخبة من العلماء تعرف باسم «اللجنة الخماسية»، تمهيداً لرفعها إلى خادم الحرمين الشريفين.

وقد تسربت المذكرة، ونشرتها جريدة «المحرر» الباريسية، وأحدثت ضجة هائلة، وأصدرت هيئة كبار العلماء بياناً في ١٩ / ٣ / ١٤١٣ هـ، يدين هذه المذكرة، وقد رد هذا التيار ببيان عرف بالبيان الثلاثي في الرد على الهيئة وبيانها بشأن مذكرة النصيحة، وقد وقع كل من الشيخ حمود بن عبد الله بن عقلاء الشيعبي، والشيخ الوالد عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين والشيخ عبد الله بن سليمان المسعري رحمته الله، ولكن المتأمل في صياغة الرد يجزم بأنه ليس أسلوب كبار المشايخ، فهو أسلوب حماسي بعيد عن حكمة الشيوخ وعقلهم وسمتهم<sup>(١)</sup>.

كانت الخطوتان السابقتان مقدمة لخطوة ثالثة جريئة، وهي تأسيس لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية، وقد ولدت فكرة تأسيسها بعد تقديم مذكرة النصيحة للدولة بأشهر عدة، وذلك بعد اعتقال الشيخ إبراهيم الديان في منطقة القصيم، حيث عقد لقاء موسع في منزل الدكتور حمد الصليفيح رحمته الله بالرياض، حضره ما يزيد على أربعين داعية وأستاذ جامعة ومفكراً، وكان ذلك في نهاية شهر رجب من عام ١٤١٣ هـ واتفق فيه الحاضرون على تأسيس اللجنة تحت اسم (لجنة النصرة والحقوق) وكلف من يعد بيانها التأسيسي، ثم عقد اجتماع آخر في منزل الدكتور عبد الله

(١) لقراءة هذا الراد انظر <http://islamtoday.net/nawafeth/artshow-40.htm>. 146748





الحامد في ذي القعدة ١٤١٣ فوافق الجميع على المشروع والبيان وتم اختيار ستة أشخاص معروفين ليقوموا بالبيان وهم الدكتور حمد بن إبراهيم الصليفيح والشيخ عبدالله بن سليمان المسعري والشيخ الوالد عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمهم الله والدكتور عبدالله بن حامد الحامد والشيخ سليمان بن إبراهيم الرشودي والشيخ عبدالله بن حمود التويجري.

وبعد إعلان اللجنة من الرياض في ١٢/١١/١٤١٣هـ، الموافق ٢/٥/١٩٩٣م اتصلت وكالات الأنباء العالمية بالشيخ عبدالله المسعري بصفته الأمين العام لها، فأحالهم بطريقة عفوية إلى ابنه الدكتور محمد المسعري الذي يتحدث اللغة الإنجليزية ولم يكن مرشحاً حينئذ ضمن المجموعة التأسيسية، ما سهل تكليفه في اجتماع لاحق لكي يصبح ناطقاً رسمياً باسم اللجنة، وقد أخرج ذلك فيما بعد المنظمين للجنة بسبب أفكاره المبنية على فكر حزب التحرير وطريقته القاسية في النقد.

كان التحرك الأول ضد اللجنة هو دعوة من الأمير سلمان بن عبدالعزيز لأعضاء اللجنة، بمن فيهم ناطقها الرسمي، لمكتبه للتأكد من صحة تواقيعهم ولإعطائهم الفرصة لتوضيح تصرفهم، وعندما أكد الجميع أن تواقيعهم صحيحة، أمر الأمير بكتابة محضر بذلك وقّع عليه الجميع.

ثم صدر بعد ذلك بيان هيئة كبار العلماء حول اللجنة وبيان عدم شرعيتها، وصدر بعد قرار من الدولة بفصل من كان موظفاً في الدولة من أعضاء اللجنة من وظائفهم وإغلاق مكاتب المحاماة التابعة للباقيين.

هذا ملخص لما ظهر للناس، وأما ما يدور في الخفاء فالله أعلم به. ولكن دعني أحكي لك ما أذكر من وقائع، وما رأيت في هذه الأزمة العصبية.

سأحكي لك الأمور كأنك تراها، ولن أمرّ عليها مرور الكرام، فليس في ذلك ما يغض من مكانة الوالد رحمة الله؛ لأن التاريخ أمانة يجب أن تعرفه الأجيال.

كان الوالد رحمة الله يعمل في الإفتاء، ويلقي دروسه العلمية في عدد من مساجد الرياض، ويجلس بعد العصر في المنزل للمستفتين والزوار.

كنت حينها مشغولاً بأطروحة الدكتوراه ومشغولاً بأسفار متعددة دعوية وعلمية، فلم أكن قريباً من الوالد رحمة الله، ولم يكن مكتب البيت قد نظم بعد.

وأصدقك القول: أني لم أعلم عن اللجنة إلا من الصحف ومن الناس، وليس هذا بغريب لما ذكرته من انشغالي، ولكني كنت أعرف أن الوالد رحمة الله له جهود في الاحتساب وأن الإخوة يستفيدون من دعمه وتأييده لهم، وقد حضرت معه مجالس فيها نقاش لبعض القضايا، كان أحدها في منزل الشيخ عبدالمحسن العبيكان، وأذكر من الحضور، إضافة إلى الوالد رحمة الله الدكتور محسن العواجي، وقد عجبت حينها من حماسة الجميع وبخاصة العبيكان والعواجي للإنكار على الدولة، وكنت أصغر القوم وبعضرة الوالد، فلم يكن لي مجال للحديث.

كما حضرت الحادثة الشهيرة التي كانت في مسجد العبيكان، وهي محاضرة للشيخ محمد أمان الجامي رحمة الله التي انتهت بمعركة حامية كادت تحدث في المسجد، لولا لطف الله، ثم تدخل الوالد رحمة الله لتهدئة الوضع ومنع الشباب من الفوضى.

وأذكر أيضاً أن ثلاثة من أساتذة جامعة الملك سعود جاؤوا للوالد في المنزل؛ لتوقيع إحدى العرائض التي كتبت، وكانوا في فورة وحماسة.



كان الوالد رحمة الله باذلاً لجاهه ونفسه لخدمة المسلمين، وقد ظهر في تلك المدة قضايا تجاذبها الناس، كل بحسب منهج تفكيره ورؤيته الفكرية، كان الوالد يحب الخير، صادق النية، حسن الظن. ولقد دخل عليه من جره للدخول في اللجنة من هذا الباب، وهو لم يكن يعلم ما يببب في الخفاء، وأنا أجزم أن كثيراً من طلاب العلم ومن محبي الخير الذين تفاعلوا مع تلك الأحداث لم يكونوا على علم بما يراد بها أيضاً، ولهذا بعد أن تكشفت الأمور لم يبقَ منهم أحد إلا قليلاً ممن لم يحتمل الصبر على قرارات الدولة أو غلب عليه فكر القوم.

علمت كما ذكرت لك من الناس. وذلك بعد صدور قرار الدولة بالفصل وإغلاق مكاتب المحاماة بتاريخ ٢٣/١١/١٤١٣ هـ، ولا أخفي عليك أخي القارئ، أنني دهشت جداً. واستغربت وجئت وقتها للوالد رحمة الله مستغرباً، فوجدته قد غلب عليه الذهول أيضاً وبخاصة لما علم عن تصعيد القضية عالمياً فلم يكن يريد الأمور على هذا المساق. بل يظنها كما عهد نصره للمظلوم بإيصال المظالم للمسؤولين وحثهم على إزالتها وهو ما كان يعمل قبل اللجنة واستمر عليه بعدها فلم يكن يعلم أن هذه اللجنة ستتخذ هذا المسلك في مقاومة الدولة والخروج عن سمت العام لعلماء هذا البلد، وهو رحمة الله معروف بمنهجه الواضح مع ولاة الأمور، فهو يحبهم ويحب لهم الخير. وإن كان يناصحهم ويصارحهم.

لم يكن الفصل من الوظيفة ولا التشهير بأشد وقعاً عليه من المنع من الدروس، لقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فالدروس روحه وحياته وقلبه الذي ينبض، وأما الدنيا فلم يكن يلقي لها بالأ.

استغربنا موقف الدولة من الوالد، بل من المجموعة وللدولة - عادة -

حنكة في معالجة مثل هذا الأمر، لكن لعل تصعيد الدكتور محمد المسعري لموضوع اللجنة وإيصال صوتها للعالم ومحاولته الخروج عن السائد في المجتمع جعل الدولة تعامل اللجنة معاملة أخرى.

كنت أتوقع قبل صدور قرار الفصل أن يستدعي الأمير سلمان الوالد، ويحاول إبعاده هو وغيره من المشايخ من اللجنة، ولكن الأمر لم يسر على هذا ولكل قضية ظروفها.

استغرب الوالد أيضاً من شيخه ابن باز رحمته الله ومن زملائه في هيئة كبار العلماء أن أحداً منهم لم يتصل به أو يسأله ما الأمر. حتى إنه شاركهم العشاء في الليلة التي صدر في صبيحتها بيان هيئة كبار العلماء حول اللجنة. وكانوا يتحدثون معه كأن شيئاً لم يكن، ولكن قضاء الله غالب ونافذ.

رأيت في وجه الوالد علامات التأثر، كما كثر المترددون عليه من المشايخ من زملائه وطلابه وغيرهم من محبيه ومعارفه ما بين مشجع ومستفسر ومستغرب ومنتقد وكان ذلك بعد صدور القرار، ثم انكمش الناس بعد ذلك وكاد البيت أن يخلو من الزوار، والوالد خلال ذلك لم يبدي لأحد شيئاً ولم يشتك إلا لله، فقد كانت شفتاه تتحركان بالذكر والدعاء، ولم يقع منه شيء موقفاً مثل منعه من الدروس والخطابة والمحاضرات.

مرت أيام عصبية عجيبة عرفنا فيها وفاء الأوفياء وصدق الأصدقاء وتناقص الناس الذين كانوا بالعشرات، حتى لا يكاد يأتي أحد وكنت أنا والدكتور محمد بن حمد المنيع رحمته الله وبعض المحبين نلازم الوالد كل عصر وكان يجلس كعادته لاستقبال الناس، وتذكرت حينها قصة الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك، وعرفنا أن العامة يدورون مع مصالحهم وهم



معذورون في ذلك، ولهذا لا ينبغي الاغترار بإقبال العامة ولا بالفوغاء، فإن المشايخ الذين كان الناس يحضرون عندهم بالآلاف بعد أن منعوا وسجنوا لم تنفعهم تلك الجماهير التي كانت تموج معهم، وهذا درس عظيم ينبغي للقادة والعلماء والدعاة الاستفادة منه.

بدأ بعض زملاء الشيخ ومحبيه في محاولة إقناعه للتراجع عن اللجنة وإعلان البراءة منها، وكان ممن ألح عليه في ذلك الشيخ عبد الرحمن البراك والشيخ سعود الفنيسان وما زلت أتذكر إلحاحهما عليه وهو يتمنع أنفة منه وعزة وليس اقتناعاً وحماسة. وكأنه قد استغرب ما حصل مما كان يمكن أن يستدرك قبل وقوعه، وبخاصة من هيئة كبار العلماء.

وبعد إلحاحهما وإلحاح غيرهما من أقاربه وتلاميذه ومحبيه وافق رحمته الله على كتابة اعتذار عن اللجنة، فكتب خطاباً وجهه للأمير سلمان وقمت بإيصال الخطاب له ولما قرأه استبشر وقال: أنا أعرف الوالد وصفاء سريرته، فقلت له: الوالد حريص على الرجوع للدروس، فقال يبدأ من اليوم ولا حرج، فرجعت لتوي إلى الوالد، وأخبرته بما حصل، فتهلل وجهه وقال: هذا هو المهم، أما الوظيفة فالرزق على الله أو كلمة نحوها، ولم يكتب بعد ذلك ولم يتصل بأحد بخصوص الوظيفة بل قمنا بترتيب أوراقه ونزل راتبه التقاعدي بناء على أنه لا رجعة للوظيفة.

وقد استمر الوضع هكذا مدة شهرين تقريباً، والوالد يؤدي دروسه ويخطب بجامعه، وعاد الأمر قريباً مما كان عليه إلا أن ورود الناس خف كثيراً كما ذكرت، وبعد شهرين تقريباً، اتصل الشيخ عبد العزيز بن باز، وكان في الطائف بالوالد رحمته الله وأخبره بصدور قرار برجوعه للعمل وتعيينه على

المرتبة الخامسة عشرة من تاريخ ١٤/٢/١٤١٤ هـ، وبارك له وباسطه الحديث ثم ودعه بعد أن طلب منه أن يباشر في الرياض، وكان رحمه الله قد مكث في الإفتاء أكثر من عشر سنوات على المرتبة الرابعة عشرة ولم يطلب ترقية ولا انتداباً ولا شيئاً من أمور الدنيا، لكن هذه جاءت من الله جل وعلا.

رغب الوالد رحمه الله في أن يسافر إلى الطائف؛ للسلام على المشايخ، فلبيت طلبه وركبنا السيارة أنا وهو وحدنا وسرنا حتى وصلنا الطائف وبتنا هناك وفي الصباح ذهبنا لدار الإفتاء فسلمنا على الشيخ ابن باز وقد لطفه الشيخ وتحدث معه طويلاً دون أن يعرض لموضوع اللجنة والظروف التي مرت، ثم سلم الوالد على مشايخ اللجنة الباقين، ولما خرجنا من عندهم كان الأمير سلمان في جدة فشاورت الوالد في المرور للسلام عليه فوافق، وسرنا قبل الظهر إلى جدة.

وصلنا جدة ولم نكن نعرف مكان قصر الأمير ومكتبه، فبعثوا لنا من يرشدنا حتى وصلنا المكان، استقبلنا الأمير وجلس مع الوالد جلسة خفيفة وكان وجه الأمير يتهلل سروراً وفي ظني أن معظم تدبير الأمر في رجوع الوالد رحمه الله للوظيفة بعد تدبير الله كان من صنعه؛ لأنه يحب الوالد ويثق به ويعرفه جيداً، ثم دعانا لتناول الغداء معه، فتغدينا من غدائهم، وأذكر أن الوالد رحمه الله تعجب من طريقة تقطيع البطيخ (الحبوب) فعادتنا أن نقطعه بقشره على شكل مثلثات أما هم فقد قطعوه مكعبات من دون قشر؛ ليسهل أكله بالشوكة وهذه أول مرة نراه هكذا، فلم يتعود الوالد رحمه الله غشيان بيوت الأمراء والكبراء ولا الأكل عندهم.

بعد ذلك رجعنا للرياض وعاد الوالد لعمله، وأطفأ الله الفتن ودفع

البلاء.

هذا ملخص القصة، وبقيت جملة لطائف.

أولها: بعد صدور قرار الفصل بيومين اتصل الشيخ ابن باز بالوالد رحمهما الله فقال له لدي محاضرة في السويدي في مسجد الشيخ عبدالعزيز التركي، وأنا متعب فأريد أن تقوم بها بدلاً مني، فاستعد الوالد رحمه الله وذهب للمسجد وذهبت معه.

كان الحضور كثيرًا حيث امتلأ المسجد برحباته وكان عنوان المحاضرة حول الفتن والأحداث الجارية في ذلك الوقت والناس في حاجة للسمع من الشيخ ابن باز، لقد كان حضور الوالد مفاجأة للجميع، ولقد بكى الناس في تلك المحاضرة، وبكى الوالد رحمه الله، بكى الوالد لأنه قدم بمقدمة استصغر نفسه فيها وقال: أين أنا من ابن باز، حتى يكلفني بدلاً منه؟، وبكى الناس؛ لأنهم رأوا شيخهم الممنوع من المحاضرات ماثلاً بين أيديهم.

لقد حضرت المحاضرة، وكانت من نوادر ما تكلم به الوالد رحمه الله عن الفتن، ولم أعجب من شيء عجبي من تكليف ابن باز له وهو يعلم أنه ممنوع، ولم أجد جواباً إلا أنها رسالة من ابن باز رحمه الله وكأنه يقول: هذا تلميذي وأنا أعرف به، وهي رسالة للوالد أيضاً ناطقة بأنك منا ونحن منك لم نتغير عليك، لقد نفس هذا التصرف على الوالد، وكان رحمه الله يعرف نفسه وبراءته مما ألصق به، وأن ما أصابه ليس مستحقاً له؛ لاختلاف منهجه عن منهج بعض القوم وطريقتهم، ولكن الفتن لا تفرق بين الناس، ولم يكن ضيق صدره لفوات شيء من الدنيا، لكن العزل والتشهير صعب على النفوس البريئة.

وأما اللطيفة الثانية فقد جاءه الشيخ عبدالرحمن البراك والدكتور سعود الفنيسان؛ لمحاولة إقناعه بالتراجع كما ذكرت وكان مما أذكره من

كلام الشيخ البراك: إن وجودك في الوظيفة أنفع للناس: لأن الإنسان إذا جلس في بيته لا يعرف، ولا يستفيد منه الناس، وتوسل إليه أن يعتذر من اللجنة وأن يقبل العودة للوظيفة إذا طلب منه ذلك، وكان بعض الدعاة المتحمسين قد أكثروا عليه بالأعتذر ولا يقبل العودة لوظائف الدولة وكان *رحمة الله* متردداً، اكتشف خطأ دخوله مع اللجنة وهو مقتنع بأنها لا تناسب منهجه، وفي الوقت نفسه ثقل عليه التصرف الذي عولج به الأمر، فغزة نفسه تدعوه إلى عدم الاعتذار. ولكنه يثق بالمشايخ ورأيهم. ولهذا اعتذر من اللجنة. وكنت الذي رتبت زيارة الشيخ البراك ومن معه في هذا الموضوع جزاهم الله خيراً.

وأما اللطيفة الثالثة فقد ذكرت من قبل أننا حينما زرنا الأمير سلمان وجلس معنا قبل الغداء، قال الأمير *حفظه الله* للوالد *رحمة الله*: يا شيخ عبد الله، الملك فهد موصيني، يقول: انظر ماذا يريد الشيخ عبد الله نحققه له.

كان الكلام واضحاً وصريحاً بأن للشيخ أن يطلب من الدنيا ما شاء، وأظنه لو طلب في تلك اللحظة ما طلب لأعطي إياه.

كان الشيخ الوالد *رحمة الله* مستنداً، فاعتدل وقابل الأمير وقال وهو يومئ بكفيه: جزاك الله خيراً وجزى الملك فهد خيراً، أنا والله الحمد في نعمة. ليس علي ديون، ومنزلي ملك، وراتبي يكفيني، ولست في حاجة إلى شيء.

لم يكن الجواب مستغرباً، بل أظن الأمير سلمان يتوقعه: لأنه فطن وذكي وخبير بطبائع الناس، ولهذا رد رداً مناسباً؛ وقال إذ احتجتم إلى شيء، فنحن جاهزون، ثم قمنا للغداء.

وأما اللطيفة الرابعة فإننا في رجوعنا للرياض مررنا بالمدينة النبوية:

للصلاة في المسجد النبوي، وعادة الوالد رحمة الله أن يصلي فيها خمس صلوات، فأحب أن يزور الشيخ أبا بكر الجزائري، فزرناه بعد العصر وكان في ذلك اليوم مريضاً وعنده درسه المشهور بعد المغرب في الحرم، فعرض على الوالد رحمة الله القيام بالدرس فوافق، وألقى الدرس نيابة عن الشيخ أبي بكر الجزائري في المسجد النبوي، وعجبت حينئذ من سماحة الشيخين وشجاعتهما، وكان الوالد رحمة الله لم يؤذن له بعد في غير دروسه المعتادة. إنها صدق النية ومعاملة الله جل وعلا.

### الوقت في حياة الشيخ

يرتبط النجاح والوصول لمراقي الكمال أو مقاربتها بسيطرة الإنسان على وقته ومحافظته عليه واستثماره كله أو جله فيما يعود عليه بالنفع في العاجل أو الآجل أو كليهما.

والتعامل مع الوقت يحتاج إلى توفيق واستعداد وتدريب واجتهاد والناجحون في جميع المجالات الدينية والدنيوية يقررون بذلك ويطبّقونه، ومن قرأ قصصهم وجد أنها تبدأ مع استغلال الوقت، وتنتهي معه.

والشيخ الوالد رحمة الله من هذا الصنف الذي ملك وقته، وسخره لما يخدم الدين والمسلمين.

لقد مر بنا في الفصول الماضية والمباحث السابقة، وسيأتينا فيما بقي من فصول ومباحث ما يدل على هذا، فنشأته في الصغر حينما حبب إليه العلم وزهد في اللعب وتعلق بالكتب وأنس إلى الخلوة وأثر الوحدة وعكف على القرآن وحبس نفسه في المكتبة ولازم العلماء ورافق الصالحين ثم لما ترقى

في درجات العلم وبدأ في العطاء وبسط نفسه للطلاب وبذل جهده في التعليم والدعوة ونفع العامة ونصيحة الخاصة، كان كل ذلك يستغرق وقته بل لا يكاد وقته يكفي لكل ما يريد.

ونحن في هذا الموضوع سنسلط الضوء على معالم الوقت في حياته رحمة الله ما سيعطي القارئ صورة واضحة عن قيمة الوقت في حياة العظماء وبركة الوقت في حياة الصالحين.

### اهتمامه بالوقت

من أهم المعالم في حياة الشيخ الوالد رحمة الله قيمة الوقت ومكانته عنده، فلقد كان للوقت عنده قيمة كبيرة جعلته يعزف عن اللهو واللعب ويزهد في الراحة ويعرض عن الفرجة والنزهة إلا نادراً، ولا يعني هذا عدم محبته للانبساط وبعده عن الترويح، بل معنى هذا وزن هذه الأمور وتقديرها بقدرها.

كان رحمة الله يشكو من ضيق الوقت، ويعجب مما يسمعه من الشباب والعاطلين الذين يقطعون أوقاتهم ويتذمرون من طول الوقت، ويقول: يا ليتهم يعطوننا ما عندهم من الفراغ، وتمنى ذات يوم أن الوقت يباع، وكان رحمة الله يقول: ما رأيت أقطع للوقت من البحث عن مسائل العلم في بطون الكتب.

وكان رحمة الله يتضايق - وإن كان لا يبدي ذلك- إذا جاءه بعض الثقلاء، وهو مشغول في قراءة أو بحث، فتراه يجاربه وهو متعلق بشغله ويرد عليه إذا تكلم رد مجاملة يفهم الذكي مقصوده.

كان يضييق رحمة الله بالفراغ إذا لم يجد شغلاً، ولعلك أخي القارئ، قرأت ما ورد في هذه السيرة من تضايقه حينما نذهب لنزهة، فتأخذ من الوقت



أكثر مما يحب ويصر على البحث عن فرصة لاستغلال الوقت فيما يفيد النفس أو الناس وقد تكرر منه هذا كثيراً **رحمةً لله**، وكان مرافقوه يزعمون أنهم يريحونه وما علموا أن راحته في البذل والعلم.

### برنامج اليوم

سئل **رحمةً لله** عن برنامج اليوم فأجاب على سجيته قائلاً<sup>(١)</sup>: نقوم بإلقاء الدرس الصباحي يومياً ما عدا يوم الأحد، فنقرأ في فنون عدة أغلبها في العقيدة والحديث والفقهاء، وينتهي ذلك قرب الساعة والنصف إلى الثامنة، وفي صباح الخميس والجمعة قد يمتد إلى التاسعة، ثم بعد ذلك نستريح ساعتين أو نحوهما، ثم نقوم بقراءة البحوث وتلقي الأسئلة الهاتفية، وبعد الظهر نستقبل بعض الزوار ونجيب عن بعض الأسئلة الشفهية والتحريرية إلى قرب الساعة الثانية والنصف، وبعد العصر نلقي بعض الدروس في الفرائض وفي الفقهاء ونستقبل الزوار وأهل المراجعات والخطابات والأسئلة إلى الليل وبعد المغرب نلقي دروساً يومية في المساجد ما عدا يوم الخميس ليلة الجمعة حيث نفرغه للمحاضرات داخل الرياض وخارجها، وبعد العشاء نلقي أيضاً دروساً قد تستمر إلى الساعة العاشرة ليلاً، نقرأ في الحديث والفقهاء والعقيدة، وبقية الليالي أربع ليالٍ بعد العشاء نتفرغ للزوار وللزيارات».

فقد كان **رحمةً لله** يمضي يومه كله في طاعة نحسبه كذلك والله حسيبه، ولكن دعني أفصل لك الأمر أكثر: فعند استيقاظه يقوم عادة كالفرع، ويهب للصلاة ولو لم يكن متأخراً، ولقد سألته عن سبب قيامه فزعم: فقال: إن هذا يساعد على طرد الكسل، أما إذا فتح الإنسان عينه وهو على فراشه، فلا يزال

(١) الفتوى رقم ٧٥٨.

الكسل يلزمه، وجربت هذا فوجدته صحيحًا.

وبعد صلاة الفجر يكون عنده كما ذكر درس في المسجد، وذلك في جميع أيام الأسبوع ما عدا يوم الأحد ويستمر الدرس ساعتين أو أكثر.

يعود إلى البيت في الضحى، فينام ساعة أو نحوها ثم يتناول إفطاره ويجلس يصحح بعض الكتب في المنزل حتى أذان الظهر، وربما كان عنده في الضحى محاضرة أو موعظة في مدرسة أو مستشفى أو نحوهما.

يصلي الظهر غالبًا في مسجد الفتوح المجاور للبيت وإن كان هناك جنازة سيصلي عليها أو لديه موعد لكلمة في دائرة حكومية، فإنه يذهب قبل الظهر بمدة كافية.

أما بعد الظهر فيجلس في المكتب فربما استقبل بعض الناس مدة وجيزة ثم يجيب عن الفتاوى التحريرية التي ترد من أنحاء العالم مناولة أو بالبريد أو بالفاكس أو بالبريد الإلكتروني، ويمكث إلى قرب العصر ثم يعود لبيته الملاصق لمكتبه؛ لياكل لقيمات الغداء وكان يفضل الطعام الشعبي المصنوع من الدقيق الأسمر كالمرقوق أو القرصان أو الجريش.

وبعد أن يصلي العصر يلقي كلمة قصيرة في مسجد الفتوح ما عدا يوم الخميس فإن كلمته في مسجد الخرجي القريب من البيت أيضًا، حيث يشرح أحد الأحاديث النبوية ثم يرجع للمنزل ويفتح باب بيته لاستقبال الناس حتى أذان المغرب، فيساعد الفقير ويشفع للمحتاج ويعقد لمن يريد زواجًا، ويأتي القريب والصديق والمحب للسلام، يغشى هذا المجلس العامة والخاصة والأكابر وغيرهم وكل يجد منه رحمة الله ما يحب.

وكان هذا المجلس عامرًا منذ أن استقر في حي شبرا عام ١٤٠٢هـ حتى



توفي رحمه الله، ولم نبدأ في تنظيم العمل إلا بعد خمسة عشر عاماً في عام ١٤١٧هـ، وأما قبل ذلك فكان يقوم بكل المهمات بنفسه يكتب على الفتاوى، ويسطر الشفاعات بقلمه.

أما بعد المغرب فلديه كما عرفنا دروس منذ مدة طويلة.

وبعد العشاء عنده أربعة دروس أسبوعية وفي الأيام الأخرى يكون غالباً مدعواً لوليمة أو نحوها، فيلبي الدعوة أو يذهب لبيته؛ ليمضي باقي ليلته في قراءة وتصحيح لبعض الكتب حتى الساعة الثانية عشرة غالباً، ولم يكن ينام قبلها. وكان أحياناً يرهق نفسه بالأعمال ويفشاه النعاس قبل الثانية عشرة، فيقاوم ويفتح عينيه ليكمل قراءته وكتابته؛ حتى لا يدع للكسل مجالاً<sup>(١)</sup>.

ثم يذهب لفراشه أخيراً بعد يوم مليء بخدمة الأمة، وله مع الليل شأن آخر سنتحدث عنه في أثناء الكلام عن عبادته رحمه الله، أسأل الله أن يجعل ما قدمه في ميزان حسناته وأن يلحقنا به في عليين.

## المواعيد

للوالد رحمه الله مع المواعيد شأن عجيب.

حاولنا منذ زمن أن نرتب مواعيده، وبذلنا جهوداً لإقناعه بالتنازل عن دفتر المواعيد الذي يحمله، وكان هدفنا أمرين.

أولهما: أن صفار تلاميذه لهم منسقون للمواعيد، وهذا عرف جيد بحيث لا ينشغل الشيخ بذلك بل يتفرغ للعطاء، ثم هو نوع من إضفاء الصبغة التنظيمية والرسمية على العمل.

(١) بعض هذا من مذكرات أختي هيا.

وثانيهما: حتى لا تتضارب المواعيد: لأن لين الشيخ الوالد رحمة الله وسماحته تجعله يعطي في الوقت الواحد أكثر من موعد، وقد تكرر هذا كثيراً. وهناك أمر ثالث كنا نخفيه عنه رحمة الله وهو أننا نريد الرفق به وتقليل الارتباطات قدر الإمكان والتركيز على المهم فقط.

وقد باءت محاولتنا بالفشل، وربما أدرك الشيخ مرادنا الخفي وهو يخالف طبيعته، حيث يستوي عنده الكبير والصغير، ولا يحب أن يرد أحداً؛ لصغره أو فقره أو ضعفه.

وبقي دفتر المواعيد في جيبه يسجل فيه المواعيد والأحداث والذكريات وهذه لم تكن نعرفها حتى استعرضنا دفاتره وقرأناها، مواليد أبنائنا ووفيات الأقارب والمشاهير والأحداث المهمة كلها مسجلة في دفاتر مواعيده رحمة الله.

يقول الشيخ أيمن بن عبدالعزيز أبانمي<sup>(١)</sup>: «ذهبت للشيخ لأدعوه لتشريف حفل تحفيظ القرآن لأحد الجوامع بالرياض، ومشيت معه وهو خارج من بيته لصلاة المغرب، فذكرت له أن إمام المسجد وهو شيخ معروف يريد موعداً مناسباً ليقابله ليدعوه للحفل، فأخرج الشيخ من جيبه مفكرة البيان الجيبية، وقال لي: متى الموعد؟ فذكرت له اليوم، فأخرج قلمه وسجل الموعد، قلت له: إمام المسجد يريد أن يزورك ليدعوك، فقال الشيخ: لا، يكفي، خلاص، سجلت الموعد. وهكذا بكل بساطة.. مع أن الشيخ أكثر العلماء والدعاة دروساً ومحاضرات وارتباطات، ومع ذلك لم يجعل له منسقاً ليرد على الاتصالات أو مدير مكتب يعبس في أوجه الناس، ويشترط على الناس

(١) الشيخ عبدالله بن جبرين.. جهاد في العلم وتواضع جَمّ.

<http://www.al-jazirah.com/84158/rj4.htm>





اشتراطات لكي يقابلوا شيخه أو يجعل بينه وبين الناس آلاف الحواجز.. فليت  
الدعاة وطلبة العلم يأخذون من الشيخ هذا الخلق العظيم، ويتأسون به في  
حرصه على نفع الناس في دينهم ودنياهم».

وهو **رحمة الله** لنيته الطيبة وعزمته الصادقة وجدته وجلده قد بورك له في وقته،  
ففي بعض الأيام يكون عنده نحو عشرة مواعيد، ويذهب لها كلها بيسر وسلاسة.

والعجب أنه في رمضان ومع الصيام تكثر مواعيده:

- قراءة بعد الفجر.
- ثم زيارة لحلقة قرآن.
- وموعد في الضحى لمدرسة.
- وبعد الظهر في دائرة حكومية.
- وكلمة بعد العصر.
- ثم يجلس للناس في المكتب.
- ودعوة للإفطار.
- وكلمة بعد العشاء.
- وزيارة بعد الكلمة.
- وهكذا...

وقد لاحظت فيه دقة عجيبة في الالتزام بالمواعيد، ودعني أمثل لذلك  
بأمثلة:

يخطب الوالد **رحمة الله** الجمعة وقد استقر في العشرين سنة الأخيرة من  
عمره في جامع والده الأمير عبد العزيز بن محمد بن مقرن في حي الفريان  
الجديد الذي بقربنا، وكنت أصحبه أنا وأولادي عبد الله ومحمد وعبد العزيز

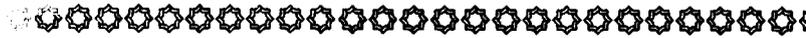
وقد وقَّت لنا وقتاً للتحرك هو الساعة الحادية عشرة وخمس وعشرون دقيقة، وكنت أنا الذي أقود السيارة قبل أن يكبر الأولاد، فلما كبروا صاروا يقودون السيارة، وكنت حريصاً على الموعد، ولا أعلم يوماً من الأيام أنني سبقته بالخروج بل أجده غالباً قد أخرج السيارة، وينتظرنا أو يطرق الباب علينا إذا تأخرنا رحمة الله وأسكنه فسيح جنانه.

وذكرت لك قبل أن له زيارات منتظمة لعدد من المشايخ وأهل الخير ومنهم سماحة الشيخ عبد الله بن عقيل رحمة الله والشيخ ناصر الشثري والأمير عبد الرحمن بن عبد الله، والعجب أنه قد برمجها كما يقال في زيارة شهرية الأسبوع الأول لفلان والثاني لفلان وهكذا، لا يكاد ينسى أو يخرم عاداته.

وقد رتب في كل أسبوع أن يصلي فجر الأحد في مسجد مجاور لنا، إمامه الشيخ خالد السرا ويصلي عصر الخميس في مسجد الخرجي كما ذكرت قبل قليل وعلى مدى سنين طويلة لم ينس ولم يتأخر، بل إنه إذا لم نأت أنا وإخوتي إليه لنذهب به لمسجد الخرجي لنسياننا أو انشغالنا يقود السيارة ويذهب بنفسه.

يقول الدكتور طارق الخويطر<sup>(١)</sup>: «ومن المواقف التي لا أنساها لسماحته رحمة الله: أنني دعوته ذات يوم، وكانت الدعوة في شهر شعبان، فلما دعوته أبلغت الأقارب والزملاء الذين يكونون له الحب والتقدير، وكان من عاداته أنه إذا أراد الاعتذار اعتذر قبل أيام من الموعد؛ حتى يكون الشخص على استعداد للاعتذار للمدعوين، ولا يكون قد تكلف بشيء، وقبل أيام من الموعد اتصل بي الدكتور عبد الرحمن، وأبلغني أن الوالد يعتذر لتضارب الموعد مع موعد آخر، وهو حضور الشيخ إلى إحدى حفلات تخريج حفظة كتاب الله جل

(١) <http://www.al-jazirah.com/96916/rj5.htm>



وعلا، فتكلمت معه وذكرت له أنني كنت أتمنى أنه يحضر، فقال: لا بأس،  
 لعلنا إذا خرجنا من المكان الذي أعد لحفل تخريج الحفظة نأتيك، فقلت: يا  
 شيخ، أظن هذا يشق عليك، ولذلك تتكرم عليّ بتأجيل الموعد إلى موعد آخر،  
 فوافق، ولما قابلته وذكّرتَه بالموعد أعطاني موعداً في شهر شوال، ولما كان في  
 صباح ذلك اليوم اتصل بي الدكتور إبراهيم أبو عباة، وقال لي: إن إحدى  
 قريبات الشيخ قد توفيت هذا اليوم، وأظن أنّ الموعد سيُلغى من قبل الشيخ،  
 ولما هاتفته ابنة الشيخ سليمان قلت له: حصلت وفاة إحدى قريباتكم وأظن  
 أنّ الوالد سيعتذر، قال: إنه لن يعتذر، وإنه قال: يكفي أننا اعتذرنا في المرة  
 الأولى، ولن نعتذر في المرة الثانية، فذهب رحمهُ اللهُ إلى القويعية، وصلى هناك  
 العصر، وحضر الدفن، وحضر العزاء، ثم قدم من القويعية، فحضر اللقاء،  
 فتأثرت كثيراً باحترام هذا الوعد الذي لم يخلفه».

إن المحافظة على المواعيد والالتزام بها دليل على كمال في الدين والعقل،  
 وهي سبب من أسباب البركة في الوقت الذي نلاحظه في حياته رحمهُ اللهُ.

هذا أحد محبيه الذين استفادوا منه كثيراً، وهو الشيخ محمد المنجد<sup>(١)</sup>  
 يصف هذه البركة بقوله: «إذا دخلت إلى مكتبه في الإفتاء يرفع سماعة  
 والأخرى على الطاولة، وأمامه من يسأله، وعلى الطاولة أوراق يكتب فيها  
 فتاوى، وطالب يقرأ عليه إذا وجد فرصة، مواصلة، تعب، دأب، انتقال، سفر،  
 بركة في الحضر، ونفع في السفر، وهكذا، حتى صلة الرحم، والإحسان إلى  
 الجيران، والعناية بالفقراء والمساكين، والشفاعات، وهو أبو الشفاعات، وفي  
 مجلسه في بيته يعقد نكاحاً، يكتب في مسألة، يستقبل ضيوفاً، يُقرأ عليه،  
 والهاتف يعمل، والعمل متواصل، والبذل مستمر».

(١) رحيل العلماء خطبة جمعة للشيخ محمد المنجد موقع إمام المسجد

<http://www.alimam.ws/ref/1822>

## حلم وأدب

في هذا الموضوع سأحدث عن خصال كريمة من أهم ما تميز به الوالد رحمة الله وعرفه بها الناس، وهو ما جبله الله عليه من حلم وسعة صدر وحسن معاملة ولين جانب وتلطف بالكبار ورحمة بالصغار ودعابة وطرافة تحببه للجميع، مع احتفاظه بهيبته وبقائه على سمته ووقاره، وهذا موطن العجب.

تقول تلميذته سميرة: «أبرز ما تعلمته منه قبل كل شيء الخلق الحسن، كان يقول: الخلق الحسن أمر هين، وجه طليق وقول لين، وقد طبقتها عملياً فتراه هيناً ليناً بشوش الوجه يبتسم، وكثيراً ما يجعلك تبتسم وأنت تستمع لدرسه، وقد شرفت بزيارته لمنزلي رحمة الله وجعله في الفردوس الأعلى».

ويقول الدكتور محمد العوضي<sup>(١)</sup> عن أحد لقاءاته بالوالد رحمة الله: «هذا السكون المعطي هذا الهدوء الذي يحركك بهدوئه، هذا السميت الذي يربيك من غير أن يصدر منه لا كلمة ولا حركة، هذا الذي يذكرنا بقوله ﷺ: «أولياء الله الذين إذا رأيتهم ذكرت الله»،<sup>(٢)</sup> وهذا نادر، وبخاصة في هذا القرن، فعندما يتميز الشيخ بهذا الشيء بشهادات متنوعة هو لا شك أنه يربي من غير أن يكثر من الحديث، هذه ميزة تعلمتها أنا في ذلك المجلس الذي امتد طويلاً».

## الحلم وسعة الصدر واستيعاب الناس

الحلم فضيلة خلقية يتصف بها من منحه الله سلامة الصدر، والصبر على الناس، وما يقع منهم بسبب الجهل والجفاء ونحوهما؛ ولذا قال ﷺ لأشج

(١) فتاة حياتنا.

(٢) روى الإمام أحمد عن عمرو بن الجموح حديثاً برقم ١٥٥٨٨/ جاء فيه: " وأن أوليائي من عبادي وأحبابي من خلقي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكركم " وروى الطبراني نحوه وقد ضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٨٩).



عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»<sup>(١)</sup>، وهو كسائر الأخلاق يمكن اكتسابه، فقد جاء في الأثر: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم»<sup>(٢)</sup>.

وكل من خالط الشيخ الوالد رحمته الله شهد له بالسبق في هذا الميدان؛ وذلك لأنه يعلم فضل الحلم، وأنه من صفات العلماء والدعاة التي يمكن من خلالها كسب الناس وتقريبهم إلى شرائع الإسلام، واستقامتهم على دين الله.

لقد اتسم رحمته الله بالحلم وسعة الصدر في تعامله مع جميع الناس، واستمر قريباً من ثلاثين عاماً يستقبل الناس كل يوم من بعد صلاة العصر حتى أذان المغرب في المنزل، يدخل الناس في البيت زرافات ووحداناً، لكل منهم حاجته، فيستقبلهم برحابة صدر وحلم وأناة، لا يتضجر، ولا يتململ، ولا يغضب، ولا يحتقر أحداً، ويلبي طلبات الجميع بنفسه، فهذا يعطيه شفاعته، وآخر يجيبه عن سؤال، وثالث يمنحه مساعدة، ورابع يستمع لشكواه، وغير ذلك.

وكان رحمته الله يستمع لشكاوى الناس، ولو في أصعب الظروف، دون أن يتضايق أو يرد السائل أو ينهره، ولهذا كان كثير من الناس بعد افتتاح مكتب البيت يصرون على أن يقابلوا الشيخ بأنفسهم، فإذا كان الوالد رحمته الله مسافراً أو مشغولاً وعرضت عليهم المساعدة أنا أو أحد إخوتي أو أحد الموظفين في المكتب يتأبى كثير منهم إلا أن يبيت ما عنده للشيخ، ونكتشف أحياناً أن الأمر سهل يمكن تحقيقه من قبل غيره، ولكن الناس تعودت منه هذا اللطف، فكانت تأنس إذا بثته شكواها وشاركتها مشاعرها.

(١) أخرجه مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه في باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه من كتاب الإيمان برقم / ٢٥.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط في باب من اسمه إبراهيم من حديث أبي الدرداء يرفعه برقم / ٢٦٦٣ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٢٨: "فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو كذاب".

أما المستفتون فكان له معهم شأن آخر ذكرنا طرفاً منه في الحديث عن الفتاوى فهو حليم في التعامل مع المستفتين، حتى إنه ربما وقف ما يزيد على نصف ساعة ليجيب عن استفتاء سائل عرض عليه سؤاله في أثناء مروره أو وقوفه.

يقول الأخ أنور القرني<sup>(١)</sup>: «أذكر موقفاً له رحمة الله رحمه واسعة ولا يمكن أن أنسى هذا الموقف حتى ألقى الله جل وعلا، عرض لي مسألة علمية شائكة، فصليت الفجر في الخبر ثم سافرت إلى الرياض وتوجهت لمنزل الشيخ رحمة الله ولما وصلت عنده الساعة الثامنة صباحاً طرقت الباب ولم أكن أتوقع أنه سيخرج لي، فقال الشيخ: من عند الباب؟

فعرفته باسمي، فلما فتح فإذا بي أرى وجهاً يتلألأ نوراً، فلما سلمت عليه قبلت رأسه ثم قبلت يده بالقوة، ثم أخذ يدي بقوة ثم لواها ثم قبلها فبكت من هذا الموقف قلت: يا شيخ، والله لأقضيها، قال: لا تستطيع، ثم أخذ يتلطف حتى هدأت وأدخلني، ثم أخذ يشركني في الحديث وكان عنده بعض طلبة العلم يقرؤون عليه، فلما انتهى سألته عن مسألتني فشفى قلبي وودعته وانصرفت».

وقد كان كثير من المبتلين بالوسوسة يتصلون به، رجالاً ونساءً، ويمكن مع أحدهم نصف ساعة أو قريباً منها، دون أن ينهره أو يعنفه، مع أنه يكون مشغولاً أحياناً وعنده مراجعون أو ضيوف، ويقول إذا استعجل: «لن نتركهم، هم في حاجة إلى من يهدئ نفوسهم».

ومن أخلاقه في هذا الباب أنه كان رحمة الله حريصاً على عدم جرح مشاعر الآخرين أو إحراجهم، وقد كان مرة راكباً مع أحد طلابه، وكان يقود

(١) قناة «المجد».



السيارة بسرعة، فأراد أن ينبهه لذلك، فقال: هل تعلم أن ابني عبدالرحمن نال مخالفة قبل أيام عدة؛ لأنه كان يقود سيارته فوق المائة والثلاثين؟ ففهم الطالب الرسالة التي أراد الوالد رحمة الله إيصالها؛ لأنه رحمة الله كان لا يحب السرعة الزائدة إلا لحاجة ملحة<sup>(١)</sup>.

و بمناسبة موضوع السرعة، فالوالد رحمة الله كان يحب السرعة المعتدلة، وأذكر أنني أسافر أنا وإياه أحياناً وحدنا مسافات طويلة للمنطقة الشرقية أو القوية، وقد تموت أنني لا أزيد على مئة وعشرين ومئة وخمس وعشرين فإذا نظر إلى عداد السرعة فهمت ماذا يريد، فأقول باللهجة المحلية: أزيد شوي، فيقول: شوي، أقول: كم؟، مئة وأربعون؟، فيقول غالباً: فيها البركة، فأعمل بما يقول ومن خلال طول الملازمة له رحمة الله أصبحت أعرف ما يريد غالباً.

ومن مواقفه في ذلك ما ذكره الأخ أبو سارة من حائل<sup>(٢)</sup>: «كنا مع الشيخ في وليمة وكنت قد جئت مع أبي طلحة بعد أن بدؤوا في الطعام وانتهى الشيخ من الطعام وفي الشيخ رحمة الله ميزة أدب وهي أنه يعلم أن العرف لدينا أنه إن قام الضيف قام غالب الناس معه، ولا يقومون من الطعام قبله، فكان أحياناً يجلس وينتظر حتى ينتهي الجميع من الطعام.. ثم أخذ الشيخ يضع اللحم الذي وضع أمامه بكثرة أمامي لأجل أن أكله.

رفع الشيخ يده من الطعام ورفع الجميع أيديهم ولم يبق إلا أنا وصاحبي أبو طلحة نأكل، فشعر الشيخ أن جلوسهم محرج لنا وقيامهم ربما يسبب لنا إحراجاً فقال لنا وهو مبتسم: كلوا ولا تستعجلوا نحن سبقناكم».

(١) <http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229>

(٢) كتبه في يوم الجمعة ٨/٨/١٤٢٧ هـ  
<http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>

ويقول الشيخ أحمد المهنا<sup>(١)</sup>: «كتبت مرة إحدى المواد، وكانت عبارة عن وصية مقترحة وعرضتها على الشيخ وكان فيها خطأ إملائي من الذي طبع الكلمة، فقال لي الشيخ بعد قراءته لها: اقرأها علي، فقرأتها، فقال: أعد، فأعدتها، قال: أعد، فأعدتها، فاكتشفت سبب طلب الشيخ الإعادة، وهو تنبيهي إلى الخطأ الوارد في الطباعة».

ويقول الأخ عبد الله من النماص<sup>(٢)</sup>: «في يوم من الأيام بعد صلاة الظهر كان له درس **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي النَّمَاصِ**، فخرجنا من الدرس وقتت للشيخ: ما رأيك أن أطل بك من الشفاء وهو مكان جميل يطل على تهامة وكنت أريد أن أروح عن الشيخ فامتنع الشيخ، فقال لي ابن أخيه وكان معه في السيارة: لف على الشفاء والشيخ لن يمانع».

فذهبت إلى جهة الشفاء وكنت قلقاً من أن الشيخ يعاتبني، وحين توقفنا نزل وشعرت أنه ارتاح وانشرح صدره وبدأ يتنقل فوق الصخور، وكان على كبر سنه قد أمد الله **رَحْمَتَهُ بِالصَّحَّةِ**.

وكان **رَحْمَةُ اللَّهِ حَلِيمًا فِي الرَّدِّ** على من خالفه من العلماء في فتوى أو حكم شرعي، فقد كان **رَحْمَةُ اللَّهِ جَرِيئًا فِي قَوْلِ الْحَقِّ** لا يخاف في الله لومة لائم، ولكنه مع ذلك يرد على مخالفه بكل أدب واحترام، مبيناً لهم ما يدين لله به من الدليل، وموضحاً الصواب في المسألة.

ومن قرأ ردوده **رَحْمَةُ اللَّهِ** على مخالفه أو على أهل البدع والضلال عرف ذلك، وظهر له أنه **رَحْمَةُ اللَّهِ** لم يكن القصد من رده الانتقام أو التشفى ونحو ذلك، وإنما قصده بيان الحق والوصول إليه.

(١) <http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229>

(٢) قناة المجد.



ومن أمثلة ذلك رده رحمته الله على بعض طلاب العلم ممن أباح الطبول يقول: «اطلعت على فتوى في إباحة الأغاني والطبول للرجال والنساء، بقلم أحد المعاصرين، وقد تسرع - هداه الله - في هذه الفتوى وفي غيرها، وتوسع في ذلك، وتحمل إثمًا كبيرًا لمن قلده في هذه الفتوى، حيث اتخذت وسيلة في ضرب الطبول في كل مناسبة، واستعمال الأغاني المحرمة، استنادًا إلى ما ذكره هذا المفتي - هداه الله - من تلك الآثار التي استند إليها، مع أنها خاصة أو ضعيفة لا صحة لها، وقد كان كثير من جهابذة العلماء يتحاشون التسرع في الفتوى.... إلخ»<sup>(١)</sup>.

وقال في جواب آخر: «نشر في صحيفة الرياض في يوم الثلاثاء ١٤٢٣/٩/٢١ هـ مقال بعنوان: هل حجم الأسرة مفتاح للفقر؟، كتبه الأخ/ عبدالوهاب الفايز، والذي يفهم من كلامه أن الكثافة السكانية سبب للفقر في هذه الدنيا، وحيث إن هذه العبارة تردد كثيرًا، أحببنا أن نعلق عليها، فنقول... إلخ».

ولكنه أحيانًا يشدد في العبارة إذا رأى مناسبة للتشديد كما المكابرة وسوء القصد، مع حرصه على الإصلاح، وسلامة نفسه من الحقد، وسأبين ذلك إن شاء الله في موضعه.

كان رحمته الله محبوبًا لدى الجميع، كل من رآه وعرفه أحبه، وما أعطي هذه الرفعة وهذه المحبة والمكانة بين الناس إلا لشدة تواضعه وحلمه وصبره وسعة صدره ورحابته.

(١) نشر مكتب الشيخ هذا الرد بتاريخ ١٤٢٦/٣/٢١ هـ.

يقول الشيخ أحمد بن مشرف الشهري<sup>(١)</sup>: «أتذكر صورته ووقاره، فأتذكر الأدب في أسمى صورته، أتذكره متواضعًا، لينًا هينًا في أيدي الناس، أتذكر شيخًا كبيرًا لم أر شيخًا أصدق حياءً منه، أتذكره وهو يؤدي السنة الراتبية وقد تجمهر طلابه حول كرسيه الدراسي، فيستحي من أن يُفسح له طلابه من بينهم الطريق، فيلتفُّ من خلف الصفوف؛ حتى يأتي من خلف الكرسي؛ حياءً وأدبًا».

والذين عرفوا الشيخ الوالد رحمة الله عليه، أو جالسوه، يجمعون على أنه سهل قريب جدًا من الناس، فالوصول إليه سهل، والانتفاع به سهل، والتعلم معه أسهل.

وقد زان ذلك بتمثل قول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»<sup>(٢)</sup>؛ لأن محبة الناس تؤدي إلى التعاون معهم وإرادة الخير لهم، فكان يحب الناس ويحب الخير لهم، وهذا ما جعله رحمة الله عليه يبذل نفسه للصغير والكبير، والعامي وطالب العلم، فكان يشفع لهم، ويجيب عن فتاواهم.

يقول الشيخ محمد بن عبد الله الشايع<sup>(٣)</sup>: «الشيخ له مكانة واحترام في قلوب الخلق ونحن في طريق الجمرات يمشي الشيخ: فهذا شاب يوقفه فيعانقه، وذاك طفل يضاحكه ويداعبه، وتلك امرأة تشتكي إليه، فسيحان من رزق الشيخ الصبر والحلم يقف معهم ويجيب سؤالهم ويقضي شغلهم، لا يمل ولا يسأم، ولا يعنف ولا يزجر، بل ابتسامه هادئة، وسعة بال، وتحمل مشاق، فرحمة الله عليه».

(١) موقع الألوكة <http://www.alukah.net/articles/17163.aspx>

(٢) هو في البخاري من حديث أنس في باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من كتاب الإيمان برقم /١٣.

(٣) <http://www.burnews.com/articles-action-show-id-2746.htm>



ويقول الدكتور عبد الوهاب الطرييري<sup>(١)</sup>: «كان الشيخ يتمتع بعافية نفسية تامة، ولذلك كان ظنه في الناس حسناً، يحملهم على أحسن المحامل، فلا يستبطن سوء الظن، ولا يشغل نفسه بالحدز والتحفز، ولذلك سلم من عاهات سوء الظن وفرز الناس وامتحانهم، وألقى كل ما عنده لكل الناس، فوسع الناس علمه وحلمه وخلقه، ولقد أورثته هذه العافية سكينه نفسية، ولياقة عالية في التعامل مع الناس، فامتد في حياة الناس بعمق واستوعبهم، وكان فناء قلبه رحباً لا يزدحم الناس فيه».

كما اشتهر عن الشيخ الوالد رحمه الله العفوعن الناس ومسامحتهم، والتنازل عن حقه طلباً للأجر والثواب، وتمثلاً لقول الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقوله ﷺ: «إن الله تعالى عفو يحب العفو»<sup>(٢)</sup>.

يقول الأخ عبد الله الحوطي: «في إحدى السنوات حضر بعض الوافدين إلى المملكة لقصد طلب العلم في إحدى الجامعات، وذات مرة زاروا الشيخ في مكتبه بالإفتاء، وطلبوا منه أن يشفع لهم لدى أحد المحسنين؛ ليساعدهم مساعدة مالية لسد حاجتهم، فلبى الشيخ طلبهم وشفع لهم لدى أحد المحسنين، ولكنهم ترددوا على هذا المحسن مرات عدة بشفاعات مزورة باسم الشيخ وتوقيعه وختمه، ما جعل هذا المحسن يشك في أمرهم؛ فأرسل مندوبه لمكتب الشيخ للتأكد من صحة الخطابات التي وصلت إليه من هؤلاء الأشخاص، فأتضح له أنهم قد زوروا توقيع الشيخ وختمه، ورفّع أمرهم إلى مكافحة التزوير، فاعترفوا بخطئهم وصدر الأمر بترحيلهم وعدم السماح لهم

(١) مقال بعنوان «حياة من نور».

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم ٤١٦٨.

بالدخول إلى المملكة مرة أخرى، فلما سمع الشيخ بخبرهم عفا عنهم وكتب خطاباً عاجلاً لإدارة مكافحة التزوير بالاكْتفاء بمعاقتهم وعدم ترحيلهم؛ رافة بحالهم وحتى يستمروا في دراستهم الجامعية؛ ليتزودوا بالعلوم النافعة علَّ الله أن ينفع بهم».

وكان رحمه الله نائياً بنفسه عن الاستهزاء بالناس وتقصصهم ويحذر طلابه كثيراً من هذه الصفة وأمثالها، يقول رحمه الله<sup>(١)</sup>: «إن من أعظم أسباب الأمراض والعاهات والمصائب وزوال النعم: الاستهزاء بالناس وانتقاصهم وازدراءهم، والسخرية بالفقراء والمساكين وسبهم - ثم قال: - إن رجلاً غنياً ذا مال أتاه فقير محتاج ليلة زواجه فرده الزوج وشمته وتقصصه، فذهب الرجل وهو مكسور خاطر، وبعد أيام قلائل، فإذا بالرجل يختلف مع زوجته ويطلقها ويخسر ماله، والمرأة المطلقة تزوجت بعد خروجها من العدة.

وفي ليلة عرسها جاءهم فقير يطلب المساعدة، ولم يكن عندهم إلا دجاجة، فقال الزوج لزوجته: خذي هذه الدجاجة وأعطيتها للفقير، فلما أخذت الدجاجة وأعطتها الفقير رجعت وهي تبكي، فقال لها الزوج: ما يبكيك، فقالت: أتدري من هذا الفقير؟ إنه زوجي الأول، وقصت عليه القصة، فقال لها: وممَّ تتعجبين؟، أتدريين من هو الفقير الذي رده وانتقصه زوجك؟ إنه: أنا!».

يقول الشيخ سلمان العودة<sup>(٢)</sup>: «الشيخ ابتلي ببعض من يحط من قدره وهناك أناس يجمعون كتب الشيخ وغيره لا ليستفيدوا منها ولكن ليبحثوا عن الأخطاء والزلات.

(١) نقل ذلك الشيخ عصام العويد رحمه الله.

(٢) قناة «دليل».





ومع ذلك الشيخ كان يدافع عن بعض من يقع عليهم القيل والقال وكتب مقالات طويلة وأشرطة رحمة الله تعالى عليه يدافع عن العبد الفقير الذي لا يستحق مثل هذا المقام وربما يحسن ظني بنفسي لما أسمع من أمثال سماحة الشيخ مثل هذا الكلام ولكن لا أعرف أبداً أنه دافع عن نفسه إلا بالبيان، أما أن يقف في مواجهة الناس الذين ينتقصون أو يزرون أو يعيبون أو يسبون فالشيخ رحمة الله كان أقل في نفسه من ذلك».

ويقول الدكتور محمد العريفي<sup>(١)</sup>: «رفقه ولينه وبساطته في التعامل مع الناس وشدة تواضعه لا تعني أن الشيخ رجل ضعيف وليس له شخصية، لا والله بل رأينا في بعض المجالس إذا احتد النقاش أحياناً في بعض المسائل استوفز في جلسته ونصب ركبتيه وعدل جلسته واشتد في الكلام وقال: اقرأ الكتاب الفلاني انظر ماذا قال ابن حجر راجع ما قال ابن قدامة ولكن الشيخ رحمة الله تعالى يغلب عليه الرفق واللين، حضرت عنده سنوات وحضر غيري من زملائنا من طلبة الشيخ أكثر، لم يذكر أن الشيخ يوماً سب أحداً باسمه أو تكلم في أحد من خصومه باسمه أو انتصر لنفسه».

### اللطف والدعابة

لقد جمع الوالد رحمة الله مع الحلم لطفاً ودعابة غير متكلفة يأنس بها الصغير ويعجب لها الكبير، فهو يحب أن يدخل السرور والانبساط على طلابه وأضيافه ومحبيه، فيما زههم ببعض الأمور التي تناسب المقام، وقد يعمر المجلس أو يقطع الطريق ببعض القصص والحكايات المفيدة غالباً.

(١) قناة «دليل»، برنامج في وداع فقيه العصر.

والوالد رحمة الله إذا بدأ في الحكايات وبخاصة قصص أجداده وقصص طفولته والقصص التي مرت عليه في حياته لا يمل حديثه، فهو يسوق القصة بأسلوب عجيب وبدقائق وتفصيل ممتعة؛ لذا أتعمد إذا سافرت معه أو ذهبتا لمكان بعيد بالسيارة أن أفتح له باباً؛ ليبدأ في هذه الحكايات؛ لأنه إذا أمسك بالكتاب قبل أن يتحدث لا يمكن أن يقطع القراءة وكنت أتمنى أن معنا دائماً مسجلاً نسجل هذه القصص التي فيها شيء من الطرافة والطفرة، فمنذ أن يبدأ في القصة حتى ينهيها وهو يذكر تفاصيل دقيقة وأشياء كأنك ترى الشيء بعينك، فيذكر لي قصصاً عن خالي إبراهيم وأسفاره وعن جدي لأمي محمد رحمة الله وعن بعض قصصه لما جاء إلى الرياض وعن عيشته مع عمي محمد أول مجيئهم للرياض مع ابن عمته عبدالله العريفي حينما كانوا عزاباً قبل أن يأتي بالوالدة رحمة الله، دقائق غريبة كان المفروض أنها تسجل وتكتب لكن طواها التاريخ، وكثيراً ما يأتي أيضاً بقصص عن السالفين عبر القرون من العلماء من كتب التاريخ وغيرها.

وهو يحب أن يدخل السرور والأنس على من معه وبخاصة في السفر يقول د. يوسف بن أحمد القاسم<sup>(١)</sup>: «جمعني به يوماً لقاء في مطار جدة، وكنا ننتظر الإعلان عن رحلة المغادرة، فأخذ يقص علي- برحابة صدره، وابتسامته الجذابة- بعض أخباره مع الوالد في أيام الطلب، وبعض المواقف الطريفة، كل ذلك بتواضع جم، وببساطة وعفوية غير متكلفة. مما يكشف عن معدن الشيخ رحمة الله وما كان يتمتع به من لين الجانب، وسماحة النفس، وكرم الخلق، والغريب أنه أخذ يكشف لي عن بعض التفاصيل الدقيقة قبل أكثر من خمسين عاماً، وكأنه يتحدث عن أحداث وقعت بالأمس، ما يكشف عن ذاكرة متوقدة، وذهن حاضر يستوعب أدق التفاصيل..»

(١) [http://www.aleqt.com/2009/07/16/article\\_252730.html](http://www.aleqt.com/2009/07/16/article_252730.html)





ويقول أبو طلحة: «أول ما بدأت أسافر معه استغربت منه، ما من شيء يمر بنا إلا وتكلم عنه وأورد فيه قصصًا وحكايات ومعلومات، نمر على القطار مثلاً، فإذا بالشيخ يأتينا بقصة عن أول قطار رآه وعن معلومات عن القطارات ونحو ذلك، ثم نرى جملاً فيتكلم عن الجمال وطريقة أوسمتها ونوع هذا الجمل ويأتي بقصة أو قصص تتعلق بذلك، فهو رحمة الله موسوعي.

أذكر أننا كنا عائدتين من الشرقية ومعنا حمد بن عبدالعزيز صهر الشيخ رحمة الله وكان متعباً فكنت أقود السيارة، ظننت الشيخ سينام ويتركني أقود وكنا في الليل فإذا به يسألني كيف أتيت للمملكة وكيف حياتك مع الشيخ وكيف عرفك الشيخ ابن باز وكيف استقبلك وغير ذلك وخلال سيرنا ثلاث مئة وخمسين كيلواً وأنا أحكي له القصة فقال في آخر الحديث: كان أبا للجميع كان أبا للجميع فرحمه الله، رحمها الله جميعاً.

ومن الطرائف أنه كان في درس المغرب وفجأة انطفأت الكهرباء فليس هناك نور ولا تسجيل حتى استعانوا بالمحمول والجوالات؛ للإضاءة لأن الوالد رحمة الله لم يتوقف عن الحديث، فصار الناس في ظلام حتى إن أبا طلحة قرب اللابتوب من الوالد؛ لكي يرى الناس وجهه، وكان يشرح في كتاب الجنائز فحول الكلام إلى موعظة، وبعد نصف ساعة جاء النور، وفي الأسبوع التالي - وكان الدرس أسبوعياً - أعاد الدرس، وقال: حصل ما حصل، فنعيد الدرس.

ولو استطردهنا في ذكر لطائفه رحمة الله لطال بنا المقام ولعلي أذكر هنا نماذج من اللطائف التي أذكرها من طول صحبتي له أو رواها بعض من جالسه رحمة الله من الأقارب والتلاميذ، أو ذكرها بنفسه في بعض المقابلات، فمن ذلك:

## ١ - يتحدث بكلمات أجنبية :

كان الوالد رحمة الله يحفظ كثيراً من الكلمات والعبارات بلغات مختلفة منها: الهندية، والبنغالية، والفارسية، والفرنسية وغيرها كبعض اللغات الإفريقية؛ وقد حفظها رحمة الله من خلال خلطته ببعض أهل هذه اللغات كبعض طلابه وكالسائقين والخدم ونحوهم، وكان أحياناً يخاطب بها من يراه من هذه الجنسيات من باب المداعبة؛ ليدخل عليهم السرور.

فمرة كنا في المدينة النبوية، وركبنا في مصعد البناية التي نسكنها وصعد معنا رجل يظهر أنه فارسي، فالوالد رحمة الله من باب المداعبة تكلم بكلمة على لفته، ففهمها الرجل واستغرب، وأخذ ينظر إليه ويبتسم.

وذكر عبد الرحمن ابن العم ناصر: أنه عندما كان رحمة الله يشرح متن الآجرومية، عند قول المصنف: (الكلام هو: اللفظ المركب المفيد بالوضع). فقال الوالد رحمة الله: الكلام في اللغة العربية مركب من: اسم وفعل وحرف... إلخ، وفي آخر الدرس ذكر للطلاب أمثلة من لغات أجنبية، فقال: مثلاً كلمة (كومونتسو) (Comment êtes) كلمة فرنسية مركبة، ولكن لا تعد كلاماً؛ لأنها ليست عربية، وأيضاً كلمة (بيرنتي) كلمة إندونيسية مركبة، ولكن لا تعد كلاماً؛ لأنها ليست عربية.

وكان الطلاب يستمعون له، ولم يفهموا هذه الكلمات، وهم مستغربون أن الشيخ يحفظها، ثم سألوا الشيخ عن معنى الكلمة الفرنسية فقال: سألوها أبا طلحة.

وكان هذا الدرس يبيث مباشرة عبر الإنترنت ويحضره عدد من الطلاب في جميع أنحاء العالم، وتأتي رسائل من الطلاب يستغربون كيف أن الشيخ يحفظ هذه الكلمات؛ بل ويتحدث بها؟!





وقال الوالد رحمة الله في درس آخر: سألني بعض من لا أعرف لغته، يظهر أنها الإنجليزية، يقول: سبيك انقلش (speak English) فهذه الكلمة حيرتني حتى فهمت معناها، هل هذه الكلمة من العربية؟ ليست من العربية.

وعندما نكون في السيارة في الرياض أو في سفر ونقف عند إحدى محطات البنزين لتزود بالوقود، ومعلوم أن أكثر الذين يعملون في محطات البنزين من الجنسية البنغلاديشية، أو من الجنسية الهندية من كيرلا، كان الوالد رحمة الله يخاطبهم بلغتهم، فيقول مثلاً: (وايريرنو)، يعني: املاً السيارة بالبنزين تماماً، وهذه لهجة عند الهنود من كيرلا.

وكان يستضيف دائماً بعض الوافدين، فإذا جلسوا على الطعام يكلمهم بلهجاتهم فتشرح صدورهم، وربما سألهم عن بعض الكلمات وحفظها لتوم.

والوالد رحمة الله كما ذكرت حفظ هذه الكلمات من بعض العمال والخدم والسائقين الذين عملوا في مكتبه، ومن هؤلاء: الأخ علوي وهو هندي، والأخ زركل وعبد الغفور وهما أفغانيان والأخ كافي وحسني وحمزة وهم إندونسيون، والأخ قمر وهو بنغالي وكذلك من بعض الضيوف والزوار ومنهم الأخ إبراهيم العفري رحمة الله وسفيان وهما إثيوبيان وشريف حيدر ومحمد دوا وحسين عبيدي ومحمد خير وهم صوماليون وحفظ بعض الكلمات الفرنسية من أبي طلحة واسيني الذي كان يرافق الوالد كثيراً في حله وترحاله لتسجيل دروسه ومحاضراته.

والعجيب أن الوالد حفظ هذه الكلمات ولم ينسها، مع أنني حفظت بعض الكلمات ولكني نسيت أكثرها الآن ومما أذكره: بلا وتئي وأكم واخرا وكنان ولروس وكيري وبيرتني وواير يرنو.



وصنيع الوالد رحمة الله يذكرنا بما رواه البخاري عن أم خالد بنت خالد ابن سعيد، قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعليّ قميص أصفر، فقال رسول الله ﷺ: «سنه سنه»، قال عبد الله: وهي بالحبشية: حسنة... الحديث<sup>(١)</sup>.

## ٢- ينتقدون لهجتي:

وقد ذكرت قبل سبب حرص الوالد على اللغة العربية، حيث ذكر عن بعض زملائه أنهم كانوا ينتقدون لهجته حينما جاء من القويبية فالتزم أن يترك اللهجة ولا يتكلم إلا باللغة العربية الفصحى.

وكان رحمة الله يتعجب من بعض الكلمات واختلاف أهل القرى في النطق بها ومما أذكره أنه يتعجب من اختلاف لهجات أهل نجد في نطق «يا الله حيه» وهي كلمة ترحيب، ويقول كل بلد ينطق بها بصورة تختلف عن البلد الآخر فأهل القصيم يضمون الياء للرجل ويفتحونها للمرأة وأهل الرياض يفتحونها وأهل القويبية يكسرونها وعدد مناطق أخرى أنسيتها الآن.

## ٣- الأسئلة بالقلم الأحمر والاجابة بالقلم الأحمر أيضاً:

يقول الأخ علي أبو لوز: في إحدى المرات عرضت على الشيخ مجموعة من الأسئلة للإجابة عنها، وقد كنت كتبت بعض هذه الأسئلة باللون الأزرق وبعضها باللون الأحمر، ولم أكن أقصد ذلك، ولكن ربما أنني فقدت القلم الأزرق حينها أو أن حبره قد انتهى، فلم يكن من بد إلا أن أكمل باللون الأحمر.

والحاصل: عندما رجعت للشيخ بعد مدة لأخذ الإجابات، فقال لي مماًزحاً: الأسئلة التي كتبت بالأزرق أجبتنا عنها بالأزرق، والأسئلة التي كتبت

(١) أخرجه البخاري في باب من تكلم بالفارسية والربطانية من كتاب الجهاد والسير برقم ٣٠٧١.



بالأحمر أجبنا عنها بالأحمر، وكانت هذه دعاية جميلة من الشيخ، أراد بها المؤانسة وإدخال السرور؛ فرحمه الله رحمة واسعة.

#### ٤- فقدان العجل:

ذكر الشيخ الوالد رحمة الله في ذكرياته عندما كان شاباً أنه نزل عليهم في إحدى السنوات مطر غزير، فأنبئت الأرض عشباً كثيراً، وكان عند والده رحمة الله ثور صغير فذهب مع بعض أصحابه ومعهم بقرات لهم إلى منطقة فيها ربيع كثير؛ ليرعوا هناك، ولكن في أثناء الطريق تقلت الثور من الوالد رحمة الله، وأخذوا يطاردونه ولم يفلحوا، فتركوه وعجله وذهبوا إلى مبتغاهم، ثم بقي وحده واستطاع أن يمسك بالعجل ويربطه في شجرة بعد أن هجم عليه الظلام، وبات ليلته بلا طعام ولا شراب حتى أصبح، وفي الصباح ذهب إلى مراده وعاد إلى أهله في آخر النهار.

وكان رحمة الله يسرد القصة بأسلوب قصصي رائع، وسبق أن أوردناها مطولة فيما سبق <sup>(١)</sup>.

#### ٥- قيمة البيبسي

من القصص الطريفة التي حدثني بها ابن العم عبدالرحمن بن ناصر أن الوالد كان مع الشيخ عبدالرحمن بن فريان رحمة الله وثالث معهم أنسيته خرجوا للدعوة ومروا بجدة، وفي رجوعهم إلى مكة مروا باستراحة في الطريق، فجاء لهم بالبيبسي كولا وكان سعره غالياً؛ لكونه خارج المدينة، فلما أخبرهم بالقيمة كأنهم استكثروها ولم يعطوه سوى القيمة المعروفة، فلما وصلوا إلى

(١) انظر ص (٥٨).

نقطة التفتيش وإذا ببلاغ عنهم فأوقفوهم فاستغرب الشرطة البلاغ، وقالوا: كيف أنتم مشايخ والرجل بلغ عنكم أنكم ما دفعتم قيمة البيبسي، فأخبروهم بالقصة.

يقول عبد الرحمن ابن العم ناصر عن هذا الرحلة: «ذكر لي الشيخ موقفاً أعتقد أنه كرامة من الله له يقول: كان أخي عبدالعزيز يعمل في جدة ومنقطعاً عنا نرسل له رسائل بعضها يصل وبعضها لا يصل، فذهبت إلى جدة مع بعض المشايخ للدعوة وفي وقت الراحة نزلت العصر أمشي في الشارع، وأنا أسأل نفسي كيف سأصل لأخي وأسلم عليه، السيارات تمر بسرعة وتقف السيارات فجأة وأنا أنظر إليها فتقف أمامي سيارة وإذا بالذي يسوقها عبدالعزيز أخي فأتيت مسرعاً وفتحت الباب وركبت وأغلقت الباب فلما فتح الخط التفت السائق وهو يظنني أريده بالأجرة كعادة الناس فلما رأني فوجئ وقال كيف أتيت؟، فقلت له: إلا أنت كيف أتيت؟ فوقف بجانب الطريق وتعانقنا بحرارة وهو يقول: آخر من توقعته يركب معي أنت فرجعت للشيخ ابن فريان وأخبرته هو ورفاقي فتعجبوا من ذلك».

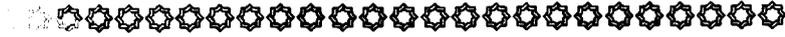
#### ٦ - ممكن تجي شوي :

يحكي الأخ أحمد حسين وهو كاتب الفتاوى في مكتب الوالد رحمة الله أنه في أحد الأيام اتصل الشيخ على أحد موظفي المكتب، وكان موظفاً جديداً، ولم يعتد على صوت الشيخ، فلما رن الهاتف رد عليه الموظف، وقال له الشيخ: «ممكن تجي شوي»، فسأله الموظف من أنت؟ فأجاب: «عبدالله»، ولما توجه إلى المكتب ليرى من المتصل وجد الشيخ واقفاً مبتسماً ينتظره أمام المكتب.

لم يقل: أنا الشيخ ونحو ذلك، وإنما ذكر اسمه مجرداً تواضعاً منه

رحمة الله، ولم يؤنب الموظف، ويقول له: ما تعرفني، أو كيف ترد علي بهذا؟





#### ٧- في بطن أمك :

من فطنته ولطافته أنه رحمه الله كان يتحدث ذات يوم مع رفقته - وكانوا بمنى - عن قصة إحدى حجاته التي حجت معه فيها والدتي لطيفة وكانت حاملاً بي إذ ذاك، فكان الوالد منهماً في وصف تلك الأحداث، وفي نهاية حديثه سألته مداعباً: هل كنت معكم حينها؟ فلم يجب، فحين أعدت عليه السؤال، قال: نعم، في بطن أمك.

#### ٨- طفا الكهرب :

يقول عبد الرحمن ابن العم ناصر: اتصلت بالشيخ - وكان حينها في الطائف - أريد أن أسأله عن مسألة، فقلت له: يا شيخ، الرياض أظلمت بعد سفرك، فقال الشيخ: أظلمت؟ كأنه استنكر الكلمة، فقلت: والله أظلمت، فقال الشيخ: «أجل طفا الكهرب»، يعني: تمشون بتريكات<sup>(١)</sup>.

#### ٩- أفطر وطر

ويقول العم سعد: «كنت أسكن عنده حينما كنت أدرس في الرياض وكان يوقظني لصلاة الفجر، فيقول: قم قم، فأقول: طيب طيب، فيقول لي: وش أطيب؟ أطيب عيش، وحينما يوقظني للإفطار في الصباح يقول لي: أفطر وطر أفطر وطر».

وهذه الكلمات اللطيفة تأتي دائماً على لسانه مما كان يحفظه من أمثال وحكم أو ينشئها هو رحمه الله فكان إذا جلسنا ننتظر الوالدة تحضر الغداء رحمها الله يقول: «عطونا غداًنا وغطوا غداً عاطف».

(١) هي مثل السراج تستخدم للإضاءة قديماً.

ويردد أحياناً إذا أعجبه الشاب قول الحريري في مقاماته: «بورك فيك من طلا كما بورك في لا ولا».

وإذا ألح عليه شخص للضيافة قال مماًزحاً: عندكم عيش وعندنا عيش تعزمونا على ويش.

وإذا انتهى من الطعام أحياناً، قال ملاطفاً: أكلنا رزكم والله يعزكم أو أكلنا بركم والله يبركم أو أكلنا لحمكم والله يرحمكم.  
ومثل هذا كثير منه رحمة الله.

#### ١٠ - هذه هديتنا نأخذها :

يقول الأخ علي أبو لوز: عندما تقاعد الشيخ من دار الإفتاء، كنت حاضراً في مكتبه في آخر يوم، وبدأ الشيخ يللمم أغراضه من المكتب، ونضعها في كرتون، ومن ذلك: أنني كنت قد أهديت الشيخ لوحة صغيرة مصنوعة من خشب الزيتون كُتِبَ عليها اسمه، وكان قد وضعها على مكتبه، فتناولها وقال: هذه هدية أبي أنس نأخذها ولا نتركها، وكان يبتسم حينها، فشعرت والله بالسعادة والسرور؛ لأنه اهتم بهديتي وحافظ عليها ولم يهملها، ثم إنني رأيتها في مكتبه الخاص في المنزل بعد سنوات.

#### تعامله مع الصغار

كان للوالد رحمة الله مع الصغار شأن آخر، كان لطيفاً معهم، يمازحهم ويسلم عليهم، يداعبهم، ويدعو لهم، ويعاملهم بكل تواضع وبأسلوب أبوي لطيف، بل إنه كثيراً ما يقبل رؤوسهم وأيديهم، وينحني لهم ويتحدث معهم،





وكان يحرص على حفظ أسماء أحفاده وأسباطه وأولادهم وكانوا قاربوا الثمانين.. وإذا سلمت عليه الفتيات يقوم بذكر كنية كل واحدة منهن سواء أكن بناته، أم بناتهن، وبنات أبنائه، وبنات إخوته<sup>(١)</sup>.

يقول الشيخ عبدالملك القاسم<sup>(٢)</sup>: «كان يقدم علينا في مكة في أشهر الصيف وذلك لمساعدة الوالد رحمه الله في طبع المتبقي من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وفهارسها، فأنست بقربه صغيراً مدة ثلاثة أشهر كل عام، وكان يأخذ بيدي ويردد بعض الآيات المعروفة وأكرها معه، ويذكر لي دائماً أنه حضر عقيقتي».

ويقول عمرو الضبعان وهو من جيراننا<sup>(٣)</sup>: «كنت في الصف الأول المتوسط أو الثاني، وطلب مني إمام مسجدنا ذات مرة إلقاء كلمة في المسجد، وكان يشجع صغار السن ويدربهم على ذلك، كانت عن فضل إكرام الجار، وكان الإمام ابن جبرين حاضراً، وكان يصلي خلف الإمام، عندما وقفت في المحراب.. وشاهدت الشيخ أمامي.. ارتبكت.. كان موقفاً عصيباً، ألقيت الكلمة، وأردت العودة بعدها لمكاني، ولكن ناداني الشيخ..!! سلم علي.. وأتسى على حسن إلقائي.. ودعا لي.. ومن ثم علّق على الكلمة، وأشاد بي في بدايتها.. ودعا لي مرة أخرى.. ثم واصل كلمته».

(١) من مذكرات الأخت هيا.

(٢) مقال بعنوان العلامة الزاهد ابن جبرين للشيخ عبدالملك بن محمد القاسم في صحيفة الجزيرة العدد ١٣٤٣٩ الأربعاء ٢٢ رجب ١٤٣٠هـ.  
<http://al-jazirah.com.sa/2009jaz/jul/15/fe36.htm>

(٣) الإمام ابن جبرين.. أسرار.. مواقف.. حكايات تنشر لأول مرة..!! لعمرو بن أحمد الضبعان  
<http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229>

وربما مر وهو خارج من المسجد على بعض الأطفال وهم يلعبون الكرة فتصل الكرة دون قصد إلى الوالد رحمه الله فلا يتضايق أو يتذمر بل يردّها إليهم وهو يبتسم<sup>(١)</sup>.

هذا الموقف وأمثاله له أثر فعال في نفوس الصبية، يقول الأستاذ أحمد ابن محمد الجردان<sup>(٢)</sup>: «عرفتُ الشيخ رحمه الله وعمري آنذاك خمس سنين في مسجد قريب من منزلنا في حي دخنة بالرياض، وقد لمست بعفويتي وطفولتي سماحة ذلك الرجل وطيبة قلبه وبسمته وحنوه وصفاء نفسه ومراعاته لي ولأمثالي من صغار السن، فلم نره ينهرنا ولا يغلظ علينا، بل نجده دائماً حين يشاهد من الواحد منا عبثاً طفولياً يعالجه بأسلوب محبب للنفس فهمت بعد ذلك أنه أسلوب نبوي كريم، وقد كان له مع ذلك هيبة في قلوبنا لكنها هيبة ممزوجة بحبه وتقديره، فقد نال رحمه الله من قلوبنا الصغيرة والفضة التي لا تعرف المجاملة أو النفاق من الحب أغلاه ومن السكن أن سكن في سويدائها وماذا بعد سويداء القلب».

ويقول الدكتور عبد الوهاب الطرييري<sup>(٣)</sup>: «أذكر وأنا صغير أنني لما التقيته أول مرة ومع ذلك كان يحدثني كأنه يحدث زميلاً له وهذه من جوانب عظمة الشيخ، إنه لا يشعر أحداً بالدونية معه».

ويقول الأخ حمد الجبرين صهر الوالد رحمه الله: «أرى أولادي إذا دخلوا عليه رحمه الله يحتضنهم، فيعبثون بلحيته ويعبثون بأقلامه وهو يقبلهم ويمازحهم فيحك شعر لحيته في خدودهم من باب المداعبة».

(١) المقالة السابقة من رواية الشيخ أحمد المهنا وأرى هذا الموقف يتكرر كثيراً منه رحمه الله.

(٢) موقع لجينيات <http://174.120.81.100/index.php?action=showMaqal&id=9005>

(٣) فتاة «المجد».



وعندي ولد اسمه محمد يمزح دائماً فيلقبه بلقب أحد الأعمام فيقول أنت محمد والا مصيبيح يمزح معه كثيراً في هذا ويمزح مع أبنائي يوسف ومالك، فيقول ليوسف: أنت اسمك يونس فيرد عليه ابني: لا أنا يوسف وهو صغير، فيقول الشيخ رحمة الله: لا اسمك يونس يونس من الأنس ويوسف من الأسف، وكل ما جاء قال أنت يونس كيف حالك يا يونس كررها عليه».

وكان رحمة الله يداعب الصغار من أولادنا ويصيح في آذانهم بأسمائهم.

### الشجاعة المتزنة

الشجاعة هي الجرأة وهي لا تحتاج إلى قوة في الجسم ولا إلى تضلع في العلم، بل هي قوة في القلب يقول أبو هلال العسكري<sup>(١)</sup>: «الشجاعة الجرأة والشجاع الجريء المقدام في الحرب ضعيفاً كان أوقوياً، والجرأة قوة القلب الداعي إلى الإقدام على المكاره، فالشجاعة تنبئ عن الجرأة»، وفي المخصص لابن سيده<sup>(٢)</sup>: «الشجاعة: شدة القلب عند البأس، وقد تكون الشجاعة في القوي والضعيف».

ولقد وهب الله الوالد قلباً شجاعاً جريئاً ثابتاً مقداماً، ونفساً طويلاً في مجالدة الشدائد والتصدي للملمات، فكان رحمة الله من أبرز أهل عصره في قول كلمة الحق صراحة صريحة واضحة شافية، لكن ذلك كله بلا اندفاع، وبحماسة منضبطة بضوابط الشرع، شجاعة العاقل الحكيم الذي يقدر متى يقول كلمته ويعرف كيف يستثمرها.

(١) الفروق اللغوية ١ / ٩٩ .

(٢) المخصص لابن سيده ١ / ٢٧٤ .

لقد خط منهجًا واضحًا صريحًا حكيماً متزنًا لقول كلمة الحق التي تؤتي ولا تؤذي يقول عنه الشيخ خضر بن سند: «عرفه طلبه العلم في المواقف الصعبة، فهو لا يتحدث إذا وجد من يكفيه الحديث ولا يتكلم لمجرد أن يقال تكلم فلان، ولكنه إذا رأى أن العجز والضعف دب لقلوب الخاصة، وخشي ألا يقوم بالحق قائم، تراه وقد قام من بين الصفوف ليكون فيصلاً وناطقاً يحمده التاريخ.

زرع محبته في قلوب الحكام والمحكومين، فهو طراز فريد اجتمعت فيه غيرة المؤمن وإباء وعزة العربي الصميم.

يحافظ على الأمن الفكري والأمن الحسي، لا يشوش على الناس حياتهم، ولا يحث على زعزعة الأمن، ولا يقبل أن يشوه الدين».

ويقول الدكتور محمد العوضي<sup>(١)</sup>: «من الأشياء التي تعلمناها من هذا الرجل العظيم في هذا العصر الذي كثر فيه ملاحظة المصالح الخاصة على حساب الحق أن الرجل يقول كلمة الحق بهدوء، الرؤية عنده واضحة لا سيما في القضايا المصيرية الكبرى.

كان ابن جبرين ليس رجل منطقة أو قرية أو مجموعة أو دعوة أو راية، كان رجل أمة وهذا من الأمور التي تشكر له ونرجو ألا يموت هذا الفكر الذي يبث مثل هذه المعاني العظيمة».

ويقول الدكتور عبدالعزيز الفوزان<sup>(٢)</sup>: «الشيخ عرف عنه جانب مشرق ومضيء تميز به عن كثير من أقرانه رحمة الله عليه وهو الجرأة في قول الحق

(١) قناة «حياتنا».

(٢) قناة «دليل».



والصدع به، فكان لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يبالي بما فاته من مال أو منصب أو جاه».

وقد مر بنا، وسيمر في أثناء هذه السيرة العطرة ملامح هذه الشجاعة، ولعلنا هنا نذكر أو نذكر بشيء من ذلك.

### أولاً: الفتاوى

تعد الفتاوى أبرز ما عرف به الوالد رحمة الله وقد بينت في أثناء الحديث عنها منهجه في الفتاوى وما جبل عليه فيها من الوضوح والصراحة والشجاعة، وقد عرف هذا كثير من طلابه، بل حتى عامة الناس.

وكنت أحرص ونوصي من يرافق الوالد رحمة الله في محاضراته بالانتباه للأسئلة؛ لأن الناس يسألونه في الأمور التي لا يتكلم فيها كثير من المشايخ؛ مراعاة لأمور سياسية أو مصلحة يقدرونها ولما سأل بعض التلاميذ الدكتور عبد العزيز السدحان وكان هو الذي يفرز ويقرأ الأسئلة في بعض دروس الوالد رحمة الله؛ لم لا تقرأ بعض الأسئلة التي تعطى للشيخ؛ كي نستفيد ويستفيد الناس؟، أجب: بأن الشيخ لا يتحرّج من الإجابة عن أي سؤال، ونخشى أن يُضّرّ بسبب الإجابة عن أحد الأسئلة<sup>(١)</sup>.

وتقول الأخت هيا: «حضرت له محاضرة في أحد المساجد، فسئل عن فتوى الشيخ ابن عثيمين رحمة الله التي قال فيها: إن من يدخل الطبق الفضائي يُعدّ غاشاً لرعيته فهل هذا صحيح؟ فقال: «بل لعل الذي يكون غاشاً لرعيته هو المسؤول الذي أدخل هذه الأطباق إلى البلد» فخفت حينها على أبي لصراحة هذه الكلمة والخوف أن تهتم على غير وجهها.

(١) مقالة بعنوان «رحل الذين أحبهم، فعليك يا دنيا السلام»، أحمد بن مشرف الشهري موقع الألوكة

[http://www.alukah.net/articles/1\\_7163.aspx](http://www.alukah.net/articles/1_7163.aspx)

ويقول الأخ أبو سارة<sup>(١)</sup> عن رحلة الوالد رحمة الله إلى حائل: «بعد الغداء طلب مني سليمان ابن الشيخ شريط الفيديو الذي سجلناه وألح في ذلك وقال: لو نشر ما فيه لكان على الوالد ضرر كبير، فقلت له: نستأذن الشيخ، فقال: أعرف والدي والله لو استأذنت فلن يمانع، ولكن أنا أحدثك للمصلحة العامة، ولما رأيت إصراره قلت له: أبشر ولكن بشرط، قال: ما هو، قلت: تمسح إجابة الشيخ التي تراها غير مناسبة للنشر، وتعطيني بقية الإجابات وخاصة التربوية؛ لأنني أريدها تبقى لتفيد الناس، فوافق ثم سحبت الشريط من الكاميرا وأعطيته إياه».

ويقول الدكتور عادل بانعمة<sup>(٢)</sup> عن مقابلة مطولة أجراها مع الوالد في مجلة الجسور عام ١٤٢٤هـ: «عرفت من خلالها أن للشيخ نفساً في فتاواه ينفرد به عن كثيرين من أقرانه، وربما من أشياخه وأساتذته، وكان في كثير من إجابته صريحاً جريئاً مختلفاً كذلك».

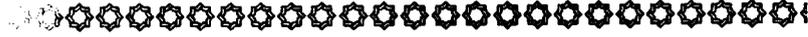
ويقول الدكتور عبد الله بن هضبان الحارثي عن مقابله التي أجراها مع الوالد رحمة الله في قناة «اقرأ» وكانت من آخر المقابلات: «عندما جلس أمامي في الكرسي بدأت أتحدث معه أريد أن أعطيه بعض المحاور للقاء، قال لي: اسأل ما بدا لك شرح الله صدرك».

والكلام في هذا يطول والشواهد تكثر، فهذه الصراحة والوضوح جعلت كثيراً من الناس يسارعون ويسألونه حينما تنزل نازلة، أو يحصل منكر ما، فيسارع رحمة الله بكل ما يستطيع من واجب الإنكار، سواء بمخاطبة المسؤولين، أو بإصدار الفتاوى التي تبين الموقف الشرعي من النازلة<sup>(٣)</sup>.

(١) الجمعة ٨/٨/١٤٢٧هـ <http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>

(٢) في وداع ابن جبرين، خطبة جمعة للدكتور عادل بانعمة.

(٣) د. يوسف بن أحمد القاسم [http://www.aleqt.com/2009/07/16/article\\_252730.html](http://www.aleqt.com/2009/07/16/article_252730.html)



فقد كان **رحمة الله** يفتي بما يراه محققاً لمصلحة الأمة، كفتواه في وجوب نصرة المجاهدين في الشيشان وأفغان قبل تغير الأحوال، وفتوى مقاطعة البضائع الأمريكية واليهودية، وغيرهما.

ومن الفتاوى التي أبدى فيها شجاعة في جانب آخر فتوى المسعى حيث كان كثير من العلماء وعدد من طلاب العلم يرون عدم جواز التوسعة، فلما تكلم الوالد **رحمة الله** وفصل الكلام فيه وذكر شهادته على ذلك في أول حجة حجها أزاح همًا عن الأمة وأزال ترددًا كان يختلج في صدور كثير من طلاب العلم بل وحتى بعض العلماء.

وقد بان من موقفه في هذه الفتوى أن الشجاعة ليست كما يظن البعض هي الصراحة في مواجهة الولاة، وإن كان هذا من الشجاعة وللوالد **رحمة الله** فيه جهد كبير، بل إن الشجاعة أيضًا تكون في مواجهة الناس.

### ثانيًا، الرفض

قضية الرفض وموقف الوالد **رحمة الله** منهم وموقفهم منه هي القضية الأشهر والأكبر في حياته **رحمة الله**.

وسأذكر بداية القصة وتطورها في الحديث عن موقفه منهم في المباحث القادمة إن شاء الله تعالى، لكننا هنا سنركز على الجوانب التي تبرز شجاعته وقوته في الحق.

كان **رحمة الله** يتكلم عن معتقداتهم الباطلة كتكفير الصحابة ولعن الشيخين وغيرهما وموقفهم من عائشة رضي الله عن جميع الصحابة، وكدعائهم الأئمة من دون الله وغير ذلك مما في كتبهم، وهو مستحضر

لكثير من النصوص من كتبهم ومستوعب للمسألة استيعابًا تامًا، ولهذا يقع كلامه عليهم كالصواعق بل كالحمم؛ لأنه حق موثق من أحد أساطين العلم.

وهذا ما جعل تلميذه الدكتور عبد المحسن العسكر يقول بعد وفاته: «لشيخنا عبد الله بن جبرين شجاعة وصدع في الحق، فإنه رحمة الله صرح بكفر الروافض في فتاوى كثيرة مسموعة ومكتوبة، وبسط القول في كفرهم تديلاً وتعليلاً، ولم يأبه بنصح من نصحه بترك التعرض للرافضة، وعسى أن تنشر فتاواه كاملة ولا يتصرف في شيء منها بحذف أو تعديل فإن هذا العلم دين وأمانة، وقد بلغ الشيخ وبرئ وأدى ما عليه رحمة الله».

ولقد حرص الرافضة على إيذائه ولكن الله رد كيدهم كما سنبين ذلك مفصلاً فيما بعد إن شاء الله تعالى، هزئوا به، سخروا منه، استخدموا الإعلام والسياسة والقضاء الدولي لتخويله والنيل منه، وهو لم يأبه بهم بل لم يشعر بهم فضلاً عن أن يخاف أو يتراجع.

يكاد ينفرد رحمة الله بذلك في هذا العصر على مستوى أقرانه وبمستوى تصريحه وإصراره ودأبه واهتمامه ولقد رزق بأحد تلاميذه البررة وهو الشيخ علي بن عبد الله العماري، فكان يمدّه بالجديد مما يطبع من كتبهم أو ما ينشر من آرائهم، وكان العماري بدأ اهتمامه بالموضوع بإشارة وتشجيع من الوالد رحمة الله.

ونحن نتكلم عن شجاعته فيما يتعلق بهذا الموضوع فإن بعض تلاميذه ومحبيه يخافون عليه ويعرضون له ويعرضون عليه التخفيف من حدته معهم اتقاء لشرهم، ويرد عليهم بأنهم أقل من أن يفعلوا شيئاً ويردد دائماً: «لا ينجي حذر من قدر».



يقول الدكتور محمد العريضي<sup>(١)</sup>: «قابلنا الشيخ بعد فتواه المشهورة في حزب الله فقلنا: يا شيخ، أما تخشى من أن يضروك أو يصيبك شيء من مضرتهم من قتل أو أذى.

فقال الشيخ: مادام أنها في سبيل الله يا مرحباً بها». ومن أهم الفتاوى الأخيرة التي انفرد بها وتبين أخيراً أن الصواب معه رأيه في حرب حزب الله مع اليهود، وقد سببت له كما ذكرنا قبل أن وقف ضده الرفضة بأجمعهم ومعهم كثير من علماء السنة ممن لا يعرف الرفضة حق المعرفة.

وقد هاجوا وماجوا حينما أصدر فتواه المشهورة بتحريم الأكل مما يذبحونه عام ١٤١٢ هـ حتى أرسلت إيران استنكاراً للحكومة، فأرسل الديوان أحد المشايخ للوالد: ليناقشه ويطلب منه الرجوع أو التوضيح، فأراه الوالد رحمة الله فتاوى للمشايخ قبله ومنها فتوى للجنة الدائمة برئاسة سماحة الشيخ ابن باز رحمة الله.

وكان عند الوالد برنامج في المنطقة الشرقية، فألغته الإمارة هناك؛ خوفاً على الوالد رحمة الله فأصر عليه بعض الشباب هداهم الله بالمجيء ونظموا له برنامجاً خاصاً لم يعلن للعامة، فاستجاب لهم وذهب ولم يخش إلا الله، واضطررنا إلى أن نصحبه بمجموعة من الشباب الأشداء؛ تحسباً لأي مشكلة، وقد علمت الإمارة بالبرنامج فأرسلوا أحد وكلاء الإمارة وطلب من الوالد رحمة الله مغادرة المنطقة؛ حسماً للمشكلات فاستجاب الوالد رحمة الله واعتذر من الشباب.

ثم نظموا له بعد أسبوعين برنامجاً آخر وألحوا عليه وكان رحمة الله إذا استشيرت عاطفته يلين فقالوا: إن في هذا عزاً للرفضة ونصرة لهم وأكثروا

(١) فتاة «بداية».

عليه جداً فاستجاب لهم وكان في نيته أن يذهب لأمير المنطقة أولاً؛ ليبلغه وجهة نظره ويحثه على عدم الخنوع والخوف منهم، فلا أدري كيف وصل الأمر إلى الحكومة فاتصل به في ليلة السفر خادم الحرمين الملك فهد رحمة الله ورجاه ألا يسافر؛ خوفاً من تفاقم الأحداث، فحاوره الوالد ليقنعه بذهابه فأصر كل منهما على رأيه، وكان الملك فهد رحمة الله ذكياً فقال للوالد: أنا ولي أمرك وأمرك ألا تذهب، عندها قال الوالد: حينما كانت مشورة أبيت رأبي فإذا كانت أمراً فإني أسمع وأطيع، فلم يذهب، ولكن بعد أن هدأت الأمور سافر للمنطقة الشرقية مراراً في برامج معلنة دون خوف أو وجل.

وفي قصة مشابهة حينما طلب منه بعض الإخوة في نجران أن يأتي إليهم للإلقاء محاضرات ودروس، وهو لم يذهب لنجران قط مع أنه طاف معظم مدن المملكة وقراها، فرتبنا له الحجز والبرنامج وفوجئنا باتصال من سمو الأمير نايف وزير الداخلية، آنذاك رحمة الله فطلب من الوالد عدم الذهاب مراعاة للنواحي الأمنية حيث يكثر هناك الإسماعيلية، فاستجاب رحمة الله لطلب الأمير.

ومما يدل على شجاعته وعدم خوفه منهم وعدم إخفاء نفسه أنه إذا رآهم في مكة المكرمة أو في المشاعر أو في المدينة المنورة يجادلهم بل يشدد عليهم في بدعهم وشركياتهم فينهاهم عن دعاء غير الله وينهاهم عن إيذاء الطائفين بالصلاة خلف المقام حيث إنهم يجعلون حلقة ويصلي أحدهم في داخلها خلف المقام فهو يقتحم الحلقة ويشدد عليهم في ذلك، وكذلك إذا رآهم يسجدون على تربة كربلاء أو نحوها نصحهم وبين لهم خطأ ذلك، يفعل ذلك كله دون خوف منهم، مع أنهم يودون لو سفكوا دمه.



موته على فراشه بسبب المرض بعد هذه المساجلات مع الرافضة وهم أهل كيد ومكر وشر يذكرني بخالد بن الوليد رضي الله عنه الذي كان يعرض نفسه للموت في المعارك فيفر الموت منه، وهو درس للعلماء وطلاب العلم وأهل الفيرة بأن الشجاعة المتزنة تنفع ولا تضر وهي مصلحة أخروية محضة وإن فاتت بسببها بعض مصالح الدنيا، فالوالد رحمة الله لم تضره شجاعته حتى في أمور دنياه فقد بقي في وظيفته حتى تقاعد بعد أن مدد له خمس سنوات وتعاقدوا معه مدة سنة، ولما تقاعد زادت شهرته وذاع صيته ونفع الله بعلومه في داخل المملكة وخارجها، فرحمه الله وعفا عنه وأعاننا على بره.

### ثالثاً، المناصحات للمسؤولين

سنعقد إن شاء الله المناصحات الوالد رحمة الله مبحثاً مستقلاً، وهو قد ضرب في هذا الباب بسهم بل بسهام وهو دليل على صدق نية ومحبة للخير ورغبة في الإصلاح نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً، وهي أيضاً من أهم وظائف العلماء الذين أخذ الله عليهم الميثاق بالبيان.

ولكن هذا الباب يدل أيضاً على قلب شجاع ونفس مبادرة لا تخاف لوماً ولا تخشى عاقبة، وبخاصة إذا كانت شجاعة متزنة ومن مثل الشيخ الوالد رحمة الله في سنه وعلمه؟

سترى حينما نتكلم عن المناصحات أنه لا يكاد يبلغه أمر يحتاج إلى نصيحة إلا وبادر إلى ذلك بخطاب أو اتصال أو زيارة أو مندوب، كتب وقابل واتصل بكثير من مسؤولي الدولة كالملك وولي العهد ووزير الداخلية ووزراء آخرين ومن دونهم، وإن كان كثيراً ما يكتب للأمير سلمان وبينهما معرفة قديمة ومحبة وثقة وتقدير وإن كانا يختلفان كثيراً في بعض وجهات النظر



وقد يشدد عليه الأمير سلمان أحياناً ويطلب منه ترك الشفاعة في بعض الأمور، لكنه لا يلبث أن يكتب فيها مبيناً وجهة نظره، وقد حضرت مجالس بينهما يشتد فيها النقاش، وكان الوالد رحمه الله لا يشدد في النقاش مع الولاة وإنما يكتب ما يريد في ورق فإن قبل والا فيرى أنه أدى الأمانة.

وقد حضرت معه لدى أكثر من مسؤول، فيقدم لهم خطابات فيها نصائح قوية لا يجرؤ على كتابتها كل أحد حتى إني قبل الذهاب ببعضها أقترح عليه أن نطبعها؛ لأنه كان يكتبها بيده ثم أقترح عليه تهذيب بعض عباراتها، ولكن مهما هذبنا العبارات فإن بعض الموضوعات لا يمكن أن تهذب بل لا بد فيها من الوضوح، وفي معظم اللقاءات بعد أن أعطيه الخطابات التي طبعناها ويقدمها للمسؤول وقد تكون أربعة أو خمسة أفاجا بأنه أخرج ورقة صغيرة من جيبه سجل فيها قضايا أخرى رأى أنه لا يكتبها، وبدأ في نقاشها مع المسؤول وربما أخرج خطاباً خبأه عني ونظر لي حينها وابتسم فتعدت ذلك منه رحمه الله مع أنني كنت لا أخالف له أمراً ولكني أحياناً أشير، فإن أطاعني والا أطعته.

ومن باب إحقاق الحق والاعتراف بالفضل لأهله فإن كل من قابله من المسؤولين وإن خالفوه في بعض القضايا أو جادلوه إلا أنهم يفرحون بقدمه ويظهرون له المودة والاحترام والتقدير والقبول ونرى لمناصحته غالباً أثراً ولو بعد حين، ولا شك أن سبب ذلك معرفتهم بصدق نيته وحبه للخير وإخلاصه لولاة الأمر.

#### رابعاً، التوقيع على البيانات

تعودنا من معظم مشايخنا الكبار ألا يشاركوا المشايخ الشباب في أنشطتهم وطروحاتهم، وكانت هذه الأنشطة ومنها البيانات والعرائض التي



توقع من عدد من الناس مما أفرزته الصحوة وتبناه من يعرفون بمشايخ الصحوة وهم طلاب العلم الذين تأثروا بالحركات الإسلامية المعاصرة أو تربوا في محاضنها، وكان الوالد رحمته الله أبرز المشايخ الذين يوقعون هذه البيانات والنصائح ونحوها، بل إن اسمه غالباً يتصدر القائمة.

ولا شك أن هذا الصنيع مع دلالته على الحرص على الإصلاح ونصرة الحق وأهله إلا أنه أيضاً دليل على جرأة وشجاعة سكنت في قلب الوالد رحمته الله لم تعكرها رهبة، ولم تخمدتها رغبة.

ومع أن بعض هذه البيانات ونحوها سببت له متاعب وجرت عليه مشكلات قد ذكرت بعضها فيما سبق، ولكنه استمر على هذا النهج حتى ودع الدنيا، وكان من أهم دوافعه تشجيع الشباب الغيور وشد عضدهم، فغفر الله له ورحمه.

#### خامساً: موقفه من الخلاف بين الجماعات والطوائف

هذه القضية كغيرها من القضايا أوردناها شاهداً على شجاعته رحمته الله وإلا فإن بحثها سيأتي بتفصيل طويل، فهي تمثل منهجاً يحتذى وطريقة تقتضى سار فيها على نهج سلفه من مشايخه الذين تلقى عنهم العلم.

وهنا سأتكلم عن شواهد من شجاعته في هذا الميدان، وذلك بناء على الخط الذي اختطه لنفسه والمنهج الذي سار عليه.

فهو يرى أن اختلاف الجماعات هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وأن عند كل منهم بعض الصواب وإن كان عندهم أخطاء وأن الواجب التناصح لا التفاضح وإحسان الظن لا إساءته.

ولكنه رحمه الله حمل على بعض الفئات والأشخاص الذين يتصدون لبعض الدعاة في داخل المملكة وخارجها يكفرون ويبعدون ويلمزون ونحو ذلك، وكنت أود لو أنه لم ينتصر لأحد على أحد وجعل كلاً يدافع عن نفسه، والحق أبلج والباطل لجلج.

وكنا نحاول أن نحجب عنه الأسئلة التي تتعلق بفلان وفلان؛ درءاً للفتنة وطلباً لتهدئة الأمور ولكن بعض الإخوة يسلمون أو يسربون له الأسئلة وهو لا يترك الجواب وإذا قال بين ووضح ما يكفي فيه التلميح عن التصريح رحمه الله.

ومرة كما ذكرت في موطن آخر من هذه السيرة حضر محاضرة لأحد هؤلاء المشايخ وكادت تحدث فتنة فأمسك الوالد رحمه الله لجام الأمر وهدأ الجميع وشرح الوضع وكان مما قاله: «إذا كنت تقول: لا تسمعوا إلا من الكبار فلم تحضر وتتكلم».

ولقد انتصر رحمه الله لكثير من رجال الدعوة الأموات والأحياء الذين تناوشتهم سهامُ التصنيف في حين سكت كثير من العلماء وطلاب العلم عن هذه الفتنة التي فرقت بين الأمة وشتت الجماعة.

ولهذا تناولته الأقلام بالتصنيف، بل ربما بالتبديع وسار رحمه الله ولم يبالٍ برائح أو غادٍ.

كان ينظر لشباب الجهاد نظرة أب يشفق عليهم ويتألفهم ويفرق بين التكفيريين والجهاديين ولهذا عابه الذين لا يفرقون بينهما قصداً أو جهلاً؛ لأنه يزور جريحهم ويمزي قتيلاهم الذي قتل في المعركة مع الأعداء في الشيشان أو الأفغان أو العراق ويرجو أن يكون من الشهداء.



أما التكفيريون فإنه يصرح كما سنبين بخطئهم وضلالهم وبغيهم وإن كان لا يقول بكفرهم كما هو منهج أهل السنة في هذا، فرحمه الله وعفا عنه.

### سادساً ، موقفه من الاتجاهات المنحرفة

أريد بالاتجاهات المنحرفة الاتجاهات الفكرية المعاصرة التي غرت شبابنا وغزت عقولهم.

فالوالد رحمة الله مع تصدره في العلوم الشرعية وإمامته في ذلك، يعي العصر ويعرف الاتجاهات المعاصرة ويجيد الحديث فيها.

وإذا تأملت دعاءه في خطبه أو في القنوت في التراويح أو في خواتيم محاضراته وبعض دروسه لمست ذلك.

وحين نتحدث عن شجاعته فإن هذا من ميادين الشجاعة حين يواجه هذه الفئات التي تسيطر على الإعلام وربما غيره من وسائل التأثير بفتاواه القوية كفتاواه في جريدة الشرق الأوسط وفتاواه في جريدة الوطن ورده على كثير من الكتاب الذين لاحظ عليهم بعض الملحوظات حينما ينتقدون الشرع أو شيئاً من أحكامه، ولهذا تسلط عليه بعضهم باللمز والهمز، فيترفع عن ذلك ولا يلتفت له، ويمضي في طريق البناء غير عابئ بالعقبات.

### سابعاً ، تفاعله مع قضايا الأمة

المعالجة هنا لبعض ما يدل عليه العنوان فإن للتفاعل مع قضايا الأمة سجلاً حافلاً في حياة الوالد رحمة الله فهي تجري في عروقه وتشغل باله وتقض مضجعه. ولا أعلم منذ عقلت قضية من قضايا الأمة سواء كانت على مستوى



المملكة أو على المستوى الإقليمي أو الدولي إلا وللوالد رحمة الله فيها صولات وجولات ولكن - كما عرفت - ليس هذا موطن البحث إنما موطن البحث مظاهر الشجاعة ودلالاتها في هذا المجال.

فالوالد رحمة الله ليس سياسياً ولا مسؤولاً بل هو عالم من علماء المسلمين الذين وظيفتهم البيان، ولقد كان رحمة الله واضح البيان لا يرده عن ذلك خوف ولا تأويل.

وإيرادي لبعض فتواه هنا من باب التمثيل وإن كان يخالفه فيها بعض كبار العلماء ولكل منهم دليل وتعليل وكل منهم مجتهد مثاب.

لكني أريد أن يرى القارئ الكريم أن العالم يجب عليه أن يوضح ويبين الحكم الذي أدى إليه اجتهاده، ضابطاً ذلك بالضوابط الشرعية التي لا تؤدي إلى مفسد. فمن ذلك فتواه في العمليات الاستشهادية وفتاواه في دعم الجهاد في المناطق الملتهبة وفتاواه في تأييد المسلمين في فلسطين وغيرها.

يقول الدكتور عادل بانعمة<sup>(١)</sup>: «حينما دنس شارون عليه من الله ما يستحق المسجد الأقصى وهبت انتفاضة الأقصى الشهيرة، اتصلت بالشيخ أسأله عن رأيه في المقاطعة فأفتى بفتوى شديدة قوية كانت سبباً في اضطرار الجريدة إلى إخفاء اسمه شهراً أو شهرين، وعرفت حينها أن الرجل صاحب مواقف وأنه يعيش هم أمته وأنه يصدع بالحق إذا رآه».

ويعد الوالد رحمة الله أبرز العلماء الذين دعوا إلى نصرته المسلمين في قطاع غزة؛ حيث انتقد من تخاذل عنها خلال العدوان الصهيوني الأخير،

(١) في وداع ابن جبرين خطبة جمعة.



ووقع مع بعض العلماء والدعاة بياناً حرّم أي مبادرة سلام تقيد أن لليهود حقاً في أرض فلسطين، أو تنص على تطبيع العلاقات مع الاحتلال<sup>(١)</sup>.

وقد كان رحمه الله يجمع التبرعات بنفسه حينما كان جمعها مأذوناً فيه دون خجل أو تقاعس فكانت أرافقه وبعض إخوتي وبعض تلاميذه لبعض الجوامع الكبيرة والمساجد كثيرة الجماعة في رمضان، فنجمع الأموال بعشرات الآلاف. جمع لفقراء الجنوب وبخاصة في رمضان، وكان من المساجد التي كنا نحسب حسابها كل عام في رمضان جامع الدكتور سعد البريك وجامع الملك خالد رحمه الله بحي أم الحمام، حينما كان يصلي به الشيخ عادل الكلباني وجامع عتيقة وجامع الراجحي في الربوة وجامع الأمير محمد بن عبد الرحمن في حي عتيقة حينما كان إمامه الشيخ محمد الزنان رحمه الله وغيرها كثير.

كما كان يجمع كل عام لجامعة العلوم الأثرية في باكستان وهي جامعة سلفية جاء إليه رئيسها الشيخ عبدالغفور، وجمع للمجاهدين الأفغان وللشيشان وغيرهم.

### ثامناً: التراجع عند وضوح الحق

هذه المسألة أيضاً ملمح من ملامح الشجاعة ودليل من أدلتها.

إن التراجع عن القول أو التنازل عن الرأي صعب على النفوس شاق عليها، ووجود هذه الخصلة دليل الكمال؛ لأنه يدل على الإخلاص والتواضع والحرص على الخير.

إن من أهم التراجعات التي قل أن تحصل من مثله تراجعها عن لجنة الحقوق الشرعية ورجوعه للعمل الرسمي بعد أن فصل منه وشهر به في

(١) رابطة علماء فلسطين - لجينيات.



الصحف ووسائل الإعلام ونحوها، وأنا أعرف عدداً من المشايخ من أهل الفضل والعلم الذين فصلوا من أعمالهم ولم يعاملوا كما عومل رَحْمَةُ اللَّهِ، ومع هذا استعصت عليهم نفوسهم أن يراجعوا أو يتراجعوا، ولا أقول هذا لوماً ونقداً بل عرضاً وبيانا، فلكل وجهة نظره ورأيه.

لقد فاجأ رَحْمَةُ اللَّهِ الناس برجوعه ونشر براءته من هذه اللجنة بكل وضوح، وأعلن عدم تأييده لمنهجهم، وذكر أن الخير والصلاح في جمع الكلمة، ولم الشمل، وأن التفرق مذموم في الشريعة.

لقد أذهلت شجاعته في التبرؤ منهم معظم الناس وإن كان هناك من عدها ضعفاً ولكن العبرة بالمقاصد والمعاني، لقد خالف القاعدة العامة التي تقول بكسب التيار المعارض؛ لأن العالم الرباني هو الذي يقول الكلمة بناء على ما ترجح له، ليس بناء على ضغط طلابه وجمهوره ومن حوله، ولذلك كان بيانه في تلك المدة من علامات قوته وشجاعته في قول ما يعتقد.

ومن ملامح الشجاعة ما ذكره لي الدكتور طارق الحبيب الطبيب النفسي المشهور، فقد سئل الوالد في برنامج مباشر سؤال على الهاتف عن الوسواس في الصلاة، وأجاب الإجابة الشرعية عن وسوسة الشيطان في الصلاة وكيفية دفعها، وكان الدكتور طارق الحبيب في الإستوديو يستعد لبرنامج له يلي برنامج الوالد، فانتبه للأعراض التي يذكرها السائل وعرف أنه مصاب بالوسواس القهري وليست وسوسة الصلاة فطلب المداخلة وعلق على جواب الوالد رَحْمَةُ اللَّهِ وتحدث عن الوسواس القهري وأعراضه وعلاجاته.

يحدثني الدكتور طارق ويقول: لم أكن أعرف الشيخ عن قرب ولا أدري ماذا سيكون موقفه من جوابي، فالذي أعرفه أنه شيخ تقليدي كبير





في السن وتوقعت أن يكون الرد إما هجومياً أو سلبياً مجاملاً، ولكن حدث ما لم أتوقعه فلما انتهيت قال الشيخ رحمته الله: هل انتهيت؟ قلت: نعم، فخاطب السائل قائلاً: يا بني، كلامي ألقه في البحر فأنا لست متخصصاً واسمع كلام الدكتور طارق!!

لقد أكبرته وهذا الموقف يسجل في حسناته وصفحاته البيض، هو موقف التواضع وقبول الحق ممن جاء به.

وقد طبع له رحمته الله كتيب فيه تعليقات على «لمعة الاعتقاد» كان ألقاها على طلاب المعاهد العلمية حينما كان يدرس فيها، فاستشكل بعض طلاب العلم كلمات منها، وقد رفع للوالد رحمته الله سؤال عن هذا الموضوع فأجاب عنه بما يجلي المسألة واعتذر عن سهوه في ذلك.

سؤال<sup>(١)</sup>:

- ١- صفحة ١٤: الكلام في المشكل من النصوص: «يقبل أهل السنة... وإذا أشكل شيء من ذلك قبلوا لفظه وفوضوا العلم بالمعنى والكيفية إلى عالمها وذلك كصفة النزول وكيفية الاستواء ونحوها».
- ٢- صفحة ١٨: الفقرة «ب» ونكل كفييتها ومعناها إلى الله».
- ٣- صفحة ٢٠: الفقرة «ج» وعدم التعرض لمعناها بغير علم».

أليست هذه العبارات من جنس التفويض؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً!

الجواب: نعتذر أولاً أن الموفق رحمته الله كان في زمان تمكن فيه المذهب الأشعري وهو إنكار صفات الأفعال وبعض صفات الذات فلم يجرؤ في عقيدته

(١) رقم السؤال (٧٩١١).

بما يخالفهم صريحًا كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان الأشاعرة يعتقدون أن مذهب السلف إمرار الصفات وعدم بيان معانيها مع اعتقاد أنها لا تدل على صفات في نفس الأمر فلم يتجرأ الموفق في هذه العقيدة على التصريح واكتفى بإيراد الأدلة وروى تلك الأخبار التي قد يُفهم منها التفويض، وقد جرينا معه على ما ظهر من مقصده ثم طبعت على ذلك الوضع، وقد أضفنا إليها تحسينات وإيضاحات لما نقصده، بحيث يظهر المعنى المراد ولو تيسر إرسال نسخة من المصححة لفعلنا ونحن نعتقد أن أدلة الصفات ظاهرة في الإثبات وأن معانيها مراده وإنما الذي نجهله أو نفوضه هو الكنه والكيفية التي صرح السلف بأنها مجهولة، فعليكم بيان ذلك لمن لديكم وعليكم مطالعة رسالة الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ففيها مقنع لمن أراد الحق وقصده، والله عند لسان كل قائل.

قاله وأملاه

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

١٩/٨/١٤١٤هـ

تاسعاً، الخروج مع المحتسبين في الأسواق

لقد كان رغبة الله لا يخشى في الله لومة لائم، ولهذا كان من أبرز الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في عصرنا الحاضر بقلمه ولسانه وقلبه بحسب القدرة والاستطاعة، ولسنا هنا كما عرفت بصدد الكلام عن قيامه بالحسبة وإنما في مقام ذكر شجاعته في هذا الباب، ولقد كان الإخوة المحتسبون يشدون به الأزر في كثير من أمورهم سواء كانوا من أعضاء الهيئات الرسمية أو المتطوعين.





كان يدخل الأسواق معهم أمراً ناهياً معيناً، وكان يقصد تشجيعهم، وهم يقصدون إطلاعه على وضع الأسواق وبخاصة المجمعات الحديثة، وقد قام الوالد رحمة الله بذلك في عدد من مدن المملكة وبخاصة في الرياض ومكة المكرمة. ومن المواقف التي رواها قال رحمة الله: كنت في عرفات، فرأيت رجلاً من أفريقيا واقفاً وهو يرفع يديه ويلتفت ويقول: يا عبد القادر الجيلاني، اغفر لي يا عبد القادر الجيلاني، ارحمني.

فأقبلت إليه وكان عظيم الجسم وقلت له: يا أخي، اتق الله أنت في عرفات والناس قد أقبلوا على الله وأنت تدعور رجلاً في قبره لا يسمع دعائك ولا يجيب نداءك، ادع الله ودع سواه، فالتفت إلي ودفعتني بقوة، قال: اذهب عني يا شيبة، أنا أعتقد عقيدة جازمة أنه ما تنزل قطرة من السماء ولا تخرج حبة من الأرض إلا بإذن عبد القادر الجيلاني.

يقول الوالد رحمة الله فقلت: أعوذ بالله، أعوذ بالله اتق الله، ثم انصرف عني وهو يردد: عبد القادر يا جيلاني يا متصرفاً بالأكوان<sup>(١)</sup>.

## أحوال النفس

أعني بأحوال النفس عواطفها وما يعترها من فرح وسرور وحزن وبكاء، فالبكاء يكون بسبب رقة يقذفها الله في قلوب من يشاء من عباده، وهو نعمة من النعم الإلهية، وقد يدل على خشية الباكي وخشوعه.

وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم سيد الخاشعين، وأكثر الناس بكاء من خشية الله، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود رضي الله عنه: «اقرأ علي

(١) سمعتها من الوالد، ورواها الدكتور محمد العريفي في قناة «بداية».







مال برأسه ليخفيها عني، ثم استرجع مراراً، ورجع إلى الغرفة ولبس ثوبه ثم رافقني للمستشفى، وجئنا إليهم وهم يلفونها بلقائف الموتى، فوقف بإزائها وهو مطرق الرأس يسترجع ويدعو لها **رحمة الله**.

وكان هذا صنيعه عندما يسمع بوفاة أحد الأقارب أو زملائه ومحبيه. وكان يبكي وترى الدموع تذرّف من عينيه عندما يذكر مشايخه ومحبيه الذين سبقوه إلى الدار الآخرة، فيترحم عليهم، ويذكر شمائهم ويدعو لهم. وكذلك عندما يرى موقفاً مؤثراً يرق قلبه وتدمع عيناه ومما قرأته من كتابات بعد وفاته أنه في عودته من الجمرات رأى رجلاً من الباكستان وهو يحمل والدته العجوز على كتفيه فوقف متأملاً ومتأثراً بمشهد عظيم من مشاهد البر والإحسان، فدمعت عيناه **رحمة الله** <sup>(١)</sup>.

وتظهر هذه العاطفة أيضاً في دروسه ومحاضراته وبخاصة إذا مرت المواعظ والرقائق سواء كان يرويها أو يلقيها، فقد كانت عباراته تسبق عباراته أحياناً.

يقول الشيخ إسلام دعدوشة <sup>(٢)</sup>: «كنا ندرس مع الشيخ لعة الاعتقاد لابن قدامة في مبحث الصحابة فذكر المؤلف العشرة المبشرين بالجنة فكان القارئ يقرأ، فلما بدأ يذكر: فلان في الجنة وفلان في الجنة وإذا بالشيخ يبكي بكاءً شديداً وحبسته العبرة ونظرت يميناً وشمالاً فإذا الحلقة كلها تبكي لبكاء الشيخ **رحمة الله** تعالى فقد كان سريع التأثر».

(١) الشيخ ابن جبرين وسبع سنوات في الحج للشيخ محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشائع

<http://www.burnews.com/articles-action-show-id-2746.htm>

(٢) برنامج «التبيان» قناة «الناس».

ورأيته مراراً في عرفات وهو يدعو بعد العصر وقد خشع وخضع ورق وأذعن ولا أكاد أميز كلماته من اختلاط العبرات بالعبارات.

أما الفرح والسرور في حياة الوالد رحمة الله فهو دائم البشر لا تكاد الابتسامة تفارق ثغره وقد تحدثنا عن طرف من هذا حين تكلمنا عن حلمه وسماحته ولكنه عند الأخبار السعيدة والمناسبات السارة يبين ذلك في وجهه، فتنتقل أساريره ويقترب من ناقل الخبر فيضع يده على كتفه أو رأسه ويشعره بالاهتمام.

أتذكره في زواج ابني عبد الله ولا أزال أذكر صورته وهو يحتفي بالناس ويبتسم لهم وقد حضر الزواج جموع غفيرة من الأقارب والمعارف وتلاميذ الوالد وعدد من كبار المشايخ وبعض الأمراء والوجهاء.

كما أذكر أنني إذا بشرته أنا أو أحد إخوتي وأخواتي بولادة مولود يظهر البشر في وجهه، ويظهر الفرح والسرور.

ونلاحظه كثيراً إذا جاءه قريب أو صديق أو قرين طلب أو رفيق طفولة أو زميل عمل أو تلميذ قديم، يقربه ويجاذبه الحديث في أنس وراحة.

أما بقية أحوال النفس من الجزع والتسخط والتشكي فليست لعقلاء الرجال فضلاً عن علمائهم والكمالات تزيل المعاييب أو تغطيها، وأنا أحسب فيه من الكمالات في العلم والعقل والخلق والأدب ما جعله ينأى عن سيئ الأخلاق وردئها.

### صفات الريادة

حق هذا الموضوع أن يكون في صدر هذا القسم، ولكني أخرته ليكون مجاوراً للعنصر الذي بعده لما بينهما من المقابلة والتوازن.



وتقصد بصفات الريادة الصفات التي تضي على صاحبها كملاً  
وجملاً وجلالاً وتؤهله للقيادة والريادة والسيادة.

وتشمل صفات عدّة تكون في مجموعها صورة للشخصية المثالية، ويكون  
في الإنسان من الكمال بقدر ما وهب أو اكتسب منها.

ومن هذه الصفات الهيبة والفراسة والكرم وقوة الشخصية وحضور  
البديهة ونحوها.

وان امتزاج التواضع بالهيبة وتحلية كل منهما الآخر لا يحلو، بل لا يكون  
إلا لدى عظماء الرجال، قال ابن قتيبة: لم يقل في الهيبة مع التواضع بيت  
أبداع من قول الشاعر في بعض خلفاء بني أمية:

يغضي حياءً ويغضي من مهابته      فما يكلم إلا حين يبتسم<sup>(١)</sup>

ولقد كان الشيخ الوالد رحمة الله عليه تعالى رجلاً مهيباً، على الرغم من تواضعه  
الجم، فمن زاره أول مرة رأى فيه الهيبة والوقار وحسن السمات، ولعل هذا من  
آثار التقوى - نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً - كما قال  
الفضيل بن عياض رحمة الله عليه: إنما يهابك الخلق، على قدر هيبتك من الله<sup>(٢)</sup>.

يقول الشيخ عبدالعزيز عبد الله الحاج المدرس بمعهد الحرم المكي  
الشريف<sup>(٣)</sup>: «عرفت شيخنا منذ مدة ليست باليسيرة وكانت أول مقابلة لي به  
أن زرته في مكتبه إبان عمله في دار الإفتاء وقد والله هبته لجلال طلعتة وهيبة  
جلسته فقد كان يجلس على كرسيه محتبياً جلسة الخاشع المتواضع».

ولقد أثمرت هذه الهيبة تقديراً وتوقيراً لدى الخاص والعام.

(١) العقد الفريد ٣٦/١ والبيت من قصيدة مشهورة للفرزدق يمدح بها الإمام زين العابدين علي  
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٢) حلية الأولياء (٨/١١٠).

(٣) <http://ibn-jebreen.com/ommah/index.php?t=content&tid=83&cid=499> (٣)

ومن صفات الريادة التي اتصف بها الوالد رحمته الله الفصاحة وبلاغة الخطاب والكتاب وهي ليست بمستغربة على مثله رحمته الله لكون الجيل الذي عاصره من شيوخه أو زملائه هم ممن درس العلم على طريقة المتقدمين قبل مجيء المدارس النظامية وضعف مناهج وطرق التعليم، يقول رحمته الله عن شيخه صالح بن مطلق: «إذا بحثت معه في الفقه وجدته فقيهاً وفي اللغة تجده لغوياً وفي النحو تجده نحوياً وفي العربية وفي الفرائض وما أشبه ذلك».

قلت: ومعظم طلاب العلم في تلك الحقبة على تلك الصفة.

ولقد كان جدي رحمته الله مهتماً بتعليمه وقد ذكرت أن الوالد رحمته الله قرأ عليه مبادئ النحو في الآجرومية وأن الوالد قال عن جدي رحمته الله: «فعلنا تعليماً كاملاً للنحو، وذلك حينما كنا في سن الثالثة عشرة».

وذكرت أنه قرأ في النحو على الشيخ عبدالعزيز الشثري الآجرومية وشرحها لخالد الأزهري وكذلك قرأ في ألفية ابن مالك إلى المفعول المطلق.

وهو رحمته الله يستظهر الآجرومية ومعظم الألفية، ويذكر طلابه وبخاصة من تخصص منهم في اللغة كالدكتور عبدالمحسن العسكر أن الشيخ نادر اللحن مستحضر لمعظم مسائل النحو.

بل حدثني بعض من درسهم الوالد رحمته الله في معهد إمام الدعوة أنهم يستغربون من إتقانه للعربية وندرة لحنه فيها.

وبالإضافة إلى ذلك فهو يحفظ كثيراً من القصائد والفوائد الأدبية ويكاد يستظهر مقامات الحريري وتأثيره بذلك بشيخه الشيخ صالح ابن مطلق رحمته الله تعالى ولهذا تجده في دروسه ومحاضراته ومجالسه كثير الاستشهاد بالشعر، بل ربما سرد القصيدة الطويلة ذات الأبيات الكثيرة دون



أن يخرم منها شيئاً كأنما حفظها لتوه ولا يكاد يمر بمناسبة أو يذكر أمراً إلا وذكر فيه حكاية أدبية أو قصيدة شعرية أو قصة محكية.

وقد ذكرت أن من صفات الريادة الفراسة وسرعة البديهة، والفراسة: الحدس والتوسم وهي المهارة في التعرف على بواطن الأمور من ظواهرها<sup>(١)</sup>، والبديهة: إصابة الرجل الرأي في أول ما يفاجأ به<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»، ثم قرأ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، قال الترمذي: «هذا حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم في تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] قال: للمتفرسين»<sup>(٣)</sup>.

وكان شاه الكرمانى يقول: «من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود أكل الحلال لم تخطئ فراسته»<sup>(٤)</sup>.

ولقد اشتهر علماء الإسلام بالفراسة؛ لما حياهم الله من حبه وخوفه، والحديث عن فراسة الوالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسرعة بديهته كالحديث عن غيره من إخوانه العلماء السابقين واللاحقين.

فيعرف كثير من طلابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه هذين الوصفين، فهو يفرق بين المستفتين بحسب فراسته فيهم من حيث الذكاء والفتنة والحياء والجرأة

(١) تاج العروس مادة: "فرس" والمعجم الوسيط باب الفاء.

(٢) لسان العرب مادة: "بده".

(٣) أخرجه الترمذي في باب ومن سورة الحجر في أبواب تفسير القرآن برقم ٣١٢٧.

(٤) الروح ١/٢٣٩.

والاستفادة والتعاليم والحاجة ومع أنه يجيب الجميع، لكنه إجابته لكل منهم بحسب ما يتفرسه فيه.

وهو كذلك مع السائلين للصدقات، حيث يعطي كلاً منهم ويمنعه بحسب ما يظهر له من حاله فقد يرد بعضهم بكلمة وبعضهم بمبلغ للترضية وبعضهم بعتية سنوية، بل إنه يقوم من مجلسه ويدخل مكتبة ثم يدعو شخصاً بعينه ويريشه بما يراه قبل أن يكلمه.

وربما تفرس في طالب النجاة، فأولاه عنايته حتى تقدم وفي آخر ضد ذلك فجامله ودجاه حتى يعرف ضعف نفسه فيقنع بمكانه.

ومما أذكره من حالي معه رحمة الله أنني كنت أول ما تخرّجت من المعهد العلمي رغبت في الكلية العسكرية آنذاك، وقدمت أوراقها لها دون أن أكلّم والدي، ولكن الله لم يكتب لي ذلك، فقد أخفقت في اختبار قياس القامة، حيث إنني كنت قصير القامة، وكان عندي في ذلك الوقت اهتمام ومطالعات في الدراسات النفسية، فكنّت مفرماً بعلم النفس، فسجلت في كلية العلوم الاجتماعية في قسم علم النفس، فأتيت والدي وسألني، فأخبرته برغبتني. فرفض إلاّ الكلية الشريعة، فما كان لي مناص إلا أن أطيعه، فذهبت فغيرت رغبتني، وكان في ذلك خير لي، وأحمد الله عز وجل أن سجلت في كلية الشريعة، وقد شاورته قديماً في مشاركة شخص في بعض الأمور التجارية فنهاني فرجوته أن يأذن لي فأذن فتأسفت بعد أن خسرت مبلغاً كبيراً.

وكنت أستشيره كثيراً، فإذا أطعته أفلح وأنجح غالباً وإذا ألححت عليه بغير ما أشار به، وهو غالباً لا يشدد فإني أتأسف غالباً.

وأما سرعة بديهته رحمة الله فأشهر من أن تذكر بل أظهر من أن تشهر ومما يتكرر كثيراً أن الوالد رحمة الله في بعض المحاضرات واللقاءات التي يدعى



لها لا يعلم بموضوعها إلا بعد أن يجلس على الكرسي من خلال تقديم المقدم أو يقوم بسؤاله ثم يتكلم عن الموضوع كأنما راجعه شهرًا، أو تكرر عليه مرارًا، وقد يكون الموضوع من دقائق العلم وعويص المسائل.

ومن أعجب ما أذكر أنه دعي للقاء في مكة المكرمة في منزل الدكتور ناصر العمر رحمته الله وبحضور ثلثة من كبار طلاب العلم منهم بعض أئمة الحرم، فسألوه عن المرور بين يدي المصلي في الحرم فتكلم عن المسألة قريبًا من ثلث ساعة موردًا النصوص من الكتاب والسنة وكلام أهل العلم وخلافهم وحججهم حتى بهر الحاضرين.

وصليت خلف الوالد في الجامع الكبير بالرياض حينما كان نائبًا لابن باز رحم الله الجميع، فأطال الصلاة وبعد السلام بدأ رجل في طرف الصف بالكلام ولم يتلفظ إلا بكلمتين أو ثلاث حتى تناول الوالد رحمته الله المكبر وتكلم عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطويله فيها بكلام شافٍ كافٍ وعلمنا بعد ذلك أن الرجل كان يريد أن يتكلم عن التطويل في الصلاة.

أما كرمه وجوده فإن الكرم خلق من الأخلاق الإسلامية الفاضلة، أمر به الشارع لتقوية أواصر المحبة بين الناس، وهو من مظاهر التراحم بين المسلمين، وهو صفة محمودة وعادة حميدة.

فالشيخ الوالد رحمته الله كريم يحب الجود من غير إسراف ولا مباحاة، متمثلًا ما يروى عن الحكماء «الجود بذل الموجود».

وكان إذا رأى من يسرف، وهو لا يجد سعة يردد عبارة «كرم الفليس من إبليس».

ويلوم بعض العامة الذي يبالغ في الضيافات والولائم ويستدين لذلك ثم يذهب يسأل الناس وفاء ما استدان.



لقد كان **رحمة الله** جواداً كريماً بوقته وماله وجاهه وجهده، ويلحظ ذلك كل معاين، ويشهده كل من كان قريباً منه **رحمة الله**.

وان الزائر لنا في منزله يعجب من كثرة توافد الناس إليه من جميع الجنسيات ومختلف طبقات المجتمع، من الضعفاء والمحتاجين، وطالبي الشفاعة، فلا يرد طالباً، ويعطي الجميع ويساعدهم، ويقدم لهم الشاي والقهوة والنعناع والزنجبيل.

وأما كرم الضيافة فحدث عن ذلك ولا حرج، لقد كان بيته ومجلسه **رحمة الله** لا يخلوان من الضيوف، وكان يقيم الوليمة تلو الوليمة لقدم غائب، أو لجمع بعض أقرابه أو زملائه أو طلابه، ولم تكن ولائمه قليلة العدد؛ بل كان مجلسه يمتلئ عن آخره، فكلما جاءه ضيف ذبح له خروفاً أو أكثر ودعا إخوته وأولادهم وبعض أقرابه وطلابه وجيرانه.

يقول الشيخ عبدالله الفائز<sup>(1)</sup>: «الشيخ عجيب في تواضعه لطلبة العلم يدعو الصغير منهم لوليمة عنده في بيته غداء أو عشاء، فهو حريص على كسب القلوب وعلى تأليف نفوس طلبة العلم».

وعند عودته من سفره الطويل في الجولة الصيفية أو بعد الحج يأمرنا أن نرتب وليمة في بيتنا ويدعو كثيراً من الأقارب ونحوهم؛ لأنه يعلم أن كلاً منهم سيدعوه لزيارته، فيحب ألا يكلف عليهم.

وكان يُرى البشري في وجهه إذا رأى إخوته أو أصهاره أو أقرابه أو طلابه، ويبالغ في إكرامهم.

وكذلك كان يحب أخواته ويقدرهن ويدعوهن لولائمه وكان يرى البشري على وجهه إذا رأى أخواته في بيته وكانت إخته هيا تكبره، فكان يكن لها الحب والاحترام ويقوم لها إذا دخلت ويفرح بمبيتها عنده.

(1) المنهج الرصين في ترجمة ابن جبرين خطبة جمعة للشيخ عبدالله الفائز.





كان أخي محمد رحمة الله هو الذي يتولى غالباً ولائم الوالد رحمة الله، فإذا جاء وافد من خارج الرياض من المشايخ أو نحوهم دعاه الوالد وأكد عليه للضيافة، وإذا دعي رحمة الله إلى وليمة شرط بأن يزوره الضيف في بيته ليكرمه. ولكنه كان ينهانا عن الإسراف ويقول: «طعام الاثنين يكفي الثلاثة»<sup>(١)</sup> ولكننا نعلم عادته. فإنه إذا كان عنده وليمة دعا كل من يلقاه، فضلاً عن الجيران والأقارب والطلاب ونحوهم، ولهذا فإننا نحتاط لهؤلاء فنكثر من الطعام.

وفي بداية دروسه رحمة الله كان يلقي درسه في منزله، وكان عدد الطلاب يقارب الستين طالباً، وكان يأمر الأهل بإعداد الشاي، والقهوة، والزنجبيل، والنعناع، وحين انتقلت الدروس للمسجد استمر بإحضار الشاي والقهوة لهم في المسجد، وحين يلومه أحد في اهتمامه بطلابه بهذا القدر، كان يقول لهم: إن ما أصنعه قليل، والطلاب كثير، وما أجلبه إنما يكفي الصف الأول فحسب.

يقول الدكتور سعد البريك<sup>(٢)</sup>: كنا نغشى بيته وندرس وكان لا يرضى أن أحداً يقدم لنا الشاي والقهوة، بل هو الذي يفعل ذلك بنفسه إذا لم يكن أولاده موجودين».

ومن جوده وكرمه رحمة الله أنه لا يأتيه سائل يسأله في بيته إلا ويعطيه، رجلاً كان أو امرأة كبيراً أو صغيراً.

وأحياناً يأتيه ذو الحاجة بعد الدروس أو المحاضرة، أو وهو ذاهب إلى المسجد، ويسأله من الصدقات، فيعطيه الشيخ ما تجود به نفسه. دون تذمر أو تأفف، وقد رأينا ذلك منه كثيراً.

(١) هذا ثابت من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري في باب «طعام الواحد يكفي الاثنين، من كتاب الأطعمة برقم / ٥٣٩٢.

(٢) قناة «المجد».

تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه أنامله<sup>(١)</sup>

وفي رمضان يعهد بعض الأثرياء للوالد بتوزيع زكواتهم وكان يذهب بنفسه للبنك أو يأمر الأخ سليمان فيصرف فئات متعددة من الخمسة ريالات إلى الخمس مئة؛ لذا كان جيبه لا يخلو من هذه الدراهم فيعطي من سأله بحسب تقديره *رحمة الله* وكثيراً ما تنتهي هذه الزكوات والصدقات فيصرف من راتبه الشهري.

يقول الدكتور محمد المنيع<sup>(٢)</sup>: «رافقت الشيخ في جولة في جنوب المملكة فمئذ أن ركبنا وقد تجولنا في الجنوب وذهبنا إلى قرى ومدن فما وقف له أحد وسأل إلا أعطاه».

وفي النصف الأول من رمضان يضع مائدة للإفطار في منزله يحضرها كثير من الفقراء وكان يوزع عليهم نقوداً بعد الإفطار لترغيبهم.

وقد مر أحد كبار التجار قبل المغرب ورأى هؤلاء الفقراء مجتمعين للإفطار فكأنه لم يرق له هذا وقال كلمة فيها لمز بلغت الوالد *رحمة الله* ومعناها أن الشيخ يتمدح بهذه العطايا للفقراء ويقلد التجار في إعطياتهم، ومنع هذا التاجر ما كان يرسله للوالد *رحمة الله* فلم يراجعه الوالد ورآه مراراً ولم يكلمه في ذلك، بل عامله كأنه لم يسمع شيئاً فتأثر هذا التاجر من ذلك وبدا عليه الأسف فاتصل بي في السنة التالية وأعطاني مائتين وخمسين ألفاً؛ ليوزعها الوالد وكان سابقاً يرسل مائة ألف.

(١) البيت لأبي تمام وهو من الأبيات الشوارد التي سارت في الآفاق، وهو من قصيدة يمدح بها المعتصم، انظر ديوانه برقم / ٥٣٩٢.

(٢) قناة «المجد» لقاء مع الدكتور سعد البريك.



وكان رحمه الله جواداً معنا في البيت مع الأهل والأولاد لا يبخل بشيء، ولا أذكر أنني سألته شيئاً فمنعني رحمه الله، كما كان كريماً مع إخوانه؛ حيث كان لهم كالوالد الحنون؛ لأنه أكبرهم سناً.

ولكنه رحمه الله - كما ذكرت - يكره الإسراف ويمقته أشد المقته فإذا رأى الطعام الكثير في الولائم أو في المنزل يتساءل: من الذي سيأكل كل هذا؟ لم تكثرون من الأصناف؟ ثم يجعل يعدها كلها صنفاً صنفاً، فتكون قرابة العشرة أو الخمسة عشر صنفاً.

ومن لطائفه أنه يرد الهدية بهدية غالباً ومن ذلك ما ذكره الشيخ أحمد المهنا يقول <sup>(١)</sup>: «كنا ذاهبين للمفتي لحضور اجتماع حول تنظيم المحاضرات في جامع الأمير تركي بن عبد الله فأخرجت دهن ورد وطيببت الشيخ فقال لي الشيخ: هذا طيب زين، فقلت: هذا هدية لك يا شيخ، فتمنع وألزمت عليه، فأخرج من جيبه دهن عود وقال: وهذه هدية لك. فتظرت إليها وقلت: يا شيخ: هذا ربا».

فهذه بعض الصفات التي تميز بها رحمه الله ويجمعها مكارم الأخلاق ومحامد الطباع، أسأل الله أن يفر له ويرحمه ويسكنه فسيح الجنان.

### ومن ذا الذي ترضى سجايه كلها

هذا صدر بيت سيار منسوب إلى يزيد بن محمد المهلبي وقد نسب إلى غيره وعجزه: «كفى المرء نبلا أن تعد معايبه» <sup>(٢)</sup>.

(١) لقاء بمنوان الإمام الراحل.

(٢) ذكره في نهاية الأرب في فنون الأدب ٣/٩٤.

إن هذا الموضوع من أثقل موضوعات هذه السيرة على قلبي وأشقها على نفسي، فإني أتكلم عن والدي الذي رباني ورعاني وملاً الإعجاب به نفسي وحبه قلبي ونشأت بيني وبينه وبالذات في آخر سنه علاقة الثقة والإعجاب والإكبار والانجذاب، فكيف بي وأنا أتكلم عما يقوله الناس فيه أو ما رأيته من وقائع كنت أتمنى ألا تقع، وكان الواجب فيها أن تطوى ولا تروى، ولكني لا أتكلم عن والدي بل أتكلم عن شيخ أمة وإمام زمان وقدوة من قدوات المسلمين وأعجوبة عصر، فلا بد لي من الحديث ولو شق عن هذه الجوانب؛ ليعلم القارئ العدل الذي بنيت عليه هذه السيرة، فهي لم تكن على مجاملة ومدح وإكبار وتهويل، بل بنيت على منهج العدل والصدق والحق.

ولقد تكلمت فيما مضى عن أخلاق الوالد رحمته الله وذكرت ما كان يتمتع به من الصفات الحميدة والسجايا المجيدة ولا شك أن البيئة التي عاش فيها والفترة التي فطره الله عليها والعلم الذي وهب الله له أثرت في أخلاقه وزودته بكريم الخلال وجميل الخصال، وحتى يعلم القارئ أن ما ذكرناه ليس تقديساً ومبالغة، نحب أن نذكر في هذا المبحث بعض المواقف التي تعد مخالفة في الجملة لما عليه سمته رحمته الله وهي إن كانت قليلة لا تكدر صفو ما وهبه الله من سمات وخصال وخلال الكمال إلا أن ذكرها يزيد القارئ بصيرة بشخصيته ويزيده يقيناً بالطبيعة البشرية والسنة الإلهية والعقيدة الإسلامية بأن العصمة لمن عصمه الله.

فمع اتصاف الشيخ الوالد رحمته الله بالحلم ولكنه يغضب أحياناً ويشتد في الكلام أو التصرف كطبيعة الإنسان، وإن كان غضبه يزيد إذا رأى مخالفة للشريعة أو السنة النبوية.



وهذا ما جعل الشيخ سلمان العودة<sup>(١)</sup> يقول: ما رأيت الشيخ مفضباً قط أبداً، ولولا أنه يقرأ عن الغضب في الكتب أظنه لم يكن يعرف ما هو الغضب إلا أن تنتهك حرمة الله فلا يقوم لغضبه شيء لكنه فيما سوى ذلك لا يمكن أن يغضب لنفسه حتى لو يؤذيه إنسان صغير أو كبير معلوم أو مجهول».

فالوالد رحمته الله حليم لكنه إذا غضب أو أصر على شيء لا يتنازل عنه ومعظم الأشياء التي يصر عليها غالباً تكون أشياء شرعية أو دينية، أذكر مرة أننا كنا في الطريق لمكة المكرمة في رمضان وبعد تجاوزنا الميقات أذن الفجر فوقفنا في الزيمة نصلي في المسجد وقد فاتتنا الجماعة الأولى وكان في المسجد جماعة يصلون يصلي بهم شاب مصري، فلما صلى وانتهى لم ينصرف للمؤمنين فانتظره الوالد رحمته الله قليلاً، فلما تأخر قام إليه وحرفه وهو مكانه بقوة حتى استقبل الناس وقال: أنت خالفت السنة في شيئين قتت والقنوت في الصلاة هو الإطالة وليس الدعاء وهذا مذهب الشافعي وأمره سهل لكن ما انصرفت ما وجهت وجهك للمصلين هذه سنة الرسول إذا انصرف من صلاته استقبل الناس بوجهه.

كان المصري عامياً، فما جادل وما تكلم وإنما انصرف وسكت.

ومن أمثلة غضبه رحمته الله: أن أحد أبنائه إذا نام عن الصلاة بعد أن أيقظه، ثم رجع الوالد رحمته الله من المسجد ووجده نائماً يأخذ برأسه وشعره يجره إليه وهو يعاتبه على نومه عن صلاة الجماعة.

وعام ١٣٩٦ هـ اشترى أحد إخوتي - خلسة - جهاز تلفاز، وأخفاه في غرفته، وكان حديث عهد بعرس. فكانت أخواتي الصغيرات يتسللن لغرفته

(١) فتاة دليل..

ويجلسن مع زوجته؛ ليشاهدن التلفاز، فلما عرف الوالد بذلك أخذ التلفاز وألقاه من سلم البيت (الدرج) حتى تهشم وفسد.

ويذكر أحمد ابن عمي محمد أنهم كانوا في إحدى الرحلات البرية وأطالوا البحث عن مكان فحدد الشيخ ساعة معينة وقال: إذا لم تجدوا مكاناً وقفنا في مكاننا وفعلاً بعد انتهاء الوقت فتح الباب ونزل ومعه كتابه وقال: انزلوا هنا ولم يكن المكان جيداً.

وقد ذكرنا أنه لا يحب التكلف في الطعام، وكان إذا دعي في أثناء رحلاته إلى طعام الإفطار صباحاً أجاب الدعوة واشترط عدم التكلف، فإذا وجد أن مضيفه قد تكلف في الإفطار فذبح له شيئاً من بهيمة الأنعام، فإنه يفضب ويمتنع عن الطعام تربية وتأديباً للناس.

وكان رحمة الله يفضب إذا انتقص أحد المشايخ أو الدعاة، ولا يرضى بذلك، يحكي الأخ سليمان أنه في إحدى المرات حضر الوالد مجلساً لأحد المسؤولين، وكان فيه عدد من الزوار، وفيهم بعض المشايخ وطلبة العلم، ثم إن بعضهم أخذ يتكلم في بعض الدعاة ويسبهم، ويقولون: هؤلاء أفسدوا وضيعوا الأمة، ونحو ذلك.

ولما كثر اللفظ في المجلس، وكثر السب والشتم والانتقاد، غضب الوالد رحمة الله وتكلم، فقال: هؤلاء الأشخاص الذين تكلموا في المشايخ والدعاة حسدة، فما حملهم على ذلك إلا الحسد، لما رأوا أن هؤلاء المشايخ والدعاة نفَعوا، وأفادوا وذاع صيتهم وبرزوا حسدوهم، وأخذوا يتكلمون فيهم، ويصدون الناس عنهم. فغضب هذا المسؤول من الوالد رحمة الله، وقال: في مجلسي تقول هذا الكلام، هؤلاء المشايخ فيهم كذا وكذا، وأنت تدافع عنهم، فقال الوالد رحمة الله: نعم، أنا





أدافع عنهم، واحتد النقاش بينه وبين هذا المسؤول، ثم إن هذا المسؤول غضب فقام وغادر المجلس فغادر الوالد رحمة الله أيضاً المجلس مفضياً.

ولم يكن رحمة الله يغضب فينتقم لنفسه، بل كان يتسامح ويعفو عن أغضبه أو انتقص منه، ولهذا لم يقطع زيارة هذا المسؤول، بل زاره بعد ذلك مراراً.

ولما مرض الوالد رحمة الله تأثر هذا المسؤول كثيراً، وكان يتصل بنا ويسأل عن صحته.

ثم لما مات الوالد رحمة الله اتصل بنا من خارج المملكة وفقه الله معزياً، وقد بدا عليه الحزن على فراق الشيخ، فغفر الله له، وتجاوز عنه، ورحم الله الوالد رحمة واسعة.

والشيخ الوالد رحمة الله لتبسطة وعفويته يتكلم بكلام على سجيته. فيؤثر في نفوس بعض الناس جاءه مرة أحد السائلين الذين يكثرون سؤاله والتردد عليه والشيخ يعطيه كثيراً، فقال له منشداً لأبيات مشهورة:

يا عباس يا أخينا... يا ثقیل الثقلاء

أنت في الصيف سموم... وجليد في الشتاء

أنت في الأرض ثقیل... وثقیل في السماء

ومن الأشياء التي يتداولها الناس عن الوالد رحمة الله أنه يصدق كل أحد، ولا يتثبت من الناس ويحسن الظن بهم كثيراً مع أن فيهم الكاذب والمخادع، وهذه إن كان لها جوانب إيجابية كانت سبباً في حب الناس له واستفادتهم منه إلا أن لها جوانب سلبية أدت لزعة الثقة فيه لدى بعض التجار والمسؤولين الذين لا يعرفونه رحمة الله. وكنت أحدثه عن ذلك أول ما صحبته وبدأنا في ترتيب مكتب البيت، فيقول: نكتب لهم فإن قبلوا والا فتحن على أجر.

وكثيراً ما حدثني الناس عن هذه القضية وشكوا لي من ذلك ولم يكن لي جواب سوى أن هذا منهج الوالد رحمه الله وقد كلمه بعض المشايخ عنه لتغييره فلم يقتنع.

ولقد استفاد من هذه الخصلة كثير من الناس سواء من الأقارب أو من يحتكون به كثيراً كبعض موظفي الإفتاء وبعض طلابه ومن يترددون عليه رحمه الله. فعاطفته رحمه الله قوية وقلبه رقيق سريع التأثر، فإذا كان أسلوب المتحدث مؤثراً أثر فيه، فاستجاب له.

أذكر امرأة من جيراننا رأيتها تأتيه صباحاً وهو قادم من الدرس وكان وقتاً يقل فيه الناس فيقف معها عند الباب وتحدثه طويلاً وبعد مدة جرى الحديث مع الوالد رحمه الله وذكر لي أمرها وعرفت أنه أعطاها مبالغ كثيرة فاستأذنته أن أبحث عنها، فسألت فتبين لي أنها بخير، وإنما تتكثر فأخبرته ولكن بعد فوات الأوان.

وقد قلبت بعض أوراقه بعد وفاته رحمه الله ورأيت منها دفترًا سجل فيه الديون التي على الناس ووجدت كثيراً من الديون الميتة، بعضها له أكثر من عشرين سنة وعلى أناس لا نعرفهم بل هو رحمه الله لا يعرفهم وإنما رحمهم وصدقهم فأعطاهم، ولو أحصيتها لزادت على مليون ريال.

منها رجل بل رجال رهنوا بطاقات الأحوال عنده حتى صرف الراتب ومضت السنوات والبطاقات تنتظرهم، ومنها خطابات من موظفين وموظفات وعدوا بالتسديد تقسيطاً ولم يسددوا شيئاً.

ولقد ناداني رحمه الله بعد أن انتكست حالته وقال لي: الأسلاف التي على الناس صدقة، فلا تشددوا عليهم في طلبها، وكأنه خشي أن نطالبهم ونضيق





عليهم، فأخبرت إخوتي بوصيته فطابت بها نفوسهم وقلنا: إن جاءت جعلناها في الصدقات.

وكان يتساهل رَحْمَةُ اللهِ في الشفاعات حتى إن رجلاً جاءه وطلب منه الشفاعة لدى الأمير سلمان في ابن له قبض عليه من قبل مكافحة المخدرات وذكر أنه بريء، فاتصل الوالد رَحْمَةُ اللهِ وطلب من الأمير العفو عنه، ولما نظر الأمير للمعاملة ووجد فيها طوام، حيث وجد مع الشاب تسعين ألف حبة وله سوابق، فأرسل الأمير مدير مكتبه للوالد رَحْمَةُ اللهِ ومعه المعاملة برمتها ليقنتع، فلما رآها استغرب من عدم صدق هذا الرجل، هداه الله.

ولقد استغل بعض أهل الأهواء والمصالح هذه النقطة، فأخذوا منه فتاوى وتوقيعات كان لها آثار سلبية كما ذكرنا في دخوله في لجنة الحقوق الشرعية وفتواه في طالبان وغيرها.

فهذه القضايا هي أكثر ما كنت أسمعه من الناس، والكامل من عدت هفواته، وأتمثل هنا بقول بعض البلغاء: «لا يزهديك في رجل حمدت سيرته، وارتضيت وتيرته، وعرفت فضله، وبطنت عقله، عيب تحيط به كثرة فضائله، أو ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله، فإنك لن تجد، ما بقيت، مهذباً لا يكون فيه عيب، ولا يقع منه ذنب».

وما أحسن ما قال ابن الرومي:

هم الناس في الدنيا فلا بد من قذى      يلم بعين أو يكدر مشربيا  
ومن قلة الإنصاف أنك تبتغي الـ      مهذب في الدنيا ولست المهذبيا



القِسْمُ الثَّامِنُ

## العقيدة والعبادة

- عقيدة الشيخ
- مذهبه الفقهي
- العالم العابد
- الصلاة الصلاة
- حضور الجنائز
- الزكاة والصدقات
- الصيام وشهر الصيام
- الحج والعمرة
- الذكر والدعاء



## العقيدة والعبادة

تعارف الباحثون والمشتغلون بالتراجم على ذكر عقيدة المترجم له ومذهبه الفقهي ولا شك أن هذا الأمر في مثل الوالد رحمة الله واضح للقريبين منه ولكن لأن هذه السيرة كتبت للتاريخ وللعالم دون تقييد بزمان ومكان، فيحسن ذكر طرف مما يتعلق بذلك.

## عقيدة الشيخ

العقيدة الصحيحة هي العقيدة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فكل ما دل عليه الكتاب والسنة مما يتعلق بالعقيدة في الله أو يتعلق بالإيمان وأركانه ولواحق ذلك، فإنه يجب الإيمان به واعتقاده والعمل به، وكل ما لم يدل عليه كتاب ولا سنة يجب نفيه ورفضه والابتعاد عنه، فإن الأصل في ذلك التوقيف.

والشيخ الوالد رحمة الله كإخوته من علماء بلادنا حماها الله أنموذج لعقيدة السلف الصالح في التمسك بالعقيدة الصحيحة ونبذ البدع، والرد على المخالفين، تلقى عقيدته عن مشايخه، فقرأ وحفظ ما تيسر من كتب العقائد: كالواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله، وغيرها، وتلقى شروح كتبها من مشايخه الذين كانوا يفسرون غريبها، ويوضحون معانيها.

ثم صار رحمة الله من الدعاة للعقيدة الصحيحة والسنة النبوية، ومن المدافعين عنها بالدليل والأثر، دون غلو وإفراط أو تساهل وتفريط، فالمتتبع لدروسه ومحاضراته وفتاواه يعرف أنه كان على معتقد صحيح، بعيد عن الانحرافات والبدع والخرافات.



لقد كان في هذه الدروس والمحاضرات والفتاوى واللقاءات يبين معالم عقيدة أهل السنة والجماعة ولعلي أورد إحدى الفتاوى الجامعة التي ذكر فيها معظم ما يتعلق بالعقيدة يقول رحمة الله (١): «على المسلم أن يُصدّق بأن الله تعالى هو الرب الخالق المالك المتصرف، وهو المنعم المتفضل على عباده، وهو المستحق لجميع أنواع العبادة من الذل، والخضوع، والدعاء، والاستغاثة، والتوكل، والخوف، والرجاء، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والركوع، والسجود، والرغبة، والرغبة، وغير ذلك، وهكذا عليه أن يصدق برسالة الرسل وصدقهم، وأن خاتمهم وآخرهم وأفضلهم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وأن رسالته عامة لجميع الثقلين؛ وأن شرعته باقية إلى قيام الساعة، وعليه أن يصدق بما بعد الموت، وبالجزاء على الأعمال، وبالجنة والنار، وبكل ما أخبر الله به عن اليوم الآخر من الجمع، والحشر، والحساب، والحوض، والميزان... إلخ.

وهكذا يؤمن بكل ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وآله من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وتنزيهه عن صفات النقص، والمرجع في ذلك إلى كتاب الله تعالى، وسنة الرسول صلى الله عليه وآله، كما أن على المسلم التصديق بأن القرآن كلام الله تعالى، نزل به الروح الأمين، على قلب محمد صلى الله عليه وآله وأن الله تولى حفظه، وأن محمداً صلى الله عليه وآله قد بلغه وبينه، وأن الصحابة حفظوه ودونوه، وحفظوا السنة وبلغوها، وأن على المسلم التصديق بأن الصحابة رضي الله عنهم خيرة هذه الأمة وصفوتها، وهم الأمناء على وحي الله وعلى شرعه، وأنهم نقلوا إلينا ما تحملوا عن النبي صلى الله عليه وآله قولاً وفعلاً، حتى وصل إلى هذا الزمان، وعلى المسلم الإيمان بما قدره الله وقضاه، مع العمل بالأسباب، وفعل ما أقدره الله عليه من الأعمال، وأن يعتقد أنه لا يدخل الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته، وبذلك تصح عقيدته».

(١) الفتوى رقم ٧٨٥٩.



الحموية، وتجريد التوحيد للمقريري وشروح الواسطية؛ للهراس، ولابن سلمان، ولابن رشيد، وشرح الطحاوية،، وشروح كتاب التوحيد، واعتقاد أهل السنة للاكائي، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وحافظ الحكمي، وغيرهم ممن كتب في العقيدة، وغيرها، وطبع بعضها في حياته ولعل الله أن يسر طبع الباقي ونحن جادون في ذلك.

وكانت طريقته رحمته الله في شرح كتب العقائد أن يقرأ أحد الطلاب جملة من الكتاب، ثم يقوم رحمته الله بشرحها وتوضيحها.

وعندما يتكلم عن العقائد للامة أو لصفار التلاميذ في المسجد أو في غيره، فإنه يسلك أسلوب التسهيل والتبسط، دون الدخول في التفاصيل التي قد تشوش عليهم، ولكن عندما يشرح للطلاب في دروسه المعتادة فإنه يفصل ويوضح ويبين، وينقل الأقوال والأدلة، ويناقش ويرجع، ونحو ذلك.

يقول الأخ علي أبو لوز: «سافرت مع الشيخ إلى محافظة الجاردة عام ١٤١٧هـ، فكان رحمته الله يحرص على إلقاء كلمة تتعلق بالعقيدة يومياً على أهل القرى هناك، كما أنه في خلال هذه الرحلة التي استغرقت أسبوعاً واحداً، شرّح ثلاثة الأصول، ومنت لمة الاعتقاد».

وكان رحمته الله يرد على أي مسألة فيها مخالفة للعقيدة، وخاصة إذا وقعت ممن ينتسب إلى الفرق الضالة كالروافض والصوفية وغيرهم، فيفند شبهاتهم بالدليل وله رسالة مطبوعة اسمها: الجواب الفائق في الرد على مبدل الحقائق، وهي ردٌ على رسالة لأحد علماء مصر أخطأ في بعض المسائل المتعلقة بالصفات وغيرها.

وكان رحمته الله كثيراً ما يُسأل عن كتب العقائد التي يجب على المسلم قراءتها والاهتمام بها، فكان يقول: نوصي المسلم بقراءة كتب العقائد لأهل السنة من السلف الصالح، ومن ذلك ثم يعدد كتباً كثيرة منها<sup>(١)</sup>: كتاب السنة للإمام أحمد برواية الإصطخري وكتاب السنة لعبدالله بن أحمد والسنة لابن أبي عاصم والسنة للبريهاري والإيمان لابن أبي شيبة والإيمان لابن منده والتوحيد لابن خزيمة والتوحيد لابن منده والإبانة لابن بطة والأسماء والصفات للبيهقي والاعتقاد له، والسنة للخلال وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي والشريعة للأجري والعقيدة الواسطية وشروحها: كالروضة، والتنبيهات، والكواشف. وكذا الفتوى الحموية، والرسالة التدمرية، واجتماع الجيوش الإسلامية، والكافية الشافية، والصواعق المرسلية، والصفدية، والتوسل والوسيلة، واقتضاء الصراط المستقيم، وكتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ومفيد المستفيد، وكشف الشبهات، وثلاثة الأصول، ومسائل الجاهلية، وعقيدة المسلمين للبيهقي وتطهير الاعتقاد للصنعاني، ونحوها من كتب العقائد.

فهذه ملامح عامة عن عقيدته رحمته الله وبعض جهوده في خدمة هذه العقيدة.

### مذهبه الفقهي

لم يكن الناس في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم يسلكون مذهباً معيناً، بل كان العلماء يجتهدون لاستنباط الأحكام الشرعية، وغير المجتهدين يسألونهم فيما لا يعرفونه، وكان العوام يقلدونهم بلا تمذهب ولا التزام بشخص معين.

(١) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=6&book=16&toc=750&page=719&subid>



ثم لما كان القرن الرابع الهجري وما بعده، ظهر التمدد في المذهب الفقهي واشتهرت مذاهب الأئمة الأربعة من بين المذاهب، وصار لكل مذهب فئام من الناس ينتحلونه.

واتفق العلماء أن كل من اجتهد في فتواه وتحرى الصواب فهذا حكم الله في حقه ولو أخطأ، واتباعه إنما يسوغ في اجتهاده الموافق للصواب، ومتى اتضح أن الفتوى تخالف الدليل، وجب الرجوع إلى الحق، ولم يجز تقليده، ولو خالف ذلك المذهب؛ فإن الحق أحق أن يتبع<sup>(١)</sup>.

ولقد كان الوالد رحمة الله ممن درس وتلمذ على مشايخه الذين كانوا منتسبين إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله، وكانوا لا يخرجون عنه غالباً.

ولقد اقتصر رحمة الله على هذا المذهب، وأكثر من قراءة كتب الحنابلة وشروحها والتعليق عليها، وفي التدريس كانت عنايته كذلك بكتب المذهب الحنبلي الوجيزة والوسيلة والمبسطة.

ومعلوم أن مذهب الإمام أحمد رحمة الله هو أوسع المذاهب؛ لكثرة الروايات فيه التي توافق المذاهب الأخرى غالباً، فمن قرأ هذا المذهب وتوغل فيه أحاط بأكثر المذاهب.

وبالرغم من تعمقه رحمة الله في مذهب الإمام أحمد وتدرسه له، فهو متوسع في الاطلاع على الحديث والأدلة، وأقوال الفقهاء، وكان يربط بينها ويحلل، ثم يختار القول الصحيح، حتى لو خالف بعض آراء مشايخه، أو خالف المذهب الحنبلي، أو خالف ما عليه الناس، فلم يكن يرضي العامة أو يساير

(١) انظر شفاء العليل شرح منار السبيل للشيخ عبدالله بن جبرين رحمة الله (١/٦٥). بتصرف يسير.



الواقع ويسوغ للناس فعلهم، ولذلك فإن فتواه يثق بها طلبة العلم؛ لما فيها من القوة العلمية، والجمع بين أقوال الفقهاء القدامى، مع دقة الفقه والفهم للمسائل المحدثة المعاصرة التي يكثر فيها الخلاف والنزاع<sup>(١)</sup>.

وهو رحمة الله يرى أن الاختلاف الواقع بين الأئمة الأربعة سببه الاجتهاد في الوقائع والحوادث: لأن العالم يفتي بما ظهر له، وقد ثبت عن كل واحد منهم الرجوع إلى الحق، ونهوا عن تقليدهم إذا اتضح أن الدليل مخالف لأقوالهم، ولكن بعض أتباعهم من المتأخرين تعصبوا في التزام المذهب، والتمسك بما نص عليه متبعوهم، حتى لو ثبت خطؤه، وكان الواجب عليهم قبول الحق والعمل به، والاعتذار عن إمامهم الذي لم يبلغه الدليل فاجتهد برأيه، وله أجر الاجتهاد وخطؤه مغفور، ولا يسوغ اتباعه في الخطأ<sup>(٢)</sup>.

### العالم العابد

لعلي أبدأ هذا الموضوع بنص لأحد تلاميذ الوالد رحمة الله ومحببه وهو الدكتور إبراهيم بن صالح الخضيرى عضو المحكمة العليا في الرياض، فقد وصف الوالد بأنه حمامة مسجد وهو وصف يطلق على من كان كثير العبادة طويل الملازمة للمسجد يقول الشيخ إبراهيم حفظه الله<sup>(٣)</sup>: «الأمة الإسلامية فقدت بوفاة الشيخ عبد الله الجبرين عالماً جليلاً ومؤرخاً كبيراً ومحدثاً وفقهياً في آن واحد، وعرفت الفقيه وأنا أدرس في المرحلة الابتدائية، وكنا نقطن حياً واحداً وكان إمام مسجد الأمير ناصر بن عبدالعزيز في دخنة<sup>(٤)</sup>، وكنت أتابعه

(١) عبد الله بن جبرين (الأسطورة المشاهدة) لخضر بن صالح بن سند  
http://www.saaaid.net/Minute/287.htm

(٢) انظر الفتاوى رقم (١١٣٩٠)، ورقم (٦٠٤٩)، للشيخ عبد الله بن جبرين رحمة الله على موقع الشيخ الرسمي على الشبكة المنكبوتية.

(٣) http://www.aleqt.com/2009/07/14/article\_252034.html

(٤) يريد مسجد آل حماد وكان بقرب بيت الأمير ناصر.



رحمة الله أنذاك حيث كان له ارتباط وثيق بالمسجد الذي كان يجلس فيه كثيراً، وكانت له اليد الطولى في المناصحة والدعوة إلى الله ﷻ وهو حمامة مسجد، إذ كان يمضي جل وقته في المسجد، وكان ذا حافظة رائعة وبنكاً معلوماً متحركاً يمتلئ بالعطاءات الخيرة، رحم الله شيخنا عبد الله الجبرين وشمله الله بفضوه وغفرانه إنه ولي ذلك والقادر عليه».

فالعبادة هي روح العالم وراحته وزاده وقوته، ولهذا عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

فالصلاة، والزكاة، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء والذكر والقراءة، وحب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، والتوكل عليه وأمثال ذلك من العبادة لله<sup>(١)</sup>.

وقد كانت حياة النبي ﷺ كلها عبادة، وكان ﷺ يتلذذ بالعبادة، فهذا هو يقول ﷺ لبلال رضي الله عنه: «أرحنا بالصلاة يا بلال»،<sup>(٢)</sup> وكان ﷺ إذا حزبه أمر صلى<sup>(٣)</sup>.

وقد كان الشيخ الوالد رحمه الله حريصاً على أداء العبادات بأنواعها؛ فهو حريص على أداء الفرائض، وحريص على أداء السنن والنوافل، فلا يترك سنة ثابتة عن النبي ﷺ قدر المستطاع، مهتدياً في ذلك بفعل السلف، فقد قال

(١) انظر العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم / ٢٣٠٨٨.

(٣) رواه أبو داود في باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل من كتاب الصلاة برقم / ١٣١٩ عن حذيفة، ورواه أيضاً أحمد في المسند برقم / ٢٣٢٩٩.

عبد الرحمن بن مهدي: «سمعت سفيان يقول: ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث قط إلا عملت به، ولو مرة»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام أحمد: «ما كتبت حديثاً عن النبي ﷺ إلا وقد عملت به حتى مر بي في الحديث أن النبي ﷺ: «احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً، فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت»<sup>(٢)</sup>.

يقول أخي سليمان: رأيت الوالد رحمه الله يغتسل بين المغرب والعشاء في العشر الأواخر في رمضان، فسألته عن ذلك فذكر أنها سنة.

ولعله يعني ما أورده ابن رجب في لطائف المعارف<sup>(٣)</sup> حينما تكلم عن سنن العشر الأواخر من رمضان، فقال: «منها: اغتساله بين العشاءين: وقد تقدم من حديث عائشة واغتسل بين الأذنين والمراد أذان المغرب والعشاء وروي من حديث علي أن النبي ﷺ كان يغتسل بين العشاءين كل ليلة يعني من العشر الأواخر وفي إسناده ضعف.... وقال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى ليلية القدر».

لقد كان رحمه الله يحرص كل الحرص على تطبيق السنن والأخذ بالعزائم، مع كبر سنه وكثرة مشاغله، وكان يأتي بالسنة كاملة ولا يترك منها شيئاً.

لقد عرف عنه رحمه الله جلده في العبادة والطاعة، وكانت له مواقف عجيبة تدل على ذلك مع كبر سنه، قدوته وأسوته نبينا محمد ﷺ، الذي قام من الليل حتى تقطرت قدماه، ثم يقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً»<sup>(٤)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٦/ ٦٢٩.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ١٢/٢.

(٣) لطائف المعارف لابن رجب / ١٨٩ وقد نقل الوالد رحمه الله هذا في كتاب الصيام آداب وأحكام.

(٤) أخرجه البخاري في باب قيام النبي ﷺ الليل حتى تورم قدماه من كتاب الجمعة برقم / ١١٢٠.





سوف أتطرق إلى شيء من حرص الوالد رحمة الله واهتمامه ببعض العبادات، كالصلاة، والزكاة والصدقات، والصيام، والحج، والأذكار والأدعية وغيرها، وذلك من خلال النقاط الآتية؛ ليعرف الشباب والدعاة أن العبادة ركن مهم في حياة طلاب العلم.

## الصلاة الصلاة

لا شك أن للصلاة منزلة عظيمة في الإسلام، فهي عماد الدين كما قال عليه السلام: «وعموده الصلاة»<sup>(١)</sup>، ولقد كان الوالد رحمة الله يحرص كل الحرص على أداء الصلاة، ويهتم بها مهما كانت حاله، حتى وهو في حال التعب الشديد أو المرض، ويتمثل قول ابن مسعود رضي الله عنه: «من سره أن يلقي الله غدا مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات، حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم عليه السلام سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم...»<sup>(٢)</sup>، وكان يردد هذا الأثر ويستشهد به كثيراً<sup>(٣)</sup>.

وسئل في إحدى المقابلات:<sup>(٤)</sup> ماذا تعني لك الصلاة؟، فقال: «هي قرّة العين وراحة البدن وسرور القلب وهي صلة بين العبد وربّه وبها يأنس المسلم ويلقى فيها الاتصال بذكر ربه وعبادته فيجد بعدها نشاطاً في القلب والبدن».

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم ٢٢٠١٦.

(٢) أخرجه مسلم في باب صلاة الجماعة من سنن الهدى من كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم ٦٥٤.

(٣) انظر الفتوى رقم ٢٠٩.

(٤) مقابلة مع إحدى نشرات المراكز الصيفية بتاريخ ١٥/٧/١٤٢٠ هـ.

ولهذه الفضائل العظيمة للصلاة كان **رحمة الله** يقدمها على كل شيء، ولا يتأخر عنها مهما كان الأمر.

كان **رحمة الله** معه ساعة العصر قد وضعها في جيبه الجانبي مخصصة لمعرفة وقت الصلاة؛ لتنبه قبل الوقت بعشر دقائق، وساعته المعتادة في الجيب الأمامي وهو جيب الساعة كما يسمى عند القدامى.

وكان يبكر للمسجد غالباً، فبعد انتهاء الأذان يتوجه للمسجد، لكنه لا يقوم حتى يفرغ المؤذن وينتهي من متابعتها ويذكر أن ذلك ثابت عن العلماء ولعله يريد ما ذكره صاحب المغني<sup>(١)</sup> عن الأثرم، قال: «سمعت أبا عبد الله يسأل عن الرجل يقوم حين يسمع المؤذن مبادراً يركع؟ فقال: يستحب أن يكون ركوعه بعدما يفرغ المؤذن، أو يقرب من الفراغ؛ لأنه يقال: إن الشيطان ينفر حين يسمع الأذان، فلا ينبغي أن يبادر بالقيام».

يقول الأخ علي أبو لوز: كنت مع الشيخ في رحلة إلى جنوب المملكة وكنا نعود للسكن في ساعة متأخرة بعد سلسلة من المحاضرات والدروس التي يؤديها الشيخ، وقد بدا علينا التعب والإرهاق، فأذهب للنوم مباشرة، أما الشيخ **رحمة الله** فإنه يبقى مستيقظاً، يصلي ويقرأ ويصحح ويراجع بعض الكتب للتقديم لها؛ ومع كل هذا الجهد والتعب فقد كان الشيخ يوقظنا لصلاة الفجر عندما يؤذن المؤذن، ثم يذهب للمسجد.

يقول **رحمة الله** في أحد لقاءاته متحدثاً عن التبكير للجمعة<sup>(٢)</sup>: «عندما كنا في الرين قبل أن أتولى الخطابة كان الوالد يحثني على أن أتقدم قبل الأذان

(١) المغني لابن قدامة ٣١١/١.

(٢) قصتي في طلب العلم - جامع الصانع.



الأول بساعة أو ساعتين لقراءة القرآن، وكنت قد سمعت فضل الصلاة كما في قوله ﷺ: «من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرًا من ذهب في الجنة»<sup>(١)</sup>، فكنت أتقدم وأواظب على أن أصلي ست تسليمات، وأجد أيضًا أن الجماعة قد حضر أغلبهم في المسجد يعني: أنهم يحضرون قبل الأذان الأخير بنحو ساعة أو ساعة ونصف؛ مع العلم أن بعضهم يأتون على أرجلهم أو على حُمُرٍ مسيرة أربعة أو خمسة كيلو مترات.

وبعدما جئنا إلى الرياض كنا غالبًا نصلي الجمعة في الجامع الكبير، الذي هو الآن جامع الإمام تركي؛ فكنا نصلي فيه أحيانًا صلاة الصبح، وبعد الصلاة يأتي أناس من أهل المساجد الأخرى يحجزون لهم أماكن، فيضعون سجادات أو عَصِيًّا ونحوها ثم يذهبون، فإذا قارب وسط النهار، أي: قُرْبَ الضحى بدؤوا يتوافدون ويلزمون أماكنهم، ويجلسون مدة ساعتين أو ثلاث ساعات قبل أن يأتي الخطيب، ما بين قراءة وصلاة ودعاء.

ويُذكر أيضًا أنه في مسجد دخنة الذي يتولى الخطابة فيه واحد من آل الشيخ وهو أخو الشيخ محمد بن إبراهيم واسمه عبد الله بن إبراهيم كانوا يفعلون الأمر نفسه، هكذا كانوا يتسابقون.

أما في هذه الأزمنة فقد عم الكسل، فصار يوم الجمعة كأنه يوم لهو ويوم تكاسل، فتدخل المسجد قبل الأذان الأخير بربع ساعة أو بخمس دقائق، ولا تجد فيه إلا قلة، وإنما يأتون بعدما يسمعون الأذان، وربما تفوتهم الخطبة الأولى، وهذا من المنكرات العظيمة، والله المستعان.

وقد ألف رحمته الله رسالة في فضل التبكير إلى الصلوات.

(١) أخرجه الترمذي في باب ما جاء في صلاة الضحى من أبواب الوتر برقم ٤٧٣.

وهو رحمته حريص على الصلاة في أول وقتها، يقول الدكتور محمد ابن عدنان السمان: «صحبه في الحج عام ١٤١٠هـ، وقد شدني جداً مواقف عجيبة من الشيخ رحمته، وكنت أتعجب كثيراً من تلك المواقف التي تدل على جلده في العبادة والطاعة مع كبر سنه رحمته وأتذكر يوم أن انطلقنا من منى متجهين إلى عرفات، وبعد وصولنا نزل الشيخ رحمته من الحافلة، ونزلنا معه، وكان وصولنا بعد أذان الظهر، فلما وصلنا إلى المخيم كان أول ما أمرنا به أن نستعد للصلاة، فصلينا الظهر والعصر».

ومع أنه يسهر في بعض الليالي إلى وقت متأخر، ولكن صلاة الفجر لا تفوته، ونجده لا يفارق الصف الأول غالباً في جماعة المسجد.

يذكر الشيخ أحمد المهنا<sup>(١)</sup> أنه كان مع الوالد رحمته في السيارة في الرياض، ففاتتهم تكبيرة الإحرام فأخذ يتضجر ويلومه: لماذا لم تقف عند أول مسجد؟، وهذا بعذر شرعي؛ لأن طرق الرياض مليئة بالزحام، فربما يؤذن ولا تصل للمسجد بسهولة.

وكان رحمته يحب أن يذهب إلى المسجد ويعود منه ماشياً، حتى لو كان المسجد بعيداً، فقد كانت دروسه في مسجد الشيخ عبد الله الراجحي وهو يبعد عن بيته نصف كيلومتر، فكان رحمته يمشي إليه في الفجر لوجود السعة في الوقت، ويحب أن يمشي وعليه السكينة والوقار، مقارباً خطاه، تطبيقاً للسنة، وإذا رأى من يسرع وجهه ونبهه.

وكان رحمته يحب الصلاة الطويلة، فقد كان بجوار البيت عدد من المساجد، فكان يصلي الأوقات الجهرية إذا لم يكن عنده دروس في مسجد

(١) لقاء للشيخ أحمد المهنا بعنوان: الإمام الراحل.



البرغش الذي يصلي فيه الشيخ عثمان الشعلان، وكان الإمام يطيل القراءة جداً في معظم الصلوات الجهرية، ويصلي معه ظهر الخميس؛ لأنه كان يطيلها جداً.

يقول الشيخ محمد حسان<sup>(١)</sup>: «لا أنسى كلمته لي حين كنت أتقدم لأصلي بهم صلاة المغرب والعشاء في بعض الدروس، وفي يوم ما بعدما صليت المغرب قال لي الشيخ **رحمة الله** تعالى: أطل أطل؛ فإننا نحب أن نسمع هذه التلاوة، وكان الشيخ رقيقاً بكاءً».

وأما مرض الوالد **رحمة الله** التي تمنع من صلاة الجماعة نادرة، فقد نوم في المستشفى مرات قليلة، وكان يصلي مع الجماعة، حتى لو شق عليه ذلك، وفي المرض الذي توفي فيه، حينما اكتشف الأطباء مشكلة القلب منعه من التحرك من السرير، فلما جاء وقت الظهر هم بالنزول؛ ليتوضأ ويصلي فمنعه الطبيب وقال له: أنتم تقولون يجب العمل بقول الطبيب المسلم وأنا حرصاً على صحتك أمرت بالتميم والصلاة على السرير، وكان السرير ليس في اتجاه القبلة، فأمرهم ووجهوه للقبلة حتى يصلي.

وكنت معه في ليلة العملية وكان المغذي في يده، فكان يذهب للحمام ويتوضأ وضوءاً كاملاً ويصلي واقفاً، حتى إنه سقط في تلك الليلة وهو ذاهب للحمام.

وكان يحرص على صلاة الجمعة ويصليها ولو كان مسافراً أو وافقت صلاة عيد لأنه يرى أنها لا تسقط بصلاة العيد.

وكان **رحمة الله** يحرص على كل ما يكمل الصلاة المفروضة من النوافل كقيام الليل والرواتب وصلاة الضحى وغيرها من الصلوات.

(١) محمد حسان قناة الرحمة.





بالناس صلاة التراويح في مسجد في الرين، فكنت أصلي لهم من حظي وأطيل الصلاة، ولم يكن هناك كهرباء ولا سُرُج، حتى إنني في العشر الأواخر قاربت أن أختم بهم خمتين، والناس يتحملون ويصبرون، ولا يتململون».

ويقول أيضًا<sup>(١)</sup>: «وفي سنة من السنوات سافر الوالد إلى الرياض، وطلب أن أصلي بالجماعة التراويح والقيام بدلًا منه، فصليت بهم العشر الأواخر، وقد ختمت بهم الختمة الأولى، وفي الختمة الثانية لم يبق عليّ إلا جزء ونصف أو جزء وثلاث.

ومع طول هذه الصلاة لم نكن نفقد أحدًا من المواطنين، لا في القيام الأول ولا في القيام الثاني؛ بل إنهم جميعًا يصلون طوال الليل».

تقول أختي هيا: «في رمضان يصلي القيام في مسجد قريب عند بيتنا وكان إمامه يطيل الصلاة حتى قبيل الفجر، فكان يصلها *رحمةً لله* كاملة وهو واقف مع كبر سنه، ويكون قريبًا من الإمام يفتح عليه بالآيات إذا نسي، فكنا نسمع صوته وهو يرد على الإمام إذا أخطأ»<sup>(٢)</sup>.

يقول الشيخ أحمد المهنا<sup>(٣)</sup>: «مرة من المرات في صلاة التراويح وفي سفر ومحاضرة بعد صلاة التراويح قدمني هذا الإمام للصلاة بالناس وحصل عندي نوع من الخوف والرهبة أن أصلي والشيخ خلفي، فقرأت نصف جزء ولما انتهينا من الصلاة التفت علي الشيخ قال: ما هذه الصلاة؟ قرأت نصف جزء، هذه صلاة؟ فقلت: كم تريد أن أصلي؟، قال: على الأقل جزء أو جزء ونصف».

(١) برنامج أسرة واحدة في قناة «المجد».

(٢) من مذكرات أختي هيا.

(٣) لقاء بعنوان: الإمام الراحل.



وفي رمضان كان كثير من أئمة المساجد يطلبون من الوالد رحمته الله كلمة بعد صلاة التراويح، وكنا ننظم سنوياً جدولاً بذلك لمدة أربعة عشر يوماً؛ لأن الوالد يذهب في اليوم الخامس عشر إلى مكة المكرمة، فكان رحمته الله يحثهم جميعاً على القراءة الطويلة والتأني في الركوع والسجود.

ومن المواقف اللطيفة: أن الشيخ فهد الغراب إمام جامع شيخ الإسلام ابن تيمية طلب من الوالد رحمته الله كلمة، فقال الوالد: إن كنت ستصلي ثلاث عشرة ركعة كما ثبت عن ابن عباس <sup>(١)</sup> صليت معكم، فقال الشيخ فهد - وهذا من كمال أدبه - أصلي ثلاث عشرة ركعة.

فهو رحمته الله يحب الصلاة الطويلة في قراءتها وأركانها الأخرى، ويذكر عمّن عاصرهم في حياته الأولى مثل ذلك يقول رحمته الله <sup>(٢)</sup>: «كان الشيخ أبو حبيب يصلي بنا في الرين صلاة التراويح يقرأ من حفظه وليس هناك كهرباء في المسجد فيصلون في السرحة؛ لأن جوها بارد، ويستغرق في الصلاة ساعة ونصفاً تقريباً، بما في ذلك الوتر والقنوت، وكنا نصلي ثلاثاً وعشرين ركعة، نقرأ فيها جزءاً وربع الجزء، وكنا نختم ليلة إحدى وعشرين ختمة، ثم يستمر في القراءة، فيقرأ كل ليلة خمسة أجزاء فيختم في ليلة سبع وعشرين. بحيث تقسم الخمسة أجزاء على التراويح والقيام».

وقال رحمته الله <sup>(٣)</sup>: «كان الشيخ عبدالعزيز الشثري أبو حبيب رحمته الله يصلي في رمضان في العشر الأواخر ثلاث مرات، وكذلك الوالد كان يصلي بذلك المسجد الذي يقال له مسجد آل جليغم وهو الذي صليت به أنا، كان الوالد يختم في الشهر ختمتين ونصفاً، فأتذكر أنه كان يطيل حيث إنه مرة لما أقبل

(١) أخرجه البخاري في باب: إذا قام الرجل عن يسار الإمام، فحوله الإمام إلى يمينه، لم تقسد

صلاتها من كتاب الأذان برقم / ٦٩٨.

(٢) برنامج أسرة واحدة في قناة «المجد».

(٣) برنامج أسرة واحدة في قناة «المجد».





على الختمة في ليلة ست وعشرين قرأ في أربع ركعات أربعة أجزاء، جزء «قد سمع الله» في ركعة وجزء «تبارك» في ركعة وجزء «عم» في ركعة وقرأ جزءاً آخر من سورة البقرة في ركعة، كل ذلك من حفظه، وكان يطيل الأركان التي هي الركوع والسجود، فكان يقرأ كل ليلة من ستة أجزاء ونصف إلى سبعة أجزاء، فيصلون أول الليل خمس تسليمات، أي: عشر ركعات، يقرؤون في كل ركعة ثُمًّا، أي: يقرؤون في العشر ركعات جزءاً وربعاً، ثم يستريحون نحوًا من ساعتين إن كان الليل طويلاً، أو ساعة إن كان الليل قصيرًا، ثم يأتون ويصلون أربع ركعات ويسمونها الأربع، وهذه يطيلونها بحيث تستغرق ساعتين أو ساعتين إلا ربعاً.

ثم يستريحون ولا ينامون، فيجلسون في أحد المجالس يشربون الشاي والقهوة ثم يرجعون ويصلون ثلاث تسليمات، أي: ست ركعات ثم يتبعوها بالشفع والوتر، وتستغرق ساعتين أو أكثر، وكانوا بعد التسليمة الثانية يستريحون، فيقرأ عليهم أحد القراء من أحد الكتب، أو يذكرهم بشيء من المواعظ لمدة ربع ساعة، ويشربون خلالها الشاي والقهوة: ليتشطوا بها على العبادة، وهكذا ينتهون من ذلك قبل الأذان الأول، ثم يذهبون لتناول طعام السحور ونحو ذلك، ومع ذلك فإن المواطنين كلهم يصلون لا تفقد منهم أحدًا إلا صغار الأسنان، حتى النساء لهن صفوف خلف المصلين في مكان هابط.

وقال رحمته الله<sup>(١)</sup>: «أتذكر العم سعد<sup>(٢)</sup> في محيرقة عندما كان يقرأ في صلاة التراويح من المصحف على سراج؛ لأنه لم يكن يحفظ القرآن كاملاً، وكان يقرأ كل ليلة جزءاً وربع الجزء، وذات مرة كان الوالد موجوداً، فقدمه

(١) برنامج أسرة واحدة في قناة «المجد».

(٢) سعد بن عبد الله المعروف بالمطوع درس عليه الوالد رحمته الله في محيرقة.



ليصلي بالجماعة التراويح؛ لأنه حافظ للقرآن، فقرأ في الليلة الأولى ولكنه لم يقرأ من أول القرآن؛ لأنه ظن أنه سيصلي بهم هذه الليلة فقط، ولما كانت الليلة الثانية ورأى أنهم ألزموه بالصلاة ابتداءً في القراءة من أول المصحف، وكان يقرأ كل ليلة جزءاً ونصفاً إلى أن أكمل خمسة أيام لكي يعوض قراءة الليلة الأولى، ثم بعد ذلك كان يقرأ كل ليلة جزءاً وربع الجزء، واستمر على ذلك حتى وصل إلى سورة الكهف، وبعدها سافر إلى الرين، وبقينا نحن في محيرقة.

ثم أكمل العم سعد وكان كل ليلة يقرأ جزءاً وربع الجزء، هذا في العشرين الأولى، أما في العشر الأواخر فكانوا يقرؤون كل ليلة من خمسة إلى ستة أجزاء».

وليس هذا الأمر خاصاً بالقري، بل حتى في الرياض ينقل الوالد عن جدي رحمته الله قوله <sup>(١)</sup>: «صليت ذات مرة مع أحد الأئمة في الرياض قديماً وكان يصلي خلفه سبعة صفوف، وبعد أن صلينا تسليمتين قام رجل، فتقدمت مكانه ثم بعد تسليمه قام رجل آخر وتقدمت مكانه حتى صرت في الصف الثالث أو الرابع، وكانوا يصلون ثلاثاً وعشرين ركعة، واستمروا على ذلك ولم ينقصوا من هذا العدد».

وقال رحمته الله <sup>(٢)</sup>: «كنت أحياناً أصلي في المسجد الذي يصلي فيه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله، وكان يصلي بهم شيخ من آل عتيق، عُنِّي بعد ذلك قاضياً في نجران، وكان يصلي التراويح في العشرين الأولى من رمضان ثلاثاً وعشرين ركعة، والشيخ خلفه قائم يصلي».

(١) برنامج أسرة واحدة في قناة «المجد».

(٢) برنامج أسرة واحدة في قناة «المجد».





فإذا دخلت العشر الأواخر كان يصلي بهم التراويح، ثم يصلي أربع ركعات يطيل فيها، حيث يقرأ فيها نحوًا من جزأين، فإذا جاء آخر الليل، أي: قبل الفجر بساعتين ونصف أو ثلاث ساعات اجتمعوا فصلوا تسليمتين طويلتين، أي: أربع ركعات، ثم يجلسون بعدها يستريحون تقريباً ربع ساعة يشربون فيها الشاي والقهوة التي أحضرت من بيت الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله، ويقرأ عليهم من أحد الكتب بعض الفوائد والأحكام التي تتعلق بربضان وغيره. ثم يقوم ويكمل بهم، هكذا كانت تراويحهم وقيامهم».

وقال رحمته الله<sup>(١)</sup>: «في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة (١٣٧٤هـ) كنت أقيم في الرياض بعض الوقت، وقد دخل علينا رمضان ونحن في الرياض، ثم عزمنا على أن نذهب إلى الرين بصحبة معالي الشيخ ناصر أبو حبيب، وبعد أن صلينا العشاء أردنا أن نشترى من السوق فاكهة نتحف بها أهل الرين، فنظرنا في الأسواق التي في المقبرة والبطحاء وغيرها فإذا كلهم قد أغلقوا محالهم، ولم نجد متجراً واحداً فاتحاً؛ لأنهم كلهم يصلون التراويح والقيام، ولهذا لم نستطع أن نشترى شيئاً، وقد كانت الفاكهة في الرين عزيزة لا توجد إلا إذا جُلبت من الرياض، وقد كانت المساجد تمتلئ في صلاة الفجر والمغرب والتراويح بالمصلين، ويكون عدد المصلين فيها ضعفاً ما كانت عليه قبل رمضان مرتين أو ثلاث مرات».

وأما صلاة الليل فإن جيله رحمته الله ممن عودهم أهلوهم على هذه الصلاة، يقول الشيخ محمد المنجد<sup>(٢)</sup>: «أخبرني بأنه قام فجأة قبل الفجر ليجد أباه في آخر سورة آل عمران، فتعجب كيف قطع البقرة وآل عمران في

(١) برنامج أسرة واحدة في قناة المد.

(٢) رحيل العلماء خطبة جمعة للشيخ محمد المنجد.

هذا الوقت القصير نسبياً، وكان أبوه يقوم ساعتين، ويقيم أولاده قبل الفجر بنصف ساعة؛ لينالوا نصيبهم من الليل».

كان رحمة الله لا تكاد تفوته صلاة الليل حضراً أو سفراً، ويذكر طلابه ومرافقوه في الأسفار أنه كان يصلي الليل ولو كان السفر شاقاً.

يقول الشيخ أحمد المهنا<sup>(١)</sup>: «أحياناً لا نصل مقر السكن إلا الساعة الواحدة والربع وأذان الفجر الساعة الرابعة ولديه درس بعد صلاة الفجر، فأراقب الشيخ أحياناً، وأفتح الباب فأجده قائماً يصلي، ويوقظنا لصلاة الفجر قبل أذان الفجر بنصف ساعة غالباً، فكان رحمة الله عليه يقوم من الليل قياماً لا يصفه أحد».

ويذكر الأخ عبد الله الحوطي<sup>(٢)</sup> رحلته معه إلى المجاردة، فيقول: «في يوم من أيام الرحلة ذهبنا إلى إحدى القرى ليلقي فضيلته محاضرة في إحدى المدارس، وكانت تبعد عن مقر إقامة الشيخ ما يزيد على أربعين كيلومتراً، وكان معظم الطريق وعراً جداً، فشد انتباهي لما عدنا إلى مقر إقامة الشيخ عند الساعة الثانية عشرة ليلاً أن الشيخ جلس في غرفته يتابع القراءة في الكتاب الذي كان يقرأ فيه من بداية رحلته، مع أنه كان مرهقاً إرهاقاً شديداً بسبب الجهد الذي بذله في ذلك اليوم، وبعد ذلك توقف عن القراءة وشرع في صلاة التهجد، وكان الوقت نحو الساعة الثانية ليلاً».

وكان رحمة الله يحرص على الجلوس في المسجد بعد صلاة الفجر، فإن كان عنده درس اشتغل به وإلا اشتغل بالذكر وقراءة القرآن حتى ترتفع الشمس ثم يصلي ركعتين أو أربعاً قبل خروجه.

(١) لقاء للشيخ أحمد المهنا بعنوان: الإمام الراحل.

(٢) جريدة عكاظ الخميس ١٤/٠٨/١٤٣٠ هـ، ٦ أغسطس ٢٠٠٩ م، العدد: ٢٩٧٢.





ويحرص رحمة الله على الصلوات ذوات الأسباب كالكسوف والخسوف والاستسقاء ونحوها.

ومن حرصه عليها أنه كلما صدر بيان من الديوان الملكي عن صلاة الاستسقاء حث طلابه عليها وتكلم على فضل صلاة الاستسقاء والحضور لها<sup>(١)</sup>.

وتخلف الإمام في صلاة الاستسقاء مرة فتلفت الناس فرأوه، فأشاروا إليه فتقدم فصلى ثم خطب خطبة عصماء لو أعدها في شهر لقيط: ما أحسنها.

وأما صلاة العيد فقد ذكرت أن الوالد رحمة الله يقضي النصف الأخير من رمضان في مكة المكرمة وقد عودنا رحمة الله أنه يصلي العيد في مكة المكرمة إذا كان شهر رمضان ناقصاً، ويصلي التراويح في الحرم إذا اكتمل، ثم يسافر من الغد.

وسأذكر بالتفصيل حاله وأعماله في العيد، ولكن بالنسبة إلى صلاة العيد فإنه إن لم يصل في الحرم فإنه يصلي في محيرقة ونادراً ما يصلي في غيرها؛ لأنه تعود الصلاة فيها منذ صغره، ولأن فيها أخواله آل مسهر، وكثير من جماعتنا آل جبرين.

ومن الفوائد التي سمعتها منه أنه يختار أن يقول بين كل تكبيرتين من تكبيرات العيد والاستسقاء: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا» ويعلل بأن الصلاة ليس فيها سكوت، وهذا جامع لأنواع الذكر: ففيه التكبير وفيه التسبيح وفيه التحميد، وفيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. فجمع أنواع الذكر المطلوبة، هذا هو السبب في اختياره.

(١) لقاء للشيخ أحمد المهنا بعنوان: الإمام الراحل.

هذه بعض المعالم من حاله مع الصلاة وكان كثير الحث عليها والترغيب فيها وعلى الأخص ينبه على الخشوع فيها والخضوع لله جل وعلا، ويحب أن يقرأ كثيراً أول سورة المؤمنون.

### حضور الجنائز

هذا الموضوع لصيق الصلة بموضوع الصلاة، وإنما أفردته لما له من حضور في حياة الوالد رحمة الله فقد عرف عنه حرصه على حضور الجنائز والصلاة عليها واتباعها وحضور دفنها والدعاء للميت على قبره، يفعل ذلك مهتدياً بقول النبي ﷺ: «من شهد الجنائز حتى يُصلى عليها فله قيراط، ومن شهدا حتى تدفن فله قيراطان، قيل: وما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين»<sup>(١)</sup>.

واشتهر عنه رحمة الله أنه كان يصلي على الجنائز باستمرار في جامع الأمير عبد الله بن محمد بحي عتيقة، وجامع الراجحي بحي الربوة، وأنه يحرص على حضور جنائز المشايخ والعلماء والدعاة من مشايخه وأقرانه وطلابه وذوي طلابه وغيرهم من الأقارب والأصدقاء<sup>(٢)</sup>، كان رحمة الله يحضر جنائزهم ويشيع الجنائز حتى تدفن، حتى في شدة الحر في الصيف الحارق.

يقول الشيخ علي بن حسين فقيهي<sup>(٣)</sup>: «لم أحضر جنازة لعالم أو داعية أو وجيه إلا وأرى الشيخ رحمة الله تعالى في مقدمة المصلين وأمام المشيعين ومتصدراً للمعزين».

(١) أخرجه البخاري في باب من انتظر حتى تدفن من كتاب الجنائز برقم /١٣٢٥.

(٢) خالد الحيان جريدة الجزيرة <http://www.al-jazirah.com/104890/fe7.htm>

(٣) علي بن حسين فقيهي من مذكراتي: أيام مع ابن جبرين

<http://majles.alukah.net/showthread.php?p=325483>





ويقول الشيخ أحمد المهنا<sup>(١)</sup>: «أي طالب من طلاب الشيخ يتوفى له قريب ترى الشيخ يصلي عليه ويحضر في المقبرة».

ويقول الشيخ محمد المنجد<sup>(٢)</sup>: «كان عجباً في زيارة المرضى وشهود الجنائز ولما سمع بوفاة جدي رحمته الله جاء بنفسه وطلبت منه أن يصلي إماماً عليه، فصلى عليه وكان لها في نفسي أثر كبير؛ لأن إتيان الشيخ إلى جنازة أقارب تلميذ من تلاميذه مما يؤثر كثيراً في نفس الطالب فيحب شيخه على هذا الاهتمام».

ويقول الشيخ عبدالواحد بن الشيخ حمد المزروع: «في جنازة والدي رحمته الله قبل ثلاث سنوات حرص رحمته الله أن يحضر الصلاة عليه؛ لما كان بينهما من علاقة أخوية قوية، وكان ذلك في جامع الراجحي في الربوة بالرياض، ولما حضرت صلاة الجنازة بعد العصر يوم الخميس ١٤٢٧/٥/٢٦ هـ تقدم شيخنا ابن جبرين رحمته الله وصلى على الجنائز إماماً وكبير رحمته الله خمس تكبيرات لوجود طفل مع الجنائز وكان ذلك تعليماً بالتطبيق العملي في هذه المسألة».

وكان رحمته الله يقف على قبر الميت بعد دفنه يدعو له بالمغفرة والرحمة، واضعاً نصب عينيه قول النبي ﷺ: «استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل»،<sup>(٣)</sup>.

(١) خطبة للشيخ أحمد المهنا بعنوان: الإمام الراحل.

(٢) محمد المنجد فتاة الرحمة، حلقة في رثاء ابن جبرين.

(٣) أخرجه أبو داود في باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف من كتاب الجنائز برقم ٣٢٢١.

ولقد شوهد عندما دفن شيخه العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله وهو واقف على قبره بعد أن دفن وذهب جميع الناس، فبقي واقفاً على قبره يدعو له ودموعه تنهمر على خديه.

وكان رحمه الله يرى جواز الموعظة عند القبر أحياناً، كما ذكر ذلك في بعض فتاواه<sup>(١)</sup>؛ فقد سئل رحمه الله: هل تشرع الموعظة والتذكير عند الدفن في المقبرة؟ فأجاب: نعم، يشرع ذلك، فقد ثبت أن النبي ﷺ لما جاء بالميت ولما يلحد له، جلس وجلسوا حوله، فأخذ يقص عليهم عذاب القبر ونعيمه في حديث طويل مشهور<sup>(٢)</sup>، ولأن الموضوع يناسب فيه ذكر الموت وما بعده، والحاضرون يشاهدون القبور، ومعهم هذا المتوفى، فهم في حاجة إلى ما يرقق القلوب، ويذكر بالآخرة، ويزهد في الدنيا، فالتذكير يؤثر عليهم غالباً. وقد ذكروا عن بعض السلف أنه حضر جنازة تدفن، فأبصر بعض الحاضرين يهرب من الشمس والغبار، فأنشد قوله:

من كان حين تصيب الشمس جبهته      أو الغبار يخاف الشين والشعنا  
ويألف الظل كي تبقى بشاشته      فسوف يسكن يوماً راعماً جدنا  
قضراء موحشة غبراء مظلمة      يطيل تحت الثرى في غمها اللبنا  
تجهزي بجهاز تبلغين به      يا نفس، قبل الردى لم تخلقي عبنا<sup>(٣)</sup>

وللوالد رحمه الله موعظة أسبوعية قبل صلاة الظهر من يوم الثلاثاء في جامع الأمير عبد الله بن محمد رحمه الله في عتيقة بالرياض وهو جامع يصلح فيه

(١) الفتوى رقم ٥٥ من كتاب «الكنز الثمين»، ورابطها في موقع الشيخ رحمه الله <http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=6&book=67&page=3597>

(٢) أخرجه أبوداود في باب في المسألة في القبر وعذاب القبر من كتاب السنة من سننه برقم ٤٧٥٢.

(٣) لطائف المعارف ١/٢٤٧ (المكتبة الشاملة).



على الجنائز ويكثر المصلون لأجل ذلك وغالب مواعظه فيه تتعلق بالاستعداد للموت وما بعده من أهوال القبور والبعث والنشور.

وكان أئمة المساجد يقدمونه ليصلي على الجنازة في المساجد التي يصلى عليها في الجنائز، كجامع الأمير عبد الله بن محمد رحمه الله، وجامع الشيخ سليمان الراجحي، وجامع الملك خالد رحمه الله في أم الحمام، وكان إذا صلى على جنازة لعالم أو فاضل أو عزيز عليه أو كان في الجنائز أطفال كبر خمس تكبيرات.

يقول رحمه الله في شرح الروض المربع<sup>(١)</sup> عن هذا الموضوع: «التكبير على الجنازة اختلف في عدده: المشهور أنه أربع تكبيرات، وروي خمس تكبيرات وروي ست، ولا إنكار على من زاد؛ حيث إن بعض الصعابة صلى على رجل وكبر عليه ستاً، وقال: إنه بدري يعني من أهل بدر<sup>(٢)</sup>، وصلى بعضهم بخمس تكبيرات، وقال: إن رسول الله ﷺ كان يكبرها<sup>(٣)</sup>.... ولعله ﷺ كان يكبر أحياناً خمساً وأحياناً ستاً، ولكن الأغلب والأكثر الاقتصار على أربع، فإذا زاد الإمام خامسة فلا ينكر عليه.

فإذا كبر خمساً فإنه يجعل الدعاء العام، وهو: اللهم، اغفر لحينا وميتنا، اللهم، من أحبيته منا فأحبه على الإسلام، بعد تكبيرة، والدعاء الخاص: اللهم، اغفر له وارحمه بعد تكبيرة، وإذا كبر ستاً فإنه يدعو بعد

(١) موقع الشيخ رحمه الله.

<http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=7&book=77&toc=4779&page=4297&subid=32958>

(٢) روى الطبراني في المعجم الكبير في باب السين برقم ٥٥٤٦: أن علياً رضي الله عنه صلى على سهل بن حنيف، فكبر عليه ستاً، ثم التفت إلينا فقال: «إنه بدري».

(٣) أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: كان زيد يكبر على جنازتنا أربعاً، وإنه كبر على جنازة خمساً، فسألته، فقال: «كان رسول الله ﷺ يكبرها، انظره في باب الصلاة على القبر من كتاب الجنائز برقم ٩٥٧».

الخامسة بقوله: اللهم، لا تحرمنا أجره إلى آخره، ولا يدعوبعد السادسة، بل يقف قليلاً ثم يسلم».

يقول الأخ عبد الله الحوطي: ولما علم الشيخ صالح الأطرم رحمة الله بذلك جاء إلى الشيخ عبد الله بن جبرين في مكتبه، وراجعه في ذلك، فرد عليه الشيخ قائلاً: أما قرأت قول عبد الرحمن بن أبي ليلى: «كان زيد بن أرقم يكبر على جنازتنا أربعاً، وإنه كبر على جنازة خمساً، فسألته، فقال: كان رسول الله ﷺ يكبرها، وأيضاً أنه كبر ستاً وسبعاً في أكثر من رواية، وثبت عن النبي ﷺ أنه كبر تسعاً على حمزة، وغيرها من الآثار الثابتة عن الصحابة رضي الله عنهم.

ثم قال الشيخ بعد إيراد هذه الأدلة: ولهذا فإن الزيادة على أربع تكبيرات ثابتة في السنة، فلا بد أن نعمل بها أحياناً لإحياء السنة؛ فإذا لم نحي نحن السنة فمن سوف يحييها إذا؟!!

وكان يسافر أحياناً للصلاة على بعض العلماء ونحوهم، فقد سافر إلى مكة المكرمة لما توفي الشيخ ابن باز، وكذلك لما توفي ابن عثيمين رحمهما الله، ولما توفي الملك فهد رحمة الله كان في الطائف في دورة علمية، فرجع للرياض وصلى عليه ثم عاد وأكمل دورته، وسافر إلى القصيم للصلاة على الشيخ حمود العقلا رحمة الله، وكان يسافر كثيراً للقومية لشهود الصلاة على بعض الأقارب الذين يتوفون هناك.

ويرى أن السفر، وإن لم يكن معهوداً عند السابقين لتباعد المسافات فليس في الشرع ما يمنعه ولا يقاس على السفر لزيارة القبور، وقد تبع في ذلك شيخه ابن باز، حيث يرى جواز ذلك <sup>(١)</sup>.

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، المجلد الثالث عشر <http://ibnbaz.org/mat/2580>



وقد كان الوالد رحمته الله يقوم إذا رأى الجنازة أو فتح الباب الذي دونها للأحاديث الصحيحة في ذلك<sup>(١)</sup>، وإذا صلى عليها أو شهد الصلاة عليها وقف في مكانه حتى ترفع، ويستدل بما ذكره صاحب المغني<sup>(٢)</sup> عن مجاهد أنه قال: «إذا صليت فلا تبرح مصلاك حتى ترفع. قال ورأيت عبد الله بن عمر لا يبرح مصلاه إذا صلى على جنازة حتى يراها على أيدي الرجال». قال الأوزاعي: «لا تنقض الصفوف حتى ترفع الجنازة».

وإذا دخل المقبرة بدا عليه الحزن، وتذكر من سلف ممن سبقه من آبائه ومشايخه ويقف خلف الناس حتى ينتهوا من اللحد، فإذا بدؤوا في الدفن تقدم، وكان ينهى من يزاحم الناس ليفسح له الطريق بل يتخلل مع الفجوات حتى يصل ثم يحثو ثلاث حثوات من قبل رأس الميت، ثم يرجع لمكانه في الخلف يستقبل التعازي ويعزي من لقيه من أقارب الميت، فإذا انتهى الدفن تقدم ودعا دعاء طويلاً رافعاً يديه مستقبلاً القبلة جاعلاً القبر بينها وبينه، ثم انصرف قافلاً.

وكان رحمته الله يزور أهل الميت في بيتهم ويعزيهم ولا يرى في الاجتماع لذلك بأساً، يقول في إحدى فتاواه<sup>(٣)</sup>: «تسن تعزية المصاب بالميت ولو بالذهاب إلى منزل أهله، ويجوز لأولاده أو إخوانه الاجتماع في منزل أحدهم حتى يقصدهم المعزون ليجدوهم مجتمعين ويحصل الأجر بتعزيتهم جميعاً؛ حتى لا يتكلف بتتبع منزل كل واحد منهم رغم تباعد المنازل أحياناً».

وقد جلس للعزاء لما توفيت والدتي، ولما توفيت عمي إبراهيم رحمته الله.

(١) انظر باب القيام للجنازة من كتاب الجنائز من صحيح البخاري.

(٢) المغني لابن قدامة ٢/٣٦٧.

(٣) الفتوى رقم ٨١٥٩/ من ترقيم مكتب الشيخ.

وكان يشارك أقاربه الأقربين في العزاء بالجلوس معهم مثلما شارك أخواله آل مسهر لما توفي بعضهم، بل يتكفل بإعداد الطعام عند وفاة أحد أقاربه أو محبيه، ويصر على أن يشركوه في إحدى الوجبات، ولا يرى في ذلك بأساً.

وقد اشتهر رحمة الله بحبه لمشاركة الناس في أفراحهم وأتراحهم، سواء كانوا من الكبراء أو الفقراء أو غيرهم، وقد زادت هذه الخصلة قريباً من الناس، وحباً وتقديراً.

ودعني أروي لك قصة لشهوده جنازة في حائل، وتتميز بأن من كتبها قد أحسن تفصيل دقائقها ولهذا سأوردها برمتها مع تصرف يسير، يقول الأخ أبو سارة رحمة الله<sup>(١)</sup>: «عرضنا على الشيخ بعد صلاة العصر الصلاة على عائلة حصل لهم حادث بعد قدومهم من مكة المكرمة، حيث توفي الأب وزوجته وابنتهم الداعية وطفلها خاصة أن ابنتهم من الداعيات المشهورات في حائل رحمة الله وسألني الشيخ: أين سيصلى عليهم؟ فقلت: في الجامع الكبير، فقال: لا بأس، سبقنا الشيخ سعود التمامي للمسجد وتوضأ الشيخ وانطلقنا نحن الأربعة إلى الجامع الكبير.

سألت سليمان ابن الشيخ - وكان بجانبني - هل سيخرج الشيخ للمقبرة؟ فقال: لا أظن لكن سأسأله، ثم قال لوالده: هل ستخرج يا والدي، للمقبرة أو عليك مشقة؟، فقال الشيخ: بل نخرج معهم.

هذه العائلة نرجو أن يكون الله راضياً عنها، فقد توفوا بعد العمرة، وسيصلي عليهم هذا العالم الجليل، وسيخرج ويشهد دفنهم، ويدعو لهم.

(١) أبو سارة ١٤٢٧/٨/٨ هـ 3 page=4647&t=showthread.php?http://www.r-msk.com/vb/



وسمعت بعد ذلك أن ابنتهم الداعية كانت تدعو أن يكون ختام عمرها بعد عمرة وأن يكون ابنها معها وأن يصلي عليها عالم.. وتحقق لها ما أرادت. فاللهم لا تحرمنا فضلك.

وأخبر الشيخ بعد ذلك بدعوة المرأة في إحدى المجالس.. ودعا لهم..

ثم بعد الصلاة أتى الإمام وسلم على الشيخ وطلب منه أن يتقدم للصلاة على الجنائز ورفض الشيخ وطلب من الإمام أن يؤم؛ لأنه أحق، فرفض الإمام وألزم الشيخ أن يتقدم فتقدم الشيخ للصلاة.

وبعدها وقف الشيخ قليلاً ينظر للجنائز ثم قال بمكبر الصوت سنكبر خمس تكبيرات بعد الأولى الفاتحة وبعد الثانية الصلاة والسلام على النبي ﷺ وبعد الثالثة دعاء عام، وبعد الرابعة نقرأ دعاء خاصاً للأموات، وبعد الخامسة دعاء للطفل.

كنت في البداية أظن أن الشيخ كبر التكبيرات الخمس لمكانة المرأة لأنها داعية إلى الله، ولكنني اكتشفت أنها لأجل الطفل وأن هذا رأي بعض الفقهاء ويراه الشيخ. فعندما ركبنا السيارة سألت الشيخ مباشرة عن بعض أحكام الجنائز؟ وسألته عن سبب التكبير بخمس؟ فأخبرني أنه لأجل الطفل.. وقال: لا بد إن كان مع الأموات طفل أن يخص بتكبيرة ودعاء.. وقال: مع الأسف أن الناس لا يزيدون حتى في الحرمين.

فوصلنا المقبرة وطلب ابن الشيخ أن نقرب لباب المقبرة وكانت السيارات كثيرة جداً، فقال الشيخ: لا بأس، قفوا في أي مكان والمقبرة ليست بعيدة إن شاء الله.. فوجدنا طريقاً بين السيارات كأنه مهياً لنا حتى وصلنا لباب المقبرة، وأردنا الدخول للمقبرة بالسيارة. فرفض الشيخ. وقال: يكفي هنا.



نزل الشيخ الفاضل، وطلب من ابنه أن يخلع البشت منه؛ لأن هذا مقام خضوع وذل لله.. وترجل حتى دخل المقبرة وكانت الشمس حارة شعرت بالعرق يتصبب من جسمي من شدتها، وقلت لابن الشيخ: اطلب من الشيخ أن يذهب للظل وكان هناك كثير من كبار السن في الظل وعندهم كراسي كثيرة ليس عليها أحد، فقال للشيخ فرفض الشيخ واستمر واقفاً قريباً من القبر.. كان هناك زحام وترى في الناس الباكي والمتأثر.. والشيخ مستمر في وقوفه، حتى انتهوا من اللحد، فتقدم الشيخ يريد مشاركتهم في الدفن؛ لكي يحثوا ثلاث حثيات على القبر كما ورد في السنة وفعلاً تقدم الشيخ في وسط الزحام وكثير من الناس لم ينتبه للشيخ، فمنهم من يرجع عليه ومنهم من يأتي من خلفه ويحاول أن يسبقه حتى ضقت ذرعاً فقلت بصوت مرتفع: يا إخوان، وسعوا للشيخ.

فأشار لي ابنه أن لا تخبرهم والحقيقة جاء في بالي أمران ربما هما السبب: أن الشيخ لا يرضى أن يقدم على الناس تواضعاً منه.. أو أن ابنه خشي على الشيخ أن يعرف ويزداد الزحام عليه، المهم وصل الشيخ وحثا ثلاث حثيات على قبرين ولم يستطع إكمال الحثي على بقية القبور..

ورجع الشيخ لمكانه وبدأ الناس يتوافدون عليه وأحضر ابنه ماء ليشربه الشيخ حتى إنه لم يستطع الشرب من كثرة الناس.. المهم ذهبت وأحضرت الكرسي للشيخ ليستريح وكان الشيخ يريد أن يشرب جالساً كما في سنة النبي ﷺ.. وفعلاً أحضرت له الكرسي وجلس وشرب والناس ينتظرونه ينتهي ليكملوا السلام عليه ولما انتهى الشيخ من الشرب كنت أتمنى أن يستمر جالساً ولكنه قام مباشرة وأبعد الكرسي ليسلم على الناس حتى إن بعضهم أصغر من الشيخ بستين سنة والشيخ واقف يسلم عليهم!! ولما انتهى الشيخ أمر بالاقتراب من



القبر للدعاء لهم واقتربنا من القبر ورفع الشيخ يديه متوجهاً للقبلة وبين يديه القبر ودعا دعاء طويلاً.

وبعد فراغه تقدم له شاب، وقال: يا شيخ، أريد أن أبشركم بشاره، المرأة والأسرة التي صليتم عليها كانت ابنتهم تدعو الله أن يميتها وهي آتية من عمرة وأن يقبض روحها مع ابنها وأن يصلي عليها عالم.. ثم قال: يا شيخ، وإن شاء الله تحقق لها ما أردت فأشار الشيخ برأسه، ثم قال: **رحمهم الله**.

رحمك الله يا والدي، فكم واسيت من حسير وكم جبرت من كسير، جعل الله ذلك في موازينك يوم تلتاه.

### الزكاة والصدقات

الصدقة من أعظم الأعمال الصالحة، ومن أفضل ما يُتقرب به إلى الله تعالى، فالمتصدق يستظل بظل صدقته يوم القيامة كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، ويشمل ذلك الزكاة المفروضة والتبرعات المطلقة، ولقد كان الشيخ الوالد **رحمهم الله** كريماً سخياً جواداً كثير الصدقة، يتبع وجوه الخير ومظانه، فإذا علم عن محتاج بادر **رحمهم الله** لمساعدته والوقوف معه، راجياً بذلك الأجر والثواب من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ [الإنسان: ٩].

وكان **رحمهم الله** يجتهد في إخفاء الصدقة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، عملاً بقول الله تعالى: ﴿ إِن يُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهُهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧١].

(١) أخرج ذلك الإمام أحمد **رحمهم الله** في مسنده برقم /١٧٢٢٢.

يقول الشيخ محمد العريفي في إحدى محاضراته: «حدثني أحد الثقات من زملائنا ممن كانوا يحضرون عند الشيخ أن رجلاً كان يسكن في جدة جاء إلى الرياض، واستأجر بيتاً في السويدي؛ ليعالج ابنته من السرطان في مستشفى الملك فيصل التخصصي، فلاحظته صلى معنا يوماً أو يومين ولاحظت عليه الحاجة.

قال: فكلمت أحد التجار أن يأتي لمساعدته، فجاء وطرق عليه الباب بعد أربعة أو خمسة أيام، ثم فتح ذلك الرجل الباب، فقال له: أنا أريد مساعدتك أحضر لك شيئاً من الأرز والطعام والمال.

فقال: جزاك الله خيراً، أنا أول ما جئت كنت محتاجاً لكن سبحان الله خلال اليومين الماضيين ألاحظ أنه يوضع عند بابي كل يوم وأنا خارج لصلاة الفجر طعام ومال ولا أدري من يأتيني به!!

يقول التاجر: فتحيرت فما بُت تلك الليلة بل سهرت وخرجت بسيارتي وجعلت أرقب ذلك البيت؛ لأنظر من ذا الذي يأتي بالمال إليه؟، فلم يأت أحد، فلما كانت الليلة التي بعدها جلست أراقب طوال الليل، فرأيت سيارة أقبلت قبيل الفجر بربع ساعة، وأوقف صاحب السيارة سيارته قريباً من باب ذلك الرجل ثم نزل شيخ كبير وفتح الباب الخلفي للسيارة وأنزل بعض الأغراض ثم وضعها عند باب ذلك الرجل، ثم أخرج من جيبه شيئاً من المال ووضعها، ثم ركب سيارته ليذهب، فأضأت نور سيارتي وذهبت لأنظر فإذا هو الشيخ عبد الله بن جبرين رحمته الله تعالى.

لما سمعت هذه القصة استغربتها، حيث لم أسمع بها من قبل، وكنت أظنها من مبالغات بعض الإخوة، فاتصلت بالدكتور محمد العريفي فذكرها بسنده إلى الدكتور عبدالعزيز السدحان وكلاهما ثقة ثبت، فسألت الشيخ



عبد العزيز السدحان فقال: إنه لا يستحضر الآن من حدثه بها لكنه من جيران الشيخ من آل ضويحي وهي قديمة منذ بداية معرفتي بالشيخ رحمته الله وكان الشخص الفقير سورياً جديداً على الحي.

وفي الحقيقة لا أستغرب هذا الآن، فقد كان الوالد في ذلك الوقت أي في حدود ١٤٠٢ هـ يقود سيارته بنفسه فربما حدث هذا في غيبة منا وما أكثر الأشياء التي اكتشفت أنني أجهلها بعد وفاته رحمته الله.

ولعل من المواقف المؤثرة: موقف لامرأة فقيرة كبيرة السن كانت تجلس أحياناً في الطريق الموصل لمنزل الوالد رحمته الله، وكان كلما رآها أعطاها بعض المال، وعندما علمت قبل أيام بوفاة الشيخ بكت بكاءً شديداً وجلست تردد عبارات مثل: من لنا بعده، ومن للمساكين والفقراء<sup>(١)</sup>.

تبكي الأرامِلُ واليتامى فقده      وبكى عليه القاص قبل الداني  
تبكي المساجد شيخها وإمامها      من كل ناحية وكل مكان  
موت الأئمة ثلماً في دينها      والخطبُ أعظمُ يا أبا العرفان<sup>(٢)</sup>

وهي ما زالت في مكانها إلى اليوم، تجلس على الرصيف في شارع مسجد البرغش.

هذان موقفان ولعل ما خفي كثير أسأل الله أن يجعله في موازينه، فإنه لما توفي جاءنا كثير من الفقراء يذكرون أنه كان يعطيهم ويتعاهدهم، وتذكر

(١) الإمام ابن جبرين.. أسرار.. مواقف.. حكايات تشر لأول مرة..!!

عمرو بن أحمد الضيعةان <http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229>

(٢) من قصيدة (دمعة وفاء)، في رثاء الشيخ عبد الله بن جبرين رحمته الله؛ للشيخ خالد أبو صالح،

نشرت في موقع الشيخ رحمته الله ورابطها

[http://ibn-jeb\[ccn.com/ommah/index.php?t=content&tid=87&cid=724](http://ibn-jeb[ccn.com/ommah/index.php?t=content&tid=87&cid=724)

أخواتي أنه جاءهن خلق كثير من النساء يقلن: من لنا بعد الشيخ، فقد كان يعولنا ويقوم علينا.

وأما الذين نعرف أنه يرعاهم ويتعاهدهم إما شهرياً أو سنوياً فكثير ولعل الحديث يأتي عنهم في أثناء الكلام عن العمل الخيري في حياته رحمة الله.

وقد ذكرت أن جيب الوالد لا يخلو دائماً من النقود حيث يصرف ريبالات من فئة الخمسة والعشرة؛ لتوزيعها على الفقراء، وكثيراً ما يفعل ذلك في مكة المكرمة حيث يوزع على العمال والمساكين وهو في طريقه إلى الصلاة في الحرم في رمضان وفي غيره.

وهو رحمة الله لا يكاد يرى فقيراً إلا ويعطيه، فكان إذا خرج من المسجد يخرج المال من جيبه ويعطي الرجال والنساء الذين يجلسون عند باب المسجد وبعد الصلاة، وأحياناً يعطيني أو من معي من إخوتي أو أبنائنا؛ لنوزع عليهم.

يقول الشيخ محمد المنجد<sup>(١)</sup>: «ما أذكر خرجت معه من المسجد إلا ويعطي فقيراً، لا بد أن يتصدق بشيء وهو خارج من المسجد أو ذاهب إلى مكان، إذا وجد أحداً جالساً لا بد أن يعطيه شيئاً، لا يفوت الصدقات على تنوع مواضعها».

تقول أختي هيا: «كان يحب الصدقة ويعطي كثيراً، مرة كنا سنسافر لمكة المكرمة وقد ركبنا سيارتنا فجاء سائل يطلب مالاً من أبي رحمة الله فأخرج أبي ما في جيبه ووجد ورقة نقدية فئة ٥٠٠ ريال، ثم حاول إدخالها، لكنه رأى لهفة السائل لها فأعطاه إياها».

وقد يتفرس في بعض الناس فيأمره بالكسب، ويقول: إنها لا تحل لغني ولا لقوي مكتسب، وقد يلوم من يكثر التردد لسؤال المال ويوجهه بطلب الرزق. وكان

(١) قناة «الرحمة».



يقول لبعض الشباب: اعملوا مثل العمال الذين في سوق الخضراوات أو غيره، وإذا جاء السائل وعليه أثر المعصية قدم له النصيحة قبل أن يقدم له المال<sup>(١)</sup>.

وكان رحمه الله يبذل كثيراً من ماله للمحتاجين ولهذا لم يدخر شيئاً ولم يتجر، فبعد أن توليت الإشراف على مكتب الوالد رحمه الله كنت أقوم بترتيب الأمور المالية وقد لاحظت أن الوالد يصرف كثيراً من عنده، مع أن الحسابات المخصصة للصدقات أعرف ما يصرف منها، فتبين لي بعد سنوات حينما سلمني الوالد كثيراً من الأمور أنه يصرف من حسابه الخاص، فقد جاء لي مرة بثلاثين ألفاً وقال: ضمها لما عندك، قلت: من أين؟، قال: من عندنا زكاتنا، قلت: ليس عندنا ما نزيهه بهذا المبلغ، قال: الباقي صدقة.

وقد ذكرت قبل أنه يجعل مائدة للإفطار في رمضان يشهدها عمال وفقراء؛ لأن الوالد رحمه الله يغيرهم بتوزيع بعض النقود بعد الإفطار، فيعطي كل شخص أحياناً خمسة وأحياناً عشرة وأحياناً خمسين ريالاً، فيكثرون بسبب ذلك، وهذه النقود غالباً إما من عنده، أو من ريع وقف تسبب في شرائه أحد تلاميذه، وهو الشيخ محمد بن ناصر التركي، وكان يعطي الشيخ شهرياً مبالغ لتوزيعها، بعد أن رأى موقفاً للشيخ وهو يوزع، فسألني من أين هذه؟، فقلت: من راتب الوالد حتى إنه أحياناً لا يبقى من راتبه شيء.

وقد عُرف عنه رحمه الله اهتمامه بالزكاة والصدقة التي يودعها عنده التجار والمحسنون، فكان يتحرى المحتاجين والفقراء؛ لأنه يرى أنها أمانة، فيحرص أن تصرف لمستحقيها.

يقول أحد الإخوة: «سافرت إلى إحدى الدول العربية لبعض الأعمال، وتأخرت هناك بعض الوقت، فما كان من صاحب العقار الذي يسكن فيه

(١) لقاء بمنوان الإمام الراحل مع الشيخ أحمد المهنا.

أهلي إلا أن شدد عليهم بدفع الإيجار، واتصلت بصاحب العقار، ولكن دون جدوى، فاتصلت بالشيخ وأخبرته بالأمر، وطلبت منه سلفة عشرة آلاف ريال، فأبدى الشيخ استعداده وسلفني المبلغ، ولما رجعت من السفر كتبت للشيخ ورقة لإثبات المبلغ ووعدته بالتسديد خلال شهرين، ففوجئت بأن الشيخ يقول لي: هذا المبلغ زكاة وضعها أحد الإخوان عندنا لإعطائه من يستحقه، ورأينا أنك تستحق ذلك، فالحمد لله هذا رزق قد ساقه الله إليك.

وقد بدأ التجار يعهدون للوالد رحمة الله بتوزيع صدقاتهم منذ مدة طويلة، حيث كان يقوم بعض تجار جماعته منذ الثمانينيات الهجرية بتسليمه بعض زكاتهم فكان الشيخ سعد بن سعود العريفي الملقب بعائش والشيخ عبد الله بن محمد اليابس الملقب براضي يعهدان للشيخ ببعض زكواتهم وصدقاتهم، وبعد أن انتقل للإفتاء أصبح كثير من الأمراء والتجار يرسلون له من زكواتهم وصدقاتهم ومن أبرزهم الأمير سلطان بن عبدالعزيز رحمة الله والأمير عبدالعزيز بن فهد، وكان مكتب الشيخ في الإفتاء الذي تولى الإشراف عليه الأستاذ عبد الله بن سعد الحوطي هو الذي ينظم استقبال هذه الصدقات وتوزيعها، حيث كانت تأتي صدقات عامة كما تأتي صدقات خاصة لمن يكتب لهم الوالد رحمة الله لحاجتهم.

وبعد تقاعده رحمة الله تولى مكتبه الذي في المنزل القيام بمهمة التنظيم لهذه المساعدات، وسيأتي في أثناء الحديث عن العمل الخيري عند الشيخ الوالد رحمة الله تفصيل هذا الموضوع إن شاء الله تعالى.

## الصيام وشهر الصيام

الصيام عبادة من أعظم العبادات، ومن أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله ﷻ؛ لما له من الفضائل التي أعدها الله للصائمين، كقوله ﷻ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»،<sup>(١)</sup>.

ولقد كان للوالد رحمه الله مع الصيام ورمضان شأن أي شأن، فقد كان يحرص كل الحرص على هذه الشعيرة العظيمة؛ لعلمه بأهميتها وعظيم أجرها عند الله تعالى.

وقد بدأ رحمه الله الصوم في سن مبكرة، في وقت كان فيه الحر شديدًا؛ يقول رحمه الله<sup>(٢)</sup>: «كان أول صيام كامل لي وعمري أربعة عشر عامًا، وذلك في سنة أربع وستين وثلاث مئة وألف للهجرة (١٣٦٤هـ)، وكان الجو في ذلك الوقت شديد الحرارة».

ويحرص رحمه الله على صيام النفل، فهو يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، والتاسع والعاشر والحادي عشر من محرم، والست من شوال، وعشر ذي الحجة، لا يكاد يخرم هذه العادة، حتى لو كان عنده درس أو محاضرة في مكان بعيد، فإنه يأخذ إفطاره معه فيفطر في المسجد أو في السيارة، وإذا كان مسافرًا أو لم يجهز له شيء لعارض من العوارض أفطر على ما تيسر.

يذكر أحد العاملين في جامع القاضي أنه رأى الشيخ يدخل من باب المحراب قبيل المغرب، ثم يفطر على ثلاث تمرات وكأس ماء فقط، ثم يصلي

(١) أخرجه البخاري في باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان من كتاب الإيمان برقم /٢٨، ومسلم في باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح من كتاب صلاة المسافرين وقصرها برقم /٧٦٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برنامج «أسرة واحدة» في قناة «المجد».

ويلقي درسًا بعد المغرب وآخر بعد العشاء ويجيب عن الأسئلة، دون أن يكل أو يمل، وذلك نشاط الروح المؤمنة التي لا يتحملها جسد شيخ في عقد الثمانين لولا الإيمان والاحتساب، نحسبه كذلك والله حسيبه<sup>(١)</sup>.

ويقول الشيخ أحمد المهنا<sup>(٢)</sup>: «لا أذكر في يوم من الأيام أن الشيخ ترك صيام الأيام البيض، وأحياناً يصوم ونحن في السفر، ويقول العبرة بالمشقة نحن ما عندنا مشقة، يذهب للدرس ومعه الصحن فيه ثلاث تمرات من قبل صلاة المغرب بأربعين دقيقة حتى الساعة الحادية عشرة لا يأكل إلا هذه التمرات الثلاث».

وأنا أعلم أن زوجته العمه هيلة جزاها الله كانت تحرص كل الحرص على إعداد إفطاره ليذهب به معه وقد اشترينا أواني صغيرة خاصة للشوربة والفظائر؛ لأنه لا يشرب القهوة رَحْمَةُ اللهِ، وإنما يفطر في مثل هذه الحالة على رطبات أو تمرات وماء وشوربة وفظائر لينة.

كان رَحْمَةُ اللهِ يأخذ بالعزائم، فيصوم الفريضة وحتى النافلة في السفر، فإذا قيل له: لورفقت بنفسك، ذكر حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ، وابن رواحة<sup>(٣)</sup>، ولهذا يصوم دائماً إذا سافرنا في رمضان والأيام البيض ونحوها ويقول: إنه لا مشقة علينا.

وقد يلقي إحراجاً بسبب ذلك ومع هذا فإنه لا يفطر وقد يحضر وينصرف قبل الطعام ومن الحوادث في ذلك ما ذكره أبو سارة عن زيارته

(١) مقالة لأحمد العساف <http://www.lojainiat.com/index.php?a...wMaqal&id=8945>

(٢) لقاء بمنوان: الإمام الراحل.

(٣) أخرجه البخاري في باب إذا صام أياماً من رمضان ثم سافر من كتاب الصوم برقم /١٩٤٥.



لحائل<sup>(١)</sup>: «أذكر شيئاً كدرني وضافت علي الأرض بما رحبت لما سمعته.. وهو أنني علمت أن الشيخ سيصوم الأيام البيض وهي تصادف الإثنين والثلاثاء والأربعاء.. فلذلك سيلقى كل فطور وغداء في هذه الأيام، وكنت قد حجزت أن يكون الشيخ عندي يوم الإثنين للغداء وتم اختيار هذا اليوم؛ لأتشرف بأن أكون أول من يعزم الشيخ.

ضاق صدري واتصلت على بعض الإخوة أستشيرهم وتضاربت الآراء.. ولكنني عزمت على تكليم الشيخ مباشرة ومعالجة هذه القضية.. وكان هدي من هذه العزيمة هو أن أتشرف بإكرام هذا العالم الجليل الذي أعلم أنه بعد سنوات سيندم من لم يجلس مع هذا الشيخ أو يقابله، كما ندم كثير منا بعد وفاة الشيخين الفاضلين ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله والهدف الآخر جمع الإخوة جميعاً للجلوس مع الشيخ حتى يتشرف الجميع برؤيته.

طلبت من ابن الشيخ أن يتوسط عند الشيخ لأجل أن يفطر ولا يصوم.. ولكنه قال إن الشيخ لن يرضى! واتصلت على أحد طلاب الشيخ الخاصين له في الرياض أستشيرهم، وأسأله هل مرّت مثل هذه الحالة عليكم مع الشيخ؟ لعلي أجد مدخلاً أحاجّ به الشيخ.. فقال: لا أذكر.. وعندما حضر شيخنا الجليل قلت: يا شيخ، غداً نسقت مع استراحة وسيأتي مجموعة من الإخوة وطلاب الحلقات والمكتبات الخيرية - لأنني أعلم أن الشيخ يحب الجلوس معهم - ومجموعة من الإخوة الأفاضل وفوجئنا بأنك صائم! هل بالإمكان أن تفطر غداً يا شيخ؟ فقال: لا يمكن، بعدها استحييت أن ألزم الشيخ تأديباً معه ولكنني طلبت من ابنه سليمان أن يتوسط عند الشيخ والشيخ يسمع وتوصل ابنه سليمان إلى حل جميل، وقال لوالده: يا شيخ، ما رأيك أن تحضر غداً

(١) الجمعة ١٤٢٧/٨/٨ هـ <http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>

وتتكلم معهم وتجييب عن الأسئلة وإذا حضر الغداء انصرفنا؟ فقال الشيخ:  
لا بأس.. والحمد لله ارتحت كثيراً لهذا الرأي وإن كنت أحب أن يأكل الشيخ  
من الطعام الذي أصنعه».

وقد ذكرت من قبل حرصه على تقطير الصوام في رمضان في المنزل،  
وإن من رأى مجلسه رحمة الله ومجلس أمثاله من المشايخ أدرك أنه مجلس مفتوح  
للجميع بكل مشاربهم ومستوياتهم، في جميع أيام السنة، وبخاصة في رمضان،  
حتى يصل عدد من يأتينا بعد العصر في بعض الأيام إلى مئات أربع أو خمس.

فتعد سفرة لطعام الإفطار في رمضان كل يوم، يجتمع فيها عدد كثير  
من الصوام من جميع الجنسيات، وربما شارك الوالد رحمة الله في تقديم طعام  
الإفطار، فإذا طلبنا منه أن يستريح، وقلنا: الإخوان فيهم بركة، رد علينا  
وقال: الأمر سهل.

لقد أخذ هذه الخصلة الشريفة عن والده رحمة الله فقد حدث عن والده  
رحمة الله بأنه كان يحرص على تقطير الصوام في الرين، يقول<sup>(١)</sup>: «والدي قد أعطاه  
الله ووسع عليه فكان يصلح القهوة أو يأمرني بإصلاحها، كذلك يصلح الإفطار  
الذي هو التمر، أما الشراب فكان الأقط المعروف نجعله في قدر كبير ونصب  
عليه ماء بارداً حتى يذوب ذلك الأقط ثم نأتي به عند الذين يفطرون وفيه كأس  
يفترفون منه ويجعلون معه أيضاً شيئاً من التمر ويسمونهُ المريس؛ لأنه لا يأتي  
الإفطار إلا وهم في أشد الظمأ وفي أشد الحاجة فتضعه في قدر قد يسع قرابة أو  
قرابة ونصفاً، يشربونه كله وهم نحو عشرة من الجيران وليس فيهم من أقاربنا إلا  
شيخ كبير اسمه محمد بن ناصر بن عويضة رحمة الله والبقية من الجيران».

(١) برنامج «أسرة واحدة».



وقد تعودنا من سنين أن يكون إفطار اليوم الأول لإخوتي وأعمامي وأبنائهم وأبناء الأخوال عند الوالد رحمته الله، ثم ندور بعد ذلك على بيوتهم حتى منتصف الشهر.

وعودنا أخواننا آل مسهر جزاهم الله خيراً أنهم يأتون للسلام على الوالد رحمته الله في أول يوم من رمضان يأتون كلهم صغاراً وكباراً ولم أذكر أنهم تركوا هذه العادة مطلقاً.

ويأتيه بعد العصر في الأيام الأولى كثير من الأقارب والطلاب والمحبين على عادة الناس في المباركة بدخول الشهر الكريم.

وكان رحمته الله يذهب إلى مكة المكرمة في شهر رمضان في كل عام، فعندما كان يعمل في الرئاسة العامة للإفتاء كان يذهب إذا بدأت إجازة الموظفين، ويبقى حتى نهاية الشهر، وبعد أن تقاعد أصبح يقضي النصف الأخير من رمضان في مكة المكرمة، يصطحب معه أخواته ومن يلتحق به من أولاده وأولاد إخوته وأخواته ونحوهم.

وأول عام ذهب فيه إلى مكة المكرمة في رمضان ١٤٠٣هـ، ثم استمر بعد ذلك يذهب كل سنة، وكان يسكن غالباً في الشامية، وسكن بعد ذلك سنوات عدة في محبس الجن، لما هيئت الحافلات التي تنقل الناس من محبس الجن إلى الحرم، وتحمل رحمته الله ذلك مع ما في الحافلات من مشقة الزحام والحر مع الناس؛ لكون تلك الشقق أكثر نظافة وسعة وأقل سعراً من التي في جوار الحرم، ثم قام الشيخ يوسف العطير، وهو من تلاميذه البررة ومن الأثرياء بتوفير شقة في عمارة الكعكي ثم في أبراج الصفوة بجوار الحرم، فكان يسكن فيها حتى توفى رحمته الله.

وهو في مكة المكرمة منقطع عن الناس متفرغ للعبادة غالباً غير أنه يزور بعض الناس للسلام عليهم مثل أبناء شيخه عبدالعزيز الشثري وأخواله آل مسهر ويمر على مشايخ الحرم ورئيس الحرمين؛ للسلام عليهم.

وكان يدعى لولائم، فيعتذر غالباً إلا أنه يحضر سنوياً عند عبد الله اليابس؛ لأن أباه كان صديقاً له، وعند عبد الرحمن بن ملح وهو أخوه من الرضاعة، وربما ذهب لغيرهم عرضاً.

وربما دعته بعض المؤسسات الخيرية لزيارتها فأجاب، ولكن ذلك قليل.

وكان يزوره أحياناً في سكنه بعض الدعاة وطلاب العلم وأصحاب الحاجات.

وقد طلب منه في السنوات الأخيرة المشاركة في الإفتاء في الحرم للرد على أسئلة المستفتين في غرفة الفتوى وكذلك الرد على هاتف الفتوى في الحرم، وكان ذلك سبباً في بث الناس همومهم له وطلب مساعدته، فكان يبذل ما يستطيعه لذلك.

وكان إذا صلى الفجر جلس إلى إشراق الشمس، ثم يطوف أحياناً وينصرف إلى المنزل، وربما انصرف قبل الإشراق وبخاصة في العشر الأواخر.

ويقضي وقته في الشقة بمطالعة بعض الكتب والرسائل وتصحيحها، ويصلي جميع الصلوات في الحرم ولو بعدت المسافة.

وقد زاره في السنتين الأخيرتين وفود من المجاهدين في العراق من الحزب الإسلامي وغيره وطلبوا منه الشفاعة لدى الحكومة السعودية لمساعدتهم والتعاون معهم، وبينوا له ما فعله الرافضة بأهل السنة هناك، وقدموا له تقارير ومعلومات مهمة ورفعها رحمته الله للمسؤولين في الدولة.



وكان كما ذكرنا يحمل في جيبه بعض النقود، ويوزعها على عمال الحرم والمتسولين في الطريق، ولم يكن يعطي من يحلق لحيته ولا المرأة التي لا تحتجب وإن ألحوا عليه بئس لهم السبب.

وقد كان في الطريق للحرم كمادته يأمر بالمعروف ويرشد الناس من المقصرين، فإذا رأى حالق لحية أو شارب دخان أو امرأة سافرة أو نحوهم أرشدهم ونصحهم بأسلوب يجمع بين الدعابة والحزم، كما سنذكره إن شاء الله في الحديث عن جهوده في الحسبة

وكان رحمته الله يأتي المسجد الحرام قبل صلاة العصر ويجلس في مكانه جلسة واحدة يقرأ القرآن من حفظه لا يتململ في جلسته ولا ينشغل في شيء حتى يأتي وقت صلاة المغرب.

وكان قد عود الناس منذ مدة على الجلوس في مكان معين؛ ليقصده من يريده من أقاربه أو طلابه أو معارفه أو غيرهم، وذلك في الدور الثاني بين المسعى وباب أجباد، وقد يجلس في غير مكانه المعتاد إلى قرب الغروب؛ لكي يتفرغ للقراءة وإذا عرفه الناس واجتمعوا عليه قام وغير مكانه مرة أخرى.

ولقد كان الناس في الحرم مع محاولة الاختفاء يلمحونه، فيأتونه ليسألوه فيجيبهم بأدب وحسن خلق ويتبسط معهم ولا يرد أحدًا، وبخاصة إذا كانوا من الوفدين من البلاد العربية والإسلامية.

ومما كان يتمناه ولم يسع إليه، مع أنه ألمح لبعض المسؤولين في الحرم حول ذلك: أن يخصص له خلوة من خلوات الحرم لكي يعتكف فيها، ولما لم يتيسر ذلك لم يكن يعتكف رحمته الله.



وكان يجلس محتبياً ويعرض عليه الناس مساندهم؛ ليستند عليها فيأبى، حتى اشترينا له مسنداً خاصاً به.

يقول الدكتور محمد المشوح<sup>(١)</sup>: «لقد شاهدت بنفسه حرصه وصبره على العبادة وذلك خلال قدومه في شهر رمضان من كل عام للقيام في مكة المكرمة والصلاة في المسجد الحرام فكان يحضر قبل صلاة العصر ويجلس جلسة واحدة يقرأ في القرآن من حفظه لا يتململ في جلسته ولا ينشغل في شيء إلى صلاة التراويح.

فكنت أطلب منه أن يستند إلى كرسي أو عمود يريح ظهره قليلاً، ولكنه لا يقبل، وكنت أعجب من تواضعه وابتسامته لكل من عرفه وهو جالس في الحرم حتى من عامة الناس الذين قد يكثرون السؤال عليه، ولكنه لا يرد أحداً».

وجدول الوالد رحمته الله في رمضان مليء بالأنشطة كما سبق أن ذكرت، يقول رحمته الله عن برنامجه في رمضان<sup>(٢)</sup>: «في هذه الأيام أصوم والحمد لله ولا أحس بتعب لا بظماً ولا بجوع ولا بجهد كذلك أيضاً في الليالي أقوم بتذكير في المساجد بعد صلاة التراويح نزور كل ليلة مسجداً من المساجد التي يؤمها كثير من المصلين ونصلي معهم صلاة التراويح ثم أقوم بموعظة وتذكير فيما يختص بهذا الشهر من آثار القيام وفوائده وأمثلته ونحو ذلك.

والحمد لله أنا مستمررون على ذلك إلى نصف الشهر الذي بدأ وسوف نسافر بإذن الله إلى مكة المكرمة ونكمل الشهر هناك بإذن الله وتوفيقه».

وقد تكلمت عن أعماله العبادية والدعوية المختلفة في مواضعها، وذكرت الحديث عن شأنه مع صلاة التراويح في الكلام عن اهتمامه رحمته الله بالصلاة،

(١) د. محمد بن عبد الله المشوح <http://www.al-jazirah.com/81483/rj3.htm>

(٢) برنامج «أسرة واحدة».



ولكني سأختم الحديث هنا بذكر أمرين تحدث عنهما الوالد رحمه الله وهما من سجل الذكريات.

الأول: كيف كانوا يعرفون دخول شهر رمضان؟

والثاني: حالهم مع القرآن في رمضان.

فأما الأول وهو كيفية تلقي خبر دخول شهر رمضان في الماضي فقد تحدث الوالد رحمه الله عن ذلك وكان مما قاله <sup>(١)</sup>: «كان الخبر يأتي بالبرقية من الرياض أنه ثبت رؤية هلال رمضان أو هلال شوال، ولم يأت جهاز البرقية للقويعة إلا في حدود سنة إحدى وستين وثلاث مئة وألف، كان الأمير يقال له حمود بن ضبعان عنده سيارة واحدة كان يرسلها إلى القرى، فإذا جاءت البرقية لمركز الإمارة بالقويعة بدخول الشهر أو خروجه، فإنهم يقومون بكتابة خطابات لأهل القرى، خطاب لأهل مزعل، وخطاب لأهل القويع، وخطاب لأهل الرويضة، وخطاب لأهل الخنقة، وخطاب لأهل الرين، وغيرها من القرى، فيجلسون وقتاً طويلاً وهم يكتبون هذه الخطابات، ثم يرسل الأمير سيارة لتوزيع هذه الخطابات على أهل القرى.

ومعلوم أن الطرق لم تكن مسفلتة في ذلك الوقت، ثم إذا وصل إلى أي قرية وسلمهم خطابهم لم يخرج من عندهم إلا بعد أن يكتبوا له خطاباً بأنه بلغهم وجاءهم الخبر، فقد يتأخر وصول الخبر إلى الضحى أو العصر والناس مفطرون، أو يكونون صائمين في آخر الشهر.

فإذا جاء الخبر لأهل القرية يقومون بتثوير البندق، وهذا علامة، فإذا سمع الناس البندق أمسكوا أو أفطروا، نحن في الرين قد لا يصلنا الخبر إلا في اليوم الثاني يفوتنا يوم وأحياناً نصوم يوم العيد ولا يأتينا الخبر إلا في

(١) صفحات من حياتي، الحلقة الثانية وبرنامج «أسرة واحدة».

الأخر؛ لبعدنا عن القويبية، مرة ما جاءنا الخبر إلا بعد العصر، فأمسكنا بعد العصر فقط، وكذلك أيضاً الصيام نصوم العيد يأتينا الخبر أنه عيد بعد العصر أو بعد الظهر، فتفطر ونصلي من الغد صلاة العيد».

هكذا كان يثبت الصوم والفطر عندهم، ولا يعتمدون على خبر الإذاعة؛ لأن الراديو كان عندهم منكرًا، وحدثني أحد كبار السن من أسنان الوالد رحمته الله أنه في عام ثمانية وسبعين كان قاضي الرين هو الشيخ المزيني رحمته الله وفي يوم الثلاثين من شعبان جاءهم شخص من آل قميش وهم يشربون القهوة في مجلس آل سريع، فقال: أنا صايم، فقال له القاضي بناء على ماذا؟ قال: الراديو، فأمره الشيخ بالإفطار، وبعد نصف ساعة جاء الخبر، حيث ثور البندق خوي الإمارة.

وأما قراءة القرآن فقد تحدث الوالد رحمته الله عن كيفية إحياء ليالي رمضان في زمانهم يقول: «كان لشهر رمضان خصوصية في ذلك الزمان، ففي سنة تنتين وستين كنت في محيرقة بعد أن قرأت القرآن ولم أحفظه فكانوا يجتمعون بعد صلاة التراويح قرب بيت العم سعد رحمته الله ويقرؤون، كل واحد يقرأ ثمنًا يفرشون فراشًا في مكان برّي قرب بيت العم سعد وعندهم سراج يقرؤون عليه فيدور علينا مرتين أو مرة ونصفًا حتى نقرأ ثلاثة أجزاء في كل ليلة أنا أقرأ ثمنًا والعم سعد يقرأ ثمنًا وابنه عبد الله رحمته الله يقرأ ثمنًا وأخوه إبراهيم بن عبد الله بن جبرين يقرأ ثمنًا وسعد الذي هو ابن دهران رحمته الله يقرأ أيضًا ثمنًا في المصاحف كلهم، إلا الوالد فإنه كان يقرأ من حفظه وأظن أنهم قد توفوا لم يبق منهم من أتذكره كان منهم اثنان من العرافا من أبناء عبد الله بن محمد رحمته الله سعد وعبد العزيز وكان منهم بعض أفراد من آل صالح ونحوهم ويغلب على الظن أنهم كلهم قد توفوا رحمته الله.



وهكذا نعمل عندما كنا في الرين يجتمعون في السوق وعندنا سراج نوقده ونقرأ، الذي يصلح القهوة لا يقرأ لأنه لا يعرف، نقرأ أنا وأبي وقرأ معنا المؤذن اسمه ضويحي بن سالم قحطاني يؤذن هناك يقرأ معنا سعد بن عبد الرحمن بن سريع وكذلك أحياناً يقرأ معنا معالي الشيخ ناصر أبو حبيب الشثري، وهكذا حتى نكمل ثلاثة أجزاء كان التقويم في ذلك الوقت بالساعة الغروبى ننصرف والساعة الخامسة والنصف أي بعد غروب الشمس بخمس ساعات ونصف ما بقي من الليل إلا شيء قليل أربع ساعات أو ثلاث ساعات ونصف ننام فيها ثم نقوم للسحور ثم نقوم لصلاة الفجر.

ولا يزال بعضهم يحيون ليالي رمضان حتى الآن بهذه الطريقة، وبهذا كنا نختم القرآن في العشرين الأولى من رمضان ختمتين.

وقد أدركت من يفعل ذلك في الرياض، فعندما جئت إلى الرياض كان لنا جار يقال له: الزير رحمة الله، يجمع عشرة أشخاص ممن يحسن قراءة القرآن، ونجلس تحت الأنوار التي في الشارع، ونقرأ حتى نختم ثلاثة أجزاء.

وبعد الفجر ننام قرابة ساعتين أو ثلاث ساعات أو ساعة ونصف، بعد ذلك ليس لنا حاجة لإقراءة القرآن، أما عامة الناس الذين لا يقرؤون فإنهم في الغالب ينامون ولا يسهرون: ولا يعرفون هذا السهر الذي ابتلي به كثير من الناس».

ويقول رحمة الله<sup>(١)</sup>: «إذا دخل رمضان كان الذين يحسنون قراءة القرآن يعتكفون على قراءته طول الشهر، ولقد عهدت أن الحافظين للقرآن عندنا في ذلك الزمان هم: الشيخ أبو حبيب، والوالد، وشيخ يقال له: ابن مسعد، والشيخ صالح بن مطلق، وذلك قبل أن أكمل أنا حفظ القرآن.

(١) «صفحات من حياتي، الحلقة الثانية.

وكان هؤلاء الحفظة إذا دخل رمضان يختمون القرآن كل ليلتين، فكانوا يختمون في رمضان خمس عشرة ختمة، زيادة على التي كنا نقرأها بعد التراويح؛ وبذلك يكونون قد ختموا القرآن سبع عشرة مرة، إضافة إلى التي كانوا يختمونها في صلاة التراويح والقيام».

ويقول رحمه الله أيضاً<sup>(١)</sup>: «قد أدركت من يختم القرآن كل يوم مرة أو يختم كل يومين مرة! فقد يسره الله وسهله عليهم، وأشربت به قلوبهم، وقد يستكثر بعض الناس ذلك ويستبعده، وأقول: إن هذا ليس ببعيد، فقد أدركت أناساً يقرأون من أول النهار إلى أذان الجمعة أربعين جزءاً في مجلس واحد، يقرأ حتى يختم القرآن، ثم يعود فيختم ثلث القرآن».

وسمعت الوالد رحمه الله يحكي عن أحد الناس أنه يقرأ من بعد الفجر إلى وسط الضحى عشرة أجزاء.

وقد أثرت هذه التربية التي نشأ عليها رحمه الله فقد كان رحمه الله كثير الذكر كثير قراءة القرآن: سواء في رمضان أو في غيره، ولكن كان له رحمه الله مع رمضان حالة خاصة، فربما ختم القرآن في كل ثلاثة أيام، وكان يستمر في القراءة ويواصلها حتى في الصلاة، وهذا شأن العلماء رحمه الله.

حدثني عن شيخه عبدالعزيز الشثري رحمه الله أنه تقدم بهم لصلاة الظهر، فلما صلى الأربع قام للخامسة، فسبحوا له فأبى الرجوع، فجلس أكثرهم فأشار إليهم بالقيام، فلما سلم قال لهم: إني في الركعة الأولى لم أقرأ الفاتحة؛ لأنني بدأت في القرآن من حيث وقفت قبل الصلاة.

(١) انظر كتاب (الصيام آداب وأحكام) لفضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله (ص: ٨٩-٩٠).



ولقد كنا نرى الوالد رحمته الله وهو يقرأ القرآن ويذكر الله في السيارة وفي المجلس وفي المسجد وفي جميع أحواله ولا يقطع القراءة إلا إذا سأله أحد عن مسألة أو قرأ عليه طالب في أحد الكتب.

وقد نقلت عن عبدالرحمن ابن العم ناصر قوله: سافرت مع الشيخ إلى مكة المكرمة وكنت أقود سيارته، ومنذ أن ركب وهو يقرأ القرآن واستمر على ذلك ولم يتوقف أبداً، حتى إن أخت الشيخ - وكانت معنا - حاولت أن تتكلم معه وتقطع عليه القراءة، فكان يرد عليها بكلمة أو كلمتين ثم يستمر في قراءته، فقهرت أنه مشغول عنها فتركته حتى أنهى حزه ثم رجع للحديث معها.

وكنا نعرف أنه ختم القرآن إذا رفع يديه للدعاء بعد القراءة لأنه كان يحرص على دعاء ختم القرآن.

## الحج والعمرة

الحج والعمرة من شعائر الدين العظيمة، فالحج أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام.

لقد كان الوالد رحمته الله حريصاً أشد الحرص على المشاركة في الحج في كل عام، وذلك ليحصل أولاً على الأجر الذي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»<sup>(١)</sup> وثانياً لأن هذا الموسم العظيم يجتمع فيه ملايين المسلمين من أصقاع الأرض؛ لأداء هذه الشعيرة، فهو حريص على الدعوة ونشر العلم بينهم، فمع تقدم عمره وكبر سنّه، تراه يحرص على هذه الفريضة؛ بل إنه يتلذذ بأدائها ويهتم لها.

(١) أخرجه البخاري في باب وجوب العمرة وفضلها من كتاب الحج برقم/١٧٧٢، ومسلم في باب فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة من كتاب الحج برقم/١٢٤٩.

يقول رحمه الله<sup>(١)</sup>: «مناسك الحج ومشاعره من أفضل الأعمال والبقاع وفي هذا الزمان يتوافد الحجاج من كل فج عميق، ولا شك أن كثيراً منهم يجهلون أغلب شعائر الدين؛ حيث عاشوا في جوانب من البلاد بعيدين عن سماع القرآن والذكر والعلم منشغلين بأمور حياتهم وبتحصيل معاشهم.

كما أن كثيراً من الوافدين قد تأثروا بدعايات أهل الضلال والبدع ووقعوا في الشركيات.

لذا كان من الواجب على الدعاة في مواسم الحج أن يعلموا الناس ويبينوا لهم ما يخفى عليهم وما يجهلونه، مستعينين في ذلك بكل الوسائل المتيسرة، المسموعة والمقروءة والمرئية».

ولقد عمل بهذا رحمه الله، ولهذا تراه بعد وصوله ينطلق في كل مكان واعظاً ومرشداً ومفتياً، فيجد الناس لدعوته قبولاً ولنصحه أثراً.

حج رحمه الله أكثر من أربعين حجة منها ما كان قديماً مع الأقارب أو العائلة، ومنها ما كان مع التوعية الإسلامية في الإفتاء، فقد حج معهم نحو عشر حجج، وكانت تشرف عليها حينذاك إدارة الإفتاء ولما انتقل للإفتاء أصبح يبقى في الدوام إلى نهايته ولا يشارك في التوعية فصار يحج مع حملات الحج الخاصة فحج مع مخيم النسك الذي كان يشرف عليه الشيخ صالح التويجري من عام ١٤١١هـ حتى عام ١٤١٤هـ، ثم مع حملة الشيخ سليمان اليحبي الخيرية حيث حج معه بعض الفقراء والوافدين والمسلمين الجدد إضافة إلى أهله وأصدقائه ومعارفه وموظفيه من عام ١٤١٥هـ حتى عام ١٤٢٢هـ، ثم في عام ١٤٢٣هـ عرض الشيخ الدكتور إبراهيم أبو عبادة

(١) ينظر الفتوى رقم (١١٤٨٥)، على الشبكة المنكبوتية، على موقع الشيخ رحمه الله بتصرف يسير.



رئيس جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني على الوالد رحمة الله أن يكون معهم في مخيم الحرس الوطني حيث يقوم جهاز الإرشاد والتوجيه بمهمة إرشاد الحجاج وينتدب عددًا من المشايخ وطلاب العلم لهذه المهمة منهم الشيخ صالح السدلان والشيخ محمد الفهيد والشيخ سعد الشثري وغيرهم، فصار الوالد رحمة الله يشارك معهم حتى توفي.

يحكي الوالد رحمة الله قصة أول رحلة حج قام بها، فيقول: «في عام ثمانية وستين وثلاث مئة وألف للهجرة (١٣٦٨هـ)، أراد والدي أن يرسلني مع الحجاج على الإبل، وذلك لتوفرها في ذلك الوقت، وهياً لي كل ما أحتاج إليه من الناقة والنفقة وجميع ما كان يُحتاج إليه، ولما تمت الإجراءات ولم يبقَ إلا المسير، تراجع بعض الرفقة الذين كانوا التزموا بالحج بي، وقالوا: إن علينا مسؤولية مع هذا الطفل الذي لا يزال جاهلاً، ونخشى أنه وأنه، فبعد ذلك تراجع الوالد وقال: تصبر، ولعلك تحج في السنة التي بعدها أو نحو ذلك.

وفي سنة تسع وستين وثلاث مئة وألف للهجرة (١٣٦٩هـ) كان هنا سيارة في (القويعية) يملكها العم سليمان بن عبد الله بن جبرين، وهو والدي الذين تولوا الإمارة من بعده، وهي سيارة مستعملة وليست جديدة، وقد عزم على أن يجمع حجاً ويحج بهم، واختار بعض الأقارب وبعض المواطنين، واجتمع عنده نحو خمسة وأربعين ما بين رجال ونساء.

وكانت أجرة الحاج يسيرة، سبعين ريالاً ذهاباً وإياباً، وفي اليوم الثاني من ذي الحجة اجتمعنا وركبنا السيارة، وكان يركب في مقدمة السيارة (الغمارة) ثلاثة أشخاص وهم: ابن مالك السيارة واسمه سعد بن سليمان رحمة الله، وأبوه سليمان، ومعهما أحد الركاب وهو أمير قبيلة العرافا اسمه عبدالعزيز بن عبد الله العريضي، كلهم توفوا رحمة الله، والبقية يجلسون في الحوض وكنت أنا معهم، ويجعلون النساء في الأمام والرجال يكونون بعدهم.

وكان بصحبتنا الشيخ صالح بن مطلق رحمته الله، وكان أعجوبة الزمان في حديثه وتنشيطه لمن حوله في سرد الحكايات والقصص ونحو ذلك.

وبعد أن تجمعنا وركبنا سرنا قليلاً، جاءتنا القيلولة ونحن في سرحة وهو المكان المعروف الآن بـ «أبو سليم»، ونزلوا هناك وأصلحوا لهم طعاماً تبرع به صاحب السيارة الأمير سليمان، وأكلوا وشربوا القهوة والتمر، وفي وقت العصر توجهوا إلى الدوامي. ولم يكن هناك طريق يمر بالقويعية، فالطريق يمر بالدوامي ثم يمر بعفيف؛ ولم يكن الطريق مسفلتاً، ولكنه كان طريقاً معروفاً مسلوفاً تسير معه السيارات بكثرة.

ولما سرنا قليلاً رأينا اثنتين من الطباء تعدو عن يميننا، وكنا لا نحب أنهم يطاردونها لأن المكان لا يصلح للطرد؛ لأن فيه أشجاراً وكثباناً رملية، فالأمير سليمان يقول: رأيناها ولكن ما رغبتنا أن نتبعها، فالحاصل أنهم تجاوزوها وواصلنا السير حتى وصلنا إلى الدوامي قبيل الغروب وبتنا هناك.

والأمير سليمان صاحب السيارة كان معروفاً عند الملك سعود وكان حينئذ ولياً للعهد وكان يحبه، رحمته الله جميعاً، وقد أبرق برقية بأننا سوف نحج ونريد منكم مساعدتنا في الوقود (البنزين)، فأرسل الملك سعود برقية إلى جميع المحطات قال فيها: إذا جاءكم سليمان فأعطوه وقوداً ذهاباً وإياباً، فبتنا في الدوامي وهو بعد ثاني مركز، والمركز الأول في مرات، ولكن تجاوزناه إلى مركز الدوامي.

ولما أصبحنا جئنا إلى المحطة لنتزود بالوقود وطلبوا من الأمير البرقية التي فيها أمر الملك سعود؛ لأنهم لا يعرفونه، فالتمسها حتى وجدها ولما قدمها عرفوا أنه هو، وبعد أن أخذوا ما يكفيهم من الوقود سرنا، وفي أثناء الطريق



حدث معنا حادث انكسار ما يسمى بـ (الستة) التي كانت تحمل العجلات؛ وحيث إن السائق لم يكن يجيد القيادة كثيراً اضطر إلى لف السيارة قليلاً ليخرج من الخط، لأن وراءه سيارات، فصادف أن تلك الحديدية انكسرت وحزت في الكفر حزاً شديداً، ما اضطرنا إلى أن نتوقف لأجل إصلاح هذه (الستة)، ولم ينتهوا من إصلاحها إلا قرب العصر، ثم ساروا بعد ذلك ولكن أدركهم الليل قبل أن يصلوا إلى عفيف، فوصلوا إلى ما يسمى الآن بالبجادية أو بعدها بقليل، وبتنا في هذا المكان.

ثم لما أصبحنا سرنا إلى أن وصلنا إلى عفيف، وقت القيلولة، ثم تزودنا بالوقود، ثم بعد ذلك واصلوا السير، وكان الطريق القديم ما بين (عفيف) إلى (المويه) طويلاً، وفي أثناء الطريق انتهى الوقود ووقفت السيارة، وكان الناس وأهل السيارات في ذلك الوقت متعاونين، فإذا رأوا أحداً متوقفاً فإنهم يسعفونه بما يستطيعون، فأوقفوا سيارة وجاء صاحبها وتبرع بشيء من الوقود، ثم سرنا وفي أثناء الطريق أيضاً انتهى ذلك الوقود الذي أخذناه من السيارة فلم نجد بداً من أن نوقف سيارة أخرى وأخذنا منها وقوداً إلى أن وصلنا إلى (المويه) قرب القيلولة أو قرب الظهر.

وسميت هذه البلدة (المويه) لأن فيها عين ماء تتبع من جبل فيها، والناس يأتون إليها ويرتوون ويملؤون قربهم وأوانيهم، وفي هذا الوقت أخذ قائد السيارة رحمه الله من قلب السيارة آلة تسمى (الكليتر) وجعل يغير ويصلح فيها؛ فصادف أنها خربت بسبب تغييره لبعض المسامير التي فيها، فلما رجعنا وجدنا السيارة لا تمشي إلا قليلاً، فبتنا تلك الليلة وتحيرنا كيف نعمل؟، فذهبوا إلى إمارة (المويه) وأعطونا رجلاً قائداً عندهم عنده معرفة، وجاء من الضحى نحو الساعة التاسعة، وأخذ يعمل في هذه الآلة ويصلح واستمر في

إصلاحها إلى ما بعد العصر، وبعد أن صلحت توجهنا إلى (عشيرة) والطريق بين (المويه) و(عشيرة) طويل فجاءنا الليل ونحن في الطريق.

ولما جاء الليل حدث أيضاً أن نور السيارة كأنه ضعيف، فأوقفنا إحدى السيارات في الطريق وقلنا له: إن النور ضعيف، فقال: أنا أتبرع لكم بأحد أنوار سيارتي، وأخذ منكم النور الخربان، وهذا ما فعلناه، ثم سار كل في طريقه، ولكن تبين فيما بعد أن المشكلة ليست من النور، وإنما من داخل الماكينة.

ولما سرنا قليلاً فإذا بالسيارة تتعق وتقطع بسبب خلل في داخل الماكينة، فخفنا أن الحج يفوتنا، فجلسنا وتحيرنا في أمرنا، وكان الملك سعود رحمه الله يسير سيارات تسير على الطريق، فمن وجدوه متعطلاً أسعفوه، وقد ذكر له أن سيارتنا متعطلة وأنا بقينا في (المويه) قريباً من يومين ولما وصلوا إلى (المويه) وجدونا قد مشينا، ثم إننا وقفنا في الصحراء وعزمنا على أن نشير إلى السيارات، فمن وجدناه طلبنا منه أن يركبنا معه، فصادف أن مرت إحدى سيارات الملك سعود، وهي سيارة كبيرة واسمها (عنتر ناش)، وطلبنا منه أن يحملنا قلبى طلبنا وقال: أهلاً وسهلاً، وحملنا وحمل جميع أمتعتنا، وسار بنا، وتركنا سيارتنا وعندها الأمير وولده وأحد الموالى.

والحاصل: أننا سرنا إلى أن وصلنا المركز الذي في (عشيرة)، ولما وصلنا ذهبوا إلى المركز، وقالوا: هؤلاء الركاب تعطلت سيارتهم وجميعهم من القويعة، ونزل اثنان من الأسرة من الركاب وكتبوا أسماءهم ووقعوا أنا نئوب عن جميع الرفقة ونتحمل مسؤوليتهم، أحدهم عمي عبدالعزيز رحمه الله، والثاني خال الوالد محمد بن سعود العريضي.

ثم نزلنا مع الجبل الذي يشرف على السيل وهو جبل مرتفع ارتفاعاً طويلاً، وفي أثنائه رأوا بعض الحجلات (نوع من الطيور) فوق السائق ورمى





بعضها وصاد منها حجلتين، ثم سرنا حتى وصلنا السيل، وقال: تأهبوا وأحرموا، ونحن إذا انتهيتم نسير بكم، ونزل هو وأخذ الحجلتين وطبخهما هو ورفقته، ونحن أصلحنا لنا طعاماً كغداء وتأهبنا ولبسنا إحراماتنا، فلما انتهينا ركبنا حتى وصلنا إلى المقبرة المعروفة الآن في المكان الذي يسمى (العدل)، وهذه المقبرة هي التي دفن فيها الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين رحمهما الله تعالى.  
نزلنا هناك وبنينا خيامنا، وذهبنا راجلين إلى الحرم، وأنهينا عمرتنا ورجعنا.

ولما كان من الغد من الضحى جاءت سيارتنا المتعطلة وفيها الأمير، وذكر أنهم عالجوها بشيء يسير من العلاج، وأنها صلحت، ثم قالوا: هذا السائق يمكن أن تخفى عليه الطرق في مكة المكرمة ولا بد أنكم تستأجرون سائقاً من أهل مكة المكرمة يعرف الطرق، ويعرف الأماكن والمواقف ونحو ذلك، فاستأجروا سائقاً من أهل مكة المكرمة وقد ارتاحوا له: لأنه يعرف السيارات ويعرف الطرق.  
ولما كان يوم التروية ذهبنا من مكاننا ونزلنا في منى نهار الثامن، ثم في صباح يوم عرفة توجهنا إلى عرفة، ثم رجعنا إلى مزدلفة عندما غربت الشمس يوم عرفة، وبتنا في مزدلفة.

وفي أثناء تلك الليلة رأينا كثيراً من المنقطعين الذين بقوا في عرفة ليس معهم من ينقلهم، فقال: الأمير ومعه السائق سوف نقوم بنقل الحجاج هذه الليلة من عرفة إلى مزدلفة، فصاروا ينقلونهم بالأجرة، فنقلوا تقريباً أربع أو خمس مرات.

ولما أصبحنا يوم العيد وهو يوم النحر العاشر من ذي الحجة تحركنا قبيل أن تطلع الشمس متجهين إلى منى، ولما وصلنا منى نزلنا قرب المكان

الذي يسمى (الشبك) والذي تذبح فيه البهائم، ثم ذهبنا ورمينا وحلقنا وأتممنا التحلل الأول.

وفي اليوم الثاني، أي: في اليوم الحادي عشر من ذي الحجة وهو أول أيام التشريق نزلنا وتحللنا التحلل الثاني.

ولما أصبحنا في اليوم الثاني عشر، وإذا الروائح قد بدأت تظهر من آثار الذبائح الكثيرة التي ذبحت في (الشبك) ولم تؤكل، وأكثرها من الإبل.

بعد ذلك رمينا الجمرة بعد الزوال، ثم نزلنا في مكاننا الذي قرب المقبرة عند (العدل)، وبعد ذلك وادعنا، ثم سرنا يقودنا ذلك السائق الذي من أهل مكة المكرمة الذي اتفقنا معه أن يوصلنا إلى بلدنا في القومية.

وقد مكثنا في الطريق يومين ونصفاً، أو قريباً من ثلاثة أيام، إلا أننا لا نسير في الليل، إنما نسير في الضحى مبكرين ونستمر في السير إلى القيلولة، ثم نعود للمشي مرة ثانية قبل العصر إلى قرب العشاء، ثم نبيت، وهكذا.

ولما وصلنا إلى القومية أعطوا الساق أجرته كاملة، وأعطوه زيادة يومين، ورجع إلى مكة المكرمة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وقد ذكر رحمه الله عن هذه الحجة أن الموسم كان لا يزيد على خمسين ألف شخص، وقال: إنه صلى في الحرم قديماً صلاة التراويح وكان عدد الجماعة أربعين رجلاً فقط<sup>(١)</sup>.

ولقد حج الوالد رحمه الله بعد هذه الحجة كثيراً، وسأحاول أن أعطي القارئ صورة كيف كان يحج ويعتمر رحمه الله وماذا كان يعمل.

(١) محمد المنجد برنامج في قناة الرحمة، بعد وفاة الوالد رحمه الله.



فعلى مر السنين التي حج فيها غير حجاته القديمة، فإنه حج مع التوعية الإسلامية سنين عدة، وكان يسكن غالباً في حي الغزة القريب من الحرم المكي ويكون له درس في الحرم من عشرين ذي القعدة إلى بداية الحج، وكان درساً عادياً يجتمع حوله الحجاج، فيلقي كلمة توجيهية ثم يجيب عن أسئلتهم، فإذا جاء اليوم الثامن انتقل مع الحجاج إلى منى وبعد نهاية أيام التشريق يعود إلى الغزة مرة أخرى، ويعاود التدريس في الحرم إلى العشرين من ذي الحجة غالباً.

وبعد انتقاله للإفتاء أصبح يحج مع حملات الحج، فلا يصلون مكة المكرمة إلا ليلة الثامن، وكان يرى في هذه الحالة أن الحج مفرداً أفضل فلا يعتمر ويتوجه إلى منى مباشرة.

ولما ابتدأ بالحج مع الحرس الوطني كان يأتي في اليوم السادس، فيعتمر، ثم يتوجه إلى منى.

وفي السنتين الأخيرتين طلبت منه وزارة الشؤون الإسلامية عن طريق وكيلها الدكتور/ توفيق السديري أن يشارك في التوعية، فوافق لهم فكان يذهب في العشرين من ذي القعدة إلى العشرين من ذي الحجة ويكون له درس في جامع الشيخ ابن باز رحمته الله.

ومع كونه يدرس بعد الفجر وبعد المغرب، لكنه يذهب للحرم يومياً قبل الظهر ولا يعود إلا منتصف العصر، حيث يصلي الظهر والعصر هناك، ويجلس بين الصلاتين يقرأ القرآن ويصحح بعض الكتب.

وبعد هذا السرد الوصفي أعود لذكر بعض الحججات التي حجها رحمته الله وما فيها من مواقف.

ففي عام ١٣٩٠هـ اتفق مع ابن حوشان وهو من أهل القصيم على أن يحج معه، فحج بأمه وبوالدي وأمها وأخي محمد وأختي سارة، وكان ذلك في داتسون غمارة واحدة ركب الوالد رحمته الله في الغمارة وركب الباقيون في الصندوق الخلفي، وكان معهم غيرهم.

وفي عام ١٣٩٢هـ اشترى الوالد رحمته الله داتسون غمارتين موديل ١٩٧٣م فحج بجدي ووالدي وعمي محمد وكان عمي هو الذي يقود السيارة.

وفي عام ١٤٠٨هـ حج بأعمامي الصغار زبن وصقر، وفي هذه الحجة أضاع رحمته الله وأخواه الرفقة، فاضطروا للمشي من عرفات لمنى ولم يكن مع الوالد رحمته الله سوى عشرة ريالات فلم يكلم أحداً ولم يطلب من أحد شيئاً، وكان قد عرف واشتهر، ولو عرّف أحداً بنفسه لخدمه، لكن أثر عدم ذلك وتحمل المشقة والعنت حتى وصل إلى منى.

وفي حجته الأخيرة كان يذهب للحرم كالمعتاد ويصلي فيه الظهرين وكان يجلس بجوارنا في الحرم بعض الحجاج من الشباب السوريين الذين جاؤوا للمشاركة في نحر الهدى فأنسوا به جداً وأنس بهم وأفادوا منه كثيراً، وفيهم أطباء وتجار وطلاب علم، ولكنهم يأتون بوصفهم جزارين، ليتمكنوا من الحج.

وفي حجته الأخيرة ذهبنا في اليوم الحادي عشر لرمي الجمار بعد صلاة الظهر، ووقفنا السيارة على بعد كيلو متر تقريباً، فمشى على قدميه وبعد أن مشى نصف المسافة أحس بتعب شديد ولعله من آثار مرض القلب الذي تبين أخيراً فاضطر للجلوس وكان ذلك بجوار مركز للشرطة فسارعوا وفقهم الله لخدمته بالماء وأعطوه برتقالة؛ لتزيد من نشاطه وعرضوا عليه أن يوصلوه بالدراجة النارية لكنه أبى، واستراح قليلاً ثم واصل المسير رحمته الله.



وأما عمره فإنه يعتمر كثيراً جداً وغالباً يعتمر في العام ثلاث مرات على الأقل عمرة رمضان وعمرة في الصيف ويكون عنده دورة علمية في مكة المكرمة وعمرة الحج، وهناك عمرة تكون عارضة أحياناً.

فإن كان في رمضان انطلق بعد العمرة لسكنه وتفرغ للعبادة كما ذكرنا من قبل.

وإن كان في الإجازة الصيفية سكن قريباً من الحرم وانطلق يومياً بعد العصر غالباً؛ لإلقاء دروسه، وقضى بقية الوقت في الحرم وفي السكن كالمعتاد. وإن كان للحج فإذا أنهى عمرته انطلق لمقر إقامته للبدء في إرشاد الحجاج وتوجيههم.

ومن أبرز عمره التي اعتمرها عمرته لما توفي الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فقد جاء مع الطائرة التي سيرها الأمير عبدالعزيز بن فهد لمن سيشارك في الصلاة على الشيخ، ولم يكن قد أخذ معه إحراماً، ولما وجد في الوقت متسعاً أحرم بثيابه حتى المشلع والشماع، ولما نزل للمطار عرضنا عليه أن نشترى له إحراماً، فلم يرغب في ذلك، وأكمل هو ومن معه العمرة بثيابهم وكانوا كثيراً، ولعله أراد أن يبين جواز ذلك، ولم يرد أن يكلفهم بالشراء بعد أن استقرت الفدية، وأمر الجميع بفديتين للمخييط وتغطية الرأس.

والعمرة الأخرى آخر عمرة اعتمرها في الحادي والعشرين من محرم من عام ١٤٢٠هـ وكان قد جاء لمكة المكرمة لمؤتمر الفتوى وضوابطها الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي خلال المدة من العشرين حتى الرابع والعشرين من شهر المحرم عام ١٤٢٠هـ وذلك في مقر الرابطة في مكة المكرمة، ونسبى هذه العمرة عمرة الوداع، وقد التقى فيها العلماء من مختلف دول العالم الإسلامي

حيث بلغ عددهم أكثر من مئتي عالم وفقهه، وكان من أبرز الحضور:

- ١- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ.
- ٢- الشيخ محمد بن عبدالله السبيل.
- ٣- الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الغديان رحمة الله.
- ٤- أ.د. أحمد بن علي سير مباركي.
- ٥- د. صالح بن عبدالله بن حميد.
- ٦- د. عبدالله بن محمد المطلق.
- ٧- د. عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.
- ٨- الشيخ محمد بن حسن بن عبدالرحمن آل الشيخ.
- ٩- د. عبدالله بن سعد الرشيد.
- ١٠- الشيخ عبدالله بن محمد بن سعد خنين.
- ١١- د. سعد بن ناصر الشثري.
- ١٢- د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس.
- ١٣- د. سعود بن إبراهيم الشريم.
- ١٤- د. سعيد بن مسفر القحطاني.
- ١٥- الشيخ عبدالله المحفوظ بن بيّه.
- ١٦- د. عبدالوهاب بن إبراهيم أبو سليمان.
- ١٧- د. عصام أحمد البشير أمين عام الهيئة العالمية للوسطية في الكويت.
- ١٨- الشيخ محمد رفيع بن المفتي محمد العثماني مفتي جمهورية باكستان.
- ١٩- د. محمد مصطفى الزحيلي أستاذ الفقه الإسلامي بجامعة الشارقة.
- ٢٠- د. إبراهيم محمد السلطيني مفتي مدينة حلب.
- ٢١- د. يوسف القرضاوي.



- ٢٢- الشيخ خليل محيي الدين الميس مفتي زحلة والبقاع الغربي.
- ٢٣- د. علي جمعة عبدالوهاب مفتي جمهورية مصر العربية.
- ٢٤- الشيخ أحمد المرابط المفتي العام للجمهورية الموريتانية.
- ٢٥- د. محمد حسن الددو رئيس مركز تكوين العلماء في موريتانيا.
- ٢٦- د. حمزة أبو فارس عضو هيئة التدريس في جامعة طرابلس - ليبيا.
- ٢٧- د. يوسف أبرام إمام المؤسسة الثقافية بجنيف.
- ٢٨- د. خالد سيف الرحمن أمين عام المجمع الفقهي الإسلامي الهندي.
- ٢٩- د. أحمد بن محمد هليل رئيس القضاة في الأردن.
- ٣٠- الشيخ محمد أحمد حسين مفتي عام للديار الفلسطينية، وخطيب المسجد الأقصى المبارك.
- ٣١- د. الله شكور باشا زاده شيخ الإسلام ومفتي أذربيجان.
- ٣٢- الشيخ الأمين عثمان الأمين مفتي دولة إريتريا.
- ٣٣- الشيخ عبدالسلام عظيمي رئيس القضاة في أفغانستان.
- ٣٤- د. أحمد الحداد كبير المفتين في إدارة الإفتاء في حكومة دبي.
- ٣٥- الشيخ سليم موتشا مفتي ألبانيا.
- ٣٦- الشيخ شعبان رمضان موباجي المفتي العام لجمهورية أوغندا.
- ٣٧- الشيخ محمد أسلم خدابخش رئيس المحاكم الشرعية في أوروبا.
- ٣٨- الشيخ شمس الدين ضياء أستاذ بالجامعة الإسلامية بفتية بنجلاديش.
- ٣٩- د. علي برادق أوغلو وزير الأوقاف والشؤون الدينية في تركيا.
- ٤٠- د. محمد المختار السلامي مفتي الديار التونسية سابقاً.
- ٤١- د. سعيد برهان مفتي جمهورية جزر القمر الاتحادية.
- ٤٢- د. أحمد لوح عميد الكلية الإفريقية للدراسات الإسلامية في داكار.

- ٤٢- الشيخ معمر زكروليتش رئيس المشيخة لإقليم السنجاق في صربيا.  
 ٤٤- الشيخ أحمد حمد الخليلي المفتي العام لسطنة عمان.  
 ٤٥- الشيخ شوقي درويش عمر باشيش مفتي جمهورية كرواتيا.  
 ٤٦- الشيخ نعيم بايزيد ترنافا مفتي كوسوفا.  
 ٤٧- د. داتو عبدالشكور حاج رئيس مجلس هيئة الفتوى بماليزيا.  
 ٤٨- الشيخ سليمان رجي أفندي مفتي مقدونيا.  
 ٤٩- د. عبدالوهاب لطف الديلمي وزير العدل السابق، في اليمن.  
 ٥٠- د. صلاح الصاوي رئيس الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية.

فكان اللقاء بهذه الثلة من العلماء أشبه ما يكون بالوداع، حيث أدخل المستشفى بعد خمسة عشر يوماً من عودته إلى الرياض.

وقد تخلل اللقاء تعارف وتشاور في كثير من القضايا مع كبار العلماء من العالم الإسلامي، وقد احتفى كثير منهم بالوالد رحمه الله وفرحوا به؛ لأنهم يعرفونه ويسمعون عنه ولم يلتقوه، لعدم خروجه إلى خارج المملكة ولقلة اشتراكه في المؤتمرات.

ومما ذكر لي إخوتي من عمره أنه في عام ١٣٩٠هـ ذهب إلى مكة المكرمة في رمضان ومكث عشرة أيام وكان معه والدتي ووالدتها، وعام ١٤٠١هـ اعتمر عمرة خفيفة مع والدتي ووالدتها وأخي محمد.

ولقد كان رحمه الله حريصاً على تطبيق السنة في الحج العمرة وكان يأخذ في ذلك بالعزائم كاملة دون توكيل أو إنابة أو ترخص قدر الإمكان.

فقد كان يحب أن يحرم من الميقات دائماً ويفتسل فيه ويتنظف ولو كان حديث عهد باغتسال، وبعد أن يصلي في المسجد يلبي بالنسك ثم يشرع في التلبية.



وقد سألت الوالد رحمة الله عن وقت الإهلال وأن الأحاديث في حجة النبي ﷺ تدل على أنه أهل لما ركب راحلته، فقال: أراد أن يبين للناس صفة الإهلال، والأصل أن الإنسان إذا لبس ملابس الإحرام أهل.

وإذا ركب السيارة أكثر من التلبية وكان يرفع بها صوته رحمة الله بخشوع وتذلل، وكان يلبي بتلبية النبي ﷺ: «لبيك اللهم، لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، كما يلبي ببعض الصيغ الواردة، ومما كان يقوله: «لبيك وسعديك، والخير بيدك، لبيك والرغبات إليك والعمل»، ويقول أيضاً: «لبيك حقاً حقاً تعبدًا ورقاً»<sup>(١)</sup>.

وهو يقول دائماً: إن التلبية شعار للحاج والمعتمر، فإذا أحرم بالعمرة فإنه يكررها إلى أن يبدأ في الطواف: لأن بدء الطواف بدء في أسباب التحلل، وإذا أحرم بالحج فإنه يكررها حتى يبدأ في الرمي؛ لأن بداهة في الرمي بدء في أسباب التحلل، يكررها في كل وقت، ولكن تتأكد في عشرة مواضع كانوا يحفظونها عن النبي ﷺ فكان يكبر إذا علا نشراً، يعني مكاناً مرتفعاً وإذا هبط وادياً، يعني مكاناً منخفضاً وإذا ركب دابته ومثلها السيارة وإذا نزل وإذا سمع ملبياً وإذا تلاقت الرفاق أو الركبان وإذا صلى مكتوبة وإذا أقبل ليل أو نهار وإذا فعل محظوراً ولو ناسياً.

والغالب أنه يتوجه للحرم مباشرة: ليطوف ويسعى مطبقاً السنة في ذلك بالاضطباع والرمل، ويحرص على مسح الركن اليماني غالباً؛ لأنه متيسر، أما الحجر الأسود فلا يقبله إلا إذا اعتمر في الأوقات التي يكون فيها سعة، وكان في إنشاء الطواف لا يفتر عن الذكر والدعاء، كما يقوم بالتوجيه والإنكار لما يراه من منكرات وبدع وغيرها، فينكر على الذين يتمسحون

(١) انظر شرح النووي على مسلم ١٧٤/٨.

بالكعبة وربما ناقش بعضهم بالأدلة إن كان يفقه ذلك، ويشدد في الإنكار على الرافضة الذين يدعون علياً والحسين وفاطمة، ويشدد على من يضايق الطائفتين بالصلاة خلف المقام مباشرة في وقت الزحام، ويحرص أن يصلي خلف المقام في وقت السعة، وفي وقت الزحام يصلي خلفه ولو بعيداً، ويدعو بدعاء طويل بعد ركعتي الطواف ثم يتوجه إلى زمزم قبل أن يذهب للمسعى. وفي المسعى يأتي بالذكر المشروع كاملاً مردداً له ثلاث مرات كما ورد في حديث جابر رضي الله عنه (١) وذلك كلما رقى الصفا والمروة، وكان يسعى بين العلمين سعياً شديداً حتى لا تكاد ندركه ولم يكن يركب العربات بل يسعى ماشياً إلا في السنتين الأخيرتين من عمره، وكان ذلك بعد إلحاح شديد.

وإذا انتهى من السعي دعا دعاء طويلاً، وكان يرافقه في بعض عمره وفي حجاته الأخيرة تلميذه البار الدكتور طارق الخويطر، وقد قام بتسجيل معظم أدعية الوالد رحمة الله في المناسك كلها.

ولم يكن يقصر من شعره أبداً وإنما كان يحلق بالموسى، إلا في عمرة الحج ليوفر الشعر لحجته، وكان يحث من معه على ذلك، ويقول: رحم الله المحلقين، رحم الله المحلقين، رحم الله المحلقين.

وهو يحرص دائماً على طواف الوداع في العمرة ويرى أن الاحتياط فعله خروجاً من الخلاف في وجوبه أو لكونه سنة مؤكدة على قول الجمهور (٢) وبعدهما ينتهي من طواف الوداع إذا تيسر له وقف بالملتزم داعياً بما تيسر؛ والملتزم: هو ما بين الباب والركن، ما بين الحجر الأسود والباب؛ روي أن فيه تستجاب الدعوة.

(١) أخرجه مسلم في باب حجة النبي ﷺ من كتاب الحج برقم /١٢١٨.

(٢) الفتوى رقم /٦٣٦١.



وصفة التزامه: أن يضع يديه عليه، وإذا قدر وضع صدره، أو خده عليه، ثم يدعو بما ورد، فيقول: «اللهم، هذا بيتك، وأنا عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، حملتني على ما سخرت لي من خلقك، وسيرتني في بلادك، حتى بلغتني بنعمتك إلى بيتك، وأعنتني على أداء نسكي، فإن كنت رضية عني فازدد عني رضا، وإلا فمَنْ الآن عَلَيَّ، وهذا وقت انصرافي، إن أذنت لي غير مستبدل بك سواك، فقبل أن تنأى عن بيتك داري، اللهم فأصحبني العافية في بدني، والصحة في جسمي، والعصمة في ديني، وأعطني طلبتي، وارزقني طاعتك ما أبقيتني، واجمع لي بين خيري الدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير، ثم يصلي على النبي ﷺ.

وأما الحج فإنه في الغالب يصل إلى مخيم الحج في اليوم السابع، ويبدأ في توجيه الحجاج وإرشادهم، كما ستأتي الإشارة إليه بعد إن شاء الله تعالى. ويحرم بالحج قبل الظهر من اليوم الثامن؛ ليصلي بإحرامه خمس صلوات كما هي السنة، وكان يلوم من يراه من الحجاج يتأخر في الإحرام، وبعد الإحرام يمارس برنامجه المعتاد.

وفي صباح يوم عرفة يتجه إلى عرفات ملبياً، وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ينهي رفقته عن العجلة والمزاحمة، وكان ينزل في خيمة خاصة به، أو في مخيم الجهة التي جاء معها.

ومع أنه كان ينزل في داخل الأميال، لكنه يرى أن الحدود التي هي حدود عرفة فيها شيء من الاحتياط<sup>(١)</sup> وإلا فهي واسعة تمتد شمالاً وجنوباً نحو عشرة كيلو مترات، وكذلك أيضاً شرقاً وغرباً تمتد إلى الجبال الشرقية وإلى الجبال الغربية أو قريباً منها ويستثنى منها الوادي الذي هو بطن عرنة.

(١) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=3&book=71&toc=4642&page=4184&subid>

وفي عرفة يتفرغ للدعاء إلا ما يكون من إلقاء كلمات توجيهية ووعظية قبل الظهر أو بعده.

وكان يخرج في خارج الخيمة ويقول للناس: اخرجوا ويذكر قول ابن عمر حينما أبصر رجلاً على بعيره وهو محرم قد استظل بينه وبين الشمس، فقال له: «أضح لمن أحرمت له»<sup>(١)</sup> يعني لا تستظل.

وكان يكثر ويحث على الإكثار من قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ويروي ما نقل عن الحسين بن الحسن المروزي<sup>(٢)</sup> وكان جاور بمكة المكرمة حتى مات، قال: سألت سفيان بن عيينة عن تفسير قول النبي ﷺ: أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وإنما هو ذكر ليس فيه دعاء؟.

قال سفيان: سمعت حديث منصور عن مالك بن الحارث؟ قلت: نعم، قال: ذلك تفسير هذا ثم قال: أتدري ما قال أمية بن أبي الصلت حين أتى ابن جدعان يطلب نائله ومعروفه؟ قلت: لا، قال: لما أتاه قال:

أذكر حاجتي أم قد كفاني حباؤك إن شيمتك الحياء  
إذا أثنى عليك المرء يوماً كضاه من تعرضك الثناء

قال سفيان فهذا مخلوق حين ينسب إلى الجود قيل يكفيك من تعرضك الثناء عليك حتى تأتي على حاجتنا، فكيف بالخالق؟

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في باب من استحب للمحرم أن يضحى للشمس من كتاب الحج برقم / ٨٩٧٤.  
(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم / ٥٧٥.



فيقول الوالد رحمته الله: كأنهم يستحبون أن يأتوا بهذا الشعر؛ لأن فيه إظهار الضعف والافتقار لله تعالى ولو كان الشاعر وجهه إلى آدمي، فأنت إذا قلت: يا رب، لا حاجة إلى أن أذكر حاجتي، وأنت أعلم بما أحتاج، فأعطني حاجتي من غير سؤال، أثني عليك، وأذكرك، وأمدحك بما أنت أهله، فيكفيني أن أمدحك، وأثني عليك، ويكفي ذلك في قضاء حوائجي في دنياي، وفي آخراي.

وكان يبتهل في الدعاء قائماً وقاعداً وقد رأيتَه في السنتين الأخيرتين يقرأ بعض الأدعية من أحد الكتب، والا فمعظم دعائه ارتجال، يطيل في ذلك ولا يتحدث مع أحد، إلا إن سأله سائل فيجيبه باختصار، ويبقى على هذه الحالة إلى قرب الغروب حيث يتوجه للسيارة استعداداً للنفرة من عرفات.

يقول د. محمد بن عدنان السمان<sup>(١)</sup> وقد صحبه في إحدى حجاته رحمته الله: «بعد أن وصلنا إلى عرفات كان أول ما أمرنا به أن نستعد للصلاة، فصلينا الظهر والعصر، ثم أوصى القائمين على الحملة بسرعة وضع طعام الغداء؛ لتفريغ للعبادة والدعاء، وقد اجتمعنا معه رحمته الله في مكان واحد قبل الغداء فوالله إن أكثر الناس كانوا يتحدثون فيما بينهم ويتسامرون استعداداً للطعام وكان رحمته الله تتحرك شفاهه بذكر الله انشغل بذلك عن الحديث مع الناس، وقد رأيتَه رحمته الله قام بعد الغداء واستقبل القبلة يدعو وكان الحر شديداً حتى أننا كنا نرفع أيدينا بالدعاء فيرهقنا الحر فنرتاح لفترة، وكنت أنظر إليه فوالله لقد كان رحمته الله على حاله التي بدأ فيها بالدعاء رافعاً يده حتى تحركنا لمزدلفة، فتعجبت كثيراً من رجل بمثل سن الشيخ وعمره كيف يصبر على مثل هذه العبادة مع وجود المشقة الظاهرة والحر الشديد».

(١) <http://www.alsunnah.net/vb/showthread.php?t=2213>

وفي الطريق إلى مزدلفة لا يتوقف عن التلبية إلا نادراً حتى إذا وصل المزدلفة بدأ بالصلاة قبل كل شيء، ثم تعشى ثم اضطجع، وبعد صلاة الفجر يجلس في مصلاه يذكر الله حتى الإسفار تطبيقاً للسنة ثم يتوجه إلى جمرة العقبة.

وهو رَمَى يرمي الجمار بنفسه في الوقت المسنون، حيث يرمي جمرة العقبة ضحى يوم العيد بعد قفوله من عرفات، ويرمي الجمرات الأخرى بعد الزوال وقبل الغروب، ولم يكن يرمي في الليل إلا قليلاً، ولا أتذكر أنه وكل في رمي الجمار لا في العقبة ولا في غيرها، بل إنه نزل مع الدرج الطويل المعروف قديماً الذي ينزل من الجبل إلى الجمرات سنوات عدة، فإذا رمى حلق شعره عند الجمرات ثم رجع إلى المخيم، وكان قديماً يذهب لحضور نحر هديه، ولما تولى البنك الإسلامي موضوع الهدى أصبح يوكلهم أو يوكل بعض الإخوة في مكة المكرمة.

وفي منى يمارس نشاطه المعتاد ويذهب لطواف الإفاضة في ليلة الثاني عشر لقلعة الزحام ولا يؤخره مع الوداع، فيذهب غالباً في الساعة العاشرة ولا يعود إلا في الثانية صباحاً.

ولا أذكر أنه تعجل في شيء من حجاته سوى ما ذكره عن الحجة الأولى، بل دائماً يرمي الثالث عشر ثم يطوف للوداع ويقفل راجعاً للرياض.

وهو في معظم وقته في الحج إذا لم يكن مشغولاً بعبادة أو تعليم، كتابه في يده في جميع المشاعر، حيث يستغل وقت الفراغ في القراءة في بعض كتبه التي ستطبع، أو فحص بعض الكتب التي يطلب منه مراجعتها.

وبعد أن قامت الدولة بفتح المجال لتنظيم حملات الحج لمن هم في داخل المملكة، أصبح الوالد يرافق بعض الحملات كما ذكرنا، ويعرف كل من حج معه رَمَى أكثر دروسه ومحاضراته في مخيمات الحجاج، فمع قيامه





بمسؤولية المخيم الذي يحج معه، من كلمات توجيهية واجابة السائلين عن فتاواهم ومشكلاتهم، فإنه يلبي دعوات في المخيمات الأخرى ويدعوه كثير من الحملات والقطاعات الحكومية.

وكان ينظم له جدول حافل في الحج يمر فيه على كثير من حملات الحج المهمة كحملة الإحسان والفرقان والركن الخامس ومخيم العطير ومخيمات وزارة الدفاع والداخلية وغيرها كثير، فيكون عنده في اليوم الواحد خمسة برامج أو ستة غالباً، كما أنه في اليوم السابع قبل ذهابه لمنى تستضيفه حملة الياسين من الكويت في مقرهم بالعزيرية.

ومعظم ذهابه للحملات في منى يكون مشياً على الأقدام مع أن أصحاب الحملات يحرصون على توفير وسيلة النقل، لكن ما إن يركب وتسير السيارة قليلاً حتى تقف بسبب الزحام فيضطر للنزول والمشي على قدميه، وقد عرضوا عليه أن يركب الدراجة النارية فأبى استحياء.

وقد خففنا عنه في السنتين الأخيرتين من الذهاب للحملات رفقاً به رحمة الله، وأصبح نشاطه في مخيم الحرس الوطني، ولكنه نشاط مكثف.

يقول الدكتور طارق بن محمد الخويطر<sup>(١)</sup> وقد رافق الوالد رحمة الله سبع سنوات في الحج: «لاحظت عليه كثرة دروسه ومحاضراته وكلماته، ففي أيام الحج القليلة كان له جدول كامل في مصلى الحرس الوطني، يلقي فيه كلمات ومحاضرات؛ بعد الفجر، والعصر، والعشاء، وأحياناً بعد الظهر، وبعد المغرب، وكنت بعد انتهاء كلمته أعرض عليه من الأسئلة التي يقدمها الجلوس من الحجاج الذين أتوا إلى معسكر الحرس الوطني، فكان يجلس بعد صلاة

(١) <http://www.al-jazirah.com/96916/rj5.htm>

الفجر إلى ما بعد الإشراق في كلمته، ثم ألقى عليه الأسئلة، ثم بعد أن تنتهي الإجابات يجلس في المصلى؛ ليستمع لبعض أسئلة الحضور الذين لم يتمكن من عرض أسئلتهم عليه.

وبعد ذلك يذهب إلى خيمته ليرتاح قليلاً، ثم يجلس في الساعة التاسعة للإجابة عن الأسئلة التي تلقى عليه من زوار المخيم، وقد وُضع أيضاً عنده جهاز الهاتف ليرد على أسئلة المتصلين، وكان بعض الدعاء في المخيم إذا أشكل عليهم شيء راجعوا سماحته في الأسئلة، فيوضحها لهم.

ومن الأشياء التي استفدتها من الشيخ رحمه الله في الحج: حرصه على تطبيق السنن وتركه للرخص، أذكر مرة أننا في ليلة الثاني عشر ذهبنا إلى رمي الجمار، فخرجنا من مخيم الحرس متجهين إلى الجمار في الساعة العاشرة مساءً تقريباً، ثم ذهبنا بعد ذلك إلى الحرم وخرجنا منه بعد أدائنا لطواف الإفاضة وسعي الحج في الساعة الثانية عشرة مساءً، وركبنا إحدى السيارات التي يركبها عامة الناس، وفي الطريق توقف السير من زحمة السيارات وجلسنا قرابة نصف ساعة أو ساعة إلا ربعاً ننتظر انفتاح هذا الطريق، فقال: مشينا على الأقدام وخرجنا من السيارة أفضل من جلوسنا دون فائدة، فنزلنا من السيارة، ومشينا معه، وكان يعرف الأماكن والمناطق، ولم أعرف الطريق إلى المخيم بسبب الزحام الشديد، فتبعت سماحة الشيخ وهو يذهب يميناً وشمالاً حتى وصلنا إلى المخيم في الساعة الرابعة صباحاً، وبقي على أذان الفجر ساعة وقليل، وكان عنده كلمة بعد صلاة الفجر، فعرضت عليه أن نؤخر الكلمة إلى صلاة الظهر، ونجعل الشيخ سعد بن ناصر الشثري يقدم درسه إلى الفجر، فقال: لا يحتاج الأمر إلى تقديم، وإنما يعيننا الله. وهذه كلمة كان يرددها دائماً، وهي تدل على صدق توكله رحمه الله.



فاقترحت عليه ألا يلقي كلمة، وأن يكتفي بالإجابة عن الأسئلة، فرفض، وألقى الكلمة في قريب من الساعة، ثم قرأت عليه الأسئلة».

وأما في عرفات فإنه يقتصر على الموعظة في المخيم الذي هو فيه، وقد اجتمع سنوات عدة في عرفات مع الشيخ أبي بكر الجزائري في حملة الشيخ سليمان اليجي، وكانا يتناوبان الوعظ في ذلك اليوم، فلا تسأل عن تأثير الناس وبكائهم؛ لأن كل واحد من الشيخين، يعصر بكلامه القلوب، ويستمطر الدموع.

ومن خلال الحج معه سنوات عدة لاحظ أن كلماته في عرفات تكون موعظة مؤثرة جداً.

وأما زيارة المسجد النبوي فكل زيارته عرضية ولا أذكر أننا شددنا الرحال له من الرياض وإن كانت مشروعة ولكنه غالباً يزوره كل عام وبخاصة في السنوات السبع الأخيرة فإن له دورة علمية صيفية سنوية في جامع عبداللطيف آل الشيخ، فيمكث في المدينة المنورة أسبوعاً يصلي معظم الصلوات في الحرم ويلقي درساً بعد الفجر وبعد العصر، ويحرص كلما زار المدينة المنورة على الصلاة في مسجد قباء، وزار كثيراً من معالم المدينة كأثار البراكين ومقبرة الشهداء ومطبعة المصحف النبوي، ويلقي كلمات في بعض الدوائر الحكومية كالحرس الوطني والسجون وغيرها.

### الذكر والدعاء

توافرت الآيات والأحاديث على فضل الذكر والدعاء وقراءة القرآن وهي مشهورة معروفة، منها قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقد أخرج البخاري في صحيحه

عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت»<sup>(١)</sup>، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»<sup>(٢)</sup>.

ولقد كان الوالد رحمته الله يحرص على هذه العبادة العظيمة؛ لعلمه بأهميتها وما تجلبه للعبد من خيري الدنيا والآخرة، وقد نقل بعض طلاب الشيخ ومحبيه كثيراً من المواقف التي تدل على حرصه على هذه العبادة، وقد مر بنا في الكلام عن الصيام والحج بعض ما يتعلق بذلك.

وهو يوجه دائماً إلى فهم معنى الأذكار والأدعية كالتهليل والتسبيح والاستغفار والتحميد والتكبير والحوقة حتى يكون لها تأثير، وإلى استحضر القلب؛ لأن تأثير الذكر وثوابه إذا كان بالقلب واللسان أعظم مما يكون بأحدهما ثم يليه ما كان بالقلب ثم ما كان باللسان، وهكذا إن تفكر في معانيها وشغل قلبه بها ولو كان ساكناً فله أجره بقدر عمله<sup>(٣)</sup>.

ويقول: إن الدعاء يطلق شرعاً على: دعاء العبادة ودعاء المسألة، وهما متلازمان<sup>(٤)</sup>:

فدعاء العبادة: هو فعل كل الطاعات، وأداء جميع القربات امتثالاً لأمر الله، وتقرباً إليه، وهو متضمن دعاء المسألة، فإن المصلي داع بلسان الحال يقول: أريد من فعلها مغفرة الله وجنته، فهو سائل في الأمر نفسه.

(١) باب فضل ذكر الله من كتاب الدعوات برقم/ ٦٤٠٧.

(٢) أخرجه الترمذي في باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء من أبواب القدر برقم/ ٢١٣٩.

(٣) الفتوى رقم ٩٥٤٥.

(٤) ذكر هذا في كثير من دروسه ومحاضراته رحمته الله ومنها في أول كتاب الصلاة من شرح التسهيل في الفقه.



أما دعاء المسألة: فهو السؤال والطلب. كسؤال الجنة والتعوذ من سخط الله، ومن النار ونحو ذلك، وهو لا بد مستلزم لدعاء العبادة، فإن حقيقة العبادة السذل والخضوع، والتواضع والإذعان، فالذي يدعوربه يسأله حال تذلل وخشوع وإنابة وإخبات.

وأما الذكر: فكل شيء يذكر بالله من الأقوال والأعمال؛ فذكره بالتهليل والتكبير والتعظيم والتحميد والاستفجار، وذكره بذكر أسمائه وصفاته؛ فله سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العلى، وذكره بذكر أفعاله؛ بتذكر خلقه لنا، وخلقته للمخلوقات.

وبعد هذه المقدمة سأنتقلك إلى بعض الجوانب المهمة من حياته التي تتعلق بالذكر والدعاء وقراءة القرآن.

فأما الأذكار فقد كان رَحْمَةُ اللهِ محافظاً على جميع أنواع الذكر، كأذكار الصباح والمساء، والذكر بعد الصلاة، والأذكار الخاصة ببعض المناسبات، كأذكار السفر والركوب والدخول والخروج من المنزل والمسجد وغيرها.

كان رَحْمَةُ اللهِ يجلس في مصلاه بعد أداء الفريضة ولا يقوم حتى يتم جميع الأذكار الواردة؛ بل كان يجلس بعد صلاة الفجر إذا لم يكن عنده درس حتى تشرق الشمس ويصلي ركعتين لما ورد في ذلك من الفضل.

وقد عُرف عنه رَحْمَةُ اللهِ أنه كان يعقد التسبيح بكلتا يديه، وهو رأي رَحْمَةُ اللهِ في هذه المسألة خلافاً لمن يرى أن التسبيح يكون باليمين فقط، وقد سبقت المسألة وفصلت الكلام فيها في أثناء الحديث عن الفتاوى المشهورة عنه رَحْمَةُ اللهِ.

وأما الدعاء فإن له رَحْمَةُ اللهِ معه أحوالاً عجيبة، فهو كثير الدعاء في كل الأحوال والأوقات يهتم لذلك ويطلب فيه، يدعو بعد الصلوات وفي رمضان وفي الحج ويحرص في محاضراته ودروسه على أن يختم بالدعاء.

وقد اشتهر عنه رحمته الله أنه كان يرفع يديه عند الدعاء في جميع المواطن <sup>(١)</sup>، فهو رحمته الله يرفع يديه ويدعو، وهو يخطب على المنبر وذلك في جميع الدعاء وليس في دعاء الاستسقاء فقط، ويرفع يديه للدعاء بعد الصلوات النوافل، وبعد دفن الجنابة، وقبل صلاة الفجر وبعدها، وفي جميع المواطن التي يشرع فيها الدعاء، هكذا كان رأيه رحمته الله، وكان يقول: «رفع اليدين سبب من أسباب إجابة الدعاء، كما في حديث سلمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن ربكم حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً» <sup>(٢)</sup> يعني: خاليتين، وثبت في حديث أنه صلى الله عليه وسلم: «كان رافعاً يديه يدعو، وخطام الناقة في يده اليمنى، فسقط منه الخطام، يقول الراوي (فرأيتاه رافعاً يده اليسرى وقد مد يده اليمنى، ليتناول الخطام)» <sup>(٣)</sup> ما يدل على أنه استمر في رفع يديه، أي: طوال ذلك الوقوف رافعاً يديه، وهو من أسباب إجابة الدعاء.

وفيه أحاديث كثيرة، قيل: إنها بلغت سبعين حديثاً، وفيها تأليف للمنزري، وجمع منها السيوطي اثنين وأربعين حديثاً عن جماعة من الصحابة، ورسالة السيوطي اسمها: فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين في الدعاء، وهي محققة ومطبوعة، ويدل مجموعها على أن رفع اليدين متأكد في الدعاء، وأما حديث أنس: (لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يديه، إلا في الاستسقاء) <sup>(٤)</sup> فيريد المبالغة، فإنه كان إذا استسقى على المنبر رفع يديه حتى تكون على رأسه مبالغة في ذلك، فأما في حال الدعاء مطلقاً فإنه يرفعهما إلى صدره، وقد ورد ذلك في حديث: (أنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يرفعهما أكثر من الصدر) <sup>(٥)</sup>.

(١) انظر الفتاوى رقم ٣٦٢ ورقم ٩٢٢.

(٢) أخرجه أبو داود في باب الدعاء من كتاب الوتر برقم ١٤٩٠.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند من حديث أسامة بن زيد برقم ٢١٨٧٠.

(٤) أخرجه البخاري في باب رفع الإمام يده في الاستسقاء من كتاب الاستسقاء برقم ٩٨٤.

(٥) أخرج ابن المنذر في "الأوسط" ٢١٣/٥، حديثاً برقم ٢٧٢٣، "عن عبد الله أنه كان يرفع يديه في القنوت إلى صدره".





ومما اشتهر به أيضًا أنه كان يمسح وجهه بعد الانتهاء من الدعاء دائماً؛ سواء كان دعاؤه وهو يخطب على المنبر، أو في مواضع أخرى، وهذا خلاف لمن يقول: إن مسح الوجه بعد الدعاء بدعة<sup>(١)</sup>، وذكر الحافظ حديثاً له شواهد في آخر «بلوغ المرام»، وذكر أنه بإسناد حسن، وبالتتبع بلغت سبعة أحاديث عن سبعة من الصحابة، كان يرفع يديه ويمسح وجهه بيديه بعد الدعاء. والذين أنكروه كأنهم لم يتتبعوا طرق الأحاديث.

أيضاً ورد مسح الوجه عن كثير من الصحابة من فعلهم، فقد كانوا يمسحون وجوههم بأيديهم بعد الدعاء، وذكر الحكمة صاحب «سبل السلام» فقال: إنه إذا رفع يديه فلا بد أن يكون بهما خير ورحمة وغفران، فأولى أعضائه بهذه الرحمة وجهه، فيمسح وجهه حتى يبيض وجهه يوم تبيض وجوه.

وقد ذكر السيوطي في كتابه المذكور خمسة أحاديث في ذلك ومما كان يورده الوالد أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دعا أحدكم فرفع يديه فإن الله تعالى جاعل في يديه بركة ورحمة فلا يردهما حتى يمسح بهما وجهه»<sup>(٢)</sup>.

وكان الوالد رحمه الله يحرص على الدعاء أحياناً بين الأذان والإقامة، وخاصة في صلاة الفجر بعد أن يؤدي السنة الراتبة؛ فإنه يجلس محتبياً ويرفع يديه ويدعو دعاءً طويلاً، قد يصل إلى خمس عشرة دقيقة، وقد سألته مراراً عن شرعية ذلك، فذكر لي سنته، وقال لي: إن الدعاء بين الأذان والإقامة في صلاة الفجر خاصة مشروع.

(١) انظر الفتوى رقم ٣٩٠٤.

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء في باب مسح الرجل وجهه عند الفراغ من الدعاء برقم ٢١٤.

ولعله يشير إلى ما رواه الطبراني في الدعاء<sup>(١)</sup> عن ابن عباس، قال: بعثني العباس رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته ممسياً وهو في بيت خالتي ميمونة رضي الله عنها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل، فلما صلى الركعتين قبل الفجر قال: «اللهم، إني أسألك رحمة من عندك... الحديث».

ومع تضعيف بعض العلماء للحديث ولكنه رحمته الله ربما رأى أن في طريقه الكثيرة ما يقويه، وهو رحمته الله يرى العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والمواظب، فقد قال في إحدى الفتاوى<sup>(٢)</sup> التي سئل فيها عن الحديث الضعيف: يُعمل بالحديث الضعيف في المواظب وفضائل الأعمال بثلاثة شروط: أولها ألا يكون الضعف شديداً، كالموضوعات فلا تذكر إلا على وجه البيان، والشرط الثاني أن تدخل تحت قاعدة عامة كفضل الصلاة وفضل الجهاد وفضل النفقة ونحو ذلك، الشرط الثالث: ألا يعتمد صحتها عند العمل بها حتى لا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله. والله أعلم.

وإذا شكك له أحد مرضاً أو بلاء حثه على الحرص على الإتيان بالأوراد والأذكار في الصباح والمساء وعند النوم، فهي تكون سبباً في حفظه بإذن الله من إصابة عين أو سحر أو مس أو مرض أو تسليط شيء من الدواب أو السباع أو الناس. وإذا قدر الله شيئاً فإنه يحصل في غفلة من ذلك الإنسان عن تلك

(١) باب الدعاء بعد ركعتي الفجر برقم /٤٨٢، وأصل الحديث في الترمذي في باب ما جاء ما يقال إذا قام من الليل من كتاب الدعوات برقم /٣٤١٩ عن داود بن علي عن أبيه، عن جده ابن عباس، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته: «اللهم، إني أسألك... الحديث» ولم يذكر فيه أن الدعاء بعد ركعتي الفجر، قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه مثل هذا من حديث ابن أبي ليلى إلا من هذا الوجه، وقد روى شعبة، وسفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن كريب، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم بعض هذا الحديث، ولم يذكره بطوله.. قال الألباني رحمته الله في ضعيف سنن الترمذي ٤٤٧/١: «ضعيف الإسناد».

(٢) الفتوى رقم /٦٥٤٨.





الأوراد، فتكون الإصابة مُترتبة على نسيانه لتلك الأدعية، ذكر بعض العلماء أنه كان محافظاً على قوله في كل مكان: أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق، يقول فلم يُصبني شيء، وفي ليلة لدغنتي عقرب فتذكرت أني نسيت ذلك الدعاء. وأما حاله مع القرآن الكريم فإن القرآن راحته وروحه ولقد ذكرت قبل ملازمته للقرآن حتى استظهره وأنه كان يمكث في المسجد قريباً من عشر ساعات، ولما أكمل حفظه ابتدأ يكرره وكان يختمه في كل ثلاثة أيام<sup>(١)</sup>.

وهو رحمته في وقته كله في عبادة. سواء كان في المسجد أو في المنزل أو في السيارة، فهو إما في درس أو فتوى أو فائدة أو يقرأ في كتاب، فإذا لم يشغل بشيء من ذلك اشتغل بالقرآن، وأراه في رمضان لا تكاد شفتاه تقفان عن القراءة لكتاب الله.

تقول أختي هيا: «إذا كنا في الطريق فإنه يأخذ كتباً، أما إذا صار سفرنا في رمضان إلى مكة المكرمة فإنه وإن أخذ كتباً فإنه طول الطريق يقرأ القرآن الذي يحفظه عن ظهر قلب.. كنت أحياناً أراقبه وأقول في نفسي: غير معقول.. لا بد أن يغلط أو يتردد في آية ما.. لكنه يستمر يقرأ بصوت خافت وهو ينظر إلى الطريق حتى يأتيني النوم. وأحياناً أستيقظ وهو على حالته تلك».

وقد ذكرت في الكلام عن جولاته الصيفية القصة التي ذكرها عبد الرحمن ابن العم ناصر، وهو قد لازم الوالد رحمته في السنوات الثلاث الأخيرة من حياته وفيها أنه صحب الوالد رحمته في عام سبع وعشرين لمكة المكرمة في الصيف يقول: «وكنت أتيت معي بمسجل لأسجل أحاديث الشيخ وقصصه العجيبة، فلما وصلنا الطريق الدائري للرياض بدأ الشيخ يقرأ القرآن وما قال لي كلمة واحدة حتى إني استوحشت ... إلخ».

(١) «صفحات من حياتي، الحلقة الثانية.

ويقول الوالد رحمه الله<sup>(١)</sup>: «في هذه الأزمنة انشغلنا كثيراً وشفغلنا عن مراجعة القرآن، أتذكر قبل أربعين سنة أو نحوها في حدود ١٣٨٦ هـ أو قبل ذلك أنني كنت أختتم القرآن في كل أسبوع وأواظب على ذلك، ولكن في هذه الأزمنة مع كثرة الأعمال لا يتيسر ختمه إلا في كل عشرين يوماً أو قريباً من ذلك.

عندنا تصحيح كتب يأتي بها كثير من الإخوة يرغبون أن نقدم لها وأيضاً من مؤلفاتنا وذلك لأن بعض الإخوة يسجلون لنا محاضرات ودروساً ونحتاج إلى مراجعة ذلك حتى تصحح وتطبع وكذلك نحتاج إلى المطالعة لبعض الدروس وبعض المسائل التي نشغل بها، وكذلك نجعل وقتاً للأسئلة الهاتفية؛ لكثرة الذين يحتاجون إلى الإجابة عن أسئلة الهاتف بعد العصر وبعد الظهر وأحياناً بعد العشاء وتأخذ وقتاً ولو جلسنا عند الهاتف لما تفرغنا لكثرة الذين يتصلون عندهم أسئلة وعندهم مشكلات وهكذا أيضاً كثرة المراجعين الذين عندهم مشكلات والذين يريدون أن نشفع لهم أو نخفف عنهم بعض ما وقعوا فيه من الأزمات، هذه كلها تأخذ وقتاً والانود أن نعود إلى ما كنا عليه لنقرأ القرآن كل أسبوع وكل عشرة أيام واللّه المستعان».

وهو يرى مشروعياً دعاء الختمة بعد ختم القرآن، سواء ختمه ليلاً أو نهاراً يقول<sup>(٢)</sup>: «إن كان في صلاة التراويح فختمه في أثناء الصلاة دعا بالدعاء وإن ختمه في آخرها أتى بالدعاء وإن أخره فختم في صلاة الوتر دعا بالدعاء قبل الركوع، وليس هناك دعاء محدود وهناك أدعية ذكرها النووي في كتاب التبيان، وهناك دعاء مطبوع ينسب لشيخ الإسلام ابن تيمية، ويسن الدعاء به، وبما يلحق به، واستحب بعض العلماء أن يختم أول الليل؛ لأن الملائكة تستغفر له بعد الختمة إلى آخر الليل».

(١) قصتي في طلب العلم.

(٢) الفتوى رقم ٩٠٢.



القِيمُ السَّالِفِينَ

شيخ الأمة

- مكانة الشيخ
- مؤسسة متكاملة
- الباب المفتوح
- العمل الخيري
- الشيخ المحتسب
- في قلب الحدث
- مع المجتمع
- وللعيد طعم آخر



## شيخ الأمة

كان حديثنا في القسم السابق عن علاقة الشيخ رحمة الله بربه جل وعلا، وقد تابعتنا زورقه الذي طوف كل بحار العبادة في خشوع وسكينة، تجللهما العقيدة السلفية والسنة المحمدية، وفي هذا القسم سنبحر مع الشيخ رحمة الله في علاقته بالناس، ومما يمتاز به الكبار أنهم شيوخ للأمة ليسوا شيوخ طائفة أو نحلة أو مذهب أو طريقة أو جماعة أو حزب أو غيرها من وسائل تشرذم الأمة وتفككها. وقد تأثر الشيخ الوالد رحمة الله كما ذكرنا بشيخه ابن باز رحمة الله: لما كان يراه من حرصه على العلم والتعليم والعبادة ومواظبته على الأعمال والسنن<sup>(١)</sup>.

وكان الشيخ ابن باز رحمة الله قد سلك مسلك التوسط في جميع الأمور، ومحاولة جمع كلمة المسلمين عامة وطلاب العلم منهم بخاصة، وهذه الطريقة لم يحتج لها مشايخه السابقون؛ لكون علماء نجد إذ ذاك لم يختلطوا بغيرهم، ولم تصلهم رياح الاختلاف.

كان الوالد رحمة الله شيخاً للأمة، لم يؤطر نفسه في جماعة، ولهذا تجد أن كثيراً من الجماعات يعتقدون محبته لهم ونصرته لهم، بل ربما تجد أرباب المذاهب والأفكار والجماعات يختلفون في تصنيفه؛ لأنه مع الجميع ناصحاً وموجّهاً ومرشداً ومؤيداً.

وإذا كانت الحدة تغلبه أحياناً وقد يقسو على بعض الفئات من أهل السنة لكنه لا يحمل في قلبه ضغينة ولا بغضاً ولا حسداً ولا عداوة، وسيأتي في هذا القسم والذي بعده ما يكشف ذلك إن شاء الله.

(١) قصتي في طلب العلم - جامع الصانع



سأتحدث في هذا القسم - إن شاء الله - عن علاقة الشيخ الوالد رحمة الله بالمجتمع، سواء في مجال نفع الناس بالشفاعات والإصلاح والمساعدة المادية والمعنوية، أو في مجال صلة الناس ومحبتهم وتقديرهم ومواساتهم ومشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم، أو في مجال دعم العمل الخيري المنظم عبر المؤسسات والجمعيات الرسمية، أو في مجال الاحتساب والمساهمة في صيانة المجتمع والمحافظة عليه من الأخطاء والأخطار بالتواصل مع ذوي الولاية، أو بتوجيه العامة وطلاب العلم.

كما سأحدث عن علاقة الشيخ الوالد رحمة الله بالعالم الإسلامي وتفاعله مع الأحداث ونصرته لقضايا المسلمين ودفاعه عنها.

سيتبين لك أن الشيخ الوالد رحمة الله مؤسسة متكاملة، بل يقوم بأكثر مما تقوم به بعض المؤسسات تسديداً من الله له وتوفيقاً.

وسنقدم قبل ذلك بمقدمة عن مكانة الشيخ الوالد رحمة الله في قلوب المسلمين من الولاة والعلماء وطلاب العلم والعوام، مما سيؤكد لك أنه شيخ للأمة رحمة الله رحمة واسعة.

### مكانة الشيخ

قدمنا هذه النقطة قبل عناصر هذا القسم، وإن كان حقها التأخير؛ لأنها كالنتيجة لما بعدها، لأن الحديث عن مكانته يعطي القارئ تصوراً أن شيخاً بهذه المكانة وإماماً بهذا القدر لا بد أن يكون له من الفعال والخصال ما يجعله يتبوأ هذه المكانة، ويحل في هذه المرتبة، بل يتسنى من المراتب أعلاها ومن الأماكن أولاها.

«الحق الذي لا مرية فيه أنه بعد وفاة شيخه ابن باز أصبح عالم الرياض الأكبر، ومفتي الناس، ومعلم الناس الخير، الشيخ الذي يتترس الشباب الأقوياء بفتاواه ومواقفه ويكون أولهم في الصف»<sup>(١)</sup>.

هذه العبارة ليست من كلامي كما تشاهد في الهامش، فإنها وإن كانت صحيحة فليست مناسبة من مثلي بحكم قرابي من الوالد رحمته الله، ولكني أعتقد صوابها وأرى منها ما لا يراه البعيد من الناس، وقد جاء في كلام الشيخ خضر حفظه الله وكلامه درر قوله عن الوالد رحمته الله: «لم يأبه للمناصب الرسمية، وكثير من الناس يصفونه بمناصب تشرف به، وينعتونه بها من حسن ظنهم بنزاهة المناصب ومن يتولاها، لكنه لم يعين فيها أصلاً، بل ليس له منصب رفيع إلا في قلوب الناس، فهو خطيب لجامع عادي في الرياض، وعضو إفتاء متقاعد فقط، هكذا بدون زيادة، شغل منصب معلم في معهد في الرياض سنين طوال، وهذا المعهد إنما تعادل شهادته الثانوية، ونقلت خدماته للجامعة على كبر سنه، فلم يمكث فيها إلا بضع سنين.

ثم طلبه شيخه ابن باز ليكون معه في رئاسة الإفتاء بمرتبة مفت يرد على الهاتف ويجيب على الأسئلة الشفهية ويراجع البحوث قبل نشرها بمجلة الإفتاء، لم يكن ذا منصب رسمي كبير في رئاسة الإفتاء مثل بقية الشيوخ، ولكنه إذا دخل مكتبه تقاطر الناس عليه كما يتقاطرون على مواقع الربيع والخير، فكان هو زينة للمنصب، وبقي رفيع الجاه والمكانة عند الناس».

فالشيخ رحمته الله له مكانة واحترام في قلوب الخلق صغاراً وكباراً رجالاً ونساءً من جميع المستويات والجنسيات، بل إن مهابته تجعل من لا يعرفه يقدره.

(١) خضر بن صالح بن سند، عبد الله بن جبرين الأسطورة المشاهدة موقع ملتقى أهل الحديث

<http://www.ahlalhdceeth.com/vb/showthread.php?t=175729>



كنا نتعب كثيراً ونحن نمشي في الأماكن التي يكثر فيها الناس، كمواسم الحج والعمرة والمسجد النبوي والمناسبات العامة رسمية كانت أو اجتماعية. من كثرة الذين يسلمون على الوالد رحمة الله، بل أحياناً يتجمهر الناس بعضهم للسلام وبعضهم للتأمل والنظر، حتى أنك تجد الشرطة في الحرم مثلاً يأتون لينظروا ما الأمر!

يقول الشيخ محمد الشايع<sup>(١)</sup>: «في ظني الذي لا يخيب أن الشيخ يملك مواصفات عالية جعلت منه شخصية محبوبة لعامة الخلق صغيرهم وكبيرهم، نسائهم ورجالهم، في جميع أصقاع الأرض، هذا الحب لم يكن وليد الصدفة، فكنز الحب لم يأت من سعة ماله، أو رفعة جاهه، أو شرف مقامه، بل نبع ذلك من إخلاص صادق، وقلب طاهر، وفؤاد نقي، فلا يحمل في قلبه غيظاً ولا حنقاً ولا احتقاراً، ولا بغضاً، فرحمك الله أيها الإمام».

ولعل من بدائه ما يقال إن من أهم أسباب تبوئه هذه المكانة الرصيد العلمي الكبير الذي يملكه رحمة الله. وقد تحدثت عن هذا من قبل فلا أعيد، لكنني سأذكر بعض الأمور التي تذكر بهذا وتؤكد.

كان رحمة الله بشهادة الأقران بل عامة الناس بحراً لا ساحل له، فقد كان متبحراً في الكتاب والسنة غاية التبهر، نافذ البصيرة في فقههما، متمكناً من استحضار شواهدهما، طويل الباع في شتى العلوم وضروب المعرفة وأنواع علوم الآلة، متمثلاً العلم الذي حواه قولاً وعملاً<sup>(٢)</sup>.

وقد تميّز بالحفظ للمسائل وأدلتها وأقوال أهل العلم فيها بما يتندر وجوده في كثير من أهل العلم اليوم، وقد بهر كل من رآه أو سمع كلامه، فرحمه الله ورفع مقامه<sup>(٣)</sup>.

(١) <http://www.burnews.com/articles-action-show-id-2746.htm>

(٢) خالد بن فهد البهلال <http://www.al-jazirah.com.sa/2009jaz/jul/31/rj10.htm>

(٣) الشيخ عبد الوهاب الزيد [http://www.hdeeth.net/publish/article\\_77.shtml](http://www.hdeeth.net/publish/article_77.shtml)

واليك بعض ما يدل على جوانب علمه ودقته في فقه الإمام أحمد:

أولاً: قام رحمته الله بتحقيق كتاب شرح الزركشي على الخرقى في سبعة مجلدات، وقدم للكتاب مقدمة مفيدة جداً، يحيل إليها كثيراً الشيخ بكر أبو زيد رحمته الله في كتابه المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب، مصدرًا كل ما ينقله بقوله: (قال العلامة ابن جبرين).

ثانياً: أشرف على طباعة كتاب «حاشية الروض المربع» لابن قاسم الحنبلي وتصحيحه.

ثالثاً: قرر كثيراً من كتب المذهب في دروسه، فمما قرره: «شرح منتهى الإرادات»، «شرح الزركشي على الخرقى»، «العدة في شرح العمدة»، «عمدة الطالب»، «روضة الناظر في أصول الفقه»، «القواعد الفقهية لابن اللحام»، «القواعد الفقهية لابن سعدي»، «التسهيل»، «دليل الطالب»، «المغني».

وأما الكتب التي أتمها وأنهاها فمنها: «الكافي»، «الروض المربع»، «زاد المستنقع»، «منار السبيل»، «أخصر المختصرات»، «منهج السالكين»، والثلاثة الأخيرة فرغت من الأشرطة وطبعت.

رابعاً: شرح كتباً في المذهب ليست مقررة في دروس كثير من المعاصرين، بل كان سبباً رحمته الله في طبع سنن سعيد بن منصور رحمته الله، وهذا الكتاب مصدر مهم من مصادر كتب الحنابلة رحمهم الله.

خامساً: اعتنى بكتب الحديث وعلومه التي هي أساس الفقه، مما له علاقة بالفقه الحنبلي كـ «كتاب المنتقى في الأحكام» للمجد ابن تيمية، و«المحرر» لابن عبد الهادي، و«الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل



الشيباني، و«سنن أبي داود»، وهو من الكتب المهمة لدى الحنابلة، ومؤلفه من أصحاب الإمام أحمد<sup>(١)</sup>.

وقد ذكرت أن العلامة محمد بن جراح كبير علماء الحنابلة في الكويت أوصى قبل موته بعض كبار تلاميذه بأخذ العلم عنه رحمته الله<sup>(٢)</sup>.

وذكرت من قبل أن الشيخ ابن باز استتابه في محاضرة له، وكان يستتبه في الجامع الكبير في الرياض فيصلي بالناس ويدرس هناك، وأن أبا بكر الجزائري استتابه في درسه في الحرم المدني لما زاره ووجده مريضاً، وهذه إشارة من هذين العلمين لمكانته رحمته الله.

يقول الشيخ عصام بن عبد العزيز العويد عن الشيخ ابن باز رحمته الله:  
«كلما سئل توصي بمن، قال: عليكم بالشيخ عبد الله ابن جبرين<sup>(٣)</sup>».

وفي إحدى الدورات العلمية في جامع شيخ الإسلام ابن تيمية، أثنى سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين على الشيخ الوالد رحمته الله في الحفل الختامي فقال: أحفظنا الشيخ عبد الله بن جبرين، فردَّ الشيخُ الوالد قائلاً:  
أفقهنا ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>.

وكان الناس في حياة الأعلام الثلاثة يقرنون بينهم، بادئين بابن باز، متين بابن عثيمين، مثلثين بالوالد رحمته الله، وهذا مشهور ظاهر. ولقد أجريت بحثاً في «موقع جوجل». باسم الثلاثة مجتمعين رحمته الله فبلغت النتائج أكثر من نصف مليون. وجمع الشيخ محمد بن عبد العزيز المسند بعض فتاوى الأئمة الثلاثة في حياتهم في كتاب سماه فتاوى إسلامية.

(١) خالد الحيان جريدة الجزيرة <http://www.al-jazirah.com/104890/fe7.htm>

(٢) أحمد الكوس <http://www.arrouiah.com/node/170419>

(٣) قناة اقرأ.

(٤) عمر المشاري <http://www.al-jazirah.com/87018/rj8.htm>

وسئل سماحة المفتي العام الشيخ عبد العزيز آل الشيخ في أحد البرامج عن الوالد، وذلك قبل وفاة الوالد رحمه الله:

فقال: يا إخواني، سماحة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين أحد إخواننا طلاب العلم، ممن عرف بالعلم والعمل به، وممن عرف بالنشاط في دروسه العلمية، وله أثر فعال في دوراته العلمية في أرجاء المملكة، وهو رجل من صلحاء المسلمين، حامل لكتاب الله، فقيه في دين الله، وذو سمع حسن وخلق كريم وتواضع جم، نعرفه ونحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً<sup>(١)</sup>.

ومما تميز به رحمه الله من خصائص العلماء التواضع، والزهد، والترفق مع المحتاجين من طلابه وغيرهم، فقد كان هناك إجماع على تميزه في ذلك وفي الفكر وفي الفتوى<sup>(٢)</sup>.

ويضاف إلى حسن خلقه رحمه الله وقربه من الطلاب ومن الناس جميعاً، قربه من الشباب يناقشهم ويوجههم لما فيه الخير والصلاح<sup>(٣)</sup>.

وقد سبق ببعض فتاواه - كما أشرت من قبل - علماء عصره، فكانت فتاواه تحمل المعاصرة مع هيبة الدليل، فلم يكن ليرضي العامة بفتاواه أو يساير الواقع ويبرر للناس فعلهم، ولكنه يبحث عن الدليل، ويجمع أقوال الفقهاء، فيكون قوله أشبه ما يكون فيصلاً قوياً عند النزاع، فيحترم طالب العالم رأيه؛ لأنه مبني على دليل وليس هوى<sup>(٤)</sup>.

(١) [http://www.youtube.com/watch?v=nPg\\_okKy470&feature=related](http://www.youtube.com/watch?v=nPg_okKy470&feature=related)

(٢) د. نورة السعد [http://www.aleqt.com/2009/07/23/article\\_255222.html](http://www.aleqt.com/2009/07/23/article_255222.html)

(٣) د. قذلة القحطاني <http://ibn-jebreen.com/ommah/save.php?t=word&cid=725>

(٤) مقالة الشيخ خضر بن سند.

وقد كرم في ربيع الأول من عام ١٤٢٨ هـ الموافق لأبريل من عام ٢٠٠٧م بجائزة تسمى أستاذ الجيل، حيث تنظم جمعية الإصلاح بالبحرين وبالتعاون مع رابطة الفن الإسلامي العالمية ومركز شباب المستقبل للدراسات والبحوث والتطوير جائزة سنوية تعرف بجائزة الشباب العالمية لخدمة العمل الإسلامي، تحتوي على خمسة فروع في خدمة الإسلام، وهي: القرآن الكريم، والمحاضرات، والتأليف، والإعلام، والإنشاد. وفي نسختها الرابعة أُسْتُحْدِثَ فرع سادس للجائزة بعنوان «أستاذ الجيل»، ورشح له الوالد رحمة الله، وحضرت نيابة عنه لتسلم الجائزة وحضور الحفل في مركز البحرين للمؤتمرات بفندق كروان بلازا في مملكة البحرين.

تلك ملامح لمكانة الشيخ الوالد رحمة الله، والترجمة كلها ترجمان لمكانته، ومع ذلك فإنه كغيره لم يسلم من كلمة نابية أو عبارة جافية من بعض مَنْ يخالفه في الرأي، سواء في دائرة أهل السنة أو غيرهم، ولم يكن يلتفت لهذا ولا ينظر إليه رحمة الله، بل كانت تزيده عزمًا ونشاطًا وقوة وثباتًا، بل ربما كانت سببًا في انتشار فتوى له أو قول أو رأي أو شيوخ سمعته وذكره عبر العالم الإسلامي. ومن نماذج ذلك أن بعض الرافضة في ألمانيا - كما سنذكره تفصيلاً - شغب عليه في أثناء رحلته العلاجية هناك، فكان ذلك سببًا في انتشار خبره عبر العالم، وتساءل الكفار قبل المسلمين عنم هو هذا الرجل المتهم، والبحث عن شيء يتعلق به، رحمة الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

### مؤسسة متكاملة

قبل أن يعرف المجتمع النجدي المؤسسات الخيرية كان العلماء في تلك البلاد هم رجال العمل التطوعي وفرسانه، فقد كانوا أقرب الناس إلى المجتمع وألصقهم به، يألفهم الفقراء، ويثق بهم الأغنياء.

كان الوالد رحمته الله أنموذجاً من هذه النماذج، فمنذ أن بدأ بالعطاء بعد أن جاوز سنه الثلاثين، وهو مصدر ثقة للتجار من أهل بلده ومعارفه وجيرانه، ولست أقصد بالتجار أصحاب الملايين، إذ كانت التجارة في ذلك الزمن قليلة لكنها مباركة، يؤدي أهلها الحقوق الشرعية ويزيدون عليها.

وبعيداً عن البذل في المجالين العلمي والدعوي والعطاء الثري الذي كان فيهما، فإن من توفيق الله تعالى للوالد رحمته الله أن ألقى في قلبه حب نفع الناس، ومعايشة واقع الأمة، والسعي إلى البذل في كل مجال ينفع المسلمين جماعات وأحاداً، وهذا ما يعرف اليوم بالعمل الخيري أو التطوعي، الذي تُنشأ له المؤسسات، وتوقف لأجله الأوقاف، وتعقد للتدريب عليه الدورات.

لقد ولد حب هذا العمل مع الشيخ الوالد رحمته الله، فكان مؤسسة قبل وجود المؤسسات، وكان مع إخوانه العلماء رجال العمل التطوعي في زمانهم.

وهذا القسم كله برهان على ذلك، وشاهد عليه، ودليل ناطق بالعطاء في هذا المجال.

والوالد رحمته الله وإن لم يؤسس مؤسسة أو ينظم عملاً، لكنه كان مؤسسة بواقعه وعمله وعطائه وبذله، وإليك بعض الشواهد قبل أن نخوض في التفاصيل.

شارك رحمته الله كما علمنا مع شيخه عبدالعزيز الشثري وعدد من زملائه في الرحلة التوعوية للمناطق الشمالية في أوائل الثمانينيات الهجرية.

كانت الرحلة مرتبة رسمياً من قبل الحكومة، وكان هدفها الرئيس التعليم والدعوة للناس في تلك المناطق، لكنها كانت تحمل معها إعامات ومساعدات لأهل تلك المناطق الذين أصابهم القحط في تلك السنين.



وبعيداً عن التعليم والدعوة، فقد كان لهذه الرحلة مساهمات تطوعية.. ولقد سجل الوالد يومياته في هذه الرحلة. وسأسوق مقتطفات منها ليتبين لك أن الشيخ أبو حبيب ورفقته كانوا يحملون هم الأمة ويحرصون على صلاحها وإصلاحها.

يقول *رحمة الله* واصفاً هذه الرحلة مبيئاً عملهم فيها: «استمرت هذه الرحلة ثلاثة أشهر ونصف، وكانت طريقتهم أنهم إذا وصلوا إلى بلدة عسكرياً قبالتها، ثم أرسلوا إلى أميرها، مثل ما بينا مع بلدة رماح، وسألوه عن حال البلد الدينية والدينيوية، وسألوه عن أهل الحسبة ونشاطهم، وعن القاضي، وعن أئمة المساجد، وعن محافظة أهل البلد على دينهم وإقامة الصلوات، وعمّا يوجد في البلد من المنكرات، وكيفية إزالتها، فإن وجدوه مقصراً نصحوه وأرشدوه، وهكذا يعملون مع القاضي، ورجال الحسبة، وأئمة المساجد، ويساعدونهم بالنصح وحل مشاكلهم، ويوزعون عليهم الكثير من النبد والنسخ والنصائح المهمة، وكانوا قد أحضروا معهم كميات كبيرة من هذه الرسائل، وهي نصيحة عامة للشيخ محمد بن إبراهيم، وهي مفيدة، ونصيحة للشيخ عبدالعزيز الشثري، وفيها تحذير من الكثير من المنكرات الفاشية، ورسالة في حكم شرب الدخان للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ونصيحة في تحريم تبرج النساء، اسمها: «دعوة إلى الشرف»، و«ثلاثة الأصول وأدلتها».

ثم يتفرق الشيخ وتلاميذه على مساجد البلد، وبيبتدئون بعد الصلوات بإلقاء موعظة يذكرونهم فيها بأهمية الدين ولزوم تعلم الضروريات منه التي لا يصلح الدين إلا بها، ولا ينتفع من جهلها، ووجوب السؤال عنها.

ثم يبدأ بتعليم الجماعة الحاضرين أولاً بقراءة الفاتحة، وبعض

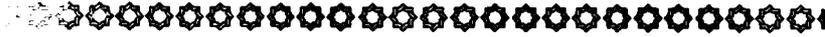


سور القرآن، ثم يسألونهم عن أركان الإسلام وشروط الصلاة، والوضوء ويعلمونهم إياها».

ويقول رحمه الله عن بعض القرى: «وكان الشيخ وابن مقمرن بالأمس قد تتبعوا بعض البوادي في سكاكا فوصلوا إلى رجل قد ابتنى في رأس جبل وجعل له بستاناً وأشجاراً وعنده سيارات، فحصلوا عنده الراديو في مجلسه وصفحات بها كتابة آيات ونصائح، ومنها صحيفة قدر متر طولاً وعرضاً، قد طبع فيها القرآن كله. وقد نصبها في أحد جدران مجلسه ونصحوه عن المنكر الذي هو عليه».

ويقول عن قرية أخرى: «وكانوا قد عزموا على الرحيل آخر النهار فأخبرهم مقيد الأحرف أن هناك بوادي كثيرة لم يصلوا إليهم بالتعليم: لأنهم في مواضع خفية، فبدأوا بتعليمهم قرب الظهر وبعده إلى العصر، وبعد العصر إلى الليل، وحصلوا عند بعضهم ورقة ونذوراً قد كتبت فيها طلاسم وأدعية وحروف مقطعة وحروف حساب. زعموا أنها تقي من كل آفة إلا الموت. وكان صاحبها قد استجلبها من عمان. وزعم أن من احترامهم لها أنها لا تباع ولا تهدي، وعلى الرغم من أنه قد بذل له فيها ذهب فلم يقبل، فأخذها منه الأخوان ومزقوها، وأخبروا أن تعليقها من وسائل الشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه وقد تردد في إعطائها».

ويقول عن قرية ثالثة: «وبعد أن أصبحوا وطلعت الشمس دعاهم الأمير في الساعة الثانية للقهوة. وأخذوا في ذلك الوقت يتتبعون الدوائر كالمدراس والمالية والبريد، واتصلوا بالهيئة وتناصحوا معهم. ثم بالقاضي في محكمته ونصحوه في معاودة النظر في حال الأئمة الذين يخفون الصلاة والمؤمنين الذين يسابقون الإمام».



هذه بعض أعمالهم في هذه الرحلة، مما يدل على أنهم محتسبون حريصون على الإصلاح.

وكان الوالد عضواً فاعلاً مع الشيخ ابن فريان رحمهما الله في الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن، وفي مكتبة ابن تيمية التي كان الإخوان يجتمعون فيها لتدارس أحوال المجتمع والتعاون فيما يصلح.

جاء في موقع الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن بالرياض تحت عنوان قصة ميلاد الجمعية<sup>(١)</sup>: يقول الشيخ عبد الله بن جبرين رحمته الله: قبل خمسين عاماً ظهرت قلاقل وفتن يتبع أولها آخرها، وكاد القرآن أن ينسى، وقام الشيخ ابن إبراهيم وابن باز رحمهما الله واجتمعا بالشيخ الفريان وقرروا قراراً كالجمان، وقالوا للفريان: ما تقول؟

قال: ما تقولون.

قالوا: كلفناك.

قال: أنا لها، وأسأل الله أن يعينني إلى يوم التناد.

فتولى ابن فريان رحمته الله رئاسة الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بأمر من الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله سنة ١٣٧٨ هـ.

وكانت الجمعية الخيرية حينذاك تدفع ثلثي رواتب المدرسين، وتُرغَّب أهل الحي في أن يدفعوا الثلث، فأذكر أن الوالد رحمته الله كان يدفع هذا الثلث دون أن يطلب من الجيران مساهمة في ذلك.

(١) <http://www.qk.org.sa/nawah.php?tid=14749>

ولما أسس الشيخ ابن فريان رحمه الله مكتبة شيخ الإسلام ابن تيمية عام ١٢٨٩هـ، وجعلها في المقر الرئيس السابق للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، كان ثلثة من العلماء المهتمين بالعمل الخيري يجتمعون فيها كل أسبوع للتشاور فيما يهم المجتمع. فكنت آتي بالوالد لها بعد أن تعلمت قيادة السيارة في عام ١٢٩٥هـ.

وكان رحمه الله من المؤسسين لدار العلم، وهي أشبه ما تكون بنادٍ ثقافي اجتماعي يجتمع فيه الشباب آنذاك ويقومون بأنشطة علمية وترفيهية، وهذا عمل تطوعي بالمفهوم المعاصر.

وبعد وفاته رحمه الله قمت بتقليب ما احتفظ به من أوراقه، فوجدت فيها ما يدل على هذا الحس التطوعي، وإن كنت أعلم أن مالم أجده أكثر، حيث يوجد في مكتبته وفي بطون كتبه الكثير من الوثائق، كما يوجد في مكتبة العم محمد أيضاً الكثير. ولعلها تجمع وتوثق فيما بعد.

ومما وجدته مسودة خطاب سطره في عام ١٢٨٠هـ حول حاجة الهجرة السفلى من بلدة الرين لمدرسة ابتدائية، ولا أعلم هل رفع الخطاب لوزارة المعارف التي كانت تتولى هذه الأمور، أو قام بتسليمه لأحد المسؤولين. ومما جاء في مسودته: «مما يجب النظر فيه أحوال الضعفاء الذين لا قلم لهم ولا لسان، وبسبب ذلك فاتهم أن يساهموا فيما حصل عليه من فوقهم ومن تحتهم، وإن من أعظم ما حرموه منفعة التعلم، وتلك - لعمر الله - غاية قصوى، فبعدها سهل الصعب ويقرب البعيد.... ومن أولئك قوم مجاورون في بلد قديم شهير، وذلك البلد هو الرين بفتح المهملة وسكون المثناة آخر الحروف.... وقد طلب

(١) <http://www.qk.org.sa/nawah.php?tid=14745>

أهلها فتح مدرسة من الوزارة فصدر الأمر بذلك على يد القاضي في آخر عام ١٢٧٩هـ. ثم جددوا الطلب في هذا العام لضرورتهم فأجلت إجابتهم إلى شهر الميزانية، وما هو ذا، فلعل أن يلقوا مجيباً وذلك غاية المنى.

وكتب خطاباً للشيخ حمد الجاسر في ١٠/٧/١٢٨١هـ يشكره على كتابته عن جبل قساس. وقد أرفق مقالة عن بلدة الرين برجاء نشرها.

وكان العلماء وطلاب العلم حينذاك يقومون بدور كاتب العدل، بكتابة الوصايا والمبايعات والأقارير ونحوها، ومما وجدته من ذلك وصية لحمد بن ناصر العريفي بالتصغير وهو من آل جبرين، وكانت في الأصل بخط الشيخ عبدالله السيارى ونقلها الوالد من خطه وصادق عليها الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم رحمهم الله وذلك في ٢٦/١/١٢٨٢هـ.

ووثيقتي وقف كُتبتا في ١٥/٧/١٢٨٧هـ وصادق عليهما الشيخ حمود بن سبيل قاضي القويعة آنذاك.

وتوثيق إقرار في عام ١٢٩٠هـ.

ومبايعة لمحمد بن عبدالله بن منصور في عام ١٢٩٧هـ.

ومبايعة بين محمد الزعاقى وعبدالعزيز الحميضي في عام ١٢٩٨هـ.

ومن المناصحات القديمة خطاب للشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ في عام ١٢٨٥هـ حول الاهتمام بالمناهج في المدارس وبالأخص القرآن الكريم، ومما جاء فيها: «إن هذه العلوم المقررة على الطلاب المبتدئين غيرها أهم منها، ومن أعظم ذلك القرآن العظيم، ففيه كل العلوم، وقراءته فيها أجر وثواب، ولكن المدارس الآن عنه بمعزل، قد صرفوا همهم إلى ما يضاده من تعلم كلام أعجمي، أو لعب يسمى رياضة، أو علوم شاغلة ولا حاجة إليها ماسة».

ووجدت من ضمن هذه الأوراق عددًا من التعاميم القديمة الصادرة من الملك فيصل والملك فهد رحمهما الله والملك عبد الله، حينما كان رئيسًا للحرس الوطني تحث على الصلاة، ومنع التدخين، ومنع التبرج وسائر المنكرات. وقد صور منها صورًا كثيرة، ولعله كان يرفقها مع خطاباته للمناسبات.

كما وجدت قوائم بأسماء الفقراء، منها قائمة قديمة حينما كنا في حي السبالة، تشمل عددًا من الفقراء من الجيران والأقارب والمعارف، ووثيقة أخرى فيها توزيع مبلغ أربعة عشر ألف ريال على عدد من الفقراء.

والخلاصة أن هذا الحس كان يحيا في قلبه رحمة الله منذ أن كان شابًا، وما زال يتنامى معه حتى أصبح جزءًا من حياته وصفة من صفاته، يسعده ويبهجه أن يبذل معروفًا أو يعين محتاجًا، أو يدفع عن الأمة منكرًا وبلاء، وتشكلت بعد ذلك هذه الأمور بعد اشتهاره حتى أصبحت عملاً مؤسسيًا يمارسه من خلال مكتبه في الإفتاء ومن خلال مكتب البيت.

وسأحاول أن أجلي هذا المعلم من معالم حياته رحمة الله عن طريق خمسة محاور تكشف أهم جوانب عمل الشيخ الوالد رحمة الله في هذا المجال.

## الباب المفتوح

مكث الشيخ الوالد رحمة الله أكثر من خمسين عامًا وهو موقف وقته وجاهه وجهه لخدمة المسلمين وطلاب العلم منهم بخاصة.

وقد نَحَتْ أعماله المنحى المنظم في سنة ١٤٠٤هـ حين كان يعمل في إدارة البحوث العلمية والإفتاء، فكان يقوم من خلال مكتبه هناك بالشفاعات والفتاوى والسعي لعلاج المشكلات. وفي عام ١٤١٧هـ خصص رحمة الله جزءًا من منزله وجعله مكتبًا يعمل فيه موظفون ومتعاونون لمتابعة أعماله.

ومنذ أن استقر الوالد رحمه الله في حي شبرا صار يجلس غالباً بعد صلاة العصر لاستقبال الناس في بيته، وذلك في غرفة خارجية تسمى الملحق، وضع فيها كراسي لجلوس الزوار والمراجعين، وفيها هاتف يستقبل من خلاله فتاوى المستفتين، حيث نشر وأعلن رقمه للناس.

يستقبل في هذا المجلس من جاء للسلام أو لطلب علم أو فتوى أو شفاعاة أو مساعدة، فتعدد دروس الشيخ الوالد رحمه الله وكثرة مشاغله، لم تنسه حوائج الفقراء والمساكين وإن صغرت.

كان يتردد على مكتب المنزل يومياً ما يقرب من خمسين مراجعاً، ويزيدون في بعض الأوقات على خمسمائة بحسب المواسم.

وكان الزوار يستغربون صبره ولطفه، يقول أحد الإخوة: «وما زلت أذكر حينما فتح مكتبته لنا - أنا وبعض زملائي في المرحلة الثانوية - حين كلفنا أستاذ مقرر التفسير، الشيخ الدكتور يوسف عثمان جبريل رحمه الله! يبحث رجال أسانيد بعض الأحاديث الواردة في تفسير سورة (ص).. وكان هذا الأستاذ المربي قد أُرشدنا إلى الاستعانة حينها بمكتبة الشيخ عبد الله رحمه الله».

إذا دخلت مكتبه فقد لا تكاد تجد مكاناً للجلوس، بل أحياناً يصعب نظرك فضلاً عن وصولك إليه من كثرة من عنده.

وهو رحمه الله منكب على طاولته، يكتب شفاعاة، أو يجيب عن سؤال، أو يسجل موعداً، وربما استند إلى الكرسي وأمسك بسماعة الهاتف يجيب عن سؤال أو يحل إشكالاً.

وفي هذا المحور سنتطرق للأعمال الكثيرة التي كان يؤديها في مكتبه في رئاسة الإفتاء أو في مكتب المنزل فقط. وسأسوق لك هنا الأعمال التي يؤديها ثم أفضل فيما يحتاج إلى تفصيل.

فمن المهمات التي كان يقوم بها رحمة الله من خلال المكتب:

- ١- الدروس العلمية؛ حيث كان يلقي رحمة الله أربعة عشر درساً أسبوعياً.
- ٢- المحاضرات العامة والندوات، فلا يخلو أسبوع من محاضرة عامة.
- ٣- الجولات الأسبوعية من المحاضرات والدروس في خارج مدينة الرياض على مدار العام، وكذلك الدورات العلمية في أثناء الإجازة الصيفية في الكثير من مدن المملكة.
- ٤- الفتاوى الشفوية عبر الهاتف ومن زوار المكتب، حيث يجلس رحمة الله يومياً لاستقبال الناس من الزائرين والمستفتين وأصحاب الحاجات المتنوعة.
- ٥- الفتاوى التحريرية التي ترد للمكتب مباشرة أو عبر البريد والفاكس وموقع الإنترنت، فيجيب عنها الشيخ الوالد رحمة الله تحريراً. وقد بلغت الفتاوى التحريرية أكثر من عشرين ألف فتوى.
- ٦- المؤلفات من الكتب والرسائل، حيث زادت الكتب والرسائل المطبوعة على مائة وخمسين عنواناً.
- ٧- فحص الكتب والتقديم لها.
- ٨- السعي لإصلاح ذات البين.
- ٩- الشفاعات المختلفة لأصحاب الحاجات سواء كانت مكتوبة أم بالهاتف أم بالذهاب مع المشفوع له.
- ١٠- مساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين والأرامل والأيتام من خلال المساعدات والزكوات التي ترد للشيخ الوالد رحمة الله سنوياً في شهر رمضان المبارك.
- ١١- الشفاعة ودعم المشاريع الخيرية مادياً ومعنوياً.
- ١٢- الإسهام في بناء المساجد والأوقاف.



- ١٣- رعاية طلاب العلم.
- ١٤- الإشراف على موقع الإنترنت.
- ١٥- دعم الجمعيات والمؤسسات الخيرية ونحوها والتعاون معها.
- ١٦- العناية بالأشرطة المسجلة للشيخ الوالد رحمته الله.
- ١٧- المناصحات العامة والخاصة وإنكار المنكرات.
- ١٨- الرقية للناس في الماء والزيت ونحوه مما يجلبه الناس للمكتب.

وعلى الرغم من كثرة هذه المهمات وصعوبتها إلا أن الشيخ الوالد كان يقوم بمعظمها بنفسه رحمته الله دون حاجة إلى مساعدة أحد. وقد كتب الله البركة في جهده ووقته.

ومن التيسير أن رزقه الله في أثناء عمله في إدارة الإفتاء ببعض الموظفين الحريصين، وكان على رأسهم الأستاذ عبد الله بن سعد الحوطي، ويعاونه بعض الموظفين والمتعاونين.

ولما افتتح مكتب البيت بترتيب من أبنائه وبعض طلابه ومنهم الدكتور محمد بن حمد المنيع، وبدعم من بعض أهل الخير ومنهم مؤسسة الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية ومعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ والشيخ عبد الله بن عبد العزيز الراجحي، والشيخ عبدالرحمن بن علي الجريسي، بدأ مكتب البيت يقوم بترتيب هذه الجهود، ولعلي هنا أسلط الضوء على أهم هذه الأعمال.

## الشفاعات

تعد الشفاعات من أبرز الأعمال التي اشتهر بها رحمته الله بل عرف بها، بل ربما أخذ عليه بعض الناس الإكثار منها والتساهل فيها.

ولكنه كان مقتنعاً بما يفعل رحمة الله، وكنت قبلاً أسمع كلام الناس، وأود أن يقلل منها أو يتأنى في بعضها، وحاولت لما توليت أعمال المكتب إقتاعه بشيء من ذلك، فكان يقول: «نشفع لهم ويقضي الله ما يشاء، دعهم يردونها ولا يقبلونها»، وكأنه يشير إلى أنه كسب المعروف والأجر والدعاء والشكر، فكنت كعادتي بل واجبي ألا أردد له طلباً ولا أعصي له أمراً، وحاشاه أن يأمرني بمعصية.

وكان يتمثل كثيراً بقول الحسن بن سهل:

فرضت علي زكاة ما ملكت يدي      وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا

كان حب الشفاعة للناس متأصلاً في نفسه. يروي تلميذه الدكتور عبد الوهاب الطريري عن شفاعة الشيخ الوالد رحمة الله لأحد الطلاب في معهد إمام الدعوة يقول: «كثير لفظ المراقبين حول غياب بعض الطلبة حتى ذكروا طالباً باسمه، فلما سمع الاسم انفصل عن عالمه، وأقبل عليهم يتحدث عن هذا الطالب، ويذكر أن له عذراً في غيابه، وجعل يراجعهم في قبول معذرتة. حتى إذا بلغت شفاعته محلها عاد إلى استغراقه مع كتابه».

كان الشيخ ابن باز رحمة الله ذا باع طويل في الشفاعات والتزكيات، لكنه شغل عن الناس بمسؤولياته الكثيرة، فلما انتقل الوالد رحمة الله لإدارة الإفتاء انجفل الناس إليه وانكبوا عليه، وصار يساعدهم ويشفع لهم. يقول مدير مكتبه في إدارة الإفتاء الأستاذ عبد الله بن سعد الحوطي: «ومن الصفات التي كان يتحلى بها فضيلته كثرة الإحسان إلى الناس، خاصة الفقراء والمحتاجين، سعوديين وغير سعوديين. رحيم بهم، وكان يشفع لكثير من الناس لقضاء حوائجهم المختلفة، فمنهم من يشفع له لوفاء دينه، ومنهم من يشفع له في



سداد إيجار مسكنه، ومنهم من يشفع له لمواصلة دراسته الجامعية، ومنهم من يشفع له في وظيفة، وغيرها من الشفاعات الحسنة التي يرجو بها الشيخ التقرب عند الله سبحانه وتعالى».

يقول تلميذه الدكتور عبد المحسن العسكر: «وقد كتب بيده الآلاف من الشفاعات للفقراء ولذوي الحاجة، وقد أوتي سرعة في الكتابة، ولشفاعاته قبول عند الوجهاء على كثرتها وتتابعها لوثوقهم بتزكيتهم ولعلمهم بصدقه، ولا يتبرم من السائلين ولو ملأوا مكتبه في الإفتاء قبل التقاعد، أو منزله. وقد قال لي شيخنا العلامة عبد الرحمن البراك **حفظه الله** يوم وفاة الشيخ عبد الله ابن جبرين: هذا الرجل ثالث ثلاثة بذلوا أنفسهم للناس، ابن باز وابن عثيمين وهو، رحمة الله على الجميع. ولاحظ المتكلم بذلك، فإنه رأس في هذا الميدان».

ويقول الشيخ مسعود الغامدي<sup>(١)</sup>: «قد تشغله أرملة عندها فاتورة كهرباء لم تسدها فتقول أرسلني لأحد يسدها، وغيرها كثير.

يذكر الذين يعرفون سيرة الشيخ عن قرب أنه كثيراً ما يكتب مع شخص في مثل هذه الأمور الصغيرة، ويسعى معهم حتى يتأكد أنها قضيت الحاجة لمريض يحتاج إلى علاج أو إيجار بيت».

ويقول الدكتور سلمان العودة<sup>(٢)</sup>: «يكتب لكل أحد حتى لبعض تلاميذه، يكتب شفاعات وبخط يده، ولا أذكر أنه جاءني منه شيء مطبوع إلا في آخر أيامه. أما فيما سوى ذلك فهو يكتبه بخط يده، حتى أصبحنا نعرف خطه، ويكتب **رحمة الله** في القضايا الصغيرة وفي القضايا الكبيرة، ويشفع للناس في

(١) قناة دليل.

(٢) قناة دليل.

الدماء وفي الوظائف، وصاحبته وشاركته في مثل الأمور، وإذا قبِلت شفاعته سرًّا، وكأنما أهديت له شيئاً، وإذا ردت شفاعته أيضاً لا يفضب ولا ينزعج».

ويقول الدكتور طارق الحواس<sup>(١)</sup>: «يلمس كل من يقابل الناس شفاعته الشيخ رحمه الله لجميع الناس، أنا ممن يستقبل طلبات الناس كغيري من الدعاة وأئمة الجوامع، فكثيراً ما تأتينا الأوراق من جميع الجنسيات بلا فرق ما بين هندي وباكستاني وبنجلاديشي وأفريقي، تجد شفاعات الشيخ تكتب للجميع، وهذا يدل على أن هذا الرجل كان لعامة الناس وليس لخواصهم».

ودعني أروي لك طرفاً من قصص شفاعته، ثم أعطيك لمحة عن بدايات الشفاعات وتطورها.

فمن طرائف شفاعته ما ذكره الأستاذ محمد الزهراني أنه كان قبل سنوات عدة في زيارة لمحافظة القويعة رغبة في نقل زوجته، وذهب إلى إدارة التعليم في المحافظة، فوجد الشيخ الوالد رحمه الله وسلم عليه، يقول: «وكان يجلس بعيداً عنه شابٌ ليس من أهل المنطقة، فقلت له: ماذا لديك؟ فذكر لي: أنه جاء لنقل زوجته وهو لا يعرف أحداً من محافظة القويعة، ولكنه ذهب إلى مسجدٍ وصلّى الظهر فيه، وبعد الصلاة قام رجل وألقى كلمة، ووجدت أن الموجودين كلهم آذان مصغية، وجلست أيضاً معهم لأستفيد منها، وبعد نهاية الكلمة أخذوا يسلمون على الشيخ، ثم انصرفوا وبقيت أنا والشيخ في المسجد، وأنا لا أعرف أنه الشيخ ابن جبرين رحمه الله، ودار حديثٌ لي معه عن موضوعي، فقال لي: معك سيارة؟ قلت: نعم؛ فذهب معي إلى إدارة التعليم، وحاول أن يشفع لي في نقل زوجتي إن كان هناك إمكانية لذلك، فاستغربت

(١) قناة اقرأ.



منه وهو يسدي لي هذا المعروف وهو لا يعرفني، ولكن ذلك ليس غريباً على عالم بمكانة الشيخ الجبرين رحمة الله».

ويقول الأستاذ حسين فقيهي: «حضرت مع أحد الإخوة من أهل عسير للشفاعة في التنازل عن أرض تبني جامعاً لأهل القرية، فبادر بأخذ ورقة من مكتبه وكتب شفاعته لشاب لا يعرفه ولم يسمع به، ولكنه التطبيق العملي للحديث النبوي: «اشفعوا تؤجروا».

وجاء إليه أحد أصحابنا فقال إنه عندهم سائق حمل سيارة لأحد الوجهاء فحصل له حادث وسجن السائق حتى يدفع قيمة السيارة، فمرضنا عليه سبعمائة ألف فطلب مليونين وخمسمائة ألف ريال، وهي لا تساوي هذا المبلغ، فكتب لهم الوالد رحمة الله شفاعته للأمير سلمان وذهب لتسليمها له، وفي الطريق اتصلوا به وقالوا: إن الموضوع حُلَّ وانتهى، يقول ابن العم أحمد بن محمد وكان معه، فرأيته أخذ قصاصه ورق وأخذ يكتب فيها، فلمحت منها غلاء الأسعار، وكتب أشياء لم أتمكن من قراءتها، فلما دخل على الأمير ناقشه في بعض الأمور العامة، وكان الخطاب في يده فلمحه الأمير سلمان في يده، فقال الوالد رحمة الله: هذا انتهى موضوعه، قال أعطني إياه، فلما قرأه وعرف موضوعه شرح له الوالد رحمة الله الموضوع، فقال الأمير: متى ما احتجت لشفاعتنا فأبشر.

تقول الأخت هيا<sup>(١)</sup>: «أذكر أنني كنت أريد أن أساعد إحدى صديقاتي، حيث تعاني بعض المشاكل الأمنية، فأتيته مرة في الصباح وكان يتناول إفطاره، فاستعجل وقام واتصل بأحد المسؤولين ليشفع لها، ولكن لم يجده،

(١) من مذكراتها.

فقال: تعالي غداً الظهر، وكنت آتية كل ظهر فيتصل مراراً ولم يمل ولم يترك أمر تلك الأخت حتى بين له بعض إخوتي أن في الأمر حساسية».

وتقول أيضاً: «أذكر أن إحدى صديقاتي لم تُقبَل في المدرسة؛ لأنها ليست سعودية، فلما أخبرته بأمرها كتب خطاباً وذهب به أبوها لرئيس تعليم البنات آنذاك فوافق على الخطاب فوراً».

وتقول: «حكى لي أخي عن شخص صلى معهم على الشيخ رحمه الله وقال له: إن الشيخ قد خدمني خدمات جلييلة وأنا لم أقابله قط، فقد أرسلت له خطاباً أطلب منه شفاعته لأعمل في جهة ما، فأرسل الشفاعة بعد فترة يسيرة، ثم ذهبت بها لمقر العمل فرأوا أنها لا تصلح؛ لأنه لم يصفها بالشكل المطلوب، يقول: فأرسلت للشيخ أطلب منه إعادة صياغتها فأعادها وذهبت بها لهم فقبلوها، وها أنذا في الوظيفة التي كان الشيخ رحمه الله سبباً في حصولي عليها، مع أنه لا يعرف شكلي ولا حسبي ولا من أكون».

ويقول الشيخ عصام العويد<sup>(١)</sup>: «أذكر رجلاً أفريقيًا من النيجر أو نيجيريا اشتكى عليه الحال، وإن كفيله دكتور في مستشفى كذا من أكبر مستشفيات المملكة وإنه يظلمه ولا يعطيه حقه، فقال الشيخ: أعطني رقمه، واتصل به وخوفه بالله».

يقول السائق: والله العظيم جاء لي برواتب ثلاثة أشهر وقال: ما لقيت إلا ابن جبرين تشكيني عنده».

(١) فتاة اقرأ.



واتصلت والدة الشيخ عصام العويد على قناة اقرأ، فشكرت الوالد وأثنت عليه ودعت له، ثم قالت: «كان أحد أولادي في أزمة، ولما كلمت الشيخ طيَّبَ خاطري وقام هو بنفسه للإمارة رحمة الله وأسكنه جنة النعيم. وكانت وقفته لها الأثر في أنفسنا كلنا فالحمد لله رب العالمين».

ويحكي الشيخ عصام العويد<sup>(١)</sup> أيضاً عن الأخ إبراهيم الشمري قال: «كنت في اضطهاد: لأنني كنت على عقيدة مخالفة فيما مضى، وبعد ما شرح الله صدري اضطهدتني قبيلتي وأهلي، وكانت زوجتي في مكان بعيد جداً، وكانت مدرسة، وكان الطريق غير مُعبَّد، وكانت زوجتي كلما مرت بهذا الطريق سقط الحمل فزادت ديوني وأصبحت في هموم لا يعلمها إلا الله ومشقة عجيبة، فأخذني أحد الإخوة إلى الشيخ وقد نال مني الجهد مبلغه، فبكيت عند الشيخ فقال الشيخ: ستُنقل زوجتك، وهو لا يعرفني ولا أعرفه وأول مرة أراه، وكتب خطاباً فنقلوها، فأنا أدعو له الليل والنهار رحمة الله تعالى».

وفي اتصال من الدكتور غازي الشمري بقناة حياتنا قال: «كنت في بريطانيا قبل خمسة أيام كان أحدهم يتكلم عن الشيخ ابن جبرين قبل أن يموت رحمة الله بأيام يقول: أنا أدرس الآن دكتوراه وهناك رجل له فضل عليّ لا أنساه ما حييت.

قلت: من؟

قال: عبد الله بن جبرين».

وكان أحد الدعاة الباكستانيين كثيراً ما يشفع للإخوة الباكستانيين عند الوالد، لكنه في إحدى المرات جاء بطلب غريب فيه طلب الشفاعة لأحد الإخوة السعوديين لدى إحدى الداعيات الكويتيات لتقبل به زوجاً.

(١) قناة اقرأ.

ومن الشفاعات اللطيفة أن أخا سورياً يقال له صلاح المحمود من المهاجرين للمملكة، طلب من الوالد رحمته الله أن يكتب له للمرور؛ ليسمح له بتحميل الركاب في سيارته؛ لعدم قدرته على العمل الشاق، فكتب له رحمته الله فجاء ومعه ورقة من أحد الضباط فيها توجيه بعدم الاعتراض عليه لتلبية لشفاعة الوالد رحمته الله.

وشفع لعدد من طلابه ومعارفه من اليمن وغيره للحصول على الجنسية، ومن أبرزهم يحيى السالمي الذي قدم للملكة وهو غلام، وعاش في الرين وتربى هناك وتزوج وبقي مدة تزيد على أربعين سنة في القويعة والرين، فأذكر أن الوالد رحمته الله سعى معه كثيراً لمنحه الجنسية السعودية، فكتب خطابات، وذهب بنفسه وقابل كثيراً من الأمراء والمسؤولين لأجله.

وممن سعى معه لذلك عبدالله الصغير وتلميذه البار عبدالله بن علي ابن عامر والشيخ أحمد الحسامي وغيرهم كثير.

ورأيته كتب مرة خطاباً للأمير سلطان رحمها الله جميعاً شفاعة لمنح الجنسية لأولاد بعض طلابه الذين توفوا وهم: محمد أبكر من اليمن، ومحمد خير طالب من سوريا، ومحمد دوا من أثيوبيا، وموسى كمارا من غينيا.

وجاءه شخص يذكر أنه رقيق وقد ترك سيده وانتقل للملكة فأخبره بأن حكمه الشرعي أنه مازال رقيقاً حتى يفندي نفسه، وأرشده لكيفية شراء نفسه لكثرة من يبحث عن عتق الرقاب.

وأذكر أن أحد الأكفاء كان جازاً لنا في السبالة وكان فقيراً، فكان يعطيه من الصدقات ويشفع له كثيراً بل يكتب له كل عام خطاباً فيه توصية عامة ليعرضها على أهل الخير، ومازالت حاله معه كذلك حتى توفي الوالد رحمته الله.



ومن الأشخاص الذين ساقهم الله له شخص أفغاني يدعى زركل خواجه، كان إماماً لمسجد في الكويت، وكان رجلاً عابداً صالحاً، فدخل مع الناس لما دخلوا في حرب الخليج فدلوه على الوالد رحمته الله فأواه وشفع له حتى ضم إلى كفالته، وما زال تحت رعايته ينفق عليه ويعالجه، ودرس أبناؤه في المدارس، ولما توفي الوالد رحمته الله تأثر كثيراً، وكان كلما ذكره بكى فواسيناه وقلنا له الوالد لم يمت نحن في مكانه، وكان له جراية شهرية من الوالد فأمضيناها له.

وكان أخي محمد يعمل في زامبيا مندوباً لوزارة الشؤون الإسلامية فتعرف على شخص أثيوبي يقال له سفيان كان قد أصيب إصابة بالغة باللغة في رأسه، يذكر أنها بسبب سبع، والظاهر أنها طلق ناري، فذكر للوالد حالته وحاجته للعلاج فشفع له واستقدمه للعلاج وأسكنه في منزلنا مدة علاجه، نحو ستة أشهر حتى أتم علاجه وسافر.

وسمع الوالد رحمته الله بما أصاب الداعية الشيخ محمد مال الله رحمته الله من ابتلاء، وهو من مشايخ البحرين الذين يدافعون الرافضة، فاتصل به ونصره وشفع له لدى الكثير من الأثرياء لدعم مركز دعوي كان يقوم عليه الشيخ مال الله رحمته الله. وبعد هذه القصص دعني أعطيك لمحة عن طريقته في الشفاعات وتطورها في حياته رحمته الله، فقد علمت أن الشفاعة للناس ومحبة الخير لهم حسٌّ فطري جبله الله عليه، ولا أذكر تحديداً متى بدأ في ذلك، ولا ما هي الشفاعات التي كان يقوم بها قبل انتقاله للإفتاء، ولكني أعتقد أنه كان يقوم بشيء من ذلك على قدر جهده وطاقته.

وبعد انتقاله للإفتاء وانشغال شيخه ابن باز رحمته الله تعالى ذكرت لك أن الناس انصرفوا إليه، وكان يكتب الكثير من الشفاعات في كل شأن وكثير من

الناس، وكانت شفاعته بخط يده وعلى الورق الرسمي للإفتاء، فلم يكن له ورق شخصي حينذاك.

وكان الإخوة الموظفون عنده في الإفتاء قد قاموا في وقت متأخر بتصوير بعض الشفاعات فوجدنا منها أشياء عديدة متنوعة الموضوعات.

وقبل تأسيس مكتب البيت طبع له ورق شخصي يحمل اسمه ووظيفته بكونه عضو إفتاء بالرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد، وكان يكتب شفاعاته في المنزل على هذا الورق أحياناً.

وبعد تأسيس مكتب البيت في عام ١٤١٧هـ بدأ المكتب في تنظيم الشفاعات، وذلك بطباعتها على ورق يحمل اسم الشيخ فقط بعد تقاعده، ثم ختمها ووضع أرقاماً للصادر عليها، ولكن الأمر لم ينتظم، حيث كان جهد الوالد رحمة الله أكبر من جهد المكتب، حيث يستقبل الناس ويكتب لهم الشفاعات في أي وقت.

ثم بدأ عمل المكتب ينتظم شيئاً فشيئاً حتى أصبحت معظم الشفاعات لا تصدر إلا من خلال المكتب، ونظم لذلك نماذج تُعبأ من قبل صاحب العلاقة ثم تطبع لاحقاً.

وساعدت النمذجة على ضبط الأعمال ودقتها، وكان قد استفيد من النماذج التي أعدها مكتب الشيخ حينما كان في الإفتاء.

وبعد أن رأى الوالد التنظيم في المكتب قلل من كتابة الشفاعات بيده، وكان إذا أراد كتابة شيء عبأ النموذج بنفسه وسلمه للكاتب، وربما كتب الخطاب بيده وطلب من الكاتب طباعته وترتيبه.



ومع هذا فقد يلح عليه أحد حتى من سائر الناس فيكتب له شفاععة بيده ويسلمها له. بل مر عليّ أن بعض الإخوة طبعوا خطابات على لسان الشيخ وعلى أوراق عادية وذيلوها باسمه **رحمة الله** فوقَّع عليها ولم يلهمهم أو يعنفهم.

وشفاععات الوالد **رحمة الله** أربعة أنواع:

أولها: التذييل على الخطابات، حيث يتقدم الشخص بخطاب موجه لأحد التجار أو إحدى الجهات ويطلب تصديق الشيخ **رحمة الله** على الخطاب، فيقوم الشيخ الوالد **رحمة الله** بكتابة تذييل يتضمن توثيق ما في الخطاب. وقد سعى مكتبه في الإفتاء تيسيراً على الشيخ فصمم ختمًا يتضمن زبدة ما يقال وكان فيه:

صاحب.....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد..

فالرجاء النظر في طلب المذكور بما ترون.... ثم يذكر السبب

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

ثم فراغ للتوقيع والتاريخ

الثاني: الشفاععات الخاصة على الورق الرسمي الموجهة لشخص محدد في موضوع محدد، وهذه قد يكتبها الشيخ **رحمة الله** بخط يده، وقل هذا بعد تنظيم المكتب فصارت تطبع كما ذكرنا وتحمل ختمًا ورقمًا.

الثالث: الشفاععات العامة أو التزكيات العامة، وهذه يكتبها الشيخ الوالد **رحمة الله** لمن يثق به أو يكون له نوع تميز كالمشايخ وتلاميذه الخاصين وبعض معارفه وأقاربه.

والرابع: الإثباتات، وهذه شفاعة لكنها على شكل توثيق لدين أو نحوه، حيث يعتمد على شهادة شهود في إثبات ما يكتبه فيقول مثلاً: حضر لدي فلان وفلان فشهدا بأن فلاناً تحمل حمالة.... وأنه معسر وعاجز عن الوفاء..... إلخ. وشفاعات الوالد رحمة الله متنوعة الموضوعات، وقد اصطالحنا في المكتب على تقسيمها إلى أربعة أقسام:

الشفاعات المالية: وهذه لوفاء الديون ومساعدة المحتاجين.

الشفاعات العامة: وتشمل الشفاعة للعلاج والتوظيف والاستقدام ونحوها من الأمور العامة.

الشفاعات العلمية: وتكون للدراسة في الجامعات ونحوها.

الشفاعات للجمعيات والمؤسسات والأعمال الخيرية:

ولا نملك إحصاء دقيقاً لعدد الشفاعات التي صدرت منه رحمة الله، لكني أذكر أنا عملنا إحصاء للخطابات الصادرة من المكتب في عشرة أشهر من ١٨/١٠/١٤٢٨هـ فبلغت تسعمائة وثمانية وثلاثين خطاباً، منها سبعمائة وثلاثين شفاعة، فلا ريب أن عدد شفاعاته يصل إلى الآلاف في سنه الأربعين التي مارس فيها الشفاعه للناس رحمة الله رحمة واسعة.

وبسبب قبول شفاعاته رحمة الله على الرغم من كثرتها وتقدير الناس لها، فقد قام عدد من الأشخاص بالتزوير عليه أكثر من مرة، فكتبت لنا المباحث الإدارية مرات عدة حول تزوير ختمه وأوراقه والكتابة باسمه، ولكن الله يكشف الكاذبين دائماً، حتى إن من يكتب له الخطاب يستغرب الأسلوب فيكتب للوالد وقد يحيله للمباحث.



وممن كتب لنا صاحب السمو الملكي الأمير تركي بن عبد الله حفظه الله، حيث تقدم له شخص بخطاب مزور، وبعث به إلينا، فرددنا عليه بخطاب ذكرنا فيه أن الخطاب مزور لعدد من الأسباب، أسوق بعضها كما وردت على لسان الوالد رحمه الله:

١- كونه في أوراق رسمية من أوراق هيئة كبار العلماء رغم أنني متقاعد منذ سنتين وليس عندي هذه الأوراق الرسمية، كما أنني لم أكن عضواً في هيئة كبار العلماء قديماً ولا حديثاً.

٢- الختم الذي في الخطاب مزور على ختم لنا قديم، وقد تغير الختم في الخط عن ختمنا المعروف، ولم يكن من عادتنا بعد التقاعد استعمال هذا الختم الذي يحمل اسم رئاسة الإفتاء.

٣- أسلوب الخطاب مغاير لخطاباتنا التي نبعثها وفيه بعض الأخطاء، كتقديم اسمي على اسم الأمير، وعدم ترقيم الخطاب برقم الصادر، وإهمال التوقيع على الخطاب، كما أن فيه مبالغة في التفصيل، وفيه أخطاء في الأدلة التي أوردها تخالف معلوماتنا.

٤- وأخيراً؛ صاحب هذا الطالب لا معرفة لنا به، ولا أتذكر شخصه ولا أعرف أنه اتصل بي.

هذه لمحة عن الشفاعات في حياته رحمه الله، وسأختم بإيراد نماذج من شفاعاته رحمه الله تعالى:

### النموذج الأول:

الأخت المكرمة الأستاذة/.... مديرة المدرسة ٢١٢ الابتدائية... وفقها الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد...

نشفع إليكم للطالبة/ ..... (سورية الجنسية)، التي  
نرغب التكرم بالموافقة على قبولها في مدرستكم، حيث تسكن بالقرب من  
مدرستكم وتدرس بها بنت خالها ..... في الصف الخامس الابتدائي،  
وعليه فإننا نأمل منكم التكرم بقبولها، وفقكم الله لكل خير وأثابكم وسدد  
خطاكم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أخوكم

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

### النموذج الثاني،

صاحب المعالي الأستاذ الدكتور/..... مدير جامعة الملك سعود... وفقه الله  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد....

فتشفع لدى معاليكم لكل من الإخوة/

١- حارز بن خير الدين جيفونا، ٢- أوزير بن سازمان دمير، ٣- مرالم  
بن رفعة بيسو، ٤- مريس بن عصمت بيسو. ٥- رسمير بن حسني حوشيتش.

حيث قدموا من بلادهم اليوسنة والهرسك يرجون نوال العلوم  
الشرعية والدينية، ويرغبون أن يشملهم القبول للدراسة في الجامعة، فنأمل  
من معاليكم التوجيه بقبولهم عَّلَّ الله أن ينفعهم وينفع بهم، وصلى الله على  
محمد وآله وصحبه.

أخوكم

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين



## رعاية الفقراء

الحديث عن الفقراء ورعايتهم في حياة الشيخ الوالد حديث عن أحد الهموم التي كان يعيشها ويعانيها رحمة الله.

فلقد كانت للفقراء مساحة في قلبه منذ أن نشأ، وما زال هذا الهم يكبر معه كلما كبر ويزداد كلما اشتهر.

لقد كان قلبه الرقيق ونيته الحسنة وبساطته وسماحته وراء تنامي هذا المعلم في حياته رحمة الله.

ولقد تحدثت قَبْلُ عن حاله مع الصدقات والزكوات، وكان حديثنا هناك عن سماحة نفسه، وسخاوة يده، وحرصه على البذل من ماله، والصدقة في سائر وجوه البر.

وتحدثت عن الشفاعة في المجالات المالية لمساعدة الفقراء، وليس هذا ولا الذي قبله مجال حديثنا هنا.. إن الحديث هنا عن رعاية الفقراء، وحمل همهم، والإنفاق عليهم كما هو حال المؤسسات والجمعيات الخيرية.

دعني أولاً أذكر لك نبذة تاريخية عن هذا المعلم، ثم أتحدثك ببعض ما أذكره أو قرأته عنه رحمة الله في هذا المجال، ثم أثلث بمنهجه في هذا الباب، وأختتم بمعالم عامة حول رعايته الفقراء والعناية بهم.

قد ذكرت أن هذا العمل المؤسسي المبسط بدأ في الثمانينيات الهجرية، ومما أذكره ونحن في حي السبالة، وكنت إذ ذاك في المرحلة الابتدائية، أنه كان يرعى عددًا من الأيتام والأرامل وكبار السن ونحوهم من الفقراء، سواء أكان ذلك في حَيَاتِنَا والأحياء المجاورة حوله أم في بلدة الرين وبعض قرى القومية.



أذكر أن بعض التجار - خاصة من جيراننا وبعض معارفنا - كانوا يعطونه من زكاتهم، وكان يتعاهد الفقراء من هذه الزكاة سنوياً، وكانت مبالغ يسيرة لكنها مباركة.

في إحدى السنوات أذكر أن أحد تجار أهل القويبة أعطاه خمسين ألفاً وفرح بها جداً؛ لأنها فرجت عن عدد من الفقراء الذين كان يرعاهم.

وكنت أنا وإخواني نلاحظ كثرة من يأتيه من الفقراء سواء من أهل الرياض وبعضهم من خارج الرياض، وربما استضافهم في منزلنا الصغير أياماً، ولم نكن نعرف أنه يعطيهم شيئاً؛ لأننا صغار وكان لا يخبرنا بشيء.

وعندما كبرت وبدأت أعينه في بعض الأمور، اكتشفت أن هؤلاء المترددين بسبب ما كان يريشهم من الخير الذي يأتيه.

كانت الأمور بهذه الصورة اليسيرة يديرها وحده، ويرتبها، ويعد القوائم، ويوزع المبالغ، ولثقة الذين يعطونه به رحمة الله كان لا يأخذ إيصالاً ولا إقراراً ممن يعطيهم، بل يتعاهدهم بسرية تامة وأمانة كاملة.

استمر على هذه الحالة حتى فتحت الدنيا على الناس في أواخر التسعينيات الهجرية، فكثر ما يأتيه من الأموال، وكثر من يأتيه من الفقراء، ولكنه لم يحتج لمن يعينه فقد كان يتدبر أمره بنفسه، فهو إذا ذاك شاب لم يجاوز الخمسين.

وبدأ التحول الكبير عندما انتقل إلى إدارة الإفتاء في عام ١٤٠٢هـ، فقد كان من خلال مكتبه في الإفتاء يقوم برعاية الفقراء والسعي لحوائجهم.



ولا ريب أن هذا التحول كان تدريجياً ، لكنه كان يتنامى بسرعة ، وبخاصة لما اشتهر بفتاواه التي أخذت تنشرها عدد من الصحف .

وكما أقبل عليه الناس لطلب العلم والفتاوى والشفاعات أقبل عليه الفقراء ؛ لأنهم وجدوه فاتحاً قلبه لهم .

كثرت المساعدات التي تأتيه سواء التي ترسل له ليوزعها بمعرفته ، أو التي تأتي بسبب كتابته لشخص بعينه وفاء لدين أو دفعاً لمسغبة ، وبدأ مكتبه في الإفتاء يرتب هذه الأمور ، يستقبل الطلبات ويلخصها ويعرضها على الشيخ رحمة الله ليوجه فيها بما يراه ، ويعد قوائم المساعدات ليراجعها ويعطي رأيه فيها ، ثم تكتب الشيكات ويقوم بتوقيعها ، وتصرف المبالغ القليلة نقداً من خلال المكتب .

وكان مكتبه إذا دخل شعبان يمتلئ وتمتلئ الرحبات حوله والممرات من كثرة المراجعين وطالبي المساعدات .

استمر رحمة الله على هذا حتى تقاعد في عام ١٤١٨ هـ ، ولما تقاعد انتقل العمل لمكتب البيت الذي كان قد أنشئ قبل تقاعده بعام ؛ أي في عام ١٤١٧ هـ .

وكان الوالد رحمة الله هو الذي يتولى كل ما يتعلق بهذا الموضوع من استقبال الطلبات وتوزيع المبالغ وكتابة الشيكات وقبلها كتابة الخطابات للأثرياء من الأمراء والوجهاء .

وقد استمر الذين كانوا يعطونه حينما كان في الإفتاء في إرسال مبالغهم إليه بشيكات باسمه .

بدأ مكتب البيت في الترتيب شيئاً فشيئاً، وبدأت مع إخوتي وبعض تلاميذ الوالد رحمة الله وموظفي المكتب وبخاصة الأستاذ يوسف العيسى في مساعدة الوالد في هذه المهمة، وكان رحمة الله حريصاً على متابعة كل شيء بنفسه، ولكن مع كبر سنه وكثرة أشغاله بدأ يوكل لنا في المكتب مهمة الترتيب ويشرف علينا، وكانت المبالغ تدخل في حساب خصصه للصدقات، وتخرج بشيكات منه شخصياً.

وفي السنوات الثلاث الأخيرة أوكل لي كثيراً من المهمات التي يقوم بها، وبدأت أتولى صرف المبالغ القليلة التي كانت تأخذ وقته في كتابة شيكاتها، وهكذا استمر الوضع حتى قبض رحمة الله.

وأما ما اطلعت عليه من قصصه في هذا المجال فسأسوق لك بعضاً ذلك، إذ الحديث حول هذا يطول.

فمن أطرف ما ذكره الأخ عبدالله الحوطي أنه حضر أحد الأشخاص إلى مكتب الشيخ بالإفتاء وهو من الجالية الهندية، وذكر للشيخ أن كفيله ظلمه ولم يصرف له رواتب سنة كاملة، وأن أهله في أمس الحاجة إلى المال، وكان يبكي بألم وحرقة، وبعد سماع الشيخ مظلّمته أمر بصرف مبلغ خمسة آلاف ريال مساعدة له، وعندما قاموا بتصوير إقامته تبين أنه غير مسلم، فأخبر الشيخ بذلك، فقال الشيخ: لا مانع، يعطى لتأليف قلبه للإسلام، فما كان من هذا الرجل المظلوم إلا أن طار من الفرح ولم يصدق ما قام به الشيخ وأخذ يقول: هذا كله لي، وكاد أن يغمى عليه، وأخذ في مدح الشيخ ويقول له: هذا أفضل واحد.





ويذكر الشيخ عصام العويد<sup>(١)</sup> أن سائلة جاءت في دار الإفتاء وقالت:  
أنا فقيرة.

قال: أتعرفين الخياطة؟

قالت: نعم.

قال: أولا تخيطين وتدعين عنك السؤال والتذلل للناس حتى يرفعك الله  
فأليد العليا خير من اليد السفلى؟

قال: لا بأس.

يقول كاتب الشيخ: فذهب الشيخ معي للسوق وقد قارب السبعين في  
ذلك الزمن، واشترى ماكينة الخياطة والأدوات.

وكانت زوجة أحد المشايخ من أعضاء الهيئة قد أصيبت بمرض عضال  
فتعب في علاجها وخسر الكثير حتى ركب من الدين ما يقرب من ستمائة  
ألف، فجاء به بعض الإخوة للوالد رحمة الله فَرَقَّ لحاله وتأثر كثيراً فكتب له  
كتاباً مؤثراً للأمير عبدالعزيز بن فهد رحمة الله وبعد مدة وجيزة جاء الفرج  
بتسديد المبلغ كاملاً من صدقات الملك فهد رحمة الله.

وأذكر قبل الأربعمائة وعشرة أن أحد الشباب من أسرة مشهورة  
بالتجارة تعاطى التجارة وخسر كثيراً، فجاء للوالد رحمة الله بعد أن تقطعت به  
السبل، فوقف معه الوالد وقفات كثيرة حتى سدد ما عليه من الديون، وكان  
يكتب له الشفاعات ويذهب بها أحياناً ويتصل بفرمائه ليخففوا عنه.

(١) فتاة اقرأ.

وتعرض أحد المشايخ من زملائه لغرامة بسبب ضمان لرجل أفلس فسجن في ذلك، فلما علم سعى مع بعض الإخوان حتى أطلق وسدد عنه بعد ذلك، وساهم الوالد رحمة الله بجزء من المبلغ.

وكان يأتيه المنقطعون أو المهددون بالسجن بسبب كفالة أو دين فيسرع للتفريج عنهم، إن كان يحتمل المبلغ والكتب لهم لبعض أهل الخير لمساعدتهم. وأما الذين أعرف أنه يراهم ويتعاهدهم إما شهرياً أو سنوياً فكثير من العوائل والأفراد، ولم أكتشف بعضهم إلا بعد وفاته رحمة الله على الرغم من اطلاعي على حالات كثير منهم، وسأفصل القول فيهم بعد قليل.

وقد اختط رحمة الله لنفسه في هذا الأمر خطة مبنية على أمور منها:

رحمة الخلق وحب التفريج عنهم والتوسعة عليهم، وهذا واضح من حاله رحمة الله، فهو رقيق القلب، جياش الشاعر، يتأثر سريعاً، فإذا جاءه المهموم المحزون واشتكى وبكى، تفاعل معه وشاركه همه وعاش حالته، مما يجعله يستجيب سريعاً ويبادر لفعل ما يستطيعه.

حسن الظن وحمل الناس على المحمل الحسن واحتمال المسيء منهم في سبيل الوصول للمستحق، فهو لا يعرف الشكوك ولا الظنون السيئة، ولا يضرب الاحتمالات المتوقعة للتحايل والكذب، وما ذاك إلا لصفاء نيته رحمة الله وطيب قلبه الذي لا يعرف خداعاً ولا غشاً، أحسبه كذلك والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً، وهذا ليس كلامي فقط بل كلام كل من عرفه، حتى قال ابن عثيمين رحمة الله للشيخ الدكتور عبد العزيز السدحان لما أخبره بالأنس في حلقات الشيخ فقال: يا عبد العزيز هذا من صدق نية الشيخ ابن جبرين<sup>(١)</sup>.

(١) قصتي في طلب العلم.



بذل الوسع المستطاع دون كلل أو ملل؛ لأن الهدف الإحسان والأجر لا الإعذار أمام الناس والمجاملة لهم، فليس هدفه صرف من جاءه بكتابة شفاعته لشخص لا يدري أيعطي أم يمنع، بل الهدف نفع هذا المسكين بأي وسيلة يستطيعها، ولهذا يعطيه أحياناً من ماله حتى لا يكاد يجد ما يعطيه رحمة الله.

هذه الأمور الثلاثة هي أبرز ما اختطه لنفسه رحمة الله في نفع الناس ورعاية الفقراء، ولهذا بوركت جهوده وكثر نفعه واستفاد منه الكثير كما سترى بعد قليل.

فإن رعايته الفقراء بدأت همًا ثم أصبحت من أهم ما يقوم به في خدمة المسلمين، ولعلي أتلمس أهم معالم هذا المجال.

كان الوالد رحمة الله يعطي من ماله.

وكان يعطي مما يأتيه من الصدقات والزكوات.

وكان يسعى لمن يحتاج شفاعته لدى أهل الجدة.

وأنا أعلم أن الأمر الأول لا يعنيننا هنا؛ لأنه رحمة الله لم يكن من أهل الثروة، بل كانت حاله منذ أن نشأ متوسطة، فلم يصل راتبه إلى خمسة عشر ألفاً إلا قبل تقاعده بثلاث سنين، واستمر في حدود الخمسة عشر ألفاً إلى أن توفى رحمة الله، ولم يكن يتعاطى في شيء من التجارات أو الاستثمارات أو العقارات.

وأما الأمر الثاني فقد كان جل ما يصرفه على الفقراء من الصدقات والزكوات التي ترسل له من أهل الأموال، وكانت تصل في الخمس عشرة سنة الأخيرة من عمره إلى عشرة ملايين ريال.

فمن الفقراء من يعطيه مرة واحدة، أو كلما زار أعطاه، وهذه غالباً مبالغ قليلة يسميها **رحمة الله** علثة، والعلثة في كلام العامة، وتستخدم في القصيم كثيراً الحجة، ولكنها عند العرب التعلق بشيء، وكأن الوالد **رحمة الله** يريد هذا المعنى؛ أي إن المحتاج يتمتع بها حتى تنتهي، وهو غالباً لا يعطي إلا من يعرفه أو يتحقق حاجته، وهذا الأمر مختص به لا يشاركه فيه أحد، ففي مكتبته درج خاص جعل فيه نقوداً يصرفها من البنك من جميع الفئات، فيعطي كلاً بحسب ما يقدره من حاجته، فيقوم بنفسه للمكتبة ويأخذ ما أراد ويعطيه الفقير، إلا في السنة الأخيرة أحسست أنه أراد إما أن أريجه أو أن يعلمني هذا الأمر، فكان يأمرني وأتي له بالمبلغ الذي يريد إعطائه الفقير، وكان يتألم إذا جاءه الفقير وليس عنده شيء، فإذا ألح عليه بعضهم صارحه بقوله: ما يخلق المدوم إلا الله، وكنا في نصف السنة الأول نعاني نقص الصدقات والزكوات، حيث يحرص على توزيعها بعدما تأتي في رمضان قبل نهاية العام، إلا في السنين الثلاث الأخيرة، فقد اقترحت أن نبقي مبلغاً لأصحاب الحاجات الطارئة، فقبل مشورتي كنا نبقي نحو ثلاثمائة ألف ريال لتوزيعها طول العام.

ومن اللطائف في هذا أنه إذا جاءه فقير وأراد مساعدته ولم يكن عنده في وقتها شيء كتب اسمه وهاتفه أو عنوانه وأرسل إليه إذا تيسر شيء، حتى إنني وجدت في أوراقه بعد وفاته ظرف رسائل كتب عليه اسم أحد الفقراء ورقم هاتفه وحاجته باختصار.

ومن الفقراء - وهم قلة - مَنْ خَصَّصَ له مبلغاً شهرياً، وهذا أيضاً مختص به ولا يزيد المبلغ على ألف ريال شهرياً، وأكثرهم لا تعرفهم، وما عرفت بعضهم إلا بعد وفاته **رحمة الله**، فأجريت ما كان يجريه لهم أو بعضه بحسب الطاقة.





وأكثر الفقراء يعطيهم مبلغاً سنوياً، وكان كما ذكرت هو الذي يتولى بنفسه هذا الأمر سواء نقداً أو بشيكات، فهو يعد قوائمهم بنفسه، ويشخص حالتهم بحسب ما يعرفه، ومن عباراته التي رأيتها كتبها أمام أسماء بعض الفقراء:

..... بنت..... أرملة فقيرة

أيتام..... أطفال وأرامل

..... بن..... مدين وذو عيلة وليس له دخل

أيتام..... بيتين وليس لهم من يعولهم (يوضع نصيب كل بيت على حدة).

..... بن..... مفلس من المال ومدين وذو عائلة وأقساط البنك.

وهكذا يصف حال كل شخص بحسب ما يعرفه، ويبلغ عدد هذه الأسر نحو ثلاثمائة، وكلهم يعرفهم ويعرف حالتهم، بعضهم من الرين والقويعية والجماعة، وبعضهم من معارفه وجيرانه قديماً وحديثاً، وبعضهم من طلابه، وفيهم جميع الجنسيات سعوديون ويمانينيون وأفارقة متعددو الجنسيات، ومن الشام والهند وباكستان وغيرهم.

كان معظمهم في المملكة، ولكنه مع هذا يهتم ببعض طلابه الذين سافروا لليمن، أو أولاد الذين توفوا.

وكان في كل عام قبل رمضان يجدد القوائم بحسب ما استجد عنده من معلومات، وربما كتب هذه المعلومات على رسالة وردته أو ظهر ورقة مستخدمة.

وفي السنين الأخيرة بدأنا في المكتب نطبع القوائم السابقة ونعرضها عليه للتعديل وتقدير المبالغ.

وكان رحمه الله قديماً يصرف المبالغ نقداً ثم بدأ يصرف المبالغ بشيكات من حسابه، واستمر على هذا قرابة خمس عشرة سنة، وفي السنين الثلاث الأخيرة ثقلت عليه، فكان يوكل إلى صرف المبالغ القليلة ويتولى هو كتابة الشيكات ذات المبالغ الكبيرة، ويكتب لي شيكاً بمجموع المبالغ التي سأصرفها. وقمنا في المكتب أيضاً في السنين الأخيرة بتوثيق الاستلامات من تصوير الشيكات وأخذ التوقيع بتسلمها ونحو ذلك للاحتفاظ بها للحاجة.

وممن يعطيهم سنوياً ما اصطالحنا على تسميتهم في المكتب بالوسطاء، وهم بعض الموثوق بهم من طلابه أو معارفه الذين يتولون شأن بعض الفقراء، فكان الوالد رحمه الله منذ مدة يعطيهم مبالغ لتوزيعها، بعضها متوسط كمشرة آلاف، وبعضها يصل لمائة ألف بحسب عدد من يتولاهم هذا الوسيط.

وكان يهتم بالفقراء من رجال الهيئات، كما يهتم بالمساجين ويعطي أحد الأخوة مبلغاً سنوياً لهم ولعوائلهم.

وكان بعض الوسطاء يعطي الوالد رحمه الله قوائم بالمستفيدين، مع أنه لا يطالبهم بذلك لثقتهم بهم ومعرفته لهم.

وربما قدموا قوائم وكتب عليها رحمه الله لبعض أهل الخير.

وممن يهتم بهم الغارمين الذين تحملوا ديوناً أو كفالات أو غرامات باهظة، ولا يستقبل من هؤلاء إلا من يعرفه ويتحقق من صدقه، وقد سعى مع شيخه ابن باز رحمه الله للوفاء عن كثيرين بملايين الريالات عن طريق الملك فهد رحمه الله بسعي ابنه المبارك عبدالعزيز، وعن طريق الأمير سلطان رحمه الله وعن طريق غيرهم.



فكان إذا وثق كتب للشيخ ابن باز رحمته الله بالموضوع وأرفق معه الإثباتات، ومن ثمّ يكتب ابن باز لمن يراه فيأتي الوفاء غالباً، فيسدد لأصحاب الحق مباشرة، ويفيد الشيخ بذلك، ونحتفظ في المكتب بالكثير من المعاملات في هذا الشأن بعد تقاعد الوالد من الإفتاء والمحفوظ في مكتبه في الإفتاء أكثر.

وبعد وفاة ابن باز رحمته الله صار الوالد رحمته الله يكتب مباشرة لمن يظن أنه سيوفي الدين أو يساعد فيه، وليس بين يديّ الآن إحصاء دقيق للمبالغ التي تسبب في وفائها، لكنها كثيرة جداً قد تزيد على مائة مليون ريال.

ويسعى رحمته الله للسداد عن عدد من السجناء الموقوفين في مبالغ مالية، وكتب مرة في ذلك للأمير سلطان رحمته الله فتبرع بخمسمائة ألف أخرج بسببها أكثر من ثلاثين شخصاً، بسعي من معالي الشيخ ناصر الشثري وابنه المبارك الدكتور محمد.

وإضافة إلى الشفاعة فقد كان يسدد أشياء من المبالغ التي تأتيه في رمضان، ولا يكون ذلك إلا عند الحاجة الماسة، كتشديد الدائن، وتهديد المدين بالسجن ونحوه.

وكان يهتم أيضاً بشراء بيوت لبعض الفقراء فيشفع لهم، أو يشتري لهم عن طريقه وهو لا يرى شراء البيوت من الزكاة، وإنما من الصدقات فقط، إلا إذا اشترى الفقير البيت ديناً فإنه يجيز الوفاء عنه من الزكاة.

ولست أذكر أيضاً عدد هؤلاء، لكنهم يقاربون العشرة أشخاص معظمهم أرامل أو أيتام.

وأما طريقته في جمع الأموال للصرف على الفقراء فقد ذكرت ثقة التجار به، وبخاصة بعد انتقاله للإفتاء، وأنهم يرسلون شيكات باسمه رحمة الله ويتولى الصرف منها، ولكن بعد حادثة أمريكا المعروفة بحادثة سبتمبر تغير بعض التجار بسبب التشديد على التبرعات، فحصل نقص في الصدقات، مما اضطره رحمة الله إلى أن يكتب لكثير من التجار لطلب إعانته على رعاية الفقراء وكانت خطاباته معبرة مؤثرة. وهنا سأورد أنموذجاً لترى ما كان يعانيه رحمة الله في رعاية الفقراء والسعي من أجلهم.

صاحب السعادة الشيخ / ..... حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد...

فندعو الله تعالى أن يبلغنا وإياكم شهر الصيام والقيام؛ ولما وهبكم الله من فضله نحب أن نذكركم بكثرة الذين يتوافدون علينا في كل سنة في هذا الشهر الكريم، من الفقراء والمساكين والغارمين والمرضى والمعاقين وغيرهم ممن ضاقت بهم السبل، وأصبح بعضهم رهن السجن أو مهدداً به، وكلهم ممن نعرف حاجته للمساعدة مباشرة أو عن طريق من نتق به، إضافة لقيامنا على بعض المشاريع الخيرية.

ولا شك أن الصدقة في رمضان مما يرجى بها مضاعفة الأجر، فقد كان النبي ﷺ في رمضان أجود بالخير من الريح المرسلة، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة؛ فاحتسبوا الأجر وساهموا في مساعدة إخوانكم الذين ابتلاههم الله تعالى بالفقر والفاقة، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم، وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين.



ولقد عودتمونا من عدة سنوات المساهمة معنا في هذا الباب، ولكننا نحب أن نذكر لكم هذا العام شدة الحاجة التي لحقت بالناس فلعل سعادتكم يزيد في هذه المساعدة لتشمل أكبر عدد من ذوي الحاجة والفاقة.

تقبل الله منكم وضاعف أجركم وأثابكم رضاه وصى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

أخوكم

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

وبسبب سعيه رحمة الله بعد توفيق الله صار بعض الأمراء والتجار يخصصون له مبلغاً سنوياً يرسلونه بشيك قبل دخول رمضان.

رحم الله الشيخ الوالد فقد فقده الكثير من الفقراء والمحتاجين وبكوا عليه، ولعل الله أن يخلفه عليهم بخير، وقد حاولت أن أكمل شيئاً مما يقوم به في هذا المجال فرأيت صعوبة ما كان يعاني رحمة الله.

### الإصلاح بين الناس

يجلس الوالد رحمة الله كما عرفنا يوماً بعد صلاة العصر في منزله، وكان ممن يأتيه من يريدون شفاعته وسعيه لإصلاح بين متخاصمين، أو تأليف بين متهاجرين، أو مساهمة في حل مشكلة بين صديقين أو زوجين أو أخوين، وهو يكون غالباً في الغرفة الخارجية فيذهب معهم إلى غرفة في داخل البيت ليكون الموضوع سرياً.

وقد حضرت معه الكثير من مساعي الإصلاح بين الأزواج أو الإخوة أو التجار؛ ولكون التشخيص في هذه القضايا يسبب حرجًا لأهلها فإني لن أذكر هنا أمثلة؛ لأن هذه القضايا مما يطوى ولا يروى، لكنها معلم مهم من معالم خدمته للناس لكون الناس يثقون بدينه وأمانته ورجاحة عقله وسداد رأيه، ولهذا ينتهي كثير من المشاكل - بحمد الله - بسبب سعيه وسداد رأيه، وكل ذلك بلطف وأدب وتواضع يضيفي مهابة ووقارًا على المجلس، مما يجعل الخصوم يلبنون، والفرقاء يأتلفون، فله الحمد والمنة.

ومما كان يستعين به الإخوان فيه السعي لدى أولياء القتل للعفو عن القصاص. وقد شهدت معه من ذلك مواقف، ولكن هذه المسألة عويصة ولم يمر عليّ من عفا بسبب زيارته رحمة الله. لكن لعل لها أثرًا في تليين القلوب للعفو فيما بعد، وهذا ما سمعته كثيرًا.

ومما يرويه الشيخ أحمد المهنا<sup>(١)</sup> قال: «طلب من الشيخ الحضور لأجل صلح عن قضية قصاص، فقلت للشيخ: هذا لا يناسب في هذا الوقت، لأننا مشغولون بدورة علمية، وكنت أحاول صرف الشيخ عن هذا؛ لأنني سمعت أن الموضوع عسير.

فقال الشيخ: عندنا قبل الظهر ربع ساعة نذهب فيها.

فانطلقنا وكان الموقف فيه نوع من التخوف، حيث بلغنا أن ولي القتل كان غاضبًا متشدّدًا لا يرضى بالوساطات.

فطرقنا الباب عليه من جهة ثم طرفنا من الجهة الأخرى، فخشيت أن الرجل يخرج بصفة فيها نوع من الغضب وسيء إلى الشيخ.

(١) قناة المجد.



فقلت يا شيخ: أذكرك بحديث النبي ﷺ: «الاستئذان ثلاثاً، نحن استأذنا أكثر من مرة وعندنا لقاء بعد صلاة الظهر في مكتب الدعوة وتوعية الجاليات.

فكان الشيخ يقول لي: انتظر قليلاً انتظر قليلاً.

فكان من رحمة الله ﷻ أن أذنَ الظهر ورجعنا.

والمواقف مثل هذا كثيرة، أسأل الله أن يجعلها في ميزانه حسناته.

### الرقية الشرعية

دعني أقدم لك كلام الشيخ الوالد رحمه الله حول هذا الأمر أولاً، ثم أعقب بذكر ما أذكره أو اطلعت عليه حولها.

يقول رحمه الله تعالى<sup>(١)</sup>: «لم أكن ممن يتعاطى الرقية العامة من العين أو غيرها إلا إذا أصيب أحد من أهل بيتي ولم يكن بُدَّ من رقيته.

وقد جربت الرقية لبعضهم فرأيت لها أثراً بيناً وكذا أصيب بعضهم بالعين فشفي بإذن الله بالرقية والأدوية المباحة التي أرشدت إليها الأدلة المشهورة، وكذا رقيت بعض الأقارب والأحباب الذين حبسوا عن نسائهم بما ذكره ابن كثير من ورقات السدر وقراءة الآيات التي ذكرها فوق الشفاء بإذن الله، وكذا كنت أقرأ في بعض الماء وأنث فيه مع القراءة فيشربه المريض ويجد له أثراً بيناً والله أعلم».

ويقول أيضاً: «امتنت أن أرقى المصابين، لكن في بعض الأحيان الأقارب الذين لا بد من رقيتهم نرقيمهم رقية عادية، ونذكر أنا رقيناً أحد المصابين

(١) الإجابة بخط الشيخ رحمه الله تعالى وأصلها عند أبي لوز.

بالجنون ونحوه، لكن يأتينا كثير يرغبون في أن نقرأ لهم في ماء أو في زيت أو في غسل ونتجاوب معهم ولو كان ذلك يأخذ علينا وقتاً.

فهو رحمة الله كما ذكر ممارسته للرقية على المريض مباشرة نادرة، ولا يفعلها إلا لقريب أو عزيز عليه من المشايخ والأصدقاء والجيران والتلاميذ ونحوهم.

وإذا قرأ على أحد فإن رقيته طويلة جداً فقد يستمر نصف ساعة أو أكثر، وهو يقرب من المريض وينفث على صدره نفثاً قوياً، ويمسح بعد كل نفثة ويبدأ بآيات القرآن، وهي كثير، ثم يثني بأدعية ليست بالكثيرة، ويختم بالحوقلة.

وممن أذكر أنه قرأ عليهم الوالدة رحمها الله، فقد كان يأتيها كل يوم في المستشفى ويرقيها ويدعو لها، وكذلك كان يقرأ على عمي إبراهيم في مرض موته كل يوم، وقرأ على بعض أخواته وبناته، وقرأ على بعض المشايخ كالشيخ ابن عثيمين والشيخ حمود التويجري رحمها الله وغيرهما، وكان يذهب في كل أسبوع غالباً لرقية أحد الأمراء - شفاه الله وعافاه -؛ لأن بينهما صحبة ومودة قديمة، وكان إذا زار مريضاً وقرأ عليه ربما طلب منه بعض من بجواره أن يرقيهم فيستجيب لطلبهم؛ لأنه لا يرد أحداً رحمة الله.

ومع هذا فقراءته على المريض مباشرة قليلة جداً. وقد طلب منه بعض الكبراء ذلك فاعتذر، ولكنه كان يقرأ في الماء والزيت والأدهان التي يأتي بها أصحابها في بيته.

وهذا ثابت عن السلف كما ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية<sup>(١)</sup>.

وقد خصص وقتاً بعد مجيئه من درس الفجر للقراءة في هذه الأشياء ومعظمها ماء زمزم. وقد عرف الناس عاداته؛ لأنه كان منظمًا رحمة الله، فما كان في الجهة الجنوبية فهو لم ينته، وما كان في الشمالية فهو قد انتهى، وكان - أحياناً - هو الذي ينقلها بين الجهتين ولو كانت كبيرة؛ لأن بعض الجوالين يسع عشرين لتراً.

(١) الآداب الشرعية ١/١٤٩.



وكان **رغبة** الله لا يتشدد في تزكية الرقاة، وقد حصل على تزكيته عدد كثير منهم، واستفادوا منها، واستفاد الناس منهم، وبعد أن كثرت الملاحظات على عدد منهم صار يتحرز في إعطائهم التزكيات، ويقول: من كان نافعا فسيأتيه الناس ولا حاجة للتزكية، ولا ريب أن تزكيته تفيد الرافي لدى الجهات الرسمية، وهو يعرف هذا، لكنه لم يعد يريد أن يزكي، فربما كان بعض الرقاة صالحا مستقيما، ولكن انكباب الناس عليه قد يفتنه، فربما فتن بعضهم بالمال أو بالنساء والله هو الحافظ نسأله الحفظ والإعانة.

وهو لا يحبذ القراءة الجماعية، ويرى أنها غير مشروعة، وأن القراءة الفردية هي الأصل وهي الأنفع<sup>(١)</sup>.

وهو لا يرى الاستعانة بالجن ولا تصديقهم<sup>(٢)</sup>؛ لأنهم يكذبون؛ لأنهم لا يعينون إلا من خدمهم.

ولا يرى بأسا بالأشرطة التي تحتوي على الرقية إذا كان ما فيها رقية شرعية صحيحة.

وهو في رقيته يحرص على قراءة الفاتحة، والمعوذتين، وسورة الإخلاص، وآخر سورة البقرة، وأول سورة آل عمران وآخرها، وآية الكرسي، وآخر سورة التوبة، وأول سورة يونس، وأول سورة النحل، وآخر سورة الإسراء، وأول سورة طه، وآخر سورة المؤمنون، وأول سورة الصافات، وأول سورة غافر، وآخر سورة الجاثية، وآخر سورة الحشر، ثم يدعو ببعض الأدعية المشهورة للرقية، مع التفتت بعد كل قراءة وتكرار الآية ثلاثا أو أكثر من ذلك.

(١) الفتوى رقم ٧٥٢١.

(٢) الفتوى رقم ٨١.

وذكر في علاج من أصيب بالعين أن يقرأ بعض الآيات على العين، وينفث عليه بعد القراءة كالفاتحة والبقرة وسورة يس وسورة تبارك الذي بيده الملك، وسورتي الإخلاص والمعوذتين، فينفث بعد كل آية، والنفث هو النفخ مع قليل من الريق، وهكذا يقرأ الأدعية وينفث بعد كل جملة، كقول: «باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»، وقول: «أعينك بعزة الله وقدرته من شر ما تجد وتحاذر»، وقول: «اللهم رب الناس أذهب الباس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا»، وقول: «بسم الله الشافي، وبسم الله الكافي، وبسم الله المعافي، أنا راقٍ والله واقٍ».

ويحرص رحمة الله كثيرًا على الرقية بآيات التوحيد المعروفة بالتهليلات، ويذكر<sup>(١)</sup> أنه روي عن ابن عباس أنه قال: «إن في القرآن سبعة وثلاثين موضعًا فيها قول لا إله إلا الله، من كتبت له بالزعفران ثم غسلت بماء زمزم أو بماء المطر شفاه الله من الأمراض المستعصية كالعين والسحر والصرع».

### عقود الأنكحة ومشكلات الطلاق

من الأعمال التطوعية التي يقوم بها رحمة الله عقد النكاح، وكان من أوائل الذين حصلوا على إذن بذلك احتسابًا، فقد منح له الإذن بعقود الأنكحة في تاريخ ٢٧/٤/١٣٩٦ هـ من رئيس المحكمة الكبرى في الرياض، وكان رئيس المحكمة هو الذي يتولى ختم العقود التي يتولاها الوالد رحمة الله، وفي عام ١٤٢٨ هـ صدر تنظيم لمأذوني الأنكحة فصدر له تصريح جديد من معالي وزير العدل بتاريخ ١٩/٣/١٤٢٨ هـ.

(١) الفتوى رقم ٩٣.



فهو قد تولى عقود الأنكحة أكثر من أربعة وثلاثين عاماً رحمة الله، وقد قمنا بإحصائية لما تولاه من العقود من تاريخ حصوله على التصريح إلى ١٤٢٩/٦/٢١ هـ فبلغت ٣٦٢٢ عقدًا، وتتفاوت السنوات في عدد العقود لكنه في عام ١٤١٣ هـ قام بإجراء ١٤٠ عقدًا.

وهو كما ذكرت يقوم بعقود الأنكحة محتسبًا، ولكن الناس تعودوا من عاقدي الأنكحة أن يأخذوا مبالغ مقابل ذلك، فإذا عقد لأناس لا يعرفونه فبعضهم يمد له مبلغًا من المال، وبعضهم يستحي فيسأل من كان حاضرًا مع الوالد رحمة الله من أولاد أو نحوهم، فإذا علموا أنه لا يأخذ شيئًا شكروا ودعوا وانصرفوا ممتنين.

ومع أنه لا يعقد إلا لمن يعرفه فإنه إذا جاءه من يطلب العقد ولو لم يكن يعرفه يعقد له، وقد حاولت أنا وإخوتي وأعمامي أن نريجه من هذا الأمر بعد أن كثرت مشاغله، إلا أنه آثر أن يستمر رغبة في الأجر؛ ولأن بعض الناس من أقاربه ومحبيه وتلاميذه يحبون أن يتولى ذلك لهم.

وكان رحمة الله سمحًا، يحرص على نفع الناس، فقد جاء يومًا أحد الأشخاص من كبار السن عند بيت الوالد رحمة الله، وقال: يا شيخ هذا ولد ولدي أن أريد تعقد له، وكان الوالد خارجًا لدرس بعيد في مسجد القاضي في حي التعاون، فنظر في الساعة وقال: عندنا درس بعيد ولا نتمكن أن نعقد لك لو جئت مبكرًا لعقدنا لك.

وكان معه تلميذه الشيخ أحمد المهنا، يقول الشيخ أحمد: فتأثر هذا الرجل وبدا على وجهه الضيق، فقلت للشيخ: عندي رأي، ما رأيك تعقد له أنت وما يتعلق بالضبط والوثيقة أنا أكتبها، فالعقد لن يأخذ إلا وقتًا قليلًا.

فقال: رأي مبارك، وجلس الشيخ وعقد لهم.

وحدث مثل هذا معي مرات، حيث يكون مشغولاً أو على موعد فينيبني في العقد والكتابة، ثم هو يتولى التوثيق، وحينما كان رحمته الله في المستشفى، كان قد وعد أحد الأعمام ليعقد لابنه فأمرني أن أذهب للعقد لهم، فصليت الجمعة في جامعته ثم ذهبت وعقدت لهم، وحينما رجعت سألتني: هل عقدت؟ فقلت: نعم، فدعا لي ولهم، وكان هذا اليوم في تاريخ ٢٦/٢/١٤٣٠هـ، وهو اليوم الذي أدخل العناية المركزة فيه مرة أخرى بعدما تجدد عليه المرض رحمته الله.

وهو في عقوده يحاول أن يربط الزوجين بالله ويحملهما المسؤولية، ففي الإيجاب يأمر الولي أن يقول: زوجتك وأنكحتك بنتي فلانة على ما تراضينا عليه من الشروط، وعلى الصداق المعلوم، وعلى القيام بالحقوق الزوجية والواجبات الشرعية، والإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان، ثم يأمر الزوج بالقبول بنحو هذه العبارة وربما زاد وبذل الندى وكف الأذى.

ويكتب ذلك في عقد النكاح، ويزيد عليه المحافظة على الأخلاق الحسنة وعلى الصلاة وصحبة الأخيار ونحوها من التوجيهات المفيدة.

وهو يحب أن يذكر الصداق الحقيقي، ويقول: إنه حق للمرأة والمرجع عند النزاع لما كتب: لأن بعض الناس قد يكتب الصداق ريالاً أو نحوه فهولا يحبذ مثل هذا إلا إذا وثق في العاقدين بأنهم من أهل الصفاء والوفاء، وذلك حسماً لمادة النزاع ولحفظ حق المرأة.

وهو يعقد غالباً بعد صلاة العصر في المنزل، ولا يحب الذهاب لبيوت أهل العقد إلا إذا كان لهم نوع تميز كقريب أو صديق أو نحوهما.

ولا أذكر أنه عقد لأحد من الكبراء، فمعظم من يأتيه أقاربه ومعارفه وتلاميذه وعوام الناس.



وقد عقد لنفسه على زوجته الثانية أم عبد الرحمن بعد وفاة الوالدة رحمها الله، وكان التنظيم الذي يمنع ذلك لم يصدر بعد، وعقد نكاحي ونكاح إختوتي وأخواتي.

ومن المواقف اللطيفة التي تدل على أنه يراعي المصالح إذا وثق ما ذكره عبد الله بن الشيخ سعيد بن زعير يقول: «حينما خطبت أختي «أم محمد»، وعرضنا الأمر على الوالد في إحدى زيارتنا له في السجن من العام ١٤٢٠هـ، فوافق بل قابل خاطبها في زيارة أخرى، وحين تم الاتفاق على كل التفاصيل وتم تحديد موعد الزواج، وقعنا في مشكلة قبل الموعد بيومين، فالوالد لا يمكنه الخروج، ومنعت عنه الزيارة كما منع عنه الاتصال، فكيف نبرم عقد النكاح ولا ولي ولا وكالة منه! عرضنا الأمر على عدد من مأذوني الأنكحة فرفضوا مع علمهم بالحال، فعرضه عمي د. فهد على الشيخ عبد الله رحمها الله. وأكد له أن والدها موافق على الزواج من هذا الشاب، فطلب مهلة ليتأمل الأمر، وحين مررت على الشيخ في منزله بحي السويدي، قلت له: يا شيخ، ليس لدينا حل ولا تواصل لنا مع الوالد، فوافق تغمده الله بواسع رحمته، وكان معي وقتها الشاب (علي الكلثم) فتم العقد ولله الحمد».

ومما يتعلق بهذا الموضوع موقفه من الطلاق وجهوده الكثيرة في دفعه أو رفعه، وهو يجمع في هذا الموضوع بين الاحتياط والتوثق.

فغالبًا لا يفتي أحد الزوجين دون أن يسمع من الآخر، وكثيرًا ما يأتيه الأزواج يسألون عن الطلاق فيفتيهم شفويًا فإذا أرادوا فتوى مكتوبة طلب الزوجة ووليها دفعًا للمشكلات.

وهو يرى وقوع ما يعرف بالطلاق البدعي كطلاق الحائض والطلاق في  
 طهر قد جومعت فيه الزوجة، ولكنه غالباً لا يجيب المستفتي، بل يحيله إلى الشيخ  
 ابن باز رحمته الله أو الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ من باب التوسعة على الناس.

وكان الشيخ ابن باز رحمته الله يحيل عليه تسجيل أقوال الزوجين حتى يفتي  
 على ضوء ما وثقه الوالد رحمته الله من أقوالهما، ولذا كان رحمته الله عندما ترفع  
 له حالة من هذه الحالات يطلب حضور الزوجين مع ولي الزوجة، ويسجل  
 أقوالهما في محضر يقوم برفعه لسماحة المفتي العام الشيخ ابن باز رحمته الله،  
 وذلك للنظر فيه.

ومن نماذج ذلك هذه الواقعة:

الرقم: ٣٦٥/٤/ج. التاريخ: ١٧/٣/٢٧هـ:

سماحة شيخنا ووالدنا المفتي العام عبدالعزيز بن عبد الله بن باز  
رحمته الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد: وصلني خطابكم رقم (١٢/١/ف) في: ١٧/٣/٢٦هـ، بشأن  
 الأخ (.....)، وزوجته: (.....)، وقد كتبنا ما حصل بينهما بحضور أبيها  
 وأخيها، واليكم الإثبات؛ مع أنه قد أخرج بالطلاق صكاً شرعياً في المرتين.  
 والأمر ما ترون، وجزيتم خيراً.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

ابنكم: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، عضو الإفتاء.

التوقيع والختم

\*\*\*\*\*

محضر استجواب الزوجين:

التاريخ: ٢٧/٣/١٤١٧هـ:

الحمد لله وحده، وبعد:

فقد حضر لدي: (.....) بالحفيظة رقم (.....) في: ٢٤/٣/١٣٨٩هـ، سجل نجران، وحضرت معه زوجته: (.....)، وقد عرّف بها أبوها: (.....) بالحفيظة رقم (.....) في: ٢٦/٦/١٣٨٤هـ، سجل حائل، وذكر (.....) أنه طلق زوجته المذكورة باختياره في محكمة الضمان والأنكحة طلاقة واحدة بالصك رقم (١٨٧) في: ٢٩/١/١٤٠٨هـ، ثم راجعها في العدة بشاهدي عدل، ثم طلقها بالثلاث بلفظ واحد في محكمة الضمان، وأخرج بذلك الصك رقم (٣٥) في: ٢/٥/١٤٠٨هـ، وهو بكامل قواه العقلية، ولا يذكر حالتها في زمن الطلقة الأولى، فأما الثانية فذكر أنه اعتزلها قبله بشهرين، ووقع الطلاق بعدها بعد أن تزوج بغيرها، ولا يعرف حالتها من طهر أو عدمه ولم يطلق غير ما ذكر في الصكوك.

أما الزوجة فذكرت بحضرة أبيها وأخيها أن الطلقة كانت إثر نقاش يسير، وكانت عند أبيها فلما رجعت أخبروها بأن ابن عمها قد طلقها ولا تتذكر حالتها وقت الطلاق من طهر أو عدمه، ولا تتذكر متى عهده بها في الوطاء؛ إلا أنها تأكدت عدم الحمل.

أما الطلاق الثاني فبعد أن رجع متزوجاً حصل بينهما نقاش فقال: (ما أنت على ذمتي)، ثم أخرج الصك، وذكرت أنها نسيت حالتها من الطهر أو عدمه، وأنه لم يطأها منذ شهرين، أي: قبل سفره، وذكرت أنه لم يطلقها سوى ما ذكر في الصكين.

أما أبوها وأخوها فليس عندهما خبر من الطلاق إلا بعد أن وقع على الوصف المحرر، ولا يذكران لذلك سبباً ظاهراً، وذكرت أنه لا مانع من الرجوع إليه إذا أباح الشرع ذلك؛ هكذا حصل.

أثبت ذلك عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، عضو الإفتاء.  
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

التوقيع والختم

فتوى سماحة الشيخ ابن باز رحمة الله:

الرقم: ١٤٣٨/١/ف. التاريخ: ١٤١٧/٣/٣٠هـ:

من عبدالعزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة عضو الإفتاء الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، وفقه الله آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بعده يا محب:

أعيد لفضيلتكم برفقة كتابكم رقم (٤/٣٦٥/ج)، وتاريخ: ١٤١٧/٣/٢٧هـ ومشفوعاته، وأفيدكم بأنه بناءً على ما أثبتته فضيلتكم بالوثيقة المرفقة من صفة الطلاق الصادر من: (.....)، على زوجته: (.....)، أفتيته بأنه قد وقع على زوجته (.....) المذكورة بالطلاق الثاني الذي في: ١٤٠٨/٥/٨هـ، المدون في الصك المرفق صورته، الصادر من محكمة الضمان والأنكحة بالرياض طلقة واحدة في أصح قولي العلماء، تضاف إلى الطلقة السابقة التي بتاريخ: ١٤٠٨/١/٢٥هـ، المدونة في الصك المرفقة صورته الصادر من محكمة الضمان والأنكحة بالرياض.

لأنه قد ثبت عن النبي ﷺ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على أن التطليق بالثلاث إذا كان بكلمة واحدة يعتبر طلاقاً واحدة، وله العود إليها بنكاح جديد بشروطه المعتبرة شرعاً.

فأرجو إشعار الجميع بالفتوى المذكورة، وأمر (.....) المذكور بالتوبة إلى الله سبحانه من تطليقه زوجته بالثلاث؛ لأن ذلك لا يجوز، كما لا يخفى.

شكر الله سعيكم، ووفق الجميع لما يرضيه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مفتي عام المملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء

وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

الختم

\*\*\*\*\*

وكان رحمة الله لا يفتي في مسألة صدر فيها صك حتى لو أخطأ القاضي في الحكم اتباعاً للقاعدة المشهورة «حكم الحاكم يرفع الخلاف»، ونادراً ما يتصل بالقاضي ويناقشه، ومما يذكره ابن العم أحمد بن محمد أن الوالد رحمة الله كان في حفر الباطن فجاءه أحد المواطنين من تبوك يبكي، يقول: إنني بحثت عنك في جدة والرياض والقصيم فلم أجدك، وكانت لديه مسألة طلاق، حيث إن أحد قضاة تبوك قضى بطلاق زوجته منه وكان متأثراً، فلما شرح السائل قضيته طلب منه الشيخ رقم القاضي فاتصل به وناقشه في الفتوى التي صدرت منه، وقال: إنها خطأ فتراجع القاضي وأعاد إلى الرجل زوجته فخرج متلهلاً فرحاً مسروراً.

## كتابة الوصايا ونحوها

ومما يأنس الناس فيه إليه كتابة الوصايا والأوقاف والهبات ونحوها، وكذلك التصديق على المبايعات القديمة وتوثيق العقود وما أشبه ذلك، والسبب اطمئنانهم للشيخ وثقتهم بأنه سيجري الأمر على أفضل طريق.

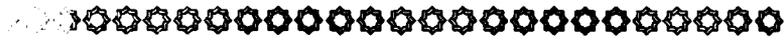
وكان كثير من كبار السن يأتون إليه بالوصايا أو الأوقاف المعهودة ويعملون مثل ما هو مشهور بأن يكون في الوصية أو الوقف أضاح لهم ولن يحبون، وما تبقى كان للأقربين، وكنت في أول أمري إذا حضرت أحب أن يعدل الوالد فيها لتكون في الأعمال الخيرية عامة، فكان لا يوافقني ويقول: «الأقارب أولى ثم أعمال البر»، وهذا منهج لم أدرك فائدته إلا لما عايشته الناس وحاجتهم.

ومن نماذج الوصايا التي كتبها رحمة الله:

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وبعد...

فهذا ما أوصى به..... وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأوصى أولاده وذريته من بعده أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم، ويصلوا أقاربهم وذوي أرحامهم، ثم أوصى بأن تكون الفيلا المقامة على الأرض الواقعة في البديعة والمملوكة بالصك رقم..... في..... الصادر من كتابة العدل الأولى بالرياض سبالة له ولوالديه يخرج منها كل عام أضحية متوسطة والباقي بعد صيانتها





يصرف في أعمال البر المتنوعة التي تنفع الميت من الصدقة وأمور الدعوة وغيرها، ويقدم المحتاج من الأقارب، وإذا احتاجت والدتهم السكنى في أحد الأدوار فهي أحق به، وأوصى أن يكون الوكيل على الوصية ابنه..... ثم الأصلح من أبنائه، هكذا أوصى وهو بالأوصاف المعتبرة شرعاً، أثبت الوصية عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين عضو الإفتاء المتقاعد، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

هذه أبرز الأمور التي كان رحمه الله يقوم بها في المنزل خاصة حينما يفتح الباب بعد العصر، ولا شك أن هناك أعمالاً أخرى، منها القيام على بناء بعض المساجد والأوقاف، ومن أشهر المساجد التي كان من المشرفين عليها جامع الصانع بالسويدي، وهو الآن من أكبر الجوامع في الحي وأشهرها، وكان الذي سعى فيه الشيخ بدر الفلاج، وجعل لجنة فيها الوالد رحمه الله والشيخ عمر العيد والشيخ عبد الله الصالح وآخرون، وكانت الشيكات لا تصرف إلا بتوقيع الوالد رحمه الله، وسعى لجمع الأموال من المتبرعين حتى تم هذا الجامع ومرفقاته العديدة، ومنها جامع عمر بن عبد العزيز في حي حطين، تولى الوالد رحمه الله جمع الأموال له، وكان الذي يتابعه رجل صالح يقال له ابن حسين توفي رحمه الله، ومنها مسجد بني في حي الدار البيضاء في الرياض على نفقة رجل يقال له ابن عون.

وكان كثير من الإخوة يجعله رأساً في بعض المشروعات؛ لعلمهم بأن ذلك سيساعد على إتمام المشروع، فقد جعلوه في وقف مكتب الجاليات في الديرة، وفي بناء سكن لأحد الجوامع في النماص، وهناك غيرها مما لا أذكره الآن، وكان يفرح بذلك ولا يمانع، فرحمه الله ورفع درجته في عليين.

ومما يقوم به توزيع الكتب على طلبة العلم، وكان يجمعها في ركن من أركان مكتبته حتى أنشأنا المكتب ففرغنا فيه غرفة كبيرة وجعلنا فيها أدراجا فامتلات بالكتب، وكثيراً ما يأتيه طلاب العلم وبخاصة من خارج المملكة فيزودهم بالكتب.

ومما قام على توزيعه كتاب الزركشي في عام ١٤١٢هـ و١٤١٣هـ. ولدينا قوائم كتبها للذين سيوزع عليهم وبيان تسلمهم وبعضها فيها توابع للمتسلمين.

كما وزع على طلابه بعض الكتب التي أهداها لهم الشيخ عبد الله الراجحي، وكذلك إذا شرع في شرح كتاب جديد يسجل الطلاب الذين يحتاجون إلى شرائه، ولدي قائمة بأسماء الطلاب الطالبين كتاب معارج القبول.

وإذا قرب موسم الحج جاءه بعض من يثقون به بمبالغ يرغبون إليه أن يبحث عن يقوم بالحج نيابة عن والديهم أو بعض أقاربهم، فيقوم بالحج بنفسه بتوكيل الغير وتسليمهم المبالغ وتقييد من حج وعن ستكون حجته، ولم نتول في المكتب هذه المهمة إلا في سنه الأخيرة.

رحم الله الوالد فقد كان فعلاً مؤسسة متكاملة وبأباً مشرعاً لخدمة المسلمين.

### العمل الخيري

أريد بالعمل الخيري ما كان يقوم به بالحج من جهود في دعم العمل الخيري خارج إطار المكتب، فإنه بالحج يحمل هم الأمة ويحب لأمته ولسائر الناس الخير، ولهذا فهو لا يدخر وسعاً في إعانة من يحتاج منه إلى شيء من ذلك، وستحدث في هذا المحور عن جهوده لدعم وتبني العمل الخيري في داخل المملكة وخارجها من خلال النقاط الآتية.



## ١- زيارة الجمعيات الخيرية والمراكز الدعوية وتشجيعها

يزور رحمة الله الجمعيات الخيرية ومراكز الدعوة بدعوة من أصحابها، وهو غالباً يلبي الدعوة سواء أكانت لحضور مناسبة أم حفل أم دعوة لزيارة خاصة به للاطلاع على المناشط والجهود التي تقوم بها الجمعية أو المركز. وهو يزور هذه الجمعيات سواء أكانت في الرياض أم في خارج الرياض؛ لأنه إذا ذهب لمحاضرة أو دورة في مدينة من المدن يحرص أصحاب الجمعيات على زيارته لهم للاستفادة من هذه الزيارة في توجيهه والدعم المعنوي، وهو رحمة الله يدرك هذا المعنى، ولهذا لا يرد هذه الدعوات بل يحرص عليها؛ لأن لها أثراً ملموساً في نفوس العاملين.

يقول الشيخ الدكتور عبد الواحد بن حمد المزروع<sup>(١)</sup>: «شرفت بزيارة شيخي الكريم المفضل لمكتبنا التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالدمام، وكانت له كلمات توجيهية وتشجيعية، وكلمة دونها في سجل الزيارات أضعها وسأما لي ولزملائي في المكتب على صدورنا من رجل في مثل مقامه رحمة الله، وكان رحمة الله هو المبادر بالزيارة، حرصاً منه على تشجيع أعمال الدعوة، ودعمها وزيارة العاملين فيها وشد أزهم».

وزار مرة الإفطار الجماعي في مكتب الدعوة وتوعية الجاليات في الصناعية القديمة، وأخذ يسلم على الجاليات فيعطى كل جالية تحية بلغتها؛ لأنه يعرف كثيراً من الكلمات ببعض اللغات كما ذكرنا، يقول الشيخ أحمد المهنا: فأنا انبهرت لمعرفة هذه اللغات كالأوردو والمليلم وغيرهما، الحضور كان قرابة ألفين من الجاليات، وجلس الشيخ وأفطر معهم بكل تواضع وأريحية، ثم زار المكتب واطلع على مناشطه وكتب لهم ترقية طويلة.

(١) مقالة بعنوان «ابن جبرين ذلكم العلم» في جريدة اليوم بتاريخ ٢/٨/١٤٣٠هـ

<http://www.alyaum.com/oldsite/issue/article.php?IN=13188&I=692212&G=1>

وزار جمعية اسمها بيت المؤمن الخيري لرعاية الأيتام تابعة للمؤسسة الخيرية لرعاية الأيتام، وتأسس بيت المؤمن الخيري لرعاية الأيتام في مدينة الرياض في مطلع عام ١٤٢٤ هجرية كأول مشروع خيري يعنى برعاية الأيتام في مرحلة الطفولة المتأخرة (٩ سنوات)، حيث يقيم فيه ٢٧ طفلاً ذكراً.

وزار جمعية مكافحة التدخين بطلب منهم، ولما طلبوا منه رحمة الله كلمة عن الدخان ألقى كلمة ضافية في قرابة ساعة كاملة يتكلم بكل طلاقة كأنه يقرأ من كتاب.

وهو إذا زار الجمعيات أو مكاتب الدعوة يطلبون منه غالباً كتابة كلمة لهم في سجل الزيارات تزكية لمناشطهم، ويذكر بعض الإخوة الذين رافقهم لمدينة الخرمة أنه كتب في يوم واحد لثمان من الجمعيات والمكاتب. فقالوا للشيخ شجاع الشريف وهو عمدة للدعوة هناك: أتعبتم الشيخ فقال: متى نجد الشيخ عبد الله؟ ونقلنا قبل عن الدكتور خالد الخليوي<sup>(١)</sup> أنه ما طلب منه أن يسجل كلمة في سجل الزيارات لبعض المؤسسات أو مدارس تحفيظ القرآن الكريم والجمعيات الخيرية في مختلف أنحاء المملكة إلا وجد زيارة الشيخ ابن جبرين مدونة في سجل الزيارات قبل كثير من الدعاة.

ونقلنا عن الدكتور عبد الوهاب الطريري<sup>(٢)</sup> قوله: «فوجئت عندما زرت قرية نائية في جنوب المملكة والمسافة بعيدة، والطريق وعراً، حتى ظننت أنني أول من زارها، فلما قلبت سجل الزيارات في مركز الدعوة وجدته قد حضر في أول صفحة».

(١) [ibn-jebreen.com/ommah/print.php?t=view&cid=480](http://ibn-jebreen.com/ommah/print.php?t=view&cid=480)

(٢) مقالة بعنوان: «حياة من نور».



ولعلك تظن أن كتابة الشيخ الوالد رحمة الله في سجل الزيارات كتابة مجاملة في سطرين أو ثلاثة إنه رحمة الله يكاد يملأ الصفحة بثناء وذكر لفوائد هذه الجمعية وأعمالها وحاجتها للوقوف معها، ويُرغَّب التجار في البذل، ويذكر نصوصًا في ذلك بكلام محرر محبر بليغ غاية في البلاغة.

وكنا في آخر سنيه نقترح على الجمعيات أن نأخذ السجل معنا؛ ليكتب لهم الوالد في وقت فراغه حتى لا يتعب، فنأخذه وإذا رجع للسكن كان أول ما يبدأ به الكتابة.

وهو يحضر مناشط هذه الجمعيات والمكاتب ويشجعها على أعمالها، ويتعمد بعض المكاتب أن يقصدوا الشيخ الوالد رحمة الله في محاضرة له أو درس ببعض مناشطهم؛ ليستفيدوا من الحضور لتشجيع المستهدفين خاصة المسلمين الجدد.

ففي إحدى الدورات في يوم الثلاثاء ١٢-٢-١٤٢٦هـ أتى أحد الإخوان وهو من جنسية تركية بشخصين من النصارى وطلب من الوالد رحمة الله أن يلقنهما الشهادتين<sup>(١)</sup>، وكان الموقف لا يوصف من روعته وروحانيته، حيث تأثر الحاضرون وبكوا.

وقد سُجِّلَ هذا الموقف، ولطرافته أُورِدَهُ هنا كما هو:

تلقيت رجلين من القلبين الشهادتين على يد سماحة الشيخ عبد الله بن جبرين رحمة الله.

ابتدأ رحمة الله بكلمة جاء فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

(١) مقالة للشيخ خالد بن علي بن محمد الحيان، جريدة الجزيرة

<http://www.al-jazirah.com/104890/fe7.htm>

ها هنا اثنان من العمالة من الجنسية الفلبينية، اللذان كانا على غير الإسلام، وقد دعاهم الدعاة المخلصون فهداهم الله لاعتناق الإسلام وجاءوا راغبين في أن يعتنقوا الإسلام وأن يشهدوا به.

ونحث جميع المسلمين على أن يعملوا هذه الدعوة، كل من عرفت من غير المسلمين عليك أن تعرض عليه دين الإسلام، وهم موجودون كثيراً، يعملون في المحطات، ويعملون في المستشفيات، ويعملون في الشركات، ومع ذلك ليسوا على دين الإسلام، فإذا عرض عليهم رُجي أنهم يتقبلونه ويكون لك أجر (من دل على خير فله مثل أجر فاعله).

ثم بدأ **رحمة الله** حواراً معهما والمترجم يترجم فقال: نقول: هل أنت مقتنع اقتناعاً كاملاً بالإسلام؟

الإخوة الفلبينون: نعم.

سماحة الشيخ **رحمة الله**: مقتنع بالإسلام، تعرف أنك لو كفرت ورجعت إلى دين غير الإسلام حل قتلك؟

الإخوة الفلبينين: نعم.

سماحة الشيخ **رحمة الله**: لأن (من بدل دينه فاقتلوه).

إذا رجعت إلى بلادك الفلبين يلزمك أن تظهر الدين، وأن تتمسك بالدين، ولو دعاك الناس الذين هناك ولو عادوك تتمسك بالإسلام وتحمد الله على أنه هداك للدين، وأنتك ظفرت به وأصبحت من أهل الإسلام.

الإخوة الفلبينين: نعم.



سماحة الشيخ رحمته الله: الآن نطلب من كل واحد منكم النطق بالشهادة.

تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأشهد أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وأشهد أن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

الإخوة الفلبينيون: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأشهد أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وأشهد أن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

سماحة الشيخ رحمته الله: بقي عندنا تقول: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وآمنت بالقدر خيره وشره من الله.

الإخوة الفلبينيون: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وآمنت بالقدر خيره وشره من الله.

ثم خاطب رحمته الله الذي جاء بهم وتسبب في هدايتهم فقال له: أنت الذي دعوتهم، جزاك الله خيرًا، لعلك تذهب معهم إلى مكتب الدعوة في سلطنة شارع السويدي يعطونهم وثائق ويكتبون عليها ويرفعون بأمرهم حتى يغير الجواز وتغير الإقامة وتغير الديانة إن شاء الله.

وهو رحمته الله يولي حلقات القرآن وحفاظ القرآن عناية خاصة، يستقبلهم في منزله، ويشجعهم، ويزور حلقاتهم، ويحضر حفلاتهم، ويستمتع لقراءات الطلاب، ويلقي كلمة يثني عليهم فيها، ويوجههم، ويشجعهم، ويكتب لهم

التزكيات والتوصيات. ومن نصائحه لطلاب الحلقات قوله<sup>(١)</sup>:

«الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فتنصح أبناءنا بالمواظبة على هذه الحلقات، وعدم التخلف إلا لعذر لا يمكن تأخيرها، وننصحهم ثانيًا أن يتعهدوا ما حفظوا، ويكرروا قراءته وتذكره كل يوم أو كل يومين؛ حتى يرسخ في أذهانهم، وننصحهم ثالثًا بالألا ينشغلوا عن مواصلة الحفظ ولو تقدمت أسنانهم، ولو كانوا في المرحلة الثانوية أو الجامعية، فإن القرآن أولى بالاهتمام، وننصحهم رابعًا بالألا يفتلوا عن قراءة القرآن ولو بعد إتمامه حفظًا، بأن يجعل أحدهم له كل يوم حزبًا يقرأه كربع القرآن أو ثمنه أو نحو ذلك.... إلخ».

وبسبب هذا الحضور الفاعل في العمل الخيري، ومساندة الجمعيات والوقوف معها، والقبول الذي وضعه الله له لدى الخاصة والعامة، فإن عددًا من الجمعيات حرصت على انضمامه إليها، وفيما يلي إشارة لما أتذكره منها.

مؤسسة الحرمين الخيرية، حيث كان رئيسًا للمجلس الشرعي بها.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي، كان رئيس الهيئة الشرعية بالندوة منذ عام ١٤٢١هـ حتى وفاته رحمة الله. وقد جاء في بيان الندوة حول وفاته أنه كان له دوره الكبير في دعم ومساندة العمل الخيري، عبر فتاواه الشرعية والتأصيلية، وكتابة التزكيات للمحسنين وأهل الخير لدعم الأعمال الدعوية والخيرية.

الجمعية الخيرية في القوية وتولى رئاستها عددًا من السنوات.

جمعية التوعية والتأهيل الاجتماعي «واعي» عضوية فخرية.

(١) من نصيحة عامة لطلاب التحفيظ، بتاريخ ١٤٢٢/٧/٧هـ.



## ٢ - العمل الخيري في الخارج

كما يبذل رحمة الله جهوده في دعم العمل الخيري في داخل المملكة، فإنه لم ينس المسلمين في الخارج، وحتى لا يحدث تكرار فإننا سنركز على العمل الخيري بمفهومه المعاصر الذي هو دعم النشاطات الدعوية والتنمية والاجتماعية والإغاثية؛ لأنه سيأتي كلام مستقل عن اهتمامه بقضايا المسلمين فيما يتعلق بدعومه قضايا المسلمين السياسية ونصرتهم.

لقد كان لدعومه المعنوي لمؤسسة الحرمين الخيرية وللندوة العالمية للشباب الإسلامي أثر في أنشطتهما الخيرية في خارج المملكة، وهما من الجمعيات المهمة، حيث يعرف الخير الذي وصل للمسلمين عن طريق مؤسسة الحرمين الخيرية والذي ما زال يتواصل عن طريق الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

ولم تكن هاتان الجمعيتان هما فقط اللتين استفادتا من الدعم المعنوي له رحمة الله، فإن هيئة الإغاثة الإسلامية في فرع الشرقية خاصة، كانت أيضاً ممن استفاد من توصيات الوالد رحمة الله ودعومه المعنوي لمشروعاتها، فضلاً عن الكثير من الجمعيات الإسلامية في الهند والباكستان وإفريقيا وشرق آسيا التي تواصلت معه رحمة الله ولقيت منه تأييداً أو شفاعة أو دعماً مادياً، فهو رحمة الله لا يرد أحداً من هؤلاء، خاصة قبل أحداث سبتمبر التي حصل بعدها تشديد على دعم الجمعيات في خارج المملكة.

وبعيداً عن الدعم المعنوي فإن له رحمة الله وقفات مع العاملين للإسلام في خارج المملكة.

الشيخ عبدالغفور المدني من أهل الحديث في باكستان، أنشأ جامعة في مدينته في جهلم من إقليم البنجاب في باكستان، زار الشيخ عبدالغفور

الوالد في الإفتاء فأنس كل منهما بالآخر رحمهما الله تعالى، وأصبحت زيارة الشيخ عبدالغفور زيارة سنوية يقصد فيها الوالد رحمته الله في الدرجة الأولى لما يجد منه من الدعم والإعانة.

كان يعطيه مما عنده، ويشفع له عند الأثرياء، ويقوم بنفسه بالذهاب معه للجوامع الكبيرة، وفي رمضان للمساجد كثيرة الجماعة فيجمع بالآلاف.

أشرت لهذا من قبل إشارة عارضة، لكنني لم أفصل، ولم أقل إنني دهشت لما صلينا في جامع الأمير محمد بن عبدالرحمن بقرب سوق عتيقة وكان خطيبه آنذاك الشيخ محمد الزنان رحمته الله، ولما انتهت الصلاة تقدم الوالد رحمته الله وتكلم وحث الناس على الصدقة، وكنت أنا وبعض الإخوة نقف على الأبواب، فأحصينا ما جمعناه في تلك الجمعة فزاد على سبعين ألف ريال، وأجزم أننا جمع لهم في كل عام ما يقرب من ستمائة ألف ريال وهي ميزانيتهم السنوية.

ولما توفي الشيخ عبدالغفور تواصل أبناؤه محمد وعبدالحميد وأحمد، ثم ضعف نشاطهم بعد الأحداث التي أضرت بالعمل الإسلامي في كل مكان.

وجاءنا في المنزل الشيخ عبدالكريم ومعه ابنه نصر الدين، ويعرف بنصرو، والشيخ عبدالكريم من مشايخ الصوفية في بلده إثيوبيا في منطقة تبعد عن العاصمة نحو ستمائة كيلو، كان الذي جاء به إثيوبيًّا يعمل في الرياض من بلدهم، وعرضوا على الوالد أن يبني عندهم مدرسة وجامعًا، وذكروا حاجة بلدهم لذلك؛ لبعدها عن الحواضر والتعليم، شرح الله صدر الوالد لهم، فالتفت إلي وكان هذا في عام ١٧١٤ هـ، وشاورني فقلت: إن رأيت أن أسأل من أعرف هناك فعلت، ثم سألت بعض الإخوة في وزارة الشؤون





الإسلامية وتواصلت مع المنتدى الإسلامي؛ لأن لهم مكتباً هناك، فكلهم شجعوا على العمل في البلد لحاجته وتوقع الأثر الجيد للعمل، وكلفني رحمة الله بالسفر فسافرت لإثيوبيا، وكانت قد خرجت لتوها من قبضة النظام الشيوعي في عهد منقستو، والأمن والتطور فيها في أدنى درجاته.

القصة طويلة، لكنه رحمة الله تبني المشروع، وبنيت مدرسة وجامع، وأقيم مركز لتحفيظ القرآن، وأصبحت البلاد الصوفية يدرس أبنائها كتب العقيدة الصافية، وما زال المركز موجوداً، وتوسع نشاطه جداً حتى نشر الخير والسنة في المناطق المحيطة به، فربطني رحمة الله بالعمل هناك، وما زال يتبع مكتب الوالد رحمة الله أكثر من مائة داعية ومركزان لتحفيظ القرآن والعلوم الدينية. ووقف رحمة الله وقفات أخرى مع مركز الشيخة بسمة في البحرين، وجمعية ندوة المجاهدين في كيرلا وغيرهما.

ومن المشاريع التي تبناها مكتبه رحمة الله في إثيوبيا تنفيذ ذبح الأضاحي هناك، حيث يفتي رحمة الله بجواز ذبح الأضاحي في خارج المملكة، ويرى أجزاءها وفضيلتها لحاجة المسلمين هناك لهذه اللحوم، وكنا ننفذ في السنين الأخيرة من حياته ما يزيد على ثلاثة آلاف أضحية.

### ٣- دعمه للمشاريع الخيرية والدعوية

أشرت من قبل إلى دعمه الجمعيات الخيرية ومراكز الدعوة، وفي هذه النقطة سأشير إلى دعمه ووقفه مع المشاريع الخيرية والدعوية التي يتبناها بعض الدعاة ولعلي أبدأ بهذين المثالين ثم أعلق عليهما.

يقول الشيخ محمد العوضي<sup>(١)</sup>: «كنا ذهبنا أنا وصديقي الأخ علي العجمي مدير مشروع ركاز لتعزيز الأخلاق؛ من أجل عرض هذا المشروع الذي يقوم في الأسواق، فكان الشيخ ابن جبرين أحد الذين عززوا فينا هذا المشروع، ودعا إلى ضبطه وتقويته ودعمه ودراسته ومؤازرته».

ويقول الشيخ إبراهيم التركي: «كان سماحة الشيخ العلامة عبد الله بن جبرين رحمة الله من الرجال الذين سخرهم الله لفتح خزائن الخير، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها ما كان من دوره الكبير في إنشاء مشروع جوال نبى الرحمة ﷺ، وذلك للدفاع عن نبينا ﷺ ونشر سنته: كرد عملي على جريمة الصحف الدنمركية.

سماحة الشيخ عبد الله بن جبرين رحمة الله كان الرجل الذي فتح هذه الخزانة من الخير؛ لتثمر حتى الآن ١٥ مليون رسالة من معين السنة النبوية لعشرات الآلاف من المسلمين.

فقد كتب الشيخ رحمة الله يؤيد ويشيد بمشروع مؤسسة أصدقاء الدعوة في الدفاع عن نبى الرحمة ﷺ، مما أسهم في رعاية شركة الاتصالات السعودية للمشروع، وتنفيذ حملة إعلانية كبيرة عن جوال نبى الرحمة ﷺ في الصحف والقنوات.

فكان من حقه علينا أن يعرف الناس أثره في هذا المعين من الخير، والدور الكبير في الدفاع عن نبينا ونشر سنته، فيذكر ويشكر ويدعى له بالرحمة وعلو المنزلة في الجنة ومرافقة نبينا ﷺ<sup>(٢)</sup>.

(١) قناة حياتنا.

(٢) انظر صور كتابته رحمة الله: [http://www.as4a.net/mktba/ibn\\_gbreen.jpg](http://www.as4a.net/mktba/ibn_gbreen.jpg)



هذان المثالان أنموذج لعشرات الأمثلة من المشاريع التي عرضت عليه  
 ﷺ فشجعها، وأيدها، وكتب معها كتابات خاصة وعمامة حتى نجحت،  
 وأينعت، ومنها:

حملة القضاء على السحرة والمشعوذين في الحدود الشمالية للمملكة.

معرض البداية والنهاية.

المركز العلمي الأول بمدينة جدة.

مخيم ملتقى بوابة الحرمين بجدة.

المدارس الخيرية للجاليات البرماوية بمكة.

مشروع تعظيم البلد الحرام.

مشروع هدية الحاج والمعتمر.

لجنة الرعاية الأسرية في الدمام.

ومن أهم المشاريع التي تبناها ورعاها حتى بارك الله فيها وأصبحت  
 أسوة وأنموذجاً يُحْتَذَى مفسلة الدريهمة لتفسيـل الأموات، التي أسسها الشيخ  
 عبدالرحمن بن عبد الله الغيث ﷺ، ووقف معه الوالد ﷺ في ذلك،  
 وهي من أولى مفاصل الأموات في المملكة، بل لعلها أول مشروع في هذا المجال  
 وبعدها انتشرت المفاصل وكثرت.

وكان الشيخ الغيث رحمه الله يؤسس المفاصل ويعلم الناس طريقة  
 التفصيل والتكفين حتى أصبح مدرسة في هذا المجال.

ولا ريب أن الوالد رحمه الله وقف معه في بداياته وقفات مذكورة كان لها الأثر في نجاحه، بل إن الشيخ الغيث يقول دائماً وفاء منه لشيخه رحمهما الله: إن الوالد هو المؤسس، ولا شك أن لتأهيل الشيخ الغيث في هذا المجال وقدرته على الابتكار أثراً كبيراً في النجاح.

#### ٤ - فتاواه في العمل الخيري وجواز صرف الزكاة له

هذه النقطة من أهم النقاط التي استفاد منها العمل الخيري، ولعل الجزء الثاني من العنوان هو الأهم لدى العاملين في المجالات الخيرية، إذ إنه بهذا الرأي الذي نصره ونشره وأشاعه في فتاوى عديدة تتعلق بدعم العمل الخيري من الزكاة؛ لأنه يرى أنها تدخل في سبيل الله قد فتح أبواباً من الدعم كان لها الأثر في نشر الخير ونجاح الدعوة.

وله رحمهما الله فتاوى كثيرة في هذا الباب، تشمل جمعيات تحفيظ القرآن، ومكاتب الدعوة، ونشر الكتب، والتعليم، ووسائل الإعلام الإسلامية، وأوقاف العمل الخيري، وغيرها، ولعلي أورد جواباً له حول الموضوع مشتملاً على معظم مجالات العمل الخيري، يقول رحمهما الله في فتوى له بتاريخ ١٤٢٠/٨/٣٠ هـ<sup>(١)</sup>: «فحيث إن الزكاة شرعت لسد حاجة ذوي الحاجات من الفقراء والمستضعفين، وشرعت أيضاً لدعم المجالات الخيرية كإعطاء المكاتبين والمجاهدين والمنقطعين والمؤلفة قلوبهم، فإن ذلك دليل على أنها شرعت للمصالح الخيرية التي يتوصل بها إلى نتائج طيبة، ويحصل من آثارها فوائد تعود على المسلمين بالخير والبركة. وقد أفتى مشايخنا بجواز صرفها في الدعوة إلى الله ووسائلها كالرسائل والأشرطة وإعاشة الدعاة المتفرغين للدعوة، فإن من ذلك صرفها

(١) الفتوى رقم ١٤٣١.

في مدارس تحفيظ القرآن الخيرية؛ لما لها من الأثر المفيد والنتائج الطيبة، والتشجيع على حفظ القرآن والعمل به، فأرى جواز صرفها لهؤلاء إذا لم توجد جهات أخرى تقوم بها حتى لا تعطل هذه الجهات الدينية.. والله أعلم».

وأما فتاواه المتعلقة بالعمل الخيري فهي كثيرة، ولم يتيسر جمعها كلها في كتاب واحد، ولعل ذلك يكون إن شاء الله، ولكن قام بعض الإخوة بجمع بعض الفتاوى وطبعها في كتيبين صغيرين هما:

الأول: الفتاوى الجبرينية في الأعمال الدعوية والإغاثية، قامت بجمعه وإعداده اللجنة الشرعية بالندوة العالمية للشباب الإسلامي في المنطقة الشرقية ١٤٢١هـ، وهو العدد الأول من سلسلة من إصدارات اللجنة الشرعية في هذا المجال، تضمن أربعاً وعشرين فتوى، أجاب عنها فضيلة الشيخ الوالد رحمة الله، وقد ألحقت في نهاية هذا الكتيب نسخة لكل فتوى، بخط يده رحمة الله.

والثاني: ١٠٠ سؤال وجواب في العمل الخيري من جمع وإعداد الشيخ أحمد بن حمد البوعلي مدير هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالأحساء.

ويحكي الشيخ أحمد قصة هذا الكتاب فيقول<sup>(١)</sup>: «لما كنت طالباً في مرحلة الماجستير كنت أدرس في جامعة الملك سعود في قسم الثقافة الإسلامية، وبحكم اهتمامي بالأعمال الخيرية، كانت هناك مجموعة من الأسئلة تدور في ذهني وفي ذهني كثير من الإخوة والأخوات الذين يعملون في العمل الخيري، وكان هذا الجانب يؤرقنا كثيراً في العمل الخيري، فجمعت هذه الأسئلة، وكانت قرابة مائة سؤال جمعتها في وريقات، وذهبت للشيخ، وطرحت عليه الفكرة أن يجيب عن هذه الأسئلة حتى توزع على المؤسسات الخيرية وعلى الجهات الخيرية، فوافق - بارك الله فيه - وبالفعل استرسل في الإجابة عنها، وأخذتها

(١) قناة حياتنا.

ووضعتها في كتيب صغير، ثم طبعها بعض أهل الخير، وتم توزيعها على عدد كبير من العاملين في العمل الخيري وفي المؤسسات الخيرية والجهات الخيرية سواءً في داخل المملكة وفي خارجها.

بعد ذلك جاءني عدد من المراسلات من أنحاء العالم الإسلامي، وكذلك من الداخل يطالبون بالمزيد من هذه الأسئلة وطباعة عدد من هذه الكتيبات، فجمعت أيضاً مائة أو أكثر من مائة في المرة الثانية، وذهبت إلى الشيخ وثبتت ركبتي عنده، واستمعت إلى توجيهاته، وأجاب عنها - جزاها الله خير - لكنها لم تخرج حتى الآن. وستخرج بإذن الله عز وجل قريباً.

ولقد شملت الأسئلة محاور عدة، كل محور خاص بقضية خيرية.

هذان الكتيبان جمعاً بعض فتاواه رحمته الله عن العمل الخيري، وعندنا له الكثير من الفتاوى لعلها أن تخرج قريباً رحمته الله ونفع عنه وبلغه.

### الشيخ المحتسب

هذا المحور من المحاور المهمة في حياته رحمته الله، ولعلك تلحظ أنني في كل محور أتحدث عنه أبين أهميته عند الوالد رحمته الله، وأنه معلم من معالم حياته، ولا شك أن من يحيا لأمته ويعيش واقعها يحس بحاجة الأمة لجهده في جميع المجالات، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأت سيرته تحس أن حياته عبادة، ثم تحس أنها جهاد، ثم إنها رحمة بالخلق ثم إنها حسن خلق ثم دعوة وهكذا كل مجال تعلق فيها سيرته تظن أنه يعيش حياته لذلك المجال وحده، وهكذا كان أتباعه من الصحابة والتابعين وسلفنا الصالح وكل من اقتفى أثرهم وسلك سبيلهم، ولهذا جعلت عنوان هذا القسم شيخ الأمة؛ لأنه في كل مجال تحتاج إليه الأمة يعطي ويبذل رحمته الله.



ونحن نريد بالاحتساب هنا معناه العام، وليس المعنى العرفي المشهور الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كنت إن دقت النظر وراجعت المصلحات الشرعية في هذا ستجد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متسع المساحة، يشمل كل ما تحتاج إليه الأمة مما يصلح حياتها، ولهذا يعرف الوالد رحمة الله المعروف والمنكر بقوله<sup>(١)</sup>: «المعروف: ما أمر الله تعالى به في كتابه، أو على لسان رسوله محمد ﷺ، والمنكر: ما نهى الله تعالى عنه وحرمه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ».

وسمي هذا معروفًا؛ لأن النفوس السليمة تعرفه، وتفضله، وتشهد بحسنه، وتقبله وتستحسن التعبد به.

وسمي هذا منكراً؛ لأن النفوس والفطر السليمة تتكره، وتتفر منه وتستقبح فعله، ولا عبرة بمن تغيرت فطرته وانحرف عن مقتضى العقل، فاستحسن القبيح واستقبح الحسن، فأولئك هم عمي البصائر ممن فاتهم الخير والرشاد فانعكست أفهامهم».

ولقد قام رحمة الله بهذه المهمة وأبلى فيها البلاء الحسن، فقد كان يتمتع بجرأة في كلمة الحق، فلا يخشى في الله لومة لائم، وكان الكثير من الغيورين يبحثون عنه ويسألونه حينما تنزل نازلة، أو يحصل منكر، فيسارع رحمة الله بكل ما يستطيع من واجب الإنكار، سواء بمخاطبة المسؤولين، أو بإصدار الفتاوى التي تبين الموقف الشرعي من النازلة.

ودعني أبدأ معك في هذا المجال خطوة خطوة: ففي المجال الشخصي لممارسة الاحتساب كان رحمة الله لا يرى منكراً واقعاً إلا أنكره، ولا خطأ إلا نبه

(١) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=6&book=27&toc=&page=1114&subid>

إليه، ولا مناسبة للتوجيه إلا استغفها، ولا شيئاً متوقعاً إلا حذر منه، ولا معروفاً متروكاً إلا أرشد إليه، ولا سنة مهملة إلا حرص على بعثها وإحيائها.

وتعال أعطيك أمثلة على ذلك:

يقول الدكتور سعد بن مطر العتيبي<sup>(١)</sup>: «أذكر أنه حضر مزائن الإبل لقبيلة قحطان، وألقى هناك كلمة توجيهية تحث على نبذ العصبية القبلية».

ولم أره مع طول صحبتي له رأى مدخناً إلا نصحه، فأحياناً يقف معه ويمسك يده، ويطلب منه أن يجعلها تحت قدميه، وإذا كان مستعجلاً خاطبه وقال له: بطل بطل، وبخاصة إذا لم يكن عربياً لصعوبة التفاهم معه، ولم يكن الناس في المجالس التي يفشاها يدخلون بحمد الله، إما لأنها مجالس خير أو احتراماً وتوقيراً له ولمن حضر.

وحاله مع النساء المتبرجات أو اللاتي يكشفن وجوههن كحاله مع المدخنين، لا يرى امرأة كاشفة أو حاسرة إلا وجَّهها ونهاها، وعند خروجنا من الحرم يكثر المتسولون، وفيهن من النساء الكاشفات وجوههن فلم يكن يعطينهن، بل يشير لهن بوجوب ستر الوجه ويردد عبارة عامية: «تغطي جملك الغطاط».

وحاله كذلك مع حالقي اللحى ومسبلي الثياب وبخاصة إذا كانوا من الأقربين، فإنه يشدد عليهم في ذلك، وذكرت قبل أنه كسر جهاز التلفزيون في غرفة أحد إخوتي.

وكان كثيراً ما ينهى عن الإسراف خاصة في الماء، ويأمرنا بتخفيف صب الماء ويقول: «لا تسرف ولو كنت على نهر جار».

(١) مقالة في موقع الألوكة <http://www.alukah.net/articles/67/7065.aspx>



ويذكر أحد الإخوة في موقع أهل الحديث أنه صحبه عشر دقائق من مقر سكنه في مكة إلى الحرم يقول: «كنت في بيت الله الحرام في رمضان ١٤٢٨ هـ، وفي يوم من تلكم الأيام الخيرة، وقبيل أذان العشاء هيأت نفسي للخروج إلى الصلاة، خرجت من الغرفة التي كنت أقطنها، ركبت المصعد، واذ بشيخ جليل، نظرت إليه محدقاً!

أحدث نفسي: من هذا؟!!

أظن أنني أعرفه أو رأيته من قبل.

أليس هذا هو الشيخ ابن جبرين؟!!

التفتُ يمنة ويسرة فوجدت رجلاً بجانب الشيخ، فقلت له: أليس هذا هو الشيخ ابن جبرين؟  
فقال: بلى.

فكدت أن أقع مغشياً عليّ من شدة الفرح والسرور.

توقّف المصعد عند أحد الطوابق، فدخل ثلاث نساء، كانت إحداهنّ كاشفة الوجه، فبادرها الشيخ بالإنكار والنصح قائلاً: تستري ونهرها.

فكان هذا الدرس الأول: إنكار المنكر عند وقوعه ومشاهدته وعدم السكوت عنه والجرأة في الحق.

والنماذج من هذا كثيرة، وإنما أردت مجرد التمثيل بما عود عليه نفسه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكانت مجالسه ودروسه عامرة بالنصح والتوجيه والتنبه على المخالفات، وبخاصة إذا رأى مخالفة أو حدثت حادثة في المجتمع.

ولقد اصطحبه الكثير من المحتسبين للأسواق، فكان يبادر للذهاب معهم للإنكار هناك، ويشجعهم ويشد من أزهم، فزار معهم الأسواق في الرياض وفي مكة وغيرهما من المدن.

ومن جهوده في ذلك؛ الكتابة لولاة الأمر عن المخالفات والمنكرات المتفشية، ونصيحتهم بأهمية التمكين للخير وأهله، وهذه الخطابات قد تكون في موضوعات عامة، وقد تتعلق بموضوع خاص.

فمن الكتابات العامة أنه كتب خطاباً للملك حول ما أصاب الناس بسبب القحط، وبيان أن ذلك بسبب المخالفات الشرعية، وذكر نماذج لمخالفات العلمانيين والرافضة ودعاة تحرير المرأة والاختلاط وضعف أهل الحسبة والتضييق عليهم، ودعاه لاحتساب الأجر في القضاء على تلك المنكرات رجاء أن يرحم الله الأمة.

وكتب خطاباً للأمير سلطان رحمته الله عن بعض القضايا، ومنها: كثرة العاطلين، وانتشار الجريمة، وتعطيل الحدود الشرعية وبالذات حد السرقة، وعمل النساء فيما يمكن عمل الرجال فيه، وكثرة الدعاية للتبرج والاختلاط، وضعف جانب الدعوة والحسبة.

وكتب نصيحة للأمير محمد بن نايف في أول ولايته عن نصرة الدين وأهله ووجوب الحذر من كيد الكفار والمنافقين.

وكان يكتب كثيراً للأمير سلمان في مثل هذه القضايا.

ويصدر الخطابات التي يكتبها لولاة الأمر ببيان منهجه مع الولاة كما سنذكره مفصلاً فيما بعد إن شاء الله، وأنه يدين بالسمع والطاعة والولاية.



كما يذكر سبب نصر هذه الدولة والتمكين لها، ويذكرهم بسيرة المؤسس الملك عبد العزيز رحمه الله وما كان عليه من تمكين للدين وأهله وتضييق على الباطل وحزبه.

وهو يلقي رحمه الله من الولاة القبول والترحيب والشكر على ما يقدمه لهم؛ لأنهم يعلمون سلامة نيته، وحرصه على مصالح العباد والبلاد.

وأما الكتابات الخاصة فكثيرة جداً للمسؤولين ولغيرهم، فقد كان رحمه الله يغشاه الإخوان ويطلبون منه التحرك لإنكار منكر أو دفع شر عن الأمة، فيستجيب بالكتابة فيرسل الخطاب أو يذهب به بنفسه.

كانت الموضوعات التي تؤرقه كثيرة، والمنكرات التي تبغفه عديدة، وهو يكتب ولا يمل ولا ييأس، ويرى أن مهمته البلاغ والنصيحة.

فمن الموضوعات التي تؤرقه وتزعجه كثيراً موضوع الإعلام ووسائله الكثيرة، سواء كانت رسمية أم أهلية، فقد كان يبلغه عن طريق الإخوان ما يحدث في وسائل الإعلام، فطلابه وكثير من الشباب من غير طلابه يبلغونه بكل شيء، ويُعَرِّضُ عليه في دروسه ومحاضراته في الأسئلة كثيرٌ مما يحدث، فهو يعيش الواقع ويعرف ما فيه وإن كان لا يشاهد وسائل الإعلام ولا يطالعها ولا يسمعها، فهو مشغول بما هو أهم، وستأتي أخبارها.

ولغيرته على الدين وحبه المسلمين فإنه ينكر ما يبلغه بجميع الوسائل، وأراه يحتفظ في جيبه ومكتبه ومكتبته بقصاصات من الجرائد فيها مقالات وكتابات فيها مخالفات، ويكتب في أعلى الجريدة موضوعها ليتمكن من تمييزها حينما يحتاج إليها.



وكان يكتب لولاة الأمر والمسؤولين حول ما يبلغه من مخالفات، وعندي صور من بعض مكاتباته، منها خطاب للأمير نايف رحمة الله بشأن مخالفات كثيرة رفعت له عن وزارة الإعلام، فشكره الأمير ودعا له ووعد برفعها للملك. وأرسل مرة للأمير سلمان حفظه الله بخطاب حول مخالفات الصحف وأرفق معه قصاصتين مما وصل إليه.

ورفع خطاباً للملك حول مخالفات صحيفة الوطن وشاركه في توقيع الخطاب الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله.

وموقفه من هذه الجريدة ومخالفتها معروف، فكان يحذر منها كثيراً في لقاءاته مع المسؤولين وفي دروسه ومحاضراته، وأصدر فتوى في بيان مخالفاتها والتحذير منها<sup>(١)</sup>.

وكان قد أصدر قبلها بعشر سنوات فتوى في التحذير من جريدة الشرق الأوسط التي كان لها في أثناء حرب الخليج مواقف كثيرة ضد طلاب العلم<sup>(٢)</sup>. وهو في دروسه ومحاضراته كثير التنبيه على خطر كثير من وسائل الإعلام ووجوب البعد عن متابعة القنوات الهابطة والجرائد والمجلات الفاسدة.

وكما يهتم بالإعلام فقد كان رحمة الله مهتماً بالتعليم، ولما بلغه ما يحدث من تغيير في المناهج الدينية، رفع خطابات عديدة لولاة الأمر وللمسؤولين عن هذه القضية، منها خطاب طويل للأمير نايف رحمة الله صدره بقوله: «فقد ساء أهل العلم والدين ما حصل هذا العام من تغيير في المناهج والمقررات الدراسية، حيث تسلطوا على علم العقيدة والتوحيد الذي استمر تعليمه أكثر

(١) فتوى رقم ١٠٩٠٨ بتاريخ ١٩/٣/١٤٢٤هـ.

(٢) فتوى بتاريخ ٥ ربيع الثاني ١٤١٣ هـ.



من نصف قرن..... إلخ». وكان الخطاب بتاريخ ٢٨ / ١٠ / ١٤٢٤ هـ وأذكر أنه كتب للرئاسة العامة لتعليم البنات قبل دمجها مع وزارة التربية والتعليم حول طلب إضافة تعريف بالفرق الضالة في كتاب التوحيد، ورد الوكيل المساعد للتطوير التربوي الدكتور محمد الهزاني على خطابه وأرفق جدولاً يحتوي على أسماء الفرق المعرف بها في كتاب التوحيد.

ومن القضايا التي تشغله كثيراً قضية المرأة وتفاعلاتها الكثيرة في مجتمعنا، فلقد عانى في سبيلها الكثير، ولقد كان يحذر من خطر تبرج النساء واختلاطهن بالرجال كثيراً في محاضراته ودروسه وفتاواه ومجالسه، كما كان يكتب للمسؤولين حول هذه القضايا، ومن ذلك الكتابة للأمير نايف رحمته الله حول قضية المرأة وأخطاء وزارة العمل فيما يتعلق بعمل المرأة، وكان ذلك بتاريخ ١٤٢٧/٣/٢٤، وكتب مرات عدة للأمير سلمان حول دعاة تحرير المرأة والتحذير من كيدهم، منها خطابان بتاريخ ١٤١٩/١٠/٢٠ هـ و١٤٢٠/١/٢٤ هـ، وكان يضيق صدره كثيراً بما يبلغه من مخالفات في هذا الجانب، سواء في اختلاط النساء بالرجال أو توليهن مناصب فيها توسع وقد تكون سبباً للفتنة بالنساء، ورأيت في مذكراته التي كان يسجل فيها المنكرات أسماء بعض النساء اللاتي في بعض المناصب ممن يريد التبليغ عنهن رحمته الله رحمة واسعة.

وبالإضافة إلى جهوده في المسائل السابقة فإنه كثير المناصحة والإنكار في المخالفات العامة، سواء المنكرات التي تنتشر في المجتمع أم المصالح العامة التي يرى فيها تقصيراً أو تفریطاً. ومما أذكره في هذا المجال، أنه بلغه أن الخطوط السعودية عرضت فيلماً في إحدى رحلاتها للباكستان فيه صور نساء شبه عاريات، فكتب للأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز نائب وزير الدفاع والطيران حول ذلك ورد عليه الأمير - جزاه الله خيراً - يشكره ووعد بالتحقيق في الموضوع.

وكتب لوزير الإعلام حول افتتاح فتاة مكان الرجال في النادي الأدبي بجيزان، ورد الوزير إياد مدني بالاعتذار وعدم تكرار ذلك.

وكتب للمفتي العام حول تظليل السيارات وما فيه من المفاسد.

وكتب لرئيس بلدية منفوحة حول إلقاء النفايات في مقبرة منفوحة.

وكتب لمدير مستشفى السليمانية حول ظاهرة معاكسة النساء في المستشفى، وغيرها كثير من الخطابات التي يرفعها حول مثل هذه القضايا.

وله رحمه الله كتابات وتوجيهات للعامة حول المنكرات الظاهرة، مثل انتشار السحر والشعبذة، هكذا كان يسميها رحمه الله، وهو تعبير علمي مشهور عن العلماء، وكذلك انتشار المنكرات في الأسواق والمتنزهاة ونحوها، والاختلاط في المستشفيات والجامعات، وأنكر مرات ما يحدث في معارض الكتاب كل عام من مخالفات.

وله جهود في الحفاظ على المصالح العامة، ومنها أنه كتب ملحوظات على عمال الزكاة وما يقبلونه من الضيافات والهدايا، وما يأخذونه تAOلاً على أنهم من العاملين عليها، مع أن ولي الأمر يصرف لهم رواتب ومكافآت.

ويكتب لولاة الأمر حول زيادة معدل الجريمة كالسرقة والسطو والخطف والاعتصاب.

وكتب حول تمكن الشيعة من المناصب والولايات في أرامكو وغيرها.

وكتب مرات حول الجذب والقحط وما سببه من كثرة الغارمين والفقراء والمساجين بسبب الديون وكثرة العاطلين عن العمل ونحو هذه الأمور.



وأما اهتمامه بالاحتساب في الأمور الدينية فإنه أيضاً يأخذ مساحة من جهده واهتمامه رحمة الله، ومن أهم القضايا التي كان يتابعها ويكتب فيها لولاة الأمر موضوع هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يهتم بأمرين ويؤكدهما، الأول: حاجة الهيئات إلى الدعم المادي بالسيارات وأجهزة الاتصال ونحوها مما يعينها في مهمتها، والثاني: منحهم الصلاحيات التي تمكنهم من أداء عملهم، فكتب حول ذلك كثيراً للأمير نايف رحمة الله والأمير سلمان والأمير أحمد والأمير محمد بن نايف رحمة الله ووقفهم، وكان يبين أن كثيراً مما يصيب البلاد من القحط والخوف بسبب انتشار المنكرات، وأن التمكين للهيئات سبب في القضاء عليها وفي رغد العيش والأمن في الأوطان، ويستدل كثيراً بقوله تعالى: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وكان رحمة الله يشجع أهل الحسبة من الرسميين والمتطوعين، وإذا اعتدى على أحد منهم أو أوقف بسبب خطأ زاره وثبته وشجعه، وكان يزور مراكز الهيئات، ويلقي عليهم الكلمات التي تشجعهم. وقد ذكر الشيخ مشيق بن حمود المشيق أثر زيارته لهم في أحد مراكز الهيئة في القصيم يقول: «كنت في يوم من الأيام رئيساً لمركز في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحي الشقة شمال بريدة، وبالتحديد في يوم الخميس الموافق ٢٥-٨-١٤٢٦هـ، وقد كنت جالساً في المكتب وإذا بالشيخ الجليل عبد الله بن جبرين رحمة الله يدخل علينا زائراً في هذا المركز الصغير النائي عن البلد، ويرافقه فضيلة الشيخ سليمان الربيعي مساعد رئيس محاكم القصيم وشخص ثالث من طلابه،

فقمتم وأجلست الشيخ في مكاني بالمكتب، وحضر بعض زملائي الموجودين آنذاك بالمركز ما يقارب خمسة أشخاص.

ثم تكلم الشيخ بكلمات تسطر بماء الذهب يحث إخوانه العاملين على بذل الجهد والاجتهاد في القيام بالأمر المعروف والنهي عن المنكر على أكمل وجه وعدم التكاسل أو التخاذل في ذلك. وقد أوصى الشيخ في كلمته بالتصدي لمحاربة السحر والسحرة ونحو ذلك ثم دعا للحاضرين. وقد طلبنا منه رحمة الله تسجيل كلمته في سجل الزيارات، فقبل الشيخ وطلب من أحد مرافقيه تسجيل تلك الكلمات بإملاء الشيخ وتوقيعه، حيث قال: (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.. وبعد.. ففي صباح الخميس الخامس والعشرين من شهر شعبان من عام ١٤٢٦هـ، قمنا بزيارة لمركز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حي الشقة من مدينة بريدة، وقد سرنا ما رأيناه من الجهد المبذول من المشايخ المشرفين والعاملين في هذا المركز، نفع الله بجهودهم في متابعة المنكرات والشور والقضاء عليها، فلهم بعد الله الفضل في كف الشرور وإبطال كيد السحرة والمشعوذين، ومحاربة المخدرات والفواحش والمنكرات، حتى تم -بحمد الله- تخفيف هذه الشرور في هذا الحي وما جاوره مما يتبع عمل الإخوة، ولا شك أنهم بحاجة إلى أن يقف معهم إخوانهم من حملة العلم والدعاة إلى الله، وأن ينصرهم الجميع كل بحسبه لما في عملهم من الخيرية والفضل والأهمية.

نسأل الله أن يبارك في جهودهم وأوقاتهم، وأن يحفظهم من كيد الكائدين، وأن ييسر لهم من يناصرهم وينافح عنهم، وأن يجعل ما يبذلونه في موازين حسناتهم».





وكان يهتم رحمة الله بالاحتساب في أمور الدعوة، ويتألم لمنع بعض طلاب العلم من الدروس والمحاضرات، حيث منع بعض الدعاة من ذلك بعد أحداث حرب الخليج وما صاحبها من فتن بسبب اجتهادات من بعضهم خشيت الدولة من عواقبها، فكتب كثيراً للأمير نايف وسلمان ومحمد بن نايف وغيرهم، ومنها خطاب للأمير سلمان بعد وفاة الشيخ ابن عثيمين رحمة الله للسماح للدعاة الممنوعين من الدعوة وذكر منهم: عبدالله بن فنتوخ وسعود الفنيسان وسعد بن حميد وعبد الوهاب الطرييري وسلمان العودة وناصر العمر وسليمان العلوان وسفر الحوالي وعايض القرني.

وتألم كثيراً لما منعت المخيمات الدعوية في بعض المناطق وتحدث مع أمرائها بهذا الشأن.

وكتب مرة للأمير تربة لما بلغه منع بعض الشباب من الوعظ في المساجد، فرد عليه أمير البلدة وبين أن لديهم تعليمات بضرورة الحصول على تصريح من الجهات المسؤولة.

وكما كان يحتسب للمشايخ وطلاب العلم فقد كان يحتسب عليهم، ويرسل لمن بلغه عنه ملحوظة أو يتصل به، ولن أكثر من الأمثلة في هذا؛ لأن ذكر الأسماء يسبب حرماً، لكنني أكبر موقفاً للدكتور عايض القرني، فقد كتب له الوالد ينتقد كثرة صورته في إحدى المجلات، فرد عليه الدكتور بخطاب بليغ لطيف فيه سمت العلم وأدب طلابه.

وكان له في التعاون مع المشايخ للاحتساب وتنسيق أمورهم يد طولى رحمة الله وعفا عنه، ومن ذلك اللقاء الذي كان يعقده سماحة الشيخ ابن باز رحمة الله لبعض طلاب العلم للتدريس حول أحوال المجتمع وكيفية علاج مشكلاته، فقد

كان رحمه الله أحد أعمدته وركنًا من أركانه، وكذلك نظم الدكتور ناصر العمر منتدى شبه شهري لطلاب العلم في الرياض، ثم وسعه ليشمل طلاب العلم في المملكة كلها، فكان الوالد رحمه الله يحضره ويحضر له موضوعات ليناقتها مع المشايخ، وممن كان يتواصل مع الوالد رحمه الله حول المنكرات ومخاطرها الشيخ عبدالعزيز الشثري كاتب عدل حوطة بني تميم، وأذكر أنه كتب له خطابًا حول قيادة المرأة السيارة يطلب من الوالد رحمه الله مراجعة ولاية الأمر في ذلك وتحذيرهم منه.

ولعلي أختتم الحديث عن هذا المحور بالكلام عن جهوده في نصرة المظلومين، سواء فيما يتعلق بالقضايا الشخصية أو بالقضايا العامة، فقد كانت عاطفته ورحمته بالناس تجعله يسارع لنصرتهم والوقوف معهم.

ومن القصص في ذلك أن فتاة باكستانية تزوجها سعودي ثم حصلت بينهما مشكلة وظلمها ظلمًا مشينًا، وأخذ حقوقها، وضيق عليها، وأخذ ولدها وحرمها منه، جاء أبوها للوالد - غفر الله له - وعرض عليه القصة فوقف معهم وقفة عجيبة، وكتب للأمير سلمان، وكتب للشرطة، وكتب كثيرًا وتابع الموضوع في نصرتهم حتى ردوا عليها ولدها وأعطيت كل حقوقها.

وحدث أن العم زبن كان يسكن في مجمع سكني فدهمت الشرطة المجمع وكان قد اشتبه بوجود بعض المطلوبين أمنياً فيه فيمًا يظهر، وكانت المداهمة قرب الفجر، فارتاع الناس واقتادت الشرطة الرجال معها، فلما تبينت الأمور وإذا الأمر مجرد اشتباه، فاشتكى الناس لولاية الأمر ووقف معهم الوالد رحمه الله فاعتذر لهم ولاية الأمر وأرضوهم.

وقد أكثر رحمه الله من الكتابة والشفاعة لدى ولاية الأمر الملك ومن دونه حول وضع طلاب العلم وبعض الأقارب المسجونين في قضايا سياسية، وكنت

أشير عليه ألا يكتب ويكتب ويذهب للأمير نايف والأمير سلمان والأمير  
 رحمه الله، لكنه كان يكتب ويكتب ويذهب للأمير نايف والأمير سلمان والأمير  
 محمد بن نايف، ويشفع في الإخوة المسجونين وبخاصة طلاب العلم والأقارب،  
 فيعرف الأمراء قصده فيعذرونه ويعدون به بحث الموضوع.

يقول الأخ عبد الله بن الدكتور سعيد بن زعير: «في الخامس من رمضان  
 ١٤٢٨ هـ، كنت في زيارة للأمير منطقة الرياض، الأمير سلمان بن عبدالعزيز،  
 بهدف الحديث معه عن التريث في عدم إعادة الوالد للسجن، فقد أطلق  
 سراحه «مؤقتاً» بتوجيه ملكي كريم ليشهد الصلاة على جنازة شقيقي الليث  
 رحمه الله. وكنت سأحدث ومعي أخي د.مبارك مع الأمير ليشفع عند وزارة  
 الداخلية في تمديد فترة خروجه، حتى تهدأ النفوس بعد الحزن بفقد الشقيق.

وريثما ننتظر الإذن بالدخول مع ثلة من المنتظرين كان منهم العلامة  
 الفقيه عبد الله بن جبرين رحمة ربي عليه.. نهضت له مباشرة وعانقته وقبّلت  
 رأسه بعد ممانعته المعروفة. وكان معه ابنه د. عبدالرحمن. فجلست بجانبه وكان  
 أول ما سألني عن الوالد، وقدم لنا العزاء في وفاة الشقيق رحمه الله. فقلت له: يا  
 شيخ، نحن أتينا لتحدث مع الأمير في هذا الشأن لعلك تبذل وجاhtك للشفاعة..  
 فبادر بالموافقة.. فكان أن تحدث مع الأمير في ذلك حين سمح لنا بالدخول عليه..  
 وفي اليوم نفسه بعد صلاة العصر، كان آخر العهد لي بالشيخ رحمه الله. حيث جاء  
 لزيارة الوالد في بيته وتقديم العزاء في الليث وإبلاغه رسالة من أمير الرياض».

هذه بعض جهوده رحمه الله في مجال الاحتساب، وما هي إلا أسطر قليلة  
 في سجل حياة عامر بالبذل في هذا المجال رحمه الله وعفا عنه وأخلفه على الأمة  
 بخير.



## في قلب الحدث

هذا المحور سنتحدث فيه عن معايشة سماحة الوالد رحمته الله أحداث الأمة الإسلامية وحمله هم الإسلام وسعيه لنصرة المسلمين في كل مكان، فقد كانت قضايا المسلمين تشغل تفكيره كثيراً، كان بحق يحمل هم الأمة ويعيش معها في آلامها وجروحها ومصائبها، وأيضاً في آمالها وأفراحها وانتصاراتها.

إنك تعلم أخي القارئ أن هذا العصر الذي نعيش فيه قد غلبت فيه الآلامُ الآمالَ والمصائبُ الأفراحَ، ولهذا لا ريب أنك ستري معظم ما في هذا المحور يتحدث عن وقفات للوالد رحمته الله فيها الدعوات لنصرة الأمة والانتصار لقضاياها وتضميد جروحها.

ولعل السؤال الملح الذي يحسن جوابه قبل الحديث عن تفاصيل هذا المحور هو: ما السبب الذي جعل الشيخ يكون بهذه الصفة، ويسلك هذا السبيل. أترك الجواب لأحد محبي الوالد رحمته الله وهو الشيخ صالح بن سليمان العامر<sup>(١)</sup> يقول رحمته الله: «من أبرز الميزات والخصائص التي اختص بها الشيخ قوله الحق الذي يعتقده ولو خالفه الكثيرون، حتى لو كانوا طلابه والمحيطين به؛ فهو عالم يملك قوله، ولا يتأثر بضغوط خارج عقله وقلبه، يذكرنا بشيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم».

كان رحمته الله مع إحساسه بالألم وحمله الهم يشخص المرض ويصف العلاج مهدياً في ذلك بالهدي النبوي والسنن الإلهية، تحدث رحمته الله عن سبب الواقع المر الذي يعيشه المسلمون في هذا العصر فقال<sup>(٢)</sup>: «تخلوا عن الإسلام

(١) <http://www.islamtoday.net/nawafeth/artshow-43> htm.116208

(٢) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=9&book=213&toc=8381&page=7310&subid=33206>



الحقيقي وتخلوا عن تطبيقه وعن العمل به فلأجل ذلك وصلوا إلى ما وصلوا إليه من التخلف الحسي والتخلف المعنوي.

ثم إن الكفار عابوا المسلمين لهذا التخلف وقالوا: إنكم صرتم عالة على غيركم، فالصناعات الحالية لا تعرفونها وتستوردونها من البلاد الأخرى فأنتم عالة على غيركم.

وكذلك أيضاً الآليات وما أشبهها لا تعرفونها ولا تدركون شيئاً منها فلا تعرفون شيئاً.

فاعتقد كثير من شباب المسلمين أن هذا التخلف كما يسمونه أنه بسبب انشغالهم وانشغال آبائهم بالعلوم القديمة التي هي علوم الأحكام علوم المعاملات والمعاقبات وما أشبهها.

وقالوا: إنها سببت تأخر المسلمين وعدم معرفتهم بما تعلمه أهل هذا الزمان من الصناعات الجديدة والصناعات المبتكرة التي وصلوا بها إلى ما وصلوا.

هكذا نسمع هذه العبارات ويكررها بعض أولئك الذين هم من أتباع كل ناعق، ومن الذين يتمسكون بهذه الخرافات والشبهات وما أشبهها.

فنقول: إن سبب تخلف كثير من هؤلاء الدول هو بعدم تحكيمهم للقرآن وللسنة وإعراضهم عن ذلك، حيث إنهم انشغلوا بتحكيم القوانين الوضعية ورأوا أنها أحسن من الشرع الشريف.

انشغلوا باللغو واللعب، انشغلوا بسماع الأغاني والإكباب عليها، انشغلوا بالملاهي التي قطعت أوقاتهم وقضوا فيها زمناً طويلاً عن العلم الشرعي وعن الأعمال الصحيحة.

فكانت سبباً في تأخرهم وعدم معرفتهم بما عليه الشرع الشريف» أ.هـ.  
 سأحدث عن فلسطين وأفغانستان والشيشان والبوسنة والهرسك  
 والعراق ونحوها من مواطن الألم التي يعاني فيها المسلمون، وسأبين نماذج  
 من اهتمامه رحمة الله بهذه القضايا، وسأحدث عن القضية التي حمل لواءها  
 وصارت تعرف به ويعرف بها، وصارع فيها مع ثلة قليلة مباركة من أهل العلم  
 والفضل، ووقف ضده الأعداء وربما بعض الأصدقاء، وهي قضية الرفض  
 وموقفه الشجاع منهم بحيث أصبح غصة في صدورهم وشجى في حلوقهم  
 وقذى في أعينهم.

ولعلي أقدم الحديث عن مواقفه من القضايا الإسلامية ما عدا العراق  
 ثم أثني بالحديث عن الرفض؛ لأنه طويل الذيل، وسيكون الحديث عن  
 العراق الأسير ضمن الحديث؛ لأنهم سبب بلائه.

وبالرغم من اهتمامه بالقضايا الكبرى التي هي محور اهتمامنا هنا،  
 إلا أنه يتطلع لنشر الإسلام في كل مكان، وإذا علم بأن دعاة من السودان أو  
 اليمن أو شرق آسيا أو المغرب أو أفريقيا أو غيرها جاءوا إلى الرياض يحرص  
 على مقابلتهم وسؤالهم عن الدعوة في بلادهم والصعوبات التي تقابلهم  
 والدعوات المناهضة للسنة عندهم<sup>(١)</sup>.

### قضية المسلمين الكبرى قضية فلسطين

إن قضية فلسطين كانت تحيا معه رحمة الله منذ أن كان شاباً إلى آخر  
 أيامه، وإذا علمت أنه قبل شهر من دخوله للمستشفى في مرضه الأخير  
 (١) المنهج الرصين في ترجمة ابن جبرين خطبة للشيخ عبد الله الفايز.



أصدر بيانين مهمين حول أحداث غزة أولهما بتاريخ ٣٠/١٢/١٤٢٩هـ بعنوان وجوب نصره المسلمين في غزة<sup>(١)</sup> قال فيه: «قد اشتهر ما أصاب المسلمين في قطاع غزة من دولة فلسطين، في السنوات الماضية، وفي الأيام القريبة، من الحصار الاقتصادي الشديد، الذي قامت به الدولة الصهيونية الكافرة، ومن يساعدها من سائر دول الكفار، حتى تضرر المواطنون في قطاع غزة من هذا الحصار الذي أنهكهم وأضعفهم. فلما أيقن العدو بضعفهم وقلة حيلتهم وهوانهم حتى على أقرب الناس إليهم أحرق بهم هذه الأيام، ورماهم بالصواريخ والقاذفات، وأهلك الحرث والنسل.... وعلى هذا فالواجب على أولئك المسلمين المنكوبين أن يصبروا ويحتسبوا الأجر في هذه المصيبة.... ونوصيهم أيضًا بالقيام بقدر ما يستطيعون من المقاومة والمدافعة، ويعتمدون على ربهم ويطلبون منه النصر.... فعليهم أن يقوموا بما يلزمهم من حقوق ربهم، بفعل الأوامر وترك الزواجر، والالتزام بالشرع، وتحقيق الإيمان، وعدم الخوف إلا من الله.... ثم نذكر المسلمين في كل مكان بحقوق الأخوة الإسلامية العامة، فإن المسلمين إخوة في كل مكان، وأن أولئك المسلمين من أهل غزة من أحق من يحتاجون إلى نصر إخوانهم المسلمين بقدر الاستطاعة، حتى يرتفع عنهم ظلم الأعداء وجورهم، وهكذا مطالبة أولئك الأعداء في كل محفل برفع هذا الظلم الذي ليس له مبرر ولا سبب من الأسباب، وتخويف أولئك الأعداء من عواقب هذا الظلم والاعتداء.

كما نوصي المسلمين في كل مكان بالدعاء لإخوانهم المسلمين بالنصر والتمكين، ونرى جواز القنوات في الصلوات كلها، أو في صلواتي المغرب والصبح، دعاء للمستضعفين، ودعاء على المعتدين الظالمين، كما نتواصى

(١) <http://ibn-jebreen.com/?t=content&tid=93&cid=809>

أيضاً بالمسارعة إلى مساعدتهم مادياً ومعنوياً إذا تيسر ذلك، كالتبرع لهم بالمال، ليكون قوتاً يقتاتون به، حيث قد أهلك العدو الحرث والنسل، وكذلك أيضاً التبرع بالدم لحاجة مرضاهم، واستقبال أولئك المرضى والجرحى وعلاجهم بقدر الاستطاعة، رجاء أنهم يعيشون ويسعدون في الحياة مع أهلهم وأولادهم، وهكذا إرسال المعونات العينية، كالكسوة والأطعمة والأواني، وكل ما هم يحتاجون إليه.

ثم إننا نشكر من سارع لمعونة إخواننا المتضررين من أهل غزة باستقبال الجرحى في المستشفيات، مما يخفف الوطأة عليهم؛ وكذلك إرسال المعونات والمساعدات إليهم، كما فعل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز وفقه الله وأتابه خيراً، كما ندعو حكام المسلمين إلى المسارعة بعمل سياسي واقتصادي يوقف المعتدين ويظهر قوة المسلمين، نسأل الله أن يكشف عن إخواننا ما بهم من ضرر، وأن يرفع عنهم البلاء ويرد عنهم كيد الكائدين وعدوان المعتدين ويعجل لهم بالنصر المبين».

وبعد أسبوع أي في تاريخ ١٤٣٠/١/٧ هـ وجه نصيحة عامة للرئيس المصري<sup>(١)</sup> لما منعت مصر دخول المساعدات وأغلقت معبر رفح ومما جاء فيها: «فإن من الواجب على حاكم مصر أن يساعدهم ولو بتقبل اللاجئين الذين يهربون من القتل والأذى، وتقبل الجرحى لعلاجهم، وما في الإمكان من مساعداتهم المالية، فقد تبرع خادم الحرمين الملك عبد الله آل سعود وولي عهده الأمير سلطان بن عبدالعزيز بمبلغ أربعين مليوناً لإغاثة هؤلاء المنكوبين، وجمع من المواطنين ما يزيد على تسعين مليون ريال سعودي.

(١) <http://ibn-jebreen.com/?t=content&tid=93&cid=896>



قضية فلسطين وحكم الإسلام في المسيرات والمظاهرات.  
موقف المسلم تجاه ما يحصل لإخوانه المسلمين في فلسطين.  
حكم العمليات الفدائية التي يقوم بها المجاهدون في فلسطين.  
وسائل نصره إخواننا في فلسطين وحكم المظاهرات.  
يقول الدكتور محسن العواجي: «الشيخ رحمه الله يهدوئه المعروف وتواضعه  
المعروف يخفي وراء ذلك شجاعة منقطعة النظير، أشهد أنني لم أمسها إلا من  
القلة من القليل من علماء هذا العصر.

فقد انبرى الشيخ رحمه الله مع بعض المشايخ لتحريم الصلح مع العدو  
الصهيوني، وإصدار الفتاوى في ذلك، والمشاركة في بيانات عدة حول هذا  
الموضوع. منذ أن عرف الشيخ رحمه الله إلى أن توفاه الله وهو على هذه المواقف  
التي نسأل الله تعالى أن يرفع درجاته بها في الآخرة مثل ما رفع درجاته في  
الدنيا والناس شهود الله في أرضه».

ولهذا لما توفي رحمه الله أصدرت أبرز الهيئات الفلسطينية بيانات في  
تعزية الأمة به، ومنها رابطة علماء فلسطين. وحركة حماس، وحركة الجهاد  
الإسلامي في فلسطين، وثمانوا جهوده في مواقفه مع المسلمين في فلسطين  
رحمة الله ورفعته في عليين.

### القضية الأفغانية

مثلما كانت تعيش القضية الفلسطينية في حياة الوالد فإن القضية  
الأفغانية كانت أيضاً حاضرة، بل إنه رحمه الله كان متابعاً لأحداثها الكثيرة  
وتقلباتها المتعددة.



فإن القضية الأفغانية كما هو معلوم مرت بمراحل عديدة لكل مرحلة نفس خاص وتعامل خاص وموقف خاص.

فلقد كان المسلمون كلهم وحتى العالم الغربي مع الأفغان بالدعم والتأييد حينما بدأ الغزو الروسي في بدايات عام ١٤٠٠ هجرية، فوقف العالم الإسلامي شعوباً ودولاً مع الأفغان، وكان الغرب راضياً عن هذا الموقف مؤيداً له، وكان الوالد رحمة الله يتابع القضية ويساندها.

ولما اشتدت المقاومة الأفغانية ضد الروس في عام ١٤٠٥ هجرية وتحالفت الأحزاب الجهادية السبعة وبدأ الدعم العسكري والسياسي والمادي للجهاد هناك، كان الوالد رحمة الله من الذين لهم أثر في حث ولادة الأمر والتجار وعوام الناس على دعم الجهاد.

وعندي مسودة خطاب طويل موجه للأمير سلمان يشير فيه إلى أهمية دعم الأفغان وحاجتهم الماسة لدعم الدولة، وعندي أيضاً صورة لنصيحة عامة للمسلمين في وجوب دعم الأفغان والوقوف معهم في محنتهم، وكان رحمة الله يحث الناس على التبرع لهم، وتأتيه تبرعات كثيرة فيقوم بإيداعها في البنك لصالح الجهاد الأفغاني، وربما سلمها لمؤسسة الحرمين الخيرية أو لمن يثق به من الشباب لتسليمها للأفغان، وله عدد من الفتاوى في دفع الزكاة للجهاد الأفغاني.

وفي عام ١٤١٠ هجرية وبعد انسحاب القوات السوفييتية وبدء الخلاف بين الأحزاب الأفغانية وتطور هذا الخلاف بعد سقوط الحكومة الشيوعية في أفغانستان عام ١٤١٢ هجرية، كان أيضاً له رحمة الله جهود في الإصلاح بين قادة

الجهاد الأفغاني، وقد زاره برهان الدين رباني في منزله، وكانت له اتصالات بسياف وحكمتيار للشم والقتاء على الخلف، وأذكر في تلك الأيام أن الإمارة الإسلامية في كتر كان لها موقف من جميع قادة الأحزاب، وأن بعض الشباب الذين يؤيدونهم حاولوا كسب تأييد الوالد رحمة الله ليكتب معهم ضد الأحزاب الأخرى.

ولما ظهرت حركة طالبان في عام ١٤١٥هـ، وأظهرت نصر الإسلام والحرص على توحيد البلاد كان أيضًا داعمًا لهم مؤيدًا حتى تغير منهجها وآوت بعض التكفيريين كما سنوضحه فيما بعد، وكان يناصرهم فيما أصابوا فيه. ولهذا لما قاموا في عام ١٤٢١هـ بتعطيم أصنام بوذا شجعهم على ذلك وأيدهم.

ولما وقعت أحداث سبتمبر استغل بعضهم فتوى صدرت للوالد قبل الحادثة بأشهر ليستدل على أنه يؤيد طالبان، ويبيّن الوالد رحمة الله خطأ هذا وقال: «قد صدرت مني فتوى في شهر صفر عام ١٤٢٢هـ بشأن حركة طالبان في أفغانستان، وأنهم أقرب إلى الصواب من أضدادهم أهل التحالف الشمالي، وأن التبرع لهم جائز؛ لأنهم يحكمون شرع الله فيما ظهر منهم، ولما نشرت تلك الفتوى استدل بها بعضهم على جواز الفتك بكل الأعداء بكل الكفار، فصدرت منّا نشرة في ١٧ من رجب العام الماضي، وتبرأنا فيها من الاشتراك في تلك الحوادث في دولة أمريكا، ونشرت تلك الفتوى مما يتبين بها كذب هذه الدعوى».

ومعلوم أن الحماسة للقضية الأفغانية رسميًا وشعبيًا قد خف بعد تمكن تنظيم القاعدة من طالبان، ولهذا لم تكن هناك جهود واضحة له رحمة الله بعد عام ١٤٢٢هـ في مجال القضية الأفغانية، نظرًا لحساسية الوضع وغموضه.



## الشيخان

القضية الشيشانية من القضايا التي نالت اهتمام الوالد رحمته الله، فهي قد ظهرت على السطح بعد عام ١٤١٥هـ، وإن كانت بدايتها قديمة لكن لم يتفاعل معها الناس في السعودية إلا بعد دخول عدد من السعوديين والعرب في عملية الجهاد ضد الروس هناك، ومن أشهرهم القائد المشهور سامر السويلم المعروف بخطاب الذي استشهد عام ١٤٢٣هـ رحمته الله.

ومن جهود الوالد رحمته الله في ذلك أن الندوة العالمية للشباب الإسلامي كتبت إليه في عام ١٤١٥ هجرية تطلب منه مخاطبة الملك فهد لدعم اللاجئين الشيشان فكتب إليه، فأرسل الملك فهد رحمته الله شيكاً بمبلغ خمسة ملايين دولار باسم الوالد وطلب منه التنسيق بين الندوة العالمية ووزارة الشؤون الإسلامية، فاجتمعوا في منزل الوالد ورتبوا لجنة لصرف المبلغ في الهدف المذكور.

وقد أصدر الوالد رحمته الله بياناً طويلاً في تاريخ ١٦/٧/١٤٢٠هـ دعا فيه لنصرة الشيشان ضد العدوان الروسي ومما قاله رحمته الله: «لا يخفى ما وقع هذه الأيام القريبة على جمهوريتي الشيشان وداغستان من الاعتداء الشيوعي، وما حصل من آثاره من قتل وتشريد وهدم وأضرار فادحة؛ نتج من آثارها موت وإتلاف للممتلكات بسبب كونهم مسلمين مؤمنين بالله تعالى، وهذه الاعتداءات تسوء كل مسلم ويحزن لها كل مؤمن؛ وذلك مما يوجب على أهل الإسلام الاهتمام بأمر إخوانهم المسلمين والحرص على تخفيف آلامهم وجبر مصابهم» - ثم ساق أدلة كثيرة على وجوب نصرته المسلمين وقال بعدها - : ومن هذه الأدلة يجب على المسلمين:



أولاً: الدعاء لإخوانهم في تلك البلاد بالنصر والتمكين والتأييد ورد  
كيد الكائدين.

ويجب ثانياً: إمدادهم بالأسلحة والقوة الحسية التي يكافحون بها  
ويقاتلون من قاتلهم.

ويجب ثالثاً: تقويتهم بالأموال؛ فهم بأمس الحاجة إلى القوت والغذاء  
والكسوة، وكل ما يتقوون به ويدفعون به آلام الجهد والضرر ويعالجون من  
أصيب منهم بجراح أو آلام.

وكان رحمته الله يتابع أخبارهم، وربما جاءه بعض التبرعات فبعث بها  
إليهم عن طريق من يثق به.

### القضايا الأخرى

لقد كان الوالد رحمته الله حاضراً في جميع أحداث الأمة، وسقنا نماذج من  
القضايا الكبرى وهي قضايا فلسطين والأفغان والشيشان، ولم تكن القضايا  
الأخرى بأقل أهمية في نظره وليس جهده فيها محدوداً، وإنما تعلم أن مثل  
هذه القضايا تتشابه الجهود فيها من مثله رحمته الله وأبرزها توعية العامة،  
ولفت نظر الخاصة من الولاة والوجهاء وأهل الجدة لمثل هذه القضايا،  
وإصدار الفتاوى التي تعالج ظروف القضية وتسهم في الانتصار، ومحاولة  
الدعم المادي والمعنوي بقدر الجهد.

لم تكن قضية البوسنة والهرسك وكوسوفو والقبين وطاجكستان  
والصومال وكشمير وغيرها من المناطق الساخنة في العالم الإسلامي بأقل  
في نظره رحمته الله من فلسطين والأفغان والشيشان، فهي حاضرة في دروسه





ومحاضراته وخطبه وفتاويه ومجالسه، يحث على دعمهم والدعاء لهم وكفالة أيتامهم ونصرتهم بجميع الوسائل، حتى إنه أفتى بجواز تقديم الزكاة ولو لسنتين للمجاهدين في البوسنة والهرسك وغيرها.

وقد وقف أيضاً من الفتنة في الجزائر وقفات مشرقة مشرفة في لمّ الشمل وتوحيد الكلمة ودفع الفتنة، وله عدد من النصائح والمكاتبات مع الشباب الثائر هناك رجع بسببها بعد توفيق الله عدد كبير ممن كانوا يحملون السلاح.

وأما على مستوى القضايا الداخلية فإن له **رحمة الله** وقفاته المشهودة في نصرة الأمة، ومن أبرزها موقفه في حرب الخليج لما غزا صدام الكويت وهدد المملكة، فإنه وقف كإخوانه العلماء سنداً لولاة الأمر.

في وقتها تأثر كثير من الشباب وماجوا لما جاءت القوات الأجنبية التي تسمى قوات التحالف؛ لأن فيهم جنوداً كثيراً من الكفار، واستشكلوا دخولهم للجزيرة العربية، وتوجسوا أن تكون مقدمة لاحتلال البلاد، كما جعل بعضهم هذا من موالاة الكفار والاستعانة بهم.

وتقاطر الشباب بعدما أثرت هذه المسائل على العلماء بعضهم يسألهم وبعضهم يلومهم على التقصير في البيان، فكان الوالد **رحمة الله** ممن قام بجهد كبير لتهدئة الشباب في تلك الأحداث وبيان الأحكام الشرعية والمصالح المرعية في مثل هذه الأحوال.

كما قام **رحمة الله** بعدد من الجولات لتثيت الجنود في الثغور، فقد سافر بالطائرة العسكرية بصحبة معالي الشيخ صالح آل الشيخ وزير الشؤون

الإسلامية إلى عدد من القواعد العسكرية وقاما بإلقاء مواعد وكلمات على الجنود هناك.

### موقف الوالد رحمة الله من الرافضة

هذه النقطة هي حلبة الوالد رحمة الله التي صال فيها وجال، حتى عرف بأنه فارس فرسانها وشجاع ميدانها.

ودعني أقدم لك نصًا من نصوص بعض محبيه وهو الشيخ خضر بن سند، وصف فيه حاله في هذا الميدان، وبالرغم من طوله إلا أنني سأورده لما فيه من البيان والوفاء عن كثير من الكلام يقول رحمة الله وسدده: «لقد سطر على صفحات المجد أروع القصص في الذب عن أعراض الأبرار الأتقياء، وجاءه من الأذى ما لووزع على جموع كثيرة لأتعبهم، حرصه على العقيدة والتوحيد أكثر من حرصه على جمع حطام الدنيا والسعي خلف بهارجها ومناصبها، لم يحسن بعض الجهلة التعامل مع مواقفه هذه، وشنعوا عليه وعليها، ولكنه قال وكتب ما يكون شامة في جبين الأمة التي ضرب الذل والهوان على أكثرها.

ابن جبرين كان شوكة في حلوق طوائف من أهل البدع والخرافة، وخاصة الرافضة الذين يشتمون الصحابة، ويكفرون أمهات المؤمنين، ويطعنون في الرسالة الخالدة وقرآنها وحملتها، ويتمسحون بقبور الأولياء، ويدعون سادتهم عند الملمات، وينسون فاطر الأرض والسموات.

فتاواه فيهم مصدرها الكتاب والسنة، وهدفها حماية المجتمع المسلم من الاغترار بالشعارات البراقة ونسيان العقائد المنحرفة، كان موفقًا وحكيماً وشجاعاً في مواقفه، فكم من رسالة جامعية لم تؤثر فيهم، وكم من مؤتمر





عام للتنديد بجرائمهم لم يظهر أثره عليهم، وكم من خطبة ومحاضرة تكلمت عنهم لم تجد طريقها للناس.

ولكن قصاصة من كلام من ابن جبرين أو خطبة منه قلبت الدنيا ظهرًا على عقب، وتلقفتها القنوات الإخبارية مباشرة، وسعت الصحافة لإبرازها والحديث عنها، فالمتحدث هو العالم الجليل وبطل الرياض العظيم. كلامه عنهم طار في الشرق والغرب، وأصبح تاريخًا وحده، كما فعلت فيهم يومًا من الأيام خطبة إمام المسجد النبوي الشيخ علي الحذيفي، لقد تعالت صيحات الرافضة مطالبة النصارى بمحاكمة ابن جبرين!!، تعالت صيحاتهم المشبوهة مطالبة بمحاسبته علنًا وهو طريح الفراش يصارع المرض لا يدري عن نفسه، فهل رأيت مريضًا يهابه ملايين الأصحاء في الأبدان!!، فصحة العقل والدين لا يعدها صحة وقوة، ومرض العقل والدين لا يصلح معه شيء آخر.

ابن جبرين رغم فتاواه في الرافضة قد بين مرارًا للطلاب والناس مغزى الفتاوى، فبيان الحق لا يعني استحلال الدماء وخلخلة الأمن، ففرق بين البيان العلمي وحماية عقول الناشئة والعامّة، وبين القتل والتدمير وإزهاق الأرواح.

هكذا حال العلماء الربانيين مع أهل البدع، فهم يبينون للناس دين الله، ويفضحون المخططات ويجهزون عليها، يقولون الحق بدون مواربة أو ضبايية أو غموض وتلبيس، فدين الله له رجال يحمونه، وله رجال يذودون عن حياضه، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

ما أروع من نص فقد وصف الحقيقة وصفًا ليس فوقه وصف، وإن كان هذا قليلًا من كثير مما يمكن أن يقال في حق الوالد رحمة الله.

إن موقف الوالد رحمة الله من الرافضة ليس موقفاً شخصياً ولا انتقامياً، بل هو موقف يمليه عليه الدين وتقرضه عليه العقيدة، موقف سلف الأمة وعلماء الشريعة، لكن الأحداث أبرزت الوالد رحمة الله: لأنه أثر أن ينطق في موقف فضل بعض الناس فيه السكوت، وراعى مصالح يرى غيره أن مراعاة غيرها أرجح، ولكل مجتهد نصيب.

لقد واجه رحمة الله في بعض مواقفه الساسة وطلاب العلم ورجال الفكر وقادة الصحوة العامة، وكان شجاعاً جريئاً صريحاً منضبطاً مؤدباً عاقلاً في تلك المواجهات.

ولقد تكلمت في أثناء الكلام عن شجاعته رحمة الله ضد الرافضة، ورفضه نصائح الناصحين لتهدئة الوضع معهم، وكان منهم مسؤولون وطلاب علم وأقارب وتلاميذ ومحبون، ويقينه بأنه على الحق، وأنه لن يغلب باطل حقاً، ولهذا لن أترض لما ذكرته هناك، ويمكن للقارئ مراجعته في موضعه من هذه الترجمة، لكنني سأركز الحديث هنا عن الجهد الذي بذله في مواجهة الرافضة على الصعيد السياسي والاجتماعي والعلمي، باذلاً وسعه في نصر السنة وأهلها والذب عنها والدفاع عنهم.

دعني أحدثك عن البداية ثم آخذك في محطات عدة تنقلت به فيها رحمة الله السنون إلى أحداث بعضها لا يصبر عليه إلا عظماء الرجال.

كان رحمة الله طالباً صغيراً في الرين، ثم انتقل للرياض طالباً فمدرساً في المعهد العلمي ثم في كلية الشريعة في الفترة الصباحية، ويدرس في المساجد في غيرها من الأوقات، ولم يكن مشهوراً ولا مقصوداً من طلاب العلم الذين كانوا آنذاك قلة قليلة، ولا من شباب الصحوة التي كانت في بدايتها، ولم





يظهر *رحمة الله* ويشتهر إلا بعد انتقاله للإفتاء وشيوع فتاواه وانتشارها وذلك بعد عام ١٤٠٢هـ، ولهذا لم تظهر مواجهته مع الرفض إلا بعد هذا العام.

وكان الاتصال مع العالم محدوداً لعدم وجود وسائل التواصل التي جدت فيما بعد، ولم يكن للرفض وجود عالمي ولا محلي، فإن شاه إيران لم يسقط حكمه إلا في عام ١٣٩٩هـ، وظهرت بعده الثورة الإيرانية لكنها لم تظهر للعالم إلا بعد استقرار الأمور في إيران وذلك بعد سنة تقريباً، وبعد نجاح الثورة الإيرانية في إيران نظر الشيعة في كثير من دول العالم إليها على أنها أملهم المنتظر، وقامت هي كذلك بتهييج الشيعة الذين في دول أهل السنة على الثورة والمطالبة بالحقوق، فقامت مظاهرات في المنطقة الشرقية من المملكة تطالب بالحريات ونحوها من مطالب الرفض المعروفة، إلا أن الدولة وقفت منها موقفاً حازماً جعلهم يتوقفون عن المظاهرات، لكنهم لم يتوقفوا عن المطالبات، كما بدأت إيران باستغلال موسم الحج لإثارة القلاقل.

بدأ الوالد *رحمة الله* حينئذ في التحذير من مذهب الرفض في فتاواه ومحاضراته ودروسه، ولكن الشرارة التي أشهت الوالد *رحمة الله* في هذا الميدان كما ذكرت من قبل هي فتواه المشهورة بتحريم الأكل مما يذبحونه في عام ١٤١٢هـ.

هاج الرفض وماجوا، ولم يكن الإنترنت حينذاك منتشرًا، وحتى القنوات الفضائية ليست بهذه الصورة من الانتشار، ولهذا لم تبلفنا كل ردود أفعالهم، لكنهم أرسلوا للوالد *رحمة الله* رسائل عدة، أكثرها شائم لا أذكر منها رسالة من عالم أو عاقل، ولم يجروء أحد منهم على طلب حوار أو مناظرة أو محاكمة؛ لأنهم لم يبلغوا ما بلغوه اليوم من الصلف والفجاجة.

أرسلت إيران كما ذكرت من قبل استنكاراً للدولة، فأرسل الديوان الملكي أحد المشايخ للوالد ليناقشه في فتواه ويطلب منه الرجوع أو التوضيح، فأراه الوالد رحمة الله فتاوى للمشايخ قبله، ومنها فتوى للجنة الدائمة برئاسة سماحة الشيخ ابن باز رحمة الله.

اشتهر بعدها عندهم ابن جبرين وأصبح مصدر قلق بفتاواه الصريحة التي لا مواربة فيها ولا مجاملة.

كان منهجه رحمة الله قبل هذه الحادثة هو منهجه بعدها، لكن كما يقال أصبح تحت المجهر، ومع هذا لم يؤثر ذلك في موقفه ولم يثته رحمة الله، وواجه المواقف بشجاعة ويقين وصبر وعقل ونظرة شرعية متوازنة، ولهذا لم يلق من الدولة في السعودية تضيقاً ولا تحجيراً، وكان أكثر ما يوجه له مشورة ونصيحة، فكان يقابل ذلك بالشكر والحجة والبراهين المادية لما يقول.

فلم يكن رحمة الله يلقي كلاماً على عواهنه، بل كان يملك التأصيل الشرعي المدعم بالأدلة والنصوص من الكتاب والسنة والآثار وأقوال أهل العلم. كما يملك الاطلاع المستوعب على كتب الرافضة ومعرفة ما فيها، وأظن هذه المعلومات التراكمية عن مقولات الرافضة قديماً وحديثاً مما ينفرد به من بين أقرانه رحمة الله، ولا يتقن هذا إلا بعض طلاب العلم المتخصصين في دراسة الرافضة كالدكتور ناصر القفاري والشيخ عبد الرحمن دمشقية ونحوهما، ويقاربهم تلميذ الشيخ الذي يمدّه بالجديد من كتاباتهم وكتبهم الأخ علي العماري.

كان الوالد رحمة الله إذا ذهب لأحد المسؤولين أو العلماء لمناقشة موضوع الرافضة أخذ معه أوراقاً مصورة من كتبهم وزودهم بها، وقد رأيت هذا



الأمر عنده **رحمة الله** في كثير من القضايا، فلهذه مجموعة كبيرة من المستندات حول كثير من القضايا.

وحيثما تعرض العراق لهذه الفتنة الطويلة، وكان النصارى من الأمريكان هم الذين يديرون البلد مدة طويلة، فقد وقف الوالد مع العراقيين السنة ضد الغزاة بالدعاء والحث على الدعاء والنصرة ومكاتبه ولالة الأمر في ذلك.

وبعد تمكن الرافضة في العراق وتضييقهم بل حربهم لأهل السنة حمل الراية **رحمة الله** فكانت القضية تشغله كثيراً، كتب فيها لولاة الأمر، وأصدر فيها فتاوى عديدة أثارت الرافضة في كل مكان، ومن كلماته الجامعة في ذلك بيان أصدره في تاريخ ١٤٢٨/١/٢ هـ، وقد سبقته فتاوى وبيانات أخرى، ومما جاء فيه: «فقد انتشر وتحقق ما تعلمه الروافض بأهل السنة في العراق، حيث يداهمونهم على حين غفلة، ويقتلونهم قتلاً ذريعاً، ولا يرقبون إلا ولا ذمة، ولا يراعون طفلاً ولا امرأة، ولا شيخاً كبيراً، فيطلقون عليهم النار لإبادتهم، وقد يحرقونهم داخل المنازل والدور، وقد يعذبون الفرد قبل الموت، فيحرقون رأسه بالحافر الكهربائي، أو يكثرون من الطعنات في جسده حتى يموت، أو يقطعون لحمه وأعضاءه إرباً إرباً، وقد يضعون الإنسان بين قوالب الثلج حتى يتجمد ويموت، وقد تتبعوا كل من كان اسمه «عمر»: لعداوتهم لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقتلوا طفلة عمرها خمس سنين؛ لأن اسمها «عائشة». وتسلطوا على المساجد التي لأهل السنة، فهدموها على المصلين. ويهدمون المساكن أو يحرقونها على أهلها، ويتعاونون مع النصارى على أهل السنة أولاً، بدخول المنازل وأخذ ما عندهم من أسباب المقاومة، حتى سكاكين الخضرة ونحوها، ثم يهجمون عليهم بعد قليل، فيقتلونهم قتلاً ذريعاً، وقصدتهم أن يبيدوا جميع أهل السنة من دولة العراق، حتى لا يبقى من أهل السنة عندهم

بشر، ولو كانوا مسلمين، ومن أهل الوطن، وآباؤهم وأجدادهم وقبائلهم في العراق من عهد عمر بن الخطاب ومن بعده، وفي العهد العباسي.

ولا تخفى عداوتهم من عهد تمكنهم قديماً، فهم ورثة ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي ومن معهم، حيث زينوا للتار قتل الخليفة العباسي، ثم دخول بغداد وقتل أهلها، حتى قتلوا نحواً من مليون نسمة، حتى انقلب النهر دمًا أحمر، وأحرقوا المصاحف والكتب، وقذفوها في الأنهار، وذلك دليل على حقدهم وضغائنهم وحنقهم على المسلمين الذين يشهدون الشهادتين، ويصلون ويذكرون، ويصومون ويحجون ويجاهدون، وليس لهم ذنب إلا أنهم يترضون عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان، ومعاوية بن أبي سفيان، وجابر وأنس وابن عمر، وأبي سعيد، وبقيّة الصحابة رضي الله عنهم.

ثم تحدث رحمته الله عن رأيه في الرفضة والأدلة على ما عندهم من المخالفات الكفرية مما سنشير إليه في آخر هذه النقطة.

ولقد كتب رحمته الله لما اشتد أذى الرفضة لأهل السنة في العراق للأمير سلمان مخلفه الله لما كان أميراً للرياض يقترح عليه أن يوجه أئمة المساجد للفقنوت على الرفضة في الصلوات المعتادة.

ومما أثارهم وكنّت قد ذكرته من قبل بالتفصيل ما يتعلق بفتواه رحمته الله حول ما يسمى حزب الله اللبناني الرفضية في قضية حربيه المزعومة مع اليهود، ولن أعيد شيئاً مما قلته هناك سوى أن هذه الفتوى قد أوصلت الحنق الرفضية عليه رحمته الله مداه، ولكنه لم يرد عليهم ببنت شفة؛ لأن معظم ما قالوا سباب يترفع العاقل عنه ويصون وقته عن إضاعته فيه.

وهذه الفتوى التي أثارت العالم الإسلامي ضد الوالد رحمته الله وشارك في نقده بعض من يحملون الفكر الإسلامي، مالبث الناس أن وعوا ما فيها من الحق بعد أن دخل حزب الله إلى بيروت وفعل فيها بأهل السنة الأفاعيل حتى قال الدكتور محسن العواجي، وهو من أبرز الذين انتقدوا رأي الوالد رحمته الله: «إننا الآن في موقف نذكر الشيخ ونذكر مواقفه، ولربما كان موقف الشيخ في كثير من القضايا أقرب إلى الصواب بعد أن كثر أولئك القوم عن بعض الأنياب التي رأيناها في مقبرة البقيع على سبيل المثال، فالحق أحق أن يتبع».

ولما حدث ما حدث من الرفض في نجران من اعتداء على هيبة الدولة ومكتب أمير المنطقة، كتب رحمته الله للمسؤولين حول هذه القضية ونبههم إلى خطر التساهل معهم.

وكان كثيراً ما يسأل عن حال الرفض في المنطقة الشرقية، من شدة اهتمامه ومتابعته لمستجداتهم والردود عليهم وعلى شبههم، لتبصير الأمة في عقيدتها.

وله في الجانب الشخصي رحمته الله مواقف معهم في مكة والمدينة، حيث يراهم هناك، ففي مكة كان ينكر عليهم إذا سمعهم يدعون غير الله، وربما أخذ ما معهم من كتب الأدعية والأوراد التي تشتمل على مخالفات شرعية دون خوف أو وجل، ويفعل في المدينة مثل ذلك، يقول الشيخ محمد السمان: «أذكر أنني كنت في زيارة لجبل أحد، وهناك وعند مقبرة شهداء أحد قابلت عضو الهيئة التي بجوار مقبرة شهداء أحد الأخ سلامة الحربي وسألته عن العلماء الذين يحضرون للمقبرة، فذكر لي عدداً من العلماء ومنهم الشيخ ابن جبرين، وقال إن زيارات الشيخ ابن جبرين لمقبرة شهداء أحد كثيرة،

وفي كل زيارة يزور فيها المقبرة يصعد جبل أحد ويذهب ينكر على الرافضة، وأحياناً يمزق كتبهم إذا علم أن فيها سباً للصحابة»<sup>(١)</sup>.

ولما تعرض الشيخ يوسف القرضاوي لهجمات الرافضة شارك في نصرته وتأييده.

ولعلك تتساءل عن سبب هذه المواقف الصلبة من الوالد رحمته الله تجاه هذه الطائفة فدونك الجواب من كلامه رحمته الله.

في إحدى نصائحه رحمته الله أخذ يعدد مخالفات الرافضة فكان مما قاله:

«أولاً: تكفيرهم لصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، فعندهم أن جميع الصحابة قد كفروا وارتدوا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، حيث لم يبايعوا علياً بالخلافة، وكتبوا الوصية كما يزعمون، ولا يستثنون إلا عدداً قليلاً أقل من العشرة، وعلى قولهم لا تقبل الأحكام والعبادات التي نقلها أولئك الصحابة رضي الله عنهم، حيث إن حملتها كفار قد ارتدوا وكفروا، مع أن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين قاتلوا أهل الردة.

وثانياً: طعنهم في أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وبالأخص عائشة وحفصة، ورميهم عائشة بالفاحشة وقد أنزل الله براءتها في القرآن الكريم.

وثالثاً: تكفيرهم لأهل السنة في كل زمان ومكان، كما تدل على ذلك مؤلفاتهم وأشرطتهم، ويحكمون عليهم أنهم في النار مخلدون فيها، وهذه عقيدة راسخة فيهم، وأدل دليل فعلهم الآن بأهل السنة في دولة العراق، وانضمامهم إلى النصارى في قتال وإبادة أهل السنة.

(١) عبر وعظات، الشريفة.



رابعاً: طعنهم في القرآن الكريم، لما لم يجدوا فيه ما يؤيد مذهبهم في الغلو في عليّ وابنيه وزوجته، اتهموا الصحابة أنهم أخفوه وحذفوا منه ما يتعلق بفضائل عليّ وذريته، وقد ألف شيخهم النوري الطبرسي كتاباً أسماه: «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»، حشد فيه من النقول المكذوبة ما أمكنه، وهو مقدس على زعمهم، ومؤلفه من أكابرهم.

وخامساً: ردهم للسنة النبوية الصحيحة، فلا يعتبرون بكتب أهل السنة، كالصحيحين، والسنن، والمسانيد، التي تلقتها الأمة بالقبول، ولو كانت بأصح الأسانيد، حيث إن فيها فضائل الصحابة، وإن رجال الأسانيد من أهل السنة، مع أن العلماء رضي الله عنهم قد نقحوا تلك الأسانيد، وتكلموا على الرجال من يقبل ومن لا يقبل.

وسادساً: غلوهم في عليّ والحسن والحسين وفاطمة عليها السلام، فهم يصفونهم بصفات الغلو والإطراء، حتى عبدهم مع الله، وصرفوا لهم خالص حق الله، ودعوهم في الملمات والمضائق، ورووا في حقهم وفضائلهم أكاذيب هم في غنى عنها، مما لا يصدق بها من له أدنى مسكة من عقل، وذلك دليل على ضعف عقولهم وتمسكهم بالأكاذيب التي تلقوها عن علماء الضلال.

سابعاً: بدعهم الكثيرة التي تدل على ضعف العقول، ومن أشهرها ما يقيمونه من المآتم والحزن سنوياً في يوم عاشوراء، حيث يضربون صدورهم وخدودهم، ويطعنون أنفسهم بالأسلحة، حتى يسيلوا الدماء، وينوحون ويصيحون، مما يدل على سخافة وخفة العقول، وكذا ما ابتدعوه من عيد يسمونه «عيد الغدير»، مما لا أصل له عن الأئمة الاثني عشر ولا عن غيرهم، إلى غير ذلك من بدعهم وأكاذيبهم».

وبعد هذا قال رحمة الله: «وعلى ما ذكرنا من أفعالهم، فإننا نبرأ إلى الله من أعمالهم الشنيعة، وننكر ونشجب ما يصدر منهم من إيقاعهم بالمسلمين في العراق وغيره، ونعرف بذلك عداوة الرافضة في كل بلد وكل زمان لأهل السنة والجماعة. ونحذر المسلمين جميعاً من الانخداع بدعاياتهم ودعاويهم».

ومما ينكره عليهم كل عام وينبه عليه في خطبة الجمعة في أول جمعة من محرم بدعة عاشوراء، حيث قالوا: إن الحسين قتل فيه، وقتل الحسين مصيبة، فلا بد أن نجعل اليوم الذي قتل فيه يوم حزن. فصاروا كلما جاء يوم عاشوراء جعلوه يوم حزن.

فكان يرى عدم جواز تمكينهم من إظهار هذه البدعة، ولا من إظهار هذا المنكر؛ سيما إذا اشتملت بدعتهم على سب بعض الصحابة، أو سب المسلمين من أهل السنة.

ويقول: «الواجب علينا إذا رأينا إعلاناتهم هذه وأعمالهم أن ننكر عليهم، وأن نسعى إلى ولاة الأمور ونأمرهم بأن يأخذوا على أيديهم، فلا تظهر دعايتهم في بلاد الإسلام.

ومن أراد منهم أن يظهر بدعته فليذهب إلى البلاد التي يحكمها الرافضة؛ كبلاد إيران أو العراق، وهناك يفعلون ما يريدون».

وكان رحمة الله كثيراً ما يقارن بين حال الرافضة في بلاد السنة وحال أهل السنة في إيران ويقول: «هناك في بلاد إيران مجموعة كبيرة من أهل السنة يُقدِّرون بنحو اثني عشر مليوناً، ولكنهم مضطهدون في غاية من الذل وفي غاية من الإهانة».

ولأجل هذه المواقف فقد وقف منه الراضة في العالم موقفاً مناوئاً،  
وشغبوا عليه كثيراً، ومن أبرز ما صدر عنهم في ذلك ما يلي:

حملاتهم الكثيرة عبر المواقع الإلكترونية على الوالد رحمة الله ووصفه  
بالأوصاف الشنيعة التي تبومنها الفطر السليمة والعقول المستقيمة،  
وبإجراء بحث في أحد مواقع البحث المشهورة عن كلمة ابن جبرين والراضة  
أو الشيعة ستجد ملايين النتائج فيها مما ذكرته لك العجب العجاب، ولو  
دخلت على بعض مواقعهم المشهورة كشبكة أنصار الحسين وشبكة راصد  
الإخبارية ووكالة أبناء براثا لوجدت مثل ذلك، ولا أذكر أنه فكر أو فكرنا أن  
نرد على شيء من كلامهم؛ لأن ذلك اشتغال بما لا طائل وراءه<sup>(١)</sup>.

تنظيم المظاهرات في العالم ضد فتاواه وفتاوى المشايخ أمثاله أمام  
السفارات السعودية في الخارج وأمام مقرات المنظمات الدولية، وتسليم  
عرائض الاحتجاج حول ذلك، وقد نظموا مظاهرات في هولندا والدانمارك  
وبريطانيا وأمريكا وأستراليا وألمانيا وغيرها<sup>(٢)</sup>.

رفع دعاوى لمحاكمته أمام المحاكم والمنظمات الدولية، فقد رفعت  
منظمة حقوقية شيعية تسمى «منظمة الدفاع عن الحضارات والحقوق  
المدنية»، يشرف عليها لاجئون عراقيون ومقرها في الولايات المتحدة دعوى  
قضائية لدى محكمة العدل الدولية في لاهاي ضده رحمة الله بدعوى التحريض  
على إبادة الجنس البشري في فتاواه، وذكرت في مذكرتها: إن الدعوى تدخل  
ضمن تصنيف «جرائم الحرب والتحريض على إبادة الجنس البشري».

(١) أنموذج من كتاباتهم في مواقعهم

<http://www.imshiaa.com/vb/archive/index.php/t-67218.html>

(٢) أنموذج من مظاهراتهم <http://www.nadyelfikr.com/showthread.php?tid=10206>

وذلك استناداً إلى عدد من فتاواه رحمته الله التي أفتى فيها بجواز قتال الشيعة وهدم مزارتهم الشركية<sup>(١)</sup>.

كما قام أعضاء منظمة (السلام العالمي) ويمثلها مصطفى الصايفي والحاج عقيل أبو دايم الكعبي والأستاذ حسين الربيعي برفع دعوى قضائية مماثلة بسبب فتواه التي زعموا أنها تحرض على القتل العمد وتفجير وتدمير المعالم المقدسة والحضارية عند المسلمين وباقي الديانات<sup>(٢)</sup>.

وقد نقل موقع مفكرة الإسلام في يوم السبت ٩ من محرم ١٤٢٨ هـ تفصيلاً عن هذه الدعوى جاء فيه: «أن أكثر من ٤٣ من المحامين الشيعة رفعوا دعوى قضائية ضد الشيخ «ابن جبرين»؛ بزعم «الإرهاب»، والتشجيع على قتل من أسموهم «شيعة أهل البيت»، ومساندة «الإرهابيين».

وزعموا في دعواهم أن الشيخ «صاحب مدرسة القتل الأولى في العالم ضد الشيعة والقوات الأمريكية»، وقال مراسلنا: إن الدعوى القضائية تلك رُفعت من نقابة المحامين إلى كل من مجلس القضاء الأعلى ومحكمة العدل الدولية، وتتضمن الدعوى المرقمة ١٣٢م ٤ عدة اتهامات، منها: «الضلوع في قتل عشرات الآلاف من الشيعة، وتشجيع قتل جنود التحالف في العراق، والمساهمة في إحراق الثروات النفطية العراقية عن طريق إفتائه بضرربها وتخريبها»، على حد ادعائهم. أ.هـ.

اطلعت في عدد من مواقع الإنترنت على أن جلال الصغير إمام مسجد براثا، وهو فارسي الأصل، أفتى بتكفير الشيخ الوالد رحمته الله، ودعا إلى ضرورة قتل الشيخ، واصفاً إياه بـ «يزيد السعودية»<sup>(٣)</sup>.

(١) <http://www.iraqcenter.net/vb/31383.html>

[http://www.burathanews.com/news\\_article\\_23417.html](http://www.burathanews.com/news_article_23417.html)

(٢) [http://www.burathanews.com/news\\_article\\_25298.html](http://www.burathanews.com/news_article_25298.html)

(٣) <http://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=111520>





كتبوا كثيراً من المقالات والكتب في الرد على الوالد رحمه الله رأيت بعضها في الإنترنت منها: الرد على فتوى ابن جبرين لعبدالله الأحسائي<sup>(١)</sup>، وذكرت أن العوامي من قبل قد كتب للوالد بحثاً حول رأيه في تكفير الرافضة ورد الوالد رحمه الله رداً علمياً مؤدباً.

تزعم عراقي مهاجر في ألمانيا اسمه علي السراي تأسيس لجنة سماها «لجنة انتفاضة المهجر»، وكان من أهم ما اهتمت به متابعة فتاوى الوالد رحمه الله والتشغيب عليه وعلى مشايخ السنة الذين يفتون بشيء ضد الرافضة وجرائمهم في العراق أو في غيره، وسأورد أنموذجاً لأحد مقالاته وليعذرني القراء، فإني إكراماً لهم عن أن يقرؤوا ما لا يناسب الأذواق السليمة سأحذف العبارات النابية والأساليب الجافية، يقول مخاطباً هؤلاء العلماء بعد أن ساق فتوى وقع عليها عدد من المشايخ: «..... كبيركم..... هذه الأمة ابن جبرين.....»

أين العالم من هذه الفتاوى التي يُصدرها علماء..... التي تتبنى قتل النفس الإنسانية المحترمة

بل أين المعنيون بالأمن والسلام العالميين؟

أين مسؤولو منظمات حقوق الإنسان والدفاع عنه؟

وأين قادة الجبهات العالمية التي تحارب الإرهاب والإرهابيين والأفكار الإجرامية المنحرفة، وكل عقلاء العالم ومفكره و مثقفي الشعوب المتحضرة، والمصلحين من علماء ورجال الدين ورهبان وقديسين...

(١) <http://www.ansaaar.com/vb/showthread.php?t=5334>

لماذا يفض العالم الطرف عن إعلانات حرب الإبادة هذه التي تُطلقها  
مرجعيات القتل في آل سعود؟

إن هذه الفتاوى الأخيرة بحق أتباع المذهب الشيعي ما هي إلا إعلان  
الحرب عليهم وتصريح بالقتل لا غبار عليه لكل إرهابيهم القتلة. وضوء  
أخضر قد أعطي لهم، وهذه المرة كسابقاتها من فتاوى الذبح التي.....  
بها..... آل سعود.....

وعلى رأسهم هؤلاء..... كل من

- ١..... / عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.....
- ٢..... / عبد الرحمن بن ناصر البراك.....
- ٣..... / عبد الله بن حمود التويجري.....
- ٤..... / عبد الله بن حمد الجلالي.....
- ٥..... / عبد الله بن ناصر السليمان.....
- ٦..... / ناصر بن سليمان العمر.....
- ٧..... / عبد الله بن عمر الدميحي.....
- ٨..... / سليمان بن عبد الله السيف.....
- ٩..... / عبدالعزيز بن عبد الله المبدل.....
- ١٠..... / محمد بن عبد العزيز اللاحم.....
- ١١..... / إبراهيم بن محمد عباس.....
- ١٢..... عبد الله بن إبراهيم الريس.....
- ١٣..... / محمد بن عبد الله الهيدان.....
- ١٤..... / عبد العزيز بن محمد الراشد.....





- ١٥..... / فهد بن سليمان القاضي.....  
 ١٦..... / عبد العزيز بن ناصر الجليل.....  
 ١٧..... / عبد الله بن عبد الرحمن الوطيان.....  
 ١٨..... / سعد بن ناصر الغنام.....  
 ١٩..... / أحمد بن حسن بن محمد آل بن عبد الله.....  
 ٢٠..... / العباس بن أحمد عبد الفتاح الحازمي.....  
 ٢١..... / عيسى بن درزي المبلع.....  
 ٢٢..... / عبد العزيز بن سالم العمر.....» أ.هـ.

وكان هؤلاء المشايخ قد أصدروا بياناً بعنوان «اعرفوهم واحذروهم» قالوا فيه: «فهذا بيان بحقيقة الشيعة [الرافضة] فإنها الطائفة التي نبتت في جسم الأمة الإسلامية منذ عهد متطاولة بفعل بعض اليهود، وقد قام مذهبهم أولاً على أصلين:

(١) الغلو في علي بن أبي طالب عليه السلام وذريته من فاطمة عليها السلام.

(٢) بغض جميع الصحابة إلا قليلاً منهم.

وهم في هذا الغلو وفي هذا البغض متفاوتون، فمنهم من يؤله علياً عليه السلام، وسلف هؤلاء السبئية الذين حرّقهم علي عليه السلام بالنار، ومنهم القائلون بعصمة علي عليه السلام، والأئمة من بعده..... إلخ».

وكان السراي كثير التناول على حكامنا في المملكة وحكام الخليج وعلى علماء السنة وشبابهم المتمسك بالسنة، وسيأتي كلام طويل عنه؛ لأنه هو الذي رفع الدعوى لمقاضاة الوالد رحمة الله لما كان مريضاً في ألمانيا.

موقع شبكة أنباء برائنا الإلكتروني عقد استفتاء في موقعه بتاريخ ٢٠٠٧/٠٨/٣١م بعنوان: «من يتحمل مسؤولية ما جرى في كربلاء؟»، وكان من ضمن خيارات الاستفتاء: منفذو فتوى ابن جبرين من مناقبي الشيعة، فعجبت كيف بلغ أثر الوالد فيهم رحمة الله هذا المبلغ<sup>(١)</sup>.

ولست هنا بصدد الرد والمناقشة؛ لأن المقام مقام سرد سيرة، ولعل الله أن يبسر دراسة مستقلة تعنى بموقف الوالد رحمة الله من الرفض وما يتعلق به من مسائل.

ولكن اليقين أن موقفه رحمة الله الشجاع الثابت من الرفض حتى توفى جعلهم يحتفون بموته؛ لما وقفه أمامهم من موقف ظاهر بَيِّن، بل إنهم اعتبروا يوم وفاته يوم عيد وهذه شهادة له رحمة الله<sup>(٢)</sup>.

وقبل أن أختتم هذه النقطة لا بد أن أشير إلى أنه رحمة الله مع هذه اللفظة التي يعامل بها الرفض التي كان يقتدي فيها بالنبي ﷺ، بل ينفذ فيها أمراً إلهياً؛ لأن الله قال في موضعين من كتابه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرُ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣ والتحريم: ٩]، فقد كان يعدهم كفاراً أو منافقين؛ لما يرى عليهم من مخالقات، ولكنه مع ذلك كان يحب الخير لهم، ويحرص على هدايتهم، ويفرح بمن اهتدى، ويرفق بمن ترجى هدايته، وكان لا يرى حرجاً في محاورتهم ومناقشتهم إذا رأى نفعاً في ذلك، وقبل وفاته بمدة وجيزة كان الدكتور عبد الرحمن المحرج له جهود في محاورتهم وتأليف علمائهم ومناقشتهم بالحسنى، فطلب من الوالد رحمة الله أن يعقد لقاء مع بعضهم للحوار والنقاش وربما المناظرة الهادئة، فتمنع الوالد

(١) <http://www.iraqcenter.net/vb/36059.html>

(٢) من كلام الدكتور ناصر العمر في فتاة المجد.

رحمة الله وقال: إنه لن يفيد معهم، وما زال به الدكتور حتى أقنعه بالتجربة في لقاء واحد، فإن رأى فائدة والا اعتذر فوافق رحمه الله، ولكن الأجل لم يمهله رحمه الله وعفا عنه وجعله جازاً للمصطفى ﷺ.

### مع المجتمع

هذا المحور من المحاور التي يحسن أن يكتبها الكاتب على سجيته، فإنها تتعلق بالحياة الاجتماعية التي مبناها على البساطة وعدم التكلف. ولقد مررنا في موضوعات سابقة بعض القضايا الاجتماعية وبخاصة في أثناء الكلام عن العمل الخيري، وفي أثناء الكلام عن حياته في منزله الذي عنونا له بيت العطاء، لكن هذا المحور يركز على قضايا مختلفة، وهو تعامل الشيخ الوالد رحمه الله مع المحيطين به خارج إطار المنزل، ويشمل ذلك علاقاته بأقاربه وجيرانه وزملائه وطلابه ومحبيه ومعارفه ونحوهم.

يعرف عن الوالد رحمه الله أنه لئى الجانب لطيف المعشر، ولهذا ألفه الناس وألفهم، وأحبوه وأحبهم، وسأقسم الحديث هنا بحسب نوع العلاقة مبتدئاً بالأقارب والجيران، مقتصرًا على أهم ما يكشف هذا الجانب ويجليه؛ لأن الشواهد فيه والأمثلة والقصص كثيرة.

### الأقارب

لقد كان للأقارب عنده رحمه الله قدر وقيمة، تجعله يحرص عليهم ويتعب لأجلهم.

ومن الأمور التي أذكرها في هذا المجال حرصه على الاجتماعات العائلية التي تقوي العلاقات وتجدد المحبة.

لدينا في أسرة آل جبرين عدة اجتماعات، بعضها على مستوى الأسرة كلها وبعضها على مستوى العوائل.

أذكر وأنا صغير أن آل جبرين يجتمعون في منطقة في القومية تسمى الخنقة في أيام عيد الفطر، وكان يحرص على حضور هذا الاجتماع، ويحضرني أنا وأخي الأكبر محمد معه؛ لأنني أخي سليمان لم يولد إذ ذاك، وكان الطريق للقومية برئياً لم يعبد، وفيه رمال وصعوبات، ومع هذا يتحمل هذه المشاق في سبيل حضور هذا الاجتماع الذي يستمر ثلاثة أيام.

ولولا أنني جعلت للكلام عن العيد نقطة مستقلة لحدثك عن الكثير مما يفعله في العيد لصلة الأقارب وزيارتهم. ولكن سأرجئ الحديث لموضعه إن شاء الله.

وعندنا على مستوى أسرة آل فهد اجتماع كل ثلاثة أشهر، كان رحمة الله هو عمدته، يجدوله في مواعيده. ويسجله في مذكرته، وإذا حضر أحيا الاجتماع بالفوائد والقصص اللطيفة، واحتفى بالحضور كباراً وصغاراً، وكان يلوم من يتخلف أو لا يحرص على الحضور.

وهناك اجتماعات في مستويات أقل لآل عبد الله كان أيضاً يحرص على حضورها وتفعيلها.

ويضاف إلى هذا حرصه على الحضور في مناسبات الأقارب كمناسبات الزواج والضيافات الأخرى، وكنا نرتب في رمضان كما ذكرت إفطاراً شبه يومي يدور على الأسرة ويحرص على عدم التخلف عنه.

تقول الأخت هيا حفظها الله: «أذكر أنني دعوته لزوج أخ لزوجي واتصلت به قبل الموعد بثلاثة أشهر تقريباً؛ لأن الأولوية عنده لمن دعاه أولاً



فوعده خيراً، لكن لما اقترب الموعد قال لي بلطف: إنه سيذهب لزواج أحد الأقارب من أخواله، ولأن العريس يتيم فسيفرح بمجيء الشيخ لزواجه ويحس بأنه أب آخر. فسكتُ».

ومن الأمور فيما يتعلق بالأقارب حرصه على زيارة كبار السن ومنهم الخال إبراهيم بن محمد، والعم عبدالله بن عبدالرحمن بن مناح، وهما من الذين توفى رحمة الله وهم أحياء، والا فقد كان يزور كثيراً من الذين توفوا قبله رحمة الله من كبار السن، وقد فرغ وقتاً في الأسبوع لهذه الزيارات.

ويزور أخواله آل مسهر زيارات شهرية منتظمة لما يراه لهم عليه من حق الرحم والقرابة.

ومن ذلك اهتمامه بالشفاعة للأقارب، وحماسته لذلك، وقد شفع للكثير منهم للعلاج في خارج المملكة عند خادم الحرمين الشريفين وعند الأمير سلطان رحمة الله والأمير عبدالعزيز بن فهد ووزارة الصحة وغيرهم، وكذا شفع للكثير منهم للتوظيف. وكان أحياناً يتابع الموضوع بالاتصال والتوصية، يذكر بعض الإخوة الذين كانوا معه في جدة في إحدى السنوات أنه كان في أحد الدروس فجاءه أحدهم بالهاتف، وإذا اتصال من أحد الأمراء أظنه الأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز فحدثه عن شفاعته لأحد أبناء أخيه؛ لأنه لم يقبل في الكلية، وشفع لكثير منهم في سداد ديونهم والوفاء عنهم.

وكان يحض شبابهم على طلب العلم وعلى إكمال الدراسة وعلى الاهتمام بأنفسهم وعدم البطالة. كان أحد أقاربنا شاباً لم يواصل الدراسة مع أنه كان ذكياً، فكان الوالد رحمة الله يسعى له في وظيفة، ومكث زمناً لم يتيسر له ذلك فكان يقول له لو واصلت دراستك لأنهييت الجامعة وتوظفت بدل هذا الانتظار.

وأذكر مرة أن أحد الأقارب من كبار السن كان قد كفل ابناً له في مبلغ فأوقف في السجن بسبب هذه الكفالة، فذهب رحمة الله لما علم عنه وأخرجه بكفالاته، وسعى حتى سدد المبلغ.

فكان رحمة الله إذا تعرض أحد الأقارب لظلم أو حاجة لم يقر له قرار حتى يفرج عنه.

ولهذا كان شديد الاهتمام ببعض الشباب من الأقارب الذين سجنوا بسبب الأحداث التي مرت بها البلاد، فكان إذا زار أحد الأمراء المسؤولين الذين لهم علاقة بالقضية كالأمير نايف رحمة الله أو الأمير محمد بن نايف يأتي معه بقصاصه ورق قد كتب فيها مجموعة من الأسماء من الأقارب ويحدثه عنه ثم يسلم له الورقة، وكنت أقول في كل مرة إن الأمر صعب ولن يستجاب لمثل هذا الطلب، لكنه في كل مرة: يقدم تلك الأسماء يزيد فيها أو ينقص بحسب ما يراه.

وكان يهتم كذلك بزيارة مريضهم، وحضور جنازتهم. وربما جلس معهم في أيام العزاء كلها.

ومن مظاهر اهتمامه بالأقارب احتفاؤه بهم وفرحه بزيارتهم له. تقول أختي هيا: «قالت لي إحدى حفيداته إن جدي الشيخ يبالغ في حب زوجي ويقدره تقديراً كبيراً مع أنه ليس بطالب علم، فتذكرت كم كان يقدر زوجي، وكم كان يهب للسلام عليه إن زاره، وكذا كل أنسابه وأهله يقدرهم ويحبهم ولا يتكبر عليهم».

ولثمة أقاربنا به ولكونه يعد من أبرزهم علماً وعقلاً، فإنهم يهرعون إليه في كتابة وصاياهم ومبايعاتهم واتفاقاتهم وفي حل مشاكلهم، بل إن غير





الأقارب ربما رفعوا الشكوى ضد بعض الأقارب للوالد رحمة الله طمعاً في تأثيره على أقاربه وسعيه لحل المشاكل ودياً.

وقد بذل جهوداً مرهقة في تقسيم بعض التركات القديمة المليئة بالمناسخات، مثل تركة العُرَيقات لما بيع ملك لهم في القويمية. وقد جاوز الورثة مائة نفس، حتى إن نصيب بعضهم لم يجاوز ثلاثمائة ريال، وكذلك تركة جبرين بن سليمان بن عبدالله، وهان عليه ذلك: لأن فيه مصلحة لأقاربه وخدمة لهم.

وأخيراً فقد كان أقاربه إذا سافروا لبعض بلاد المسلمين حكوا له وشكوا ما يلاقونه من أحوال المسلمين: لأنهم يعرفون أنه يحب ذلك ويهتم به، فهذا ابن أخته إبراهيم بن عبدالله الجبرين لما سافر لليونان للعمل في سفارة المملكة هناك بعث له صفحتين بخط دقيق فيها أخبار المسلمين وما يحتاجونه إليه من إخوانهم.

### اهتمامه ببلده

كان لبلده الأصلي القويمية والرين وما جاورهما من المدن وأهل تلك البلاد في قلبه مثل ما لأقاربه من الحب والوفاء والحرص على مصلحتها ونفع أهلها، وهذا ليس بغريب على مثله، وقد مر بنا في العمل الخيري أنه كان من أعضاء الجمعية الخيرية في القويمية، وصار رئيساً لها مدة طويلة حتى توفي رحمة الله، وكان من المؤسسين والراعيين لها، وسعى لدى الأمير طلال بن عبدالعزيز حفظه الله لدعمها، وحضر معه حفل افتتاح المقر الجديد.

كما مر بنا أنه كان يتولى رعاية كثير من الفقراء، ويجمع لهم من الصدقات والزكوات، ويعطيهم مباشرة أو بواسطة بعض الثقات من المشايخ والأعيان.

ويفزع إليه كثير من أهل تلك البلاد للسعي في المصالح العامة أو في الأمور الشخصية مثلما ذكرت عن حاله مع أقاربه، ويحضر المناسبات العامة هناك ويشارك في المناشط التي تعقد والحفلات التي تقام.

ومن الموضوعات التي سعى فيها في السنة الأخيرة الكتابة لمحافظ القويعة لاستحداث مقبرة أخرى في القويعة؛ لما رأى كثرة الدفن في المقبرة القديمة وخشي من امتلائها.

وكتب مرات لوزارة المواصلات بشأن تعبيد بعض الطرق البرية التي يرى أهميتها في قرى القويعة.

## الجيران

للجيران عنده رحمة لله مقام رفيع وقدر عظيم، ومع قيامه بالحقوق المعروفة للجيران حتى لا نكرر ما قلناه في حق الأقارب فثمت بعض القصص واللفتات التي يحسن الإشارة إليها.

للجيران اجتماع شهري كانوا يحرصون على وجود الوالد رحمة لله فيه، ويرتبونه بحسب ظروف دروسه ووجوده، وكان هو أيضًا يحرص على الحضور ويجدوله عنده لمدة عام حتى لا يفوت عليه شيء من الاجتماعات.

وإذا حضر أحياء المجلس بالذكر والفوائد، واستمع أيضًا لبعض الأخبار والقصص التي يوردها بعض الجيران، وكان يستلطف أحاديث جاراننا أبي حسن محمد بن سرحان؛ لما فيها من الطرافة وحسن السبك، ويطلب منه الحديث وسرد بعض الحكايات التي يحفظها ويرويها بأسلوبه الممتع.





وكان ينهاهم عن التكلفة والإسراف، ويأمرهم بالاعتدال فيما يوضع من ضيافات؛ لأن الهدف الاجتماع لا الطعام.

يقول أحد جيراننا وهو الأستاذ راشد الخضير عن لقاء جيران الحي<sup>(١)</sup>:  
«العجيب أن الشيخ لا يحاول الاستئثار بالحديث، بل يدع المجلس على سجيته في تبادل الأحاديث دون أي رسمية أو انضباط يتنافى مع طبيعة هذه اللقاءات الودية الاجتماعية. رغم ما عرف عن الشيخ من جدية في طلب العلم، وصبر يقل نظيره، ودأب لا يطيقه إلا من وفقه الله! فقط يجيب عن الأسئلة والاستفتاءات التي قد يوجهها أحد الجيران بين الفينة والأخرى، وهذا من فقهه رحمة الله».

ومما يحسن ذكره أنه يهتم بدعوة الجيران إذا جاء عندنا مناسبة في المنزل، وكثيراً ما يلومني إذا نسيت دعوتهم أو دعوة بعضهم.

وحكى لي أحد الجيران أنه وضع على بيته لوحة لبيعه، فخرج مع الوالد رحمة الله من المسجد فسأله لم تنتقل، هل تحتاج إلى قرض أو مساعدة؟، نحن فرحنا بك لما نزلت عندنا، وأمره ألا يبيع وأن يزيل اللوحة وقال له: إذا احتجت شيئاً فأخبرني.

وكان جار لنا مبتلى بالديون فسد عنه مراراً، ثم اشترى له بيتاً عن طريق أهل الخير وأسكنه فيه ليرتاح من الأجرة.

وجاء أحد جيراننا رحمة الله ليطلب قرضاً فأعطاه، وبعد مدة وجيزة رد القرض وكان في حدود ألفي ريال، وبعد مدة جاء وطلب عشرة آلاف، فقلت للوالد لعله لا يردّها، وكنت أقول في نفسي: يمكن أنه رد الأول لنثق ونعطيه،

(١) منصور البراك: مواقف وعبر من حياة ابن جبرين رحمة الله

<http://www.al-jazirah.com/104890/fe5.htm>

فأعطاه الوالد رحمة الله وقال هذا جارنا وأعرفه، فما لبث أن جاء بها مرة أخرى فعرفت خطأ ظني.

وكان أحد جيراننا يكثر من الطلب من الوالد لعوائل يعرفهم، والوالد يعطيه في كل مرة، فسألت الوالد فبين لي أنه يعرف صدقه وأمانته، وأنه يتعاهد بعض الجيران.

ويحكي أحد جيراننا وهو عمرو الضبعان يقول<sup>(١)</sup>: «كان جدي رحمة الله من المحافظين جداً على الصلاة، لم تفته تكبيرة الإحرام في صلاة الفجر مع الجماعة أكثر من خمسين عاماً، اشتد عليه المرض في آخر حياته، وكان عندنا في الرياض وغاب بسبب المرض عن تأدية الصلاة في المسجد.

بعد مغرب أحد الأيام طرق باب منزلنا طارق، فتحت الباب.. فإذا أنا بالشيخ عبدالله، سلمت عليه ورحبت به بادرني على الفور: أين جدك؟، لم أره اليوم في صلاة الفجر.

كان جدي في غرفته في الدور العلوي، وكنا نطلب من زواره الصعود إليه، فحالته لا تسمح له بالنزول.

أخبرنا جدي بأن الشيخ أتى لزيارته وطلبنا منه إما أن نسمح للشيخ بالصعود له أو نعتذر للشيخ ونخبره أنه متعب.

ولكن جدي رحمة الله غضب وقال: بل أنا من سأنزل للشيخ، نزل جدي وكان أكبر من الشيخ عمراً فعانقه الشيخ، وأراد أن يسلم على رأس جدي ثم أبدى اهتماماً واضحاً بمرض جدي، وبدأ يسأله باهتمام ويستمع له بإصغاء.

(١) الإمام ابن جبرين .. أسرار .. مواقف .. حكايات تنشر لأول مرة..!! عمرو بن أحمد الضبعان

<http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229>



بعدها قلنا للشيخ: كلفت نفسك بالزيارة، فتضايق وقال: قارئ القرآن والمحافظ على صلاته - يقصد جدي - له علينا حق الزيارة والسؤال..

رحمكما الله يا جدي.. ويا سماحة الإمام.. وجمعكما في مستقر رحمته..

ولم تنته القصة هنا، يكمل الأخ عمرو فيقول: «توفي جدي بعد زيارة الشيخ له بعدة أشهر، وكان العزاء في أبها، والشيخ ابن جبرين مرتبط بدروس في الرياض، فاتصل على الوالد وعزاه، ثم طلب أن يكلم أعمامي فرداً فرداً، فكلهم واحداً تلو الآخر، وقدم لكل واحد عبارات التعزية والمواساة المصحوبة بالنصيحة والموعظة، ثم طلب أن يكلمني أنا وإخوتي، فكان يكلمنا كما يكلم الأب ابنه، يعزينا ويذكرنا بفضل الصبر، ويثني على جدي، ويرفع من معنوياتنا، وكان لمكالماته الأثر الأكبر في تخفيف المصاب على الأسرة بكاملها..»

وله في الحي الذي نسكنه جهود ومشاركات علمية واجتماعية، فعنده كما سبق أن ذكرت كلمة بعد صلاة العصر في مسجد الفتوح الذي بجوار البيت ما عدا يوم الخميس، حيث يلقي كلمة في مسجد الخرجي الذي يقع عن بيت الوالد جنوباً، ويصلي فجر الأحد، حيث لا دروس عنده في المسجد الذي يصلي فيه الشيخ خالد السرا للسلام على الجيران هناك، وكانوا يتربون صلاته معهم وإذا غاب فقدوه.

وطلب منه الجيران مراراً عدة التوقيع على مطالبات تتعلق بالحي لدى المرور والبلدية، فكان أول الموقعين.

ونظم المركز الاجتماعي في حي شبرا حفلاً تعريفياً فكان الوالد رحمه الله حريصاً على دعمهم بالحضور معهم.

وبجوارنا الأخ حامد الحيان مصاب بجلطة - شفاء الله - وكان يعمل مع الوالد رحمة الله في الإفتاء، فكان الوالد يحرص على زيارته بين الفينة والأخرى. وحينما توفى الوالد رحمة الله حدثني كثير من الجيران أنهم استوحشوا لفقده، فقد كان نورَ الحي وحياته رحمة الله.

### حضور المناسبات والقيام بالزيارات

أقصد هنا بحضور المناسبات مشاركته رحمة الله المجتمع في أفراحهم وأتراحهم، ولقد مرت إشارة لموضوع الأتراح في حديثنا عن عبادة الوالد رحمة الله وحاله مع الجنائز، ولهذا لن أعيد ما ذكر هناك لكن سأنتقي ما يفيد المقام هنا من غير تكرار.

أما بالنسبة لمناسبات الأفراح، وهي مناسبات الزواج ونحوها من المناسبات السعيدة، فكان رحمة الله يدعى لذلك من سائر طبقات المجتمع من الأمراء والكبراء وعمامة الناس غنيهم وفقيرهم، وكان لا يفرق بين هذه الدعوات، بل يستجيب غالباً للجميع، فيحضر ويبارك ويتحدث إن طلب منه الحديث كموعظة أو نصيحة، ويجلس إلى أن يتناول العشاء ثم يمشي، ومع أنه قد يدعى في الليلة الواحدة لأكثر من مناسبة، إلا أنه كان يذهب لمن دعاه أولاً، إلا إذا كان الداعي الأخير له خصوصية من قرابة قريبة أو زمالة خاصة فإنه يقدمه، ولم يكن يذهب في الليلة لأكثر من مناسبة كما يفعله بعض الناس؛ لأن ذلك يشق عليه، ولأنه إذا حضر رعى الحفل وكان ضيفهم المقدم، فلذا لا ينصرف حتى يفرغوا.

كان الأمير سلمان حفظه الله يدعو دائماً لحضور حفلات زواج أفراد الأسرة الحاكمة في قصر الثقافة، وذهب هناك مراراً، كما حضر حفلات



زواج أبناء كثير من الكبراء، وممن أذكره الآن زواج أحد أبناء الشيخ محمد الراجحي شفاه الله وعافاه.

أما سائر الناس فَحَدَّثْ ولا حرج سواء الأقارب أو تلاميذه أو جيرانه أو معارفه ومحبيه وهم كثير.

وإذا كانت مناسبة الزواج عندنا فإنه يدعو كل من يلقاه، إضافة إلى قيامنا أنا وإخوتي بدعوة الناس، وربما اجتمع العدد الكثير حتى يضيق بهم المكان.

وكانت الأخت هيا هي آخر من تزوج من أخواتي فوضعناه في المنزل لأنه مختصر، فلم نشعر بعد صلاة العشاء إلا والناس تتوافد علينا زرافات ووحدانا، الأقارب والمعارف والطلاب والزملاء والجيران، حتى ضاق المكان فاستجبنا فرشاً زائدة، وأخرجنا تلك الليلة أيما إخراج لكثرة الناس، وهو **زَمَّةُ اللَّهِ** يهون الأمر علينا، ويقول: طعام الواحد يكفي الاثنين.

وفي زواج ابني عبد الله جعلناه في صالة أفراح تحسباً للمدعوين؛ لأنه **زَمَّةُ اللَّهِ** طلب مني أن أدعو كل من له بنا صلة لقرابة أو صداقة أو نحوها، فلم أر ولم ير من حضر زحاماً أكثر من تلك الليلة، وهو **زَمَّةُ اللَّهِ** واقف يستقبل ويتهلل فرحاً كلما رأى شخصاً من محبيه.

واضطررنا تلك الليلة لاستعارة صالة العشاء الخاصة بالنساء حتى ينتهي الرجال، وأجلنا عشاء النساء لوقت متأخر.

وقد ذكرت أنه في مناسباتنا في المنزل يحب ذلك ويلومنا إذا لم ندعُ فلاناً أو فلاناً ممن يحب حضورهم وما أكثرهم.

وكان يحضر حفلات النجاح والتخرج ونحوها إذا دعي إليها، وكذلك سائر المناسبات كالعقائق وضيافات العائدين من الأسفار والناجين من الأخطار ونحوها.

وأذكر أن كثيراً من عامة طلابه ومحبيه يدعونه لهذه المناسبات فيحضر ولا يتردد، فلم أرَ أسهل ولا أسمح منه في ذلك رحمة الله.

يقول الشيخ محمد المنجد حفظه الله<sup>(١)</sup>: «ما ندعوه إلى مناسبة إلا ويجيب، قد بارك الله في وقته».

أما الزيارات فله فيها رحمة الله الشأن الأعلى والقدح المعلى، يخص فيها أهل العلم والفضل والقدر والصحة القديمة، وكنت أظن أنها تأتي عرضاً كلما تذكر حتى رأيت في دفاتر مواعيده تسجيلاً لبعضها في أوقات محددة، وبعض هذه الزيارات قديم له تاريخ، وممن كان يزورهم رحمة الله بانتظام من الأمراء الأمير سلمان، والأمير عبدالرحمن بن عبد الله، وفي السنوات الأخيرة كان يزور الأمير مشعل، والأمير متعب، والأمير محمد بن عبد الله بن جلوي. وأما المشايخ فكثير، ومنهم سماحة العلامة عبد الله بن عقيل رحمة الله، والعلامة قرينه وخليه الشيخ فهد بن حمين رحمة الله، ومعالي الشيخ ناصر الشثري، وكان يزور مشايخ اللجنة في الإفتاء منذ أن تقاعد، يزورهم في مكاتبهم، وإذا كانت اللجنة في اجتماع اقتحم عليهم وسلم وجلس بجوار الرئيس حينما كان ابن باز رحمة الله، ولما توفي صار يجلس بجوار الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، وكانوا يفرحون به ويحتفون، وربما ناقشهم في بعض المسائل العلمية أو سألوه عن بعض فتاويه.

(١) قناة الرحمة.



ويزور عددًا من الوجهاء في الرياض وفي غيره، فله زيارت منتظمة لأسرة آل الجميح منذ مدة طويلة، وما زال يتعاهدهم بالزيارة حتى توفي رحمه الله لما بينهم من القرابة والصحة القديمة، ويزور الشيخ عبد الله الراجحي بعدما سكن حي شبرا وبني جامع المبارك فيها ونقل إليه الوالد دروسه.

وكان إذا زار بلدًا حرص على زيارة أميرها وقاضيها، ومن فيها من طلاب العلم البارزين، وممن أذكر زيارته لهم معظم أمراء المناطق كأمرير الشرقية والغربية والجنوبية وتبوك والقصيم وغيرها، فكان في كل مرة يصل فيها إلى منطقة يحرص على زيارة أميرها، ويحدثه عن بعض ما يرى فيه مصلحة البلد الدينية والدنيوية، ومن المشايخ الذين زارهم في المناطق سماحة الشيخ شيخ عنيزة وإمام الأمة محمد بن عثيمين، والشيخ صالح الخريصي قاضي بريدة، والشيخ العلامة صالح البليهي، والشيخ عبد الله الجلالى، وقاضي المنطقة الجنوبية الشيخ إبراهيم الحديثي، والشيخ المعمر رشيد القيسي قاضي مدينة حقل الذي جاوز عمره مائة وثمانية وعشرين عامًا رحمه الله تعالى، وقد زار كثيرًا من علماء الأحساء، مثل الشيخ عبد العزيز بن يحيى اليعبى، شيخ الحنابلة في الأحساء، ومجالس علماء الحنفية وهم أسرة الملا، والمالكية وهم أسرة آل مبارك، والشافعية ومنهم أسرة آل عرفج، كما يزور كما ذكرنا أئمة الحرم إذا جاء مكة في رمضان، وزار مكتبة إمام الدعوة التي يشرف عليها الشيخ الدكتور عبدالرحمن السديس كما زار منزله، ورئيس محاكم تبوك سابقًا الشيخ عبد العزيز الحميد، ورئيس محاكم الباحة سابقًا الشيخ عبد الله بن عبيد، والشيخ القاضي ناصر المدرع في الدمام، والشيخ أحمد الحواشي في خميس مشيط، والشيخ أحمد النجمي في جيزان، والشيخ محمد شامي قاضي بيش وغيرهم كثير.

## وللعيد طعم آخر

اعتدنا منذ مدة طويلة أن نقضي أيام العيد بصحبة الوالد رحمة الله في بلدنا القويعية، لم يكن لنا ملك هناك، وإنما نستقر عند الخال عبد الله ابن محمد رحمة الله وزوجته عمتي منيرة شقيقة الوالد. حيث كان لهم بستان في بلدة القويع بقرب القويعية، وكان يجاورهم ملك لعم الوالد عبدالعزيز رحمة الله، وقد أنشئ فيه منزل بعد وفاته بمدة طويلة ليكون مستقراً لمن جاء من أعمامي وأولادهم.

وكان رحمة الله يصلي العيد في مكة إذا كان شهر رمضان ناقصاً، وإن كان تاماً صلى في بلدة محيرقة، وهي البلدة التي ولد فيها، حيث يجتمع هناك الكثير من آل جبرين، وكان الذي يصلي بهم ممن أدركتهم العم عبد الله بن سعد، ثم الخال سعد بن دهران، ثم توالى بعد ذلك بعض الشباب.

وبعد صلاة العيد ننتقل إلى ظل لقصر قديم يسمى قصر الشيخ من آل منقاش، فتفرش السفر، وتوضع الصحون والبوادي<sup>(١)</sup>، ويبدأ الجميع في الأكل والتنقل بين الصحون، وكان رحمة الله لا يتنقل بل يجلس على ما يختاره أو يُختار له، وبعد أن يأكل يقوم لغسل يديه.

بعدها غالباً يمر على منزل أو اثنين لتناول القهوة إكراماً لهم، ثم ينطلق للقويعية فيسلم على بعض كبار السن من الأقارب وغيرهم، ومنهم العم عبدالعزيز بن محمد، والعم محمد بن عبد الرحمن العمدة، والعم محمد ابن عبد الله، والعم حمد بن جبرين، والشيخ سعد بن شقيران، وآل عصفور وغيرهم، رحم الله من توفي منهم، وأمد في عمر الحي وأحسن ختامه.

(١) لفظة عامية وهي إناء يؤكل فيه له، قاع، وعادة أهل نجد أن تأتي كل عائلة بطعامها -الذي يسمى عيداً - في صباح العيد.



وغالبًا ما يتعدى في يوم العيد في مزرعة الأمير حمد بن سليمان رحمة الله، حيث يحضر كثير من الأقارب والمعارف، وما زالت هذه العادة الحسنة بعد وفاة الأمير حمد يقوم بها إخوانه وأبناؤه.

وقبل نحو عشرين سنة في حدود عام ١٤١٤هـ اتفق آل حمد، وهم فخذ من آل جبرين، على جعل اجتماع في مخيم بقرب بلدة القويح لمدة أربعة أيام، يحضر فيه صفارهم وكبارهم من الذكور، وكان الوالد يحرص عليه جدًا ويحيي أيامه، فيحضر للإفطار صباحًا، ثم يقوم بجولات سلام لاجتماعات العيد لأسر أهل القويحية كعوائل آل جبرين الأخرى والعرافا وآل مسهر وآل منقاش وآل هويمل وآل سعدان والجبارا وغيرهم، وذلك إلى حدود الظهر، ثم يرجع للمخيم ويجلس فيه إلى بعد العشاء، وربما ذهب ليرتاح قليلاً في البيت بعد الغداء.

وفي كل عيد لا يغفل زيارة الرين حيث يوجد الكثير من أصدقائه في أيام شبابه، فيذهب غالبًا بعد الإفطار من اليوم الثالث للعيد، ويسلم على عدد من كبار السن هناك، كالشيخ محمد بن سعود الصبيحي، وأبي عوف عبدالرحمن بن إبراهيم العريفي، وهما من طلاب العلم والعباد، وكبار آل سفران أمراء الهجرة السفلى بالرين التي عاش فيها الوالد رحمة الله والشيخ هميجان القحطاني، وهو من الإخوان الذين حضروا وقعة السبلة، ومن المحافظين على السنة، وهو يكره المدنية وآلاتها حتى الراديو والكرة، ويقول إنها من الأعيب الشيطان، وهو حي حتى الآن، وقد جاوز المائة وست سنين، وضعف في السنة الأخيرة سنة ١٤٣٢هـ، ويزور عبدالهادي ابن حشيشة، وهو من شيوخ الرين ومن العباد، ومبارك ابن هملان وأخاه وازع وأبا إبراهيم البصري وخريزان بن لزيمة وغيرهم، ويصلي الظهر في جامع الرين، وقد توفى بعض هؤلاء، رحمة الله.

وفي طريق عودته يمر بكبار آل هويل، وربما مر بمخيمات لهم ولغيرهم بعد وجود اجتماعات العيد العائلية، ويصل إلى مخيمنا غالباً في الساعة الثانية ظهراً، وكنت غالباً أرافقه في هذه الجولة أنا وبعض إخوتي وأعمامي وأبنائهم.

وفي المخيم يحضر ويشارك في فعالياته ببساطة وعفوية، فربما وعظ، وربما وجه، وربما أفتى، وربما قص القصص الطريفة القديمة والمعاصرة، وربما استمع وتفاعل مع ما يلقي من مشاركات ومسابقات، كل ذلك بسمته ووصمته وأدبه المعروف رحمة الله.

ويقصد مخيمنا كثير من الزوار للسلام عليه وعلى جماعتنا، فيبش لهم ويهش، ومنهم غالباً محافظ القويعة، والقضاة، وبعض طلاب العلم، ووجهاء القبائل، وكثير من الشباب، وغيرهم.

ولم يكن رحمة الله ينتقد شيئاً من الأمور التي يقوم بها المنظمون، بل ربما أيدهم في اجتهادهم إذا خولفوا في شيء، لكنه يثرب ويلوم من يتأخر عن الحضور للمخيم ولا يشارك في نشاطاته.

وفي آخر المخيم، وهو اليوم الرابع للعيد، يقام كالعادة مزاد على ما بقي من الأغراض، فكان يستظرف ذلك ويحضره، وربما اشترى أو أشار لي أو لأحد من إخوتي بالشراء لشيء من الأغراض التي يستلطفها.

وأذكر في أحد الأعوام أنه جاءتنا ريح قوية في آخر يوم لنا، فعمد إلى أحد الأعمدة ليمسكه وأثر في ساقه لما حركته الريح بقوة وأسقطته.



## متفرقات

القضايا التي سأذكرها هنا لها نوع تعلق بهذا المحور، ولكن ليس بينها رابط يجمعها، فجعلتها بهذا العنوان، لكن لها دلالاتها على وزن الشيخ الوالد رحمة الله في المجتمع، وأنه شيخ أمة حقاً.

المراسلات التي تأتي الوالد رحمة الله كثيرة عن طريق عدد من الوسائط كالبريد العادي، والبريد الإلكتروني، والفاكس، والتسليم المباشر له أو لنا في المكتب. والتسليم في الدروس والمحاضرات مع الأسئلة، وغير ذلك.

ويرد غالباً على هذه المراسلات إذا كانت تحتاج إلى رد، كالتواؤى، والطلبات، ورسائل التهئة. وقد يستعرضها أو نعرضها عليه لمجرد الاطلاع، مثل طلبات الدعاء، ورسائل المشاعر التي يبدي فيها أصحابها حبهم له وتقديرهم. ودعني أستعرض معك بعض الرسائل اللطيفة التي عثرت عليها بين أوراقه رحمة الله.

أولها رسالة من تلميذه ماجد الجوير، ذكر فيها أن سماحة الشيخ ابن عثيمين رحمة الله طلب من ماجد إعطاء رقمه للوالد رحمة الله ليتصل به ضرورة، وذلك لما كان في المستشفى التخصصي بالرياض في أواخر شعبان عام ١٤٢١هـ، ولا أدري ماذا كان الموضوع، ولعله أراد أن يوصيه بشيء فيما يتعلق بطلاب العلم.

وثانيها رسالة من الشيخ بكر أبو زيد رحمة الله يثني على كتاب الوالد رحمة الله تحقيق شرح الزركشي، خاصة فيما يتعلق بتخريج الأحاديث، ويقترح إفرادها في كتاب مستقل.

ورسالة من الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط حينما كان بدمشق، يشكر الوالد رحمة الله على إهدائه تحقيق شرح الزركشي، ويثني على جهده.

ومن الأوراق اللطيفة دعوة لحضور مناسبة زواج كتبها الشيخ عبد الله الجار الله رحمة الله بخط يده في ورقة دفتر عادية، يدعو الوالد فيها للحضور بتاريخ ١٤٠٨/٣/٢١ هـ، وقد قطع الوالد أعلاها وكتب في أسفلها بعض المنكرات التي يريد التنبيه عليها.

ومن المذكرات أن حسين شنشول وموسى شبلي، وهما كهلان من سوريا يزورانهم كل عام، ويتعاهدهما بالإحسان، وإذا جاء أحضرا معهما بعض الهدايا كالحلويات السورية ونحوها، فحالت ظروفهما دون المجيء لمدة طويلة، فبعثا رسائل عدة كان من أطفها رسالة من موسى شبلي عبارة عن شريطي تسجيل، سجل فيهما صوته ومشاعره ومشاعر أهل بيته نحو الوالد رحمة الله، وهذه كما تعلم لا تفعل إلا إذا ارتفعت الكلفة، وخالطت المحبة بشاشة القلب.

وأرسل له أحد الشباب من إحدى دول شرق آسيا - أظنه من ماليزيا - رسالة، وأرفق معها كراسة فيها خطوط ورسوم جميلة للفظ الجلالة وبعض الأذكار، جعلها عنوان محبة وتقدير.

ووجدت رسالة من أحد الإخوة من جدة يلح على الوالد رحمة الله للانتقال إلى جدة والسكن فيها، ويرغبه في ذلك، وأنه سيجد قبولاً وإقبالاً من طلاب العلم، ويرجوه إن لم يستطع أن يطلب من الشيخ ابن باز بعث أحد العلماء.

ورأيت ورقة سؤال في الدورة العلمية في الشرقية كتب فيها مرسلها: الشيخ يذكرنا بالصحابة والتابعين.





ومن الرسائل رسالة سُلِّمَتْ في أحد الدروس، فيها اعتذار لطيف وأسف بالغ لشاب ذكر أنه تابعهم بسيارته؛ ليعرف سكنهم حينما كانوا في دورة في خارج الرياض، فيبيدي أسفه ويعترف بخطئه ويطلب العفو والصفح.

وتشبهها رسالة من أحد الشباب يعتذر للوالد أنه من قبل كان لا يحبه ويفتابه وينتقد منهجه، وأنه عرف الحق، واكتشف أنه على خطأ، فيطلب العفو والمسامحة.

ومن أغرب الرسائل شاب من المنطقة الجنوبية، أراه قد لعب الشيطان بعقله، فصور له أنه المهدي المنتظر، أرسل رسالة للوالد رَحْمَةً لِلَّهِ يقول فيها: نفيد فضيلتكم بأننا المهدي المنتظر، شاء الله أن يبتلينا بالسحر.....حاولنا إثبات أننا المهدي المنتظر، وجدنا من يتربص بنا ومحاولة عرقلة جميع محاولتنا....

فضيلة الشيخ، نحمد الله على ما ابتلانا به، ونسأله التخفيف، وحل عقد السحر عنا، ولكن طمع الناس بما لدينا، ويعلم فضيلتكم عن أخبار المهدي وعن توزيع المال، وتناسى الناس أن المهدي المنتظر رجل دين في المقام الأول. وكلنا أمل أن نثبت صدقتنا بناء على ما أخبر به الرسول ﷺ من أخباره المنقولة عن المهدي المنتظر، علما بأن الدجال يراودنا منذ الصغر، ورؤية قيام الساعة بجميع صورها».

ثم كتب رقم الهوية والجوال وجزيرة فرسان.

ويشبه آخر أرسل للوالد يقول: «هذا واعلم أن المهدي موجود، والله يشهد أنه كاتب هذه السطور في العقيدة الحقّة والله على ما أقول وكيل.



اللهم هل بلغت اللهم اشهد.

أنا المهدي حقاً ولنا نسب مع الحكام والله يشهد.

ولقد جاءنا شخص في الرياض ثم قابل الوالد في حجته الأخيرة في مكة، ولعله صاحب الرسالة الأولى، فكلمني يريد جلسة خاصة مع الوالد ليبلغه بأمر مهم، فلما حدثت الوالد رحمة الله أخبرني بأنه يزعم أنه المهدي، وأنه أحاله للمفتي العام الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ.

وأرسل أحد الأشخاص رسالة طريفة جاء فيها: «عندي مما وهب الله سبحانه ما لا يحصى من الاختراعات المسبوقة والحالية إسهامات من الاكتشافات العلمية، مثل الاتصالات بجميع فروعها السلكية واللاسلكية، الطاقات الطبيعية، الصناعية، المواصلات، الموصلات البصرية، الاكتشافات الطبية، الروح أدواتية، الجنيوم، الأحاسيس العشرة لجميع الأمراض العضوية، الروحانية. أكثرها قد أعمل. وصارت من نبتها الحضارة التكنولوجية والإنسانية ممكنة بالأخلاق العلمية والأدبية. حقيقة، إسهاماتي بمعية علماء أفاض، الشكر لله أولاً وآخرًا باسمنا كلنا لما سبق علمه وأعماله، من ثم لما نحن عليه حالياً من مخلصين، اكتشافات جديدة لطالما صيرت لخدمة الله ثم مخلوقاته.

وصلت للبيت الأبيض الإثنين ١٦/فبراير/٢٠٠٤.

بعد التي من قبل وصلت بتاريخ ٥/فبراير/٢٠٠٤.

وصل لليونسيف بتعديل.

رابطة العالم الإسلامي وصلت.

وصلت لأوروبا بتعديل قد جاءت الإجابة أما أخرى هذه إرسالية.



جامعة الدول العربية وصلت.

منظمة العالم الإسلامي وصلت».

وأرسل له شخص من خارج المملكة رسالة بذينة حول منع علماء السعودية من ختان النساء، وشن فيها هجومًا على السعوديين وبناتهم.

وأمثال هذه الرسائل كثير، وإنما أردت التمثيل لترى اختلاف مدارك الناس.

وأما رسائل الدعاء له وطلب الدعاء منه وبيان المحبة له فلا تحصى كثرة، وغالبًا تصدر الأسئلة في الدروس والمحاضرات بهذا، فرحم الله شيخ الأمة وعفا عنه، وجعل ما قدمه لأمته ذخراً له يوم القيامة.



القِسْمُ السَّابِعُ

مناهج متقنة

- طلب العلم
- السياسة والحكم
- الخلاف والاختلاف
- الدعوة والتربية
- منهجه في النظرة للجماعات الإسلامية



## مناهج متقنة

هذا القسم قسم تحليلي تحليلي، قد يثقل على القارئ لكونه ليس كالأقسام السابقة، التي كانت سردية توثيقية لحال الشيخ الوالد رحمة الله وأعماله، ومن نظر لطبيعته رحمة الله وسجيته ظن أنه لبساطته وتواضعه يعمل ويتصرف بعفوية وعاطفة، وأنا لا أنكر أنه رحمة الله يتأثر ويستجيب للأفعال ويتعامل معها، ولكنه يحكم تلك العاطفة بمنهج ثابت مبني على ثوابت شرعية ومقتضيات عقلية، ولست في هذا مدعياً ولا مبالغاً لأنه والدي رحمة الله، فدعني لأزيل عنك هذا الوهم أورد لك نصين لشيوخين مشهورين بالعلم والعقل والنصيحة والعدل، وهما الدكتور سعد البريك والدكتور عبدالعزيز الفوزان، وكلاهما ممن تتلمذ على الوالد رحمة الله وعرفه عن قرب، ولو أردت غير هذين النصين لوجدت الكثير، وهذا القسم برمته شاهد على ما ذكرته.

يقول الدكتور سعد البريك رحمة الله<sup>(١)</sup>: «للشيخ منهج يجب أن يستخلص من سيرته، ويجب أن يدرس، يجب أن يقرأ، ويجب أن يعرف كمنهج، وليست مجرد مواقف في حياته، للشيخ منهج مع الحكام في النصيحة والصدق والزيارة، للشيخ منهج مع العلماء في البيان والتعامل مع المخالف، للشيخ منهج مع العامة في الدنو منهم وقضاء حوائجهم، للشيخ منهج مع الجماعات الإسلامية في نبذ التعصب والنصيحة للجميع، للشيخ منهج مع المخالفين في العقائد مخالفة واضحة، فلا يقف في منطقة رمادية أبداً، وقوله مشهود ومعلوم فيمن سب الصحابة وقذف أم المؤمنين عائشة بالفاحشة، للشيخ منهج في الدعوة قائم على التعليم، الشيخ مما علمته منه أن خطاب المحاضرات الجماهيرية العامة وإن كانت مفيدة إلا أن أثرها لا يدوم طويلاً، ولذلك تجد

(١) فتاة «دليل».





منهج الشيخ قائماً على العناية بالتعليم والتدريس والعناية بالطلبة الناشئين، وأيضاً عالمية الشيخ في الدعوة في بث دروسه في القنوات الفضائية وحرصه على ذلك».

ويقول الدكتور عبدالعزيز الفوزان<sup>(١)</sup> *حَفِظَهُ اللهُ*: «سماحة الشيخ العلامة عبد الله بن جبرين رحمة الله عليه هو واحد من الرواد الكبار لإحياء منهج السلف في العقيدة وفي العبادة وفي المعاملة وفي النصح لله *وَعَلَى* ولرسوله *وَعَلَى* وكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

هذا الرجل المبارك أحيا الله *وَعَلَى* به الأمة في جوانب كثيرة، وهو يسير على نفس المنهج الذي سار عليه نبينا *وَعَلَى* وأصحابه وأتباعهم بإحسان..... برز في زماننا من هؤلاء الأعلام الكبار سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وسماحة الشيخ محمد بن عثيمين، هؤلاء الرجال جددوا المنهج السلفي الصحيح، ليس فقط في العقيدة وهي الأهم لا شك، ولكن أيضاً في العبادة وفي المعاملة وفي السلوك وفي حسن الخلق والإحسان إلى الناس واحتساب الأجر عند الله *وَعَلَى*، في إحسان الظن بالناس، في محبة الخير لهم والتفاني لخدمتهم ببذل أوقاتهم وجهودهم وأموالهم وشفاعتهم وجاههم.

ومما يذكر لهذا العالم الجليل وأمثاله من هذه الكوكبة التي أشرت إليها أنهم جددوا المنهج السلفي في الفقه العملي لم يجروا على ما ظلت عليه الأمة قرونًا في التعصب المذهبي، أحيوا في الناس المنهج العلمي الصحيح المقارن، بحيث تدرس المسائل الشرعية دراسة مقارنة بذكر جميع الأقوال بجميع المذاهب، ثم يذكر أدلتها ومناقشتها حتى نصل إلى الراجح بدليله بغض النظر عن من قاله».

(١) فتاة دليل.

من هذين النصين تعلم أنه رحمة الله صاحب منهج بنى عليه حياته رحمة الله في جميع المجالات منذ أن نشأ إلى أن توفى، ولا ريب أن المنهجية تترقى كلما ترقى الإنسان في درجات العلم، وخاض في بحور المعرفة، وخالط الناس، وتقلبت به الأحوال.

وهنا في هذا القسم سنحاول استكشاف منهجه رحمة الله من خلال أقواله وأعماله وكلام تلاميذه ومحبيه ومشاعره.

في هذا القسم سنتعرض لمنهجه في العلم والتعلم والتعليم، وهو ميدان رحمة الله، وكان له في حياته النصيب الأوفى والقدر الأعلى.

وسنتعرض أيضاً لمنهجه في التعامل مع الولاة، وهو من الميادين المهمة في هذا العصر، الذي كثرت فيه الفتن والمحن، وأصاب الوالد منها بعض سهامها. ولكونه ممن عرف بالفتيا واشتهر بها، فكنت قد أشرت في الكلام عن الفتوى إلى بعض معالمها عنده رحمة الله، ولكننا هنا سنعرض لمنهجه في الخلاف والاختلاف والتعامل مع المخالف، ومنهجه في الفتوى في القضايا المعاصرة، وما يتعلق بهذه المسألة.

وسنتكلم عن منهجه في الدعوة والتربية ونظراته للجماعات الدعوية المختلفة.

وسأكون في كلامي مهتماً بالكليات، معطياً الصورة الحقيقية لمنهج الشيخ الوالد رحمة الله بعيداً عن التدخل في تشخيص هذه الصورة تاركا للقارئ التأمل والاستفادة وإبداء الرأي.

وكذلك لست بصدد بيان رأبي في صواب المناهج الأخرى والتوجهات الأخرى التي يؤيدها الوالد أو يخالفها.



ولتعلم أخي القارئ أن من كمالات الرجال وعلامات توفيقهم أن يكتب لهم القبول من الجميع، وأن تجمع الآراء على تقديرهم واحترامهم حتى ممن يخالفهم، وأحسب أن الوالد كشيخه ابن باز وشيخهما محمد بن إبراهيم وقرينهما الشيخ محمد بن عثيمين ومحدث العصر الشيخ ناصر الدين الألباني ونحوهم من أعلام هذا العصر، قد أجمعت الأمة على قبولهم وتقديرهم، ولا يعكر ذلك وجود بعض الأفراد الذين قد يخرجون عن هذا الإطار العام لتعليل أو تأويل، أسأل الله أن يرحمهم وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

وأخيرا سأخبرك أخي القارئ أنك ستجد في هذه المباحث على كونها مباحث علمية تحليلية فوائد ولطائف من سيرته رحمة الله، لأنها هي الدليل المادي على ما نحن بصدد.

### طلب العلم

العلم هو المحطة الأهم في حياة الوالد رحمة الله، وقد آثرت أن أعنون لهذا الموضوع بطلب العلم، ليشمل أمورا عديدة، منها رأيه في المنهج الأكمل لطلب العلم، ومنهجه هو رحمة الله في طلبه للعلم، ومنهجه في التعليم، والمنهج السديد في التعامل مع العلماء وطلاب العلم.

سنتطرق هنا لهذه الأمور وربما مر عرضا الإشارة لغيرها مما هو متعلق بهذا الموضوع، وسأختم بملح من ذكريات قصها الوالد رحمة الله عن أيام الطلب.

أما ما يتعلق بمنهجية طلب العلم التي يرى الوالد رحمة الله أنها الأكمل، فقد جمعت من كلامه رحمة الله عددا من النقاط، التي يمكن تصنيفها على أنه رأيه في ذلك، وهي:

١- يرى رحمه أهمية التفرغ لطلب العلم، وأن يجعله الإنسان من أهم المهمات، ويفرغ له نفسه أو وقتا كافيا من وقته، يقول **رحمة الله**<sup>(١)</sup>: «نتفرغ ونفرغ أوقاتنا لحمل هذا العلم، لنكون من أهله، ولنكون من حملته، ولنكون من ورثة الأنبياء»، ويقول<sup>(٢)</sup>: «إدامة الملازمة للدروس اليومية أو الأسبوعية التي تقام في المساجد ونحوها، مفيدة ونافعة، ولها تأثير كبير في تحمل العلم، وتجديد المعلومات».

٢- يوصي **رحمة الله** الطلاب دائما بالاهتمام بالعلم الصحيح الذي هو ميراث الأنبياء، ويرى أن هذا العلم هو الذي ينبغي أن يبذل في تحصيله طالب العلم وقته وجهده<sup>(٣)</sup>.

٣- يرى **رحمة الله** أن الدراسة الأكاديمية مهمة، ويقول<sup>(٤)</sup>: «الدراسات المنهجية أصبحت من الضروريات، بحيث لا يخل بها إلا القليل، بل يلتزم الأكثرون بها، رجالاً ونساء، انتظاماً وانتساباً، والغالب أن القصد منهم هو الحصول على المؤهل الذي يمنح له بعد الانتهاء من كل مرحلة، ولاشك أن الالتزام بذلك مع المواصلة إلى نهاية المرحلة الجامعية مما يفيد كثيراً، حيث إن الطفل يبدأ من مبادئ العلوم، ثم يترقى إلى ما بعد ذلك سنة بعد سنة، ومرحلة بعد مرحلة، فمتى كان قصده الاستفادة، وتحصيل المعلومات النافعة، فإنه ولا بد سيحصل من ذلك على قسط كبير، يبقى معه أثره طوال حياته».

٤- ويرى أن الدراسة الأكاديمية وحدها لا تكفي، فلا بد معها وبعدها من مواصلة التعلم، يقول **رحمة الله**<sup>(٥)</sup>: «لا بد مع ذلك وبعده من مواصلة التعلم».

(١) قصتي في طلب العلم.

(٢) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.

(٣) قصتي في طلب العلم.

(٤) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.

(٥) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.



وبذل الجهد في التحصيل، فإن العلم كثير، وطالب العلم لا يكتفي بما حصل عليه. كما في الحديث: «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا»<sup>(١)</sup> وكان العلماء يوصون تلاميذهم بالاستمرار في الطلب، ويقول أحدهم: طلب العلم من المهد إلى اللحد. ويقولون: من المحبرة إلى المقبرة.

٥- من أهم الأمور التي نبه عليها رحمة الله القراءة على الشيوخ وملازمتهم، لأنها تعصم بإذن الله من الخطأ، يقول رحمة الله<sup>(٢)</sup>: «قد علم بأن المشايخ لا بد لهم من اختيار، ولا بد لهم من نظري في كلام هذا وفي كلام هذا وفي الجمع بينهما، مما لا يدركه الطالب بنفسه». ويقول<sup>(٣)</sup>: «لا يقطع مجالسة العلماء: فإن ذلك مما يستفيد منه فوائد كثيرة، تحثه على أن يقرأ مثلما قرؤوا؛ وذلك لأن كبار العلماء درسوا الدروس الشرعية قديما، وتمرسوا فيها ومارسوها ممارسة قوية، ووقعت الوقائع معهم فكانوا على جانب كبير من المعرفة بالمسائل التي وقعت في زمانهم. وقاسوا عليها الوقائع الجديدة».

٦- ينصح الوالد رحمة الله طالب العلم المبتدئ أن يبدأ بمبادئ العلوم ومقدماتها، ومنها: معرفة موضوعاتها ومصطلحاتها والعلاقة والفروق بينها، يقول رحمة الله<sup>(٤)</sup> حول هذه النقطة: «لكن لا بد قبل طلب العلم من معرفة المقدمات، والأساليب والاصطلاحات للمؤلفين، ولا بد من معرفة اللغة الفصحى، وما يتصل بها من النحو والصرف والبيان، حتى تتم الاستفادة منها، حيث إن الكثير من الطلاب يصددهم عن القراءة في الكتب جهلهم بالمصطلحات، وقصورهم في المعلومات اللغوية، حتى فضل

(١) رواه الدارمي في باب في فضل العلم والعالم عن ابن عباس برقم ٢٢٤ وابن مسعود برقم ٢٢٢ والحسن البصري برقم ٣٢١.

(٢) برنامج ابن جبرين...عالم أمة الشيخ محمد صالح المنجد

(٣) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=9&book=213&toc=8381&page=7310&subid=33206>

(٤) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٢٢ شعبان ١٤١٩ هـ.

الكثير ما كتبه المتأخرون، وأكبوا على القراءة للمعاصرين»، ويقول<sup>(١)</sup>:  
«نوصيه بأن يُقوم لسانه، وذلك بأن يقرأ على بعض المشايخ قراءة مطالعة؛  
أي سردا في المطولات ونحوها، ويأمره بأن يلقنه الأخطاء النحوية حتى  
يقيم لسانه، وحتى يعرف كيف ينطق ويطبق القواعد النحوية، ثم بعد  
ذلك أو مع ذلك يقرأ في مبادئ العلوم».

٧- يرى رحمته الله أهمية الحفظ لطالب العلم وخاصة القرآن الكريم، وكذلك  
حفظ المتون والمختصرات في النحو والفرائض، والأحاديث في الأحكام،  
والتوحيد، والعقائد والفقهاء، والتفسير والقواعد والشروط والأركان  
والواجبات والنصوص والأدلة، لأن له الأثر الكبير في بقاء المعلومات.  
يقول رحمته الله<sup>(٢)</sup>: «كان مشايخنا الأكابر يذكرون عن نشاطهم وتسابقهم  
إلى الحفظ، ويحثون تلامذتهم على ذلك، حتى رأينا منهم العجب في  
استحضار النصوص والأدلة عند الحاجة إليها، وكانوا يلزمون من أراد  
الالتحاق بالتعلم أولا بحفظ القرآن الكريم».

٨- يوصي الطالب أن يهتم من العلوم بما تميل له نفسه، ويرى أنه يحسنه  
أكثر من غيره، ويقول عن هذا<sup>(٣)</sup>: «لا شك في اختلاف الرغبات، والتباين  
الكبير في طرق التحصيل عند طلاب العلم، والذي أراه أن لكل طالب  
التمشي على ما يميل إليه ويتأثر به، ويرى فيه الفائدة وإدراك المعلومات».  
٩- يؤكد دائما رحمته الله على طلابه وغيرهم بأن تكون همهم عالية، بحيث  
لا يجد الملل لنفوسهم طريقا، ويحدثهم كثيرا عن أحوال السلف وعلماء  
صدر هذه الأمة، وما بذلوه من الجهد، والتعب والنصب في طلب العلم

(١) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=9&book=213&toc=8381&page=7310&subid=33206>

(٢) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.

(٣) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.

يقول<sup>(١)</sup>: «ذكر ابن أبي حاتم عن أبيه **رُحمةُ اللهِ**، قال: أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين، وأحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، ولما زاد على ألف فرسخ تركت الحساب، وذكر أنه سار ماشياً من الكوفة إلى بغداد ما لا يحصى، ومن مكة إلى المدينة مراراً، من البحر من قرب مدينة سلا إلى مصر ماشياً، ومن مصر إلى الرملة، ومن الرملة إلى بيت المقدس، ومن الرملة إلى عسقلان، ومن الرملة إلى طبرية، ومن طبرية إلى دمشق، ومن دمشق إلى حمص، ومن حمص إلى أنطاكية، ومن أنطاكية إلى طرسوس، ثم من طرسوس إلى حمص، ومن حمص إلى بيسان، ومن بيسان إلى الرقة، وقبل ذلك من واسط إلى النيل، ومن النيل إلى الكوفة، كل ذلك ماشياً في سفره الأول، وسنه عشرون عاماً، وقد نقل عن غيره أكثر من ذلك».

١٠- وينبه **رُحمةُ اللهِ** طالب العلم أن يجالس طلاب العلم المبتدئين، الذين يحتونه على أن يبحث في المسألة إذا سألوه عن مسألة لا يعرفها<sup>(٢)</sup>.

١١- ومن أهم وصاياهم التي أخذها عن مشايخه الوصية بالتطبيق، لأن الإنسان إذا علم ولكن أهمل ولم يطبق ولم يعمل كان علمه حجة عليه، يقول **رُحمةُ اللهِ**<sup>(٣)</sup>: «فلا بد للعالم أن يكون قدوة، قدوة خير ولا يكون قدوة سوء، بل يحرص على أن يعمل بكل ما بلغه حتى في الأمور العادية، وإن لم تكن من العبادات، فإذا وردت في الشرع يحرص عليها مثل: أذكار النوم وكيفية النوم وأذكار الأكل ودعائه قبله وبعده والأكل بثلاثة أصابع، والأكل أول النهار سبع تمرات، ونحو ذلك».

(١) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٣٢ شمعان ١٤١٩هـ.

(٢) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=9&book=213&toc=8381&page=7310&subid=33206>

(٣) قصتي في طلب العلم.

١٢- يوصي رحمة الله كثيرا الطلاب بمطالعة الكتب العلمية، لأن إدامة قراءة الكتب العلمية مفيدة جداً، كما يوصي بالتدرج في ذلك <sup>(١)</sup>، وقد عدد في مرات عديدة الكتب التي يوصي بها في فتاويه ودروسه ومحاضراته.

١٣- ويرى رحمة الله أن منافسة الأقران والمسابقة معهم وأيضا النقاش معهم من أهم الأسباب التي تساعد الطالب على طلب العلم والجد فيه، يقول رحمة الله <sup>(٢)</sup>: «هذه الدروس جربنا أنها تخضع للمنافسة، فتحن لما كنا في الرين قبل أن نأتي إلى هنا <sup>(٣)</sup> نجد فتورا، وذلك لعدم المنافس ولعدم المتسابقين، فأحدنا إنما يحفظ لرغبة، وليس هناك مسابقة ولا منافسة».

كانت الوصايا السابقة هي الأمور المنهجية المتعلقة بطلب العلم التي استقرت في ذهن الوالد رحمة الله بعد مدة طويلة خاضها في طلب العلم، ثم مدة أخرى في بذل العلم وتعليمه.

ودعني الآن أتأمل معك بعض الوقفات المهمة من حياته رحمة الله تؤكد لك تطبيق هذا المنهج.

إن أول وصية ذكرها من وصاياه لطلاب العلم التفرغ للعلم، ولقد كان هذا الأمر بارزا في حياته رحمة الله، منذ أن كان شابا إلى أن توفى رحمة الله، لم يشتغل بالدنيا وحطامها، لقد تعلق قلبه بالعلم، يقول رحمة الله إن بدايته في الصغر بكتب الحديث كما تقدم أورثته شوقا إلى كتابة الحديث، فحرص على اقتناء الكتب القديمة، التي يهتم مؤلفوها بالأحاديث النبوية ويوردونها بأسانيدھا المتصلة، كما أحب كل ما يتعلق بالحديث من كتب المصطلح وعلل

(١) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الثانية.

(٣) يريد الرياض لأنه لما جاء للرياض كانت المناهضة بين الطلاب شديدة وبخاصة مع زميله وصفيه الشيخ محمد بن قاسم رحمة الله.



الحديث وكتب الجرح والتعديل ونحوها<sup>(١)</sup>، وحينما جاء إلى الرياض مع شيخه أبو حبيب وأسكنه مع بعض رفقاتهم في بيت استأجروه لهم عرفنا أنه رأى هو وزميل معه أن يستقلا في منزل صغير لكثرة من يغشى الشيخ من الزوار الذين لا يتمكن معهم من المذاكرة، وعرفنا أيضًا أن أحزن ما أحزنه حينما سقط بيته بسبب المطر على دفاتره، التي قيد فيها علومه وفوائده، التي أخذها من مشايخه لم يفكر في المتاع ولا في غيره.

وكان شغفه بالعلم فوق كل شيء، ولهذا لم يكثرث بكبر سنه حينما بدأ الدراسة النظامية وعمره خمسة وعشرون عاما، ولا حينما أخذ الماجستير وعمره قريب من الأربعين، ولا حينما أخذ الدكتوراه وقد قارب الستين<sup>(٢)</sup>.

وذكرت أختي هيا<sup>(٣)</sup> أنه لما تزوج بعد وفاة أمي ربهاللة أن زوجته كانت تشعر بالفراغ في بداية زواجها منه، فلم يحدث لها ما يحصل للعrsان من تفرغ الزوج لعروسه، وسفره بها واستجمامها معاً، لكن أحد أخوتي كلمها في الأمر، وقال: لقد كان هكذا مشغولاً في كتبه ودروسه حتى مع والدتنا ربهاللة، فلا تظني أنه زاهد بك، بل هذه طبيعة فيه.

وقالت أيضاً: «دخل مرة علينا وقد فتحنا في المسجل شريطاً لأحد العلماء يشرح فيه أحاديث نبوية، فوقف وأنصت بكل جوارحه، وكأنه لم يسمع شراً لهذا الحديث من قبل».

فهو متعلق رحمة الله بالعلم بكليته، قد وهب نفسه لله ووقفها للعلم والتعليم.

(١) سيرته من موقعه الإلكتروني.

(٢) راجع ما كتبه الشيخ خضر بن سند.

(٣) مذكرات الأخت هيا.

ومن المعالم والوقفات المهمة التي طبق فيها رحمة الله ما كان يوصي به الطلاب الجد والاجتهاد في طلب العلم، وقد ذكرت ذلك في أثناء حديثنا عن حياة الطلب، ودونك شهادة الشيخ العلامة الدكتور عبد الله الركبان، وهو قد أشرف عليه في رسالته للدكتوراه يقول رحمة الله<sup>(١)</sup>: «عرفته قبل أربعين عاماً حينما تزامننا في معهد إمام الدعوة، وكان مثلاً للجد والنشاط والصبر والمثابرة»، ويقول: «شرفت بمزاملتها حينما قدم لرسالة الدكتوراه، وعهد إلي بالإشراف على رسالته، وكان مثلاً لطالب العلم الجاد، الذي لا يكل ولا يمل». وعرفنا أن دروسه في وقت الطلب سواء حينما كان في الرين أو بعد وفوده للرياض، كانت تملأ يومه بعد الفجر وبعد العصر وبعد المغرب وبعد العشاء، ولهذا كثرت دروسه لما بدأ التعليم، لأنه تعود على الدروس الكثيرة في شبابه<sup>(٢)</sup>.

وكان رحمة الله يتحمل المشاق في سبيل العلم، وقد مر بنا الكثير من ذلك، فقد كان يذهب في الصباح مبكراً مشياً على الأقدام للقراءة على شيخه صالح بن مطلق رحمة الله تعالى، الذي يبعد مكانه حوالي سبعة كيلومترات، ثم يرجع في المساء ماشياً، وقد تتعدّر عليه العودة فببيت عند شيخه أحياناً. وحجّ مع شيخه ابن مطلق عام ١٣٦٩ هـ ولم يمنعه السفر ومشقته وتعبه من القراءة على شيخه، يقول عن نفسه رحمة الله تعالى: «وكان الطريق صحراوياً. ولا نستطيع أن نسري في الليل، ونتوقف في وسط النهار أيضاً في القيلولة، وفي هذه المدة نقرأ عليه في وقت القيلولة، وكذلك في وقت الصباح قبل الركوب وبالأخص في مناسك الحج»<sup>(٣)</sup>.

(١) قناة دليل.

(٢) انظر رحيل العلماء خطبة جمعة للشيخ محمد المنجد موقع إمام المسجد.

<http://www.alimam.ws/ref/1822>

(٣) خطبة جمعة للشيخ سعد بن عبد الله الجبرين بعنوان الرزية والفحة في فقد عالم الأمة ٢٤ -

٧ - ٢٤٣٠ هـ.



وهو يرى أن الجد في طلب العلم وتحمل المشاق من أهم ما يبني الطالب، ويتأسف على كثير من الطلاب الذين لا مشقة عليهم ولا يطلبون العلم، ويذكر حالته قديماً للطلاب لتشجيعهم يقول الشيخ محمد بن علي البيهقي<sup>(١)</sup>: « لا زلتُ محتفظاً بكلمته الشجية الصادقة التي داعبت مسمعي، وشحذت همتي للعلم ونيل شهادة الدراسات العليا، إذ قال: (كنتُ ممن درس وكتب وذاكر ونسخ الكتب الكبيرة على ضوء الشمع، واليوم - ومع وجود الكهرباء - إلا أن الطلاب يتضجرون...)».

ولهذا تنوعت مشاريعه وتعدد شيوخه، كما ذكرنا ذلك في الكلام عن شيوخه، فهم في مختلف الفنون كالحديث والتفسير والعقيدة والفقه واللغة والأدب وغيرها، ومن عدد من الأوطان غير المملكة: كمصر وسوريا واليمن والجزائر وموريتانيا ومالي وغيرها.

ومما يمكن أن يكون وقفة مهمة حرصه على مسابقة زملائه ومناقستهم مما أورثه جدًّا واجتهادًا، وبخاصة المناقشة مع الشيخ محمد بن قاسم لتقاربهما في الذكاء والجد، وكذلك حرصه على المذاكرة والمناقشة لزملائه، يقول عنه الشيخ عبد الله الركبان<sup>(٢)</sup>: «وكان شديد الحرص على محاوره زملائه وإخوانه في المسائل التي تجد».

وقد حصد بحمد الله ثمار جهده بعد تسديد الله وتوفيقه، مما لا يخفى على القارئ، حتى قال الدكتور عبد الله الركبان وهو مشرف رسالته في الدكتوراه<sup>(٣)</sup>: «أحسب أن الكثيرين ممن عنوا بالتحقيق، وخاصةً بالنسبة لتخريج الأحاديث كانوا عالة عليه، لأنه بذل في تخريجها من مختلف أمهات

(١) مقالة بعنوان وفي البقية خير موقع لجينيات

<http://lojainiat.com/index.cfm?do=cms.conPrint&contentid=7823>

(٢) قناة «دليل».

(٣) قناة «دليل».



الكتب، سواء كان ذلك من الصحاح أو من السنن أو من المسانيد أو من غيرها، بذل جهداً لا أظن أن أحداً سبقه إلى مثل ذلك، وهذا الكتاب من أكبر الأدلة على ما كان يتصف به رحمته الله من تميز علمي.

ومع هذا كان مثالا للطالب الجاد المتعاون مع مشرفه، كما يقول عنه مشرفه<sup>(١)</sup>: «كان جزاه الله خيراً من أكثر الطلاب الذين شرفت بالإشراف عليهم: انضباطاً ومتابعةً ومناقشة فيما يطرح، وكنت أتفق معه في بعض الأمور، وأختلف معه في أمور أخرى، وما كان ذلك ليغير من مواقفه، كان جزاه الله خيراً كثيراً ما يقدر وجهة النظر التي أطرحها، لكن لا يعني ذلك أنه يسلم بها، أختلف معه وأحتفظ برأيي ويحتفظ برأيه، لكن كان مثلاً لطالب العلم المؤدب على الرغم من علو مكانته وطول باعه في مسائل العلم».

أما فيما يتعلق بمنهجه في التعليم فقد عمل الوالد رحمته الله في التعليم سنين عديدة يمكن أن تصل منذ أن تفرغ للتعليم بعد انتهى من الطلب قريبا من خمسين عاما، ولا ريب أن هذه السنين الطويلة سيكسب الإنسان منها دربة، ويكون خلالها منهجا عمليا مع ما يكتسبه من معلومات نظرية عن طريقة التعليم ومنهجه. وحيث سبق أن تكلمنا بالتفصيل عن قيام الوالد رحمته الله بالتعليم تحت عنوان المدرس المتقن، وذكرنا هناك بعض القضايا المنهجية عنده رحمته الله في مجال التعليم، فإننا سنشير هنا لبعض ما لم يذكر هناك.

فكثيراً ما يستشهد الشيخ رحمته الله في شروحه ببعض الفوائد والأشعار النادرة، التي حفظها من بطون الكتب والتي ربما احتاج الباحث وطالب العلم للبحث عنها وقتاً طويلاً. وذلك ليضفي على الدرس حلاوة وطلاوة. ومن ذلك قوله:

(١) قناة «دليل».





والحركة التي يُجذب بها بشمه بأنفه، ثم بدفعه بنفسه، هذه لا يمكن كتابتها، لذلك قالوا: إنها من الحركات التي تنقل بالسمع، وفي ذلك يقول بعضهم:

مررت ببقال يدق قَرَنُضلاً      ومسكاً وكافوراً فقلت له: (...)<sup>(١)</sup>  
فقال لي البقال: رد قرنظلي      ومسكي وكافوري فقلت له: (...)<sup>(٢)</sup>

ومن ذلك قوله: إن كسب الأموال وجمعها ليس بطريقة الذكاء ولا العقل ولا الاحتيال، ولكن بالأسباب مع التوفيق؛ ولذلك يقول الشاعر<sup>(٣)</sup>:

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني      بتخوم أقطار السماء تعلقي  
لكن من رُزق الحجا حُرْم الغنا      ضدان مفترقان أي تفرق  
ومن الدليل على القضاء وكونه      بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق<sup>(٤)</sup>

ومن ذلك قوله: إن الفقراء وعوام الناس يحترمون أصحاب الأموال ويجلّونهم ويرون لهم قدرهم، وهذه طبيعة في المخلوقات والناس عامة يميلون إلى ذلك، قال بعضهم<sup>(٥)</sup>:

رأيت الناس قد مالوا      إلى من عنده مالُ  
رأيت الناس قد ذهبوا      إلى من عنده ذهب  
رأيت الناس منفضة      إلى من عنده فضة

(١) هنا استنشق الرائحة، أي: اجتذب رائحة القرنفل والمسك والكافور، وحركة الاستنشاق هذه لا يمكن كتابتها، وإنما هي تنقل سماعاً؛ كما ذكر الشيخ رحمه الله.

(٢) كتاب إبهاج المؤمنین بشرح منهج السالكين، لفضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله: (١/٨١).

(٣) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=3&book=51&page=2467>

(٤) نسبها في معاهد التصحيح على شواهد التلخيص ١ / ٥٢ للشافعي المكتبة الشاملة.

(٥) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=3&book=51&page=2467>

ويقول آخر<sup>(١)</sup>:

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى      وكل غني في العيون جليل  
إذا مالت الدنيا إلى المرء رغبت      إليه ومال الناس حيث تميل  
وليس الغنى إلا غنى زين الفتى      عشية يقرى أو غداة ينيل

ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup>: «ولكن تنصحك يا أخي أن تقلع عن هذا الدخان؛ فإنه مرض وضرر؛ ضرر متحكم، وضرر شديد، فتأك بأهله، يحدث أمراضاً خطيرة؛ حتى قيل:

سرطان سُل والسعال وسكتة      وسُكْرُ أسقام تنشأ عن التتن

وقال آخر:

تَباً لشاربه كيف المقام على      ما ريحه يشبه السرجين من عطن ١٩

السرجين: هوزبل البهائم بل أشد! فتب إلى الله، وتركه يسير، ولكنه يحتاج إلى قوة، ويحتاج إلى عزيمة؛ فإذا أردت التوبة عنه فاتركه مرة واحدة، ولا تقل: أتركه بالتدريج، فإن ذلك لا يفيد. وكان رحمه الله يحرص على كتب معينة، ويحب شرحها دائماً لأهميتها ونفعها، ففي العقيدة كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان يقول عنه رحمه الله<sup>(٣)</sup>: «فإنه لم ينسج على منواله، ونحب من كل طالب علم أن يحفظه ويحفظ أبوابه، وكذلك يطالع شروحه التي قد كثرت وتنوعت»، وقد شرحه الشيخ عدة مرات، ثم طبع إحدى الشروح بعنوان «السبك الفريد شرح كتاب التوحيد»، وقد راجعه رحمه الله وزاد عليه كثيراً.

(١) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=3&book=51&page=2467>

(٢) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=7&book=226&page=7778>

(٣) انظر لهذا وما بعده مما يتعلق بالكتب قصتي في طلب العلم محاضرة جامع الصانع.



وفي الحديث كتاب مختصر صحيح مسلم للمنذري، فكان رحمة الله يوليه اهتماماً، ويعلل بأنه كتاب مختصر، وأنه سلم من التكرار، وكذلك كتاب جامع الأصول؛ لأنه جمع الصحيحين والسنن الثلاث والموطأ.

وفي الفقه كتاب منار السبيل، فكان رحمة الله يرى أن على طالب العلم الاعتناء به، فهو من المختصرات ومؤيد بالدليل، فيستفيد منه المتعلم كثيراً، وكان ينصح بمطالعة تخريج أحاديثه إرواء الغليل للعلامة الألباني رحمة الله، وقد شرحه الوالد رحمة الله أكثر من مرة.

وأما الكتب التي يرى أنها مفيدة لطالب العلم، فيقول<sup>(١)</sup>: «أفضل الكتب على الإطلاق القرآن الكريم، ثم ما خدم به القرآن، وهي كتب التفسير، مثل تفسير ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبغوي، وابن كثير، والشوكاني، وابن سعدي، ونحوها من تفاسير أهل السنة، وسلف الأمة، ثم كتب الحديث كالصحيحين، والسنن، والمسانيد، وكذا كتب علوم الحديث المختصرة والمبسوطة، كالنخبة، والبيقونية، ومقدمة ابن الصلاح، والتقريب، والتدريب، ثم علوم التوحيد، كالسنة للإمام أحمد، ولابنه عبد الله، والتوحيد لابن خزيمة، وابن منده، ونحوها، ثم كتب الفقه وما يتصل بها.

وقد بدأت بقراءة آداب المشي إلى الصلاة، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبعده كتاب زاد المستقنع، وشرحه الروض المربع، وبلوغ المرام، وشرحه سبل السلام، والآداب الشرعية، وشرح ابن رجب للأربعين ونحوها».

وكان رحمة الله يحفز الطلاب ويشجعهم عبر عدد من الأساليب التي تشعر الطالب بانسجامه مع العلم وقدرته على الترقى في سلمه.

(١) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=4&book=25&page=1095>

نقلنا عن الشيخ رضا أبو الفتوح من مصر أن الوالد رحمة الله سأل الطلاب في الدرس سؤالاً ففتح الله عليه وأجاب، فقال له الوالد رحمة الله: أحسنت بارك الله فيك أنت مصري طبعاً؟، فقال: نعم، فقال له رحمة الله: هكذا المصريون.

أثرت هذه العبارة فيه جداً، ولهذا قال في مداخلة له مع قناة الناس<sup>(١)</sup>: «الشيخ كان يحب مصر جداً جداً جداً، أهل مصر المفروض يعرفون الشيخ ويقرءون عن الشيخ، لأن الشيخ رحمة الله كان يكن في صدره لأهل مصر حباً وشغفاً، وكان يحترم الطلاب المصريين».

ويقول الشيخ محمد حسان الداعية المصري المعروف، وقد درس عليه مدة طويلة<sup>(٢)</sup>: «جلست بين يدي الشيخ في بيت الله الحرام قبل وفاته رحمة الله بأشهر قليلة، وقلت: يا شيخنا انصحنني؟ ابذل لي النصيحة؟».

فقال لي كلاماً عجيباً، قال لي: أحمد الله الذي نفع بك، وأسأل الله أن يديم النفع بك، ووصيتي لك: ألا تكف عن البلاغ بالحكمة والرحمة والموعظة الحسنة، وقد رأينا ثمرة هذا المنهج بفضل الله، وبلغني كثير من الطلاب والدعاة الخير الكثير».

ويقول الشيخ عبد الوهاب الطريري أحد تلاميذه القداماء<sup>(٣)</sup>: «الشيخ مرب، لا أذكر في المجالس التي جلستها معه متعلماً إلى آخر لحظة من حياته أنني وصلتني رسالة سلبية، وإنما الرسائل التي يوصلها إليك دائماً رسائل إيجابية محفزة».

(١) قناة الناس، برنامج التبيان.

(٢) قناة الرحمة.

(٣) قناة «المجد».



يشعر الطالب بأهميته، يشعره بقدرته على التحصيل، يشعره بأنه قطع مسافة وعليه أن يواصل، لا يمكن أن تصل منه رسالة سلبية تشعرك بأنك غير لائق.

لا أزال أذكره رحمته الله عندما انفض مجلس الدرس أول ما بدأت أقرأ عليه، أمرني أن أنتظر، فتفرق الطلبة، فلما جلست أخرج أوراقا، وقال: أنت يا عبد الوهاب قراءتك جيدة، أود أن نقابل أنا وأنت هذه الأوراق.

وبدأ يمدح قراءتي، طبعاً أنا عرفت فيما بعد أن قراءتي أضعف من قراءة غيري، لكن كانت هذه رسالة إيجابية، أنعشتني ودفعتني في مسار التحصيل». فالتشجيع والتدريب منهج مفيد لطلاب العلم، وبخاصة إذا أحس الشيخ من طلابه نجابة ونبوغاً.

ومما تميز به وعرف رحمته الله توطئه كنفه لطلابه واحترامهم وتقديرهم ومشاركتهم في لقاءات بعيدة عن الجو العلمي.

يقول الشيخ إسلام دعدوشة من مصر، وهو ممن درس عليه رحمته الله<sup>(١)</sup>: «كان أمثلة رحمته الله تعالى وأعجوبة، كان طلاب العلم حوله يعزمونه في نزاهات وفي بيوتهم، فلا يستكف أبداً ويذهب ويلقى الإخوة ويداعبهم».

ويقول الشيخ عصام العويد<sup>(٢)</sup>: «ومن تلك المجالس أننا زرنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمته الله تعالى، فوالله ما رضي شيخنا ابن جبرين أن يدخل حتى أتيت، قال: انتظروا عصام مع أنني لست من الطلاب الكبار، لكنه يتعبد لله بتحبيب العلم لقلوبنا، وكل مجلس تأتي فيه يبدأ يعرف بنا واحدا تلو الآخر».

(١) فتاة «الناس» برنامج التبيان.

(٢) فتاة «اقرأ».

ويقول الشيخ حماد الحماد<sup>(١)</sup>: «قد رأيتُه رَغمَ اللهِ يترفق بمن يقرأ عليه في درسه فقد يخطئ، فكان لا يبادره بالتصحيح، فكان يعطيه الفرصة ليصحح لنفسه، أو يصحح له بقية الطلبة، كل هذا رفقاً بمن يتلقى العلم عليه، وقد كان أحدهم يقرأ عليه في درس الفجر يومي الخميس والجمعة في التفسير، فكان لا يحسن قراءة الآيات، ومع هذا كان الشيخ يصبر ولا يستعجل في تقويمه، رغبة في تأليف قلبه، وتثبيته على الاستقامة».

ويقول الشيخ فهاد القحطاني: «أحياناً يشكل عليّ مسألة عقديّة أو فقهية، فلا يجيبني بل يهدي إليّ كتاباً، ويقول لي: اقرأ هذا، وسيجيب على سؤالك، وهذا ديدنه مع طلابه».

ومن معالم منهجه الذي يطبقه على طلابه ويوصيهم به التدرج في العلم والمنهجية في الطلب والبداءة بصغار العلم قبل كبارهم، ومباديه قبل خوض غماره، وقد ذكرت هذا في منهجه في طلب العلم، ومن المواقف له رَغمَ اللهِ في هذا يقول الشيخ إسلام دعدوشة<sup>(٢)</sup>: «في بداية طلبنا للعلم عند الشيخ بدأت بكتاب شرح العقيدة الطحاوية، فما فهمت شيئاً، فظننت أن العلم صعب، فبعد الدرس قلت للشيخ: ظلمت تتكلم عن كذا وكذا وأنا ما فهمت، فلعلي أترك العلم، لأنني لا أستطيع فهمه».

فقال: يا بني هل درست كتاب التوحيد؟ هل درست الأصول الثلاثة؟

قلت: لا.

قال: العلم رتب وسلالم، لا بد من منهجية، اذهب فادرس أولاً ذلك، ثم

تأتي بعد ذلك.

(١) <http://www.alriyadh.com/2009/07/24/article447102.print>

(٢) قناة «الناس» برنامج التبيان.





ثم عهد إليَّ بأحد الطلاب درست معه هذه الأشياء، وفعلاً انتفعت جداً بمسألة المنهجية. فكان يحض الطلاب ويشجعهم، ويوطئ لهم كنفه. مما غمر الطلاب جميعاً بهذا الفضل».

وكان أحياناً يسأل الطلاب ليجدد الحياة في الدرس، وإن لم يكن ذلك كثيراً وغالبا يكون في الدروس قليلة العدد، وقد ذكرت من قبل ما ذكره الشيخ رضا أبو الفتوح، وذكرت به قريبا من سؤال عن آية في القرآن: حرمت الخمر في حالة دون حالة، وفي آية حرمت الخمر في وقت دون وقت، وفي آية حرمت الخمر تحريماً نهائياً، وفي آية أحلت الخمر.

وهو رحمة الله يدرّب الطلاب دائماً على التعليم والدعوة وغيرها، وقد ذكرنا غير مرة أنه يأمر غيره بإلقاء كلمة أو موعظة بحضوره، وأنه يكلف من معه أن يخطب كل منهم في مسجد في يوم الجمعة، ومما يرويه الشيخ عصام العويد رحمة الله قال <sup>(١)</sup>: «جلست معه في مجلس، وكان المجلس ممتلئاً جداً، فقلت للشيخ رحمة الله: أحسن الله إليكم يا شيخ عبد الله الإخوة متشوقون لموعظة منك».

فقال: يا إخوان معنا واعظ اسمه عصام، ثم طلب مني الكلام».

ومن منهجه في التعليم التطبيق العملي أمام الطلاب في الأشياء التي تحتاج إلى تطبيق، فكان يمثل بيديه أو يطبق، أو يأمر أحد الطلبة بذلك كبعض أحكام الصلاة وغيرها.

وهو قد ذكر عن شيخه أبو حبيب رحمة الله أنه كان يمتحنهم، فمثلاً بعد خمسة أيام يسألهم: ماذا قلنا في الموضوع الفلاني؟

(١) فتاة «اقرأ».

ويقول للطالب: قم واضرب لي مثل التورك في الصلاة كيف يكون؟.

وما هي مواضع رفع اليدين في الصلاة؟<sup>(١)</sup>.

وبالجملة فقد كان رحمة الله حريصا على إيصال المعلومة للطالب بجميع الوسائل، وإن كان يغلب على دروسه الشرح النظري المسترسل المفصل. والنقطة الثالثة التي وعدت بالحديث حولها هي منهجه في التعامل مع المشايخ وطلاب العلم، ولا شك أنه رحمة الله تعلم من مشايخه العلم والأدب، فجاء تعامله مع هذه الفئة ترجمة للتربية التي تلقاها من أولئك المشايخ الأفاضل.

فلو تأملت تعامله مع شيوخه من حيث تقديره واحترامه لهم، ومن حيث الوفاء لهم لرأيت عجبا، يذكر الشيخ عمر العيد في مداخلة له مع قناة دليل أن الوالد استضاف في بيته سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحم الله الجميع، وأنا أذكر هذا اللقاء، يقول الدكتور عمر: «والله رأيت كالأطفال الصغير بين يدي ابن باز، ما أن يناديه إلا ويأتي مهرولا، لا أقول يمشي، بل مهرولا، يصفي إلى الشيخ ماذا يريد؟».

وينقل الشيخ أحمد المهنا<sup>(٢)</sup> عنه أنه قال عن ابن باز رحمهما الله: «لو أكتب جميع ما أعرفه عنه بخلاف الآراء، يعني آراء الشيخ، يعني عن حياته، لبلغت ثلاثة مجلدات».

وقد كتب بحثا عن الشيخ شارك به في المؤتمر الذي عقد في جامعة الملك خالد عن جهود الشيخ ابن باز في الدعوة إلى الله.

(١) مداخلة للشيخ المنجد في قناة الرحمة.

(٢) لقاء مع الشيخ أحمد المهنا بعنوان: الإمام الراحل.



ولما توفي الشيخ ابن باز صدم الوالد كثيرا، فالشيخ ابن باز يجلس الوالد والوالد يجعله ويعدده أباً ولا يرد له طلباً، وفي اليوم الذي مات فيه الشيخ ابن باز توفيت عمتي أخت الوالد، ومع ذلك آثر أن يذهب ويصلي على جنازة الشيخ ابن باز وحين عاد صلى على أخته في قبرها<sup>(١)</sup>.

ويذكر الشيخ خضر بن سند أنه كان يراقب دفن جنازة الشيخ ابن باز يقول<sup>(٢)</sup>: «كنت أشاهد المنظر من خارج المقبرة على أطم صغير جلست على حافته مثل المئات غيري.

خرج الناس وبقي شيخ نحيل الجسم، مصقول الوجه ذو لحية بيضاء نقية، أمام الألوفا المؤلففة بقي هذا الشيخ وحده وها هو يقف على القبر، رافعاً يديه ودموعه تسيل على خديه، وهو يدعو لصاحب القبر، وذهب الناس وذهبت المواكب الرسمية، وفتحت المقبرة، وبقي هو قائماً يدعو لحبيبه دون أن يتحرك أو يتأفف من حر الشمس، لم يكن الشخص غربياً على الناس فهو ابن جبرين، كان المنظر مؤثراً مثل تأثير الجنازة نفسها، إنه صادق في حبه، وصادق في وفائه، وصادق في تعامله».

وبعد وفاة الإمام عبدالعزيز بن باز ألقى محاضرة عن سماحته، وبكى ذلك المساء، وأبكى كل من في المسجد<sup>(٣)</sup>.

لقد كان وفيًا مع جميع مشايخه ولكن لأن الشيخ ابن باز مات متأخراً جعلتنا نطلع على هذه المواقف، والافانه كثيرا ما يذكر شيخه أبو حبيب عبدالعزيز

(١) <http://www.alyaum.com/issue/article.php?IN=13181&I=690852&G=2>

(٢) مقالته التي كتبها قبل وفاة الوالد رحمه الله بشهر

<http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=175729>

(٣) الإمام ابن جبرين أسرار و مواقف و حكايات تنشر لأول مرة...!! عمرو بن أحمد الضبعان  
<http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229>

الشثري رحمه الله، ويعدد مناقبه، ويروي أخباره، وقد قدم لترجمته التي أخرجها حفيده الدكتور محمد بن ناصر الشثري، كما أنه يزور أبناءه في كل شهر.

كما يذكر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ويكثر من الثناء عليه والدعاء له، وقد ألقى عن سيرته محاضرة ذكر فيها أخباره وآثاره المباركة على العلم وأهله في المملكة، وحرص على حضور مناقشة لرسالة علمية بعنوان: «اختيارات سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في العبادات والمعاملات عدا الطهارة»، لأنها تتحدث عن شيخه، وكانت قبل مرضه الأخير بشهر<sup>(١)</sup>.

وأما غير شيوخه من زملائه وأقرانه من علماء العصر وطلاب العلم، فكان الوالد رحمه الله أيضاً يقدرهم ويحبهم ويحب لهم الخير، ولم يعرف أنه حسد أحداً على منصب أو مرتبة نالها وإن كان هو أحق بها منه.

ولا أريد أن أفصل في هذه النقطة فهي واضحة، والتفصيل فيها قد يجرح أحداً، وهذا ليس من مقاصد هذه السيرة.

ويشهد له الناس بحبه للبعد عن العيب والتجريح لطلاب العلم، يقول الدكتور محمد العريفي<sup>(٢)</sup>: «لا أذكر يوماً أنه ذكر أحداً من العلماء بالثلب أو بالسب أو تنقصه، قرأنا مرة كتاباً وجاء فيه بعض النصوص، تتكلم عن أحد العلماء السابقين، وفيه ذم لعقيدته، فسكت الشيخ قليلاً رحمه الله في أثناء شرحه للطلاب، ثم قال: لا أظن أن هذه النصوص تثبت عن هذا العالم، وبدأ يذكر فضائله، حتى لا يقع في قلوب الطلاب شيء نحو هذا العالم».

(١) مقالة للدكتور سعد بن مطر العتيبي في موقع الألوكة

.aspx.7065/http://www.alukah.net/articles/67

(٢) قناة «بداية».



ويقول الشيخ عبد الله بن محمد الحربي<sup>(١)</sup>: «بعثت منذ ثلاث سنوات إلى سماحة الشيخ رحمه الله رسالة صغيرة الحجم كبيرة المحتوى، تتحدث عن سيرة شيخنا سماحة الشيخ العلامة الوالد عبدالرحمن عبدالخالق حفظه الله ورعاؤه وألبسه ثوب الصحة والعافية، فقرأ الرسالة وأعجب بها، وكتب بخط يده، يثني على الشيخ الثناء العاطر والكلام النوراني، الذي لا يمكن أن يقوله إلا عالم منصف، وقال في نهاية تقديمه الذي كتبه لسيرة علامة الكويت قال: (وكم كنت أتمنى أن ألتقي بهذا الشيخ الجليل..). يقصد شيخنا الوالد عبدالرحمن عبدالخالق».

ومع أن الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي كان من المعارضين بشدة لفتاواه في حزب الله، ولكنه مع ذلك فقد وقع الوالد رحمه الله مع تسعة وعشرين عالماً، من السعودية والدول العربية والإسلامية، بياناً نصر فيه القرضاوي<sup>(٢)</sup>.

وأذكر لما كنا بمكة قبل مرضه بشهر في مؤتمر الفتوى، وكان حضره كثير من علماء العالم الإسلامي، وكثير منهم له مخالقات مشهورة، ومع هذا كان يتلطف معهم وبيتسم لهم.

وهو يفعل هذا المسلك مع طلابه ومن في طبقتهم، فقد كتب تهنئة لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ لما تولى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وقد كان من طلابه: «نسأل الله أن يكتب لمعاليتكم التوفيق والسداد في مهام عملكم الجديد، وأن يكون عوناً لكم في قيادة هذه الوزارة لما فيه مصلحة هذا البلد المبارك ومصلحة أبنائه، ولخدمة الإسلام والمسلمين».

(١) <http://lojainiat.com/index.cfm?do=cms.author&authorID=1444>

(٢) <http://www.muslim.net/vb/showthread.php?t=315966>

ويقول الشيخ الدكتور عبدالرحمن السديس<sup>(١)</sup>: «كنت أتجاذب أطراف الحديث معه في مسائل علمية، وقضايا واقعية، أذكر منها على سبيل المثال: موقفه المؤيد والداعم لدعاء ختم القرآن، خلافاً لما يراه بعض طلبة العلم، فكان **رحمة الله** يشجع ويشد من الأزر، وكنت أقول له: بعض طلاب العلم له رأي في المسألة، فكان يقول: دعك منهم، وسر على ما سار عليه جمهور السلف والخلف، وما سار عليه علماءنا **رحمة الله** كسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، فهم أعلم بالدليل وأشد تمسكاً بالسنة، ويقول: إني لأعجب ممن يحرم نفسه دعوة المسلمين واجتماعهم، ويصر على مخالفته، حتى إنه كان يحرص على الاطمئنان كل عام على دعاء الختم، ويقول: لا نريد إلا الشيخ عبدالرحمن، فرحمه الله».

وأهداه الشيخ أحمد بن عبدالعزيز الحمدان كتاباً له فكتب له قائلاً: «فلقد وردنا خطابكم المؤرخ في ١٤١٩/٥/٣هـ والمشفوع به الجزء الرابع من كتاب دليل مكتبة المرأة المسلمة، وقد أعجبنا ما حواه من التعريف بالكتب التي تهتم المرأة المسلمة، وما ختموه به من مسرد للبحوث المنشورة بمجلة البحوث».

وقد ترجم **رحمة الله** لعدد من المشايخ في دروسه، فكان إذا توفى أحد أو جرى ذكره ولو كان حياً أو ميتاً، ذكر ما يعرفه عنه، وأثنى عليه، وممن ذكرهم في دروسه<sup>(٢)</sup>:

١- ناصر الدين الألباني.

٢- محمد بن إبراهيم.

٣- عبدالعزيز الشثري.

(١) من مقالة للدكتور عبدالرحمن السديس بعنوان وانفرط العقد الثمين

<http://www.al-jazirah.com/147571/fe1.htm>

(٢) رتب هذه القائمة الشيخ علي أبو لوز.

- ٤- عبدالرحمن السعدي.
- ٥- محمد الشنقيطي.
- ٦- عبدالرحمن بن قاسم.
- ٧- محمد بن عباد.
- ٨- إبراهيم بن حرکان.
- ٩- عبدالعزيز ابن باز.
- ١٠- محمد ابن عثيمين.
- ١١- عبدالرزاق عفيفي.
- ١٢- عبدالرحمن الدوسري.
- ١٣- عبدالله بن قعود.
- ١٤- بكر أبو زيد.
- ١٥- محمد بن قاسم.
- ١٦- عبدالله الجار الله.
- ١٧- عبدالله الخليلي.
- ١٨- صالح بن غصون.
- ١٩- صالح الأطرم.
- ٢٠- عبدالعزيز السلطان.
- ٢١- عبدالرحمن عبد الخالق.
- ٢٢- عمر بن سبيل.
- ٢٣- سفر الحوالي.
- ٢٤- سلمان العودة.
- ٢٥- ناصر العمر.
- ٢٦- عايض القرني.



ومن نماذج حديثه عن المشايخ أنه طلب منه بعض الإخوة في مجلس في حائل أن يتحدث عن شيخه ابن باز يقول من سأله <sup>(١)</sup>: «انطلق في الحديث وبدأ يذكر بعض المواقف مع الشيخ ابن باز رحمته الله. وكيف كان منهجه في الدعوة، وكيف أنه يجمع الدعوة شهرياً، ويعرضون عليه المستجدات، وقد اقترح ندوة شهرية في الجامع الكبير للدعاة، ويعلق الشيخ بعد كل ندوة، وكان غالباً يؤكد كلام المشايخ، وذكر الشيخ أنه ذات مرة قال في إحدى الندوات أن صوت المرأة عورة، ثم بعد الندوة علق الشيخ ابن باز، وذكر أن صوت المرأة ليس بعورة، لأن النهي عن الخضوع بالقول، يقول الشيخ ابن جبرين ثم ذكرت له رأيي وأني أرى أنه عورة، لأن المرأة نهيت عن الأذان، وإذا حزبها شئ في الصلاة تصفق، والرجال يسبحون، كل هذا وغيره دلالة على نهى المرأة أن تسمع صوتها للرجال..»

وذكر بعض الطرائف عن الشيخ ابن باز، وأنه ذات مرة تناقشوا حول الدجاج المستورد، ثم عندما دخلوا للغداء عند الشيخ وضع دجاج، وقال: لا تخافوا هذا دجاج وطني مذبوح على الطريقة الإسلامية.»

وتحدث عن ابن باز رحمته الله فقال <sup>(٢)</sup>: «الشيخ ابن باز قدوتنا، كلكم أو أكثركم يعرفون أعماله ومواظبته على الأعمال ومواظبته على السنة، من ذلك أنه إذا قدم من سفر يبدأ بالمسجد فيصلي ركعتين ولا يخل بذلك، والمسجد الذي كان يؤمه كان قديماً، المسجد الجامع الكبير، ولما هدم صار يصلي في الجامع الذي قرب منزله، أو المسجد الذي قرب منزله، ولا يخل بهذه العادة، ولا يضيع عليه مجلس، إلا أن يستغله بالعلم أو بالقراءة، وهذه من أكبر الفوائد وأكبر الأعمال، كذلك أيضاً من عمله بالسنة أنه كلما توضأ يصلي ركعتين سنة الوضوء.»

<http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3> (١)

(٢) قصتي في طلب العلم.

وتحدث عن الشيخ عبدالرحمن السعدي فقال<sup>(١)</sup>: «لا أعرف أنني قرأت عليه ولا رأيته، وذلك لأنه في القصيم ومات بعدما جئت إلى الرياض بثلاث سنين، أي مات في سنة ٧٦، ولم يأت الرياض وأنا فيه، إلا أن ولده عبد الله كان في الرياض. وكان ذا تجارة، وكان يطبع كتب أبيه ويوزعها بكميات، فكنا نستفيد من كتبه: كتابه المشهور أولاً: «تيسير اللطيف المنان في اختصار تفسير القرآن» والثاني: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» وكذلك أيضاً كتب طبعت قديماً واستفدنا منها كثيراً، وأعجب ما أعجبت به كتابه الذي سماه الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون الفاخرة. فإنه كتاب نفيس، وكذلك أيضاً كتابه الذي سماه إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأهون الطرق وأيسر الأسباب. مرتب على السؤال والجواب، وقد استفدنا من هذه الكتب، بعضها قبل أن آتي الرياض، واستفدنا منه في الرين وفي القويعية، وبعضها أخذناه بعد أن جئنا إلى الرياض من توزيع ولده، وأصبنا بموته قبل أن نراه».

وتحدث عن شيخه أبو حبيب، فقال<sup>(٢)</sup>: «في حدود سنة ١٣٦٥ هـ أصيب بآلم في بصره، وفقد إحدى عينيه، ولما فقدتها خاف أن يفقد البصر، فأكب على القراءة، قراءة الكتب بنفسه، لأن التلاميذ عنده قليل يقرؤون في أول النهار وفي آخره ولكن طوال الوقت هو يقرأ».

كذلك أيضاً قراءته للقرآن. أدركته أحياناً يختم القرآن كل يوم أو على الأكثر كل ثلاثة أيام».

(١) قصتي في طلب العلم.

(٢) قصتي في طلب العلم.



وتحدث عن قرينه الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم رحمة الله ، فقال <sup>(١)</sup> : «كان أبرز طلاب الحلقة الذين قرأنا معهم على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، فكان هو الذي يقرأ على الشيخ المتن والشرح، حيث كان يهتم بحفظ المتون مع أن في زملائه من هو أكبر منه سناً، وأقدم منه تعلمًا، ولكن رزقه الله صدق الرغبة، ومحبة العلم، وحسن المعتقد، والتربية الصالحة على يدي والده رحمة الله ، وكذلك رزقه الله قوة الذاكرة وسرعة الحفظ والانتباه للأخطاء والمخالفات».

وتحدث عن الشيخ حمود التويجري فقال <sup>(٢)</sup> : «كان شيخنا الشيخ حمود التويجري رحمة الله من العلماء الربانيين، طلب منه أن يجلس للطلاب فاعتذر وفضل الكتابة والتأليف، ورأى أنها هي التي تبقى، وهي التي ينتفع بها».

وقال عن الشيخ عبدالرحمن الدوسري رحمة الله <sup>(٣)</sup> : «كان رحمة الله موفقًا في خطبه».

والنقول في هذا لو أردنا الاستطراد كثيرة، ولكن المقصود التمثيل، ولعلي أختتم الحديث عن منهج الوالد في طلب العلم ببعض ما وجدته له رحمة الله من ذكريات في أيام طلبه للعلم، وهي وإن كانت ليست من صميم المنهج، إلا أنها تعد إطاراً لهذا المنهج الذي أنتج فحول العلماء.

يحكي رحمة الله معاناة طلاب العلم في ذلك الزمان، فيقول <sup>(٤)</sup> : «لقد كان طالب العلم في أول القرن الماضي يغيب عن أهله سنة أو عدة أشهر، لا يأتيه

(١) الفتوى رقم ٧٦٢.

(٢) تجربتي في طلب العلم.

(٣) تجربتي في طلب العلم.

(٤) قصتي في طلب العلم.

خبر منهم ولا يأتيهم خبره إلا بعد أشهر، بواسطة وريقات يكتبها يخبرهم بحالته، ويكتبون له أيضاً يخبرونه، وهو في هذه المدة عاكف على طلب العلم وعلى الحفظ وعلى أخذ العلم من المشايخ، يسهرون الليل على الحفظ مع قلة ذات اليد ومع الحاجة الشديدة، حتى ذكر أن أحدهم يبني طوال الليل ينسخ الكتب، وليس هناك مطابع ولا آلات تصوير، وإنما ينسخ بقلم من القصب والحبر يصلحه ويطبخه بنفسه، ويضعه في شبه علب، ثم يغمس القلم ويكتب كلمتين أو ثلاث كلمات، ثم يغمسه ثانياً ويكتب، وهكذا طوال ليله، ولا يملون، وذلك لأن لهم همماً عالية ولهم رغبة أكيدة».

ويقول عن الوالد رحمته الله وتعليمه لهم<sup>(١)</sup>: «أحياناً لا يتيسر لنا السراج الذي نقرأ عليه، لأنه يوقد بوقود القاز المعروف، وقد لا يتيسر، فأحياناً نظهر عند الباب في ضوء القمر، ونجلس في أرض ترابية لينية، ثم إنه يختبرنا ويخبرنا ببعض المسائل ويعلمنا، يجلس معنا نساء من الأقارب، فإذا سمعنا ضرب زيد، ضرب زيد عمرا، ونحو ذلك استنكرناه، ولكنه يكرر ذلك لأجل الإفهام».

ويذكر حال طلاب العلم أول مقدمه للرياض، وما يجدونه من المشقة، يقول رحمته الله<sup>(٢)</sup>: «أتذكر عندما جئنا إلى الرياض سنة أربع وسبعين أنه كان هناك رباط مبني في دخنة، قد بنته الحكومة، وجعل سكنا للمتفرجين من طلبة العلم، بعضهم أدركناه يقول: إن له عشرين عاماً في هذا الرباط، وأغلبهم في ذلك الوقت أكفاء لا يبصرون، وذلك قبل وجود العلاجات التي تعالج من الرمد، وأيضاً يصابون بمرض الجدري الذي كان متفشياً، وكثيراً ما يذهب معه البصر، فكان أولئك المكفوفون يسكنون الأربعة والثلاثة في غرفة

(١) صفحات من حياتي الحلقة الثانية.

(٢) قصتي في طلب العلم في جامع السدحان وفي جامع الصانع.



مساحتها لا تزيد على مترين في مترين، يسكنون فيها طوال وقتهم، يتصدق عليهم أهل الخير بالقوت الغذائي الضروري، إذا جاءهم مثلاً ببقايا الطعام يتسابق كل منهم يريد أن يأخذ منه نصيباً، يأكلونه وإذا بقي شيء وبات عندهم قبل وجود تلاجيات أو نحوها أكلوه في الصباح، وفرحوا بذلك حيث يجدون ما يأكلون، وثيابهم قد يبقى الثوب على أحدهم ثلاثة أشهر، لم يتفرغ نفسه أو لتبديله، وتمزق الثياب من كثرة استعمالها، كل ذلك للصبر على طلب العلم والتزود منه».

وسئل رحمه الله عن مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله الذي كانوا يدرسون فيه، وكان جامعة عامرة في ذلك الوقت، فقال <sup>(١)</sup>: «المسجد المذكور يقع في دُخنة وسط مدينة الرياض، كان إمامه في أول القرن الماضي الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وفيه كان يُقيم الدروس، ويبدو أن أباه عبد اللطيف وجده عبد الرحمن بن حسن كانا يُدرسان فيه أيضاً وغيرهم من العلماء في ذلك الزمان كالشيخ سعد بن حمد بن عتيق والشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ حمد بن فارس، وقد ذكر لنا والدنا رحمه الله أنه حضر دروس الشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ سعد بن حمد بن عتيق وغيرهما، وذكر أنها تبدأ من صلاة الصبح نحو ساعتين، ثم يكون هناك فاصل يستريحون فيه بشرب القهوة وتناول تمرات كفداء، ثم يرجع أحدهم إلى زاويته ويراجعه الطلاب، وقد يستمر الدرس للضحى لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات، يعقبه استراحة وقت القيلولة، ففي شدة الحر يُؤخرون صلاة الظهر، عملاً بأحاديث الأمر بالإبراد، وبعد صلاة الظهر يستأنفون الدروس ولمدة ساعتين أو قريباً منها، ثم يستريحون، وبعد صلاة العصر يعودون للدروس إلى قبيل

(١) انظر الفتوى رقم ١٨٢٧ ورقم ٢٨٠٢.

الغروب، حيث يذهبون لتجديد الوضوء والاستعداد لصلاة المغرب، وهكذا بين العشاءين يقرؤون إلى صلاة العشاء، فقراءتهم في وسط النهار تكون في الشروح والكتب المطولة، ويعتنون بما يتعلق بالعقيدة والتوحيد، ورسائل أئمة الدعوة، وكذلك بالتفسير وبالأخص تفسير ابن كثير والبغوي والطبري؛ حيث طُبع قديماً، وقرؤون أيضاً في كتب الفقه، وغالباً تكون مخطوطة كالشرح الكبير والإنصاف والمبدع، وهكذا كتب السيرة والتاريخ كالبداية والنهاية وزاد المعاد، وهكذا كتب الرُود لابن تيمية كالمناهج ونقض التأسيس والعقل والنقل، ولابن القيم كالصواعق واجتماع الجيوش الإسلامية والنونية، وهكذا كتب المواعظ كالزواجر للهيتمي والكبائر للذهبي، وقرؤون أيضاً في كتب الأسانيد كالصحيحين والسُّنن والمسانيد، وحيث إنها كُتبت واضحة المعاني فإنهم يقصدون من قراءتها الاستفادة لهم وللقارئ وللمستمع، ويقل تعليقاتهم عليها، وينبهون على ما فيها من الأخطاء والمخالفات، والطلاب بدورهم يُعلقون تلك التنبيهات على النسخ، ويرجعون إليها عند الحاجة، ويخصصون الدروس بعد المغرب وبعد الفجر للمتون، التي يحفظها الطلاب؛ كمتن كتاب التوحيد والعقيدة الواسطية والرحبية في الفرائض والآجرومية في النحو والنُخبة في المصطلح وما يُشبهها، وذلك لفقد الإضاءة قبل وجود الكهرباء، فهم يقرؤون على سراج صغير، ضوءه ضعيف، فلا يتمكنون من القراءة والمقابلة في الكتب الطويلة، ولذلك كان الطلاب يهتمون بحفظ المتون، كما أنهم في الدروس النهارية يحفظون أيضاً مُتوتاً أخرى؛ كمتن زاد المعاد وعمدة الأحكام، والأربعين النووية، وعمدة الفقه، وقد يحفظون أطول منها بحسب قوة الذاكرة وسرعة الحفظ، وقد برز من بين هؤلاء الطلاب علماء أجلاء تخرجوا من ذلك المسجد ونفع الله بهم، ومن أبرزهم سماحة الشيخ



محمد ابن إبراهيم بن عبداللطيف رحمة الله، وذلك أنه لما تُوِّفِيَ عمه الشيخ عبدالله رحمة الله توقف عن الصلاة بذلك المسجد كإمام، فسُئِل: لماذا توقفت؟ فقال: إن الذي وكلني هو عمي لما كان إماماً للمسجد، فبعد موته انتهى دوره في هذا المسجد، وأصبح الحق لولاة الأمور، فلا أقوم بالإمامة فيه إلا بتكليف منهم وتعيين من قبل الوالي، كما حصل لهم تعيين عمي عبدالله من قبلي، وكان ذلك في عام تسع وثلاثين وثلاثمائة وألف، فبعد توقفه صدر الأمر من الملك عبدالعزيز رحمة الله بتعيينه إماماً في ذلك المسجد وخطيباً في المسجد الجامع الكبير، وقد بقي في هذه الإمامة خمسين سنة حيث تُوِّفِيَ رحمة الله في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وألف، وقد استمر طوال هذه السنين في إلقاء الدروس في ذلك المسجد، وتوافد إليه الطلاب من كل حذب وصوب، وكان هناك رباط يقع جنوب المسجد فيه عُرف مُعدة لسكن الطلاب المغتربين، وتضم تلك العُرف أكثر من مائة وخمسين طالباً، حيث يكون في الغرفة ثلاثة أو أربعة على الرغم من صغرها، وقد تسبب رحمة الله في إعاشة لأولئك الطلاب، تُخفف عنهم مئونة العُربة والغُربة ولو كانت قليلة.

ومن أشهر المواقف التي حدثت في ذلك المسجد ما فيه من تدريس للقرآن وللدروس العلمية، ففيه طلاب يُعلمون القرآن، وفيه مُدرسون للأطفال في زاويته الشرقية الشمالية، حيث إن هناك غرفة فوق المدخل لتعليم الأطفال القراءة والكتابة، واشتهر بالتدريس فيها شيخ يُقال له ناصر بن مُفِيرج وأبوه من قبله: فقد أدركنا كثيراً من المشايخ تعلموا القرآن في تلك الزاوية، كما اشتهر هذا المسجد بأنه لا يخلو من الطلاب والقُرَّاء والمُصلين والمُعْتَكِفِين والذاكرين لله والداعين له في ليل أو نهار، واستمر كذلك إلى أن فُتِحَت المدارس والمعاهد العلمية والكليات، حيث ضمت أولئك الطلاب، ولقد دخل

بعض طلبة العلم في ذلك المسجد في وضع النهار، وذلك في عام ست وسبعين فوجد المسجد خالياً فأحزنه ذلك، وتذكر ما كان لهذا المسجد من الآثار، وما كان فيه من الإقبال على قراءة القرآن وحفظ العلم والاهتمام بالدروس وما أشبهها، فدمعت عيناه، وكاد أن يرفع صوته بقوله: «أين أنت يا شيخ عبد الله بن عبد اللطيف وأين زمانك».

ثم كان من المشايخ الذين أدركناهم يُدرسون في هذا المسجد الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم فله زاوية من المسجد، وفي الشتاء تكون في البديوم الذي يُعرف بالخلوة. يجلس للطلاب بعد الفجر وبعد المغرب في أكثر الأيام. ويحضره طلاب كثيرون يتعلمون في النحو والفرائض، وكان رحمة الله متضلماً في علم الفرائض والإعراب في النحو، ومن طريقته سؤال كل طالب عن اسمه قبل مناقشته، ومتى تلاكأ الطالب فتح عليه وعلمه ما يخفى عليه».

وسئل رحمة الله عن علاقة الطلاب بسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، فقال<sup>(١)</sup>: «الطلاب يقيمون غالباً في ذلك الرباط، ومنهم آخرون يقيمون في غرف في داخل المسجد، أو في المساجد الأخرى التي حوله، ولكنهم دائماً يحضرون الدروس في ذلك المسجد فمنهم من يقرأ في بعض المتون أو الشروح حفظاً أو قراءة، ومنهم من يحضر للاستماع والاستفادة، ويكتب ما تجدد من المسائل، ويستفيدون كثيراً من السماع والمناقشة، حيث إن من طريقته وطريقة كثير من المشايخ طلب حفظ المتون: إما من أشخاص معينين وإما من غيرهم، وهكذا أيضاً يُلقون عليهم بعض الأسئلة مع طلب الإجابة وتصحيح ما فيها من الخطأ، كما أنهم رحمة الله لا يتبرمون من كثرة المسائل واستشكال بعض الطلاب فيما يخفى عليهم».

(١) الفتوى رقم ٢٨٠٠.

وقال في ذكريات له عن مسجد الشيخ ابن إبراهيم<sup>(١)</sup>: «أدركت ذلك المسجد مبنياً من الخشب والجريد فوق السقف وأعمدته بالحجارة والجص، وحيطانه بالطين، وفيه ستة صفوف من الأعمدة يتسع ما بين الصفيين لصفين من المصلين، فيكون مجموعهم اثني عشر صفًا في صلاة الجمعة، وله رحبة واسعة تتسع لعشرة صفوف في صلاة الجمعة، وتحتها الخلوة وتتسع لستة صفوف، حيث إن بها ثلاثة صفوف من الأعمدة، ويمتلئ وقت صلاة الجمعة، وقد يحتاجون إلى الصلاة في سطح المسجد، وكانت أرضه مفروشة بالبطحاء، وفوق البطحاء فُرش من الأعواد، التي كانت تُتسج في الأحساء، وتسمى الواحدة مدّة، ولما أخرجت الكهرباء واحتيج إلى إضاءة المسجد منع الشيخ محمد رحمته الله من جعل الأنوار في قبلة المصلين، وأمر أن تُجعل فوق رؤوسهم في كل صف من الأعمدة عدد من السُرج الكهربائيّة، وجعل واحدة على خشبة في وسط الرحبة، حيث كان يُصلي هناك صلاة العشاء والفجر والمغرب، وكان يأمر بإطفائها إذا أقيمت الصلاة حتى لا تكون في قبلة المصلين لما ذكر الفقهاء أنه لا يجوز استقبال نار ولو سراجًا في الصلاة، ولما ظهر المُكبر للصوت امتنع الشيخ أول الأمر من تركيبه في المسجد لكرهه بعض المصلين لذلك، ثم إنه أقتنعهم بعد ذلك شيئًا فشيئًا حتى سمحوا بتركيبه، وتأخر أيضًا تركيب المراوح السقفية فيه، وذلك لندرتها حتى سُمح بها وتيسرت، فَرُكِبَ فيه أولًا عشر مراوح في الصفيين المتوسطين، ثم عُممت في بقية الصفوف، وكان مُلحقًا به في الجانب الجنوبي ثلاث غرف لطلاب العلم، يجعلون بها كتبهم، ويجتمعون للمذاكرة فيها، وكان الذي يملك تلك الكتب زميلنا الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن مقرن آل سعود رحمته الله وأكرم مثواه وكان مُتواضعًا متحبيًّا إلى زملائه، وكان يمدّهم بما يحتاجون إليه إلى

(١) الفتوى رقم ٨٩٩.

أن انتهينا بصحبته من الدراسة النظامية، ثم بعد ذلك وفي حدود سنة تسع وثمانين تولى الإمامة فيه الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله آل الشيخ، حيث عُين إماماً وخطيباً بعد موت الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله، وبعد مُدة تبرع بعض المحسنين بعمارته العمارة الحالية».

وقال عن خطبة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله<sup>(١)</sup>: «كان الشيخ رحمته الله يتقيد بخطبة أئمة الدعوة، وبالأخص خطب الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي طُبعت مراراً، وأضيفت إلى مجموع رسائله، فكان يحفظ تلك الخطب ويقتصر على إلقائها، ولكنه بأسلوب قوي وكلمات رفيعة يقف عند الفقرات وعند نهايات الجمل، وقد يتطرق أحياناً للتنبيه على بعض المسائل الواقعية».

### السياسة والحكم

هذا المواطن من مواطن الصراع مع النفس، الذي لا يحكمه إلا التقيد بالشرع والتزام منهج سلف الأمة، وأحسب الوالد رحمته الله ممن سلك هذا النهج، الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، فالبيعة للحاكم والتزام طاعة ولاة الأمور، لاتعني كما يظن البعض مدهنتهم والركون للدينا، ولعلنا في هذا الموضوع إن شاء الله نجلي نظرة الوالد حول هذه الأمور، ليستفيد منها المسلمون عامة.

لقد كان للوالد رحمته الله مكانته في البلاد منذ مدة طويلة، وأذكر حينما توفيت الوالدة رحمها الله في عام ١٤١٤هـ أنه زارنا في منزلنا للتعزية فيها عدد من الأمراء، منهم الأمير سلطان رحمته الله والأمير سلمان وغيرهما، ولعلها انتشرت

(١) الفتوى رقم ٢٩٨٢.



في الإنترنت صور الوالد لما صلى على الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز رحمه الله في عام ١٤٢٨ هـ وكانت أيضاً منقولة في التلفزيون، حيث صلى عليه الملك وإخوانه وعدد كبير من المسؤولين. وكان الوالد رحمه الله في البداية بجوار الأمير نايف رحمه الله، ثم نقل وصار بجوار الملك حفظه الله.

فهم يعرفونه ويعرفهم، ويحملون له الحب وبيادلهم إياه، ولم يكن عنيفاً في تعامله أو قاسياً في خطابه، بل كان عالماً رباتياً يلتزم المنهج الشرعي في معاملتهم ونصيحتهم<sup>(١)</sup>.

كان رحمه الله يتخولهم بالزيارة مسلماً وشفيعاً وناصحاً، فزار مرارا خادم الحرمين الشريفين وكثيراً من الأمراء مثل: سلطان رحمه الله ومشعل وطلال ومتعب ونايف رحمه الله وسلمان وعبدالرحمن وأحمد وغيرهم كثير.

وكان إذا زارهم يفرحون به ويقدرونه، وأذكر أنه زار الأمير مشعل فكان يقول له: يا شيخ نحن نحبك، ونعرف صدقك، ونفرح بزيارتك، وحدثني ابن العم أحمد بن محمد أنه قال للأمير مرة: أنتم ولاة أمرنا. فرد عليه: وأنتم علماؤنا، وعليكم نصحننا وتوجيهنا.

وتجد شفاعاته لدى كثير من الأمراء والمسؤولين القبول، وقد ذكرنا هذا حينما تحدثنا عن شفاعته رحمه الله.

ومن أكثر الذين تربطهم به صلة وتواصل سمو الأمير سلمان، فبينهما صلات امتدت حوالي خمسين عاماً، وكانت تقوى على مر الزمان، كان الأمير يقدره ويكرمه إذا جاء، ويودعه عند خروجه إلى الباب، ويقبل شفاعاته للناس، ولهذا كانت معظم كتاباته وخطاباته يوجهها للأمير، سواء الشفاعات أو المناصحات،

(١) مقالة الشيخ سند بن خضر.

ويقول له الأمير كثيرا حينما يقدم عليه بعض المناصحات التي يخالف رأي الأمير فيها رأي الوالد رحمة الله: يا شيخ عبد الله نحن نعرف طيب نيتك وصفاء قلبك.

ويثق العديد من الأمراء بعلمه ودينه، ولذلك يستفتونه في أمورهم الخاصة، وممن يتصل به ويسأله كثيرا الأمير طلال والأمير سلمان.

وعندما بدأه المرض الأخير اتصلنا بالأمير سلمان، فقال: انظروا أين تريدون علاجه، ونحن نتكفل بذلك في داخل المملكة أو في خارجها، ولما اخترنا المستشفى التخصصي وجه بدخوله فيه مباشرة، وكان يتصل بنا للاطمئنان كل ثلاثة أيام أو أربعة.

وكان الذين يتصلون بنا ويزوروننا في المستشفى كثيرا، ففي يوم العملية وقبل خروجه اتصل الأمير ممدوح، وسأل: ما الذي أصاب الشيخ؟ وكان قد علم لتوه، ولما أخبرناه سأل عن نجاح العملية، وكم بقي على خروجه، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله إني أحبه، والله إني أحبه. إذا خرج فأخبروني.

وكان الأمير خالد بن طلال يتردد على المستشفى كثيرا بسبب وجود ابنه الوليد في العناية، شفاه الله وأقر به عين والديه، وبمجرد ما علم بوجود الوالد رحمة الله جاء معنا، وكان يساعد في تسهيل كثير من الأمور، ويتحدث مع الأطباء ويناقشهم، وسلمنا غرفة مخصصة لجلوسه لتستقبل فيها الزوار، وتسبب في مجئ عدد من الأطباء لعناية الوالد رحمة الله من أمريكا وغيرها، وعقد لقاءً تشاورياً عبر الأقمار الصناعية للمناقشة بين الأطباء المعنيين بحالة الشيخ مع أطباء من مستشفى مايو كلينيك في روتشستر، مينيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها من جهوده التي سأذكرها في أثناء الحديث عن مرض الوالد ووفاته رحمة الله.





وبعد إفاقة الوالد رحمة الله بعد العملية وتحسن صحته زاره الملك عبد الله حفظه الله، ولما تجدد عليه المرض ورغبنا في علاجه في ألمانيا استعد الأمير عبد العزيز بن فهد جزاه الله خيرا بتحمل نفقات العلاج، ثم صدر توجيه من خادم الحرمين بعلاجه على نفقة الدولة.

وهناك آثار الرفضة القضية المشهورة التي سيأتي الحديث عنها مفصلا، فكان لولي العهد الأمير نايف رحمة الله وقفة مشرفة في الدفاع عنه وحمایته.

وبعد عودته من ألمانيا كان من أبرز الزيارات التي تأثر بها الوالد رحمة الله زيارة الأمير عبد العزيز بن فهد، وكان قد زارنا من قبل، ولم يتمكن من رؤيته لخرج حالته.

ولما توفى رحمة الله كان أول من عزانا فيه الأمير سلمان حفظه الله، وكان في أمريكا بصحبة الأمير سلطان رحمة الله، ووجه خادم الحرمين بإصدار بيان لإعلان وفاته رحمة الله، وصلي عليه في الجامع الكبير في الرياض، ودفن في مقبرة العود، وهذه كلها من علامات اهتمام ولاية الأمر به رحمة الله.

وقد عزانا في وفاته رحمة الله خادم الحرمين والأمير سلطان رحمة الله والأمير نايف رحمة الله وغيرهم، ممن لا أحصي من الأمراء والوزراء والمسؤولين، وقابلنا بعد ذلك خادم الحرمين في الطائف وقدم لنا تعازيه.

كان ما مضى مقدمة تبين لك: أنه رحمة الله مقبول عند المسؤولين، مقدر من قبلهم بالرغم مما عرفناه عنه من قيامه بواجب النصيحة والمناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن لأنه كان يفعل ذلك على هدي النبوة

وبالضوابط الشرعية التي تضبط التعامل مع الحكام، فقد أحسنوا به الظن وعرفوا قدره ومكانته.

تعال بعد هذه نتأمل هذا النهج الذي سار عليه في حياته رحمة الله من خلال بعض كلامه ومواقفه.

يرى رحمة الله أن واجب المسلم تجاه الحكام محبتهم إذا أقاموا الحقوق، ونصيحتهم إذا اعتراهم شيء من الخلل أو شيء من النقص، ما داموا يقبلون النصيحة ويفرحون بها، ويشجعون من يأتيهم ناصحاً، وجمع الكلمة عليهم. وإظهار الاعتذار مما يصدر منهم من اجتهادات، قد يكون فيها شيء من الخطأ الظاهر، وحث الشعب والرعية على السمع والطاعة، والحرص على محبتهم وموالاتهم، والسمع والطاعة لهم في المعروف، وإن ضربوا الظهر وأخذوا المال، ومحبة الخير لهم والدعاء بالصلاح والاستقامة، وإظهار محاسنهم، وتخويفهم من عذاب الله، وأمرهم بتقريب الأخيار وأهل العلم والفضل والصلاح والنصح لله ولأئمة المسلمين، وأمرهم بإبعاد الأشرار والمنافقين والمبتدعة والفسقة، الذين يلبسون لباس الخير وقلوبهم قلوب الذئاب<sup>(١)</sup>.

ويرى أن النصيحة تحصل بالاتصال بمن صدر منهم الخطأ، وبالخطابات الخاصة السرية، وما أشبه ذلك ويقول: إن من أتمه نصيحة وتحقق الصواب مع الناصح فعليه أن يقبل منه ويتأثر، ويغير ما وقع فيه من خطأ، أو على الأقل يبدي عذره، ويبين وجهة نظره، فالنصيحة حقيقة هي الاتصال المباشر الخاص، وذكر الانتقاد على ذلك الشخص، ثم ينظر كيفية الجواب، وقد قال بعض السلف: المسلم يستر وينصح، والمنافق يهتك ويفضح<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر الفتوى رقم ٨٩٢٤ و

<http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=4&book=27&toc=1302&page=1227&subid>

(٢) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=4&book=27&toc=1299&page=1226&subid=18243>



ويقول **رحمة الله** <sup>(١)</sup>: «إن الولاة لا ينكر عليهم كل أحد؛ حيث إن في ذلك ما يشعر بنقصهم عن مستوى العامة، ولأن الأفراد قد يتخيلون ما لا يصلح إنكاره، وقد لا يشعرون بالأهداف والمصالح المقصودة.

لذلك على الأفراد مراجعة العلماء وابتداء الملاحظات لديهم، وإقناعهم، ثم العلماء يقومون بوظيفة البيان والنصح لولاة الأمور، ويكون ذلك على وجه النصيحة والمحبة دون إظهار لمغاييب، أو تتبع لعثرات».

ويحذر **رحمة الله** من الكلام في الولاة وتنقصهم والخروج عليهم، ومن كلامه في ذلك <sup>(٢)</sup>: «علينا أن نسمع للحكام ونطيع، ما داموا يحكمون فينا شرع الله تعالى، ولا يجوز أن نسب أحدهم، ولا أن نتبع عوراتهم، ولا أن نطعن في ولايتهم، مما يؤدي إلى إثارة الأحقاد، ومما يسبب الفوضى، ويوغر عليهم الصدور، وهذا يسبب الفرقة بين المؤمنين؛ بل نحرص على جمع كلمة الإسلام والمسلمين على الأئمة، الذين يقومون بأمر الله سبحانه وتعالى، ولذلك أمر النبي ﷺ بطاعتهم. وقال: «ما لم تروا كضرا بواحا عندكم فيه من الله برهان» <sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن الأئمة الأولين من أعلام الإسلام حذروا من الخروج على الأئمة والحكام، وذكروا ما في الخروج من الفتن، وحدث في صدر الإسلام من القتل والحبس وتفريق الكلمة بسبب أولئك الذين خلعوا الطاعة وفارقوا الجماعة».

(١) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=4&book=27&toc=1295&page=1222&subid=24660>

(٢) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=1&book=27&toc=1293&page=1223&subid>

(٣) رواه البخاري في باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورا تنكرونها، من كتاب الفتن برقم ٦٦٤٧ ومسلم باب وجوب طاعة الأمراء في غير مفسية وتحريمها في المفسية من كتاب الإمارة برقم ٤٨٧٧.

ويحث دائما على الدعاء للولادة، ويقول<sup>(١)</sup>: «الدعاء لولي الأمر وإمام المسلمين من أفضل القربات والسنن، وهو دأب العلماء المصلحين، جاء عن بعض السلف أنه قال: لو كان لي دعوة مستجابة لصرفتها للإمام؛ وذلك لأن صلاح الراعي فيه صلاح الرعية، واستقامة أمورهم، وتعديل أحوالهم، وفي قربه من الله قرب لهم».

ويرى رحمته الله عدم الخروج على الولاية ولورأى الناس كفرا بواحا إذا لم يكن لديهم القدرة على التغيير، ويستشهد بما حصل في حماة في سوريا يقول رحمته الله: «نتذكر قبل عشرين سنة أو نحوها قصة الذين خرجوا على رئيس الشام سوريا، ولجأوا إلى بلدة اسمها حماة، كانت عاقبتهم أنهم قتلوا إلا من قل، ذلك لأنهم رأوا كفرا بواحا في أولئك الزعماء، وقالوا: لا صبر لنا، كان الأولى لهم أن يسمعوا ويطيعوا ويصبروا، إلى أن يجعل الله لهم فرجا، ولكن هكذا رأوا أنه لا صبر لهم أن يكونوا خاضعين لمن هو مظهر للكفر إظهاراً، يعني: كفرا بواحا».

ولكن حصل ما حصل، وهكذا يقع كثير من بعض الأفراد أو الجماعات، الذين يظنون أنهم إذا خرجوا سينتصرون وسيكون لهم قوة، ولكن يحصل بذلك مفسدة كبيرة تكون ضرراً على المسلمين وقمماً للمسلمين المتمسكين، الأولى أنهم يسمعون ويطيعون ويخضعون إلى أن يجعل الله لهم فرجا».

وكان رحمته الله يسير على هذا المنهج، الذي يفتي به الناس ويوجه به الشباب، وكثيرا ما يأتيه الشباب وهو يتقطعون حسرة وغيظا مما يرونه من مخالفات ومنكرات، فيذكروهم بالهدي النبوي، وسير العلماء مع حكامهم قديما وحديثا، فرحمه الله وعفا عنه وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

(١) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=5&book=27&toc=1301&page=1228&subid>

## الخلاف والاختلاف

الخلاف والاختلاف مصطلحان يستخدمان كثيرا في كتب أهل العلم، والعلماء غالبا لا يفرقون بينهما، لكن اصطلاح بعضهم على أن الخلاف هو ما كان بغير دليل، ولا مسوغ له شرعا، وإنما دافعه الهوى والتعصب، وأن الاختلاف ما استند إلى دليل شرعي من اجتهاد مجتهد معتبر.

ولعلنا أن نسير على هذا المصطلح، لأن الخلاف بين العلماء منه ما هو سائغ مقبول يعذر فيه صاحبه، ومنه ما هو غير سائغ، وللعلماء موقف تجاه كل واحد من هذين النوعين يختلف عن الآخر.

وسنبداً بمنهج الوالد رحمة الله في قضايا الاختلاف من حيث الجملة، ثم نختم برأيه حول ما يكون من خلاف مع أهل البدع والأهواء.

فمن أول معالم منهجه رحمة الله في هذا الباب توجيه طلاب العلم المبتدئين إلى ضرورة التوقف في المسائل الاجتهادية، وعدم الخوض فيها بغير علم، وردّها إلى العلماء، ويرى رحمة الله أن هذا من أدواء العصر وأمراضه، يقول رحمة الله:<sup>(١)</sup> «لا يجوز التسرع بالفتوى، سيما في المسائل التي تحتاج إلى بحث واستدلال، والتي لم يرد فيها نص صريح ودليل صحيح، والتي يقع فيها خلاف بين المذاهب، فإن التسرع في الفتوى في هذه المسائل خطره كبير، وقد قال النبي ﷺ: «من أفتى بغير ثبوت، فإنما إثمه على من أفتاه»<sup>(٢)</sup> يعني إذا تسرع وأفتى وليس هو من أهل العلم وعمل المستفتي بفتواه الخاطئة، فإن المفتي يتحمل الإثم. وقد ورد وعيد شديد في النهي، حتى جاء الحديث بلفظ: «أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار»<sup>(٣)</sup>...

(١) الفتوى رقم ٢٩٩٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي هريرة برقم / ٨٢٤٩.

(٣) أخرجه الدارمي في باب الفتيا وما فيه من الشدة من مقدمة سننه برقم / ١٥٧.

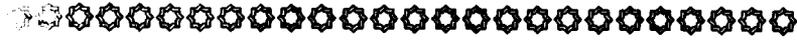
فعلى طالب العلم أن يتورع عن الفتيا بغير علم، أما إذا عرف الحكم وجزم به اعتماداً على الدليل أو على قول مشاهير العلماء أو وجدته منصوصاً في مؤلفات العلماء الموثوقين. فإن له أن يقول به. ويعزوه إلى مرجعه، ليسلم من العهدة».

ومما يتعلق بهذا أنه يرى أن الدعوات لتجديد الفكر الإسلامي أو تجديد الفقه الإسلامي دعوات ليست في مسارها الصحيح، لأن الذين يطلقونها إما ليسوا من المتخصصين في علوم الشريعة، أو من الذين لم يتضلّعوا في هذه العلوم، يقول **رحمة الله**: «تعاليم الإسلام باقية ومستمرة منذ العهد النبوي وحتى هذا العهد. لذلك لا يقال: إن في الإسلام شيئاً يحتاج إلى تجديد، فالعلماء بينوا تعاليم الإسلام ووضحوها، والمستجدات يوجد من يلحقها بالمسائل القديمة، التي وردت في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد **ﷺ**».

ويقول<sup>(١)</sup>: «لا يجوز الإصغاء إلى تلك الأصوات، ولا يجوز تغيير الأحكام الفقهية؛ فشرع الله تعالى ودينه صالح لكل زمان ومكان. وليس هناك ما يقتضي التجديد في أصول الأدلة وقواعدها، وما تجدد من الأمور. فإنه يعطى حكمه ويوجد ما يدل عليه.... فالأحكام التي يظن هؤلاء الجهلة أنها بحاجة إلى التجديد. وأن قواعد الشرع لم تذكرها، وأنها حادثة في هذا العصر فقط، هذا جهل كبير بأصول الشرع فمن تأمل نصوص العلماء وقرأ في كتبهم وجدها وافية بجميع ما يتصور وقوعه حتى حوادث السيارات والاصطدام ونحو ذلك، فعلى المسلم أن لا يعترض على الشرع الشريف، وأن يعتقد كمال الدين كما أخبر الله أنه قد أكمله بقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. الآية».

وهو **رحمة الله** يحصر في منهجه في المسائل الخلافية على السنة وإحيائها، دون أن يقيد انتصاراً لمذهب أو لشيخ.

(١) الفتوى رقم ٢٣٤.



كما كان رحمه الله حريصا على قول كلمة الحق في فتاواه، ولو سببت له أذى أو حرجا، ومنها رأيه الواضح في «حزب الله»؛ إضافة إلى فتاواه في الروافض<sup>(١)</sup>، وغيرها من المسائل التي ذكرناها في حديثنا عن قيامه بمهمة الإفتاء بعنوان المفتي القدير.

وهو يجمع بين الاحتياط وبين التيسير جمعا لطيفا، يحفظ هيبة الشريعة. ويراعي حال المستفتي والواقعة.

وكان حريصا رحمه الله على الائتلاف وجمع كلمة العلماء، ويحزنه اختلافهم كثيرا، يقول الشيخ عبد الرحمن السديس: «وكان من آخر لقاءاتي به في رمضان العام المنصرم، فكان رحمه الله يسألني عن المسعى: لعل الخلاف فيه قد انتهى، فقلت له: أبشرك أن الأمر استقر على دعمه وتشجيعه والعمل فيه من قبل ولي الأمر حفظه الله، وكثير من أهل العلم. فقال رحمه الله مدافعا: هذا هو الحق، ولكن لا يزال بعض طلاب العلم على رأيهم».

وكان رحمه الله لا ينشغل بما يقول فيه المخالفون، إلا إذا كان ما يقال كلاما علميا، يظهر من قائله قصد الحق<sup>(٢)</sup>.

فهو لا ينتصر لنفسه ولا يدافع عنها، لكنه يدافع عن غيره من طلاب العلم إذا رأى ضيما أو ظلما.

(١) انظر مقالة ابن جبرين والديار التي خلت للشيخ أحمد بن عبد المحسن المساف <http://www.lojainiat.com/index.php?a...wMaqal&id=8945>.

(٢) مقالة "ما مت يا مفخرة أهل السنة" لمحمد بن حسين حداد الجزائري. <http://alukah.net/articles/1.aspx.7147>

يقول الشيخ عصام العويد<sup>(١)</sup>: «أذكر بعض من عاداه، وبعض من ناقشه، وبعض من أذاه في مجلسه رحمة الله، فإذا قيل له شيء قال: الحمد لله، النبي صبر، فنحن نصبر ونحتسب، ويذهب وكأنه لا شيء صار».

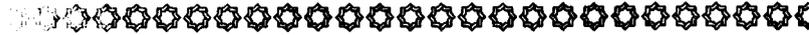
ويقول الشيخ صالح بن عبدالعزيز التويجري<sup>(٢)</sup>: «كان رحمة الله عالماً عظيماً يقدر لأهل العلم قدرهم، فلا يسخط لاختلاف العلماء، ولا يفسر هذا الاختلاف بأنه اختلاف تضاد، ولا يوافق على تصنيف الناس من خلال اجتهاداتهم، ولا يقلل من قدر عالم بسبب اختلاف فقهي، فلم يعرف عن الشيخ كثرة ردوده على مخالفيه، مع أن بعض هؤلاء الذين يختلف معهم في عمر أولاده وصفار طلابه، ومع ذلك لم يكن أبداً يحقر من شأنهم بسبب العمر أو المكانة العلمية أو الشهادة الأكاديمية، التي كان يحملها رحمة الله، بل كان يقدر اختلافهم، ويحفظ لهم مكانتهم، وتعظم شخصيته رحمة الله أيضاً أنه يعطي للعامة مكانتهم، فلا يُيخس أحداً مكانه بحضوره رحمة الله وأسكنه فسيح جناته».

هذا المنهج وهذا التعامل وهذه النفس الطيبة والنية الخالصة نحسبه كذلك والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحداً أورثته حب الجميع وعضو الجميع.

ولهذا لما توفي رحمة الله أطبق العقلاء من الطوائف حتى المخالفين له على الإجماع على جلالته رحمة الله، وأن فقدته خسارة للأمة، ففي اتصال مع قناة اقرأ من الدكتور عبد الله فدعق، وهو ممن يختلف مع الوالد رحمة الله في بعض مسائل التوسل والتصوف، يقول حفظه الله: «نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحم الشيخ عبد الله بن جبرين، ففقد العلماء من أمثاله يعد كما في النص النبوي

(١) قناة اقرأ.

(٢) <http://majles.alukah.net/showthread.php?t=37498>



ثلثة في الإسلام، ونحن بفقدنا للشيخ فقدنا رمزا كبيرا من رموز الدين، ورمزا كبيرا من رموز التربية، والجموع التي شهدت كما رأيتها في الإنترنت تعبر عن مدى إحسان الرجل رحمة الله عليه لهم جميعاً، وهذا بلا شك ولا ريب أنه سيكون تقديماً له عند الله سبحانه وتعالى.

قد اختلف مع الشيخ عبد الله بن جبرين في آراء كثيرة، لكن لا بد أن يعلم الجميع أن العلم رحم بين أهله، فإن اختلفنا فلا بد أن يقدر بعضنا بعضاً، ويحترم بعضنا بعضاً، وعلم الرجل يسبقه في الفضل، وأنا متأثر كتأثر جميع طلبة العلم.

أتكلم معكم وأنا في الطائرة متوجه في رحلة خارجية، ولكن ما أحببت أن أفوت هذه الفرصة أن أعزي نفسي وأعزي طلبة العلم بوفاة الشيخ عبد الله خلفه علينا جميعاً بخير».

فهو **رحمة الله** ناصح لجميع الأمة لا يعرف التحزب، وإن حاول بعض الناس استمالته لفريق ما، أو رماه بعض الناس بالتحزب لفرقة ما، لكن من خالطه وتتبع أقواله وأفعاله يرى أنه ناصح للجميع محب للخير لهم.

وهو **رحمة الله** مع أصالته عصري الفكر منفتح العقل على الجديد يستفيد من تقنيات العصر فيما يخدم أمته، ولهذا سبق كثيرا من المشايخ في تأسيس موقعه الإلكتروني. وأودع فيه كثيرا من فتاواه ودروسه ومحاضراته. وكان من أوائل العلماء الكبار الذين شاركوا لما ظهرت القنوات الإسلامية، لكنه كان مجانباً للقنوات التي عليها ملحوظات من النواحي الشرعية، يقول الدكتور راشد الزهراني<sup>(١)</sup>: «لقد أتيت لي في الخمس سنوات الأخيرة أن أتعرف على الشيخ

(١) <http://majles.alukah.net/showthread.php?t=37498>

عن قرب، وخاصة حينما تأسست قناة المجد العلمية، فقد كان من أوائل من استشرته في القناة، فأيدّها ونصرها، ووقف معها جزاءه الله عني خير الجزاء». ويقول الشيخ محمد المقرن<sup>(١)</sup>: «كان له حضور إعلامي عجيب وهو في هذا العمر، ومع ذلك لا يمنع قناة أن يسجل معها، فمنذ أن بدأ برنامج الجواب الكافي في قناة المجد من ست سنوات كان الشيخ رحمة الله أبرز ضيوفنا، كان يحضر معنا في الجواب الكافي وفي غيره من البرامج».

وهو رحمة الله له نظرة فيما يتعلق بالانتخابات والبرلمانات تختلف عن النظرة السائدة لدى كثير من طلاب العلم، تحرى فيها مصلحة الأمة ودفع المفسدة يقول عن ذلك<sup>(٢)</sup>: «هذا مما يختلف باختلاف الأشخاص، والأماكن، والأوضاع، فمتى رأى الدعاة هذا المسلك مفيداً فعلموه؛ حيث إن الداعية متى غشّي الجماهير، واعترفوا بمكانته وفضله، وارتفع منصبه، واشتهر بين العامة بعلمه ورتبته، كان ذلك أدعى لقبول قوله، والتأثر بنصحه.... فأما من كان ضعيف المعلومات، أو قليل المعرفة، أو معه شيء من الانحراف. أو عنده ميل إلى بعض البدع والمحدثات، أو كان مُزجى البضاعة في العلم، فأرى عدم دخوله تلك المجالس. لعدم تمكنه من قول الحق والصدع به، وخوفاً من إقراره المنكرات، أو دعوته إلى شيء من البدع والشركيات».

ويتميز رحمة الله في معاملة السائلين بمنهج عملي يجمع بين الخلق الحسن وتحري الصواب، فقد علمنا أنه لا يضجر من كثرة الأسئلة، بل إنه لا يرضى أن نقطع أسئلة الناس، ويراعي رحمة الله خصوصيات الناس، ويحرص على حفظ أسرارهم، ويحتاط للحفاظ على حقوقهم. يذكر الأستاذ أحمد حسين كاتب الفتاوى عند الوالد رحمة الله: أنه جاءه سائل في مسألة طلاق، فأرجأ السائل

(١) قناة المجد برنامج مرآة الحدث.

(٢) مجلة البيان، العدد ١٢٢ شعبان ١٤١٩هـ.



حتى يفرغ عدد من المستفتين من المجلس، واصطحبه إلى المجلس الخاص، حفاظاً على سرية المسألة، ثم بدأ السائل بعرض السؤال، لكن الشيخ رفض إعطاء أي حكم في المسألة دون الاستماع إلى زوجته، وعندما سأله عنها أجاب السائل: بأنها في السيارة خارج المكتب، ولما أراد السائل أن يخرج، ليحضرها إلى المجلس بادر الشيخ بالخروج معه إلى السيارة حيث المرأة، وسألها الشيخ عن أقوالها واستوضح منها بنفسه.

كان هذا دأب الشيخ الوالد رحمته الله في مثل هذه المسائل، يستمع إلى طرفي القضية، ويتحرى الوصول للحق والاحتياط للناس والنصح لهم والرفق بهم، يقول الشيخ عصام العويد<sup>(١)</sup>: «أتيت له مرة برافضي قد تسنن، وأتيت له مرة أخرى برجل يقول: إنه متزوج باثنتين من الجن، وجلس معهما جلسات خاصة، فكان يتبسط معهما ويثبتهما، وإن كان في عقيدتهما شيء باطل ناقشهما، وقال لمن يقول إنه تزوج من الجن: لا يفرك الجني، ولا يكذب عليك، اتق الله وراقبه عجل».

أما في مسائل الخلاف، وهي التي أعني بها كما ذكرت من قبل، التي يغلب أن الدافع لها الهوى أو التعصب، وتكون غالباً عند أهل البدع والأهواء.

فأشد هذه البدع الرافضة وقد مضى الحديث عنهم، ولكني هنا سأحدث عن موقفه من الخلاف معهم، وما ينبني عليه من معاملتهم.

سئل رحمته الله عن تكفير عوامهم والزواج منهم، فقال<sup>(٢)</sup>: «إنهم قد يكونون معذورين قبل ثمانين سنة، أما الآن فلا عذر لهم، فقد انتشرت السنة والردود عليهم، فهم مقلدون مع معرفتهم بالسنة، ولا يجوز النكاح منهم، لأنهم لا يقرون أصلاً نكاح نساؤهم من السنة».

(١) قناة «اقرأ».

(٢) <http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>

وذكر أن أحد أئمتهم له فتوى مسجلة عنده أنه سئل أيهما يزوج، السني المتعبد أم الشيعي الفاسق؟ فقال إمامهم: العابد من السنة في النار ولو تعبد ما تعبد، فلن تنفعهم عبادتهم، أما العاصي الشيعي فهو في الجنة لا يعذب، لأنه على طريقتنا».

ومن منهجه في التعامل معهم التحذير من مخالطتهم وإظهار المخالفة لهم، يقول رحمته الله<sup>(١)</sup>: «علينا أن نأخذ حذرنا منهم، وأن نحذر من مخالطتهم، ومن القرب منهم، حتى لا تنتشر بدعتهم كما انتشرت - للأسف - في كثير من البلاد الإسلامية بسبب مخالطتهم لأولئك الرافضة، فينشرون بدعتهم بسرعة بين أولئك العامة الذين يندعون بتسويل أولئك الرافضة ومواعيدهم، وما يبذلونه من المال الكثير لنشر بدعتهم».

وهو يقدر وجودهم في المملكة وكونهم من المواطنين، ويرى إعطاءهم حقوقهم والعدل معهم، لكنه يضيق بما يسمعه عن السنة في إيران، وما يلاقونه من تضيق، فيرى أنه لو عوملوا بمثل ذلك لربما كان مفيدا في نصره أهل السنة في إيران، يقول رحمته الله<sup>(٢)</sup>: «قد ابتلينا في هذه المملكة بهؤلاء الرافضة، وادعوا أن لهم حقا كغيرهم من المواطنين، والحكومة لا تقدر على طردهم وحرمانهم لكونهم من المواطنين؛ فلأجل ذلك تمكنا».

دخلوا في المدارس وفي الجامعات ونحوها، ثم أنهوا دراساتهم وحملوا مؤهلات وطالبوا الدولة أن تساويهم بغيرهم في الوظائف: فتولوا وظائف كثيرة في وظائف حكومية في تدريس وفي طب وفي خدمة وفي علاج، وما أشبه ذلك، وصعب التمييز بينهم وبين غيرهم، لا شك أن هذا من المصيبة؛

(١) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=4&book=27&toc=1249&page=1183&subid=32456>

(٢) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=9&book=170&toc=7932&page=6944&subid=2443>



حيث إنهم تمكنوا هذا التمكن، والحكومة لا تقدر على حرمانهم، والواجب إبعادهم عن هذه الأعمال، كما فعلت إيران بأهل السنة. فإن إيران ذكروا أن فيها نحو اثني عشر مليوناً من أهل السنة. ومع ذلك فإنهم يهينونهم، ولا يولونهم الأعمال لا وظائف ولا إمامة ولا خطابة، وحتى التجارة وصيد الأسماك يمنعونهم من ذلك. فلا يتولون إلا ولايات ضعيفة بأن يكون أحدهم مستخدماً. ويستعملونهم في الأعمال الرديئة الدنيئة، وذلك لحقدهم على السنة وعلى أهل السنة».

وقال عن معاملة أهل البدع<sup>(١)</sup>: «إذا التقينا بمثل هؤلاء وجب أن نظهر لهم البغضاء والحقد. ولو كانوا بجوارنا أو معنا في عمل. ونمقتهم على ديانتهم، ونسفه أحلامهم وأخلاقهم. ونرد عليهم رداً غليظاً، ونظهر الحق أمامهم، ونبين أخطاءهم، ونطلب منهم أن يبينوا أخطاءنا فتجيب عنها.

وهكذا بقية المبتدعة إذا ابتلينا بهم، فإنه يجب أن نحذرهم، ونحذر من الافتتان بهم. حتى يظهر المسلمون سالمين في عقيدتهم. وفي أعمالهم».

وأما فيما يتعلق بمناظرة المبتدعة، فيرى أن لها ضوابط ينبغي أن تضبط بها، حتى لا تكون سبباً في التأثير بهذه البدع، يقول **رحمهُ اللهُ**<sup>(٢)</sup>: «كان كثير من السلف ينهون عن مناظرة المبتدعة. ويأمرون بهجر مجالسهم والتحذير من سماع كلامهم، مخافة أن تقع شبهة من شبهاتهم في القلب، فيصعب التخلص منها، ومع ذلك فقد يجب رد شبهاتهم وتقنيد أباطيلهم، وذلك يتوقف على معرفة الحق والقول الصحيح بأدلته، وعلى معرفة ضعف تلك الشبه التي يتشبهون بها، وعلى معرفة قواعد الشريعة وأسسها، وعلى معرفة

(١) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=5&book=27&toc=1249&page=1183&subid=32456>

(٢) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=5&book=27&toc=1249&page=1183&subid=32456>

تهافت أدلة المبتدعة. ثم ذلك يكون عند الضرورة إلى مجادلتهم، والخوف من تمكن شبههم واشتغالهم عند العامة، كما ناظرهم الأئمة وعلماء الأمة: كأحمد في مسألة خلق القرآن، وابن تيمية في مسائل الصفات الفعلية. وشد الرحال لزيارة القبور ونحو ذلك».

ومما يتصل بالمنهج هنا رأيه رحمة الله في هجر المبتدعة والعصاة، فقد قرر رحمة الله <sup>(١)</sup> أن الأمر وسط بين طرفين، فإن الهجر يجوز للمصلحة؛ وذلك أن العاصي والمبتدع إما أن يكون معانداً مصراً على الذنب والبدعة، لا يتأثر بالوعظ، ولا يقبل النصح، بل يرى صحة ما هو عليه، ويعتقد خطأ من نصحه عن ذنبه. سواء كان الذنب مكفراً أو مفسقاً، فمثل هذا يرى هجره والابتعاد عن مجالسته ومولاته؛ لعموم الأدلة في تحريم موالاته الكفار، كقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. الآية، والمودة هي المحبة والإكرام..... أما إن كان العاصي أو المبتدع متأولاً ويعتقد أنه على صواب، فإن الواجب دعوته، وبيان الحق له، وتأليف قلبه وتقريبه، وكثرة نصحه، وتخويفه وتحذيره، من غير مبادرة إلى الهجر، الذي يكون مُنفراً له عن الخير، ومبعداً له عن مجالس الذكر والعلم..... وقد يجوز الهجر للعاصي إذا علم أن الهجر يؤثر فيه، وبسبب إقلاعه عن المعاصي.... فإن كان الهجر لا يزيده إلا تمادياً في السوء، وعملاً للمعاصي، فالمصلحة تقتضي تقريبه، فذلك أخف للشر، وأقل للعصيان.

ويرى رحمة الله <sup>(٢)</sup>: أنه لا يجوز في بلاد الإسلام إقرار معابد الشرك الظاهرة، وكذا البدع والمحدثات المخالفة للشرع، ويرى أن الواجب إزالة ذلك، سواء من الهيئة أو من ولادة الأمور، حتى لا يبقى الشرك في بلاد الإسلام.

(١) مجلة البيان، العدد ١٢٢ شبان ١٤١٩هـ.

(٢) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=3&book=27&toc=1292&page=1220&subid=20200>



هذه أهم معالم منهجه **رَحْمَةُ اللهِ** فيما يتعلق بالخلاف والاختلاف، وهو كما رأيت منهج تأصيلي منطلق من النهج النبوي والهدي السلفي.

### الدعوة والتربية

الدعوة إلى الله كما علمنا لها حظها الوافر من حياته **رَحْمَةُ اللهِ**، وحيث قد مضى الحديث عن جهده **رَحْمَةُ اللهِ** حينما عقدنا موضوعا بعنوان داعية لا يكل، فإننا هنا سنلخص فقط معالم منهجه في الدعوة والتربية، ولن نتطرق هنا إلى موقفه من الجماعات الدعوية، لأن هذا له بحث خاص في هذا القسم.

وفيما يتعلق بمنهجه في هذه النقطة، فإنه يرى **رَحْمَةُ اللهِ** أن الدعوة يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة والرحمة والرفق.

نقلنا قبل عن الشيخ محمد حسان أنه قال له <sup>(١)</sup>: «وصيتي لك أن لا تكف عن البلاغ بالحكمة والرحمة والموعظة الحسنة، وقد رأينا ثمرة هذا المنهج بفضل الله».

ويوصي الدعاة دائما بالموازنة بين الأعمال الدعوية وظروف الحياة ويقول <sup>(٢)</sup>: «لا يجوز للإنسان أن يتقبل من الواجبات والأعمال ما هو فوق طاقته، بحيث يشغله عن الحقوق المتحتمة عليه لله أو لعباده، وقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: (فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا) <sup>(٣)</sup>، والحق الذي لزوجك، هو الأئس والمجالسة الكافية، والعشرة الطيبة، وقضاء

(١) فتاة الرحمة.

(٢) مجلة البيان، العدد ١٢٢ شعبان ١٤١٩هـ.

(٣) أخرجه قريبا منه ابن خزيمة في صحيحه في باب: ذكر العلة التي لها زجر النبي ﷺ عن صوم

الدهر من كتاب الصيام برقم ٢١٥٢.

الوطر، والمبيت المعتاد، ولا شك أن ذلك لا يستغرق جميع وقته، ففي إمكانه أن يقوم بواجبه الوظيفي، ومنه الدعوة إلى الله تعالى، وزيارة الإخوان، وأداء الواجبات الدينية، ومنه الإتيان بما يقدر عليه في نهاره أو ليله من فروض الكفاية، سيما إذا رأى غيره لم يقم بها، وأصبحت متعينة في حقه، ولو كانت تحتاج إلى سفر بعيد أو قريب، كالمحاضرات، والندوات، والنصائح، وتغيير المنكرات، والأمر بالمعروف، وإبداء الآراء والاقتراحات عند من يقبلها؛ وذلك لما فيها من المصالح العامة للمسلمين، وما فيها من نصرة الدين، وقمع العصاة والمنافقين، ومع ذلك كله فلا يهمل أهله وذريته، فقد ورد في الحديث: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»<sup>(١)</sup> وفي لفظ: «أن يحبس عن يمين قوته»<sup>(٢)</sup>، وعليه أن يقنع أهله وزوجاته بما يحصل لهم من نفقة، أو إقامة، إذا تحتم عليه السفر أو الانشغال.

ويحب رحمة الله دائماً أن يبعث في قلوب الناس الأمل في وعد الله بنصرة هذه الأمة وبالتمكين لها، لأن الناس مصابون بحالة من القنوط وبحالة من اليأس لهذا الواقع الذي تعيشه الأمة.

وينصح أئمة المساجد أن يتعاهدوا الناس بالموعظة من كتب الحديث والمواعظ والآداب كرياض الصالحين للنووي، والترغيب والترهيب للمنذري، وكتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، وكتاب روضة العقلاء لابن حبان، والآداب الشرعية لابن مفلح، وعدة الصابرين، والجواب الكافي لابن القيم، وتبنيه الفافلين لابن النحاس، وما أشبهها<sup>(٣)</sup>.

- (١) هكذا ذكره صاحب المغني ٧١٧/٢ من الشاملة وذكره محققو المغني ٢٢٠/٤ من تحقيق التركي في إحدى النسخ، وأثبتوا "من يقوت" الثابتة عند أبي داود بإسناد حسن في باب صلة الرحم من كتاب الزكاة برقم /١٦٩٢.
- (٢) هو في مسلم بلفظ "كفى بالمرء إثماً أن يحبس عن يمين قوته" في باب فضل النفقة على العيال والمملوك واثم من ضيعهم من كتاب الزكاة برقم /٢٣٥٩.
- (٣) الفتوى رقم ٧٧٠.





وهو رَحْمَةُ اللهِ يعتني بالشباب، ويحب القرب منهم، وتلمس همومهم، وافادتهم وتوجيههم، ويقدمهم على العامة، لاعتقاده أنهم أكثر انتفاعا، ولهذا يزور كثيرا حلقات القرآن، واجتماعات الشباب التي تعقد في الاستراحات ونحوها. ويזורهم إذا كانوا في مكة في رحلات المراكز الصيفية والمكتبات الخيرية. يقول الدكتور أحمد البناني<sup>(١)</sup>: «عندما كنت مشرفا على مجموعة من الشباب في القنفذة، ووجهنا دعوة إلى الشيخ. فأتى إلينا رغم مشاغله وارتباطاته العملية، فكان حريصا على القرب من الشباب، يعلمهم بخلقه وتواضعه أكثر من ثقافته وعلمه، وكان تأثير التطبيق العملي واضحا على الشباب».

وحتى رسائلهم يرد عليها ويتعاهدهم بالنصح فيها، بعث له الأخ سالم ابن محمد كريم العميري من مصر يطلب نصيحته، فرد عليه رَحْمَةُ اللهِ بقوله: «سعدنا بما قرأنا من حسن العبارة وطيب التوجه، نسأل الله لكم التوفيق والهداية، ونوصيكم بمواصلة طلب العلم والحرص على ذلك ومتابعة المشايخ وقراءة أمهات الكتب، والاستماع إلى إذاعات القرآن الكريم التي تبث أخبار العالم الإسلامي والعلوم النافعة والفتاوى الموثوقة، ففي ذلك كفاية لكل مسلم يبحث عن الخير، وفقكم الله لكل خير، وزادكم حرصًا، ودلكم على طريق الخير والصواب، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم».

وكما يهتم رَحْمَةُ اللهِ بالشباب، فهو يهتم بالنساء، ويرى أن لهن حقا، ولهن أثرا في المجتمع، ويجب دعواتهن في مدارس تحفيظ القرآن والمدارس والجامعات. فيلتقي بهن عبر الشبكة التلفزيونية، أو عبر الشبكة الهاتفية. ويفرغ لهن وقتا كافيا، ليأخذن نصيبهن من العلم والتوجيه.

تقول الأستاذة حواء بنت جابوعن زيارته لإحدى مدارس تحفيظ القرآن للبنات في جدة<sup>(٢)</sup>: «وافق الشيخ ابن جبرين رَحْمَةُ اللهِ مع ارتباطه الشديد ليلقي

(١) <http://www.okaz.com.sa/okaz/osf/20090716/Con20090716291925.htm>

(٢) <http://116235-http://islamtoday.net/nawafeth/artshow-45>



على أكثر من خمسمائة امرأة محاضرة قيمة، تفيض نصحاً ولطفاً وتوجيهاً للمرأة، لقد كانت فريدة.. لأن الداعية التي كانت تلقي دروسها المنتظمة في القاعة نفسها كانت قد ألبست الشيخ رحمة الله عباءة التحزب، ورمته لدى خواص تلميذاتها بألوان التهم، ولكن الجميع استمع إلى الشيخ رحمة الله بإنصات عجيب.

قبل انتهاء المحاضرة جُمعت الأسئلة من الحاضرات، وكانت كثيرة جداً، لم يتسنَ فرزها جميعاً، واستمر في الإجابة عن الاستفسارات والأسئلة قرابة الساعة، سوى المحاضرة التي استغرقت نحو الساعة والنصف، توقف من يقرأ الأسئلة طالباً من الشيخ أن يغادروا ليلحقوا بموعدهم، فقال الشيخ: لا بأس هؤلاء نساء وحقهم علينا كبير، وواصل، والنساء يبعثن بأسئلتهن التي حُجز بعضها رافة بالشيخ، فعلت مكانته في نفوس الحاضرات في نفس المكان الذي أسىء إليه فيه».

وقد نقلت لكم فيما مضى عن تلميذته سميرة جاسين، وهي سودانية تحمل الجنسية السويدية، تركت الرفاهية في الغرب وجاءت مهاجرة للمملكة فرارا بدينها، تقول عن نفسها: «اسمي سميرة، وقد هاجرت من الغرب الذي تربيت فيه حفاظاً على ديني، وبالأخص حجابي، هذه البلاد التي اخترت الهجرة إليها حباً في علمائها الربانيين ودعاتها الصادقين وتطبيقها للشريعة الإسلامية والخصوصية التي تحظى بها المرأة السعودية».

الموقف الذي لا أنساه لسماحته بالنسبة لي، هو أنه عندما علم بقصتي لم يتصل فقط، بل جاء رحمة الله لتطبيب خاطري، وإشعاري بأني وسط أهلي، وأن لا أتردد في أن أطلب ما أحججه، إشعاري بالأمان والاستقرار، فوقوفه هذا الموقف العظيم وإحسانه إليّ بهذه الزيارة مسح من نفسي كل ما عانيته،





قله مني كل إجلال وإكبار، وأشهد له بهذا الموقف أمام رب العباد، بأن ثبتني على ديني رَحْمَةُ اللَّهِ».

وهو كما يحرص على تشجيع طلابه وطلاب العلم عامة، يشجع أيضاً الدعاة والوعاظ، يذكر الشيخ سليمان الجبيلان رَحْمَةُ اللَّهِ، وهو ممن نفع الله به في توجيه الشباب، وكان سببا في هداية الكثير<sup>(١)</sup>: «حصل لي مع الشيخ عبد الله بن جبرين رَحْمَةُ اللَّهِ موقف كان في بداية طريق الدعوة، وهو من أسباب تشجيعي واستمراري في طريق الدعوة.

في عام ألف وأربعمائة وعشرة هجرية كنت في موسم الحج فعدت لزيارة مخيم، وقال الإخوة: إنه مليء بالناس، ونريد أن تأتي معك ببعض لاعبي الكرة، وكان معنا اثنان من لاعبي الكرة المشاهير، يعدان من مشاهير الكرة العربية، قد هداهم الله لطريق الخير، فذهبنا للمخيم، وفوجئت بالشيخ عبد الله ابن جبرين جالسا على الكرسي أمام الناس، فما رضيت أدخل، وعتبت على صاحب المخيم، كيف يدعوني والشيخ عندهم، فألحوا بالدخول، فدخلت وجلست في الصفوف كستمع للشيخ، فألزموني أن أتكلم، فأبيت أن أتكلم في حضرة الشيخ العلامة ابن جبرين، ففوجئت بالشيخ نفسه يقول: يا بني تكلم، يا بني لا تنتهي عن نفسك الخير، فاستحييت منه، وقلت له: أنت والد وكلامك أمر، فتكلمت الحقيقة قليلاً ثم تكلم الإخوة الذين معي، فعندما فرغنا قلنا: يا شيخ عبد الله لعلك إن أخطأنا في شيء تصححه، فاغرورقت عيناه بالدمع، وقال: الحمد لله الذي أحياني حتى رأيت من أولادنا وشبابنا من يتحدث في الدعوة ويتكلم في طريق المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عندما كنا من قبل نجد من شبابنا في التسعينيات الهجرية المصادمات، ونجد الأذية، فالآن

(١) فتاة «حياتها».



لا تسعني الفرحة حين يتكلم أمامي فلان وفلان وفلان، فكان هذا من أقوى حوافزي في استمراري على طريق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى».

### منهجه في النظرة للجماعات الإسلامية

هذا الموضوع له ارتباط بالدعوة، ولكني آثرت أن يكون الحديث عنه مستقلاً، لأنه طويل الذيل، كثير الشعب، وسأبدأ بعرض منهج الوالد رحمة الله في هذا الموضوع من حيث الجملة، ثم أتكلم عن موقفه من جماعة التبليغ والإخوان المسلمين والتكفيريين، مبينا منهجه في التعامل مع الصراعات بين الجماعات الإسلامية.

وهذا الموضوع شديد الحساسية سياسياً ودعويًا، أسأل الله أن يعينني فيه على تجلية الصورة الواقعية لمنهج الوالد رحمة الله، ولهذا سأعرضه معتمداً على الأسلوب التوثيقي والوصفي بحسب ما يقتضيه المقام.

إن الوالد رحمة الله ذو منهج تكاملي ونظرة كلية محيطية، فهو ينظر للجماعات الإسلامية نظرة متوازنة، يغلب فيها حسن الظن بأن هذه الجماعات مبناها على الاجتهاد وإرادة الخير وحب العمل للإسلام، وأنها يكمل بعضها بعضاً، ويعين بعضها بعضاً، وينصح بعضها لبعض.

يقول رحمة الله<sup>(١)</sup>: «إذا فضلت طائفة من أهل العلم الدخول في الوظائف والولايات والانتخابات لأجل تخفيف الشرور فلهم ذلك.

وإذا رأى آخرون الاشتغال بالدعوة والتنقل في القرى والمدن، فإن ذلك نفعه كبير.

(١) من مقابلة للوالد رحمة الله مع الدكتور عادل باناعمة نشرت في مجلة الجسور ١/٥/١٤٢٤هـ

<http://banaemah.com/media1.asp?id=20&flag=1>



وإذا رأى آخرون الجلوس في الحلقات وتعليم المبتدئين العقيدة وأوائل  
الفقه، واقتصروا على ذلك فلهم اجتهادهم، وهم على خير.

وإذا رأى آخرون الاشتغال بالكتب ونشرها في صفوف المسلمين ورأوا  
إذاعة العلوم والفوائد عبر الإذاعات المسموعة والمرئية أو عبر الشبكة  
العنكبوتية وكانوا من أهل العلم وسلامة العقيدة فلهم ذلك، وعلى الجميع  
الحرص على الائتلاف وعدم تضليل الآخرين من المسلمين، الذين اختاروا  
جهة يرون أن العمل فيها جدير بالعناية».

هذه النظرة هي التي ميزت الوالد رحمته الله، يقول الشيخ محمد العوضي<sup>(١)</sup>:  
«كان الشيخ رحمته الله حريصاً على لم الشمل وحصر الخلاف، وكان دائماً في  
كتاباتة لا يحبذ التعصب للمسميات، يرى أن الحق يتفق عليه الجميع، كان يؤلم  
الشيخ هذا التشرذم الذي يحدث بين أهل الخير وأهل الحق وأهل الدعوة، وكان  
قلبه على الأمة، لأن عقله كبير وقلبه كبير وهمومه كبيرة، فعاش من أجل الأمة،  
وعاش لها، وعاش لدعوته رحمة الله عليه».

فهو رحمته الله مع الجميع، ولكنه لا ينتمي لأحد، بل ولا يؤيد الانتماء  
والتحزب، ومن أعجب ما قرأته في أخبار وفاته رحمته الله أن وكالة رويتر حينما  
بثت النبأ جاء في خبرها<sup>(٢)</sup>: «يقول دبلوماسيون غربيون: إن خبراء مكافحة  
الإرهاب في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي لم يتمكنوا أبداً من إثبات أي  
صلة لابن جبرين بأي جماعة متطرفة».

وأنا أعجب كيف يعرف الغرب عنا أكثر مما نعرفه عن أنفسنا، لأن  
بعض المنتسبين للعلم والدعوة يصنفون الوالد رحمته الله تصنيفات ليس لها  
نصيب من الصحة.

(١) قناة «حياتنا».

(٢) <http://ara.reuters.com/article/topNews/idARACAE56C0N120090713>

وهو **رحمة الله** يوافق كل جماعة فيما عندها من الحق، وينصحهم فيما عليهم من ملحوظات، ولا شك أن بعض الجماعات كالتكفيريين والجهاديين والسروريين والإخوان المسلمون والتبليغيين وربما غيرهم يستفيدون من بعض فتاوى الوالد و كلماته، التي يلقيها. ويكون فيها ثناء على ما عندهم من الحق. للقول: أن الشيخ **رحمة الله** يؤيد مسلكهم، بل ربما فسر بعضهم الشيء بغير ما يريده به **رحمة الله**، وربما استغل ذلك غيرهم، وأسقط على الوالد **رحمة الله** وصفا بأنه من هذه الجماعة أو تلك. بحسب رأيه في قضية واحدة، يرى أنها صواب. وربما سعى بعضهم لاستصدار فتوى أو مقالة لتأييد قضية معينة. وحاول بعضهم التأثير على الوالد لتبني منهج من المناهج. ولكنه **رحمة الله** له منهجه الواضح المبني على الشرع والعقل والعدل والموازنة بين المصالح والمفاسد.

جاء في خطبة جمعة بعد وفاة الوالد **رحمة الله** للشيخ نور الدين درواش<sup>(١)</sup>:  
«الحزبيون والحركيون والإخوانيون وأذناهم في المملكة وفي الجزيرة وفي غيرهما اتخذوا من بعض فتاوى الشيخ **رحمة الله** التي كان يبينها على إحسان الظن ببعض المخالفين سلاحاً يضربون به أهل السنة، لعدم المعرفة التامة بواقعهم وبانحرافهم وبأخطائهم. فالحزبيون يتخذون من ذلك سلاحاً يضربون به أهل السنة ودعوتهم. ويروجون به باطلهم. فلا يرون من علم الشيخ إلا الثناء على سيد قطب، والثناء على حسن البناء، والثناء على إمام الخوارج وزعيم تنظيم القاعدة، هذا الذي يفرحهم، وهذا الذي يعجبهم من الشيخ عليه رحمة الله، ونحن مع أننا نرى أن تلك من أخطاء الشيخ، نسأل الله **عز وجل** أن يتجاوز عنه، وأن يغفرها له، وأن يقبلها حسنات له، عليه رحمة الله، إلا أننا لا نوافق عليه، ولكننا نرى أنها مغمورة في بحار حسناته عليه رحمة الله».

(١) <http://www.ahlalhdceeth.com/vb/showthread.php?t=180496>



وقد أثبت هذا النص بالرغم مما فيه من جرح لمشاعري ومشاعر المحبين للوالد رحمة الله، لأبين للجميع بأني محايد في هذه السيرة، ولأثبت بأن العقلاء من جميع الطوائف والجماعات يقدرون له قدره رحمة الله.

ويقول الشيخ عبدالرحيم التميمي<sup>(١)</sup>: «تميز الشيخ منذ بزوغ شمس الصحوه في بداية التسعينيات بدعم مسيرة الدعاة الشباب وتشجيعها ومباركتها، والوقوف بجانبها في كل ملمة ومحنة، وفشل كافة خصوم الدعاة، على كافة توجهاتهم، من انتزاع أي كلمة يدين فيها طلابه وأحبابه من المشايخ والدعاة، وهذا لا يعني بالضرورة أن الشيخ عبدالله كان موافقاً لكل اجتهادات وتصرفات تلاميذه، ولكنه بالتأكيد كان يعلم أهداف ومقاصد خصومهم، وفي هذا درس بليغ لثلاثي ستغل طالب العلم من قبل خصوم الدعوة في ضرب الدعوة بسبب خلاف في الاجتهاد».

ويقول الشيخ خضر بن سند: «لا يرضى بأن تؤذى حمامة، فكيف بأن يؤذى مسلم، وأعظم من ذلك في نظره أن يكون الذي لحقه الأذى عالماً مخلصاً، أو شاباً أوزي من أجل دينه وعقيدته. فيراه الناس جميعاً يحرص أن يكون أول الزوار له، والمناصرين له، لا يبالي بكلام الناقمين، ولا يلتفت لغضب الغاضبين ممن جرفتهم الأهواء، أو خشوا أن يؤثر ذلك على مكانتهم الدنيوية أو مناصبهم الرسمية».

وأذكر أن أحد مقدمي البرامج التلفزيونية أراد من الوالد حواراً بعد أحد حوادث التفجير فوافق رحمة الله. فاتفقت معه رحمة الله على بعض النقاط المقترحة للحوار، لأن اللقاء حساس، فلما أرسلنا النقاط لمقدم البرنامج اعتذر.

(١) <http://www.ahlalhdceeth.com/vb/showthread.php?t=181345>

وحدثني الدكتور أحمد العنقري أن الوالد رحمة الله حضر عند سماحة المفتي العام الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، لتوزيع ندوات الجامع الكبير كالمعتاد في كل عام، فطلب أحد الحضور الحديث عن جماعة الإخوان المسلمين والتحذير منها، فوجم الجميع، فعلق الوالد تعليقا صريحا بعدم مناسبة ذلك درءا للخلافات.

فهذه نظرة عامة عن منهجه رحمة الله في النظر للجماعات الإسلامية، والموقف منها من حيث الجملة.

وأما موقفه من الجماعات الإسلامية من حيث التشخيص فمشهور معروف، ولعلي أشير هنا إشارات خفيفة لبعض ذلك، ومن أراد الزيادة فإن موقعه رحمة الله فيه كفاية لمن أراد مزيدا.

لقد عرف الوالد رحمة الله الجماعات الإسلامية قديما، وخالط كبارهم وكان بعضهم من تلاميذه، عرف الجماعات قبل وفاته رحمة الله بأكثر من أربعين سنة، قبل هذه الصراعات والمشاحنات التي حدثت، وهو رحمة الله لم ينتم لجماعة أو ينتظم في تنظيم، وإنما لأنه قد فتح قلبه لأفراد الأمة فإن أتباع هذه الجماعات كان لهم نصيب من وقته وقلبه.

فالزعم بأنه لا يعرفهم ولا يعرف مناهجهم غير سديد ومجانب لواقع حاله رحمة الله.

عاصر رحمة الله الفتن القديمة التي مرت الجماعات كفتنة جهيمان في الحرم المكي، وما سبقها من عمل دؤوب لهم، وكان ممن تصدى لهم وناصحهم وحذر من منهج جهيمان، حينما كتب رسائله التي تحتوى على نقد للحكومة وللعلماء في ذلك الحين، ولا زالت في عيني صورته، ونحن في بيت





السبالة، وهو جالس في ظل جدار مكتبته في سطح منزلنا الطيني، ومعه قلم يعلق على تلك الرسائل، ويرد على أخطائها ويدحض شبهاتها.

فإذا وعيت ذلك فدعني الآن أنقلك إلى موقفه من الجماعات المشهورة في المملكة، التي عاصرها رحمة الله، وستعلم أن مواقفه هذه ليست مبنية على عاطفة ودون علم بالواقع، بل مبنية على العلم والعدل.

### موقفه من جماعة التبليغ

عرف رحمة الله جماعة التبليغ قديما، وقرأ عنهم الكثير، وهو يحتفظ بملف كبير فيه أوراق متعددة عن هذه الجماعة، أراه يرجع إليه ويصور منه بعض الأوراق، ليزود بها من يجري معهم الحوار حولها، إذ كان عدد من الإخوان يناقشونه في رأيه فيهم، ويوردون شيئا كثيرا حول هذه الجماعة.

سأورد أولا رأيه الواضح في هذه الجماعة، ثم أسرد لك بعض الأحداث.

يقول رحمة الله في فتوى له بتاريخ ١٤٢٠/٢/٥ هـ: «اعلم أن جماعة التبليغ نشأت في الهند، وكان فيهم هناك جهل بالسنة. وغلوا في الأموات، وشيء من التوسل بالقبور ونحو ذلك من البدع، ولكن قصدهم دعوة أهل الإعراض عن الدين، ممن تركوا الصلاة واتبعوا الشهوات، وقد اقتدى بهم في طريقة الدعوة بعض طلبة العلم من أهل البلاد الأخرى كالسعودية والكويت وقطر ونحوها، فإن كانوا من أهل العلم والتوحيد والبعد عن البدع والشركيات، جاز الخروج معهم، حيث قد هدى الله بواسطتهم خلقا كثيرا من الضلال الذين كانوا قد انهمكوا في الحرام من الزنا والخمر والدخان وحلق اللحي وترك الصلاة والإعراض عن الدين، فبمجرد صحبة هؤلاء الدعاة أقبلوا عن المعاصي، وأقبلوا على الطاعات، وتعلموا الكثير من واجبات الدين، ثم

إن طريقتهم ترغيب العامة في صحبتهم والخروج معهم إلى القرى والبوادي والمدن، وزيارة الأفراد والوجهاء وحثهم على الخير والعمل الصالح، ولم يكن من طريقتهم الإنكار على العاصي مباشرة مخافة التنفير، وإنما يخرجون به حتى يشاهد اجتهادهم في الذكر والعلم والتهجد والسنن والبعد عن المحرمات، ويسمع التحذير من المعاصي والمخالفات فيراجع نفسه ويقطع عن المعاصي، ولو لم يسمع إنكارهم عليه مباشرة، فمتى كانوا من أهل العقيدة السليمة، وسلموا من دعاء الأموات والتمسح بالقبور، وتحري الصلاة عند الأضرحة، ومن المسكرات والمخدرات واشتغلوا بالقرآن والحديث والمواعظ والنصائح، وقاموا بالنوافل من الرواتب والأوراد والتهجد، فلا يعابون بشيء ولا مانع من صحبتهم للاستفادة».

هذا موقفه من هذه الجماعة ورأيه فيها، يضع الضوابط ويفرق بين الموجودين في الخليج ممن نشأ على عقيدة سليمة وبين غيرهم ممن نشأ على الشريكيات والبدع، ولهذا يقول رحمته الله: <sup>(١)</sup> «لا يجوز الإنكار على أهل التبليغ الذين يعتقدون عقيدة السنة في الأسماء والصفات والقضاء والقدر والوعد والوعيد». وكان يذكر عن شيخه محمد بن إبراهيم وعبد العزيز بن باز <sup>(٢)</sup> تأييد من هو على عقيدة صحيحة من هذه الجماعة، ويحتفظ كما ذكرت بفتاوى حول ذلك.

وكان يزور رحمته الله كثيرا من المناطق ويوجد فيها بعض أفراد هذه الجماعة، فيسألونه في المحاضرات عنهم فيثني عليهم، وقد حدثني ابن العم

(١) مقابلة للوالد مع الدكتور عادل باناعمة نشرت في مجلة الجسور ١/٥/١٤٢٤هـ.

<http://banaemah.com/media1.asp?id=20&flag=1>

(٢) انظر فتاوى للشيخين ابن باز وابن عثيمين في

<http://www.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=Fatwald&Id=158143>





أحمد بن محمد أنه كان معه في وادي العجمان، وكان منظموا المحاضرة ممن لا يؤيدون الجماعة، فسأل أحد جماعة التبليغ سؤالا شفويا، فلم يرد عليه الوالد مراعاة لحال من في المجلس، فانبهرى مقدم المحاضرة يثب فيهم، فها هنا تكلم الوالد بعد الصلاة وبدأ يثني عليهم.

وكان إذا سأله أحد عن صحبتهم سأله بحماسة: هل رأيتم يدعون الأموات، هل رأيتم يشربون الخمر؟.. ونحوها من الأسئلة.

ولعل السبب في هذا الموقف منه رحمة الله أنه رأى أثرهم في كثير من العصاة، كتب أحد الإخوة من حائل<sup>(١)</sup>: «حدثنا الشيخ ببعض القصص منها: أنه كان في إحدى قرى الجنوب مجموعة من تجار المخدرات، الذين لا يعرفون الصلاة طرفة عين، فأتاهم مجموعة من جماعة التبليغ، ونقلوهم من الضلال للهدى، وأصبح تجار المخدرات من أكثر الناس عبادة وتقوى وصلاحا.. حتى تعجب الناس من هذه النقلة، وأصبح هؤلاء مع التبليغ يقولون فأتاهم آخر ممن يحذر من هذه الجماعة، وأخبرهم أنهم لو كانوا على المخدرات لكان أهون من كونهم مع التبليغ، وأن الله لن يقبل أعمالهم، فترك هؤلاء العبادة وتركوا الصلاة ورجعوا للمخدرات».

وقد قابلنا في أثناء سفرنا بصحبته عددا كبيرا ممن تابوا على يد هذه الجماعة، وكانوا يقصون عليه قصصهم قبل الهداية، وما كانوا عليه من الفسوق والعصيان.

زرنا أحدهم في تثليث ودخلنا بيته ورحب بنا، وكان يضع يده على مسند، فسأله الوالد رحمة الله: أين كنتم تخفون المخدرات؟ فقال: في هذه المسندة التي تحت يدي، والحمد لله على الهداية.

(١) <http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>

ومن الأسباب في هذا الموقف معرفته لبعض كبارهم: كالشيخ يوسف الملاحى، وكذلك تدريسه لبعضهم في المعهد والكلية والمساجد، ولم يجد منهم شيئاً ينكره عليهم في العقيدة والعبادة والعمل.

### موقفه من جماعة الإخوان المسلمين

موقف الوالد رحمه الله من جماعة الإخوان المسلمين يسير في المنهج نفسه، الذي سار عليه مع جماعة التبليغ، فهو يثني عليهم فيما عندهم من الصواب، وينصح لهم فيما عندهم من أخطاء، يقول رحمه الله:<sup>(١)</sup> «الإخوان المسلمون نحسن الظن بهم، ونعتقد أنهم قصدوا الحق ونصروا الدين، ونعذرهم فيما يكون بينهم من مبتدعة في العقيدة أو في الأعمال أو في المزارات على وجه السامحة، رجاء تأثيرهم في أهلها.... إذا كانت أعمالهم لا تصل إلى الكفر».

وهذا الرأي منه رحمه الله قديم، ولا شك أن جماعة الإخوان من الجماعات الكبيرة المنتشرة في العالم الإسلامي، وأن لها الأثر الفاعل في إحياء الحس الإسلامي في كثير من الدول، ولكن الجماعة ينتسب لها كثير من الناس من مختلف الفرق والطوائف، التي عندها بدع وشركيات، وهذا ما جعل بعض طلاب العلم ينتقدونها.

ورأي الوالد رحمه الله لا يخالف رأيهم من حيث الموقف من هذه الشركيات أو البدع، لكنه رحمه الله يفرق بين أفرادها بحسب معتقداتهم ويذكر الحسنات والأخطاء.

ولهذا فإنه إذا سئل عن هذه الجماعة من حيث الجملة أو عن بعض أفرادها بين الأمرين، فقد سئل مثلاً عن بعض رموز الجماعة، فقال<sup>(٢)</sup>:

(١) مقابلة للوالد مع الدكتور عادل باناعمة نشرت في مجلة الجسور ١/٥/١٤٢٤هـ.

<http://banaemah.com/media1.asp?id=20&flag=1>

(٢) الفتوى رقم ١٢٢٦٤.



«هؤلاء العلماء لهم فضلهم وعلمهم، ولهم شهرة ومكانة في النفوس، ومع ذلك لهم زلات وهفوات واختيارات مخالفة للشرع، فيؤخذ ما هو صواب من أقوالهم وفتاواهم، وتترك تلك الهفوات والزلات، فإن كل جواد له كبوة».

ولما سأله فهد السندي عن النقل من كتب سيد قطب دون إشارة مخافة الإشكالات التي أثيرت حوله، قال<sup>(١)</sup>: «انقل عن هذا الكاتب ولا تتردد، دون أن تنسب إليه إذا كان في النسبة إليه ضرر، لأنك تعلم أن ابن أبي العز الحنفي لما شرح الطحاوية نقل عن ابن تيمية ولم ينسب إليه، لما كان من ضرر وعدم قبول لاسمه في ذلك الوقت. لا عليك، الحق هو الذي يبقى يا فهد، وسترى ما أقول لك في القريب». ولاشك أن الوالد رحمه الله يعي الفرق بين من ينتسب لهذه الجماعة وبين من ينسب إليها أو يصنف على أنه منها.

وقد حدث كما ذكرت صراع عنيف في أثناء حرب الخليج وما بعدها بين طوائف من التيار السلفي والتيار الإخواني، سواء أكانوا من المنتسبين أم من المصنفين، لأن في الساحة كثيراً من الأفراد المستقلين عن الجماعات، ممن أخذ شيئاً مما عند هذه الجماعات من الحق، وترك ما عندها من الخطأ، ولا شك أن لهؤلاء الأفراد أيضاً اجتهادات خاطئة، سواء في القضايا الشرعية أو الواقعية من سياسية واجتماعية. وقد يكون الخلاف من باب التنوع لا التضاد، لكن يضيق بعض المختلفين بالرأي الآخر، أو يرى ولي الأمر من باب السياسة الشرعية أن هذا الرأي لا يناسب نشره في الناس، وتأخذ الداعية أو طالب العلم الحماسة في حقبة نشوة أو غفلة أو تشويش من العامة والغوغاء، فيخالف رأي ولي الأمر، ولهذا حدث ما شهدته الساحة الدعوية من مناقشات أو مناوشات أو إشكالات بين الدعاة وبين بعضهم وبين الحكام.

(١) مجلة صفاء الإسلام <http://www.safa-alislam.net/7/faqeed2.htm>

ولم يكن الوالد رحمه الله بعيداً عن هذه الصراعات، بل كانت تؤله وتقض مضجعه، وكان يتعامل معها بحكمة وعدل وعقل، كما ذكرنا من قبل.

كان ينصح الدعاة الذين يظهر منهم بعض التجاوزات والاجتهادات غير الصائبة، وينصر أيضاً من يحس أنه ظلم بقول أو فعل، كان رحمه الله ينصرهم بقوله وفعله، ومع أنه أصابته بعض السهام، إلا أنه لم ينتصر لنفسه أو يدافع عنها، فكان محبوب الوالد رحمه الله يدافعون ويدفعون عنه.

يقول الدكتور حبيب بن معلا المطيري تعليقا على صنيع أحد المواقع الإلكترونية، التي تسير في هذا الاتجاه في يوم وفاة الوالد رحمه الله<sup>(١)</sup>: «مضت الآن قرابة الإحدى والعشرين ساعة على وفاة الشيخ رحمه الله.. ولم أر في المنتدى موضوعاً واحداً أو خبراً مقتضباً عن وفاة الشيخ رحمه الله.. ومضى يوم كامل على وفاة الشيخ تواجد خلاله عدد ضخم من الأعضاء في المنتدى من دون أن نرى منهم ولو موضوعاً واحداً تكفي به الإدارة وتقبله.

أرحيل سماحة الوالد الشيخ عبد الله بن جربن رحمه الله بعد خمسين عاماً قضاه في العلم وفي الدعوة ليعني شيئاً لهؤلاء؟».

ويقول الشيخ نور الدين درواش<sup>(٢)</sup>: «غلاة التجريح أخذوا بعض كلامه واستغلوه لإسقاط الشيخ ودحره، والتحذير منه وتسفيهه وتبديعه، بل قال قائلهم: إنه ليس بعالم ولا هو بسلفي».

ويقول الشيخ إبراهيم محمد السماعيل<sup>(٣)</sup>: «وبرغم كل خصاله الحميدة وبذله لخدمة هذا الدين وصلاحه وتقواه وزهده، وقبل ذلك علمه،

(١) <http://www.benaa.com/Read.asp?PID=1441506&cnt=0&Sec=0>

(٢) <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=180496>

(٣) <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=179870>



وعمله انبرت له فئة..... أخذت على نفسها السعي لثلّم هذا الجبل، فاتهموه في عقيدته وفي علمه وفي منهجه، ولاكته الألسن، وأسيء معه الأدب، فما زاده ذلك إلا عزا ورفعة وسموا، مضى في طريقة مجاهدا بعلمه، غاضاً بصره وعقله عن سفاهاتهم، داعياً لهم بالهداية، مفضلاً أمره إلى الله».

وأرسل إليه سائل سؤالاً، قال فيه<sup>(١)</sup>: «وصلتني أخبار قالوا فيها: إنك من رؤوس القطبية فهل هذا صحيح؟ فأرجو منك يا شيخ أن تطمئنني بجوابك، فقد كثر الكلام اليوم على العلماء والتجريح فيهم، فأصبح كل من هب ودب يتكلم في أعراض العلماء والطعن فيهم، وذكر بعض العلماء كالشيخ بكر أبو زيد رحمته الله.

فأجابه رحمته الله بجواب طويل قال فيه: وصلنا خطابك وسرّنا ما فيه من التوجه، وما تقوم به من النصيحة، ومقاومة المبتدعة، فتمسك بالسنة، وسر على نهج السلف..... ولا شك أن الذين يقدحون في علماء الدين، ويتبعون الهفوات، فيجعلون من الحبة قبة، أنهم بعيدون من الصواب، فلا يغتر بهم، فالواجب أن يسمع من العلماء، وإذا رئي منهم شيء من الخطأ فإنهم يعذرون، لأنهم مجتهدون، والمجتهد له أجر على اجتهاده، ولحوم العلماء مسمومة، والطعن فيهم طعن في العلم الذي هو ميراث الأنبياء».

وإذا سألت: لم توجهت السهام للوالد رحمته الله دون غيره؟ فإن ذلك بسبب كونه دافع عن نالتهم سهام التجريح، وكان رحمته الله صريحاً في هذا المقام، لا يوري ولا يوارب، بل كان شديد العبارة قاسياً في بعض الأحيان، ولعلي أضرب مثلاً ببعض عباراته رحمته الله.

(١) <http://ibn-jebreen.com/?t=fatwa&view=vmasal&subid=4356>

يقول **رحمة الله**<sup>(١)</sup>: «الواجب عليهم إذا رأوا خطأ في أحد كتب المشايخ المشهورين، أو في شريط من أشرطةهم، أن يُراجعوا ذلك الشيخ، ويتثبتوا من هذا الخطأ، فإن كان خطأ صحيحاً أفتعوا ذلك العالم بما رأوه، فهو سوف يتراجع عن خطئه، أما إن كان ليس عليه خطأ، فإنه سوف يُبين لهم الصواب والقول الصحيح، ويوضح لهم سوء فهمهم، والظاهر أن هؤلاء ليس قصدهم النصيحة ولا التحذير من الأخطاء، وإنما قصدهم التعصب لبعض مشايخهم، الذين اشتهروا بالميل إليهم، والذين بينهم وبين هؤلاء المشايخ منافسة حصل من آثارها مقاطعة وبغضاء وأحقاد وعداوات، بحيث صاروا يُخطئون كل من خالفهم في منهجهم، ويرمونه بأنه قطبي كما يقولون أو إخواني أو سروري..... عليكم بالمبتدعة الذين يدعون إلى البدع: كعبادة الأموات وعمارة المشاهد التي هي كالأصنام، وإحياء الموالد المبتدعة، وكذلك المبتدعة في العقيدة كالروافض الذين انتشر شرهم وتمكنوا في كثير من البلاد، وكذلك المعتزلة والمتصوفة والأشاعرة والإباحية والعلمانية والحدائثية والبعثية والإباضية ونحوهم، من الذين تُحقق كفرهم أو ابتداعهم وعُرف كثرة خطرهم وشرهم على الإسلام والمسلمين فهم أولى بأن توجه إليهم الردود ويُحذر المسلمون من شرهم».

وهذا الكلام هو كلام علمائنا وقد وجدت لمعالي الشيخ صالح بن فوزان **حفظه الله** كلاماً قريباً من كلام الوالد **رحمة الله** يقول معاليه<sup>(٢)</sup>: «اتركوا الكلام في الناس، فلان حزبي... فلان كذا... ابذلوا النصيحة وادعوا الناس إلى اجتماع الكلمة، وإلى تلقي العلم عن أهله، وإلى الدراسة الصحيحة، إما دراسة دينية وهذه أحسن، أو دراسة دنيوية تنفع نفسك وتنفع مجتمعك، أما

(١) الفتوى رقم ٨٠٤.

(٢) <http://www.albaidha.net/vb/showthread.php?t=5741>



الاشتغال بالقييل والقال، فلان مخطيء، وفلان مصيب، وفلان كذا... هذا هو الذي ينشر الشر، ويفرق الكلمة، ويسبب الفتنة... إذا رأيتَ على أحدٍ خطأ.. تناصحه بينك وبينه، ولا تجلس في مجلس تقول فلان فعل كذا وفلان فعل كذا... تناصحه فيما بينك وبينه.. هذه النصيحة، أما كلامك في المجلس عن فلان، فهذه ليست نصيحة هذه فضيحة.. هذه غيبة.. هذه شر..».

وكما يعلم القارئ فإنه لم يسلم أحد من الكلام حتى الشيخ الألباني رحمته الله قالوا عنه إنه من مرجئة الفقهاء، ويكثر من الكلام فيه والحديث عن أخطائه. وقد سئل الوالد عنه رحمته الله فقال كما سبق نقله<sup>(١)</sup>: «نعتقد أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله من حملة العلم، ومن أهل الحديث، ومن علماء الأمة الذين لهم مكانة كبيرة بين العلماء. فقد خدم العلم وخدم الحديث، وجهر بالحق، وألف المؤلفات النافعة، ولكنه تساهل في بعض المسائل... وهذا من الأخطاء التي له فيها عذر، ولكن يُتَجَنَّبُ خطؤه، ولا يلحق بمرجئة الفقهاء، الذين يقولون: إن الأعمال ليست من الإيمان، والذين يغلبون جانب الرجاء ويبيحون المعاصي، فهو بريء منهم».

وقد رد على الوالد رحمته الله كثير منهم. ولكنه لم يلتفت لهذه الردود، ولم يشغل نفسه بها.

### موقفه من الجهاديين والتكفيريين

لقد جمعت موقف الوالد رحمته الله من هاتين الطائفتين، مع أنه يفرق بينهما؛ لأن كثيراً من الناس لا يميز الفرق، إذ قد غلبت على ساحات الجهاد في كثير من مناطقه الأفكار التكفيرية، ولست بصدد الحديث عن كيف تم

(١) الفتوى رقم ١١٩٦٨.

ذلك وإن كان ذلك مهماً؛ لأننا نتحدث عن سيرة الوالد رحمه الله، والحديث عن هذه المسألة يخرجنا عن موضوعنا.

إن الجهاديين هم فئام من الشباب الذين يملأ حب الإسلام قلوبهم، وقد سيطر عليهم همُّ نصره المسلمين في المناطق الساخنة من العالم الإسلامي، كفلسطين، وأفغانستان، والعراق، وكشمير، والشيشان، وغيرها من المناطق التي استولى عليها الكفار ونحوهم وعرضوا أهلها للفتن، ولا شك في صدق هذه الطائفة وإخلاصها وإن كان عندها تشدد فيما يتعلق بالنظرة إلى حكام المسلمين وعلمائهم وشعوبهم، لكن هذه النظرة لا تصل للتكفير ولا حتى التفسيق، وإنما هي دائرة في محيط الاتهام بالركون إلى الدنيا، والخلود للراحة، والتعلق بالشهوات. وقد كان الجهاديون يملأون ساحات الجهاد في أفغانستان في أول أمرها، إذ قد أحييت الظروف في تلك الأيام شعيرة الجهاد في نفوس الكثير من الشباب، فانطلقوا إلى هناك زرافات ووحدانا، بدعم وتشجيع من المؤسسات الرسمية والشعبية، وتولدت عندهم هذه النظرة بسبب ما يعيرونه من أجواء حماسية، وإحساس بقيامهم بواجب شريف قصر فيه الكثير من الحكومات والشعوب، وبعد تمكن أفكار التكفير، واختلاف وضع الجهاد في أفغانستان من حرب للكفار إلى حروب أهلية وصراعات محلية، انتقل كثير من الجهاديين للشيشان وداغستان ونحوهما من مناطق الصراع مع الكفار، لكن كانت تلك المناطق بعيدة عن الأضواء، فحُفَّت تواصلهم مع البلاد الإسلامية بعد أن سيطر الفكر التكفيري على كثير من الساحات.

أما التكفيريون فمعروفون اليوم في كل مكان، يفتي فيهم العلماء، ويتكلم عنهم الحكام والساسة، وتعرض عنهم وسائل الإعلام، وتعقد المؤتمرات العلمية لمناقشة أفكارهم والرد عليهم والتحذير منهم.





فبين الجهاديين والتكفيريين شأو بعيد وفرق شاسع، لكن اختلاط الأوراق، ووجود النظرة المتشددة لدى الجهاديين في نقد غيرهم ولومهم على القعود، جعل كثيراً من الناس لا يفرق بينهما، فلا يعرف الفرق سوى المتخصصين من طلاب العلم، والمفكرين والساسة ورجال الاستخبارات.

وفي هذا الموضوع سأحدث عن موقف الوالد رحمته الله من الجهاد ومن التكفير، وسيتبين كيف يفرق رحمته الله بينهما، فهو مع الجهاد والمجاهدين بقلبه وعلمه ودعمه، بشروط الجهاد المعروفة، وضوابطه الشرعية، وأدابه، وأخلاقه، وهو ضد التكفير، والتفجير، والإفساد، والعدوان.

ولتفريق الوالد رحمته الله وغموض هذا الفرق عند كثير من الناس، اشتبه عليهم موقفه، ولم يدركوا حقيقة أمره، فناقشه من ناقشه، وانتقده من انتقده، واجتذبه من اجتذبه، بل حتى إن أفراد تنظيم القاعدة هم فيه من المختلفين، فبعضهم يجعله نصيراً ظهيراً، وبعضهم يجعله مدهناً قاعداً كما سترى في هذا المبحث.

ولعلي هنا أبدأ بنظرة الوالد رحمته الله للجهاد والمجاهدين؛ لأنها أخف على النفس وأقرب للقلب، ثم أثنى بموقفه من التكفيريين خاصة تنظيم القاعدة، إذ هو أهم الجماعات التكفيرية التي تناولها الوالد رحمته الله ودار بينه وبينها سجالات، فالجماعات التكفيرية الأخرى كالتكفير والهجرة، والجهاد، وغيرهما لم يحصل معها حوار، سوى نصائح أرسلها بواسطة بعض طلاب العلم الجزائريين إلى أفراد من الجماعة المسلحة في الجزائر ساشير إليها إن شاء الله باختصار.

ودعني قبل هذا آتي لك بجواب للوالد رحمته الله لما سئل عن الإرهاب، يعطيك تصوراً عن نظرتة العامة لمصطلح الإرهاب الذي كثر استخدامه في هذا العصر،



واستفله الأعداء لرمي المتدينين من حيث الجملة به، يقول **رَحِمَهُ اللهُ** <sup>(١)</sup>: قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فالإرهاب هو تخويف الأعداء من الكفار، وجمع العدة حتى يخافوا من قوة المسلمين، والرهبنة عبادة لله تعالى، وصف الله تعالى بها بعض عباده في قوله: ﴿وَيَدْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وأمر بها في قوله: ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠]، فالإرهابيون هم الذين يرهبون الكفار من اليهود والنصارى بالكثرة والعدة والعتاد، ثم إن بعض الدول في أمريكا وفي تونس نقلوا هذا الاسم إلى كل من يخافون أن يثور عليهم أو يكفرهم أو يعلن فضائحهم، فصاروا يسمون الصالحين والمصلحين بهذا الاسم، ويعتقدون في كل من يحافظ على حدود الله، ويواظب على الصلوات، ويعضي لحيته، ويرفع لباسه إلى نصف الساق، ويمتتع من سماع الأغاني والملاهي، ويفتي بتحريم السفور والتبرج والاختلاط بين الرجال والنساء ويحرم ذلك، فهذه السمات جعلوها صفة لمن يسمونه إرهابياً؛ لأنهم يحذرون أنه يكفر رؤساء الدول التي تبيع هذه الأعمال وهذه المخالفات، فيخشون أنه يثير أفراد الرعية، ويحرضهم على الخروج عن الطاعة وتكفير الأئمة وولاية الأمور، واستباحة قتالهم، هكذا.

ونرى أن هذا ليس بصحيح، فليس كل متمسك بالشريعة ومنتزه عن المحرمات يُعدُّ مكفراً للدولة ومبيحاً لقتالها، بل الأصل أنه يعمل بواجبات الإسلام ومستحباته، ويترك المحرمات والمكروهات عبادة لله تعالى، وخوفاً من عذابه، فلا يجوز إصاق الظن والتهمة بمثل عباد الله الصالحين، فإن الظن أكذب الحديث، ولكن مع ذلك ينصح من يخاف منهم التشبيب والتسرع بالتكفير أو التفسيق».

(١) الفتوى رقم ١٢٤٢٧.



فهو إذن **رزمة** الله يرى وجوب ضبط المصطلحات وتفسيرها بالتفسير الشرعي؛ لتستقيم أمور الناس، ولا يُرْمَى أحد بغير ما فيه.

ويمثل هذه النظرة ينظر **رزمة** الله للجهاد والمجاهدين فيقول عن الجماعات الجهادية في العراق<sup>(١)</sup>: «الجماعات من أهل السنة التي تقاوم القوات المحتلة لها أن تعمل ما تقدر عليه من رد عدوان أهل الاحتلال، وبالأخص إذا كانت هذه الجماعات على عقيدة أهل السنة والجماعة، ولو كانوا ينتمون إلى الإخوان المسلمين، ويطيعون رئيسهم، ولم يكونوا من أهل التكفير للمسلمين، وتمسكوا بالمنهج السلفي، وكانوا على صلة بالعلماء. وكانوا أو بعضهم من طلبة العلم الذين درسوا على مشايخ معتبر بهم، ولا عبرة بمن أساء الظن بهذه الجماعات، وهاجم المجاهدين الذين يصدون عدوان المعتدين واحتلال الصليبيين لبلاد المسلمين، فلا يجوز مهاجمتهم باللسان، ولا اعتبار أنهم يكفرون المسلمين، وما صدر من بعض العلماء الذين أفتوا بعدم مشروعية الجهاد في العراق إنما شرطوا إذن الإمام وإذن الوالدين والتحقق من أنهم يجاهدون الكفار، فمتى حصلت هذه الشروط فلا يجوز الاعتراض على المجاهدين من أهل العراق الذين يصدون اعتداء من اعتدى عليهم عملاً بقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، فإذا علم أن هناك في العراق أو في الأفغان أو الشيشان أو كشمير أو غيرها طائفة يجاهدون الكفار ويصدون عدوانهم، فلا يجوز الاعتراض عليهم، ولا اتهامهم بأنهم جهلة أو متحمسون حماساً غير جائز، أو أنهم تكفيريون؛ لأنهم إنما يقاتلون الكفار عملاً بقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَيُنلَوُا الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣]. والله أعلم».

(١) الفتوى رقم ١٢٤٨٨.

فهو **رغبة** الله يرى وجوب الجهاد بشروطه وضوابطه في المناطق التي هاجم فيها الكفار المسلمين، ومن الضوابط والأحكام التي يشير إليها دائماً في فتاواه ومحاضراته: أن الجهاد فرض عين على أهل البلاد فرض كفاية على من سواهم. وأنه إذا كان فرض كفاية اشترط فيه الاستئذان من ولي الأمر ورضا الوالدين، يقول **رغبة** الله<sup>(١)</sup>: «ذكر العلماء أن الجهاد فرض كفاية، وأنه يكون فرض عين إذا حضر الصف، أو استنفره الإمام، أو دهم العدو البلاد التي هو فيها. ولا يلزم الجهاد إلا مع القوة والقدرة، ولا بد في فرض الكفاية من إذن الوالدين لقول النبي ﷺ: «رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين»<sup>(٢)</sup>، ولا بد أيضاً من إذن الإمام الذي هو والي المسلمين، فهو أعلم بمصلحة البلاد وما يناسبها، ولا شك أن ما حل ببلاد المسلمين إنما هو عقوبة وتسليط من الله تعالى بسبب الذنوب. ومتى عاد المسلمون إلى ربهم وأخلصوا له العبادة فإنه ينصرهم ويرد كيد عدوهم».

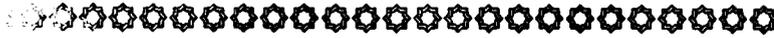
وهو يشدد **رغبة** الله في اشتراط رضا الوالدين. وقد أتح عليه أحد الشباب في سؤاله حول هذا الموضوع فقال في سؤاله<sup>(٣)</sup>: «أنا شاب تعلق قلبي بالجهاد في سبيل الله وحب الشهادة. وأريد أن أذهب للجهاد في العراق. ولكن أمي رافضة ذهابي، مع أنني بينت لها فضل الجهاد وحال الأمة، وما زالت رافضة. ولكن يا شيخ أمي لا تريد ذهابي للجهاد خوفاً عليّ من الموت، وليس عندها غيرة على هذا الدين، فما رأي فضيلتكم، هل أذهب من دون إذنها، مع علمي التام أنني إذا ذهبت واستشهدت بإذن الله سوف تسامحني؟»

(١) الفتوى رقم ١١٥٣٤.

(٢) أخرجه الترمذي في باب من الفضل في رضا الوالدين من كتاب البر والصلة برقم / ١٨٩٩.

(٣) الفتوى رقم ١٥٣٦٩.





فأجابه **رحمة الله** بقوله: يجب عليك طاعة الوالدين، فقد قال النبي **ﷺ**:  
 «رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالدين»، واستأذن  
 رجل في الجهاد فقال له النبي **ﷺ**: «أحيي والداك؟» قال: نعم، فقال: «ففيهما  
 فجاهد»<sup>(١)</sup>، وقال لآخر: «هل لك من أم؟»، قال: نعم، قال: «فألزمها، فإن  
 الجنة تحت رجلها»<sup>(٢)</sup>، والجهاد في العراق قد منعتة الدولة، فلا يجوز إلا  
 بإذن من الدولة، فأحسن عملك، وجاهد نفسك، ولك أجر على نيتك».  
 وسأله سائل عن حكم الجهاد في العراق<sup>(٣)</sup>: «هل هو فرض عين أم  
 فرض كفاية؟».

فأجابه **رحمة الله**: حيث إن الجهاد لصد الأعداء وردهم إذا طمعوا في  
 البلاد الإسلامية من الواجبات، فإنه يكون فرض عين على أهل العراق الذين  
 دهمهم العدو، وفرض كفاية على غيرهم إذا لم يكن بينهم وبين ذلك العدو  
 ميثاق، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النِّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ  
 بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وسأله سائل عن حكم الجهاد في فلسطين فأجابه **رحمة الله** بقوله<sup>(٤)</sup>:  
 «حيث إن اليهود قد دهموا بلاد فلسطين، فإنه يتعين قتالهم على القادرين في  
 تلك الدولة إذا كان فيه نكاية بالعدو، وهكذا بلاد العراق والأفغان والشيشان  
 وكشمير، وغيرها مما يحاول العدو الفتك به واستغلال بلادهم، فيجب  
 عليهم قتال أولئك المعتدين، ولا يجب على غيرهم من الدول الأخرى إلا إذا  
 تيسر ذلك دون مفسدة».

(١) أخرجه البخاري في باب الجهاد بإذن الوالدين من كتب الجهاد والسير برقم / ٣٠٠٤.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى في باب الرخصة في التخلف لمن له والدة من كتاب الجهاد برقم / ٤٣١٢.

(٣) الفتوى رقم ١٢٧٩٨.

(٤) الفتوى رقم ١٢٩٤٨.

فهو مع الجهاد والمجاهدين بالدعاء والتسديد والدعم إذا تيسر، لكنه يضبط ذلك كله بضوابط شرعية ومصالحية، وإذا رأى من ينتقد المجاهدين أو يخذل عنهم، فإنه يدافع عنهم وينصح المتحدث. فقد حضر مرة خطبة في أحد جوامع الرياض مس فيها الخطيب المجاهدين في العراق ولزهم بالجهل ونحوه، فكتب له الوالد رحمة الله خطاب مناصحة وزوده ببعض فتاويه حول الموضوع.

وإذا استشهد أحد الشباب الذين ذهبوا للجهاد، وعرض عليه أحد الذهاب لمواساة أهله، فإنه يذهب إليهم ويعزيهم ويثبتهم ويبشرهم.

ولما رأى ما يصيب الشباب الذين يذهبون للعراق من البلاء والفتنة، وما حصل بسبب ذلك من أذى لأنفسهم وأهليهم أصبح يحذر من السفر للعراق. وقد نشرت معه مقابلة في صحيفة عكاظ قال فيها<sup>(١)</sup>: « لا شك أن سفر الشباب إلى العراق يشكل خطراً على أنفسهم وعلى الإسلام والمسلمين والعرب بأكملهم، وأن خروجهم للعراق فيه مذلة لهم، وضرر على الإسلام والمسلمين وعلى بلدهم أيضاً، ونحن ننصح الشباب بالألا يخرجوا إلا بإذن من الدولة؛ لأنه من واجب المسلم ألا يغزو إلا بإذن من الإمام أيًا كان ذلك الغزو». فهذا منهجه رحمة الله فيما يتعلق بالجهاد وشباب الجهاد الذين لم تؤثر عليهم شبهاات الجماعات التكفيرية.

أما منهجه مع الفريق الآخر وهم الشباب الذين تأثروا أو تبناوا الفكر التكفيرى فهو رحمة الله يرى أن الدولة السعودية دولة شرعية، وأن من كفرها أو خرج عليها فهو من الخوارج البغاة الذين يجب قتالهم حتى يفيئوا إلى أمر الله.

(١) العدد: ١٩٣٦، الخميس ١٣/٠٩/١٤٢٧هـ.





وهذا مشهور عنه رحمة الله في فتاويه ومحاضراته ودروسه ولقاءاته، يقول رحمة الله في إحدى الفتاوى<sup>(١)</sup>: «نحمد الله ونشكره على أن جعل الدولة في هذه المملكة تطبق شرع الله، وتتصب القضاة الشرعيين، وتعين الأئمة والخطباء، وترسل الدعاة إلى الله، وتقيم الحدود، وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ونحو ذلك مما تميزت به هذه الدولة عن غيرها، ولم تتعاون مع الكفار في الحرب على العراق وأفغانستان، ولم تتدخل في ذلك، لاعتقادها أن أهل العراق قد غيروا وبدلوا، فسلط الله عليهم هذا العدو، وأما أفغانستان فقد كفّروا هذه الدولة الإسلامية، أو كفرها بعضهم، لما استقدمت القوات الأمريكية لصد العدوان من حاكم العراق عليها وعلى ما جاورها، ومع ذلك فإنها ما تعاونت مع الكفار بأسلحة ولا رجال، وأما سجن أولئك الدعاة، فقد ظهر لها عذر في ذلك، بأن هؤلاء قد عملوا مع من حصل منهم الإفساد في البلاد، وعمل التفجيرات وما أشبه ذلك، أو تكلموا في ذلك بغير إذن، مع أن العلماء قد ذكروا أن الجهاد لا يجوز إلا بإذن الإمام، فإن نظرهم أتم من نظر الأفراد».

ويقول رحمة الله في فتوى أخرى<sup>(٢)</sup>: «نحن لا نكفر مثل هؤلاء ولو كانوا من الخوارج، فقد ثبت أن علياً رضي الله عنه قاتل الخوارج وسئل: هل هم كفار؟ فقال: «من الكفر فروا»، قيل: هل هم منافقون؟ قال: «المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً وهؤلاء يذكرون الله كثيراً»، فقيل: فما نقول فيهم؟ قال: «هم إخواننا بالأمس بغوا علينا»، أي إن مثل هؤلاء الخارجين يطلق عليهم اسم البغاة. وقد ذكر العلماء ما يقال فيهم وما يعاملون به في باب قتال أهل البغي في الكتب الفقهية، ولا شك أن هؤلاء البغاة لهم شبهة، حيث يطالبون بإخراج المشركين

(١) الفتوى رقم ١٥٣٧٣.

(٢) الفتوى رقم ١٣٥٧٠.

وبترك موالاته أمريكا، ولكنهم لم يتفطنوا للحكمة في بقائهم، ولم يعرفوا ما في ذلك من المصلحة، وما ذكر عن ابن عبد الوهاب وابن تيمية إنما هو في محبة المشركين ونصرهم على المسلمين، كما وقع في الحروب مع التتار الذين قتلوا المسلمين في خراسان وفي العراق والشام، حتى أذلهم الله ونصر الله دينه، وهكذا ما حصل في عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لما تسلط عليه الأعداء، وكذلك على ولاية الأمر في هذه المملكة، فإن أولئك بغاة متسلطون، فلذلك نهى عن القتال معهم وبكل حال فإن هؤلاء الذين يطالبون بإخراج الأمريكيان من جزيرة العرب لهم شبهة، وقد خفي عليهم أن الأمر بالإخراج عدم تمكينهم من التملك، وأما بقاؤهم كعمال أو لمصلحة فلا يعمه هذا الأمر بالإخراج».

وهذان النصان من فتاويه في آخر حياته، فالأولى في عام ١٤٢٧هـ، والأخرى في عام ١٤٢٦هـ، وهي واضحة المعنى، ويمكن من خلالهما تحديد معالم منهجه وموقفه من هذه الفتنة.

والمشكلة أن ليس كل أحد يستطيع أو يقبل أن يفهم هذه النظرة المتوازنة العامة، وبخاصة إذا أشير لبعض معالمها في ثنايا الكلام، ولهذا التبس على بعض الناس فهم موقف الوالد رحمته الله من تنظيم القاعدة أو من أسامة بن لادن، ولهذا ترى في الإنترنت بعض الإخوة يشيرون أن الشيخ رحمته الله يثني على ابن لادن اعتماداً على مقطع صوتي قديم. وقد سئل رحمته الله عن هذا المقطع فقال<sup>(١)</sup>: «لعل هذا الصوت كان قديماً، أي قبل عشرين عاماً أو نحو ذلك، فإن هذا الرجل بذل جهداً كبيراً في الجهاد ضد الشيوعيين الذين حاولوا الاستيلاء على بلاد المسلمين في الأفغان، كما بذل ذلك الشيخ عبد الله عزام وغيره، ثم إنه في الأخير صدر منه كلام يعيب فيه الدولة الإسلامية في

(١) الفتوى رقم ١٣١٧٤.



المملكة، فلأجل ذلك أنكر عليه كلامه الشيخ ابن باز رحمة الله، كما أنكر على سعد الفقيه ومحمد المسعري تكفيرهم للمسلمين».

وقال عنه في فتوى أخرى<sup>(١)</sup>: نحن ليست لنا معرفة ظاهرة أو خفية بمنهجه إلا ما ذكر من تشدده بالتكفير، وهذا مما لا يوافق عليه، وهو منهج البغاة الذين قاتلهم علي رضي الله عنه».

وقد سئل عن بعض أفراد هذه الفرقة كعبد العزيز المقرن وأتباعه فقال<sup>(٢)</sup>: «عمله يعتبر خطأ وضللاً، وهو وأتباعه خارجون عن طاعة ولاة الأمور، قد خلعوا ببيعة إمام المسلمين، ومن خلع الطاعة وفارق الجماعة ومات فميتته ميتة جاهلية. والواجب عليهم الاستسلام لأمر الله ولأمر ولاة الأمور، وهناك الكثير من العلماء خطؤوهم وضللوهم وأخرجوهم من جماعة المسلمين».

وبسبب خفاء هذه النظرة المتوازنة على كثير من الناس، تجد أن أفراد تنظيم القاعدة يختلفون فيه رحمة الله، فبعضهم يجعله من علماء السلطان المدهنين؛ لأنه يبيح قتل المجاهدين، وبعضهم يقول إنه ليس من علماء السلطان؛ لأنه يؤيد الجهاد والمجاهدين، ولا أريد أن أنقل نصوصهم لما فيها من العبارات النابية التي لا تناسب في مثل هذا الكتاب، لكنها كثيرة مشهورة في مواقع الإنترنت.

ومع هذا فهو رحمة الله رفيق بهم. يحاول بهذه النظرة أن يصل لإقناعهم. وكان يقول لمن نتركهم، وبخاصة إذا رأى جفاء طلبة العلم معهم وغلظتهم عليهم، وكنا نرتب لبعض من يريد الاستفسار منهم لقاءات مع الوالد رحمة الله ليزيل

(١) الفتوى رقم ١٢٠٩٤.

(٢) الفتوى رقم ١٢٤٣٦.

الشبهات التي عندهم، ويخرجون له ما في قلوبهم، ومن فتاواه عنهم قوله<sup>(١)</sup>: «هؤلاء الذين فكروا هذه الأفكار عندهم علوم عامة، أخذوها من بعض الآيات والأحاديث وكلام بعض العلماء على بعض الآيات التي فيها النهي عن التولي والموالة، وفاتهم النظر في المصلحة، وطبقوا الموالة على المعاهدة والأمان، وظنوا أنهم إذا قتلوا كافرًا فلا إثم عليهم، وقد قال النبي ﷺ: «لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده»، أي لا يحل قتل المعاهد ما دام باقياً على عهده، وتنصح شباب المسلمين بأن يرجعوا إلى علمائهم، وأن يسمعوها ويطيعوها لولاة أمرهم. ويبتعدوا عن هذه الخلافات وهذه المعاصي التي تسبب الفتن والأذى للمسلمين الأمنين.

ولكن نظراً لاختلاف المدارك والأهواء، فإن بعضهم قد أساء للوالد *رحمة الله*، وادعى أنه يفتيهم في بعض أفعالهم التي قاموا بها سواء على مستوى الأفراد كبعض الذين ذهبوا للجهاد في العراق أو في غيره. وزعموا أن الوالد *رحمة الله* هو الذي أفتاهم، أو على مستوى تنظيم القاعدة.

ومما أذكره من ذلك أن سمو الأمير ممدوح بن عبدالعزيز *رحمة الله* أرسل خطاباً للوالد *رحمة الله* يسأله عن شخص ممن ذهب للعراق وقال: إن الشيخ ابن جبرين هو الذي أفتانا بالذهاب للعراق. وقد رد عليه الوالد بإنكار ذلك.

وبثت قناة الجزيرة بعد أحداث سبتمبر شريطاً لشخص يقال له أحمد الغامدي قال فيه: إنهم استعانوا بفتاوى للمشايخ وذكر منهم الوالد *رحمة الله*، فلما سئل *رحمة الله* عن ذلك قال<sup>(٢)</sup>: «لا نعرف هذا الرجل المسمى بالغامدي، ولا أتذكر أنني قابلته، وما ذكر من أن هذه الحوادث صدرت بفتوى عن بعض

(١) الفتوى رقم ١٣٥٦٧.

(٢) الفتوى رقم ٥١٧٣.





المشايخ وذكر اسمي من بينهم لا صحة لذلك، إذا كان يريد الحوادث التي في ١١ سبتمبر في دولة أمريكا، وأما عمليات الاستشهاد في فلسطين فقد صدر مني فتوى بإباحتها، وذلك لأن الفلسطينيين يلاقون من العذاب الشديد ما يتمنون معه الموت لشدة الألم والعذاب. فيريدون أن يتخلصوا من عذابهم، ومع ذلك ينكلون بهم ويوقعون فيهم موتًا وجراحًا وأضرارًا توهن من قوتهم وتحذ من تسلطهم. وقد أباح ذلك العمل منهم كثير من المشايخ داخل المملكة وخارجها، ومنع ذلك بعض العلماء. ولكل منهم اجتهاد، وبكل حال فإني لم أفت بتلك الحوادث، وقد صدرت مني فتوى في شهر صفر عام ١٤٢٢هـ بشأن حركة طالبان في أفغانستان، وأنهم أقرب إلى الصواب من أصدادهم أهل التحالف الشمالي، وأن التبرع لهم جائز؛ لأنهم يحكمون شرع الله فيما ظهر منهم، ولما نشرت تلك الفتوى استدلت بها بعضهم على جواز الفتك بكل الأعداء بكل الكفار، فصدرت منا نشرة في ١٧ من رجب العام الماضي وتبرأنا فيها من الاشتراك في تلك الحوادث في دولة أمريكا، ونشرت تلك الفتوى مما يتبين بها كذب هذه الدعوى التي أذيعت أخيرًا بصوت المدعو أحمد الغامدي».

ومن أشهر ما لبسوه على الوالد رحمة الله فتوى طالبان المشهورة، ولعلي أفصل الحديث عنها كما سبق أن وعدت بذلك.

فقد جاء أحد الشباب يكنى أبا عثمان، ولم أعرف اسمه، وهو من هذه الفئة - هدام الله - بسؤال قال فيه: «لا يخفى عليكم ما يعانیه إخواننا في أفغانستان من محاصرة أعداء الله لهم، وضنك العيش، وقلة الناصر والمعين، وتكالب أعداء الإسلام من أنحاء العالم على هذه الدولة (دولة الطالبان الأفغانية). ومع هذا كله لا تزال تحاول الصمود لإقامة شرع الله في أرض الله، وهم في أمس الحاجة إلى نصرتهم والوقوف معهم في محنتهم. فما



حكم نصره هذه الحركة بالمال والنفس والدعاء؟ وما توجيهكم لطلاب العلم وأصحاب الأيدي البيضاء وجزاكم الله خيراً؟».

وقد طلب منا الحصول على فتوى رسمية من الوالد رحمته الله فاعتذرنا بعد مشاورة الوالد لحساسية الموضوع في ذلك الوقت، ثم صلى مع الوالد صلاة الفجر وألح عليه في طلبها، وأخبرني الوالد رحمته الله أنه قال له: إنها لتاجر معين يريد التبرع وشرط وجود فتوى من الشيخ، وأنها لن تعلن وألح كثيراً، فكتبها الوالد رحمته الله وسلمها له، فلما ذهب بها إلى التاجر توجس منها وطلب منه مراجعتنا واتصل بي لأخذ الفتوى منه.

وعلمنا بعدُ أنه ذهب لأفغانستان وانقطع التواصل معه.

وبعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م فوجئنا بالفتوى تخرج وبتاريخ جديد، فعجبنا من فعلهم - هدامهم الله - من إخلاف الوعد وتزوير التاريخ.

وقد سببت هذه الفتوى حرباً للدولة وللوالد رحمته الله، فطلب منه أن يبين رأيه في الموضوع وفي الفتوى، فصدر عنه بيان مشهور نشر في الصحف وفي الإنترنت ووزع في مكتبه رحمته الله.

وقد ساء هذا البيان هذه الفئة وبعض المتعاطفين معها وقالوا فيه وفي الوالد رحمته الله وفي الدولة وبخاصة الأمير سلمان وفي أنا كلاماً كثيراً.

ولأن الموضوع مهم، وتوضيح الحقيقة فيه يجلي الأمر، فإني سأبسط الحديث فيه لتبين الحقيقة، وليُعلم الأمر على ما هو عليه.

الوالد رحمته الله يدين بالطاعة لولاة أمر هذه البلاد، ولا أعرف عنه أنه خالفهم في شيء أو عاندهم فيه، بل كان يبدي وجهة نظره التي يقدرونها، ولكنهم قد لا يأخذون بها، فهو كسائر كبار علماء بلادنا مع دولتهم محبة وتأييداً.

بعد نشر فتوى طالبان التي حذف تاريخها، وصور للناس أنها جديدة، وأنها تأييد لمن فعل هذا الفعل في أمريكا، وكان المتهمون أفراداً من تنظيم القاعدة التي تؤويهم طالبان في أفغانستان وتبناهم، سبب ذلك حرجاً للوالد مع ولاية الأمر، ولولاية الأمر أمام الرأي العالمي.

طلب الأمير سلمان من الوالد التوضيح والبيان لهذا الأمر، فأصدر *رحمة الله* بياناً وضع فيه الأمر، وأصله موجود عندنا بخطه *رحمة الله*، ولكننا كنا قد بدأنا في المكتب في إصدار الفتاوى مطبوعة، وليست بخط الوالد *رحمة الله* وعلى ورق رسمي للمكتب، وسأورده هنا بطوله ليراه القارئ.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

توضيح بشأن الأحداث الأخيرة في أمريكا

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده نبينا محمد وآله وصحبه وبعد...

فقد نُشِرَتْ قبل أيام عبر الإنترنت فتوى لنا كانت قد صدرت منا في شهر صفر من عام ١٤٢٢هـ، وقد حذف منها التاريخ ولم نأذن في نشرها، وبعد الأحداث الأخيرة لم يصدر منا شيء، ونقول بهذه المناسبة:

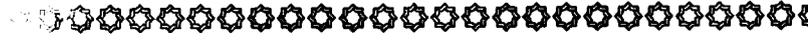
إن الله تعالى حرم أنواع الظلم والعدوان والبغي بغير حق، وأمر بالعدل والإحسان، كما قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال في حق كفار مكة: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢]، وأمر بالعدل معهم في قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾

أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴿٨﴾ [المائدة: ٨]، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»، رواه مسلم.

ثم إن ما حدث قبل أسابيع في دولة أمريكا من اختطاف الطائرات وهدم العمارات على من فيها من أنفس بريئة وأموال محترمة مما تنكره ونبرأ منه، وقد أنكره أكثر البشر مع اختفاء القائمين به وأسبابه ومبرراته؛ لأنه يعد إجراماً وخيانة ممقوتة في الشرائع كلها، وإذا كان الفاعل من الوافدين، فهو نقض للعهد الذي أمر الله تعالى بالوفاء به في قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]: لأنهم يدخلون كعاهدين ومستأمنين، وقد قال النبي ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة»، رواه البخاري، وهذا الفعل خيانة وغدر يحرمه الإسلام، وفي الحديث: «يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان»، متفق عليه.

ولا شك أن هذا الحادث قد حصلت من آثاره أضرار كثيرة للمسلمين، فهم مهددون بالقتل والتشريد بتهمة اشتراكهم في الجريمة، وربما كان سبباً لتعطيل الدعوة إلى الله وتشويه صورة الإسلام في كثير من البلاد.

ولنعلم أن هذه الأحداث من الفتن التي أخبر النبي ﷺ بأنها تكون في آخر الزمان، فعلى المسلمين أفراداً ودولاً التوبة النصوح وتحكيم شرع الله فإنه سبب للعزة والتمكين، ثم يجب أن يكون خوفنا من الله وحده، فإن من خاف الله خاف منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وعلينا أن نشق بوعده الله ونطلب النصر منه، ونعتمد على نصره وتأييده، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ



ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ [غافر: ٥١]، وعلى شباب الإسلام أن تكون تصرفاتهم مبنية على مراعاة المصالح والمفاسد التي قررها الشرع، ويصدروا في ذلك عن رأي علمائهم حتى لا يلحقوا الضرر بالمسلمين، كما أن على المسلمين التوحد والاجتماع على كلمة الحق المبين على الكتاب والسنة، ونبذ الاختلافات التي تكون سبباً في الفرقة، كما عليهم ألا ينسوا ما يعانیه إخوانهم المسلمون في فلسطين وغيرها وحاجتهم إلى الدعاء والعون، وأن يغيثوا إخوانهم اللاجئين الأفغان الذين فارقوا أوطانهم ووقفوا عند الحدود ومنعتهم الدول التي حولهم من النفوذ وبقوا في الصحاري والمخيمات الضيقة يلاقون الجوع والجهد والبرد ويهددهم الموت والمرض، فمن يتصور ما يلاقونه بكى - لاشك - رحمة بهم، وقد قال النبي ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن»، وقال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». فقد مثل المصطفى ﷺ الأمة الإسلامية بالجسد الواحد، بحيث إن كل مؤمن يتألم لألم المسلمين ويهمه ما نزل بهم، ويسعى حثيثاً في تخفيف ما حل بهم.

وبكل حال فإننا نبرأ إلى الله تعالى أن نقر العدوان والظلم على الآمنين، وننكر هذه الجرائم والمظالم، وندعو كل البشر إلى احترام نوع الإنسان، وعدم القتل إلا بالحق الذي وضعه شرعنا الشريف. والله أعلم وصلى الله على محمد.

قاله وأملاه

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

١٧/٧/١٤٢٢هـ

ولا أذيع سرًّا إذا قلت إنني عرضت هذا البيان على الأمير سلمان قبل نشره، ورأى إضافة بعض العبارات وحذف بعضها، وعرضت رأيه على الوالد فأضافها بيده، والأصول المخطوطة عندي محفوظة؛ لأنني كنت أخشى من مثل ما حصل مما سأذكره بعد قليل.

وبعد صدور التوضيح كثر القيل والقال في الإنترنت خاصة، وقالوا كلامًا كثيرًا، خلاصته أن البيان من صنعي، وأن الوالد رحمة الله أصبح العوبة في يدي، وأعددت في وقتها ردًّا كنت أريد أن أنشره، ولكنني تركته؛ لأن الحديث ليست له ثمرة.

وكان من أراد الاستيضاح من المحبين وأهل العدل جاء إلى الوالد أو إليّ واطلع على الموضوع وعرف ملاساته.

ولكن بعض الإخوة - هداهم الله - أسفوا وكذبوا وكان بإمكانهم استجلاء الأمر عن قرب، وبإمكانك الاطلاع على الروابط التالية<sup>(١)</sup> لترى بعض مقالاتهم، عفا الله عني وعنهم.

وممن ردًّا صريحًا باسمه الشيخ عبدالعزيز بن صالح الجربوع عفا الله عنه وقد سمى رده الطويل «الإيضاح المبين في بيان حقيقة توضيح ابن جبرين» بتاريخ ٧/٢٤/١٤٢٢هـ<sup>(٢)</sup> وقال فيه كلامًا كثيرًا زبدته أن البيان مني لا من الوالد رحمة الله.

وجاء أحدهم - هداه الله - إلى جامع الراجحي الذي فيه دروس الوالد رحمة الله، وكان عند الوالد درس بعد المغرب وبعد العشاء، فتكلم بعد صلاة

(١) <http://www.alsaha.com/users/74425226/entries/60818>

<http://www.alsaha.com/users/395311274/entries/62022>

<http://www.alsaha.com/users/395311274/entries/60442>

(٢) <http://www.alsaha.com/sahat/4/topics/62126>



العشاء كلمة طويلة عن الموضوع وعرض بالوالد فيها، وعلمت عنه فصارت لي معه قصة ليس هذا موضع بسطها، ولعلي إن كتب الله في الأجل فسحة أن أكتب عن مثل هذه القضايا، لكن المقصود أن هذا الشاب لم يقدر الشيخ الوالد رحمة الله، حيث تكلم فيه وانتقده أمامه وأمام المصلين، وكعادة الوالد رحمة الله لم يرد على ما قاله، بل بدأ في درسه تاركًا الخوض في هذه القضايا.

ومن القصص هنا أن شابين جاءا من الغد بعد صلاة الظهر، وكان الوالد رحمة الله في المجلس الداخلي مع الدكتور إبراهيم الدويش يقرأ عليه في أحد الكتب. فلما طرقا الباب فتحت لهما، فقالا نريد الشيخ. فقلت هو مشغول، فرأيت في عينيهما شكًا في كلامي واستياء، فتوقعت أنه لأجل هذه القضية، فأدخلتهما على الوالد، فقالا له: هل أنت تعلم عما عمله عبد الرحمن مع فلان، فقال: نعم أعلم، وأنا مقر له على ذلك، فانصرفا، بغير الوجه الذي أقبلا به، حيث سري عنهما، وعرفت أنهما من مريدي الحق والعدل والتبين، ولا أدري من هما حتى اليوم وفقهما الله وسددهما.

وله رحمة الله فتاوى عديدة تؤيد ما جاء في التوضيح منها قوله<sup>(١)</sup>: «من دخل بلادًا بأمان وعهد، فإن عليه الوفاء بالعهد، ولا يجوز له القتال ولا الإفساد فيها بالتفجيرات ونحوها: لأن الله تعالى أمر بالوفاء بالعهد بقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١]، وقوله: ﴿فَأَتَمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدِينِهِمْ﴾ [التوبة: ٤]. ولا تجوز الخيانة لأنها خلاف ما أمر به المسلم، أما إذا دخل محاربًا، فإن له أن يقتل ويقا، إذا كانت البلاد بلاد حرب، وليس لهم عهد ولا ذمة ولا أمان، وكانوا يحاربون المسلمين، فللمسلمين أن يحاربوهم

(١) الفتوى رقم ١٤٦١٥.

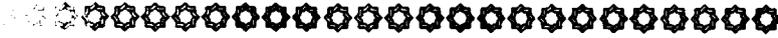
لقوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

ولما بدأ نشاط التكفيريين في المملكة، وقاموا بالتفجيرات، وصرخوا بتكفير الدولة والعلماء والشرط ونحوهم، كان للوالد رحمته الله رأي واضح أيضاً في هذه الأعمال، ومن أشهر ما كتبه نصيحة لشباب الإسلام حول التفجيرات الأخيرة في الرياض <sup>(١)</sup> بتاريخ ١٣/٣/١٤٢٤ هـ جاء فيها: «ما حصل في هذه الليالي القريبة من تلك التفجيرات، التي مات على إثرها خلق كثير، وجرح آخرون، لا شك أن هذا من أفظع الجرائم، وقد وقع من تلك التفجيرات وفيات وجراحات للآمنين، ولبعض المسلمين الساكنين في تلك البنايات، وذلك بلا شك من الغدر ومن إيذاء المستأمنين وإلحاق الضرر بهم، فالذين حصل منهم هذا التفجير يعتبرون مجرمين، واعتقادهم أن هذا جهاد، وأن هؤلاء الساكنين في هذه الأماكن من الكفار ومن الذين تحل دماؤهم بكفرهم، نقول إن هذا من الخطأ، فإنه لا يجوز قتالهم ولا قتلهم إلا بعد إخبارهم بذلك، ونبذ عهدهم إليهم... إلخ».

وفي فتوى له رحمته الله حول استهداف رجال الأمن في المملكة لأنهم من أنصار الدولة <sup>(٢)</sup> قال: «رجال الأمن وموظفو الدولة العسكريون ونحوهم يعتبرون كخدام للدولة وللبلاد جميعها، وحراساً لأهل البلاد ومن أقام فيها، وهم من المسلمين المؤمنين القائمين بأمر الله، الذين يخدمون ولاة الأمر، ويحرسونهم ويحرسون البلاد الإسلامية وما بين ظهرانيها، فدماؤهم محرمة كتحریم دماء بقية المسلمين، ولو كانوا قد تميزوا باللباس العسكري،

(١) الفتوى رقم ١٠٨٨٠.

(٢) الفتوى رقم ١٣٥٦٥.



أو بالعمل الخاص الذي يقومون به حراسة ومحافظة، وطاعة لولاة الأمر الذين وظفهم لحراسة البلاد وأهلها».

وقد طلب منه مناصحة من يوجد في السجون منهم، فأنس به بعضهم، ودار بينه وبينهم حوارات مفيدة، وأعطاهم نصائح قيمة.

ولعلي أختتم الحديث هنا بقضية خاصة ربما يود القارئ لو كشفت خباياها ليتبين له كثير مما يقال هنا وهناك، وهذه القضية هي العلاقة التي تربط الوالد رحمة الله بالشيخ عيسى العوشن رحمة الله.

ولعلي أبدأ بالقصة من أولها، فعيسى العوشن من أسرة هي أحد فروع قبيلة الدعوم من بني خالد من سكان القويعية، وتربط الأسرة بنا علاقات مصاهرة قديمة، منها أن عم الوالد عبدالعزيز قد تزوج منهم قبل أكثر من خمسين سنة.

عرفت عيسى عندما درسته في كلية الشريعة ١٤١٧هـ وكان شاباً نشيطاً ذكياً من أبرز الطلاب الذين درستهم.

اتصل بي عيسى مرة وذكر لي أنه يريدني في موضوع، فواعدته في منزلي، فحدثني أنه يريد أن يخطب أختي الصغرى.

كان مثله ممن لا يرغب عنه، فواعدته بالحديث مع الوالد رحمة الله، فحدثت الوالد فلم يرَ مانعاً من ذلك، وتم زواجه منها.

كنت بحكم انشغالي لا أراه إلا قليلاً، إلا أنني أعرف نشاطه في تعريف الناس بقضايا المجاهدين وبخاصة في الشيشان وداغستان وقد استصدر من الوالد عددًا من الفتاوى لنصرة قضايا المسلمين، كفتوى عن المجاهدين في

الشيخان، وفتوى في المقاطعة للمنتجات الأمريكية، وأذكر أن فتوى الشيخان كان فيها خطأ في آية بعد الطباخة فعدلها بقلمه بخطه الجميل.

تخرج في كلية الشريعة في الرياض عام ١٤٢٠هـ، ثم تعين ملازماً قضائياً لمدة سنتين.

وحاول الذهاب لأفغانستان وجلس مدة على الحدود الإيرانية، ثم بعد سقوط طالبان رجع للسعودية عن طريق سوريا، فقبضت عليه السلطات السورية وسجنته. وقد بذل الوالد جهوده لفكاكه، وسافرت مع أخيه محمد بإذن من الأمير سلمان لمحاولة إخراجه ففشلنا، وبعد تسعة أشهر سلم للسلطات السعودية وسجن في سجن الحاير أقل من شهر، حيث بذل الوالد **رغم الله** جهوداً كبيرة حتى أخرج.

عين قاضياً في الحقوف في منطقة جيزان فلم يستمر، وانخرط في العمل مع خلايا القاعدة في المملكة، ومن أبرز من تأثر به يوسف العييري، ولهذا فهو يذكره كثيراً وينثي عليه.

وفي شهر جمادى الثانية من عام ١٤٢٤هـ طلبته الجهات الأمنية وكانت تترصده في منزله، فانتبه لذلك وهرب منهم، وبقي هارباً حتى قتل في الخامس من شهر جمادى الثانية من عام خمسة وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة في مدهمة لأحد المنازل في حي الملك فهد بمدينة الرياض.

وقد رزق بابن اسمه سعد وبه يكنى، وبننتين هما البتول والشيماء.

ومن المواقف التي أثرت في الوالد **رغم الله** وألمته مدة طويلة فاقت الستة أشهر أننا كنا في مكة لأداء الحج من عام ١٤٢٤هـ، فلحقت أختي بزوجها



المختفي، واختفت معه بأولادها الثلاثة، ولقد أعيانا الوصول إليها لنخبرها عما أصاب والدها من الهم والغم، وحسبك أن تقرأ هذه الرسالة التي بعثت بها لعيسى في بريد إلكتروني كنت أراسله عليه، وهو مختفٍ كما سأذكر بعد قليل وقد جاء في الرسالة:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

أبا سعد وأم سعد وسعد والوردتان

لقد اكتوى القلب للفراق، وليس شوقاً إلى التلاق. وإن كان مراداً ومحبوباً، ولكن لانقطاع الخبر وعماية الأثر نسأل فلا نجاب، وتتحسس فلا نرى علامة ولا دلالة.

القصده هو الطمأنينة فقط على الصحة.

أب مهموم سل حاله الهم. وأرقه الغم، فلورأيته لأنكرت صورته، وعجبت من هيئته.

نسأله هل أنت مريض أو متعب فيكون الجواب بالنفي، ولكن حالته كافية الدلالة على شدة المعاناة وألم المصيبة، ولكن لاحول ولا قوة إلا بالله.

أخوات باكيات متباكيات يصدرن ويوردن بالتشاكي والأنين والتأسي والحنين، إذا اجتمعن ذكرهن اجتماعهن الأخت الغائبة، وإذا افترقن ذكرتهن الوحدة بعد الأخت وانفرادها والرقه لحالها والخوف على مآلها.

أما أنا فمرتبك الحال، مضطرب الأحوال، مسؤولو الدولة يظنون أنني عضوية المجموعة قد أخفيت أحوالكم، وتستررت على مصيركم، وأنتم تتهموني بأني ضدكم وعين عليكم.



والله يتولى السرائر وهو وحده يعلم ما في الضمائر.

أما أنا فقد حدثت أبا سعد عن عقيدتي ومنهجي.

أعتقد أن الله ورسوله أحب إليّ مما سواهما من النفس والمال والأهل  
والدنيا بأسرها.

وأسعى للمصلحة الشرعية التي أهمها الحفاظ على الأمة ودينها وأمنها  
١٩/٢/١٤٢٥هـ.

ولكننا لم يأتنا رد أو خبر حتى قتل رحمته الله وعادت الأخت بعد قتله  
بعشرة أيام في ١٤/٦/١٤٢٥هـ.

وقد حدثته مراراً عن خطورة الأفكار التكفيرية، وآخرها بعد أن خرج  
من سجن الحاير، جاءني في منزلي وجلست معه جلسة طويلة أردتها جلسة  
مصارحة فسألته: إن كان عندك شبهة من شبه التكفير فدعنا نتناقش، فقال  
لي إنه ليس عنده إلا حب الجهاد والمجاهدين والرغبة في الشهادة في سبيل الله.  
هذا ما علق بالذاكرة حول هذه القضية، وأسأل الله أن يصلح أحوال  
المسلمين ويهدي ضالهم ويجمع كلمتهم على الحق.

وأما ما وعدت به من الحديث عن التواصل مع الشباب الثائر في الجزائر،  
فقد كان أحد الإخوة الجزائريين، يرأسل الوالد رحمته الله ويطلب منه توجيه  
نصائح للشباب الجزائريين الذين يحاربون الدولة، فكان منها نصائح عامة  
موجهة للجميع ونصائح لأشخاص بأعيانهم من قادة القتال هناك، وهي رسائل  
لا تخرج في مضمونها عما ذكرناه قبل مما هو موجه لأفراد تنظيم القاعدة.





القِسْمُ الثَّالِثُ

## الرحيل

- مرض طويل وصبر جميل
- المرض الأخير
- ومات الشيخ



## الرحيل

هذا القسم آخر أقسام ترجمة الوالد رحمة الله، وهو أشقها على النفس وأقساها على القلب، فهو الحديث عن وداع الحبيب الذي طالما ملأ العين وسر النفس وأبهجها، فكما ذكرت من قبل أنه صار بيني وبينه رحمة الله في الخمس عشرة سنة الأخيرة من عمره ألفة وتقارب وتجانس، فلم يكن مجرد الأب الحنون والمربي الأريب، بل كنت أحس بالمتعة والراحة والأنس بالسفر معه أو الجلوس عنده، إضافة إلى الاستفادة من علمه وأدبه، فقد كان رحمة الله مدرسة علمية فريدة وبيت خبرة عملية فذة، وكان رحمة الله قد أنس بي جداً ففتح لي قلبه ومكنني من كثير من أموره الخاصة وكان يوحى إلي كثيراً بأسراره ويختصني بالدقيق من أخباره، ولهذا كان فقده رحمة الله علي عسيراً جداً، لكن من عرف ربه وآمن بالقضاء لا يقول ولو عظمت المصيبة إلا: ﴿وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، وهي الكلمة التي طالما سمعتها منه عندما يفقد عزيزاً أو تبغفه مصيبة عامة أو خاصة، وكان يرددها كثيراً في مجالس العزاء ويستشهد بما علقه البخاري في باب الصبر عند الصدمة الأولى من كتاب الجنائز عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال نعم العدلان ونعم العلاوة: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾ أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦ - ١٥٧].

يقول الوالد رحمة الله<sup>(١)</sup>: «كانوا قديماً إذا كان البعير قوياً شديد التحمل حملوا على جانبيه حملين كبيرين ووضعوا على سنامه بين العدلين حملاً ثالثاً يسمونه العلاوة، فالعدلان: مغفرة ورحمة، والعلامة: هم مهتدون».

(١) <http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=7&book=77&toc=4823&page=4336&subid>





في هذا القسم سأحدث عن بعض ما أصابه رحمة الله من أمراض قديمة وصبره عليها مع معاناته منها، ثم سأحدث عن مرضه الأخير وتسلسل أحداث المرض والأمور التي خفيت على بعض الناس من ملاحظات مرضه رحمة الله، ثم أتحدث عن يوم وفاته بالتفصيل ثم عما بعد الوفاة من أحداث تتعلق به رحمة الله كالغزاء ونحوه وأسأل الله أن يعينني على هذا القسم فإني أكتب هذه الحروف وعيناي مفرورقتان بالدموع.

### مرض طويل وصبر جميل

لقد عانى رحمة الله عددًا من الأمراض منذ صغره، وسأبدأ في ذكرها بالترتيب ولكني سأؤخر الحديث عن مرض الدرن الذي يتوقع أنه كان سببًا في وفاته رحمة الله.

كان رحمة الله لا يشكو مما يصيبه أبدًا وكانت الأمراض تنهشه من الداخل ولم يكن يشكو لأحد ولا يطلب علاجًا، بل إنه إذا طلب منه أن يعالج لشيء ظاهر كجرح أو نحوه يتمنع كثيرًا.

وأصبحنا نعرف هذا منه ولهذا إذا لاحظنا شيئًا دعونا الطبيب أو ذهبنا به للمستشفى مباشرة دون أن نعرض عليه الأمر؛ لعلنا برأيه ولأنه لا يمانع إذا لم نستشره، وكأنه في هذا لتوكله لا يطلب ولكنه لا يمتنع مما فيه مصلحة وهو لم يطلبه، وهو هكذا في كل أموره الدنيوية كما سبق أن أشرت، حتى في الأشياء اليسيرة، كطلب ماء أو قلم أو نحوهما لا يطلب من أحد شيئًا ولو كان من أقرب الناس له، ولمعرفتنا لعاداته أصبحنا نتقن التعامل معه رحمة الله.

وهذا الأمر يعرفه منه أيضاً تلاميذه والقريبون منه، يقول الشيخ أحمد المهنا وكان جزاءه الله خيراً ممن يحرص على متابعة فحوصات الوالد رحمه الله ويذهب معه للمستشفيات<sup>(١)</sup>: «مرة من المرات ذهبنا إلى المستشفى لإجراء فحوصات ووجدنا فيه ثقباً في الطلبة وكنا نحاول أن نحدد وقتاً لإجراء العملية، فقال الشيخ: اجعلوها في وقت آخر» وتوفي رحمه الله وهي لم تجر له.

ويقول الشيخ سعد البريك<sup>(٢)</sup>: «الشيخ كان يعاني من المرض قبل دخوله المستشفى وكان يتكتم على الألم والسقم؛ حتى لا يشغله ذلك عن طلابه ودروسه وجهده وجهاده».

ويقول الشيخ سامي الفدامة<sup>(٣)</sup>: «الشيخ فيه ميزة أنه لا يشتكي من الألم الذي يجده».

وذكرت من قبل أن من أقدم الأمراض التي أصيب بها مرض يسمى السننة كانت بسبب حسد أو عين عام ١٣٦٢ هـ وبقي أثرها معه أكثر من عشر سنين يصعب عليه مواصلة الكلام والنطق وسرد القرآن وما أشبهه إلى أن زالت بالتدريج.

كما أصيب رحمه الله عام ١٣٦٧ هـ بقرحة في ساقه اليمنى، وكان يصلي بالناس التراويح ويضع تحت رجله لبنة من الطين؛ حتى لا يشتد ألم الساق عليه، وبقيت تعوقه طويلاً في القيام والحركة.

وأصيب عام ١٣٨٠ هـ بمرض الدرن، وهو المرض الذي سأؤخر الحديث عنه؛ لارتباطه بوفاته رحمه الله.

(١) لقاء بمنوان الإمام الراحل.

(٢) فتاة دليل.

(٣) <http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3>





وقد اكتشفنا قدرًا إصابته بأمراض العصر وهي الضغط والسكر، وإلا فلم يشك لنا ولا لأحد من عرض أو مرض وبعد اكتشافهما رتبنا له مواعيد في المستشفى العسكري مع الدكتور سعيد الأحمرري وفي مستشفى الملك عبدالعزيز مع طبيب السكر المشهور الدكتور خالد الربيعان، فكانا يهتمان به كثيرًا جزاهما الله خيرًا.

ويحصل له بعض العوارض الصحية كعادة الناس لكن نظرته لها تختلف عن كثير من الناس، يقول **رحمة الله** عن أحد هذه العوارض<sup>(١)</sup>: «من الابتلاء أنه حصل عليّ في أواخر شهر شعبان منة من الله وهي ارتفاع في نسبة الحرارة كان على آثارها أن ذهبت إلى المستشفى، مستشفى الملك خالد **رحمة الله** ولقيت عناية من القائمين في هذا المستشفى، كان من آثارها أنهم قاموا بالكشوفات التي تلزم وطلعت النتائج والحمد لله صحيحة وسليمة ولكن هناك من أذاع في الإذاعات المرئية والمسموعة أنني أدخلت المستشفى إنما ذلك لأجل تحاليل ولأجل كشوفات وطلعت والحمد لله سليمًا».

وأما إصابته **رحمة الله** بالدرن فقد كانت كما ذكرت عام ١٣٨٠هـ يقول **رحمة الله**<sup>(٢)</sup>: «لما كان في سنة ثمانين أصبت بألم داخلي نتج منه مرض يسمى التدرن، ونصحني الأطباء بأن أعالج، واستمر العلاج معي إلى حدود سنة إحدى وتسعين وأنا أعالج من ذلك المرض، ونصحوني بأنني لا أشرب هذه القهوة وما أشبهها».

وكان **رحمة الله** يتذكر اسم الطبيب وهو باكستاني ويتعجب من قصة له معه، فإنه أمره أن يأخذ في الصباح بيضة غير مطبوخة ويخلطها في كأس

(١) برنامج «أسرة واحدة» في قناة «المجد».

(٢) «صفحات من حياتي» الحلقة الثالثة.

حليب يخبرني الوالد رحمة الله أنه قال: كُلُّ بيد، يقول: فلم أفهم ماذا يريد، فقال: بيد دقاق، يقول: فلم أفهم أيضًا؛ لأن اختلاطنا بالأعاجم قليل، فلم أعرف ماذا يريد، يقول: فقلد صوت الدجاجة وأشار بيده لشكل البيضة ففهمت.

وكان يذكر أنه يأكل عددًا كبيرًا من الحبوب يصل يوميًا إلى عشرين حبة واستمر عليها نحو عشر سنوات حتى شفي منه.

ولكن هذا المرض أثر على صحته رحمة الله فأحدى الرئتين تعطل نصفها عن العمل، فكنا إذا فحصناه في آخر عمره يستغرب الأطباء فنخبرهم بالسبب. وصار معه بعد هذه الأدوية ضيق في المريء استمر معه حتى توفي رحمة الله، فكان لا يستطيع البلع، فإذا أكل لقمتين توقف وانتظر قليلاً حتى يتمكن من البلع، وربما دفعها بماء أو لبن، وكانت هذه مشكلة تؤرقه كثيرًا؛ حيث كان رحمة الله عندما يزور القرى والهجر والمحافظات لإلقاء الدروس والمحاضرات، ويصر أهل المنطقة على إكرام الشيخ، فيذبحون له الذبائح، وهو رحمة الله لا يستطيع أكل الأرز واللحم، ولكنه يستحي منهم فيأكل، حتى إن من يلاحظه وهو يأكل يلاحظ خروج الدمع من عينيه من شدة المعاناة، وبعد الأكل يعاني ألمًا شديدة، فربما اضطر إلى القيام من نومه أو التوقف إذا كان في السيارة؛ ليخرج الطعام الذي أكله من شدة ما يعانيه من ألم، وقد يخرج أحيانًا مع الاستفراغ شيئًا من الدم، وهو مع ذلك صابر لا يشتكي، ولا يقول لأصحاب الدعوة: أنا عندي مشكلة في المريء ولا أستطيع الأكل، ولا يشترط طعامًا خاصًا ولكن يطيب خواتمهم ويأكل معهم.

وجاء طبيب جراح سوداني متميز زائرًا للمستشفى المركزي في الرياض، فسألت عن مشكلة الوالد فقالوا لي: سهلة جدًا، فشاورته رحمة الله فكانه استثقل الأمر وقال: نصبر إن شاء الله.





وفي عام ١٤١٥ هـ دخل المستشفى لإجراء عملية فتق في أسفل البطن كان معه من مدة وهو صابر عليه، فعلم الدكتور إبراهيم المفلح بموضوع المريء فعرض على الوالد أن يوسع له المريء بالمنظار وسهل له الأمر فوافق فأجريت له العملية وتحسنت بعدها حالته وزاد وزنه عشرين كيلواً تقريباً، إذ كان من قبل لا يصل للمعدة إلا خمس المعدل الطبيعي للأكل، وبعد العملية أصبح يأكل أكلاً معتاداً، ثم أعادوها له مرتين؛ لأنه يعود ليضيق مرة أخرى بأمر الله.

ولعل من آثار هذا المرض، أعني التدرن أنه كان يفمى عليه رحمة الله في بعض الأحيان وقد كثرت هذه الإغماءات في السنتين الأخيرتين.

وأول ما أذكره منها أنه كان يخطب قبل عشرين سنة من وفاته رحمة الله نائباً عن إمام في مسجد في العريجا، وبعد انتهاء الخطبة الأولى وكأنه قد اختصرها جلس وأشر لي، فأتيته فقال لي: أكمل وبقي جالساً خلفي وأنا أخطب الخطبة الثانية، وجاء له بعض الحضور بماء فشرب منه قليلاً، ولما انتهت من الخطبة نزل وصلى بالناس، وخرجنا من المسجد فدخلنا بيت بعض جيران المسجد فسألوه فقال: أحسست بشيء من الإرهاق، وبعد ركوبنا للسيارة قال لي: إن المنبر حار وأحسست بحرارة في جوفي فلم أستطع إكمال الخطبة.

ثم فقدت هذا الأمر سنوات وقيل أربع سنوات من وفاته رحمة الله مررنا ونحن في طريقنا إلى مكة المكرمة ببلدة قبل الطائف كانوا قد نسقوا معه ليخطب الجمعة، وفي أول الخطبة الثانية بدأ صوته يتناقص ثم سقط ففرع الجماعة وأنا معهم إلى المنبر فكنت أول من وصله وإذا هو جالس فنظر لي وقال: أنا بخير، فأمسكنا به ونزلنا به وجلس في الصف الأول وقمت بإكمال الخطبة، ولما فرغنا من الصلاة خرج معنا وكأنه لم يصب بشيء فلم يجزع وإنما كان يسهل الأمر علينا ويهونه.

ثم حدث ذلك معي في خطبة في مسجده الذي يصلي به في الرياض حيث سقط أيضاً ففزعنا ولما وصلت أمرني بإكمال الخطبة ثم صلى بالناس، وكان يقول لي: إنه قبل الإغماء شعر بحرارة في جوفه لا تحتمل، مع أنني قد حرصت على أن يركب في المنبر مكيف خاص؛ لأنني أعرف أنه يحب البرودة، وفي هذه المرة ألححت عليه بالذهاب للمستشفى ففحصوه في الطوارئ في مستشفى الملك خالد الجامعي بعناية الدكتور زهير العسيري جزاه الله خيراً، إذ كان هو مدير الطوارئ هناك وكانت النتائج سليمة، فحولونا على المستشفى من الغد وجئنا فقاموا بأشعات وفحوصات واختبارات للجهد والتنفس فلم يجدوا سبباً بيناً لهذه الإغماءات.

وفي السنة الأخيرة كان في زيارة المدينة المنورة وبعد يوم حافل بالنشاط كان عند أحد المشايخ بعد العصر، فأغمي عليه قليلاً ثم أفاق فذهبوا به للمستشفى ومكث فيه أربعة أيام وكان معي أخي سليمان وعمي ناصر وبعض الأقارب والطلاب، ولما بلغني الخبر سافرت إليه مع زوجته؛ للاطمئنان ومتابعة الأمر، فوجدناهم قد اهتموا به جداً؛ لحبهم للشيخ رحمه الله وكان أمير المدينة سمو الأمير عبدالعزيز بن ماجد حفظه الله مهتماً بموضوعه أيضاً.

وفي الحجة الأخيرة قبل وفاته بنصف سنة كما ذكرت من قبل ذهب معنا لرمي الجمار في اليوم الحادي عشر بعد صلاة الظهر، ووقفنا السيارة على بعد كيلو متر تقريباً فمشى على قدميه، وبعد أن مشى نصف المسافة أحس بتعب شديد وظهر لنفسه صوت واضح وكان ذلك بجوار مركز للشرطة فأعطوه ماء وبعض الفواكه وعرضوا عليه أن يوصلوه بالدراجة النارية لكنه أبى، واستراح قليلاً ثم واصل المسير رحمه الله.



فكانت هذه علامات على شيء، ولكن الأطباء لم يكتشفوا ذلك بالرغم من حرصنا على الفحوصات في عدد من المستشفيات فقد فحصوه في المستشفى العسكري ومستشفى الملك خالد ومستشفى الملك عبدالعزيز ومستشفى الحبيب ومستشفى الملك فهد في المدينة وغيرها، ولكن لا يغني حذر من قدر.

وفي السنة الأخيرة كأنه أحس بدنو أجله رحمة الله، يقول عبدالرحمن ابن العم ناصر: «لفت نظري آخر حياة الشيخ أنه يحس أنه في آخر حياته. أذكر في رمضان عام تسعة وعشرين كان عنده محاضرة في الشفا بعد التراويح وإذا بالحضور قليل جداً، فلما ركبنا السيارة قلت للشيخ: يا شيخ، في رمضان القادم سنلغي هذا المسجد من الجدول، فقال الشيخ رحمة الله: رمضان القادم لا أظن أنني معكم، ففوجئت وقلت: يا شيخ، تفاءل، خير إن شاء الله، فقال: بعض الناس يحس بقرب أجله، قلت: يا شيخ، الواحد يحس بقرب أجله؟، فقال: إني أحس بقرب أجلي.

وفي الأسبوع الأخير قبل دخوله المستشفى حدث لي معه موقفان: الأول، كنا قد وصلنا للبيت من إحدى الزيارات، فجلست معه في السيارة أفصل له في بعض المسائل الخاصة التي يكلفني بها ورأيي في ترتيبها ففهمت منه أنه يقول: قد فوضتك ولن أطيل معكم، فاستغربت جوابه ولكني لم أعلق.

الثاني، كان الجوال الذي معي باسمه رحمه الله وكان قد انتشر رقمه وكان يجيب السائلين من خلاله أحياناً وكان يراني أعتذر من الفتاوى وفي الأسبوع الأخير لما اعتذرت نهاني وقال: أفت فيك بركة، فقلت أمازحه: تجيزني في الفتوى؟ فقال: قد أجزتك.

ويذكر عبد الرحمن ابن العم ناصر أنه كان ذاهبًا معه لدرس المغرب، فلما ركب في السيارة لاحظ أن نفسه مرتفع وكان يمشي بصعوبة حتى إنه يسحب رجليه ولا يستطيع رفعهما فقلت: يا شيخ، ضعف نشاطك أرى قدميك لا تكاد ترفعها، فقال: هذا آخر العمر، الإنسان تبدأ تخور قواه.

ويقول عبد الرحمن ابن العم ناصر: «لما توفي الشيخ أحمد بن قاسم وكان يتابع أخباره فأخبرته في الدرس لكي ينبه الطلاب فقلت: يا شيخ ابن قاسم توفي، فالتفت وقال: توفي؟، قلت: نعم، غفر الله له، قال: توفي، قلت: نعم، قال: ما بقي من طلاب ابن إبراهيم إلا أنا، ذهبوا ما بقي إلا أنا».

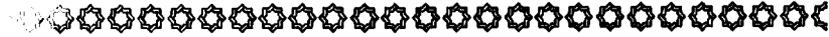
وكان يردد هذه العبارة كثيرًا إذا عدد زملاءه عند الشيخ محمد بن إبراهيم فيقول: توفوا جميعًا لم يبق إلا أنا.

## المرض الأخير

في هذا العنوان أفضل أن أبدأ بالتسلسل الزمني، تاركًا الأحداث لترجم عن نفسها، وتاركًا التعليق عليها للقارئ؛ لأن بعض الموضوعات لها حساسيات وإشكالات نفسية ورسمية، وقد تعلمت من الوالد رحمة الله اللطف والرفق والصفح.

لا شك أن معاناتنا مدة تزيد على خمسة أشهر كانت شديدة، وأن أقارب المريض لهم نظراتهم المبنية على الأمل المتفائلة بالشفاء المليئة بالأمانى، وهذه النظرات تختلف عن نظرات الأطباء الذين ينظرون بعين العلم المادي المبني على مسوغات تعلموا من خلال عملهم أنها تؤدي إلى نتائج متوقعة، بل قد تكون عندهم مقطوعًا بها، كنا نتضايق جدًا إذا جاءنا بعض الأطباء،





وقال: «قد وصلنا مرحلة اللاعودة» كما يعبرون، بل إن نظرات البعيدين من غير الأطباء ربما لا تكون في تفاؤلها كنظرة القريبين وإن كانت ليست قاسية أو قانطة كنظرة بعض الأطباء، ولقد كنت أكبر بعض الأطباء الذين يملؤون قلوبنا بالأمل ويعلقوننا بالله، وإن كان يتوقع غير ذلك، وسيرد إن شاء الله ذكرهم في أثناء الحديث، فإن مراعاة أنفـس المرضى وذويهم أمر مهم يفـتقده بعض الأطباء، وذلك لا يعني تجاهل الحقيقة أو حتى إخفاؤها، بل هو فن التعامل، والقدرة على إيصال المعلومة الصحيحة بطريقة ذكية.

## اليوم الأول

في صباح يوم الأربعاء التاسع من شهر صفر من عام ١٤٢٠هـ اتصلت بي عمتي هيلة زوجة الوالد رحمة الله، كان صوتها مرتبكاً، فقالت: تعال؛ الوالد متعب قليلاً، كنت في المكتب في المنزل المجاور للوالد فتركت ما بيدي وتوجهت مسرعاً لبيته رحمة الله، لما دخلت الصالة وإذا هو على الكرسي في الجهة المقابلة ولنفسه حشرة بينة، قبلت رأسه وقلت: نريد الذهاب للمستشفى، وأخذت بيده؛ ليمشي معي فقام وخطا خطوات فلم يستطع المشي ثم جلس على الكرسي المجاور، اتصلت بأخي سليمان وكان مدرساً في مدرسة بقرب البيت وجاء على عجل فهاديناً الوالد بيننا حتى وصلنا السيارة وما زال نفسه على ما ذكرته من الشهيق والحشرة الظاهرة.

سرنا بالسيارة واتصلت بالأخ صالح البشري في المستشفى المركزي وهو من محبي الوالد رحمة الله ليرتب الوضع قبل وصولنا، ثم اتصلت بأخي محمد؛ ليوافينا في المستشفى.

فور وصولنا للمستشفى وجدنا عددًا من الأطباء والإداريين في انتظارنا على الباب فحملوه على السرير المتحرك حتى وضعوه في سرير الطوارئ، وبعد الكشف المبدئي حقنوه بإبرة مسيلة للدم، وأعطوه بعض المنشطات فهدأ وبدأ يتحدث بصورة طبيعية.

كنت بجواره فقال لي: أنا بخير نرجع للمنزل، فقلت: الأمر ليس بيدنا، بيد الله ثم بيد الأطباء فسكت رحمة الله.

صعدوا به للعناية المركزة في مبنى الباطنية؛ لإكمال الفحوصات ولم ينتهوا إلا مع أذان الظهر، فلما انتهى الأذان همّ بالنزول ليصلي، فلما رآه الطبيب أشار إليه وقال له: لا تنزل، فقال: أصلي وأعود، قال: لا، وضعك لا يسمح بالحركة، فقال: أنا طيب معافى، قال له الطبيب: أنت تفتي بوجوب العمل برأي الطبيب المسلم وأنا أمرك بهذا، فقال رحمة الله: نسمع ونطيع، فجاؤوا له بعلبة التيمم فتيمم وكان السرير لغير القبلة فوجهناه للقبلة، ثم صلى.

بعد الصلاة قال لنا الأطباء: هنا أشعة لا توجد عندنا وذكروا بعض المستشفيات التي توجد بها فاخترنا مستشفى الملك خالد الجامعي.

نقلوه بالإسعاف ولما وصلنا مستشفى الملك خالد كنا قد اتصلنا بأعمامي فوافونا هناك.

كان الفحص المطلوب هو فحص الشرايين بمادة ملونة تظهر ما فيها من مشكلات، وكان يلزم من هذا الفحص تخدير يسير، أدخلوه للفحص وخرج لغرفة النقاهاة وجاءت النتيجة مزعجة لنا جدًا.



لقد اكتشفوا أن سبعة شرايين فيها انسداد، اثنان منها بنسبة تسعين في المئة وأربعة بين الثمانين والسبعين، وأما السابع فمغلق تماماً، لكن من نعمة الله أن هذا الشريان يرفده شريان آخر فلم يؤدَّ إلى جلطة، وهذه حالة نادرة تكون واحداً في كل مليون إنسان كما قال لنا الطبيب.

قال الطبيب بعد الفحص: لا بد من عملية عاجلة والافهو معرض لجلطة في أي وقت وهذا التعب والإغماءات بسبب الانسداد. كنت أنا وإخوتي وأعمامي في المستشفى، وقد نقلوه بعد الفحص للعناية المركزة وجلسنا نتشاور ماذا نعمل.

استشرنا عدداً من الأطباء وكان خيار السفر للخارج غير وارد: لأن العملية كما يقول الطبيب لا بد أن تكون في أقرب وقت فكان أمامنا ثلاثة خيارات: مركز الأمير سلطان للقلب في مستشفى القوات المسلحة المعروف بالمستشفى العسكري ومستشفى الملك فهد بالحرس الوطني ومستشفى الملك فيصل التخصصي في الرياض؛ لأن هذه أشهر المستشفيات في عمليات القلب المفتوح.

وبعد الاستشارة والاستشارة استقر الرأي على مستشفى الملك فيصل التخصصي وبخاصة لوجود الدكتور زهير الهليس وهو من أشهر جراحي القلب على مستوى العالم.

اتصلت بالأمير سلمان وكان في أمريكا مع الأمير سلطان رحمة الله وأخبرته الخبر فتأثر وقال: انظروا ماذا تحتاجون وأخبروني، فقلت له: كأن الرأي استقر على المستشفى التخصصي، ونريد الدكتور زهير الهليس، فقال: أبشر، من حسن الحظ أن الدكتور الهليس كان موجوداً ذلك اليوم، فتلقى الخبر ورحب بالشيخ، وفعلاً توجهنا للمستشفى التخصصي بسيارة الإسعاف، واستقبلونا على الباب ونقلونا مباشرة لغرفة خاصة.

## في المستشفى التخصصي

أدخلوا الوالد رحمة الله مباشرة ورتبوا موضوع ملفه بسرعة وكان يحمل الرقم ٦٣٥٩١٦ ثم جاءنا عدد من الأطباء والفنيين وقرؤوا التقارير ومنهم طبيب سوداني كان في غاية الاهتمام بالوالد واللطف والأدب، قلت له وأنا جاداً: هل يمكنني التبرع بقلبي للوالد؟، فاستغرب وقال: أول مرة يحصل لي هذا السؤال، لكن الأمر لا يحتاج إلى هذا.

جاء الدكتور زهير الهليس وسلم على الوالد وكان قد تأمل الفحوصات وقرأ التقارير، وقال: اليوم الأربعاء وستكون العملية يوم السبت إن شاء الله. ثم شرح له بالتفصيل ماذا سيعمل والوالد رحمة الله يستمع إليه بإنصات، وكنت أود أنه أعطاه الأمر مجملاً حتى لا يتأثر، لكن لعله رأى من حق الوالد عليه أن يوضح له كل شيء، فأراه مخطط الشرايين المنسدة، وقال سنعمل توصيلات لأربعة منها ورسم له طريقة ذلك ثم ودعه وانصرف، ولم أر على الوالد علامات الجزع ولا الخوف ولله الحمد.

لم نعلن الخبر ولهذا لم يأتنا يوم الأربعاء زوار إلا بعض الأقارب والطلاب، ولكن الخبر بدأ ينتشر فكثرت الاتصالات علي وعلى إخوتي وأعمامي فاضطررنا إلى أن ننشر في موقع الوالد رحمة الله خبراً عن الموضوع.

ومن هنا بدأت فكرة نشر بيانات عن أخباره رحمة الله مدة مرضه، وقد نال هذا المسلك إعجاب الكثيرين وهو ما جعل الأستاذ لطفي عبد اللطيف يكتب مقالاً في جريدة المدينة عن هذه البيانات <sup>(١)</sup> قال فيه: «كان ذلك الأمر جديداً من نوعه على كبار العلماء والفقهاء، من ناحية الاهتمام بالإعلام، وموافاة

(١) <http://ibn-jebreen.com/ommah/index.php?t=content&tid=83&cid=465>



وسائل الإعلام ببيانات متتالية عند الحاجة. ولكنه كان من الأهمية بمكان لمكانة الشيخ رحمه الله، وكثرة طلابه والجموع الكثيرة التي تريد الاطمئنان عليه، وقطع الطريق أمام التكهنات والأقاويل التي تتداول في المجالس أو عبر مواقع الإنترنت، وتقديم المعلومة الصحيحة عن حالة الشيخ.

وقد جاء في هذا البيان الذي نشر في يوم الخميس العاشر من شهر صفر:

«بيان من مكتب الشيخ عبد الله الجبرين،

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه وبعد...

فإننا نطمئنكم على صحة الشيخ، حيث إنه بخير والله الحمد المنة، وذلك بعدما أحس بضيق في التنفس وتم نقله إلى المستشفى أمس، وقد أجريت له الفحوصات اللازمة، وتم إعطاؤه الدواء اللازم، وتم منع الزيارة لراحته، ونسألكم الدعاء له ولجميع مرضى المسلمين بالصحة والعافية. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مكتب الشيخ عبد الله الجبرين»

وقد جلسنا في المستشفى يومي الخميس والجمعة وانهاled علينا الناس فيها من كل الطبقات والفئات مع أننا حددنا الزيارة في وقت العصر والمغرب، ولم نشأ أن نشدد على الناس؛ لعلنا بحبهم للوالد رحمه الله.

وكان كل من أتاه وسأله عن العملية هونها عليه وقال: إن شاء الله يومين ونرجع لكم، وقد استغربت من الوالد هذا الأمر مع أنه يعلم صعوبة العملية،

وقد قال له الطبيب: إنها يمكن تستغرق سبع ساعات، لكن لعله كان لا يريد إزعاج الناس، حتى إن بعضهم شكوا أننا لم نخبره بالحقيقة، ومع أنني لم أرتح لهذا إلا أنني دائماً أتهم رأيي أمام رأيه رحمته الله.

وبعد ذهاب الزوار يوم الجمعة نحو الساعة الحادية عشرة ليلاً بقيت معه أنا وجاء الممرضون ومنعوه من الطعام وجعلوا فيه أنابيب المغذيات والأدوية، وقد لاحظت أن نومه تلك الليلة كان متقطعاً، وقام في آخر الليل يريد الضوء، فسقط على الأرض على غير عادة ثم توضأ وصلى ما كتب له حتى أذن الفجر.

### يوم العملية

وافاني إخوتي وبعض أعمامي بعد صلاة الصبح وفي الساعة السابعة والنصف من صباح يوم السبت الثاني عشر من شهر صفر، أخذوه لغرفة العمليات، كنا نسير معه ونحدثه حتى وصل لباب غرفة العمليات فودعناه ورجعنا لغرفته، وأدخلوه للعملية في حدود الساعة الثامنة والنصف، وكنا نتردد لسؤالهم كل نصف ساعة تقريباً، واستمر حتى الساعة الثانية ظهراً حيث أخرجوه لغرفة العناية.

اتجهنا لغرفته ووجدناهم قد سبقونا به، وكان عنده عدد من الأشخاص أطباء وممرضون وعليه كثير من الأجهزة والأدوية كما هو المعتاد في مثل هذه العمليات، فانتظرناهم حتى فرغوا منه ثم دخلنا وألقينا عليه نظرة ولم نطق بالجلوس؛ لأننا لا نرى شيئاً من كثرة الأجهزة والأنابيب.



ومعروف أن المستشفى التخصصي كغيره من المستشفيات فيه عدد من الشيعة في بعض الخدمات، حيث يكثرون في العناية التنفسية وفي التغذية والمختبرات وهذه الأقسام من أخطر الأقسام وجميع أقسام المستشفى لا تستغني عنها وكنا نحاذر منهم أن يقربوا الوالد *رحمة الله* وفعلاً وجدنا في العناية المركزة ثلاثة منهم يعملون في العناية التنفسية، فقمنا ببعض الترتيبات الاحترازية؛ لكي لا يباشر العمل مع الوالد أحد منهم، وكان عندنا ثلاث فئات: الأطباء وليس فيهم أحد من الرفضة، والتمريض حرصنا أن يكون الطاقم عربياً سنياً، وفتيو الجهاز التنفسي وفيهم رفضة كما ذكرت، فاخترنا ألا يتولى أجهزته إلا غربي حيث لا يوجد عرب ولا سعوديون إلا هؤلاء الرفضة، وقد تعاونت إدارة المستشفى والأطباء المشرفون ومسؤولو العناية القلبية تعاوناً تاماً.

كان يوم العملية من أشد الأيام على نفوسنا، وكانت أيدينا على قلوبنا نترقب خروجه، وقد سألنا الطبيب بعد الخروج، فطمأننا على نجاح العملية، ولكن بعد خروجه بساعتين لاحظ المرضون وجود نزيف من أحد الأنابيب، فاستدعوا الدكتور زهيراً، فلما عاينه أدخلوه للعمليات مرة أخرى ومكث نحو الساعة، وقد قال لي أحد المرضين هداة الله كلمة آمتني، وهي: «إن النزيف إذا حدث فإن المريض لا يسلم غالباً من المضاعفات»، لكنني لم أهتم بكلامه ولم أنقله لأحد: لأن هذا الكلام لا يقال لذوي المريض.

كان وجودنا بكثرة في العناية مزعجاً للمرضى ولطاقم التمريض فاتفقنا أن يبقى اثنان ويذهب الباقيون للاستراحة.

وفي يوم العملية كان عندي اختبار لطلاب الجامعة، فلم أستطع الذهاب وكلفت زميلي الدكتور أحمد السراح بمتابعة الأمر، وقد قدر المشايخ في الكلية حالي.

هذا اليوم منعنا الزيارة مطلقاً، وقد أكثر الناس علينا السؤال عنه من الأمراء والكبراء والأقارب والطلاب والمحبين ومن أبرزهم الأمير سلمان الذي اتصل من أمريكا مرات عدة، وجاء عدد كبير من الزوار فشكرناهم واعتذرنا منهم، ثم رتب لنا المستشفى في المساء بسعي من الأمير خالد بن طلال جزاه الله خيراً مكاناً لاستقبال الناس والاعتذار منهم عن الزيارة. كنا نتربح إفاقته من البنج في هذا اليوم، ولكنه لم يفق إلا في صباح الأحد.

### في العناية المركزة لمرضى القلب

مكث رحمة الله في العناية المركزة لمرضى القلب نحو عشرة أيام وكان هذا خطأ الأطباء ولنا من ذلك نصيب، لكن ذلك من زيادة الاهتمام به، والالعنايات المركزة دائماً من أكثر الأماكن التي تنتقل فيها العدوى بين المرضى. أفاق من المخدر صباح الأحد في الساعة السابعة والنصف تقريباً، وكانت إفاقته تدريجية، حيث بدأ يتكلم مع الأطباء والمرضين من بعد الظهر ويستجيب لطلباتهم، وسمح له الطبيب بتناول السوائل.

كنا نصدر في الأيام الأولى في كل يوم بياناً ينشر في موقع الوالد رحمة الله فذكرنا في البيان رقم (5) أنهم أزالوا عنه جميع الأجهزة المساعدة يوم الإثنين ١٤٣٠/٢/١٤هـ، وبدأ الشيخ بتناول الطعام وترك السرير والجلوس على الكرسي والمشي تدريجاً، حيث مشى خطوات عدة ولكننا كنا نلاحظ المشقة عليه في أثناء المشي.

تفضل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله بزيارة الشيخ الوالد رحمة الله يوم الثلاثاء ١٥/٢/١٤٣٠هـ الساعة



الرابعة والنصف عصرًا، وأنا أعرف عادة الوالد رحمته الله في الاهتمام بولاية الأمر، لكنني لم أر هذا الذي كنت أعرفه، فلعله رحمته الله كان يشكو ولم يخبرنا.

كنا سمحنا بزيارات محدودة للأقارب القريبين من الوالد رحمته الله من طلابه ونحوهم، ولم أكن ألحظ أنه يتبسط في تلك الزيارة بل كأنه يتضايق منها ويحب الخلوة، حتى إنني أعرف أنه يحب طلابه ويأنس ببعضهم فقلت له: لو دعوت الشيخ محمد بن ناصر التركي ليؤنسك ويجلس معك، فقال: لا، يسلم ويمشي، فبعدها كنا لا نحرص على جلوس الناس عنده.

كان رحمته الله يأكل ولكنه يقلل من الأكل؛ لأن الذهاب للحمام يشق عليه، مع أن الحمام في الغرفة.

### في العناية المتوسطة لمرضى القلب

في يوم الثلاثاء ٢٢/٢/١٤٣٠هـ أخرجوه رحمته الله من العناية المركزة لمرضى القلب إلى العناية المتوسطة، وكانت الخطة أن يجلس فيها إلى يوم السبت ثم يخرج للجناح ثم إلى المنزل، وكان في يوم الثلاثاء والأربعاء ومعظم يوم الخميس طبيعياً، إلا أن المرض قد أثر على مزاجه ووجهه وقد وصلنا منع الزيارة العامة عنه؛ حرصاً على صحته، على أن يتم فتح باب الزيارة بعد نقله إلى غرفته في المستشفى، ويوم الخميس بدأت قراءات جهاز التنفس تتغير ما اضطر الممرض إلى زيادة الأكسجين.

كنت أخطب الجمعة عنه منذ أن دخل المستشفى، وفي ذلك اليوم كان بعض الأقارب قد رتبوا معه موعداً لعقد النكاح، فكلفني بالذهاب للعقد لهم نيابة عنه، ولما رجعت سألتني، وقد بدا عليه التعب: عقدت لهم؟ فقلت: نعم.

حاولنا بعد ظهر الجمعة تدريبه على المشي كالاعتاد فلما مشى نصف المسافة خارت قواه وطلب الجلوس فأجلسناه على كرسي ثم نقلناه للسريـر.

بدأ التعب يزداد شيئاً فشيئاً حتى إنه بعد المغرب زاره الأمير متعب وكان بينهما محبة، ولما جلس عشر دقائق رأيت في وجه الوالد رحمة الله أنه يريد الراحة فتجرات على الأمير، واستأذنت منه؛ ليرتاح الوالد.

ونحو الساعة الثانية عشرة من ليلة السبت ١٤٣٠/٢/٢٦ ظهر عليه التأثير جداً فاستدعي الطبيب المناوب وأمر بنقله للعناية المركزة فوراً.

### العودة للعناية المركزة لمرضى القلب بعد الالتهاب

كانت تلك الليلة مزعجة لنا جداً، حيث لا نعلم سبباً لهذا الالتهاب، فقد كانت صحته مستقرة وفجأة تغير الحال إلى التهاب رئوي حاد، نستبعد أن يكون الأمر متعمداً كما أشاعه بعض الناس بأن الرفض ربما فعلوا ذلك، ومع وجودهم في العناية ولكننا قد اتخذنا إجراءات وقائية شديدة بالتنسيق مع إدارة المستشفى، ولا أظنهم يجرؤون على مثل هذا؛ لأنهم يعلمون عواقبه الوخيمة، إضافة إلى أننا معه لا نفارقه ليلاً ولا نهاراً فقد رتبنا ورديات شارك فيها الأقارب القريبون فقط ولم نفتح المجال حتى للأقارب البعيدين فحصرناها في أبناء الشيخ وأحفاده وإخوته وأبنائهم فقط وممن شارك في هذه المناوبات أنا وإخوتي محمد وسليمان وأبنائي عبد الله ومحمد وأعمامي محمد وسعد وسعود وناصر وزين وصقر وأبناء الأعمام والعمات ومنهم فهد وأحمد وعمر وعبد الرحمن وسليمان أبناء عمي محمد وعبد الرحمن وعبد الله ابنا العم ناصر وعبد الرحمن وعبد الله وخالد وطارق أبناء العم زين ومن أبناء أخواتي إبراهيم بن محمد وأحمد الهدلق وعبد الله وأنس وعبد الرحمن



أبناء حمد بن حمادة ومن أبناء عماتي عبدالعزيز وإبراهيم السعدان وحمد الهدلق، وربما نسيت غيرهم الآن؛ لطول العهد.

كنا نرتب واحداً أمام الغرفة دائماً وواحداً في غرفة الاستقبال؛ للترحيب بالناس حيث تفتح من العصر إلى الساعة العاشرة ليلاً ويأتي المحبون للسؤال عن الوالد، فنستقبلهم هناك.

كنت أنا وأخي سليمان معه في الفترة الصباحية من الساعة الثامنة وقد لا نخرج إلا في العاشرة ليلاً وقد كفانا أخي محمد فترة الليل جزاه الله خيراً. وكان بقية الشباب موزعين عن طريق جدول يرتب أسبوعياً؛ ليعرف كل منهم وقته، وكانوا يتنافسون على الجلوس مدة أطول جزى الله الجميع خيراً. كان الاحتمال الأقوى للالتهاب أنه عدوى من العناية المركزة، وقد ذكر لي بعض الأطباء أن البكتريا التي معها اسمها سدمونس، وتوقع البعض أن يكون بسبب رائحة طيب، وقد اكتشفت في الأدراج كيساً صغيراً فيه حلتيت جاء به بعض الأقارب لمنع التهاب الجروح بعد العملية، وكانت رائحته قوية جداً، فأخرجته من الغرفة بعد صلاة الجمعة بعد أن ظهر التعب على الوالد رحمة الله؛ خشية أن يزيد من الالتهاب.

في الصباح علم الجميع من الإخوة والأعمام وإدارة المستشفى والأطباء وكان وضعه حرجاً، لكنه كان على الأكسجين الطبيعي، وبعد الظهر من يوم السبت ٢٦/٢/١٤٣٠هـ اضطر الأطباء إلى إدخال أنبوب التنفس في جوفه عن طريق الفم وأعطوه منوماً خفيفاً؛ لئلا يتأذى.

دعاني رحمة الله بعد صلاة الظهر وقال لي وهو لا يكاد يظهر صوته: «بيت السبالة<sup>(١)</sup> قد نويته وقفاً، أعيديوا بناءه واجعلوا غلته في أعمال البر، والقروض التي على الناس لا تشددوا فيها فإن معظمها صدقات» وكان هذا آخر حديث دار بيننا حتى توفي رحمة الله.

وقد زاره بعض أخواتي قبل الظهر وكان يغفو في أثناء وقوفهم بجانبه من شدة التعب وإذا كلموه فتح عينيه بصعوبة ورد عليهن، فكانت يده ممدودة فقالت إحداهن: لماذا يدك هكذا؟ هل تؤلمك؟ فقال: أستطيع أن أقول بها هكذا هكذا.. أنا بخير، وحركها قليلاً للأعلى وللأسفل<sup>(٢)</sup>.

وانتشر في مواقع الإنترنت والمنتديات ورسائل الجوال أخبار عن تدهور صحة الشيخ الوالد رحمة الله وأنه أدخل العناية المركزة، فكثرت السؤالات علينا والاتصال وكنا لا نخرج كل الأخبار: أملاً في الله ورغبة في عدم إزعاج الناس لكننا في بياناتنا في الموقع لا نجاوز الحقيقة.

كانت إدارة المستشفى توليه رحمة الله حرصاً واهتماماً بإشراف مباشر من معالي الدكتور قاسم القصبي المشرف العام التنفيذي لمستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث، وكانوا يتحملون منا كثرة الطلبات التي نرى أنها مهمة، ومع بقائه تحت إشراف الدكتور زهير الهليس جراح القلب، والدكتور إلياس أسعد المشرف على عناية جراحة القلب، فقد انضم إليهما بعد حدوث التهاب الرئة الدكتور محمد خالد والدكتور عبد الله الضلعان استشارياً الأمراض الصدرية وغيرهما كما سيأتي.

(١) هو البيت الطيني الذي كان يسكنه قديماً.

(٢) مذكرات الأخت هيا.



وبعد أربعة أيام تقريباً حدث معه مضاعفات أخرى، فركبوا له جهاز تنفس مخيفاً جداً يسمع صوته من بعيد وقالوا: إنه يعطى للحالات الطارئة وسمعت أنه يدفع للرئة ثلاث مئة مرة في الدقيقة، وقد أخافنا هذا الجهاز كثيراً وكنا في وضع لا نحسد عليه وأصببت بإحباط شديد أنا وإخوتي ومنعنا الزيارة مطلقاً حتى للأعمام والأخوات: حتى لا يروا حالته فيصدموا وكنت أتأوب عليه أنا وإخوتي فقط وتكتمنا على الموضوع جداً.

حتى إنه زارنا في ذلك اليوم الأمير عبد العزيز بن فهد فاستقبلته في المجلس واعتذرت منه بأن وضع الوالد لا يسمح بالزيارة، وكنت مهموماً جداً ومنهكاً فلم أستطع الحديث معه كما ينبغي ولعله هو ومن معه لاحظوا هذا ولكنه قال لي كلمة مازالت حلاوتها في قلبي ولن أنساها له *حفظه الله* قال: أنا بعد وفاة الملك فهد أعتبر الشيخ أبي، وأنا جاهز لما تطلبونه فمالي تحت تصرفكم، لا تتصور أخي القارئ وربما الأمير لا يتصور كيف فعلت هذه الكلمات القليلة المتواضعة فعلها في نفسي، عدلت من جلستي وكنت مرتعياً على الكرسي من التعب والإجهاد ونظرت له وشكرته، وبعثت هذه الكلمات في نفسي أملاً بعد الأمل في الله، وقلت فيما بعد أبياتاً مهزوزة في ذكر هذه القصة وشكر الأمير والثناء عليه سأنشرها إن شاء الله مع القصائد في ملحقات الترجمة.

وبعد أسبوع تقريباً اضطروا إلى عمل فتحة في الحلق لجهاز التنفس؛ لأن حلقة تأذى من أنبوب التنفس، وكان هذا التغيير في حالته *رحمه الله* سبباً في تحرك عدد من المحبين، منهم الأمير خالد بن طلال حيث رتب عن طريق المستشفى عقد لقاء تشاوري عبر الأقمار الصناعية مع أطباء من مستشفى مايو كلينيك في روتشستر، مينيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية.



وتمت استشارة عدد من الأطباء المشهورين على مستوى المملكة، مثل الدكتور محمد الفقيه جراح القلب المشهور، والدكتور محمد الزيتوني رئيس قسم الأمراض الصدرية بالمستشفى الذي انضم للفريق المعالج بعد ذلك.

كما تم إعداد تقرير طبي عن حالة الشيخ؛ لبعثه إلى أشهر المراكز الطبية في العالم بالتنسيق مع الدكتور هشام محمد ناظرة مدير عام الشؤون الصحية بمنطقة الرياض الذي أبدى اهتماماً كبيراً بالموضوع، واجتمع يوم الإثنين ١٤٣٠/٣/٥ هـ مع إدارة المستشفى التخصصي والأطباء المعالجين، لمناقشة الحالة.

وقد أرسل التقرير لعدد من المراكز الطبية في أمريكا وأوروبا، وتم تلقي إجابة من ألمانيا بأن الحالة عادية والعلاج الموجود في المستشفى كافٍ لها، ولكنها تحتاج إلى وقت لكي يتم الشفاء منها.

واستقدمت إدارة المستشفى التخصصي طبيبين من مركز جونز هوبكنس الطبي في الولايات المتحدة الأمريكية وهو من المراكز المشهورة عالمياً والطيبان هما: Royg .br ower بروفسور في كلية الطب في جامعة جونز هوبكنس والمدير الطبي لوحدّة العناية المركزة، والاستشاري Daniel .p judge المدير الطبي لمركز الأمراض الطبية الوراثية، قسم القلب في جامعة جونز هوبكنس.

كما كلف صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز الدكتور بدر الربيعة باستقدام طبيبين من فرنسا، فقدم كل من البروفسور Daniel dusser بروفسور أمراض الرئة من جامعة باريس ديسكارترس،



مستشفى كوجن والبروفسور jean chastre بروفسور في العناية المركزة بجامعة بييري وماريا كوري، مستشفى بيتي سالبتريري، باريس.

وقام الأطباء كل وفد على حدة بالجلوس مع الفريق الطبي المعالج، واستمعا إلى شرح كامل عن تطور حالة الشيخ، ثم اطلعنا على الملف الطبي والأشعة والتحليل المخبرية التي عملت خلال المدة الماضية، ثم قاما بفحصه وكتبا تقريراً عن رأيهما في الحالة خلاصته «أنهم يثمنون الجهود المبذولة من المستشفى ويقرونهم على الخطة العلاجية التي يقومون بها». وقد اقترحوا تعديلاً في بعض الأدوية، ومما أوصوا به أن يعطى **رحمة الله** جرعتين كبيرتين من الكورتوزن، فلما اعترضنا لأن هذا الدواء سمعته سيئة قال لنا الطبيب: ما قلموه صحيح لكنه شر لا بد منه، ويبقى هو الدواء السحري الذي يلجأ له الطبيب عندما تعجز الأدوية الأخرى.

وجلسنا مع الأطباء وأخبرونا أن تشخيص حالة الشيخ غير واضح حتى الآن؛ لأن التحاليل المخبرية سليمة وذكر الأطباء الفرنسيون أن أحد الأدوية هو الذي يمكن أن يكون تسبب فيما يمر به الشيخ من ضيق في التنفس، وقد طلبوا إيقافه واستبداله بدواء آخر ليس له مضاعفات، وتوقعوا أن تتحسن حالة الشيخ خلال الأيام القادمة.

وقد فوجئ الطبيب محمد خالد لما سمع عن اسم الدواء وقال: أنا طلبت إيقافه واستغرب أنه لم يوقف، وهذه من الأخطاء الطبية التي آلمتنا.

كان هذا الدواء قد صرفه طبيب مختص في كهرباء القلب؛ لأن الوالد **رحمة الله** حصل معه اضطراب في كهرباء القلب، وبحثنا عن أفضل الأطباء في المستشفى فصادف أنه في إجازته فأرسل القسم طبيباً مختصاً في ذلك وصرف

هذا الدواء وقد لاحظت شخصياً أن حالة الوالد ساءت بعد هذا الدواء، وحدثت الطبيب نفسه هداه الله عن ذلك ولكنه لم يعر كلامي اهتماماً، وربك يخلق ما يشاء ويختار.

وأشار علينا بعض الإخوة بتكثيف القراءة على الشيخ، فبدأنا بذلك من تاريخ ١٤٢٠/٢/١٤ هـ تقريباً وقرأ عليه عدد من القراء المشهورون من تلاميذه وغيرهم، إضافة إلى بعض كبار العلماء كالشيخ عبدالرحمن البراك والشيخ عبدالعزيز الراجحي وغيرهما.

وكنت ألاحظ تأثره من القراءة حتى إن عينيه تدمعان أحياناً، وبخاصة لما أخبرته عن الشيخ عبدالرحمن البراك؛ لأنه لم يكن منوماً تماماً، بل كان يعطى مهدئات.

وقد رفعوا عنه الجهاز الذي ذكرته سابقاً بعد استقرار حالته، لكنهم أبقوه على جهاز التنفس المعتاد عن طريق فتحة الحلق التي غيروا أنابيبها في ١٤٢٠/٢/٢٨ هـ.

وكان من الأمور التي أزعجتنا ونحن في غنى عن الإزعاج أن قناة المجد الفضائية بثت عن طريق شريط الرسائل رسالة من أحد الأشخاص كان فيها خبر عن وفاة الوالد رحمته الله، وقد فجع كثير من الناس وتوالت علينا الاتصالات ما اضطرنا إلى إصدار بيان يوم ١٤٢٠/٤/٥ هـ لتوضيح الأمر ولوم القناة. لكن الشيخ فهد بن عبدالرحمن الشميمري مؤسس ورئيس مجلس إدارة شبكة المجد الفضائية آنذاك أراح قلوبنا، فقد اتصلنا به عن طريق الشيخ راشد بن عثمان الزهراني فسأه الموضوع ووجه بإيقاف جميع الأشرطة في قنوات المجد مؤقتاً وإعادة النظر في الآلية التي يتم بها التحكم في هذه الأشرطة.



كانت حالة الوالد رحمة الله في النصف الأخير من شهر ربيع الأول وأول شهر ربيع الثاني مستقرة، فهو على جهاز التنفس ويعطى مهدئات يدرك ما حوله لكنه لا يستجيب، وكنت ألاحظ عندما أقرأ عليه آيات التهليل وكان يرقى بها أنه يتأثر ويظهر ذلك على وجهه ويديه.

### النقل للعناية المركزة لمرضى الباطنة

أشار علينا بعض الأطباء بنقله من العناية القلبية إلى العناية العامة بسبب أن عملية القلب ناجحة والعناية الأخيرة هي المتخصصة في علاج مثل حالة الشيخ وقد تم النقل فعلاً يوم الخميس ٦/٤/١٤٣٠هـ.

ولقد كان يلقي اهتماماً وعناية من الفريق الطبي المشرف على علاجه في العناية القلبية المركزة وعلى رأسهم الدكتور زهير الهليس والدكتور مصلح العنزى والدكتور إلياس سعد وزملائهم، وبذل طاقم التمريض عناية فائقة فقد وفقنا بعدد من الشباب العرب من فلسطين والأردن ولبنان أذكر منهم الآن: محمد بحيص وأيمن وعمر وعامر وإبراهيم ورامي وعثمان ومحمد الصوفي وغيرهم ممن أنسيتهم. وكان مشرف العناية التنفسية يسمى سأمًا من إحدى الدول الغربية وكان في غاية التعاون معنا وتتهم وضع الوالد فلم يوكل أجهزة التنفس إلا لمن نرضاه، وفي الحقيقة كان كل من هناك من أطباء وفنيين وإداريين في غاية التفاني لخدمة الوالد رحمة الله، بل حتى الشباب الشيعة كانوا يقدرون حساسية الوضع معهم؛ لذا لم نلاحظ عليهم أي تضايق أو شعور بالتمييز.

لما انتقل الوالد رحمة الله للعناية المركزة العامة تغير الأطباء المشرفون والمرضون، وكنا في البداية لم نعرف نظامهم، ثم علمنا أن العناية يشرف

عليها الأطباء بالتناوب وعددهم نحو العشرة، ستأتي أسماء بعضهم في أثناء الحديث.

كان أولاً في غرفة قريبة من الباب مزعجة بكثرة المارة فطلبنا غرفة بعيدة فوفروها لنا جزاهم الله خيراً، وكانت معظم طلباتنا تتم عن طريق ترتيب التشرifiات ومديرها الأستاذ عبد الرحمن الشريم جزاه الله خيراً ومن أبرز من كان يذلل صعوباتنا الأخ خالد الشلهوب وفقه الله وجزاه خيراً.

مكث رحمة الله نحو عشرين يوماً وهو تحت ملاحظة الأطباء وعابنه معظم أطباء العناية ومنهم الدكتور محمد حجازي وسليمان الحصيني وأشرف الطريفي ووفيق محمود وحسين العوضي ومازن خير الله وكان يشرف عليه فيما يتعلق بالرئة الدكتور محمد الزيتوني وفيما يتعلق بالقلب الدكتور وليد حسن وفيما يتعلق بالكبد الدكتور محمد الفدا وهم من أكبر أطباء المستشفى وأشهرهم، وكان يعابنه أحياناً غيرهم في بعض القضايا الأخرى.

كانت حالته مستقرة، وإن كان تعرض بسبب وجوده في العناية لبعض الالتهابات التي لا يخلو منها مريض العناية المركزة، فالكليتان والكبد تؤديان وظائفهما بشكل جيد والمشكلة الرئيسة في الرئتين والقلب.

أما الرئة وهي العضو المهم في حالة الوالد فقد مرت بحالات من التحسن وحالات من التأثر ووضعها غير مستقر.

وأما القلب فهناك ضعف في عضلة القلب، لكنه لا يشكل خطراً، وكان يأخذ علاجاً لتقوية العضلة وعلاجات للضغط جعلت حالته مستقرة.



ولكن بعد هذه المدة الطويلة كثر علينا اللوم من الأقارب والمحبين من طلاب العلم وغيرهم، وكانوا يسألوننا، لِمَ لا يسافر للخارج؟، ويضربون أمثلة بمن سافر وشفى، فتشاورت أنا وإخوتي وأعمامي ورأينا أن نبذل الأسباب، وبخاصة بعد طول المدة، حيث مكث في المستشفى أكثر من سبعين يوماً، ولم يتوصل المستشفى لتشخيص دقيق للمرض، فرأينا خوض التجربة؛ لعلنا نوفق لعلاج، وبخاصة بعد سماعنا لعدد من التجارب الناجحة في الخارج.

وقد سألنا كثيراً عدداً من الأشخاص ممن جرب ووجدنا آراء عدة، وكانت الخيارات كثيرة ما بين أمريكا وألمانيا وفرنسا.

كان الأمير عبدالعزيز بن فهد حفظه الله مهتماً بموضوعه وكان يتابع الوضع عن طريق الأمير عبدالعزيز بن سعود بن محمد وهو من محبي الوالد وبين الوالد وأبيه صحبة طويلة وبين جدي وجدته صحبة كذلك فإن أباه وجدته من المعروفين بالصلاح والتقوى.

بلغت الأمير عبدالعزيز بن سعود، فاستبشر وأثنى على الفكرة ووعد بتبليغ الأمير عبدالعزيز بن فهد، وفعلاً اتصل بي في اليوم نفسه الدكتور بدر الربيعه وبحثت معه الموضوع والخيارات فرجعنا فرنسا، واتصل بي الأستاذ محمد الأوسيمر وطلب الجوازات؛ لاستخراج التأشيرات من القنصلية الفرنسية.

لم يكن لدى الوالد رحمه الله جواز ولا حتى بطاقة مدنية؛ لأنه كان معفى من الصور، وكان يكتفي برقم السجل المدني المدون في التابعة التي لم يكن فيها صورة، اتصلت بالدكتور عبدالرحمن الهدلق، وكنت تعرفت عليه في آخر لقاء للوالد رحمه الله مع الأمير محمد بن نايف، فأخبرته الخبر، فأرسلوا مندوباً أخذ الأوراق وجاء بالبطاقة والجواز.

اخترنا ستة للذهاب أنا وأخوأي محمد وسليمان وأعمامي سعد وسعود وابن عمي فهد بن محمد، وسلمنا الجوازات لمكتب الأمير لتجهيز التأشيرات فيما لو تقرر السفر.

اقترح الدكتور بدر الربيعة الالتقاء بالأطباء؛ للتشاور في السفر فعد في يوم الإثنين ٢٤/٤/١٤٣٠هـ اجتماع في مكتب الأستاذ/ عبدالرحمن بن إبراهيم الشريم مدير التشريفات بالمستشفى ضم الأطباء المشرفين على علاج الشيخ وبحضور الدكتور/ بدر. وحضرت معهم أنا وأخي سليمان.

تحدث الدكتور بدر الربيعة ونقل تحيات سمو الأمير/ عبدالعزيز بن فهد للجميع وشكره للأطباء المعالجين على الجهود المبذولة، واستعداد سموه لبذل أي إمكانيات لعلاج الشيخ في الداخل أو الخارج، وبعد استماعه لتقييم الأطباء لحالته الراهنة سأل عما يمكن عمله حاليًا للشيخ لاستعادة العافية له، وطرح عليهم موضوع السفر به إلى خارج المملكة وهل تتحمل حالته ذلك وهل يمكن أن يقدم له شيء في الخارج؟

وبينت في الاجتماع أن الأطباء بذلوا ما في وسعهم خلال خمسة وسبعين يومًا مكثها الوالد في المستشفى، ولكننا لاحظنا أن تقدم الحالة يسير ببطء وقلت لهم: هناك آراء سواء من داخل العائلة أو من بعض زملاء الشيخ من المشايخ أو تلاميذه أو محبيه يقترحون علاجه في الخارج وأمل أن يدرس الأطباء هذا الأمر إذا كان نقله لا يؤثر عليه.

وتحدث الأطباء بأنهم لا يعلمون أي شيء يمكن أن يقدم للشيخ، ولو علموا لسارعوا لذلك، ولكنهم لم ينفوا وجود شيء؛ لأن هذه أمور غيبية.



أما النقل خارج المملكة فقد اتفق كلامهم في الجملة على أن حالة الشيخ تسمح به حالياً وأن الخطورة في ذلك محدودة بإذن الله.

كان معنا تقرير طبي بتاريخ ٢٠/٤/١٤٢٠هـ، فطلبت تقريراً أحدث، فأعطوني تقريراً بتاريخ ٢٤/٤/١٤٢٠هـ وأرسلتهما للدكتور الربيعة، وحيث إن التأشيرات الأوروبية جاهزة بحثت مع الدكتور الربيعة موضوع السفر بعد أن قرر الأطباء إمكانية سفره، وكنا بين خيارين: فرنسي في المستشفى العسكري في باريس وألماني في المستشفى الجامعي في برلين، وبعد تداول الرأي ترجحت برلين؛ لتمييز المستشفى وكانت الترتيبات مستمرة ليكون السفر في مطلع الأسبوع القادم.

علم الأمير خالد بن طلال، فاستأذنتني في الاتصال بالملك وإخباره ورأى أن كون الوالد يذهب باسم الملك أفضل وأولى مع تقديره لجهود الأمير عبدالعزيز بن فهد وشكره لمبادرته، فقلت له: الأمير قد رتب ونحن نفضل الذهاب عن طريقه، وكنت أعلم أن الترتيب عن طريق الأمير سيكون أسهل لنا وأريح وأبعد عن الرسميات، لكن الأمير خالد لم يأخذ برأيي فاتصل بالملك وبلغه برغبتنا في السفر فوجه الملك بعلاج الوالد في المستشفى الجامعي في برلين على نفقة الدولة ومعه مرافق واحد، كما هو المعتاد في مثل هذه الحالة، لكنه وجه بصرف مليون ريال لتغطية نفقات الرحلة، وقد بلغنا الأمير عبدالعزيز بن فهد بما تم، فبارك توجيه الملك وأبدى استعداده لأي شيء، وأرسل جزاه الله خيراً مائة ألف دولار مساهمة في نفقات الرحلة.

اتصل بي معالي الدكتور فهد العبد الجبار وكان في حينها مستشاراً للملك والمشرف العام على العيادات الملكية ورئيس مجلس إدارة مستشفى

الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث وبلغني بالتوجيه الكريم فشكرته ودعوت للملك، ثم اتصل بي معالي نائب رئيس الديوان الملكي الأستاذ خالد ابن عبد الرحمن العيسى وطلب مني رقم حساب الوالد رحمة الله لتحويل المبلغ فأعطيته إياه.

وقمت بعد تأكد السفر بكتابة ورقة بخط عريض لإخبار الوالد وكتبت فيها: «الملك أمر بعلاجك في ألمانيا ونحن نرتب للسفر أسأل الله أن يجعله سبباً مباركاً»، ثم عرضتها له ونظر فيها لكنه رحمة الله كان لا يستطيع الرد.

اتصلت بالمحق الصحي السعودي حيث هو المسؤول عن ترتيب أمورنا في برلين وكان حينها امرأة تسمى عفاف الشمري، فأخبرتني أن الأمر جاءها وأنها تجري ترتيباتها ثم ربطتني بطبيب عربي اسمه نزار معروف فاتصلت به وأخبرني أنهم جاهزون لاستقباله.

بعد أن رتبوا مع الإخلاء الطبي حدد موعد السفر في يوم الأحد ١٤٣٠/٥/١هـ فاستعنا بالله وجهزنا أنفسنا لهذا الموعد.

## في ألمانيا

تحركنا من مستشفى الملك فيصل التخصصي نحو الساعة العاشرة، فقد باشر الأطباء والمرضون تجهيز الوالد رحمة الله للسفر، ورأوا أن يعطوه منوماً حتى لا يتعبه السفر، وركبت معه في سيارة الإسعاف ولحقنا الإخوة والأعمام بسيارات خاصة، وقد عانينا في الوصول لمطار الإخلاء على الرغم من كونه قريباً من المستشفى بسبب الزحام وعدم احترام الناس لسيارة الإسعاف، وكون مطار الإخلاء في مكان بعيد في داخل قاعدة الرياض الجوية.





وصلنا هناك، ووجدنا عددًا كبيرًا من المودعين معظمهم من الأقارب والمقربين للوالد رحمة الله كبعض تلاميذه ومحبيه وكان من المقرر أن يذهب في الطائرة أربعة من المرافقين فقط فسافر محمد أخي وفهد بن العم محمد بالطيران المدني وبقيت أنا وأخي سليمان وعمي سعد وسعود.

أنزلوا الوالد من سيارة الإسعاف وعبر ممر كهربائي يوصل بباب الطائرة حملوه فيها، وكان الموقف مؤثرًا فالحزن باد على وجوه كثير من الحاضرين، بل إن كثيرًا منهم ذرف الدموع عند وداع الحبيب، وقد مكنا الجميع من السلام عليه قبل أن يصعد به للطائرة. ثم سعدنا وودعناهم والقلوب تتقطع.

ومن الوفاء أن نذكر الأستاذ عبدالرحمن الشريم مدير التشريعات في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومواقفه الكثيرة في خدمة الوالد رحمة الله وقد رافقنا مطار الإخلاء وودع الوالد في الطائرة جزاه الله خيرًا.

طائرة الإخلاء الطبي تتسع لاثني عشر راكبًا وكنا أربعة ومندوبو الإخلاء الطبي ثلاثة وخمسة من الفريق الطبي طبيبان وممرضان واختصاصي التنفس.

أقلعت الطائرة نحو الساعة الثانية عشرة ظهرًا، وكانت الرحلة مريحة ولم يحدث فيها ما ينفصها، حيث كان الوالد هادئًا، والطيار ماهرًا متعاونًا لطيفًا.

وصلت طائرة الإخلاء الطبي لمطار برلين الدولي في الساعة الخامسة عصرًا بتوقيت برلين حيث مكثنا في الجو نحو سبع ساعات، وكانت سيارة الإسعاف تنتظرنا ومعها ثلاثة من موظفي الملحقة الصحية السعودية في ألمانيا.

ومن خلال ملاحظتي لطريقة فريق الإسعاف في ألمانيا في كيفية حمل المريض وإنزاله من الطائرة والتعامل مع ذوي المريض وشكل سيارة الإسعاف واحترام الناس في الشارع لسيارة الإسعاف رأيت بوناً شاسعاً بيننا وبينهم مع الأسف على الرغم من أننا لا نتقصدنا الإمكانيات لكن ينقصنا الوعي والمسؤولية. أخذ مندوب الجوازات جوازاتنا، وذهب بها لمبنى المطار ليضع عليها ختم الدخول وعاد بها سريعاً.

ركبت مع الوالد رحمة لله في سيارة الإسعاف وتولى أخي سليمان والعم سعد وسعود إيصال أغراضنا للسكن، وكانت الملحقية قد حجزت لنا في فندق اسمه ريجنت على حسابنا.

كنت أتوقع أننا سنجد السفير في استقبالنا أو أحداً من مسؤولي السفارة أو القنصلية أو الملحق الصحي ولكن لم يوجد منهم أحد.

وصلنا إلى مستشفى اسمه فيفانتس، وأدخلوا الوالد مباشرة غرفة العناية وركبوا فيه الأجهزة بعد فصل الأجهزة المؤقتة التي عليه في أثناء السفر.

عقد مباشرة اجتماع لدراسة الحالة بين الفريق الطبي المرافق للوالد رحمة لله والبرفسور الألماني الذي سيكون مشرفاً على حالته مع فريقه الطبي وحضر اللقاء الملحق الصحي للمملكة العربية السعودية في أوروبا الدكتورة عفاف الشمري، وكنت حاضراً هذا اللقاء، وبعد تسلم الحالة اتفق على أن يبقى تحت الملاحظة ويعقد اجتماع غداً (الإثنين) بعد الظهر؛ للتشاور مع عدد من الأطباء..



كان الأمير سلمان رحمته الله يتابع تحركاتنا خطوة خطوة جزاه الله خيراً، حيث يتصل بي من أمريكا؛ ليسألني عن أخبار الوالد رحمته الله، وكان لمتابعته الأثر الكبير في تسهيل كثير من الأمور.

وقد انهالت علينا الاتصالات الهاتفية بعد وصولنا لبرلين من عدد من الأمراء والمسؤولين والوجهاء والأقارب وتلاميذ الشيخ ومحبيه.

كان لنا نحن مرافقي الشيخ رحمته الله عدد من الترتيبات في برلين لتنظيم وضعنا وضبطه.

كان الإخوة في المحققة ومن أبرزهم الأخ ياسر الربدي وعبدالله اليامي قد بذلوا جهودهم في ترتيب وضعنا، فحجزوا لنا في فندق ريجنت واستأجروا سيارة مع السائق وكان سائقها الأستاذ نعيم من الشام رجلاً عاقلاً وذا معرفة بالبلاد وأهلها.

قررنا تغيير السكن؛ لكونه غالياً فسكننا في شقق آرتوس واستأجرنا سيارة أخرى نقودها نحن لكي نوفر في المصروفات؛ لأن البلاد غالية ونحن ستة ولا ندرى ما يستقبلنا من أحداث من حيث المدة وغيرها.

كما وزعنا العمل على الوفد، فكان العم سعد وابن العم فهد مسؤولين عن السكن وترتيب الأمور المعيشية ونحو ذلك، وتولى الأخ محمد الحسابات، وأسند لي التنسيق مع المستشفى والسفارة والمحققة ونحوها، وكان العم سعود والأخ سليمان مسؤولين عن العلاقات والاتصالات، وجعلنا الأخ سليمان أيضاً هو المتحدث الرسمي باسم الوفد فيما يتعلق بحالة الوالد رحمته الله ونشر ما يتعلق بصحته ووضعها.

كما وزعنا بيننا الدوام في المستشفى لمرافقة الوالد رحمة الله فكانت الفترة الصباحية لي أنا وسليمان والفترة المسائية للعم سعود والأخ محمد وفترة الليل للعم سعد وابن العم فهد.

واتفقنا على البدلاء الذين سيأتون للمرافقة ليبدووا في تجهيز تأشيراتهم وتنسيق إجازاتهم وكان منهم الأعمام ناصر وزين وصقر وابنا العم محمد عمر وعبدالرحمن ومحمد بن العم إبراهيم وابن العمه هيا عبدالعزيز السعدان.

ووضعنا آلية لاستقبال الضيوف الزائرين من الأقارب ونحوهم حيث التزمنا بتوفير الاستقبال في المطار وتقديم تسهيلات في الحجز والتأشيرة.

وقررنا أن نتفق على صيغة معينة في كل أسبوع يبلغ بها الناس عن صحة الوالد رحمة الله حتى لا تتضارب المعلومات بحسب اختلاف التعبير أو التفسير.

وحددنا هاتفاً رسمياً، واشترى لنا الأخ ياسر سبع بطاقات جوال خصصنا واحدة منها لتكون الهاتف الرسمي والبقية شخصية.

واتفقنا على عدم السماح بالزيارة في المستشفى مطلقاً؛ حتى لا يزعجنا الإخوة في برلين من المقيمين والزائرين.

وأشار علي الدكتور نزار معروف بأن أفتح حساباً بنكياً لتسهيل عملية المصروفات حيث يتم كل شيء بالبطاقة ولا أحتاج إلى حمل نقود فقامت بفتح حساب في دوتشيه بنك وهو أشهر بنوك ألمانيا.

بدأ كل في مهمته وبدأت مهمني من صباح الإثنين ٢/٥/١٤٣٠ هـ حيث توجهت للسفارة للسلام على السفير وإبلاغه بما تم وزيارة الملحقية الصحية والسؤال عن بعض الأمور.



كانت السفارة قريبة من السكن، لكنني لا أعرف المكان فأخذت سيارة أجرة ونزلت عند السفارة وهي تقع في Kurfurstendamm 63, 10707 Berlin.

دخلت السفارة وصعدت إلى الطابق الذي يوجد فيه السفير، طلبت الدخول فاعتذروا بأنه لا بد من موعد سابق، أعطيتهم بطاقتي وعرفتهم بنفسي ومهمتي، ولكن ذلك لم يجد، قلت للسكرتير: أنا مشغول مع الوالد، وأريد السفير في أمر مهم فإن كان لا يريد مقابلتي الآن فإنني لا أستطيع الرجوع، ولكن السفير تفهم الوضع فأذن لي بالدخول.

جلست معه وأعطيته أخباري ولكنني فوجئت بأن السفير لا يعرف المستشفى الذي نحن فيه، وكأنه ليس بمستشفى مشهور عند السفارة، وحدثته عن وضع الوالد، وبصفته طبيباً فقد سألني عن أشياء دقيقة فأخبرته عنها، ثم ودعته ووعدني بالزيارة في المستشفى.

قابلت الأخ مفلح القحطاني وهو موظف في السفارة مسؤول عن الأوامر الطبية الخاصة التي يتبرع بها بعض الأمراء على نفقتهم كالأmir سلطان رحمه الله والأمير عبد العزيز بن فهد، وفوجئت أيضاً بأن الأخ مفلح لا يعرف هذا المستشفى، قلت له: إنه المستشفى الجامعي في برلين، قال: لا، المستشفى الجامعي هو الشاريتيه وهو أحد المستشفيات الجامعية الكبرى في أوروبا.

لقد فزعت من الخبر، فنحن قد ذهبنا لغير وجهتنا، واكتشفت من خلال حديثي مع السفير ومع الأخ مفلح ومع غيرهما، أن بين الملحقية وبين المستشفى الجامعي مشكلة بسبب الخلاف على مبالغ مالية لم تدفع للمستشفى؛ لأن الملحق الصحي وهو الدكتورة عفاف الشمري قد عينت حديثاً مسؤولة عن أوروبا، وقد جاءت بشخصية صارمة؛ لأنها سمعت عن وجود أخطاء وتجاوزات

فيما يتعلق بالأوامر الطبية التي تأتي عن طريق الدولة، فكانت تريد القضاء على هذه التجاوزات، وقد قابلت في السفارة ذلك اليوم، وفي أماكن أخرى بعض المرضى الذين تأثروا من صرامتها، حيث ألفت سريان أوامر كثيرة، مع أن بعض المرضى في حاجة ماسة إلى العلاج، وهذه أمور إدارية تختلف فيها اجتهادات الناس، لكننا كنا أحد الضحايا لهذه القضية.

فتحن قبل مجيئنا إنما اخترنا المستشفى الجامعي لشهرته العالمية وشهرة أطبائه وكون التجارب الناجحة التي سمعنا بها معظمها منه.

ومع أن المستشفى الذي ذهبنا له مستشفى كبير وله تسعة فروع في برلين سعتها نحو خمسة آلاف سرير وفيه أكثر من ألف وخمسة مئة طبيب، لكننا لاحظنا أن المستشفى للتأهيل والعناية الخاصة، فالفرع الذي نحن فيه، فيه رفاهية وبرستيج يخدم كبار الشخصيات فيما يتعلق بالأمراض اليسيرة، إضافة إلى قيام الفروع الأخرى بعلاج الناس من جميع الأمراض لكنه يبقى مستشفى عامًا ليس فيه تميز طبي. ولعل وجود الدكتور نزار معروف ونشاطه الدعائي للمستشفى هو الذي كون الشهرة التي بدأت تظهر حيث بنى علاقات مع بعض القطاعات الطبية في المملكة والخليج.

زرت في السفارة الملحق العسكري للسلام، وكذلك الملحق الصحي ولم أجدّه ووجدت بعض الموظفين وتباحث معهم في بعض أمور الوفد واحتياجاتهم ولقيت كل تعاون من الشباب هناك، ولكنني كتبت حتى عن رفقتي موضوع المستشفى حتى أتبين الأمر أكثر؛ لأنني أخشى أن أتحدث الآن ويتسبب ذلك في إشكالات رسمية نحن في غنى عنها. إضافة إلى ما وجدناه من اهتمام بحالة الوالد في مستشفى فيفانتس.



عقد بعد ظهر الإثنين ٢/٥/١٤٣٠هـ اجتماع لدراسة حالة الوالد رحمة الله بعد أن أمضى في المستشفى يوماً كاملاً وتمت له الفحوصات المبدئية وقد حضر الاجتماع البروفسور الألماني المشرف على حالته مع فريقه الطبي وحضر الطبيب المرافق لنا من المستشفى التخصصي الدكتور / محمد غياث جميل استشاري العناية المركزة والرئة وأمراض النوم، وحضر الملحق الصحي السعودي الدكتورة / عفاف الشمري، وحضر مرافقو الشيخ الأربعة؛ لأن أخي محمداً وابن العم فهد لم يصلا بعد.

وقد تبين من خلال الاجتماع أن الحالة مستقرة، ولكن الالتهاب الرئوي الحاد الذي تعرض له الوالد رحمة الله مازال يحتاج إلى عناية ومتابعة، وذكر البروفسور بيرنز أن الخطة العلاجية ستركز على معالجة الالتهاب والحرص على العلاج الطبيعي للعضلات، لحاجتها إلى التمرين بعد المدة التي قضتها الوالد على السرير، وقد بين أن العلاج قد يستغرق شهرين.

وكان الطاقم الطبي للوالد في ألمانيا مكوناً من البرفسور ستيفن بيرينز والطبيبة جلين ليمكيه وهي طبيبة عناية والدكتور جوزيف ساخو، وهو متخصص في الباطنة.

وهناك طاقم تمريض متميز، حيث تعاونوا معنا في توفير أفضل من عندهم، وقد حرصنا على ثباتهم مع الوالد رحمة الله.

كان الدكتور «نزار معروف» مع الفريق الطبي، وكان هو الذي نتسق معه فيما نحتاج إليه، فبادر جزاه الله خيرًا لتحقيقه.

أمن لنا المستشفى فريق ترجمة كان من أكثرهم ملازمة لنا إيااد معروف، وكان منهم إبراهيم وسمير وبشرى.

قرر البرفسور بيرنيز أن يجتمع معنا أسبوعياً مع فريقه الطبي ليلبغا بما عملوه ويشرحوا لنا حالة الوالد رحمهُ اللهُ فشكرناه على هذا الإجراء الذي لم نجده في المستشفى التخصصي في الرياض، حيث كنا هناك نلاحق الأطباء ونستغل الزيارة الصباحية لسؤال عن الوضع، فيجيبوننا على عجل لانشغالهم بزيارة المرضى الآخرين.

وصل الأخ محمد وفهد ابن العم محمد يوم الثلاثاء ومضى الأسبوع الأول ونحن على ترتيبنا الذي وضعناه في السكن والمستشفى وبدأ الأطباء في ترتيب العلاج للوالد رحمهُ اللهُ.

ويوم الخميس ٥/٥/١٤٣٠هـ عقد الاجتماع الأول مع الفريق الطبي برئاسة البرفسور بيرنيز، وقد عرضوا علينا وصفاً لوضع الوالد رحمهُ اللهُ مستعينين برسوم بيانية تبين التحاليل والفحوصات للكبد والدم والرئة والكلى والتهابات الجسم ونحوها، وقد طمأنونا بأن الوضع تحت السيطرة وأنهم متفائلون جداً بنجاح خطتهم التي ستستمر ثمانية أسابيع.

في الأسبوع اللاحق زارنا في المستشفى معالي السفير السعودي في برلين الدكتور أسامة بن عبدالمجيد شبكشي وقد بحث مع الأطباء الحالة الصحية للوالد رحمهُ اللهُ وبصفته استشارياً في أمراض الباطنة كان بحثه معهم متخصصاً مركزاً على جوانب مهمة في الحالة الصحية شملت المشكلة الرئيسية ووظائف الأعضاء الأخرى، وقد طمأننا بأن حالته مطمئنة وأنه يحتاج إلى وقت للعلاج لكي يتم شفاؤه إن شاء الله، وأبدى استعداد له لبذل أي جهد يساعد على علاج الشيخ وراحتنا، فشكرناه وودعناه.

وقد لاحظنا في هذا الأسبوع بداية تحسن في قراءات الأجهزة وفيما نراه من وضع الوالد، حتى في وعيه واستجابته مما أفرحنا وسرنا، حتى إننا



لاحظنا حبه أن نقرأ عنده القرآن ونرقيه، وإحساسه إذا لمسنا مواضع معينة من جسده، وتحريكه بعض الأطراف عند الطلب منه، وأخبرناه أنه في ألمانيا وأنه في تحسن ورأينا علامة الرضا على وجهه، وجاء أحد المرافقين مرة وكان يلبس قبعة فنظر له نظرة انتقاد وكان رَحْمَةُ اللهِ لا يحب لبس القبعة وينهى دائماً عن لبسها فتواصلنا ألا نحضر عنده إلا بالثياب، ولا تسأل عن مدى سعادتنا لما رأينا هذا التقدم في حالته، حتى أثر ذلك على حالتنا النفسية وراحتنا.

ومع شعورنا بأنه تحسن لكنه رَحْمَةُ اللهِ لم يكن يئن أو يتأوه وهذا مما عجب منه الأطباء والمرضون حتى قالت إحدى المرضيات: كنت أسمع أنه عالم دين كبير، وبعد تعاملي معه أحسست أنه محبوب من الله، فهو يصبر ويتحمل، لم يمر علي قط حالة مثله.

وعقد كالمعتاد في صباح الخميس ١٢/٥/١٤٣٠هـ الاجتماع الثاني بين الوفد والفريق الطبي وقد بشرونا بتحسن حالة الوالد رَحْمَةُ اللهِ من خلال عدد من المؤشرات منها تحسن ثاني أكسيد الكربون وارتفاع إنزيمات الكبد وأخبرونا بأن الأجهزة كلها تعمل بصورة جيدة، وأنهم اكتشفوا التهابين حادين وقد رتبوا لها مضادات مناسبة.

وبينوا أنه حدث معه نزيف يسير في الأمعاء بسبب المنظار، وهو ليس بمستغرب، ولاحظوا وجود بعض التقرحات بسبب طول مدة البقاء في السرير، وذكروا أنه يجري علاجها.

كان هذا الاجتماع مؤكداً لما لاحظناه من تحسن حالة الوالد رَحْمَةُ اللهِ ومفرحاً لنا كما ذكرت بأن السفر كان له نتيجة، لكن طبعاً لم يتح للوالد الوعي الكامل بسبب المهدئات؛ لأنه على جهاز التنفس وإن كانوا بدؤوا أيضاً

يجربون إقفال فتحة التنفس وتجربة الوضع بالتنفس عن طريق الكمامة، لكن البداية كانت غير مشجعة.

وفي هذا الأسبوع، يوم الأربعاء ١١/٥/١٤٣٠هـ ظهر البيان الأول للرافضي علي السراي الذي ادعى أنه قدم قضية للقضاء الألماني ضد الوالد، وسأحدث عن هذا الموضوع في آخر الكلام عن ألمانيا، وإن كانت حدثت أحداث تتعلق بها في الأسبوعين القادمين، لكنني أفضل أن يكون الحديث عنها بصورة منفردة، محافظة على الوحدة الموضوعية، وليحيط القارئ بالقضية من جميع جوانبها.

في الأسبوع الثالث لم تتقدم حالة الوالد رحمة الله بل حصل معه بعض المضاعفات ما اضطرهم إلى تغيير أنابيب جهاز التنفس وطلبوا من خارج المستشفى طبيياً مشهوراً في هذا المجال، وهو مسلم من أصل هندي، وكان اجتماعنا مع الفريق الطبي يوم الأربعاء ١٨/٥/١٤٣٠هـ، وأخبرونا أن هذه المضاعفات لأن البكتيريا دائماً تقاوم الأدوية وتغير من شكلها، وأنهم غيروا الأدوية تبعاً لذلك لما ظهرت نتائج زراعة التحاليل، وبيننا لهم أننا لاحظنا ارتفاع الضغط والنبضات وطلبنا ثبات المرضين لأننا لاحظنا تغييراً فيهم، طلبنا وجود المترجم دائماً؛ لأن الحاجة له ماسة حتى في الليل لأن الألمان لا يتحدثون الإنجليزية.

وكنت بعد ظهور قضية الرافضي علي السراي صليت في السفارة يوم الجمعة ١٣/٥/١٤٣٠هـ وأخبرت السفير بالقضية وأعطيته صورة بيان السراي وطلبت توفير الحماية الشخصية والقانونية للوالد رحمة الله، فكلفوا إحدى الشركات الأمنية فوفرت حارسين فطلبنا بالتنسيق مع المستشفى تكثيف الحراسة أكثر؛ تحسباً لأي طارئ.



وكان المستشفى قد وضع إجراءات احترازية قبل حدوث قضية السراي، وهذه الإجراءات يعملها دائماً مع كبار الشخصيات، فهم قد أدخلوه رحمة الله باسم محمد محمد ولا يظهر اسمه الحقيقي في بيانات المستشفى ولا في أوراقه، كما صرفوا لنا بطاقات دخول للمستشفى وهناك حراسة المستشفى المعتادة وأبواب الدخول المشفرة.

مر هذا الأسبوع والأسبوع الذي بعده ووضع الوالد رحمة الله لم يتغير بل حدث معه أزمات عدة خلال هذه المدة وكان يتجاوزها بعد مشقة وحدث في ليلة من الليالي أزمة حادة وكان العم سعد حاضراً لها، كانت أزمة مفاجئة وتوقع أن تكون النهاية ولكن الأجل لم يحضر بعد.

وكان الاجتماع مع الفريق الطبي في نهاية هذا الأسبوع قصيراً وعادياً ليس فيه جديد.

وعقد اجتماع بحضور معالي السفير لبحث رجوع الوالد رحمة الله للسعودية بعد تطور قضية السراي، وسأتحدث عنه لاحقاً.

وكان آخر اجتماع طبي قبل رجوع الوالد رحمة الله للرياض في ٢٠/٦/١٤٣٠ هـ وكنا في معمعة موضوع الرجوع بعد قضية السراي، وقد اعترف لنا الأطباء أنه بعد تحسن حالة الوالد رحمة الله في الأسبوعين الأولين إلا أن ذلك توقف في الأسبوعين الأخيرين بسبب زيادة الالتهابات وتنوعها، وبينوا لنا أن وضعه حساس وأنهم يبذلون جهوداً في السيطرة على الحالة وأن خطتهم المحافظة على وظائف الأعضاء والابتعاد عن مسببات المضاعفات كانخفاض الضغط والجلطات ونزيف المعدة وإنزال السوائل المتجمعة في الجسم التي تسبب انخفاض الضغط، وذكروا أن إخراج السوائل عملية دقيقة لئلا يتسبب في

نقص الأملاح والتسرع في ذلك يؤثر على الكلى والكبد والأعصاب ولهذا يعطى في الليل جرعات متوازنة.

وحددوا الهدف من العلاج بأن يخرج من هذه الأزمة، ولكنه سيبقى محتاجاً جهاز الأكسجين المتنقل مع تنفسه الطبيعي.

كان هذا الاجتماع وما ورد فيه من معلومات محبطاً لنا مع ما نعيشه من صراع مع السفارة لتجاوز قضية السراي التي نظرت لها السفارة نظرة أكبر مما تستحقه، ولكن إيماننا بالله يهون علينا كل مصيبة.

وكنت بعد مضي الأسبوعين الأولين بل وقبلهما أخطط لموضوع الانتقال من المستشفى، وبخاصة بعدما أحسست بأن حالته لم تعد تتحسن، وكنت أتصل على بعض من أعرفه من الإخوة في ألمانيا وأستشيرهم، وكانت الخيارات المفضلة هي مستشفى الشاريتيه الذي هو المستشفى الجامعي، ومستشفى هنوفر الجامعي، وكنت أجهز للانتقال ولوتحملنا نحن تكاليف العلاج عند رفض الملحق الصحي، ولكن تسارع الأحداث حال دون ذلك حينما بلغنا بطلب الملك **جنته الله** أن نعود للمملكة، فلم يكن لنا بد من طاعة أمره، فهو ولي أمرنا ولو كان ذلك مخالفاً لما نرغبه، وهذا ما سأفصله في النقطة الآتية إن شاء الله.

### تفاصيل القضية التي ادعاها الراضي علي السراي

كنا نصم آذاننا عن الهراء وتداول السفهاء في الكلام، فقد كان سماحة الوالد **رحمه الله** - وقد سرنا على منهجه - لا يلتفت إلى جلبة الدهماء ولا إلى تشويش الفوغاء.





وكانت للوالد رحمة الله مواقف جريئة صريحة يعرفه بها إخوته العلماء ويعذرونه ولو خالفوه فيها لوجهة نظر أو لتقدير ظرف، ويقبلها ولاة الأمر الذين عرفوا منه صدق النية وصفاء السريرة ومحض النصيحة، ويكبرها طلاب العلم الذين عرفوا عنه الزهد والعفة وبذل النفس في خدمة العلم وأهله وبذل الجاه والجهد في خدمة المحتاجين.

ولقد أثارت عودته من ألمانيا لفظاً لا كتبه الألسنة بحق وباطل، وكنت أتمنى أن يكون تناول هذه القضية من قبل الجهات الرسمية: لأن الأمر يعنيها أولاً وبخاصة سفارة المملكة العربية السعودية في برلين التي أطلعناها على الأمر منذ بدايته وسلمناها كثيراً من الوثائق والحقائق التي تدحض المزاعم التي بثها السراي في بياناته الصوتية والمكتوبة في الإنترنت أو في قناة الفيحاء الشيعية.

كنا نأمل من معالي سفير خادم الحرمين الشريفين أن يقول كلمة الفصل، ويبين الحقائق ويجلو الغموض وطلبت منه مرات عن طريق بعض موظفي السفارة ذلك؛ لأن الوصول إليه مخيمته الله عسير، ولكنه لم يفعل حتى الآن ولعل ذلك مراعاة لظروف لا نعلمها.

وليعذرني معالي السفير أن أكشف هنا عن الحقائق والخفايا التي لم تكشف في هذه القضية ولو كانت مرة مزعجة لبعض الناس، وبخاصة أنه كثر علينا لوم المحبين وطلب مستبيني الحق الذين أزعجهم السراي ببياناته المتلاحقة متهمًا شيخهم بالجبن والخور حينما رجعنا به من ألمانيا، وهم يعرفون عنه رحمة الله الشجاعة والبسالة بل إن السراي اتهم دولتنا الحبيبة وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين بأنها دولة الإرهاب وأنها لم تصمد أمام المواجهة.

وسأناقش هذه القضية بكل هدوء وأدب دون أن أعير أي اهتمام للألقاب أو الألفاظ التي تلفظ بها السراي ومجموعته - هداهم الله - ويمكن مراجعة الرابط الآتي<sup>(١)</sup> لمعرفة مستوى الألفاظ التي عبر بها السراي وهي أنموذج لمستوى التعبير لدى القوم.

وسيكون عرضي لهذه القضية مكوناً من مقدمة أعرف فيها بمقدم الدعوى ومجموعته ثم أعرض لبعض التهم التي زعم أنها تدين الشيخ وأبين تلبسه فيها بالكذب والتزوير ثم أتحدث عما سطره عن سبب رجوع الشيخ من ألمانيا، وأبين خلفيات هذا الرجوع وتفاعلاته.

### تعريف بمقدم الدعوى

مقدم الدعوى يدعى علي السراي، من مواليد ١٩٧٢م، كان من ضمن من سجنهم الرئيس العراقي صدام حسين عام ١٩٩٢م بعد ثورة قام بها الرافضة في العراق، وبعد خروجه من سجن الرضوانية غادر العراق<sup>(٢)</sup> واستقر بوصفه لاجئاً في ألمانيا، وقد بدأ في نشاطه الموجه ضد المملكة العربية السعودية منذ أواسط عام ٢٠٠٧م بدعم من المجلس الأعلى الإسلامي في العراق بزعامة الحكيم، وهذا المجلس مرتبط بالمخابرات الإيرانية منذ تأسيسه عام ١٩٨٢م<sup>(٣)</sup>، ولا يخفي السراي هذا الانتماء فهو يدبج هذه الرسالة العاطفية مبيئاً مرجعيته الحقيقية يقول فيها: « بيعة كانت ومازالت وستستمر بإذن

(١) <http://www.tahayati.com/Opinions/10.htm>

(٢) [http://www.samawh.com/articles.php?article\\_id=346](http://www.samawh.com/articles.php?article_id=346)

(٣) <http://iraqibeacon.wordpress.com>  
<http://www.yabdoo.com/board/showthread.php?t=52865>

(٤) انظر أنموذج من دفاعه عنهم في هذا الرابط

[http://www.samawh.com/articles.php?article\\_id=309](http://www.samawh.com/articles.php?article_id=309)





الله نجددها لك ولحفيدك قائدنا وحادي ركبنا وربان سفينتنا الإمام المفدى سماحة آية الله العظمى السيد (علي الحسيني السيستاني) حَفِظَهُ اللهُ وَرَعَاهُ ليبقى لنا خيمة أبوية يستقيء كل أبناء هذا الشعب تحت ظلها المباركة...»<sup>(١)</sup>.

وهو لا يخفي ولاءه لإيران حينما اعترض على المتظاهرين ضد زيارة نجاد لألمانيا<sup>(٢)</sup> مع أنه نظم مظاهراته التي يفخر بها في كل محفل حينما زار خادم الحرمين ألمانيا<sup>(٣)</sup>.

بعد تكون لجنة اعتصام سامراء ثم لجنة انتفاضة المهجر كان السراي أحد أعضائها<sup>(٤)</sup> بسبب حصوله على دعم سخّي من عبد العزيز الحكيم رئيس المجلس الأعلى الإسلامي في العراق، ثم أصبح يسمي نفسه مسؤول انتفاضة المهجر في ألمانيا<sup>(٥)</sup> وأحياناً في أوروبا، وهذه الانتفاضة تكونت بعد التفجير الثاني لمناрти المرقدين في مدينة سامراء بتاريخ ١٣ / ٦ / ٢٠٠٧ م<sup>(٦)</sup> وكان هدفها المعلن: «بلورة وتنفيذ فكرتها في المهجر ضد فتاوى التكفير والإجرام التي تطلق في السعودية من قبل مشايخ الوهابية لتهيئة رأي عالمي للضغط على الحكومة السعودية لتقف موقفاً واضحاً من فتاوى التكفير والتحريض والإرهاب التي تنتشر في كثير من المساجد والندوات والمليقات والجامعات في السعودية»<sup>(٧)</sup>، وقد كان لسان هذه الحركة قناة الفيحاء الشيعية التي

١) <http://imarahrebuilding.jeeran.com/Alsaray10.htm>

٢) <http://imarahrebuilding.jeeran.com/Alsaray12.htm>

٣) <http://www.youtube.com/watch?v=i6Z6fkoXtM0>

٤) [http://www.samawh.com/articles.php?article\\_id=217](http://www.samawh.com/articles.php?article_id=217)

٥) [http://www.samawh.com/articles.php?article\\_id=335](http://www.samawh.com/articles.php?article_id=335)

[http://iraqshabab.net/index.php?option=com\\_content&task=view&id=2245](http://iraqshabab.net/index.php?option=com_content&task=view&id=2245)

٦) <http://www.nasiriyyeh.net/Maqalat-Jan-08/Qasimalkufi-15jan08.htm>

٧) [http://www.iq-ch.com/home/news\\_view\\_107.html](http://www.iq-ch.com/home/news_view_107.html)

يملكها محمد الطائي وهي التي أسهمت منذ انطلاقتها في نشر الفتنة الطائفية والتحريض عليها، فكانت وكرًا للحشد الطائفي والكرهية لكل ما هو عروبي، ومحمد الطائي يلقب بـ «معذب الأسرى العراقيين في إيران»، وهو شخص يعرفه الأسرى العراقيون العائدون من إيران بأنه كان ضمن عناصر المجلس الأعلى المكلفين بتعذيب الأسرى العراقيين في إيران وكان يعمل ضمن صفوف ميليشيات «بدر»<sup>(١)</sup>. وهذه اللجنة منذ مدة طويلة تستهدف علماء المملكة وخاصة المعروفين بموقفهم الواضح من الشيعة<sup>(٢)</sup>، وتحاول اللجنة أن تتكلم باسم شعب العراق، بل أحياناً باسم العالم مع أنها شيعة المذهب طائفية المنشأ والولادة، ولكن تفعل ذلك لاسترضاء العالم واجتذاب القلوب، ومن الأدلة على تشيعها وغلوها أن موقع انتفاضة المهجر حينما كان تحت الإنشاء وضع فيه نشيد شرقي يقول: إن آل البيت هم الملاذ الوحيد من العذاب الأليم<sup>(٣)</sup>.

وهذه اللجنة تصر على استهداف المملكة العربية السعودية لأسباب عدّة ظاهرها أن السعودية تقف ضد مصالح العراق، وحقيقتها أن السعودية تقف ضد المد الشيعي في المنطقة، وهذا ما لا يريدونه<sup>(٤)</sup>، وقد أنشأت اللجنة موقعاً إلكترونيًا باسم صوت السلام، وقد وجدت هذا الإعلان فيه أنقله للقراء لعلهم يجدون فيه تلخيصاً لكل ما يمكن أن يقال: «السلام على المؤمنين بالله وبالرسول وأهل بيته والإسلام الأصيل، موقع صوت السلام هو موقع

(١) [http://alrased.net/show\\_topic.php?topic\\_type=7&topic\\_id=1239](http://alrased.net/show_topic.php?topic_type=7&topic_id=1239)

(٢) <http://www.nasiriyeh.net/Maqalat-Jan-08/Qasimalkufi-15Jan08.htm>

(٣) <http://www.alforat.net/Intfadheh.htm>

وهذا رابطته المباشر

<http://www.youtube.com/watch?v=vRp4DLvojTk&eurl=http%3A%2F%2Fwww%2E>

[.alforat%2Ehtm&feature=player\\_embedded](http://www.alforat.net/Intfadheh%2Ehtm&feature=player_embedded)

(٤) <http://www.yazahra.org/1/Almaqalat/Al-yasiri/entefadat%20almahjar.htm>



انتفاضة المهجر ضد التكفير والإرهاب الوهابي، فمن لديه الإمكانية من الإخوة والأخوات أن يتطوع للعمل في الموقع فلا يبخل علينا والعمل هو بسيط جداً مجرد محرر ينقل الأخبار ويضعها بالموقع ونشر البيانات وجزأتكم على الله، علمًا أن الموقع تم نذره للإمام المهدي عليه السلام فلا يملكه أحد سوى مشرفين وخدم من الإخوة والأخوات وفقهم الله جميعاً... والموقع غير خاضع لجمعية دون أخرى فهو لجميع الشيعة وباقي المسلمين محبي السلام ونشر مبادئه الصحيحة بعيداً عن التطرف والتكفير الوهابي». ا.هـ. بحروفه<sup>(١)</sup>.

ولم أجد في الصفحة الرئيسة لموقع اللجنة أي تعريف يكشف عن هويتها<sup>(٢)</sup> وكل ما ذكرته هنا هو من مقالات بعض أعضائها.

ولا شك أن السراي ليس تلك الشخصية المشهورة ولا المحبوبة من قبل الجالية العراقية حتى الشيعة منهم في برلين، لهذا أبدى في أحد مقالاته امتعاضه من عدم رضا الجالية العراقية عنه وإقصائه عن حضور المؤتمر الخاص بالجالية في برلين<sup>(٣)</sup>، والسراي يستهدف الحكومة السعودية ويدعو دائماً لتنظيم المظاهرات أمام سفاراتها ومقراتها، بل حتى مدارس الأطفال في ألمانيا وبعض دول أوروبا<sup>(٤)</sup>، ومع حرصه على تنظيم هذه المظاهرات إلا

(١) <http://www.alawale.net/vb/showthread.php?t=21445>

(٢) [http://www.baghdadtimes.net/Arabic/ourwriter.php?com=writers\\_show&id=42&page=14](http://www.baghdadtimes.net/Arabic/ourwriter.php?com=writers_show&id=42&page=14)

(٣) [http://www.samawh.com/articles.php?article\\_id=384](http://www.samawh.com/articles.php?article_id=384)

(٤) نماذج لدعوته للتظاهر أمام المقرات السعودية <http://imarahrebuilding.jeeran.com/alsaray6.htm>

[http://www.samawh.com/articles.php?article\\_id=169](http://www.samawh.com/articles.php?article_id=169)

[http://www.samawh.com/articles.php?article\\_id=157](http://www.samawh.com/articles.php?article_id=157)

<http://www.al-kawther.net/Arabic/news-files/2007.htm.0005/011>

أنها تكون قليلة العدد يزج فيها بالنساء والأطفال<sup>(١)</sup> واسمع شكوى الأطفال في هذا التسجيل من التعب واعتراف المتظاهرين بقلّة الحضور وتقاعس العراقيين عنه<sup>(٢)</sup>. وهو أحياناً يهاجم بعض دول الخليج باتهاماته كقطر<sup>(٣)</sup> والإمارات العربية المتحدة<sup>(٤)</sup>.

ويطلق على السراي في بعض المواقع السنوية المتهمة برصد تحركات الشيعة: مندوب ميلشيا فرق الموت الشيعية في المهجر<sup>(٥)</sup>، ولا يخفى نشاط هذه الفرق الدموي ضد السنة في العراق وغيره حيث كونتها ميليشيات جيش المهدي التابعة للقوات الصدرية، ثم بعد تولي باقر صولاغ حقيبة الداخلية في فترة رئاسة إبراهيم الجعفري لمجلس الوزراء قام بزج عناصر الميليشيات من جيش المهدي وقوات بدر إلى كافة تشكيلات الداخلية وأجهزتها، فأصبحت تفتك بالمسلمين السنة لمجرد الهوية<sup>(٦)</sup>.

### الاتهامات التي زعمها السراي ودندن حولها

الظاهر لي من خلال تتبع السراي منذ أن أعلن عن وجود قضية ضد الوالد رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهَا وزعم أنه عثر على أدلة عدّة تدينه وأن هناك فريقاً من المحامين والمترجمين يعكفون على ترجمة كلام الشيخ... إلخ ما قال، إن هذا كله يهدف منه السراي إلى أمور أهمها.

(١) <http://www.youtube.com/watch?v=UJ0IfkFAFPo>

<http://www.youtube.com/watch?v=Vwgr3RUhytI&feature=related>

<http://www.youtube.com/watch?v=UJ0IfkFAFPo&feature=related>

(٢) [http://www.youtube.com/watch?v=LpKBncU6V\\_Q](http://www.youtube.com/watch?v=LpKBncU6V_Q)

(٣) انظر هجومه البذيء على دولة قطر وقناة الجزيرة / <http://imarahrebuilding.jeeran.com> .alisarai1.htm

(٤) [http://www.samawh.com/articles.php?article\\_id=309](http://www.samawh.com/articles.php?article_id=309)

(٥) <http://frqan.com/shows.php?showid=249>

(٦) <http://www.alrashead.net/index.php?prevn&id=2098&typen=3>



تحريك قضية إعلامية ضد المملكة.

البروز الشخصي.

الكسب المادي.

ولقد قمت باستعراض ما كتبه من اتهامات للوالد رحمته الله وتبين لي أن القضية مجرد تهويل إعلامي يراد به التشويش على وجود الوالد رحمته الله في ألمانيا ومن أبرز ما ذكره من تهمة فيما يزعم:

زعمه أن الوالد رحمته الله يبيح فيها قتل الشيعة، وقد اعتمد على فتوى للوالد رحمته الله برقم ١١٠٩٢ عن حكم ذبائح الرافضي ومعاملته، قال فيها رحمته الله: لا يحل ذبح الرافضي ولا أكل ذبيحته، فإن الرافضة غالباً مشركون حيث يدعون علي بن أبي طالب دائماً في الشدة والرخاء حتى في عرفات والطواف والسعي، ويدعون أبناءه وأئمتهم كما سمعناهم مراراً وهذا شرك أكبر وردة عن الإسلام يستحقون القتل عليها.

والسراي لعدم فقهه أو لسوء طويته لم يفرق بين الحكم باستحقاق القتل والدعوة إلى القتل، وكتب الفقه مليئة بأحكام المرتد في جميع المذاهب ولا شك أن من صدر منه ما ذكره الوالد رحمته الله مرتد خارج عن الدين.

ومن التهم التي زعمها تسجيل صوتي، قال: إن الشيخ يدعو فيه لقتل الشيعة والتنكيل بهم<sup>(١)</sup> ومن يسمع هذا التسجيل بإنصاف يرى أن الشيخ الوالد رحمته الله محق؛ لأنه يدعو إلى قتل قتلة أهل السنة في العراق.

(١) <http://www.4shared.com/file/104148224/fa66bf3f/> .html

ومن تهمه أنه ساق فتوى للوالد رحمته الله فيها الأمر بهدم المراقد المقدسة للمسلمين وغير المسلمين<sup>(١)</sup>، وهي الفتوى رقم ٤٩٤٠ التي قال فيها رحمته الله: «جاء الإسلام بتحريم البناء على القبور، وتحريم تجسيصها، والأمر بهدم البناء عليها؛ لقول النبي ﷺ: لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»<sup>(٢)</sup> والنهي عن البناء على القبور يقتضي تحريمها، وذلك لأنه ذريعة إلى عبادة الأموات، كما هو الواقع في كثير من البلاد الإسلامية التي وقع فيها الغلو في أصحاب القبور بسبب رفع تلك القبور، والبناء عليها، وتجسيص تلك المباني وتلوينها، وكثرة الكتابة عليها، وزخرفتها، فيعتقد الجاهل أن أولئك الأموات لهم خصوصيات، ولهم فضل وشرف، ما يحمل الجهال على الطواف بتلك القبور، والتمسح بتلك الأبنية، واعتقاد أن أصحاب هذه الأضرحة من الأولياء، والشهداء الذين لهم جاه عند الله، والذين ينفعون من تعلق بهم، ويشفعون لمن دعاهم، ويجيبونه، ويعطونه سؤلته، وذلك بلا شك شرك في العبادة، وتعظيم لهؤلاء الأموات، فالواجب هدم تلك الأبنية، حيث يقر أهلها بأن البناء محرم».

ومن دعاواه تسجيل صوتي منتشر للوالد رحمته الله زعم أن الوالد يثني فيه على زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن<sup>(٣)</sup> وقد جاء بنص مبتور من كلام الشيخ الوالد رحمته الله وآخره ينقض دعواه التي استدل بالنص عليها.

واليك النص كاملاً «السؤال يقول: كثر كلام الشباب في أسامة بن لادن فنريد منكم توضيحاً ما الموقف من أسامة بن لادن؟

(١) <http://i42.tinypic.com/o0w8k7.jpg>

(٢) أخرجه مسلم في باب الأمر بتسوية القبر من كتاب الجنائز برقم ٢٢٨٧ و٢٢٨٨.

(٣) [http://www.4shared.com/file/104159003/d06cd2a5/\\_\\_\\_\\_\\_html](http://www.4shared.com/file/104159003/d06cd2a5/_____html)



الجواب: أسامة كان من أفراد هذه البلاد، فردًا من الأفراد، من أولاد محمد بن لادن، وكانوا أهل ثروة وأهل مال وأهل مقاولات، ثم إنه عزم على أن يغزو للجهاد، فتوجه إلى الأفغان، قبل عشرين سنة أو أكثر، وحصل له فوائد هناك وشجعه الذين يعرفونه، يعرفون جهاده وجهوده، ومدحه الخاص والعام، ولم ينتقدوا عليه شيئاً في القتال الأول، ثم لما حصلت وقعة فتنة الخليج، التي في سنة ١١ وحصل أن دولتنا ودولة الكويت استقدموا الأمريكان، أنكر ذلك عليهم وكأنه تجراً على أن هذا كفر وأنكم قد كفرتم بذلك ونحو ذلك، فأنكر عليه هذا التكفير الذي هو تكفير الدولة ومن حولها، هذا هو الذي أنكر عليه وهو مجتهد نحن لا نكفر مسلماً لا نكفره ولكن نقول: أخطأ في هذا التكفير وأن الذين آووه ونصروه يعتبرون مثله في أنهم يكفرون المسلمين هذا القول الصواب فيه» .

وأورد أيضاً كلام أحد المشاركين في هجمات ١١ سبتمبر وهو أحمد الغامدي الذي قال: إنهم اعتمدوا على فتاوى لمشايع ذكر منهم الوالد وقد بين الوالد رحمة الله في الفتوى رقم ١٣٠٩٢ أنه لا صحة لما قاله الغامدي.

وأورد قصة مكذوبة<sup>(١)</sup> عن احتفال عقد في إمارة منطقة الرياض بحضور الأمير سلمان وعدد من المشايخ منهم المفتي العام والشيخ صالح الفوزان والوالد رحمة الله والدكتور ناصر العمر، وقد بحثت عن مصدر لهذا الخبر فلم أجده إلا في مواقع الرفض، وقد سألت الشيخ ناصر العمر، فكذبه.

والخلاصة أن دعاواه كلها واهية ليس لها نصيب من الصحة، وبخاصة أن الوالد رحمة الله له كثير من الفتاوى تحذر من الإرهاب وتحرمه وتجرمه

(١) <http://i40.tinypic.com/2hgtrtl.jpg>

ومنها الفتاوى من رقم ١٣٥٦٤ حتى رقم ١٣٥٧٠ والفتوى رقم ١٣٠٨٢ والفتوى رقم ١٢١٥٥ والفتوى رقم ١٤٦١٥ وغيرها.

**سبب رجوع الوالد ﷺ من ألمانيا، وخلفيات هذا الرجوع وتفاعلاته.**

الذي أشاعه السراي أن سبب رجوع الوالد ﷺ من ألمانيا هو الهرب من مواجهته في القضية التي رفعها ضده، وعد هذا انتصاراً ووعد بمتابعة القضية التي لم نر لها بعد رجوع الوالد ﷺ أثراً، بل ولا حتى قبل رجوعه.

وفي الحقيقة لقد كان لرجوع الوالد خلفيات أحب أن يطالع القارئ عليها لأنها جزء من سيرة الوالد وتاريخه الذي ينبغي أن يكتب للأجيال.

ذكرت أن السراي أعلن دعواه في ١١/٥/١٤٣٠ هـ الموافق ٦/٥/٢٠٠٩ م وأني بلغت السفير بعد صلاة الجمعة من يوم ١٣/٥ وأعطيته صورة من بيان السراي الأول، وطلبت منه حماية الوالد شخصياً وقانونياً، فرتب الحماية الشخصية عن طريق إحدى الشركات الأمنية.

وقد استمر السراي في مهاتراته الإعلامية، فأصدر بياناً آخر بتاريخ ٩ مايو ٢٠٠٩ عتب فيه على من يلومه على تقديم الدعوى، ثم أصدر بياناً ثالثاً بتاريخ ٢٠ مايو ٢٠٠٩ دعا فيه أهل السنة من أصحاب المذاهب المختلفة للتضامن معه، وخرج في قناة الفيحاء الشيعية مرتين مردداً هذه الدعوى.

اتصلت بالأمير سلمان واستشرته فطمأنتني بأن لا خوف علينا وأن هؤلاء لا يستطيعون عمل شيء، وطلبت من معالي الشيخ ناصر الشثري المستشار في الديوان الملكي أن يسعى في إصدار جواز دبلوماسي من باب الاحتياط، فسعى في ذلك وأرسل الجواز عن طريق السفارة.



وزارنا السفير يوم الأربعاء ١٨/٥/١٤٣٠هـ وجلس معنا واقترح علينا أن نرجع بالشيخ من باب المحافظة عليه، فسألناه هل هذا الاقتراح منك؟ فقال: نعم، فاقترحنا أن يسأل الأطباء عن رأيهم في رجوع الشيخ حالياً، واجتمعنا بالأطباء يوم الخميس وعرض عليهم الموضوع وسألهم عن إمكانية رجوع الشيخ للسعودية فرأوا أنه ليس من المصلحة رجوعه للسعودية حالياً، ثم سألهم عن إمكانية الذهاب معه للرياض؟ فذكروا صعوبة ذلك؛ لوجود التزامات ومرضى غيره.

بعد هذا جلس السفير معنا وأخبرنا أنه استشار محامي السفارة وأشار بسرعة رجوع الشيخ للسعودية قبل أن يقرر القضاء الألماني منعه من السفر، وقد طلبنا منه أن نقابل المحامي، فوعد بترتيب لقاء قريب معه.

ويوم السبت ٢١/٥/١٤٣٠هـ عقد اجتماع في السفارة السعودية بحضور المحامي وقد تكلم المحامي عن القضية وأنه سمعها من الإعلام ولم يتبين بعد شيء رسمي؛ لأن القضاء الألماني يعتمد السرية.

وقد شرحنا له ظروف الشيخ الصحية وكونه مكث مدة في المملكة ولم يتحسن وأنه قد ظهرت بوادر التحسن عليه هنا وبيننا له أن المجازفة بسفره قد تضر بحياته والدعوى قضية ظنية لم تتحقق بعد وأن اعتماد هؤلاء على كلمات مزورة مبتورة أو قديمة تتحدث عن فترة سابقة، وبعدما شرحنا للمحامي قَدَّرَ الموضوع ووافق على أن بقاءه أولى من رجوعه.

واجتمع معنا السفير آخر الأسبوع لإقتناعنا بالسفر وأنه الخيار الأفضل بسبب تعذر نقل التأشيرة للجواز الدبلوماسي لاعتذار الخارجية، ولأن البوليس الجنائي لم يستطع عمل شيء ووزير الداخلية صرح بأنه لا يستطيع عمل شيء وأنه بالتواصل مع المستشفى اتضح أن الوضع الصحي لم يتغير وأن الرئة

فيها تليف وانتفاخ في الحويصلات الهوائية وخمول في العضلات التنفسية ويوجد جرثومتان لم تستطع المضادات القضاء عليهما وقد قرر المستشفى أنه لا يستطيع عمل شيء جديد وأن الأفضل أن يسافر لمصلحته، وقال لنا: إن الملك أمر بنقل الشيخ للرياض عن طريق مكالمة وزير الخارجية له، واتصل به وزير الصحة لتأمين النقل للرياض وتأمين سريره له.

كنا قد سئمنا من كثرة إلحاح السفير علينا بالرجوع، وتيقنا بأن هذه رغبته خوفاً من أمر محتمل بل ضعيف الاحتمال فقلنا له: على فرض صحة القضية أيهما أهم الحرية أو الصحة والعافية؟، فقال: الصحة أهم، قلنا له: إذن ما لم يأتنا أمر صريح بالرجوع من الملك الذي أرسلنا فلن نرجع، ونحن نقدر حرص المسؤولين وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين على سلامة الشيخ، ولكن نظراً لوضع الشيخ الصحي فلا نجرؤ على اتخاذ قرار الرجوع؛ لما فيه من مخاطرة بحياته، ولكننا لن نعارض قرار الرجوع إذا صدر من الجهات العليا من باب السمع والطاعة. ونأمل ممن يتخذ مثل هذا القرار أن يضع في حسابه جميع ما يترتب على ذلك من آثار تتعلق بالخطر على حياة الشيخ، وبيننا له أننا نجزم بأن القضية مجرد فقاعات إعلامية ليس لها وجود قانوني، بدليل أن السفارة ومرافقي الشيخ لم يصلهم أي شيء من الحكومة الألمانية حول الموضوع، وقلنا له: إن التراخي أمام هذه الدعاوى الكيدية يجعل أهلها يتجرؤون على بلادنا حماها الله وقادتها وعلمائها.

وقد لاحظنا تغيراً في موقف المستشفى. فبعد أن كانوا قالوا للسفير: إن سفره ليس من مصلحته صاروا يقولون لنا: إن الحالة حرجة والمضاعفات محتملة ويجب استمرار العلاج ولكن يمكن إكماله في الرياض ولو تم نقله فسيرافقه فريق طبي هو طبيبته المشرفة ونزار معروف وممرض، ولعل



السفير أثر عليهم وبخاصة أن المستشفى في طور بناء علاقات ومصالح مع بعض القطاعات الصحية في السعودية.

ولكن زاد من طمأنينتنا الخبر<sup>(١)</sup> الذي نشر عن لقاء سمو الأمير نايف رحمته الله مع وزير الداخلية الألماني يوم الأربعاء ١٤٣٠/٦/٢ هـ وبين الأمير نايف أنه حصل على ضمانات من الألمان بألا يمس الشيخ عبد الله بن جبرين الداعية السعودي المعروف، بأي أذى خلال زيارته العلاجية الحالية لألمانيا التي يرقد في أحد مستشفياتها لتلقي العلاج.

لكن السفير هداه الله لم يقتنع بكلامنا ولا بكلام الأطباء ولا بكلام المحامي وظل يبعث البرقية تلو البرقية حول وضع الوالد وأن القضية خطيرة ويخشى من تفاعاتها، وقد بلغني بذلك بعض الإخوة من الديوان الملكي ومن السفارة السعودية في برلين، وذكروا أنه بعث ثلاث برقيات في زمن متقارب، كلها تحمل هذا المعنى، وذلك بهدف استصدار أمر من الملك لرجوعنا، وقد استطاع ذلك حيث اتصل بي معالي الأستاذ خالد العيسى نائب رئيس الديوان الملكي صباح يوم ١٤٣٠/٦/٥ هـ وبلغني برغبة الملك في عودة الوالد للمملكة حفاظاً على سلامته وذلك بعد اطلاعه على بعض التقارير المرفوعة له رحمته الله عن الوضع الصحي والأمني للوالد شفاه الله، وأن الطائرة ستكون عندنا في الساعة الخامسة عصرًا، فقلت لمعاليه: إذا كان الأمر من الملك فعلينا السمع والطاعة والأمر لله من قبل ومن بعد، واتصلت بالأمير سلمان لعله يقنع الملك بوجهة نظرنا فوعدني خيرًا، ثم اتصل بي لاحقًا، وقال لي: من الأفضل أن ترجعوا، ففهمت مقصوده وسلمنا أمرنا لله.

(١) الخميس ٠٣ جمادى الآخرة ١٤٣٠ هـ ٢٨ مايو ٢٠٠٩ العدد ١١١٢٩.

ومن عجائب الأقدار أن زوجتي كانت ستأتيني في ألمانيا، وكانت في المطار والمفترض أن الطائرة قد أقلعت، فاتصلت بي بعد اتصال الأستاذ خالد العيسى وقالت: إنها لم تتمكن من السفر هذا اليوم وستأتي غدًا، وذلك لأن تأشيرتها تبدأ من غد، فقلت: الحمد لله، لا تأتي إلينا سنأتيكم نحن هذا اليوم.

وزعنا الأعمال بيننا لكي تنجزها قبل مجيء الطائرة وكانت كثيرة جدًا، ولكن الله أعاننا عليها، فلم تغب الشمس إلا ونحن جاهزون للسفر، وجاءت الطائرة متأخرة قليلًا، فجهزوا الوالد رحمة الله وحملوه في سيارة الإسعاف وتوجهنا للمطار.

كان الجو باردًا وقد وجدنا مندوبين من السفارة أمانًا، ولم يكن السفير معهم، فدخلنا المطار ولما وصلنا للطائرة بدؤوا بإركاب الوالد رحمة الله ولما انتهى سألناهم عن جوازه الدبلوماسي؟ قالوا: في السفارة قلنا: لن نطير من دونه، فابتعد أحدهم واتصل بالسفير فيما يظهر، ثم جاء وأعطانا الجواز فعجبت من جرأته على الكذب ومن تعنت السفير في عدم إعطائنا جواز الوالد رحمة الله.

ركبنا طائرة الإخلاء الطبي، فجاأنا الطيار بطلب غريب وهو أن ينزل منا ثلاثة؛ لأن الطائرة لا تتحمل، قلت له: لقد جئنا بالطائرة نفسها وبالعدد نفسه؛ لأن العم سعود رجع قبلنا بثلاثة أيام وليس معنا إلا ثلاثة من المستشفى، فحاولت معه فرفض وأصر على نزول ثلاثة منا، فاتصلت بسمو الأمير سلمان وكان في المغرب وكنت إذا طلبته في أي ساعة يرد علي جزاء الله خيرًا، فلما شرحت له الأمر طلب مني الانتظار قليلًا، ثم اتصل بي ثانية وطلب الحديث مع قائد الطائرة فأعطيته الهاتف فتحدثت معه، فاستجاب





وتحرك، ولم أدري ماذا دار بينهما ولم أسأل، فلما كلمني سموه بعد رجوعنا قال لي: أتدري ماذا قلت له؟ قلت: لا.. قال قلت له: الجماعة لا ينزل أحد منهم، وإذا ترى ضرورة نزول أحد فلينزل أحد ممن معك، فشكرته على هذا الاهتمام، ولا ريب أنه قد اتصل وسأل عن الطائرة وعرف أن قائد الطائرة أخطأ في اجتهاده ولهذا شدد عليه في الطلب.

أقلعت الطائرة ونحن قد عجبنا من تصرفات السفير هداه الله وإصراره على مغادرتنا البلاد، لكننا نوقن بأن خيرة الله لنا خير مما نحب ولهذا لم تضق صدورنا بشيء قدره الله علينا.

وقبل أن أنتقل للحديث عن وصولنا للرياض دعني أذكر لك الأسباب التي جعلتنا نجزم بأن القضية مجرد تهويل إعلامي لا أكثر.

علي السراي شيعي عراقي وكل من نشر عن القضية هو من الرافضة.

فالذي أثار القضية في البرلمان الألماني، وهو أوميد نوريبور (نائب من حزب الخضر) رافضي أصله من إيران وأصل اسمه أحمد نوري بور وتأمل الأسئلة والتعليقات التي طرحها على بيتر التماير سكرتير الدولة البرلماني المفوض عند وزير الداخلية الألماني الاتحادي<sup>(١)</sup>:

١- كيف يسمح بالإقامة لواعظ الكراهية الوهابي ع.إ.ج في ألمانيا مع تصريحاته الدينية المحرصة على الفتنة.

٢- نشهد في أثناء إقامة الفعاليات الكبرى كبطولة كأس العالم أو كأس أوروبا لكرة القدم أنه في الحالات العاجلة لا توجد هناك مشكلة أمام عدم إعطاء فيزة الشنكن (لأسباب أمنية) وإن الحكومة الألمانية أمام خلفية

(١) <http://www.gilgamish.org/viewarticle.php?id=19190&pg=articles&art=mp>

معرفتها بحقيقة كون السيد ابن جبرين مستعداً لتبرير أعمال أسامة بن لادن لم تفكر (أي الحكومة الألمانية) بأن تستخدم هذا الحق في شأنه، فمند إقرار قانون الهجرة الألماني ونحن نعلم أن أقل تصريحات أو خطب متطرفة لناشط في أحد مساجد برلين كرويتسيرغ يمكن أن تؤدي به إلى الطرد الفوري.

٢- لقد فهمتكم هكذا. عندما يلقي شخص ما خطاباً متطرفة في باكستان فإن بإمكانه القدوم إلى ألمانيا بهدوء، طالما أنه لا يلقي مثل هذه الخطب طيلة الوقت الذي يكون فيه موجوداً هنا ولا توجد إذًا مشكلة بشأن معاملته كضيف في الدولة أليس كذلك؟

٤- هل جرى ضمناً بحث موضوع أتباع هذا الرجل (أي ابن جبرين) في ألمانيا بكونهم تحت المراقبة القوية من قبل حماية الدستور (المخابرات الألمانية)، وذلك في أثناء المحادثات مع الجانب السعودية. فهذا أنموذج لأحد الذين كانوا يحركون القضية.

نشرت عن القضية بعض الصحف والمجلات الغربية ومنها مجلة الدير شبيغل الألمانية<sup>(١)</sup> والذي كان وراء المقال كاتب اسمه ياسين مشربش وهو ألماني من أصل عربي ويحمل حقداً على السعودية يظهر من بعض مقالاته<sup>(٢)</sup> ويكفي قراءتك لعنوان مقاله لتعرف من هو فإنه قد عنون ب: (حماية الشرطة الألمانية للخطيب السعودي الحاقد) ومما جاء في مقاله: «إن الشيخ عبدالله ابن جبرين يتمتع بسمعة واسعة في المملكة العربية السعودية ولا يمكن لأحد الوصول إلى تلك المكانة غيره، وله هيبة وصيت، حيث كان أجداده من

(١) <http://www.spiegel.de/politik/deutschland/0,1518,628408,00.html>

(٢) انظر مثلاً: [http://www.dw-world.de/popups/popup\\_lupe/0,,15291488\\_ind\\_3,00.html](http://www.dw-world.de/popups/popup_lupe/0,,15291488_ind_3,00.html)



الحاشية المقربة للملك عبدالعزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية، ويعد من أفضه العلماء السعوديين على الإطلاق، وإن سلطته عظيمة الشأن وله أتباع كثيرون، حيث يعد الفقيه الوجيه ابن جبرين شخصاً غير مرغوب فيه بين أوساط المثقفين وأصحاب الكفاءات المختلفة، وهذا نابغ من الموقع الذي يشغله ابن جبرين. حيث يُعد الخصم العنيد للشيعة. رغم أن المملكة تحتوي نسبة لا بأس بها من أتباع مذهب أهل البيت والذين يقدر عددهم بنحو عشرة بالمئة من عدد سكان المملكة.

إن كره ابن جبرين للأقليات المذهبية للمسلمين يصل إلى درجة إصدار الفتاوى بقتلهم».

ونشر في النيويورك تايمز<sup>(١)</sup> مقال بقلم: سعاد مكنت صدرته بقولها: «رجل دين سعودي بارز كان قد أشاد بأسامة بن لادن ودعا في خطبه ومواعظه الدينية إلى العنف ضد الشيعة والمسيحيين واليهود، جاء خلسة الى ألمانيا لتلقي العلاج الطبي» ويكفيك هذا للدلالة على توجه صاحب المقالة أو غفلته باعتماده على معلومات غيره دون تمحيص.

ونحن نجزم بأن القضية القصد منها التهويل وهي جمعية بلا طحن كعادة السراي في مظاهراته ومطالباته، فقد ذكروا أنهم تقدموا قبل عامين من وفاة الوالد بقضية لمحكمة العدل الدولية ولم نر شيئاً على الواقع وها نحن نقتررب من نهاية السنة الثالثة بعد هذه القضية التي شغبوا بها على الوالد رمة لله ووعدوا بالموافاة فيها وأنها ستشمل أربعين من علماء المملكة ولكن

<http://www.nytimes.com/2009/06/18/world/europe/18germany.html?scp=1&sq=Saudi%20Cleric%20With%20Militant%20Views%20Paid%20Medical%20Visit%20to%20Germany%20&st=ese> (١)

ذلك ذهب أدراج الرياح، لكن سفيرنا هداه الله لم يأخذ برأينا فتحن نعرف القوم وأساليبهم الوصلية.

واني لأشكر الله ثم أشكر كثيراً من الإخوة في السفارة السعودية في برلين وملحقياتها الذي تعاطفوا معنا وكانوا يرون خطأ اجتهاد السفير وعدم شجاعته في مواجهة الحدث، وعدم تقديره لمكانة الشيخ وشيئته ومرضه.

ومع هذا كله فتحن كما قلت: نعتقد أن ما حدث هو اختيار الله ومشيتته في أن يعود الوالد رَحْمَةُ اللهِ ليودعه أهله ومحبيه قبل أن يودع هذه الدنيا والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ومن الغريب أن الملحق الصحي الدكتورة عفاف الشمري غابت عن هذه القضية، فلا أدري هل لانشغالها وسفرها أو خوفاً من الحرج معنا ومع السفارة، وفعلاً إن كان مقصوداً تصرف حكيم يحمدها، فمثل هذه المواقف المخرجة السلامة منها مطلب للعاقل.

### العودة للمستشفى التخصصي في الرياض

بعد أمر الملك بالرجوع لم يكن لنا بد من ذلك، ومن باب العدل لقد كان تعامل المستشفى والملحقية الصحية وكل موظفي السفارة جيداً وحتى السفير لم يقصر معنا بشيء، لكنه ضايقنا بإصراره على رجوعنا والعمل من تحت الكواليس لأجل ذلك، وإذا كان اطلع على ما يوجب ذلك فتحن نعذره، ولكن كنا نريد أن نطلع على ما اطلع عليه لأن الأمر يعيننا، ونحن نحب بلادنا ولا نرضى لها بالحرج، وسنقدر الأمر قدره، لكن بعض السياسيين وبعض المسؤولين يظن أن كتم الأمور حتى على من يعينهم الأمر أفضل وهذا اجتهاد





خاطئ يسبب عنثا للناس ويجعلهم يحملون في نفوسهم على صاحب هذا التصرف، ولهذا فكل الوفد بل كل من كشفنا له الأمر من الأقارب والأصدقاء أخذ في نفسه على السفير هداه الله.

لقد رافقتنا عند رجوعنا الطبية المشرفة والدكتور نزار معروف والممرضة إدث وكانوا معنا في المطار واستغربوا من تصرف السفارة فيما يتعلق بالجواز الدبلوماسي، ولما أقلعت الطائرة استقر كل منا في مكانه، وكان الطيار الذي جاء بنا إلى برلين لطيفاً جداً يأتينا ويحدثنا ويدخل معه في المقصورة ويواسينا هو ومساعدته. أما الطيار الذي رجع بنا - مع أننا كنا في حاجة إلى مواساة أكثر ولكن الموقف الذي حصل أثر عليه - فكان تعامله معنا عاماً.

وصلت الطائرة لمطار الرياض في صباح السبت قرابة الساعة السابعة وكنا بلغنا بعض الأقارب والأحباب فوجدنا عدداً منهم في انتظارنا في المطار ولما وقفت الطائرة أنزلوا الوالد رحمه الله ووضعوه في سيارة الإسعاف وأردت أن أركب معه فاعتذروا بضيق المكان فبرمت من تصرفهم ولم أرد الإصرار فتحن لسنا في وضع يسمح لنا بالجدال. وكان الشيخ يوسف العطير وفقه الله حاضراً وهو من تلاميذ الوالد وأخصائه فأخذ بيدي وأركبني في سيارة الإسعاف وقال: أنت أولى من يركب، فلم أنس هذه الوقفة منه جزاه الله خيراً.

وصلنا المستشفى وتم استلام الحالة وقد جلسنا مع الأستاذ عبد الرحمن الشريم مدير التشرقيات وفقه الله وطلبنا منه بعض الأمور.

طلبنا منه أن يتولى حالة الوالد رحمه الله ثلاثة من الأطباء، لاحظنا في أثناء وجودنا في المستشفى قبل السفر لألمانيا أنهم أفضل من غيرهم من حيث الاهتمام ومراعاة المشاعر مع خبراتهم الطبية، وهم الدكتور وفيق محمود



والدكتور حسين العوضي وهما من دول الخليج والدكتور مازن خيرالله وطلبنا ممرضين معينين من الشباب الذين كانوا تعاملوا معنا قبل السفر وطلبنا كذلك عدم تغيير العلاج الألماني والتنسيق مع ألمانيا في كل ما يتعلق بالعلاج، وكنا في ألمانيا رأينا أن المعالج الطبيعي للوالد واسمه توماس متميز في طريقته فطلبنا استقدامه ليتولى العناية بالوالد، كما طلبنا بطاقات دخول للأبواب المشفرة وللمواقف.

وقد رحب الأستاذ عبدالرحمن بطلباتنا وسعى في تنفيذها قدر جهده جزاه الله خيرًا.

ومر الأسبوع الأول ونحن في دهشة الوصول بين ترتيب الأمور والأطباء في إجراءات الفحص وتقويم الحالة وقد طلبنا منهم اجتماعًا أسبوعيًا يضم الأطباء المعينين بحالة الوالد على غرار ما وجدناه في ألمانيا فرتب الأستاذ عبدالرحمن الشريم يوم الأحد ١٤/٦/١٤٣٠هـ اجتماعًا ضم الأطباء المشرفين على علاج الشيخ برئاسة الدكتور/ وفيق محمود استشاري العناية المركزة، وقد حضر اللقاء كل من:

الدكتور لطفي الكربي استشاري أمراض وزراعة الكلى.

الدكتور مازن خير الله استشاري العناية المركزة.

الدكتور فهد السحيباني استشاري أمراض الجهاز الهضمي.

الدكتور نبيل أبو شالة استشاري العناية المركزة.

الدكتور فهد الربيعه استشاري الأمراض المعدية.

وحضرت الاجتماع معهم أنا وإخوتي وبعض أعمامي.



وقد رأى الأطباء الاستمرار على المضادات حتى تكمل مدتها وهي أسبوعان على الأقل، ولكون بعض المضادات قوية أثرت على عمل الكلى، فقام الأطباء بإيقاف المضادات الحيوية التي يتوقع أنها أثرت على الكلى كما قاموا بترتيب غسيل كلوي مؤقت لإخراج السوائل من الجسم بصورة سريعة وطمانونا بأن هذا الإجراء مؤقت بإذن الله وأن ضعف وظائف الكلى يحدث كثيراً بسبب بعض الأدوية ثم تعود بإذن الله بعد مدة لعملها الطبيعي.

كان هذا الاجتماع مريحاً لنا ولو على الأقل من الناحية النفسية، والافتحن نلاحظ أن صحة الوالد تتدنى ببدء الاضطراب في بعض أجهزة الجسم.

ومر أسبوعان، ونحن نعاني هذه التقلبات في صحة الوالد وكثفنا عليه الرقية وقراءة القرآن عنده؛ لأننا أحسنا أنه يرتاح لذلك ويتأثر حتى إن أحد الإخوة جزاه الله خيراً قرأ القرآن كاملاً عنده في يوم واحد بصوت خاشع مؤثر.

وكانت أخواتي وبناتنا أنا وإخوتي وأخواتي وأعمامي يتناوبن للقراءة عليه مرتين يومياً، إضافة إلى بعض المشايخ والقراء المعروفين.

ومما أزعجنا في هذا الأسبوع أننا سمعنا شائعة أن أحد أطباء العناية وضع عند الوالد إشارة النوكود no code وتعني حجب جهود الإنعاش القلبي الرئوي للمريض.

وكان الذي بلغنا الأمير خالد بن طلال، ويادرننا بالاتصال بالدكتور المعني وهو طبيب مشهور متميز، فأنكر ذلك، وبين أنه لا علاقة له بحالة

الوالد أصلاً، وأكدنا على الطبيب المشرف على العناية على الانتباه لهذا الأمر وأننا نريد بذل جميع الجهود الممكنة، فوعدونا بذلك ولقد وفوا بهذا الوعد، وبلغت تضايقنا مما سمعنا للدكتور قاسم القصبي، فتقصى عن الموضوع وتبين أن المسألة مجرد حديث عارض بين بعض الأطباء، علم عنه الأمير خالد ولكن لم يتخذ إجراء مكتوب، ووعدنا بعدم حصول شيء من ذلك.

وفي هذا الأسبوع الثالث من عودتنا سمحنا بالزيارة بصفة خاصة فزاره المفتي العام سماحة الشيخ عبدالعزيز ولم أكن حاضراً حينها لأنني لم أعلم بها من قبل، وزاره بعض المشايخ وبعض تلاميذه الخاصين وبعض الأقارب.

وزاره صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز وكانت زيارة سموه مفرحة للوالد رحمه الله، فقد كنت حاضراً وقتها، فقلت له: هذا الأمير عبدالعزيز بن فهد جاء للسلام عليك، فرفع جسمه بقوة يريد الجلوس ولكنه لم يستطع ثم أدام النظر للأمير ودمعت عيناه، وقد لاحظ من كان في معية الأمير وهم مدير المستشفى ومدير التشرifiات تفاعل الوالد رحمه الله وفرحه بهذه الزيارة واستغربوا ذلك لأنهم كانوا يتصورون أنه لا يحس بشيء.

وكان الأطباء وقفوا عنه المضادات الحيوية مدة عشرة أيام بعد اضطراب بعض أجهزة الجسم، ثم أعادوها بعد ظهور علامات تدل على نشاط الالتهابات، واستمر الفسيل الكلوي بمعدل أربعة أيام في الأسبوع، وخصص المستشفى مدرباً للعلاج الطبيعي مرتين يومياً نظراً لتأخر المدرب الألماني توماس.

وعقد اجتماع يوم الإثنين الموافق ٢٩ / ٦ / ١٤٣٠ هـ للفريق الطبي الذي يشرف على علاج الوالد رحمه الله برئاسة الدكتور / وفيق محمود استشاري العناية المركزة، وقد حضر اللقاء:



الدكتور لطفي الكربي استشاري أمراض وزراعة الكلى.  
 الدكتور فهد السحيباني استشاري أمراض الجهاز الهضمي.  
 الدكتور صلاح الباز استشاري طب المخ والأعصاب.  
 الدكتور محمد الزيتوني استشاري الأمراض الصدرية.  
 وحضرت معهم أنا وأخي سليمان.  
 وبين الأطباء أن وضع الوالد حرج جداً وقرروا إعادة العزل ومنع الزيارة  
 بعد تجدد بعض الالتهابات وزيادتها.

ومضى بعد ذلك عشرون يوماً ونحن لم نلاحظ تقدماً، بل كانت الحالة  
 تزداد سوءاً حيث أداء الكلى ضعف جداً وأصبح الفسيل لا يجدي أحياناً  
 واضطربت وظائف الكبد وزادت مشكلة الرئة وكانت مؤشرات الأجهزة التي  
 تدل على الأكسجين والضغط ونبضات القلب في اضطراب دائم فأعيننا  
 شاخصة إليها ولكننا لم نفقد الأمل فقلوبنا معلقة بالله.

وطلبنا من المستشفى تقريراً لاستشارة بعض المستشفيات، فأعطونا  
 تقريراً عن الحالة إلى تاريخ ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ.

مرت هذه العشرون يوماً أو قريباً منها ونحن في هذه الحالة من الضغط  
 النفسي والاضطراب والله الأمر من قبل ومن بعد.

وفي ليلة الاثنين ٢٠/٧/١٤٣٠هـ كان ابني محمد عند الوالد، فمر بأزمة  
 حادة نحو الساعة الثانية ليلاً، فاتصل بي ابني وأخبرني فاتصلت بإخوتي  
 وتوجهنا للمستشفى وكنا توقعنا أنها النهاية ولما وصلنا إليه وإذا بالأمر قد  
 استقر نوعاً ما، لكنه مازال متعباً وحالته حرجة فبقينا عنده؛ لأن الأمر كان  
 مقلقاً جداً، واتصلنا في الضحى بأعمامي وأخواتي ليأتوا فجاء الجميع وكل

من دخل عليه رحمة الله رأى ما يعانیه وكانت سكرات الموت ولكننا لم نقطع الرجاء بالله، وذهبت لصلاة الظهر في المسجد وكان الأمل يملأ قلبي مع أني أحس بأن الوالد رحمة الله في ساعاته الأخيرة ولا أدري بمَ أفسر هذه المشاعر؟ وفي الساعة الثانية ظهرًا أسلم رحمة الله روحه لباريها، وسأفصل الحديث عن ذلك في النقطة اللاحقة إن شاء الله.

لكن قبل أن أترك هذه النقطة دعني أذكر لك جانبًا آخر من المشاعر التي كانت تعيشها أخواتي، بنات الشيخ وزوجته رحمة الله، فإننا نحن الرجال كنا في الواجهة مع الأطباء والمسؤولين وقد ذكرت كثيرًا ما عانيناه ومررنا، فجميل أن يعيش القارئ الكريم مشاعر العائلة التي تحمل قلوبًا أرق ومحبة وتعلقًا بالوالد رحمة الله.

كتبت أختي هيا حفظها الله بعضًا من هذه المشاعر أسوقها كما هي؛ لأنها تعبر أصدق تعبير عما كنَّ يعيشنه من هم وألم.

تقول في مذكراتها: «من الغد جاءنا خبر تبعه الشديد ووضع جهاز التنفس، عندها كان ينهانا إخوتي عن زيارته خوفًا عليه وكانوا يقولون: إن أردتَ مصلحته فلا تأتين. وعلمنا أنه تعب قليلًا، لكثرة الزوار: فأرسلت لأخي عبدالرحمن رسالة بالجوال أعاتبه وأقول: تمنعنا وتفتح المجال لغيرنا، ها قد تعب الوالد من كثرة الناس.

فأرسل لي أبياتًا يقول فيها:

لا تكثري هذا العتاب      كفى ففى قلبي الجواب  
أنا لم أزل أحنوله      لا أدعي كل الصواب

وساقت الأبيات، وسأوردها مع القصائد في الملحقات إن شاء الله.



ثم قالت: بعد أسبوعين من العملية اضطروا لوضع جهاز تنفس صناعي عليه فكان عبارة عن أنابيب كبيرة تدخل في فمه حتى تصل قرب الرئة وكانت مؤذية متعبة وكان يشير عليها وكأنه يقول: أخرجوها من حلقي، حيث لا يستطيع معها قياماً ولا حركة وكأنه يقول: لا أحتاج إليها، أنا بخير.

جاءته بعد ذلك أيام تعب خلالها كثيراً وكانوا ينزعون الأنابيب بشدة ولا يئن ولا يتألم وإن غرزوا في يديه مئات الإبر، فاستنكر المرضون شدة صبره وتجلده، فقال أحدهم: «إن كنت أريد الإسلام، فسأسلم لأجل هذا الشيخ، إنه مختلف عن المرضى الذين يتألمون ويئنون وينظرون لنا نظرة استرحام، أما هذا المريض فلا يهتم بنا ولا يستعطفنا وكأنه متعلق بمن هو أقوى منا، ولم أكن أعلم أنه شخصية إسلامية كبيرة حتى زاره الملك، فهو ليس له حراس ولا خدم إلا أبنائه ومحبه الذين يعملون بلا مقابل ويستمررون عنده ليل نهار».

طال المكث في المستشفى وتغلغت الأسقام في جسده الطاهر، ولما تأزمت حالته منعنا إخوتي من زيارته مدة شهرين؛ أملاً في تحسنه ولما استمر المرض سمحوا لنا بزيارته وأذكر أنني لما رأيته بعد تدهور حالته فجمعت وبكيت يومين كاملين فلم أتوقع أن حالته بهذا السوء، فرأسه مرفوع وعيناه شاخصتان للسقف ولحيته مضفرة ومربوطة ولما كلمه أخي وقال: هؤلاء بناتك، أغمض عينيه موافقاً، ثم لما كلمته ودعوت له ذرفت عيناه، فمسحهما أخي بمنديل، وخرجت مسرعة من الغرفة وأنا لا أكاد أرى طريقي، وجعلت أبكي بعد هذه الزيارة يومين أو ثلاثة ولم أعد أرغب في زيارته.

ثم بعدها بيومين سافروا به نحو أوروبا مدة خمسة وثلاثين يوماً، ثم رجع كما ذهب.

وفتح لنا باب الزيارة له فصرنا نأتي لنرقيه ونتأمل حالته المؤلمة، وإذا اجتمعنا بإخوتي، طمأنونا وقالوا: هو في تحسن ولكن بسيط وحالته مستقرة وليست خطرة فتسعد بكلامهم، وإذا رأيناه رأينا حالاً لا يسر.. جسد ما بقي فيه عضو إلا ويشكي من بلية، جلد به رضوض وكدمات وما بقي فيه شبر إلا به أثر أنبوب أو إبرة وقد فتحوا في جسده فتحات عدة واحدة في حلقه: لوضع أنبوب التنفس، والأخرى في رقبته لوضع قسطرة غسيل الكلى والثالثة في بطنه لإدخال الغذاء والرابعة في أسفل بطنه لوضع قسطرة الإخراج وغيرها وكل هذه الفتحات تلتهب ثم يضطرون لإغلاقها وفتح واحدة أخرى وكم كان يعاني من ذلك ويتجرع الألم، أسأل الله له أن يجد أجره مضاعفاً ويجمعنا به في الفردوس الأعلى.

وكنا في السابق نزور والدنا في بيته كل يوم أربعاء، وأما بعد تعبه حين نجىء بيته نرى آثاره فيه فنحزن لفقد نور البيت وأذكر أنني دخلت البيت فوجدته خاوياً على عروشه، فكتبت:

قد كان يوم الأربعاء محبباً      تغدو إلى بيت الحبيب فنفرحُ

فإذا وقفنا عند باب مشرع      نجد الجموع تزاحموا لا يبرحوا

وساقت أبياتاً سأذكرها أيضاً مع القصائد في الملحقات إن شاء الله.

ثم قالت: أذكر أننا مرة كنا في زيارة له وصادفنا أحد الأطباء المتابعين لحالته في غيبة من إخوتي الذكور، فسألناه كيف وضع الشيخ الآن؟ فقال: أنا مأخوذة علي عهد من أبناء الشيخ ألا أعطي أحداً معلومات عما به، فقلنا له: ولكن من حقنا أن نعرف فتحن بناته كما هم أبناؤهم، فقال لنا: إن وضعه الإدراكي متحسن هذين اليومين ولكن عنده مشكلات التهابات الفتحات التي

تدخل بها الأنابيب، وكذا فإنه يعاني صفرة؛ لمشكلة في كبده لكنها ليست شديدة، ونحن مستمرون في غسيل الكلى، ولعلكن لاحظتني كيف خف التورم، وأما التليف الذي بالرئة فقد وضعنا له جهاز التنفس حلاً.

ولما قال هذه الكلمة كادت إحدانا يغمى عليها، فقالت بعد أن ذهب الطبيب: التليف هو تلف الرئة وهو مرض مميت، فقلنا: اسكتي حتى نخرج من هنا ونبحث عن معنى التليف.

فخرجنا ولما وصلت لبيتي بحثت طويلاً في الانترنت حتى وجدت اختلافاً في هذا المصطلح والذي خرجت به هو أن الرئة تتلف فعلاً ولكن ليس معنى هذا أن الشخص يموت بل ممكن أن يعيش على التنفس الصناعي طول وقته. وكلمت أختي التي تعبت وأخبرتها لكن قلبها لم يرتح للأمر وأحست أن إخوتي يخادعوننا.

كنا نحن البنات والحفيدات نتناوب عنده للرقية وكنا نرى منه عجباً فمع أنه مريض ولا يتحرك به شيء ووعيه ضعيف ولكنه يتأثر بالقرآن ويتغير عند قراءة بعض الآيات وأحياناً نخطئ في آية فكان يتألم لذلك الخطأ فإذا رأيناه يتحرك نظرنا للمصحف فنكتشف فعلاً أننا أخطأنا فقد حفظ الله له قلبه ووعيه والقرآن الذي حواه فؤاده حتى في أيامه الأخيرة، وكنا نرى عليه أمراً عجباً في أثناء القراءة.

فمع أنه شبه فاقد للوعي ولكنه يأنس بكتاب الله ويبدو عليه التأثير الشديد عند بعض الآيات، ويتأثر بآيات الرحمة والعذاب والصبر والصلاة والآيات التي ذكر بها المسجد الحرام وكأنه يشواق إليه، وآيات كتم العلم وكأنه يلوم نفسه، وآيات الجهاد والشهادة في سبيل الله، وقد يردد بشفتيه مع القارئة ما تقرأه.

كنت إذا جئت للقراءة عليه والسلام أعرفه بنفسي وأقول: إني سأقرأ عليك البقرة، وأبدأ في القراءة والحمد لله الذي وفقنا لهذا الفعل فقد استفدنا منه في تدبر بعض الآيات التي لم نكن نتدبرها ولم نلاحظ ما بها من عبر إلا بعد رؤيتنا شدة تأثيره رحمة الله بها، هذه الفائدة أتت وهو طريق الفراش لا يحرك غير عينيه ولا ينطق.

كنا أحياناً نرى التألم في وجهه، فقد كان يحاول أن يسعل لكن حلقة مسدود بأنوب التنفس وكم كان يتفطر قلبي لتألمه.

توالت المصائب والبلايا عليه حتى تعطلت الكلى وامتلاً جسمه بالسوائل وانتفخ كثيراً ثم تعبت المعدة ولم تعد تعمل وجاءه خير كثير من ربه جعله الله رفعة في درجاته.

كان إخوتي وأبناءؤهم وأبناء أعمامي يتناوبون عنده فلا يتركونه ليلاً ولا نهاراً وكان لهم مكان يستقبلون فيه الزوار ومن يريد رؤية الشيخ، حيث إن الزيارة ممنوعة، فيطمئنونهم عليه ويضيفونهم».

انتهى كلام الأخت هيا وفقها الله ولعلك لاحظت أخي ما كنّ يقمن به من جهد في تسلية الوالد رحمة الله بالقرآن الكريم.

وقبل أن أترك الحديث عن المستشفى أحب أن أقول كلمة حق: إننا لقينا من الإدارة برئاسة الدكتور قاسم القصبي ومن الأطباء ومعاونيهم من المرضى والفنيين أفضل أنواع التعاون والتعامل، ولا يعني هذا عدم وجود النقص الذي نتبرم منه أحياناً، لكن النقص واختلاف وجهات النظر طبيعة بشرية ولا تعني إنكار الجهود المبذولة بلا حدود.



مدير التشريعات الأستاذ عبدالرحمن الشريم والأخ خالد الشلهوب وفي مكتب المدير جارنا الأستاذ سعد الحسن والمدير المناوب ياسر العنزى وفيصل العساف وغيرهم من الإخوة، لا أنسى تذليلهم كثيراً من الأمور التي تتعسر أحياناً. ولا أنسى تفاعل الناس معنا ووقوفهم في كل وقت، ومما أثر في نفسي شاب لا أعرفه جاءني وقال: أنا اسمي سامي ومستعد أن أتبرع للشيخ إن كان يحتاج إلى كلية فشكرته وأكبرته وكان هذا الكلام قد قالته لي الأخت سميرة السودانية التي ذكرتها من قبل.

فجزى الله الجميع خيراً وغفر للوالد ورحمه وأسكنه فسيح جنانه.

## ومات الشيخ

لقد ذكرت قبل قليل أن وفاة الوالد رحمه الله كانت في الساعة الثانية من ظهر الإثنين ٢٠ من شهر رجب ١٤٣٠ هـ الموافق بالتاريخ الإفرنجي ١٣ / ٧ / ٢٠٠٩ م، ولقد كان يوم الوفاة ويوم الصلاة وما بعدهما مليئاً بالأحداث ولهذا سأقسم الحديث هنا إلى ثلاثة أقسام بحسب ما ذكرته من تنوع الأحداث، وليعذرني القارئ هنا إن لم يكن سبك الكلام كما يجب أن يكون؛ لأنني كنت أكتب عن موضوع مرض الوالد رحمه الله ودموعي تتحدر أحياناً على وجنتي، وأما هذا الموضوع فإني أجهشت بالبكاء مراراً وأنا أعد فقراته للصياغة، ولا ألام على ذلك فإن حرقه فراق الوالد لم تفارق صدري مع مرور ما يقرب من ثلاث سنوات، ولعل الإخوة الذين تجمعني بهم مجالس يجري فيها الحديث عنه رحمه الله يلحظون هذا، وليس بكثير في حقه رحمه الله، ولا أقول إلا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

كانت أسباب الوفاة كما ذكرت في شهادة الوفاة التي أصدرها المستشفى هي:

- ١- توقف القلب.
- ٢- تسمم عام.
- ٣- متلازمة نقص التنفس.
- ٤- فشل الكبد الحاد.
- ٥- فشل الكلية الحاد.

وقد أصدرنا بعد وفاته رحمة الله بياناً مقتضباً ذكرنا فيه أن الوالد رحمة الله توفي ولم نفصل في ذلك؛ لأن الوضع كان لا يحتمل التفصيل وقد جاء في البيان:

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]. انتقل إلى رحمة الله تعالى شيخنا وإمامنا ووالدنا الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين في الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم الإثنين ١٤٣٠/٧/٢٠ هـ وسيصلى عليه ظهر غد الثلاثاء ١٤٣٠/٧/٢١ هـ في جامع الإمام تركي بن عبد الله (الجامع الكبير) بالرياض. نسأل الله أن يتغمده برحمته وأن يجزيه عن المسلمين خير الجزاء وأن يجعله مع السفرة الكرام البررة في الفردوس الأعلى من الجنة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

مكتب الشيخ عبد الله الجبرين

الإثنين ١٤٣٠/٧/٢٠ هـ

ودعني كما وعدتك أنتقل بك للتقسيم الذي ذكرته.





## يوم الوفاة

هذا اليوم من أصعب الأيام على النفس ولكن ثبتنا الله فيه وألهمنا الصبر والتحمل، ونشكر الله ونحمده على هذه النعمة.

كنت ذكرت لك أن الوالد رحمة الله أصابته أزمة قلبية حادة في ليلة الإثنين وأن ابني محمدًا كان عنده فأخبرني فتوجهت مسرعًا أنا وإخوتي ولكن وجدنا الأزمة قد خفت ووضعه مستقر مع وجود اضطراب في قراءات الأجهزة، وهذا الاضطراب جعلنا ندعو أخواتي وأعمامي وعماتي للحضور ليكونوا قريبين منه، فنحن لا نعلم الغيب ولكن الأزمة التي حدثت والتقلبات الكثيرة في أرقام الشاشات جعلتنا نخاف ونتوقع أن يكون هذا هو اليوم الأخير له في الدنيا رحمة الله. لم يذكر لنا الممرض شيئاً ولا حتى الأطباء وخبرتنا في حالات الوفاة قليلة، ولكني توقعت أنه في النزاع من البارحة فلذلك دعوت الجميع.

كل من جاءنا جاء فرحاً فنطمئننه وإذا دخل على الوالد ورأه يتنفس ارتاح، وكان رحمة الله فيما يظهر قد دخل في غيبوبة منذ البارحة؛ لأنه لم يعد يستجيب ولا يتحرك منه سوى صدره الذي يهبط ويصعد بمساعدة جهاز التنفس.

أرسلنا النساء للاستراحة وبقي الرجال بعضهم أمام الغرفة وبعضهم في الممرات وكل منهم قد وضع رأسه بين يديه وأطرق حزناً لا يدري ماذا سيحدث في الساعات اللاحقة؛ لأن المفاجآت في مثل هذه الحالة تجعل الإنسان لا يدري ماذا يفعل.

بعد الظهر لاحظنا تحسناً قليلاً في الأجهزة وفي الساعة الواحدة والنصف عادت مرة أخرى للاضطراب بصورة سريعة، ولهذا أخذ العم ناصر يقرأ عنده سورة ياسين، ولعله رأى أنه في النزاع الأخير.

كان الممرض والطبيب مضطربين يدخلان ويخرجان وينظران للأجهزة التي بدأت أرقامها في التناقص وبخاصة مؤشر ضغط الدم الذي كان يراوح بين العشرين والأربعين وكانت الأجهزة تطلق علامات الخطر بين فترة وأخرى.

وفي الساعة الثانية تناقص الضغط وصاحت الأجهزة، فسارع الممرض ودعا الطبيب فتجمهروا حوله وأحضروا معهم جهاز الصدمة الكهربائية المخصص للإنعاش القلبي، وكنت في داخل الغرفة أنا وإخوتي وبعض الأعمام نقرأ عليه وندعوه فطلبوا منا الخروج لبيدؤوا في الإنعاش، فأشرت عليهم بالتوقف وأنا لا نرغب في الإنعاش ليقيننا بأنه قد أسلم روحه لربه، وكان قد ذكر لنا بعض الثقات أن الإنعاش في مثل حالته تعذيب للميت فقد يعود القلب للعمل قليلاً ثم يتوقف أخرى، وقد قرأت للجنة الدائمة فتوى برقم ٨٩٢٦ وللوالد رحمته الله فتوى برقم ١٤٩٩٣ في جواز نزع أجهزة الإنعاش عن الميت دماغياً إذا تحقق موته، ثم إن جهاز الصعق هذا مزعج للمريض ولهذا أشرت لهم بعدم رغبتنا فيه، فأنصرفوا؛ لاقتناعنا بأن الأمر لا يعدو أن يكون محاولات ليس لها ثمرة.

تركنا الممرض عنده وهو يرقبنا من خارج الغرفة ومنا من جلس بقرب السرير ومنا من وضع يده عليه وأطرق يدعوه ويسترجع، ثم بلغ النبا أخواتي وعماتي وزوجة الوالد ومن معهن من بناتنا فجئن مسرعات وجلات، فلما دخلن حاولنا أن نتجلد ونخفف عنهن المصاب لكنهن أقبلن يلثمه ويحوقلن ويسترجعن ويبكين من وقع المصيبة، وإن القلب ليحزن والعين لتدمع ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.



تقول الأخت هيا في مذكراتها: «ذهبت لغرفة والدي وفي الطريق إليها وجدت جمعاً غفيراً من الرجال الأقارب والأباعد وطلاب الشيخ وأحبابه قد هداهم الأسى وجلسوا على قارعة الطريق يبكون ويعزي بعضهم بعضاً عندها أحسست بأن أبي ليس لي وحدي فالكل به مصاب، وحاول بعض أبنائنا ثني عن الدخول لغرفة فقيدنا، فقلت: لا تحاول، أتمنعوننا منه حياً وميتاً؟ فدخلت عليه.. ورأيتة وقد خمدت الأجهزة وأطفأت أنوارها التي كثيراً ما أقلقتنا وسحبت منه الأنابيب وبقي صامداً كما عهدته وكأنه قد ارتاح من دنيانا وهمومها، فأهويت عليه أريد تقبيله فنهاني أخي.. فقلت: ممّ الخوف الآن؟ كنتم تقولون: نخاف عليه من العدوى.. والآن مضى إلى ربه.. أرجوك دعني؛ فهي قبلة الفراق.. فخنقته العبرة وتركني.. فقبلت يده قبلة طويلة على يده وكانت باردة منتفخة من التورم.. وتمنيت لو أضمت جسده كله بين يدي..

ذهبنا إلى بيت والدنا نجرجر أحزاننا.. وتلتهب قلوبنا كمدًا وهمًا.. ففي أي مصيبة نحن اليوم؟ ومكثنا فيه نتجرع الفصص وقد أتى من أخواتنا من تصبرنا».

وبعد أن أحسنا أن الجميع هدأ واستوعب النبأ ورضي بالقضاء وودع حبيبته وشفى غليله اقترحنا أن ينصرف النساء ويتولى الرجال إنهاء إجراءاته مع المستشفى.

دخل الممرض ومعه من يعينه وقد جاؤوا بالأكياس التي يلف فيها الموتى عادة لإيداعهم في الثلاجة ثم بدؤوا في عملهم ونحن نرقب هذا الطود الشامخ وقد ودع الدنيا التي لم تدخل قلبه وزلف إلى الآخرة التي كان يعمل لها، نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً.

انتشر الخبر بسرعة عجيبة في المملكة وخارجها وبدأت الاتصالات فهذا مستفسر وآخر يعزي وثالث يواسي ورابع يدعو ويخفف من المصاب، بل وصل كثير من الإخوة للمستشفى بصورة سريعة.

اتفقت مع إخوتي وأعمامي على أن نصلي عليه ظهر الثلاثاء في الجامع الكبير، واتصل من المغرب الأمير سلمان معزيًا وهو أول من عزانا في وفاة الوالد رحمته الله من الأمراء حيث اتصل في الساعة الأولى بعد قبض روح الوالد رحمته الله، فعرضت عليه أن يصلى على الوالد في الجامع الكبير وأن يدفن في مقبرة العود فوافق، وقال: سأبلغ الإمارة والشرطة ليستعدوا، والصلاة عليه في الجامع الكبير في الرياض ودفته في مقبرة العود هو ووفاء من الأمير حفظه الله إذ لا يتاح ذلك لكل أحد.

وقد قال لي كلمة كانت لي نعم العزاء، وهي من الوفاء الذي لا يستغرب من مثله لقد قال لي حينما عزاني بعد وفاة الوالد مباشرة: «يا عبد الرحمن وإن كان الوالد قد مات فأنت في مكانه عندنا» لقد دمعت عيناى وقتها وعلى الرغم من مصيبتى في الوالد فقد كانت هذه عندي من أفضل ما عزيت به؛ لأنى لا أريد أن تنقطع شفاعات الوالد ووجاهاته للمحتاجين ولعل الله أن يعينى للسير على نهجه وإن كان قد أتعب من جاء بعده.

كان وجهه حينما توفى رحمته الله مشرقاً على الرغم من تعرضه لأسقام وبلاء مبين، حتى إن جسمه لا يخلو موضع منه من أثر لوخزة أو شرطة.

ولما انتهوا منه حملوه على السرير المتحرك وسرنا وراءه ونحن مازلنا في دهشة الحدث وقد وجدنا الممر في خارج العناية قد امتلأ بالشباب من تلاميذه ومحبيه وكل منهم قد بدا عليه الحزن والتأثر، فكل من مررنا عليه مشى خلفنا حتى وصلنا إلى باب ثلاجة الموتى.



فلما أدخلونا وضعوه في الغرفة الداخلية وطلبوني لتسجيل الأوراق المعتادة في مثل هذه الحالة، فلما انتهينا قبلنا جبينه وانصرفنا للمنزل.

وكنا قد اتفقنا أن يكون العزاء في بيت الوالد رحمته الله فتوجهنا إليه ووجدنا الناس قد سبقونا هناك، وقد جهز بعض أبنائنا البيت لاستقبال المعزين.

كنا وصلنا للمنزل بعد العصر، وبدأ الناس في التوافد لكنهم كثروا بعد صلاة المغرب وبعد صلاة العشاء، ولعل الحديث عن العزاء وفعالياته يأتي لاحقاً إن شاء الله تعالى.

وقد أصدر الديوان هذا اليوم بياناً أعلن فيه عن وفاة الوالد رحمته الله نشرته وكالة الأنباء السعودية وأذيع في نشرات الأخبار والصحف وهذا نصه:

### بيان من الديوان الملكي

انتقل إلى رحمة الله تعالى هذا اليوم الإثنين ٢٠ / ٧ / ١٤٣٠ هـ فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين إثر مرض عانى منه، وسيصلى عليه. إن شاء الله. بعد صلاة ظهر يوم غد الثلاثاء ٢١ / ٧ / ١٤٣٠ هـ بجامع الإمام تركي بن عبد الله في مدينة الرياض.

تغمده الله بواسع رحمته ومغفرته وأسكنه فسيح جنته.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

### يوم الصلاة

هذا اليوم هو يوم وداع الوالد رحمته الله وهو مليء بالأحداث المتسارعة التي يعجز الإنسان عن متابعتها، ولهذا سأذكر ما شهدته منها، وسأنتقل عن بعض من كتب أو تكلم عنها من المشايخ وغيرهم.



فقد بكرنا في نحو الساعة السابعة للمستشفى التخصصي وكنا تواعدنا أنا وإخوتي وأعمامي وبعض الأقارب والمحبين على ذلك، وبعد استلام جثمانه وجعله في سيارة الإسعاف توجهنا لمغسلة الدريهمية في شبرا.

كان الشيخ سعد الحميدي وهو المسؤول عن المغسلة بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن الغيث رحمته الله، قد اتصل بي منذ أن سمع خبر وفاة الوالد، وسألني أين سنغسله؟ فقلت: عندكم في الدريهمية، فقال: الحمد لله وقد اخترناها لأنها قريبة من البيت ومن بيوت كثير من الأقارب ومحبي الشيخ، وكذلك لأن الوالد رحمته الله كان له جهد في تأسيسها ودعمها.

ولما وصلنا المغسلة كانت الساعة قريباً من السابعة والنصف، فوضعه على سرير التغليف وتركوه لتلين أعضاؤه بعد الثلاثة، ثم شرعنا نغسله رحمته الله حتى انتهينا منه. وكان قد تجمع في المغسلة خلق كثير ينتظرون فراغنا ويطمعون في السلام عليه، فأذنا للناس بعد أن لفضناه بالأكفان وتركنا وجهه ورأسه مكشوفين، فدخل الناس عليه بعد أن وقفوا في صف طويل، بدأنا بالأعمام والأحوال وكبار الجماعة ومن حضر من المشايخ، ثم أذنا لسائر الناس.

وممن أثرني مجيئه الشيخ صالح آل طالب إمام وخطيب المسجد الحرام وهو من تلاميذ الوالد ومحبيه فإنه حينما سمع نبأ وفاة الوالد رحمته الله جاء إلى الرياض وجاءنا في المغسلة وسلم عليه وقبله وعيناه مفرورتان بالدموع ووقف عند رأسه طويلاً حتى أشرت له؛ لكثرة من ينتظر من الإخوة<sup>(١)</sup>.

ولما انتهى الرجال أذنا للنساء حيث حضر عدد منهن كأخواتي وعماتي وبناتهن وبناتي وبنات إخوتي وأعمامي ونحوهن من محارمه رحمته الله.

(١) موقع البرزة <http://www.albarzh.com/vb/showthread.php?t=8932>



ولما انتهى الناس غطينا رأسه وطلب منا بعض الإخوان الصلاة عليه في المغسلة؛ لارتباطهم بجنازته أخرى فأذنا لهم، وكانوا قد اعتذروا من الجنازات قبل الظهر، وفرغوا المغسلة للوالد رحمة الله.

صعدنا سيارة الجنازات به بعد أن صلى عليه الإخوة وسارت السيارة في اتجاه جامع الأمير تركي بن عبد الله، وسار الناس خلفها.

ولما وصلنا وجدنا الأمن المسؤول عن التنظيم هناك ينتظرنا فأدخلوا سيارة الإسعاف من جهة القبلة وكان الناس قد بدؤوا في التوافد لكن الشرط يصرقونهم من الجهات الأخرى، فوقفنا مقابل باب الجنازات وأدخلنا الوالد هناك، وكانت جنازة أخرى لامرأة من آل الشيخ أنسيت اسمها الآن رحمة الله قد سبقتنا، فسلمنا على من كان معها، وجلسنا ننتظر، ثم اقترح علينا بعض الإخوة أن ندخل للمسجد؛ لئلا يشتد الزحام ولا نجد مكاناً؛ لأن الجامع بدأ يمتلئ فدخلنا وكان المسجد من الداخل قد امتلأ تقريباً وقد حجز الشرطة مكاناً في الصف الأول لذوي الهيئات، فصفنا هناك.

رأيت عدداً من المشايخ أنسيت كثيراً منهم الآن وأذكر منهم الشيخ عبد الله بن عقيل رحمة الله والشيخ ناصر الشثري. فحدثت ابن عقيل أننا نرغب أن يصلي على الوالد رحمة الله لأن المفتي العام غير موجود وكنا توقعنا مجيئه من الطائف ولكن لعله شغل بشيء، وكان النائب عنه ابنه الشيخ عبد الله، فبعثت له من يستأذنه فاعتذر بأن مع الوالد جنازة لإحدى قريباته ويرغب أن يصلي هو، فعدرناه.

وآذن المؤذن لصلاة الظهر ولم يلبث أن أقام لكثرة الزحام وكان في الصف الأول عدد من الأمراء والمشايخ والمسؤولين منهم الأمير سطاتم والأمير

سلطان بن سلمان بن عبد العزيز والأمير خالد بن طلال والأمير سعود بن سلمان بن محمد وغيرهم كثير ولم يسمح وضعي النفسي بالسلام على أحد. وممن قرأت فيما بعد أنه حضر الصلاة معالي الشيخ عبد الله المطلق وفضيلة رئيس محاكم الرياض ورئيس ديوان المطالم ورئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشيخ سلمان العودة<sup>(١)</sup>.

بعد الصلاة تقدم الإمام للصلاة على الجنائزتين وتزاحم الناس وحاولت أن أكون خلف الإمام فلم أجد مكاناً إلا بعد تعب وبمساعدة بعض الإخوة ولكثرة تزاحم الناس فقد تأخر الإمام في التكبير مدة رجاء انتظام الصفوف وهدوء الناس لكن الوقت طال فكبر وكبر الناس ولكن ظهر صوت البكاء والنشيج على فقدان الوالد رحمته الله وبخاصة بعد التكبير الثالثة حينما بدأ الناس بالدعاء له، مع أن الإمام هداه الله لم يطل فيها.

ولما سلم تسابق الناس لحمل جنازة الوالد رحمته الله وحصلت فوضى شديدة أدت إلى تأخر خروجها من المسجد قرابة عشرين دقيقة ولم نصل للسيارة إلا بعد جهد جهيد ثم لم ندخلها السيارة إلا بكلفة وتزاحم الناس في السيارة حتى لم نتمكن من إغلاق الباب وتطوع بعض الإخوة لنصيحتهم فنزل كثير منهم وبقي بعضهم ولكن الذين تعلقوا في جوانب السيارة أو ركبوا فوقها كثير، رأيت ذلك فيما بعد في الصور التي صورها بعض الإخوة بجوالاتهم.

كان عدد المصلين كثيراً، فقد ازدحمت شوارع الرياض المؤدية إلى جامع الإمام تركي بن عبد الله وأغلقت كثير من المنافذ؛ بسبب كثافة المصلين، وهو ما دفع كثيرين للسير على الأقدام للوصول إلى المسجد، وقد تم فرش الساحة

(١) من مقال لعمر بن أحمد الضبعان <http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229>



الشرقية للمسجد ليصلي الناس فيها، فامتلاً الجامع وساحاته الخارجية قبل صلاة الظهر بأكثر من ساعة، وامتدت الصفوف إلى المواقف والأسواق والمباني المجاورة كمبنى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقدر بعضهم الحضور بمئة ألف مصل<sup>(١)</sup> بل بالغ بعضهم، فقال: مليون شخص<sup>(٢)</sup>، ولكني لا أظن هذه الأرقام صحيحة إذ المتوقع أنهم بين العشرين والثلاثين ألفاً: لأن المسجد يتسع لسبعة عشر ألف مصل<sup>(٣)</sup> وقد غص بالناس وصلى الناس في خارجه كما ذكرت.

وكان حضور النساء كثيراً لافتاً للنظر. وكذلك حضور المسلمين من الجنسيات الأخرى لكن كانت النسبة الكبرى في الحضور للسعوديين وبخاصة الشباب<sup>(٤)</sup>.

ولم يكن الحضور من الرياض فقط بل توافد الناس من جميع مناطق المملكة، بل من الدول المجاورة<sup>(٥)</sup> وبخاصة دول الخليج، وهناك من جاء من مصر وغيرها<sup>(٥)</sup>.

كانت الصلاة في وقت الظهيرة وفي منتصف الصيف تقريباً في وقت شدة الحر في مدينة الرياض ولم يمنع ذلك الناس من الحرص على حضورها. وقد تابعها الآلاف بل الملايين عبر الفضائيات في العالم، وصلي عليه

(١) جريدة المدينة <http://www.al-madina.com/node/159874>

(٢) فتاة، اقرأ.

(٣) من مقالة عمرو بن أحمد الضبعان <http://www.sami9.net/vb/showthread.php?p=932570>

(٤) خطبة للشيخ سعد بن عبد الله الجبرين في ٢٤ - ٧ - ٢٤٣٠ هـ.

(٥) خطبة بعنوان وفاة الشيخ ابن جبرين وقبض العلم للشيخ أيمن سامي.

صلاة الغائب في عدد من البلدان.

وقبل أن أنتقل لحالنا في المقبرة ومشاهد دفنه رحمة الله سأسوق لك بعض النصوص التي سطرها بعض الإخوة عن مشاهداتهم في أثناء الصلاة عليه رحمة الله.

تقول الأخت هيا: «ذهبنا للصلاة عليه مبكراً.. حتى لا يواجهنا الزحام.. وانتظرنا حتى صلوا عليه، ولقد رأى الجميع الجنازة وكم صلى عليها من ألف.. ورأينا الجنازة الأخرى وهي لامرأة صالحة اعتزلت الناس وعكفت على العبادة منذ عشرين سنة وكان عمرها مئة وستين، فجازاها الله بهؤلاء الأمم الذين أدوا عليها الصلاة تبعاً لا قصداً مع الشيخ رحمة الله.

ازدحم الناس كثيراً على الجنازة كل يريد تقبيلها وكل يريد حملها حتى ابتعد عنها إخوتي وأعمامي وكادت تذهب نفوسهم.. إن نسيت مشهداً فلن أنسى مشاهد الجموع التي تزاومت، فيهم الأعمى والأعرج، وفيهم الملتحي والحليق، وفيهم الشيخ والشاب، وقد صورت الكاميرات صورة لشاب اضطر في الزحام إلى الركوب فوق سيارة ورفع عكازيه معه. جلسنا نحن النساء في المصلى حتى انتهوا من الدفن واجتمع النساء حولنا يعزيننا وبعضهن يبكي، فيهيجننا نسأل الله الثبات والهداية».

ويقول الأخ عمر الضبعان<sup>(١)</sup>: «ركبت سيارتي للعودة إلى العمل في الساعة الثانية عشرة والنصف ولم أستطع الخروج من المواقف بسبب الزحام إلا في الساعة الواحدة والنصف، وقد خرج كثير من المسجد، وهو يبكي بحرقه وحاول بعض الإخوة وعظ هؤلاء وطلبوا منهم الصبر والثبات».

(١) <http://www.sami9.net/vb/showthread.php?p=932570>



ويقول الدكتور سعد بن مطر العتيبي<sup>(١)</sup>: «تنوع الحضور ما بين عرب وعجم وكبار وصغار ونساء وأطفال ولأول مرة أرى كثرة النساء في شهود الجنائز، وهذه من الأمور العجيبة والغريبة في شأن هذا العالم الجليل. وحدثني أحد كبار السن أنه لم يرَ جنازة في الجامع الكبير بحجم ما وقع في جنازة الشيخ ابن جبرين رحمة الله».

وقد كتب الدكتور سعد بن مطر مقالاً فصل فيه وقائع الصلاة؛ ولما فيه من الشمول والفائدة سأورده هنا بنصه في الجملة يقول رحمة الله<sup>(٢)</sup> «اتجهت الضحى العالي يوم الثلاثاء، في الساعة الحادية عشرة والرابع تقريباً إلى جامع الإمام تركي (الجامع الكبير بمدينة الرياض) واتصلت في الطريق على أحد حمائم ذلك الجامع؛ لأحدد طريقة وصولي للجامع، فأخبرني أنه موجود في المسجد منذ الساعة العاشرة والنصف.. وأنه وجد صعوبة في وجود موقف لسيارته؛ أي بالقرب من المسجد الطيني الذي كان الشيخ عبد الله بن جبرين رحمة الله يلقي فيه أوائل دروسه، وهي مسافة تقارب خمس مئة متر عن المسجد تقريباً من الناحية الجنوبية الشرقية للجامع الكبير (جامع الإمام تركي) بوسط مدينة الرياض.

سرت مع جموع المشاة مروراً بمحطة الإطفاء، متجهين شمالاً إلى الجامع، مروراً بموقع المنزل الذي كان يسكن فيه الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمة الله قبل انتقاله إلى حي البديعة.

سرت بجانب الطريق على ذات الرصيف الغربي، والناس تسير فيه كالسيل الجارف في جميع الطريق: وسطه وجانبيه، ولفت انتباهي: خروج

(١) قناة دليل..

(٢) الألوكة [http://www.alukah.net/articles/67\\_7065.aspx](http://www.alukah.net/articles/67_7065.aspx)

أصحاب المحال التجارية على جانبي الطريق أمام متاجرهم! يشاهدون الجموع بدهشة، وتلحظ تهامس الأعاجم والغرباء منهم بالسؤال: ما الحدث؟! فترى الحيرة أحياناً، وتسمع الجواب أحياناً أخرى، يتكرر ذلك أمام ناظريك وأنت تسير نحو الجامع بتكرر السائلين والمجيبين.

وسرت حتى انحنى الطريق، فتبين الجامع للناظر من بين المباني. وكانت المفاجأة أن جميع الأبواب الجانبية الجنوبية للجامع مغلقة، ما عدا الباب الأخير الذي يدخل منه على الساحة المكشوفة في المسجد، وإذا الناس يتدافعون فيه دخولاً، في مشهد ذكرني اندفاع الناس إلى الحرم المكي بعد الأذان من باب الفتح أو باب الملك عبدالعزيز رحمه الله! ومن شهد ما شهدت يعلم أنني لم أبالغ كما قد يظن بعض من لم ير المشهد!

ورأيت بعض الناس يخرجون من ذات الباب الكبير، ومن بينهم شيخ كبير يتكئ على عصاه، ويردد: يقولون ما فيه محل إلا في الشمس!

ومن عادتني في الزحام، أنني لا أستمع إلى الناس، حتى أرى.. وما إن تخللنا من الباب حتى رأينا جميع المواقع التي لها نصيب من الظل قد امتلأت! وبقيت الساحة المكشوفة محل تردد من بعض الواقفين؛ لشدة الشمس وطول الوقت المتبقي! وهنا جاء فرج عاجل، بتقدم بعض الصفوف التي تلي صف الحرس الرسمي داخل المسجد، نتيجة تضييق الحرس لدائرة الحراسة، كما هو معتاد في مثل هذه الأحوال.. فدخلنا في الجزء المسقوف من الجامع، وانتظرنا الصلاة.

وقد ضجر أحد المصلين أمامي، فرجع إلى الصف الذي أنا فيه، وهو يردد: الناس يحملون أحذيتهم في المسجد! وكأنه لم يتحمل حمل الناس



لأحذيتهم، قلت له: يا عم! الأمر كما ترى، هذا الزحام والناس تريد أن تدرك المقبرة أيضًا.. فسكن وبدأ يتلو من سورة الكهف في انتظار الصلاة حتى ختمها! فخلته قد وهم في ظل الزحام أن اليوم يوم الجمعة! ونسي أن اليوم يوم الثلاثاء!!

وقد اتصل علي بعض الإخوة وأنا في المسجد، يسألون عن إمكانية الصلاة داخل المسجد، وكان منهم أخي يعقوب وبصحبه أخي أحمد، حيث كانا قد أوقفنا سيارتهما بقرب المكان الذي أوقفت فيه سيارتي؛ لبعده عن مجامع الزحام المشهورة.. فأخبرته أن جوف الجامع قد امتلأ! وقد أعلمني فيما بعد أنه صلى مع الجموع الكبيرة التي بلغت في صفوفها تحت الشمس الحارقة قريباً من أسواق الثميري جهة الشرق!

صلينا الظهر، وأمنا في الصلاة نائبُ سماحة المفتي في إمامة الجامع الكبير، زميلنا الشيخ الصالح - نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً - الدكتور عبد الله بن عبدالعزيز آل الشيخ؛ إذ لم يتمكن سماحة المفتي العام من القدوم لمدينة الرياض مع محاولته لذلك؛ لالتزامه بعدد من المواعيد الرسمية السابقة في مدينة الطائف، فصرى عليه صلاة الغائب بمسجد الإفتاء هناك.

ثم أعلن شخص لم يتبين لي من هو: أننا سنصلي على جنازة العلامة الشيخ عبد الله بن جبرين، وحنفته العبرة، وتحشرجت الكلمات في مخارجها، وأكمل - بصعوبة - ذَكَرَ اسمِ جنازة أخرى لم أتبينها.. وتأخرت الصلاة بضع دقائق، وعلت أصوات بعض المنظمين في الجامع، ولم أشاهدهم، لكنني عرفت صوت أخينا إبراهيم بن عبيد، وهو من المشرفين على الجامع، حيث كان يوجه بعض الناس بالابتعاد عن الإمام؛ لئتمكّن من الصلاة.. وبدأ بعض

الناس يجهش بالبكاء، بل قد انفجر بعضهم باكياً، وتكاثرت الأصوات مرتفعة بالبكاء، وذلك من حين كبر الإمام لصلاة الجنازة، وكان بجانبه رجل من العسكر، ذورته عالية، فكانت حركة اضطراب جسده وهو يحبس البكاء تشغلني عن بعض الدعاء، وكان ينحني من شدة ما يجدها وقد ظهر صوت الإمام بالدعاء قريباً مما لو كان يجهر بالقراءة، وربما كان السبب في ذلك: كثرة الأصوات الباكية حوله.

سلم الإمام، وبدأ الناس في الخروج من المسجد، وانتظرت اندفاع الناس، ورأيت عدداً من الأحبة والمشايخ فعزيتهم، وكان منهم الشيخ عبد الله المطلق رحمته الله، وقد رأيته متأثراً متأثراً لا يستطيع إخفاءه.. ومنهم من خارج الرياض حبيبنا الشيخ سعد الغنام رحمته الله وقد أخبرني أنه جاء مع جمع من الإخوة من الخرج؛ ليشهدوا الجنازة.

وما إن خرجت من المسجد حتى رأيت بعض أحبتنا من أهل مدينة جدة! فسألته بعد أن تبادلنا التعازي: منذ متى وأنتم في الرياض ولم تخبرونا؟ فأجاب: أتينا البارحة في وقت متأخر، حيث لم نتمكن من المجيء جواً، وخشينا فوات الجنازة، فأتينا بالسيارات، مع جمع من الدعاة وطلبة العلم، وذكر لي بعضهم من أعيان مدينة جدة! فحمدت الله عز وجل أن يسر لهم الوصول، والمشاركة في الصلاة على عالم لم يرد لأهل جدة طلباً كما يعبر أحدهم، لا طلب محاضرة، ولا دورة علمية، ولا دعوة إلى عضوية في مجلس إدارة مكتب دعوي، ولا غيره!

قلت: هذا ديدن الشيخ رحمته الله! فهو لا يرد طلباً يمكنه تحقيقه، لا لأهل جدة ولا لغيرهم! من شرق المملكة إلى غربها، ومن جنوبها إلى شمالها، وما بين ذلك! فأني همة تلك الهمة! وأي توفيق ذلك التوفيق! وما أراه إلا عوناً من



اللَّهُ للشيخ، ففعل الله علم منه صدق النية ويسر له العمل.. وإذا أراد الله بعبد خيراً هياً له من أسباب الخير ما يعجز عنه غيره.

ومما لفت انتباهي: كثرة الأخوات اللاتي قدمن للصلاة على الشيخ رحمة الله! وعلمت من أخي يعقوب أن صفوف الناس كانت أكثر مما رأيت وأنا أنصرف.. وهنا تذكرت أختاً اتصلت علي ليلة الثلاثاء، تسأل: هل يجوز أن أصلي على الشيخ صلاة الغائب! لأنني خارج الرياض! «أ.هـ».

ونشر أحد الإخوة في صحيفة «الاقتصادية» عن شيخ جاوز التسعين قوله<sup>(١)</sup>: «ما إن علمت نبأ وفاة الشيخ إلا وطلبت من أبنائي أن نحضر الصلاة على الشيخ، مع ما أنا فيه من مرض وإعاقة، حيث حاولوا إقتاعي بعدم الذهاب لظروفي الصحية، ولكنني شددت على حضوري؛ لمحبتتي للشيخ الجليل، حيث رافقتني شريكة حياتي للصلاة عليه، وأسأل الله أن يغفر له ويسكنه فسيح جناته».

سارت سيارة الإسعاف بنا بين حشود الناس حيث مشى الكثيرون على أقدامهم إلى المقبرة وكانت المسافة تزيد على ستة كيلوات، وكما ذكرت تعلق عدد من الإخوة بسيارة الإسعاف ولم يستطع السائق منعهم؛ لأن الأمر فوق الطاقة وأظنهم يصلون للعشرين.

نقل الشيخ محمد المنجد في خطبة الجمعة التي خصصها للحديث عن الوالد رحمة الله عن أحد المعلقين على الأخبار في الشبكة قوله<sup>(٢)</sup>: «أنا لست بمتدين، ولكن مشيت في جنازة هذا الإنسان سبعة كيلوات؛ لأن محبة الشيخ في القلب كانت أكبر من شمس الظهيرة، فنسخت هذه هذه، وتحمل الناس

(١) [http://www.aleqt.com/2009/07/15/article\\_252363.html](http://www.aleqt.com/2009/07/15/article_252363.html)

(٢) موقع إمام المسجد <http://www.alimam.ws/ref/1822>

الحرَّ واللاواء والشدَّة في المشي إلى المقبرة التي ازدحمت وفي الناس من أهل البلد، ومن المقيمين، ومن دول الخليج، ومن العرب، ومن الأعاجم».

دخلنا المقبرة ونحن لا نرى طريقنا، فقد سبقنا الناس ولعل بعضهم لم يدرك الصلاة في المسجد فجاء للمقبرة.

حاولنا إنزال الوالد رحمة الله من السيارة فلم نستطع؛ لتدافع الناس وكثرتهم وبعد لأي استطعنا إخراجه وتوجهنا به للقبر ونحن في مثل الموج حتى خشينا سقوطه مرات عدة وكان بعض الإخوة قد جهزوا القبر الذي يحمل رقم ٦٨ عرضاً و٢٥ طولاً ليكون قبراً للوالد رحمة الله وبعد وصولنا للقبر وضعت الجنازة أمامه وامتلاً القبر بعدد من الإخوة فتطوع أحد الإخوة وأمر الجميع بالخروج فنزل في القبر العم ناصر وأخي محمد وابن العم سعد بن عبد الله.

وتم إنزال الوالد في قبره ثم رفع بثته أمام الحاضرين، فعم الصمت أرجاء المقبرة وكانت الأصوات تتعالى من قبل<sup>(١)</sup>، ثم خرج سعد بعد مدة ونزلت مكانه ثم خرج الأخ محمد ونزل الأخ سليمان وتم الدفن كالمعتاد، ثم تجمع إخوتي وأعمامي وبعض الأقارب لاستقبال تعازي الناس وكانت الجموع كثيرة فقد بقينا إلى قرب العصر والناس لم تنقص فشعرنا بالتعب وانصرفنا للمنزل بعد أن وقفنا عند قبره رحمة الله ودعونا له.

وممن جاء للتعزية في المقبرة الشيخ عبد الله بانعمه وهو شفاه الله مشلول لا يتحرك منه إلا لسانه، فجئت له وقبلته ودعوت له وقد رأيت تأثره البالغ لفقد الوالد رحمة الله وتأثرت أنا برويته وكان محبوباً عند الوالد رحمة الله<sup>(٢)</sup>.

(١) من مقالة للدكتور راشد بن عثمان الزهراني

<http://rashed.ws/Index.aspx?function=Item&id=802&lang=AR>

(٢) <http://e.holol.net/vb/showthread.php?t=8519>



وقد ذكر الدكتور عبد الله بن هضبان الحارثي<sup>(١)</sup> أن الناس استمروا يصلون على قبره حتى أذان المغرب.

## أيام العزاء

جئنا إلى المنزل، فوجدناه غاصًّا بالناس الذين جاؤوا للتعزية، وكان هناك ثلاث دوريات من الشرطة لتنظيم السير في الشارع، وقد رتب الإخوة المكان كما ذكرت، فكان جلوسنا في المجلس وفتحنا غرفة الطعام المجاورة وجهزت للجلوس أيضًا، كما فرشت الساحة الأمامية من المنزل وجهزت بكراس للجلوس. حضر إخوتي وأعمامي وكبار الجماعة وأصهار الوالد رحمة الله أزواج بناته، وكثير من أبناء الأسرة لأنهم يعدون الوالد أبا لهم وقد كان كذلك.

وتقاطر الناس من كل مكان من المملكة ومن خارجها ومن كل الفئات من الأمراء والمشايخ والوجهاء والعامة، وكنا لا نكاد نجلس من كثرة المعزين.

وبعث أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني اثنين من وزارة الأوقاف للمشاركة في الصلاة والتعزية وهما الدكتور/ثقليل بن ساير الشمري والشيخ/علي بن راشد المهندي، ثم أرسل كما سيأتي وفدًا برئاسة نجله جاسم لنقل تعازيه.

وجاءنا الأمير خالد بن طلال مرتين جزاه الله خيرًا، وهذا من وفائه فقد كان معنا في المستشفى في جميع ما نحتاج إليه، كما جاءنا سماحة المفتي والشيخ عبد الله بن عقيل رحمة الله وغيرهم كثير.

وكنا قد نشرنا في الصحف خبر الوالد وحددنا مكان العزاء والهواتف والفاكسات المخصصة لذلك تسهيلًا على الناس، فكانت الهواتف المعلنة وهواتفنا الخاصة لا تسكت، وقد أعطيت هاتفي أحد أبنائي وتفرغت

(١) قناة «أقرا».

لاستقبال تعازي الناس، وكان الابن يأتيني بالهاتف كلما اتصل أحد ممن يعرف مكانتهم وهم كثير من الأمراء والمشايخ والوزراء والوجهاء من داخل المملكة ومن خارجها، إذ كنا في الصيف ومعظم الناس في خارج المملكة، ولا أحصي الذين اتصلوا ولست في مجال تعدادهم هنا، فجزاهم الله خيراً، فقد كانت مشاعر الناس في هذه الأيام هي خير عزاء لنا فلم نكن الوحيدين الذين فجعنا به رحمة الله بل فجع به المسلمون في أقطار الأرض كلها.

بدأت كثير من القنوات الفضائية وبخاصة الإسلامية منذ الساعة الأولى من وفاته تبث برامج عنه رحمة الله وعن سيرته ونقلت وقائع الصلاة عليه وتشيعه، وحتى القنوات الأخرى نشرت خبر وفاته؛ لأن الديوان الملكي أصدر بياناً أعلن فيه وفاته رحمة الله كما ذكرت.

وقد اجتهد الإخوة في مكتب الوالد رحمة الله فجدوا أنفسهم لمهمات تتعلق بالحدث، فقاموا بتوثيق وأرشفة المعلومات التي نشرت عنه في الأيام اللاحقة لوفاته من الصحف والمجلات والقنوات الفضائية ومواقع الإنترنت، كما أنشؤوا صفحة باسم مشاعر أمة للتواصل مع الناس وحملوا فيها المواد النصية والصوتية والمرئية من مقالات ولقاءات ومراثٍ ونحوها، كما حصروا الخطب التي خصصها الخطباء للحديث عنه في الجمعة اللاحقة لوفاته رحمة الله حيث تحدث كثير من الخطباء في المملكة وفي العالم الإسلامي عن مآثره ووقد المسلمون له وما ثلم به الإسلام بسبب موته، وحصروا البرقيات التي وردت للتعزية فيه، ولكنهم لم يستطيعوا تسجيل الاتصالات ولا المعزين الذين حضروا؛ لصعوبة ذلك.

وقد قمنا بعد انتهاء العزاء بنشر صفحتين في بعض الصحف لشكر المعزين خصصنا واحدة لمن هم في داخل المملكة والثانية لمن هم في خارجها من دول الخليج والدول العربية.



وأصدرنا بياناً مفصلاً عن ذلك: لأن ما نشر في الجريدة كان مختصراً  
وأحب أن أورد البيان هنا بنصه: لما فيه من تفاصيل مفيدة:

### العزاء للأمة في فقيد الأمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه  
أجمعين وبعد..

فقد تلقت الأمة الإسلامية نبأ وفاة سماحة الشيخ عبد الله بن  
عبد الرحمن الجبرين رحمته الله وأسكنه فسيح جناته في الساعة الثانية بعد ظهر  
يوم الإثنين الموافق ٢٠/٧/١٤٣٠ هـ - ١٣/٧/٢٠٠٩ م، وذلك بعد أن عانى مع  
المرض مدة خمسة أشهر واثني عشر يوماً، فلقد كانت مكانة الشيخ في داخل  
المملكة وخارجها سبباً في الحزن العام الذي أطبق أصقاع الأرض، وحيث تابع  
المحبون الأخبار العامة التي نشرت في وسائل الإعلام، حيث أصدر الديوان  
الملكي بياناً نعى فيه سماحة الشيخ رحمته الله، كما تناولت وسائل الإعلام المرئية  
والمسموعة والمقروءة في داخل المملكة وخارجها الحدث باهتمام بالغ، ولهذا  
فإننا سنقتصر في هذا البيان على الأخبار الخاصة التي حدثت في أيام العزاء  
في منزل سماحة الشيخ رحمته الله تعالى.

فقد تلقى أبناء الشيخ وإخوته وأقاربه اتصالاً من خادم الحرمين  
الشريفيين حفظهم الله، دعا فيه للفقيد بالرحمة والرضوان وبين أن فقدته مصيبة  
على المسلمين عامة وليس على أسرته فحسب.

كما اتصل صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد  
نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام للتعزية في  
فقيد الأمة ومواساة أسرته وأقاربه وأشار حفظهم الله إلى مكانة الشيخ في قلبه

وقلوب المسلمين في أقطار الأرض، ودعا للفقيد رحمة الله بأن يرفع الله درجته في عليين ويسكنه فسيح جناته.

وتلقت أسرة الشيخ برقية عزاء ومواساة من صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية الذي دعا للفقيد بالرحمة وأن يجبر الله مصاب أسرته، ويلهم الجميع في فقدته الصبر ويجزل لهم الأجر.

وأ أسرة آل جبرين تشكر لخدام الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني مبادرتهم التي تعبر عن منهج هذه الدولة وقادتها منظم الله في مواساة شعبهم وتقديرهم لأهل العلم وطلابه.

هذا، وقد كان أول المعزين في الشيخ رحمة الله صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض الذي اتصل بعد وفاة الشيخ مباشرة. وكان حفظه الله متابعاً لحالة الشيخ في أثناء مرضه، بالرغم من انشغاله مع صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، وقد دعا للشيخ رحمة الله بالمغفرة والرحمة. وبين أن العلاقة والتقدير لسماحة الشيخ لن تنتهي بموته، بل ستبقى بإذن الله مع أسرته من بعده، وقد كان لكلماته أعظم الأثر في تطيب نفوس أبناء الشيخ وأخوته، فجزاه الله خيراً وبارك في جهوده.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير سطاتم بن عبدالعزيز نائب أمير منطقة الرياض في مقدمة المصلين على فضيلة الشيخ رحمة الله في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض الذي غص بالمصلين حيث امتلأت رحبات المسجد والشوارع المحيطة به.



وقد وصل للرياض وفد من دولة قطر برئاسة الشيخ جاسم بن حمد آل ثاني نقل تعازي سمو أمير دولة قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، وكان من ضمن الوفد سعادة وزير الأوقاف الشيخ أحمد بن عبد الله المري والشيخ فيصل بن جاسم آل ثاني، وقد عبر الوفد عن الحزن العام لهذه المصيبة التي ألمت بالعالم الإسلامي ودعوا للفقيد بالرحمة والغفران

وبعث سمو أمير الكويت بيرقية تعزية إلى خادم الحرمين الشريفين أعرب فيها عن خالص تعازيه وصادق مواساته بوفاة المغفور له بإذن الله تعالى فضيلة العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين. مشيداً بمناقب الفقيد وأعماله الجليلة في مجال الدعوة والإفتاء والتعليم والتأليف؛ خدمة للإسلام والمسلمين، سائلاً سموه المولى تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته وأن يلهم الجميع جميل الصبر وحسن العزاء.

وبعث سمو ولي العهد الشيخ نواف الأحمد وسمو رئيس مجلس الوزراء الشيخ ناصر المحمد بيرقيتي تعزية مماثلتين.

وبعد الصلاة على الشيخ شيعة المصلون إلى مقبرة العود، حيث ووري جثمانه رحمة الله، وشارك في الدفن الآلاف جزاهم الله خيراً.

وقد توافد المعزون على منزله رحمة الله بعد الدفن ولمدة ثلاثة أيام حيث ضاقت بهم جنبات البيت وساحته، ونحن نشكر كل من واسانا بالتعزية من داخل المملكة أو خارجها حضورياً أو هاتفياً أو كتابياً أو برقياً، ولن نستطيع إحصاء وذكر كل المعزين، حيث كان منهم الأمراء والمشايخ والوزراء وكبار المسؤولين وتلاميذ الشيخ ومعارفه وجموع غفيرة من المواطنين والمقيمين من جميع الجنسيات، وكان منهم كثير من جميع بلدان العالم.

ومن أبرز من شارك في التعزية من أصحاب السمو الأمراء أبناء الملك  
عبد العزيز كل من:

صاحب السمو الملكي الأمير بندر بن عبد العزيز.

صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبد العزيز رئيس هيئة البيعة.

صاحب السمو الملكي الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز نائب وزير الدفاع والطيران.

صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز رئيس مكتب اليونسكو.

صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد العزيز وزير الشؤون البلدية والقروية.

صاحب السمو الملكي الأمير ممدوح بن عبد العزيز.

صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبد العزيز نائب وزير الداخلية.

كما شارك كثير من أحفاد الملك عبد العزيز رحمه الله وأسرة آل سعود  
وبعض الأمراء والوزراء والمسؤولين والمحبين من دول الخليج العربي والدول  
العربية والإسلامية والمؤسسات والهيئات الإسلامية في المملكة والعالم ببيانات  
نعت فيها الشيخ، ودعت له بالمغفرة والرحمة.

ونبشر جميع محبي الشيخ بأن مكتب الشيخ ماضٍ بإذن الله في استكمال  
المسيرة التي بدأها الشيخ رحمه الله لنشر تراثه ورعاية جهوده، وسيصدر بيان  
مفصل عن هذا الموضوع قريباً إن شاء الله.

وأ أسرة آل جبرين تتقدم بجزيل الشكر والامتنان لجميع من قام بواجب  
العزاء في وفاة فقيدنا سواءً حضورياً أو عبر الهاتف أو برفقياً أو عبر الفاكس  
أو عبر الموقع سائلين المولى ﷻ ألا يريهم مكروهاً، ونسأله سبحانه أن يتقدم  
الشيخ بواسع مغفرته ورحمته، وأن يرزقه الفردوس الأعلى من الجنة، وأن



يدخله مدخلاً كريماً، وأن يجعل درجته في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأحد ٢٦/٧/١٤٣٠هـ

ولقد كان حضور النساء كثيراً أيضاً، فقد خصصنا البيت الذي بجوار بيت الوالد وهو المكتب لعزاء النساء وسأنتقل لك ما ذكرته أختي هيا عن العزاء حيث عايشت الأحداث هناك تقول: «ذهبنا للبيت بعد انتهاء الزحام وإذا بدوريات المرور عند الباب استعداداً لما سيأتي من زحام، ومنذ ذلك اليوم حتى أربعة أيام بعده ونحن نسقى المعزين، من التاسعة صباحاً حتى الحادية عشرة ليلاً، فهناك الباكية والصابرة والعليلة التي لم تقدر على مجيئنا إلا بعد خمسة أيام من المصاب الذي دهاها.

وكثيراً ما تدخل امرأة تسلم علينا وهي تقول: والله لا أعرف منكن أحداً لكنه حب الشيخ الفقيه رحمه الله.

أتانا القاصي والداني، أتانا من ظننا ألا نلتقي به أبد الدهر، جيران لنا انتقلوا عنا أو انتقلنا عنهم منذ سنين، أصهار سابقون، أصدقاء مدارس، زملاء قدماء.. وأتانا الفقراء يشكون ضعفهم، والأمراء يبكون فقيدهم، والأقرباء ينعون حبيبهم.

أتانا من انتزعت قلوبنا لما رأيناها حزناً.. تلك المرأة الإفريقية التي كانت تتردد على والدي حتى يسد ديونها، ثم كفلها، ثم أتى بأختها لتحج ثم تعمل هنا، ثم تزوجت وأنجبت.. دخلت علينا ثم لم تقوّر جلاها على حملها، فجلست في مكانها تنتحب حيناً وتأمل وجوهنا الحزينة.

جاءنا كثير يقولون: مرضنا وأخذنا إبراً مسكنة مهدئة ولم نذق الطعام.  
أما نحن فقد أنزل الله علينا سكينه وعزاء، فلم تأخذ إحدانا علاجاً  
سوى المسكنات المعتادة، ولم ننح ولم نأت بما يسخط ربنا والحمد لله.

من المواقف التي لا أنساها زيارة أسرة الشيخ الفقيه عبدالعزيز  
الوهيبي الذي توفي مع زوجته وبعض بناته في حادث أليم بطريق الدمام، فقد  
رأيت أمه المكلومة، وقلت: هذه تصبر ونحن لا نصبر؟ سنكون مثلها وخيراً  
منها، بل سنرضى ونسلم.. ونفرح بما قسم الله.

وقد زارتنا نساء مقعدات وبعضهن كفيفة البصر، وأخرى صماء بكماء  
وثالثة تمشي بعكاز ولم تمنعهن هذه الإعاقات من المجيء.

وأنتنا إحدى القريبات وكانت مريضة بداء قديم فيها، وقد تأثر دماغها  
بمرضها ونطقها إلا أن في دينها صلابه، كانت تبكي بكاء التكلى، فسالت  
دموعنا رافة بها وعجباً من حبها لأهل الخير مع ما بها من بلاء».

وبعد انتهاء العزاء طلبنا الديوان الملكي؛ للسلام على الملك وتقبل تعازيه  
فذهبنا له أنا وإخوتي وأعمامي وكان في الطائف وقابلنا في جلسة استقبال  
المشايخ وعزانا في الوالد رحمه الله.

ثم قابلنا الأمير نايف رحمه الله بعد أسبوع في مكتبه في مدينة جدة وقلت  
له لما جلست بجواره: صاحب السمو، لقد جئنا نغزيكم ونتقبل تعازيكم في  
أخيكم الفقيه سماحة الوالد الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.

فرد بهدوئه المعروف: فعلاً نحن نعزى فيه؛ فهو فقيه الأمة والوطن وقد قدم  
رحمه الله لدينه ووطنه والمسلمين الكثير مما سيرى جزاءه عند ربه إن شاء الله.



ولما أردت أن أشكر سموه على مواقفه المجيدة مع الوالد رحمة الله وقلت له: إن وفياتكم الكثيرة المجيدة مع والدنا في حياته وفي مرضه وبعد وفاته لن ننساها وسنظل نذكرها فنشكرها.

فرد سموه بتواضع جم وقال: هذا واجبي كمسلم وواجبي كمسؤول وولي أمر وواجبي كمحب للشيخ رحمة الله لما له من حق على الأمة الإسلامية كلها.

قدمت له خطاب شكر من أسرة آل جبرين وخطاب طلب الإذن بإنشاء مؤسسة باسم الوالد رحمة الله لنشر علمه ورعاية جهوده، فقرأ الخطابين بعناية وكتب عليهما، وصدر ترخيص لمؤسسة تحمل اسم الوالد بتوجيه منه جزاه الله خيراً.

وسافرت في ذي القعدة لسمو الأمير سلطان رحمة الله في المغرب، فاستقبلني في قصره وعزاني في الوالد وتبرع لمؤسسة الوالد بعشرة ملايين ريال جزاه الله خيراً، وغفر له.

وبعد رجوع الأمير سلمان للرياض استقبلنا أنا وإخوتي وأعمامي في ٢٩ ربيع الأول ١٤٢١ هـ في مكتبه بقصر الحكم، وسمعنا منه من الثناء على الوالد والدعاء له ما طيب نفوسنا.

وممن أثرت تعزيتة في نفسي سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد، فقد قال لي: نحن يا عبدالرحمن، نعزى في الشيخ رحمة الله فهو فقيد الأمة.

ومن أبرز ما لفت نظر من جاء للتعزية أن أحد المكاتب العقارية الكبرى بجوارنا وهو مكتب الحوتان أغلق للحداد لمدة ثلاثة أيام ووضع لافتات كبيرة على واجهات المحل؛ للتعزية، وأنا أذكر هذا لترى حال العامة مع الوالد رحمة الله، وإن كنت لا أرى شرعيته.



وقد قال الشيخ محمد المقرن حينما افتتح أول حلقة بعد وفاة الوالد رحمه الله من برنامج الشهرير الجواب الكافي: «لا يمكن أن نبدأ حلقة من حلقات برنامج الجواب الكافي دون أن نعرض بتقديم العزاء باسمي ونيابة عن جميع إخواني وزملائي في أسرة الجواب الكافي لأبناء وإخوان الفقيد الشيخ الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين الذي توفي يوم الإثنين الماضي.

كان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين رحمه الله أبرز ضيوف الجواب الكافي، وقد شارك معنا منذ انطلاقة البرنامج عام ألف وأربعمائة وأربع وعشرين (١٤٢٤هـ) رحمه الله تعالى، وكان ملبياً لكل دعوة يقدمها له البرنامج بالحضور على الرغم من مشاغله وكبر سنه، فرحمه الله وغفر له، والعزاء لكل مسلم على وجه الأرض».

وحاولت بعض القنوات إشراكنا في بعض البرامج، فلم نتمكن لانشغالنا بالعزاء.

وذكر الشيخ عصام العويد في لقاء مع قناة «اقرأ» أن كثيراً من الإخوة منذ أن مات وهم يتصدقون عنه ويدعون له من غير أولاده وأهله.

وقد ذكرت أن مواقع الإنترنت حفلت بالثناء عليه وخصصت المواقع المشهورة كموقع أهل الحديث وموقع الألوكة وموقع صيد الفوائد وغيرها كثير ملفاً خاصاً لما كتب عنه رحمه الله، وإن كثيراً من المواقع التي تخالف منهج الشيخ تأدبت مع الحدث وأثنت على الشيخ الوالد رحمه الله، وإن كان أحدها لم ينشر حتى خبر وفاته رحمه الله.

وطار الرفضة بالخبر وشرقوا به وغربوا، وجعلوا ذلك اليوم يوم فرح، ومما أنطقهم الله به الدعاء للوالد رحمه الله بما يحبه ويحبه كل مسلم



فقد انتشر بينهم الدعاء له بأن يحشره الله مع أبي بكر وعمر<sup>(١)</sup>، وإن فرح الراضة بموته من دلالات الخير له إن شاء الله تعالى.

ونظراً لحضور الوالد رحمة الله في كثير من قضايا المسلمين فإن كثيراً من الجمعيات والجماعات والحركات الإسلامية أصدرت بيانات بعد وفاته رحمة الله تذكر فيها مآثره وتعبّر عن حزنها بفقدته وممن اطلعت على بيانه:

- جمعية إحياء التراث الإسلامي في الكويت<sup>(٢)</sup>.
- الحركة السلفية في الكويت<sup>(٣)</sup>.
- الجالية البرماوية في المملكة<sup>(٤)</sup>.
- حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.
- حركة المقاومة الإسلامية «حماس».
- رابطة علماء فلسطين.
- جمعية دار الكتاب والسنة - فلسطين.
- رابطة طلبة العلوم الشرعية في العراق.
- مركز أنصار السنة في السودان<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) مداخلة للدكتور سعد بن مطر العتيبي في قناة «دليل».

(٢) [http://www.alwatan.com.kw/Default.as...icle\\_id=522625](http://www.alwatan.com.kw/Default.as...icle_id=522625)

(٣) [http://www.alwatan.com.kw/Default.as...icle\\_id=522829](http://www.alwatan.com.kw/Default.as...icle_id=522829)

(٤) <http://www.burma-ksa.com/news.php?action=show&id=134>

(٥) <http://www.ansar-alsunna.net/modules...rticle&sid=225>

## مبشرات

ونحن نتحدث عن وفاته رحمه الله أذكر هنا بعض ما بلغني من الرؤى التي رثيت فيه رحمه الله فإن الرؤيا الصالحة من المبشرات.

فمن ذلك أن أحد طلاب العلم رآه وهو في طريقه إلى الدفن، وإذا به يكشف وجهه رحمه الله ويعظ الناس ويعلمهم أمور دينهم قبل أن يدفن وهذه بشرى خير إن شاء الله <sup>(١)</sup>.

وقال الدكتور عبد الواحد المزروع وكان أبوه من محبي الوالد <sup>(٢)</sup>: «قبل وفاته بما يقارب الشهر رأى أخي الأكبر والدي في المنام مستبشراً يقول: سيأتينا عبد الله يكررها، فما مضى الشهر إلا ونسمع بوفاة شيخنا الشيخ عبد الله رحمه الله وأسكنهما فسيح جناته».

وذكر الشيخ عصام العويد أن امرأة بحثت عن أبناء الشيخ لتبشرهم برؤيا رأتها قبل دفن الشيخ تقول: رأيت النبي ﷺ يقول: أين ابن جبرين، تمت البيعة.. تمت البيعة.

وذكر أيضاً على قناة «الدانة» أن رجلاً من القصيم رأى قبل وفاة الشيخ: بأيام أن القمر سقط على الأرض، وهذه الرؤيا يفسرها أهل التأويل بموت العلماء.

وعلى قناة «الرحمة» في برنامج عن الوالد رحمه الله اتصل رجل يقسم بالله العظيم إنه رأى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله يقول له: إن منزلة ابن جبرين فوقي في الجنة.

ويقول أحد الإخوة: لقد رأيته قبل موته بأكثر من شهرين في المنام بأنه قد مات، فسمعت من يقول: إنه لم يم.

(١) قناة «الناس» برنامج «التبيان».

(٢) <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?page=3&t=179870>

## الختام

وبعد، فتلك كانت سيرة راشدة لإمام من أفذاذ هذا القرن وأعيان أعلامه جلوتها لك، ورسمتها كما عاشها صاحبها رحمة الله وسطرت حروفها دون تزويق ولا مبالغة، وعرضت لك الأحداث ووافيتك على ما قلت بالشواهد من كلام صاحب السيرة ومن أقوال الأثبات ولا أجدني أقول إلا ما قال الأول:

والمسك ما قد شف عن نفسه لا ما غدا يمدحه بئعه

ولا أجد أفضل ولا أكمل من دعوات صادقات نهديها له رحمة الله وهي من أقل ما يجب في حقه من البر فأقول: اللهم إن عبدك عبد الله ابن جبرين في ذمتك وحبل جوارك، وأنت أهل الوفاء والحمد فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم، اللهم إنه خرج من الدنيا، وفارق محبوبه وأحباءه فيها، يشهد أن لا إله إلا أنت، وأن محمدا عبدك ورسولك، وأنت أعلم به، اللهم إنه نزل بك وأنت خير المنزلين، وأصبح فقيرا إلى رحمتك، وأنت غني عن عذابه، اللهم ضاعف له الحسنات وكفر عنه السيئات، وآته برحمتك رضاك، وقه فتنة القبر وعذابه، وافسح له في قبره ونور له فيه، ولقه برحمتك الأمن من عذابك حتى تبعته إلى جنتك واكفه كل هول دون الجنة، اللهم اخلفه في عقبه في الغابرين، وارفعه في عليين، وعد عليه بفضل رحمتك يا أرحم الراحمين<sup>(١)</sup>.



(١) مقدمة الختام سطرها يراع الدكتور الأديب البليغ عبد المحسن العسكر، وأما الدعاء فهو في الأذكار للنووي ١٥٨/١. وهو مما اختاره الشافعي رحمة الله، وبعضه مخترع، كما نبه إليه محقق الأذكار، ولهذا تصرف فيه بإشارة من الدكتور عبد المحسن رحمة الله.